قطوف الرياحين

في شَرح رياَض الصَّالحِين

جمع
الدّكتُور كمال الحُوت

الجزء الأول

شركة دار المشاريع

ملتزم الطبع

شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

الطبعة الأولى

٢٠٠٩ر-١٤٣٠هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله الذي من توكل عليه يكفيه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المصطفى الوجيه صلى الله عليه وعلى ءاله وصحابته الطيبين.

وبعد فإن كتاب «رياض الصالحين» للحافظ النووي كتاب طار صيته واتسعت شهرته واعتنى به العلماء الأفاضل والطلبة الأماجد وذلك لما فيه من الفوائد الجمة والرقائق وأحاديث الزهد وفضائل الأعمال لذا أحببت أن أقوم بخدمة هذا الكتاب المفيد وأن أقدمه لطلبة العلم الشرعي بحلة جديدة مفيدة.

وقد قمت بعرض المتن على نسختين خطيتين الأولى محفوظة في مكتبة (حسين باشا) في استانبول تحت رقم /٢٧٩، وتقع في (١٦٩) ق وخطها نسخي جميل مشكول عليها تعليقات مفيدة وتاريخ نسخها سنة ٧٣٩هـ.

وجاء في ءاخرها أنها نقلت عن نسخة العالم المحدث المتقن أبي الحسن علاء الدين علي بن إبراهيم بن داود بن العطار[1] أحد أكابر تلاميذ النووي، وفيه ما ملخصه أنه أي ابن العطار سمع هذا الكتاب من أوله إلى باب بيان جماعة من الشهداء بقراءة الفقيه شهاب الدين أحمد ابن يحيى بن علي بن أحمد والباقي بقراءته هو على المصنف وذلك سنة ٦٧٤هـ بدمشق.

---

(١) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي (٦/ ١٤٣)، الدرر الكامنة (٣/ ٥)، النجوم الزاهرة (٩/ ٢٦١)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/ ٢٧٠)، شذرات الذهب (٦/ ٦٣).

وهذه النسخة قام كاتبها بمقابلتها بعد نسخها على نسخة ابن العطار المذكور لذا فهي نسخة قيمة جدًّا، وقد رمزنا لها بحرف «أ».

وفي أول هذه النسخة فهرسة لأبواب الكتاب.

أما النسخة الثانية فهي محفوظة بمكتبة علي باشا باستانبول تحت رقم **٧٢٠/ ٧٠٢** وتقع في **(٢٠٢)** ق بخط نسخي كتبت الأبواب والكتب باللون الأحمر، وتاريخ نسخها سنة **٧١٩**هـ بخط عبد الله بن أحمد بن خليل الكوراني الشافعي.

وفي ءاخر هذه النسخة ما يفيد أنها نسخة من نسخة ابن العطار وقوبلت بها وقرأت عليه، وقد رمزنا لها بحرف «ب».

وقد قمنا بفضل الله بعرض النص على هاتين المخطوطتين والفارق بينهما يسير جدًّا[1]، ووضعنا ترقيمًا للأحاديث الواردة، ولمزيد الفائدة وضعنا شرحًا موجزًا يسيرًا انتقيناه من كتاب «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» للشيخ محمد بن علي بن محمد علان البكري الصديقي الشافعي وعليه كان مدار أكثر هذا الشرح، ثم انتخبنا فوائد من «فتح الباري شرح البخاري» للحافظ ابن حجر العسقلاني، وشرح صحيح مسلم للنووي، ومن كتاب «معالم السنن» للخطابي، ومن شرح السيوطي على النسائي، ومن عارضة الأحوذي بشرح الترمذي لأبي بكر محمد المعروف بابن العربي المعافري المالكي، ومن تفسير القرطبي وغيرها من المراجع فجاء هذا الشرح موجزًا لطيفًا مفيدًا، والله نسأل أن يوفقنا للخير والرشاد.

الدكتور كمال الحوت
أستاذ الحديث ورئيس قسم الدراسات الإسلامية
والطب النبوي / الجامعة العالمية

---

(١) اتبع ناسخا الكتاب نمطًا في كتابة النص وهو عدم إثبات الهمز وإبدالها بياء مثل «سائر» فإنهما يكتبانها «ساير»، وكذا «يرسول الله»، ونحو هذا كثير، وقد قمنا بكتابة النص على ما هو متعارف عليه حديثًا.

ترجمة موجزة للنووي[1]

- **نسبه:**

هو الشيخ الفقيه الحافظ محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النَّوَوِي الشافعي الدمشقي صاحب التصانيف النافعة.

- **مولده ونشأته:**

ولد في المحرَّم سنة إحدى وثلاثين وستمائة وقدم دمشق سنة تسع وأربعين فسكن في الرواحية يتناول خبز المدرسة، فحفظ «التنبيه» في أربعة أشهر ونصف وقرأ ربع «المُهذَّب» حفظًا في باقي السنة على شيخه الكمال إسحاق بن أحمد ثم حج مع أبيه وأقام بالمدينة النبوية شهرًا ونصفًا ومرض أكثر الطريق.

قال السبكي في «طبقاته» ما نصه: «ولد النووي في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة بنوى وكان أبوه من أهلها المستوطنين بها، وذكر أبوه أن الشيخ كان نائمًا إلى جنبه وقد بلغ من العمر سبع سنين ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان فانتبه نحو نصف الليل وقال: يا أبت ما هذا الضوء الذي ملأ الدار؟ فاستيقظ الأهل جميعًا قال: فلم نر كلنا شيئًا، قال والده: فعرفت أنها ليلة القدر. وقال شيخه في الطريقة الشيخ ياسين أبو يوسف الزركشي: رأيت الشيخ محي الدين وهو ابن عشر سنين بنوى والصبيان يُكرهونه على اللعب معهم وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم ويقرأ القرءان في تلك الحال، فوقع في قلبي حبه، وجعله أبوه في دكان فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرءان، قال: فأتيت الذي يُقرئه القرءان فوصّيته به وقلت: هذا الصبي يُرجى أن يكون أعلم

---

(١) راجع ترجمته في: تذكرة الحفاظ (٤/ ٢٥٠)، طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ١٦٥)، النجوم الزاهرة (٧/ ٢٧٨)، شذرات الذهب (٥/ ٣٥٤)، طبقات الشافعية للإسنوي (٢/ ٢٦٦)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/ ١٥٣)، الدارس في تاريخ المدارس (١/ ٢٤).

أهل زمانه وأزهدهم وينتفع الناس به، فقال لي: منجم أنت؟ فقلت: لا وإنما أنطقني الله بذلك، فذكر ذلك لوالده فحرص عليه إلى أن ختم القرءان وقد ناهز الاحتلام» اهـ.

- **دراسته:**

قال الذهبيّ: «ذكر شيخنا أبو الحسن بن العطار أن الشيخ محي الدين ذكر له أنه كان يقرأ كل يوم اثني عشر درسًا على مشايخه شرحًا وتصحيحًا، درسين في «الوسيط»، ودرسًا في «المهذب»، ودرسًا في «الجمع بين الصحيحين»، ودرسًا في «صحيح مسلم»، ودرسًا في «اللمع» لابن جني، ودرسًا في «إصلاح المنطق»، ودرسًا في التصريف، ودرسًا في أصول الفقه [تارة في «اللمع» لأبي إسحاق وتارة في «المنتخب» لفخر الدين][1]، ودرسًا في أسماء الرجال، ودرسًا في أصول الدين، قال: وكنت أعلق جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل ووضوح عبارة وضبط لغة، بارك الله تعالى في وقتي» اهـ.

- **مشايخه:**

سمع من الرضي ابن البرهان وشيخ الشيوخ عبد العزيز بن محمد الأنصاري وزين الدين بن عبد الدائم وعماد الدين عبد الكريم بن الحرستاني وزين الدين خالد بن يوسف وتقي الدين بن أبي اليسر وجمال الدين بن الصيرفي وشمس الدين بن أبي عمر وطبقتهم. وسمع الكتب الستة والمسند والموطأ وشرح السنة للبغوي وسنن الدارقطني وأشياء كثيرة، وقرأ الكمال للحافظ عبد الغني على الزين وشرح في أحاديث الصحيحين على المحدث أبي إسحاق إبراهيم بن عيسى المرادي، وأخذ الأصول على القاضي التفليسي، وتفقه على الكمال إسحاق المغربي وشمس الدين عبد الرحمٰن بن نوح وعز الدين عمر بن أسعد الإرْبَلي والكمال سلار الإربلي.

---

(١) الزيادة من «طبقات الشافعية» (٢/ ١٥٤) لابن قاضي شهبة.

وقرأ النحو على الشيخ أحمد المصري وغيره، وقرأ على ابن مالك كتابًا من تصنيفه.

- **زهده وورعه:**

لازم الاشتغال والتصنيف ونشر العلم والعبادة والأوراد والصيام والذّكر والصبر على العيش الخشن في المأكل والملبس ملازمة كلية، ملبسه ثوب خام وعمامته شبختانية صغيرة.

قال تاج الدين السبكي: «كان يَحيى رحمه الله سيدًا وحصورًا وليثًا على النفس هصورًا، وزاهدًا لم يبال بخراب الدنيا إذا صيَّر دينه رَبْعًا معمورًا، له الزهد والقناع ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة، والمصابرة على أنواع الخير لا يصرف ساعة في غير طاعة، هذا مع التفنن في أصناف العلوم فقهًا ومتون أحاديث وأسماء رجال ولغة وصرفًا وغير ذلك. وأنا إذا أردت أن أجمل تفاصيل فضله وأدل الخلق على مبلغ مقداره بمختصر القول وفصله لم أزد على بيتين أنشدنيهما من لفظه لنفسه الشيخ الإمام وكان من حديثهما أنه - أعني الوالد رحمه الله - لما سكن في قاعة دار الحديث الأشرفية سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة كان يخرج في الليل إلى إيوانها ليتهجد تجاه الأثر الشريف ويمرغ وجهه على البساط وهذا البساط من زمان الأشرف الواقف وعليه اسمه، وكان النووي يجلس عليه وقت الدرس، فأنشدني الوالد لنفسه:

وفي دارِ الحديثِ لطيفُ مَعنى على بُسُطٍ لها أَصبو وءاوي
عسى أنِي أمَسُّ بِحُرِ وَجهي مَكانًا مَسَّهُ قَدَمُ النَّوَاوي» اهـ

وفي «شذرات الذهب» لابن العماد قال نقلًا عن الذهبي: «وكان مع تبحره في العلم وسعة معرفته بالحديث والفقه واللغة وغير ذلك مما قد سارت به الركبان رأسًا في الزهد وقدوة في الورع عديم المثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قانعًا باليسير راضيًا عن الله والله راضٍ عنه مقتصرًا إلى الغاية في ملبسه ومطعمه وأثاثه تعلوه سكينة وهيبة فالله يرحمه ويسكنه الجنة بمنّه، وَلِيَ مشيخة دار الحديث بعد الشيخ شهاب

الدين أبي شامة وكان لا يتناول من معلومها شيئًا بل يتقنع بالقليل مما يبعثه إليه أبوه» اهـ، ثم قال ابن العماد: «وقال ابن العطار: كان قد صرف أوقاته كلها في أنواع العلم والعمل بالعلم، وكان لا يأكل في اليوم والليلة إلا أكلة واحدة بعد العشاء الآخر، ولا يشرب إلا شربة واحدة عند السحر، ولم يتزوج» اهـ.

وقال الذهبي: «قال ابن العطار: «ذكر لي شيخنا رحمه الله تعالى أنه كان لا يضيع له وقتًا لا في ليل ولا في نهار إلا في اشتغال حتى في الطرق وأنه دام على هذا ست سنين ثم أخذ في التصنيف والإفادة والنصيحة وقول الحق». قلت: مع ما هو عليه من المجاهدة بنفسه والعمل بدقائق الورع والمراقبة وتصفية النفس من الشوائب ومحقها من أغراضها، كان حافظًا للحديث وفنونه ورجاله وصحيحه وعليله رأسًا في معرفة المذهب، وكان لا يقبل من أحد شيئًا إلا في النادر ممن لا يشتغل عليه، أهدى له فقير إبريقًا فقبله، وعزم عليه الشيخ برهان الدين الإسكندراني أن يفطر عنده فقال: احضر الطعام إلى هنا ونفطر جملة فأكل من ذلك وكان لونين، وربما جمع الشيخ بعض الأوقات بين إدامين، وكان يواجه الملوك والظلمة بالإنكار ويكتب إليهم ويخوفهم بالله تعالى، كتب مرة: من عبد الله يحيى النواوي سلام الله ورحمته وبركاته على المولى المحسن ملك الأمراء بدر الدين أدام الله له الخيرات وتولاه بالحسنات وبلغه من خيرات الدنيا والآخرة كل ءاماله وبارك له في جميع أحواله ءامين، وذكر فصلًا طويلًا، وفي طي ذلك ورقة إلى الملك الظاهر، فرد جوابها ردًّا عنيفًا مؤلمًا فتنكدت خواطر الجماعة. وله غير رسالة إلى الملك الظاهر في الأمر بالمعروف» اهـ.

- من تصانيفه:

١ - الأربعون النووية:

وهي أربعون حديثًا مشتملة على أصول الدين والزهد والآداب وغير ذلك وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين، طبع مرارًا.

وعليه شروحات كثيرة عدّها حاجي خليفة بثمانية عشر شرحًا[١].

٢ - الإرشاد في أصول الحديث:

وهو مختصر لخَّصه من كتاب علوم الحديث لابن الصلاح ثم اختصره ثانيًا وسماه التقريب، وهو مطبوع، وله شروح منها شرح ابن أبي شريف المقدسي وشرح البرهان الجوجري وشرح أبي القاسم الأنصاري[٢].

٣ - الإشارات إلى بيان الأسماء المبهمات:

ذكر فيه ما وقع في متون الأحاديث من الأسماء المبهمات ملخصًا كتاب الخطيب مع زيادات عليه[٣].

٤ - الأصول والضوابط:

ذكر فيه أنها قواعد وأصول مهمات ومقاصد مطويات يحتاج إليها طالب المذهب[٤].

٥ - الإيضاح في المناسك:

جمعها مستوعبًا لجميع مقاصدها بحذف الأدلة ولخَّص فيها كتاب ابن الصلاح الشَّهرُزُوري وزاد عليه ورتبه على ثمانية أبواب[٥]، وهو مطبوع.

٦ - بستان العارفين[٦]:

قال فيه المؤلف: أذكر فيه إن شاء الله تعالى جُمَلًا من نفائس اللطائف وحقائق المعارف، وأنثر ما أذكره فيه نثرًا ليكون أبعد لمطالعه عن الملل وأقرب للذكرى، وهو مطبوع.

٧ - التبيان في ءاداب حملة القرءان:

مرتب على عشرة أبواب، الأول في فضيلة تلاوته وحمله، الثاني في

---

(١) انظر كشف الظنون (١/ ٥٩ - ٦٠).
(٢) انظر كشف الظنون (١/ ٧٠).
(٣) انظر كشف الظنون (١/ ٩٦ - ٩٧).
(٤) انظر كشف الظنون (١/ ١١٥).
(٥) انظر كشف الظنون (١/ ٢١٠).
(٦) انظر كشف الظنون (١/ ٢٤٤).

ترجيح القراءة والقارئ على غيرهما، الثالث في إكرام أهل القرءان، الرابع في ءاداب المعلم والمتعلم، الخامس في ءاداب حامل القرءان، السادس في ءاداب القراءة، السابع في ءاداب الناس معه، الثامن في الآيات والسور المستحبة في بعض الأوقات، التاسع في كتابة القرءان وإكرام المصحف، العاشر في ضبط ألفاظ الكتاب[1]، وهو مطبوع.

٨ - مختار التبيان:

وهو مختصر[2] للتبيان في ءاداب حملة القرءان الذي مرّ ذكره.

٩ - التحقيق:

ذكره حاجي خليفة[3] ولم يبيّن من أي فن هو.

١٠ - الترخيص في الإكرام بالقيام لذوي الفضل والمزية من أهل السلام.

١١ - التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير:

في أصول الحديث، لخَّص فيه كتابه الإرشاد الذي اختصره من كتاب علوم الحديث لابن الصلاح، وله عدة شروح[4]، وهو مطبوع.

١٢ - التحرير في شرح التنبيه في فروع الشافعية:

وهو شرح غريبه سماه التحرير ذكر فيه أن التنبيه من الكتب النافعة فينبغي أن يعتنى بتحريره وتهذيبه، ومن ذلك نوعان أهمهما ما يُفتى به وتصحيح ما ترك المصنف تصحيحه أو خولف فيه، أو جزم بما هو خلاف المذهب أو أنكر عليه، قال: «وقد جمعت ذلك في كراس قبل هذا» اهـ، والثاني بيان لغاته وضبط ألفاظه، فذكر فيه جميع ما يتعلق بألفاظه[5]، وهو مطبوع.

١٣ - تهذيب الأسماء واللغات:

---

(١) انظر كشف الظنون (١/ ٣٤٠ - ٣٤١).

(٢) انظر كشف الظنون (١/ ٣٤١).

(٣) انظر كشف الظنون (١/ ٣٧٩).

(٤) انظر كشف الظنون (١/ ٤٦٥).

(٥) انظر كشف الظنون (١/ ٤٩٠).

جمع فيه الألفاظ الموجودة في مختصر المزني والمهذب والوسيط والتنبيه والوجيز والروضة، وقال: «إن هذه الست تجمع ما يحتاج إليه من اللغات» اهـ، وضم إلى ما فيها جُمَلًا مما يحتاج إليه مما ليس فيها من أسماء الرجال والملائكة والجن ليعم الانتفاع، ورتبه على قسمين: الأول في الأسماء والثاني في اللغات، والكتاب مطبوع.

ثم إن الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود الحنفي غيَّر ترتيبه ورتبه على أسلوب ءاخر. وكذلك فعل الشيخ محي الدين عبد القادر بن محمد القرشي الحنفي، ولخصه الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد البسطامي وسماه بالفوائد السنية، وللشيخ جلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي مختصر ذلك الكتاب أيضًا[1].

١٤ - شرح جزء من الجامع الصحيح:

وهو شرح قطعة من أوله إلى ءاخر كتاب الإيمان ذكر في شرح مسلم أنه جمع فيه جُمَلًا مشتملة على نفائس من أنواع العلوم[2].

١٥ - المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج:

وهو شرح متوسط مفيد، قال: «ولولا ضعف الهمم وقلة الراغبين لبسطته فبلغت به ما يزيد على مائة من المجلدات لكني أقتصر على التوسط»[3]، وهو مطبوع.

١٦ - حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار:

وهو كتاب مفيد مشهور بأذكار النووي، ابتدأ فيه بالذكر ثم ذكر الأمور الإنسانية من أول الاستيقاظ من النوم إلى نومه في الليل ويعبر عن ذلك بينهم بعمل اليوم والليلة، ثم ختم بباب الاستغفار، وهو مطبوع، وشرحه ولخصه غير واحد كما صرح حاجي خليفة[4].

---

(١) انظر كشف الظنون (١/ ٥١٤).

(٢) انظر كشف الظنون (١/ ٥٥٠).

(٣) انظر كشف الظنون (١/ ٥٥٧).

(٤) انظر كشف الظنون (١/ ٦٨٨ - ٦٨٩).

١٧ - خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام:

ذكره حاجي خليفة[١] ولم يبين موضوعه.

١٨ - الروضة في الفروع: وهو روضة الطالبين وعمدة المفتين.

قال النووي: «وهو الكتاب الذي اختصرته من شرح الوجيز للرافعي» اهـ، وهو مطبوع. اعتنى به جماعة من الشافعية فشرحوه وعلقوا عليه ومنهم من اختصره[٢].

١٩ - رياض الصالحين:

وهو مختصر جامع للأحاديث وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

وشرحه الشيخ محمد بن علي بن محمد علَّان المكي الشافعي[٣]، وهو مطبوع.

٢٠ - عيون المسائل المهمة:

في مسائل سئل عنها وأجاب، رتبه أبو الحسن علي بن إبراهيم العطار على أبواب الفقه[٤].

٢١ - مرءاة الزمان في تاريخ الأعيان:

وهو مختصر لكنه من أول الخلق ورتبه على فصول وأبواب[٥]. وهو غير مرءاة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي.

٢٢ - مناسك النووي:

وهي ثلاث نسخ: كبرى، ووسطى، وصغرى[٦].

٢٣ - منهاج الطالبين:

وهو مختصر المحرر في فروع الشافعية لأبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، اختصره النووي فسماه المنهاج، وقد التزم

---

(١) انظر كشف الظنون (١/ ٧١٧).
(٢) انظر كشف الظنون (١/ ٩٢٩ - ٩٣٠).
(٣) انظر كشف الظنون (١/ ٩٣٦).
(٤) انظر كشف الظنون (٢/ ١١٨٨).
(٥) انظر كشف الظنون (٢/ ١٦٤٨).
(٦) انظر كشف الظنون (٢/ ١٨٣٣).

مصنفه أن ينص على ما صححه معظم الأصحاب، لكن في حجمه كبر يعجز عن حفظه أكثر أهل العصر، قال النووي: «فرأيت اختصاره في نحو نصف حجمه مع ما أضمه إليه من النفائس، وأرجو إن تم هذا المختصر أن يكون في معنى الشرح للمحرر، فإني لا أحذف شيئًا من الأحكام أصلًا» انتهى باختصار، وهو مطبوع، وشرحه واختصره غير واحد[١].

٢٤ - **شرح المهذب**، وهو المجموع إلا أنه لم يتمه وبلغ فيه إلى باب الربا[٢]، وهو مطبوع.

٢٥ - **تحفة الطالب النبيه في شرح التنبيه**: قال البغدادي: لم يكمل[٣].

٢٦ - **غيث النفع في القراءات السبع**[٤].

٢٧ - **المبهم على حروف المعجم**[٥].

٢٨ - **مختصر طبقات الفقهاء**: طبع في مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.

- **وفاته**:

قال الذهبي: «سافر الشيخ فزار بيت المقدس وعاد إلى نوى[٦] فمرض عند والده فحضرته المنية، فانتقل إلى رحمة الله في الرابع والعشرين من رجب سنة ست وسبعين وستمائة وقبره ظاهر يزار» اهـ.

---

(١) انظر كشف الظنون (٢/ ١٨٧٣).

(٢) انظر كشف الظنون (٢/ ١٩١٢).

(٣) انظر إيضاح المكنون (١/ ٢٥٢).

(٤) انظر إيضاح المكنون (٢/ ١٥٢).

(٥) انظر إيضاح المكنون (٢/ ٤٢٥).

(٦) بليدة من أعمال حوران وقيل هي قصبتها بينها وبين دمشق منزلان (معجم البلدان ٥/ ٣٠٦).


كتاب رياض الصالحين

من حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

تأليف الشيخ الإمام العالم العامل العلامة مفتي المسلمين ذي الفضائل

أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن النووي قدس الله روحه

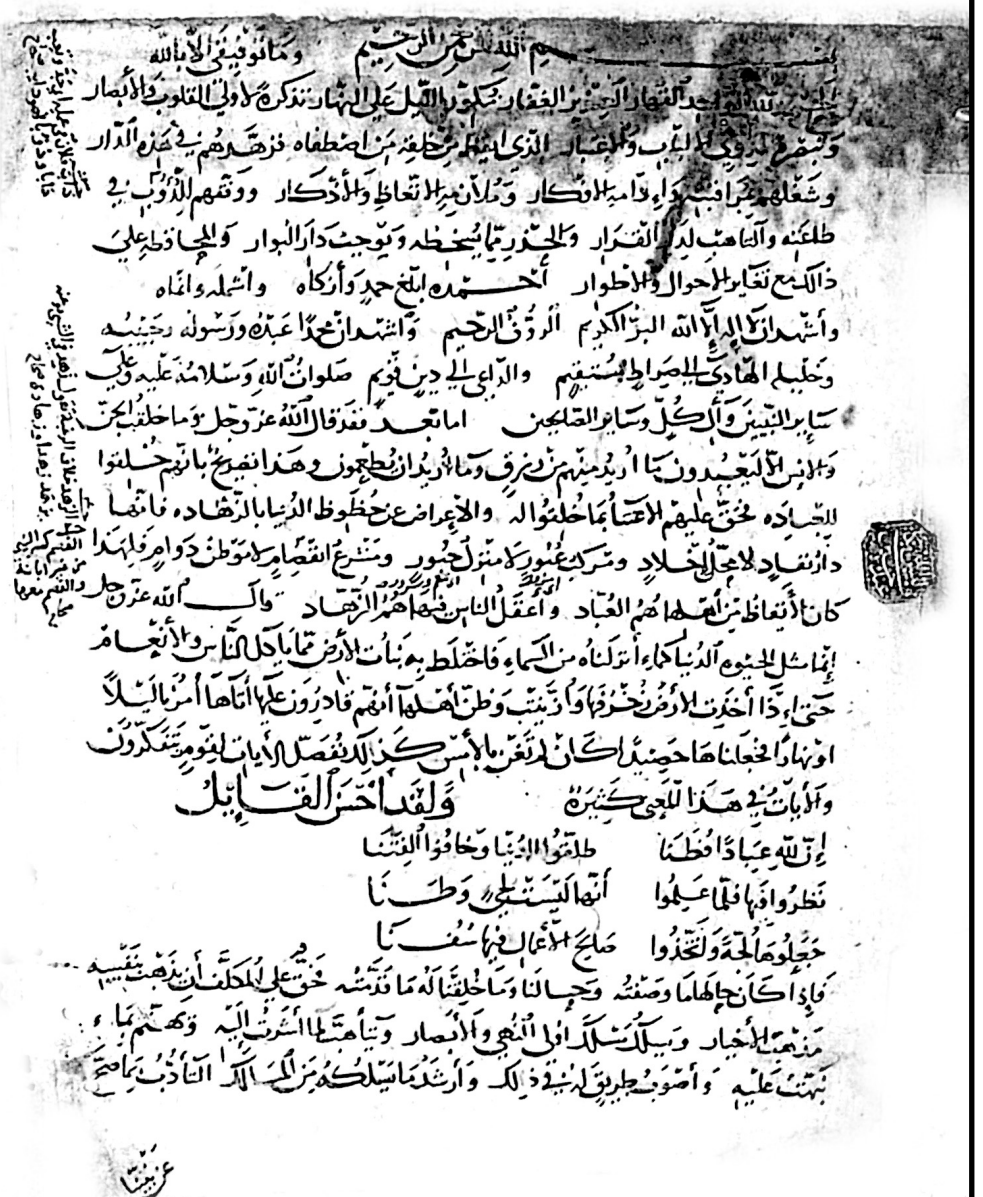
ملك الفقير أبو اليسر وابن صهما الشهاوي الحنفي عفي عنهما

رواية الشيخ الإمام العالم المتقن المحدث

علاء الدين أبي الحسن علي بن [illegible] بن داود بن العطار

عن المؤلف رحمه الله قراءة وسماعا إجازة الله لجنه

غلاف نسخة «أ»



الصفحة الأولى من نسخة «أ»



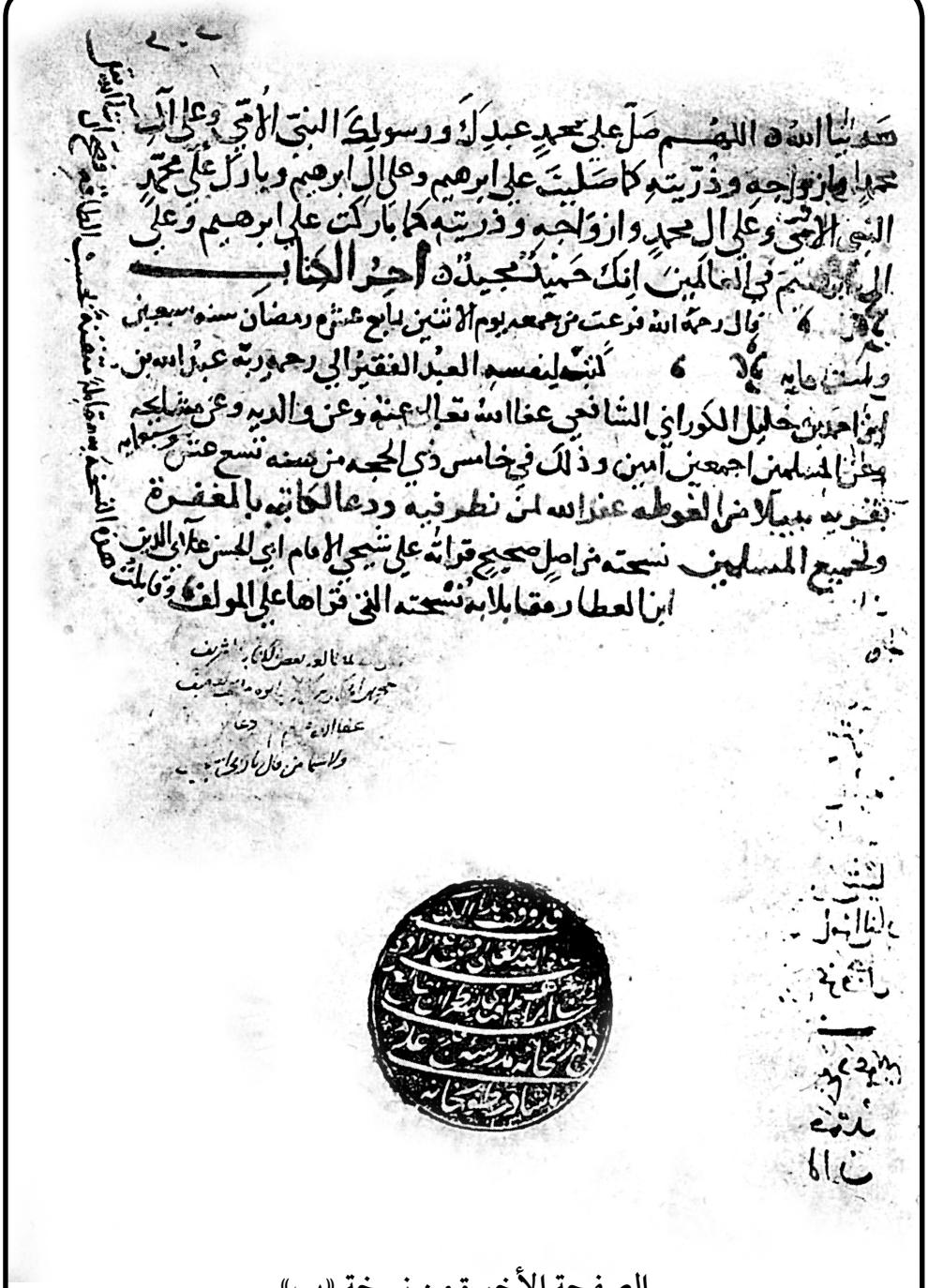
الصفحة الأخيرة من نسخة «أ»


رياض الصالحين
من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد
العارفين جمع الشيخ الإمام العالم العامل
العلامة مفتي المسلمين ذي الفضائل أبي زكريا يحيى
ابن شرف بن مري بن حسن النواوي
غفر الله له ولوالديه ولوالدينا
وجميع إخواننا ومن أحسن
إلينا وجميع المسلمين
آمين رب
العالمين
عدد أوراق الكراس ٢١٤
٧٠٢
٧٢٠٨

غلاف نسخة «ب»



الصفحة الأولى من نسخة «ب»



الصفحة الأخيرة من نسخة «ب»

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحدِ القهارِ العزيزِ الغفارِ، مكوّرِ الليلِ على النهارِ

(**بسم الله الرحمٰن الرحيم**) أي أؤلف، والاسم مأخوذ من السمو وهو العلو، والله علَم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد، والرحمٰن الرحيم صفتان بنيتا للمبالغة من رحم كعلم بعد نقله إلى فعل كشرف، أو تنزيله منزلة اللازم، والمراد من الرحمة في حقه تعالى لاستحالة قيام حقيقتها به من الميل النفساني غايتها وهو إرادة الإحسان والتفضل.

(**الحمد لله**) الحمد اللفظي لغة: الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم. وعُرفًا: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لكونه منعمًا على الحامد أو غيره.

واللام في لله للاختصاص. وبدأ بالبسملة ثم بالحمدلة اقتداء بالكتاب العزيز وعملًا بمقتضى خبر «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمٰن الرحيم» وفي رواية: «بالحمد لله فهو أبتر»، (**الواحد**) أي ذاتًا وصفة وفعلًا فلا شريك له في شيء منها (**القهار**) أي الذي قهر الخلائق وقسرهم بقدرته الأزلية فلا يكون سوى مراده، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن بوجه من الوجوه (**العزيز**) أي الذي لا يغالب في حكمه ولا يدافع في أمره ولا يمانع في مراده (**الغفار**) أي الستار على ذنوب العصاة بعدم المؤاخذة بها (**مكور الليل على النهار**) التكوير: طرح الشيء على الشيء، واكتفى بذكر تكوير الليل عن ذكر مقابله وإنما اقتصر عليه لشرفه لأنه موسم الخيرات للسالكين ومحل الاشتغال بالذكر والصلاة

تذكرةً لأولي القلوب والأبصار، وتبصرةً لذوي الألباب والاعتبار، الذي أيقظَ مِن خَلْقِهِ من اصطفاه فزهَّدَهم في هذه الدار وشغلَهم بمراقبته وإدامة الأفكار[1]،

والمناجاة (**تذكرةً لأولي القلوب**) أي لأصحاب القلوب العظيمة (**والأبصار**) في مفردات الراغب: البصر يقال للجارحة الناظرة وللقوة التي فيها ولقوة القلب المدركة، ويقال لها بالمعنى الأخير بصيرة أيضًا اهـ. (**وتبصرة لذوي الألباب**) جمع لب أي العقول (**والاعتبار**) والمراد منهم الذين يتفكرون في الآلاء ويعرفون أنها لم تخلق عبثًا (**الذي أيقظ**) أي نبه من سنة الغفلة (**من خلقه**) أي مخلوقاته، وهو بيان لمن في قوله: (**من اصطفاه**) من الصفوة بتثليث الصاد وهو الخلوص أي اختاره (**فزهدهم في هذه الدار**) أي في الدنيا يعني لما أيقظهم أدركوا حقيقة الدنيا وأنها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء فزهدوا فيها وأعرضوا عن زهراتها، وأخذوا منها قدر الضرورة، وجعلوا ما وصل إليهم من ذلك من غير تطلع إليه مقدمًا بين أيديهم وعند مولاهم ذخيرة (**وشغلهم**) بتخفيف الغين المعجمة وتشديدها للمبالغة (**بمراقبته**) أي بدوام نظر أنه سبحانه وتعالى ناظر لأعمالهم محيط بأقوالهم وأفعالهم فأقبلوا على إحسان العمل، وحفظوا أنفسهم من الزيغ والزلل (**وإدامة**) وفي نسخة ومداومة (**الأفكار**) أي التفكر في مصنوعاته والاستدلال بذلك على ألوهيته وعظيم قدرته، قال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿١٩١﴾﴾ [سورة ءال عمران] الآية. وفي الحديث: «تفكروا في ءالاء الله ولا تفكروا في ذات الله» وقيل: «الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات، وما جليت القلوب بمثل الأحزان، ولا استنارت بمثل الفكرة».

---

(١) في بعض النسخ المطبوعة: «الافتكار».

وملازمةِ الاتعَاظِ والادِكار، ووفَّقَهُم للدُّءوب في طاعته، والتأهبِ لدار القَرار، والحذرِ مما يُسخطُه ويوجبُ دار البَوار، والمحافظةِ على ذلك مع تغايُرِ الأحوالِ

(**وملازمة الاتعاظ**) أصله الايتعاظ بياء تحتية ساكنة بعد الهمزة المكسورة وبعدها تاء الافتعال فقلبت الياء تاء فوقية وأدغمت في تاء الافتعال على القاعدة في ذلك أي إنهم كلما نزل بهم فقد شيء من مال أو إنسان اتعظوا بذلك ونظروا إلى أن مآل الجميع الفناء، وأن ما نزل بأخيك كأنه قد نزل بك. فالسعيد من اتعظ بغيره وأقبل على ما فيه في المعاد أنواع خيره (**و**) ملازمة (**الادكار**) بالمعجمة والمهملة وأصله اذتكار بمعجمة ثم فوقية فأبدلت الفوقية لما في التلفظ بها بعد الذال المعجمة من الثقل ذالا معجمة أو مهملة وأدغم فيها فاء الفعل، والاذكار[1] هو الذكر بعد النسيان والتنبه بعد سنة الغفلة (**ووفقهم**) من التوفيق وهو خلق القدرة على الطاعة في العبد (**للدءوب**) أي المداومة والاجتهاد (**في**) مزاولة (**طاعته والتأهب**) أي الاستعداد (**لدار القرار**) أي الدار الآخرة (**والحذر**) بالجر عطفًا على الدءوب أو على التأهب قولان في مثله الراجح منهما الأوّل ما لم تقم قرينة على خلافه (**مما يسخطه**) أي يكون سببًا لسخطه سبحانه من المخالفات والعصيان. وفي «مفردات الراغب»: السخط من الله تعالى إنزال العقوبة اهـ (**ويوجب دار البوار**) فالذي يوجب النار هو الموت على الكفر والعياذ بالله تعالى، أما في العصيان فالصغائر المتصلة بحقوق الله تعالى مكفرة بصالح العمل ومنه اجتناب الكبائر، والمتعلقة بحق العباد لا بد من إرضاء مستحقها (**و**) وفقهم لـ (**المحافظة على ذلك**) أي المذكور من الدءوب في الطاعة والحذر مما يوجب السخط (**مع تغاير الأحوال**) أي اختلافها بالخصب والجدب والرخاء والشدة والفراغ والشغل بالتجارة ونحوها من مزاولة

---

(١) في نسخة العطار: «والادكار».

والأطوار.

أحمدُه أبلغَ حمدٍ وأزكاه وأشملَه وأنماه، وأشهد أن لا إله إلا اللَّهُ البَرُّ الكريمُ، الرءوفُ الرحيمُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله

أعمال النفس والعيال لم يؤثر في سلوكهم وإقبالهم على عبودية مولاهم من امتثال أوامره واجتناب زواجره إجلالًا له سبحانه قال الله تعالى ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة النور] والأحوال جمع حال قال الراغب في «مفرداته»: الحال ما يختص به الإنسان وغيره من أموره المتغيرة في نفسه وجسمه وشأنه **(و)** تغاير **(الأطوار)** أي الاختلاف في الخَلْق والخُلُق كما يفهم من مفردات الراغب[1].

(أحمده) أي أصفه بجميع صفاته إذ كل منها جميل **(أبلغ حمد)** أي أنهاه من حيث الإجمال لا التفصيل لعجز الخلق عنه **(وأزكاه وأشمله)** أعمه **(وأنماه)** أكمله **(وأشهد)** أي أعلم وأبين **(أن لا إله)** أي لا معبود بحق **(إلا الله البر)** بفتح الموحدة. قال في «النهاية»[2]: هو العطوف على عباده ببرّه ولطفه **(الكريم)** ومعناه تقدسه عن النقائص والصفات المذمومة، وقيل: الكريم الدائم البقاء **(الرءوف الرحيم)** الرأفة شدة الرحمة فهو أبلغ من الرحيم **(وأشهد أن محمدًا)** سمي به نبينا ﷺ بإلهام من الله لجدّه عبد المطلب إشارة إلى كثرة خصاله المحمودة ورجاء أن يحمده أهل الأرض والسماء وقد حقق الله تعالى رجاءه. **(عبده)** قدم لأنه أسنى أوصافه، ومن ثم ذكر في أفخم مقاماته - ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴿١﴾﴾ [سورة الإسراء]. ﴿نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴿١﴾﴾ [سورة الفرقان]. ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴿١٠﴾﴾ [سورة النجم] **(ورسوله)** ويشترك الرسول والنبي في الوحي فكل قد أوحى الله إليه بشرع يعمل به لتبليغه للناس غير أن الرسول يوحى إليه بنسخ بعض شرع من قبله أي بنسخ بعض الأحكام أو بشرع

---

(١) مفردات ألفاظ القرءان (ص/٥٢٨).

(٢) النهاية (١/١١٦).

وحبيبُه وخليلُه، الهادي إلى صراطٍ مستقيم، والدَّاعي إلى دينٍ قَويم، صلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى سائرِ النبيينَ وءالِ كل وسائرِ الصالحينَ.

أما بعدُ: فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾

جديد، أما النبي غير الرسول فإنه يوحى إليه ليبلغ شرع الرسول الذي قبله، وقد زل بعض فغلطوا في هذا التعريف وادعوا أن النبي أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه وهذا لا يليق بمقام النبوة **(وحبيبُه وخليلُه)** قال في «النهاية»: الخليل الصديق فعيل بمعنى مفاعل، وقد يكون بمعنى مفعول من الخلة بضم أوله الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي في باطنه. وقيل: هي تخلل المودة في القلب بحيث لا تدع فيه خلاء إلا ملأته، أو من الخلة بالفتح وهي الحاجة والفقر اهـ.

(الهادي) أي الدالّ **(إلى صراطٍ)** قال الراغب: الصراط الطريق المستقيم اهـ، فيكون قوله **(مستقيم)** إما إطنابًا أو جرّد لفظ الصراط وأريد منه مطلق الطريق. وقوله: **(والدَّاعي إلى دينٍ قَويم)** هي الشريعة الحنيفية السمحة التي جاء بها ﷺ إلى أمته أشرف الأمم **(صلواتُ الله وسلامُه عليه)** الصلاة منه تعالى رحمة مقرونة بتعظيم، والسلام هو تسليمه إياه من كل ءافة ونقص **(وعلى سائرِ)** أي باقي **(النبيينَ وءالِ كل)** أي كل واحد من النبيين وءال نبينا ﷺ عند الشافعي مؤمنو بني هاشم والمطلب هذا بالنسبة لنحو الزكاة دون مقام الدعاء، ومن ثم اختار الأزهري وغيره من المحققين أنهم هنا كل مؤمن تقي لحديث فيه: «وءال إبراهيم» إسماعيل وإسحاق وغيرهما من المسلمين من ذريته **(وسائرِ الصالحين)** وهم القائمون بحقوق الله وحقوق العباد.

(أما بعدُ) كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى ءاخر **(فقد قال الله تعالى)** عما لا يليق بشأنه ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات]. قال الكواشي في «تفسيره الكبير»: أومأ تعالى إلى أنه لم يخلق الخلق ولم يرسل رسله عبثًا وإنما خلقهم لأمر عظيم هو توحيده وطاعته مع غناه عن ذلك تفضيلًا لهم وتشريفًا، وأصل العبادة الخضوع

مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ [سورة الذاريات] **وهذا تصريحٌ بأنهم خُلقوا للعبادةِ فحقَّ عليهم الاعتناء بما خُلقوا له، والإعراضُ عن حظوظ الدنيا بالزهادة، فإنها دارُ نَفادٍ لا محلُّ إخلادٍ، ومركبُ عبورٍ لا منزلُ حُبور، ومَشرَعُ انفصامٍ لا موطنُ دوامٍ.**

والتذلل، والمعنى إلا ليخضعوا ويتذللوا، ولما كلفهم خدمته أخبرهم أنه قد كفاهم مؤنة ما يحتاجون إليه فقال تعالى ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ ﴿٥٧﴾﴾ أي ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ولا أحدًا من خلقي (﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الذاريات] يعني أنفسهم ولا أحدًا من خلقي، **(وهذا)** أي القول المدلول عليه بقوله قال الله تعالى **(تصريحٌ بأنهم خُلقوا للعبادةِ)** أي فقط كما يفيده الاستثناء أي خلقوا لذلك لا لجمع الدنيا والأرزاق ونحوها مما يحتاج إليه فإن الله تعالى قد كفاهم مؤنة ذلك، ولذا عقب هذه الآية بقوله كما تقدم ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ ﴿٥٧﴾﴾ **(فحقَّ)** أي وجب وفي نسخة بتنوينه أي فواجب فيكون خبرًا لقوله الاعتناء **(عليهم الاعتناء بما خُلقوا له)** والاعتناء توجيه العناية إلى ما خلقوا له من معرفة الله تعالى وأداء حق العبودية **(والإعراضُ)** أي التولي **(عن حظوظ الدنيا)** أي الترفهات المعتادة الزائدة على ما به القوام من دار تكنه وثوب يستر عورته وجريش الخبز والماء **(بالزهادة)** مصدر كالزهد **(فإنها)** أي الدنيا **(دارُ نَفادٍ)** أي فناء **(لا محلُّ إخلادٍ)** عدل إليه عن خلود للسجع **(ومركبُ عبورٍ لا منزلُ حُبور)** أي إنها مركب يتوصل بها إلى الدار الآخرة وليست منزل الفرح والسرور. قال ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وأخرج الترمذي وغيره حديثًا فيه أنه ﷺ قال: «ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظلّ تحت شجرة ثم راح وتركها» **(ومَشرَعُ انفصام)** أي انقطاع **(لا موطنُ دوام)** ولا يخفى ما في عبارته من الاستعارات، وذلك أنه شبه الدنيا أولًا بالمركب الذي يتوصل به إلى المكان المراد بجامع أن كلًّا منهما يتوصل لما بعده، فالدنيا لا يوصل بها إلى الآخرة إلا بالعبور فيها والمرور منها لسبقها عليها، والبلد

فلهذا كان الأيقاظُ من أهلها هم العُبَّادَ وأعقلُ الناسِ فيها هم الزهادَ قال الله تعالى[1]: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة يونس]،

المراد لا يوصل إليه إلا بركوب نحو الدابة. وثانيًا بالمشرع أي محل الماء بجامع الورود لكل، وأطلق عليها اسم المشبه به ففيه تشبيه بليغ **(فلهذا)** أي ما ذكر **(كان الأيقاظُ)** جمع يقظ بكسر القاف. في «النهاية»: رجل فطن ويقظ ويقظان: إذا كان فيه معرفة وفطنة اهـ. **(من أهلها)** أي الدنيا **(هم العُبَّادَ)** وأعلاهم فيها أرباب العرفان بالله **(وأعقلُ الناسِ فيها هم الزهادَ)** قال الدميري في «منظومة رموز الكنوز»:

وأكيسُ الناس وأعقلُ الورى هم الذين زهدوا فيما تَرى
إذ نبذوا الدنيا لعلمهم بها ورغِبوا في أختها لقربها

(قال الله تعالى) مبينًا حال الدنيا في زوالها وسرعة تحولها وانتقالها (﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾) أي اختلط بسبب المطر (﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾) واشتبك بعضه في بعض. ومحل ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾) حال من نبات أو صفة له (﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾) زينتها وحسنها وظهر الزهري (﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾) بالزهر والنبات. (﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾) متمكنون من تحصيل ثمارها (﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾) قضاؤنا (﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾) أي في أحدهما (﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾) أي فجعلنا زرعها (﴿حَصِيدًا﴾) أي محصودًا (﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾) لم تقم (﴿بِٱلْأَمْسِ﴾) بالزمان الماضي لا اليوم الذي قبل يومك فقط (﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾) قال البيضاوي: الآية في الأصل العلامة

---

(١) في نسخة: «عز وجل».

والآياتُ في هذا المعنى كثيرةٌ. ولقد أحسنَ القائلُ: [من الرمل]

إنَّ لله عـــبـــادًا فُـــطَـــنـــا طـلَّـقـوا الـدُّنـيـا وخـافـوا الـفِـتَـنـا
نَـظَـروا فـيـهـا فـلـمَّـا عَـلِـمـوا أنـهـا لـيـسـت لِـحـيّ وَطَـنـا
جَـعَـلـوهـا لُـجَّـةً واتَّـخـذوا صـالِـحَ الأعـمـالِ فـيـهـا سُـفُـنـا

فإذا كان حالُها ما وصفتُه، وحالُنا وما خُلِقْنا له ما قدمتُهُ فحقٌّ

الظاهرة، وتقال للمصنوعات من حيث إنها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته، ولكل طائفة من كلمات القرءان المتميزة عن غيرها بفصل، **(والآياتُ في هذا المعنى كثيرةٌ)** منها قوله تعالى ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الكهف] **(ولقد أحسنَ القائلُ)** في بيان سرعة فناء الدنيا **(فطنا)** بضم الفاء وفتح الطاء المهملة جمع فطن من له عقل ونظر في العواقب **(طلقوا الدنيا)** كناية عن الزهد فيها وترك الاشتغال بشأنها **(وخافوا الفتنا)** بكسر الفاء وفتح الفوقية جمع فتنة وهي الامتحان والاختبار كما في «النهاية». وفي «مفردات الراغب»: الفتنة تستعمل في إدخال الإنسان النار أو فيما يحصل عنه العذاب وفي الاختبار جعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يعتري الإنسان من شدة ورخاء، وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالا اهـ.

(نَظَروا فيها) أي نظروا في الدنيا بعين البصيرة فعرفوا سرعة زوالها وتحولها وانتقالها **(فلمَّا عَلِموا)** بجلاء البصيرة أي شهدوا ذلك وصار لهم حالًا ومذاقًا **(أنها ليست لِحيّ وَطَنا)** أي دارًا يتوطن فيها على الأبد **(جَعَلوها لُجَّةً)** في «النهاية»: لجة البحر معظمه، والمراد أنهم جعلوها بمثابة البحر الذي يتوصل بالعبور فيه إلى المقصد، **(واتَّخذوا صالِحَ الأعمالِ فيها)** أي في اللجة **(سُفُنا)** فيه أن العمل الصالح بمثابة المركب الذي يعبر به لجة البحر **(فإذا كان حالُها ما وصفتُه)** من الزوال وسرعة التحول والانتقال **(وحالُنا وما خُلِقْنا له ما قدمتُهُ)** أي من القيام بأعباء العبادة **(فحقٌّ)** أي واجب بناء على تنوينه، أو فحق أي وجب وثبت

على المكلف أن يذهبَ بنفسه مذهبَ الأخيار ويسلُكَ مسلكَ أولي النُّهى والأبصار، ويتأهبَ لما أشرتُ إليه، ويهتمَّ لما نبهتُ عليه. وأصوبُ طريق له في ذلك وأرشدُ ما يَسلكُهُ من المسالك التأدبُ بما صح عن نبينا سيدِ الأولين والآخِرين وأكرمِ السابقين واللاحقين صلواتُ الله وسلامُه عليه

(**على المكلف**) البالغ العاقل (**أن يذهبَ بنفسه مذهبَ الأخيار**) هم القائمون بما أمروا به والتاركون لما نهوا عنه (**ويسلُكَ مسلكَ أولي**) أي أصحاب (**النهى**) بضم النون جمع نهية بالضم أي العقول والألباب، سميت بذلك لأنها تنهي صاحبها عن القبيح (**والأبصار**) جمع بصر بمعنى البصيرة أي القلب. (**ويتأهبَ**) من الأهبة (**لما أشرتُ إليه**) من أداء العبودية والإعراض عن أعراض الدنيا الدنيّة (**ويهتمَّ**) أي يعتني بهمته (**لما نبهتُ عليه**) من الذهاب مذهب الأخيار وسلوك مسلك أُولي النهى والأبصار (**وأصوبُ طريق له في ذلك**) أي في تحصيل ذلك، وفيه رمز إلى أن طرق المشايخ وإن كان فيها بعض محدثات كالخلوات وبعض الأعمال هي صواب أيضًا لما فيها من رياضة النفوس ومجاهدتها حتى تدخل زمام العبودية (**وأرشدُ ما يَسلكُهُ من المسالك**) جمع مسلك مكان السلوك (**والتأدّبُ بما صح عن نبينا**) ﷺ لو قال بما جاء لكان أعم، لأن الحديث الحسن كالصحيح في «الأحكام» وغيرها والضعيف يتأدب به في فضائل الأعمال ويأخذ به في «الترغيب والترهيب». فالتعبد بالصحيح هو الأصوب والأرشد والأدب (**سيدِ الأوّلين**) حتى جميع الأنبياء والمرسلين (**و**) سيد (**الآخِرين وأكرمِ السابقين**) من الخلق (**واللاحقين**) منهم أي أجمعهم لأنواع الخير والشرف والفضائل فهو سيد الخلائق وأكرمهم كلهم بشهادة قوله ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة» رواه البخاري، وقوله ﷺ: «أنا سيد العالمين» رواه البيهقي. وقوله: «أنا سيد ولد ءادم ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبيّ ءادم فمن دونه إلا تحت لوائي» رواه الترمذي. وقوله: (**صلواتُ الله وسلامُه عليه**

وعلى سائر النبيين. وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴿٢﴾﴾ [سورة المائدة]، **وصَحَّ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «واللَّهُ في عون العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه»، وأنه ﷺ قال: «من دلَّ على خيرٍ فله مثلُ أجرِ فاعلهِ»، وأنه ﷺ قال: «من دعا إلى هدًى كان له من الأجر مثلُ أجورِ من تبعَه لا يَنقصُ ذلك من أجورهم شيئًا»، وأنه قال لعليّ رضي اللَّهُ عنه: «فوالله لأن يَهدِيَ اللَّهُ بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمْر النَّعَم».**

فرأيتُ أن أجمعَ مختصرًا من الأحاديث

وعلى سائر النبيين) فيه الصلاة على سائر الأنبياء **(وقد قال الله تعالى** ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴿٢﴾﴾ [سورة المائدة] **وصَحَّ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال)** أي من جملة حديث رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعًا وأخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في «صحيحه» وغيرهم **(والله في عون العبد ما كان)** العبد أي مدة كونه **(في عون أخيه)** بقلبه أو بدنه أو ماله أو غيرها. **(و)** صح أيضًا **(أنه ﷺ (قال من دلَّ على خيرٍ فله مثلُ أجرِ فاعلهِ)** رواه مسلم وأبو داود من حديث أبي مسعود البدري والله يحب إغاثة اللهفان. **(و)** صح أيضًا **(أنه ﷺ قال: من دعا إلى هدًى كان له من الأجر مثلُ[1] أجورِ من تبعَه لا يَنقصُ ذلك من أجورهم شيئًا)** رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة وقال الطيبي: الهدى في الحديث ما يهتدى به من الأعمال، فأعظمه هدى من دعا إلى الله وأدناه هدى من دعا إلى إماطة الأذى عن طريق المسلمين **(و)** صح أيضًا **(أنه ﷺ (قال لعليّ)** بن أبي طالب **(رضي الله عنه)** يوم خيبر **(فوالله لأن يَهدِيَ اللَّهُ بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمْر النَّعَم)** رواه الشيخان. وحُمر النعم بفتح النون والمهملة أي الإبل الحمر أنفس أموال العرب.

(فرأيتُ أن أجمعَ مختصرًا) وهو ما قلّ لفظه وكثر معناه **(من الأحاديث**

---

(١) أي أجر يشبه أجر الفاعل لا مثله على التمام من جميع الوجوه.

الصحيحة مشتملاً على ما يكونُ طريقًا لصاحبهِ إلى الآخرة ومُحَصّلاً لآدابهِ البَاطِنةِ والظاهرةِ جامعًا للترغيبِ والترهيبِ وسائرِ أنواعِ ءادابِ السالكينَ من أحاديثِ الزهد، ورياضاتِ النفوسِ، وتهذيبِ الأَخلاقِ،

الصحيحة) والحديث المراد هنا ما يسمى بعلم الحديث رواية، وحدُّه كما في «شرح البخاري» للكرماني: علم يعرف به أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وأحواله. قلت: وكذا تقريره وما أضيف إليه من وصف ككونه ليس بالطويل ولا بالقصير، وأيامه كاستشهاد عمه حمزة رضي الله عنه بأحد، وكذا تعرف به أقوال وأفعال من دونه من صحابيّ وتابعيّ قال الكرماني: وموضوعه ذات النبيّ من حيث إنه نبيّ. وغايته الفوز بسعادة الدارين، **(مشتملاً على ما)** أي الذي **(يكونُ طريقًا)** أي موصلًا **(لصاحبهِ)** أي المختصر **(إلى)** تحصيل نعيم **(الآخرة)** إن لاحظته العناية وذلك هو الهدى **(ومُحَصّلاً لآدابهِ)** أي الصاحب **(البَاطِنةِ)** من نحو الإخلاص والصدق وسائر الأخلاق الحميدة **(والظاهرةِ)** من نحو إقامة الشرائع وترك المحرّمات والإتيان بالمندوبات **(جامعًا للترغيبِ)** في الأعمال الصالحة بذكر ما جاء في فضلها وثوابها من كتاب أو سنة ويعبر عنها بالتبشير **(والترهيبِ)** من الأعمال المحرمة والأخلاق الرديئة بذكر ما جاء فيها من وعيد أو ذم أو نحوه ويعبر عنه بالنذارة **(وسائرِ أنواعِ ءادابِ السالكينَ)** من قطع العلائق وترك العوائق والإقبال على الخالَق **(من أحاديثِ الزهد)** أي الواردة بطلبه وبيان فضله **(ورياضاتِ النفوسِ)** أي ما ترتاض وتنخلع بمزاولته عن طبعها الذميم، ووصفها القبيح من المجاهدات وقطع المألوفات والمعتادات من الحظوظ والشهوات فإن النفس قبل رياضتها بمثابة الدابة الحرون لا تزداد بالعلف إلا إباء وامتناعًا عن مراد سيدها، وبعد تأديبها وتهذيبها لا تزداد بذلك إلا انقيادًا للمراد ووفاقًا له على سلوك طريق السداد **(وتهذيبِ الأخلاقِ)** أي تنقيتها واختيار جيدها من رديئها. والأخلاق جمع خلق بضم الخاء المعجمة واللام وبإسكانها أيضًا اسم للمعاني المدركة بالبصيرة. وعرّف

وَطَهاراتِ القُلوبِ وعِلاَجِها، وصيانةِ الجَوَارِحِ وإزالَةِ اعوجَاجِهَا، وغيرِ ذلكَ من مقاصِدِ الصَّالحينَ والعارفينَ.

وألتزمُ فيه أن لا أذكرَ إلا حديثًا صحيحًا من الواضِحَاتِ، مضافًا إلى الكتبِ الصحيحة المشهوراتِ، وأصدّرُ الأبوابَ من القرءان العزيزِ بآياتٍ كريماتٍ، وأُوَشِّحَ ما يحتاجُ إلى ضبطٍ أو شرحِ معنًى خَفيّ

بأنه ملكة تصدر عنها الأفعال بسهولة فإن كانت حسنة فخلق حسن وإلا فسيء (**وَطَهاراتِ القُلوبِ**) من أدناسها كالعجب والكبر ونحوهما من الأخلاق المذمومة (**وعِلاَجِها**) من أمراضها من نحو الغفلة وغلبة الاهتمام بشأن الدنيا (**وصيانةِ الجَوَارِحِ**) أي صونها عما لا يجوز لها مزاولته ومحاولته من الأعمال (**وإزالَةِ اعوجَاجِهَا**) وذلك لأن القلب إذا صلح صلح سائر الجسد وصلاح الظاهر عنوان صلاح الباطن فمن تحلى ظاهره بحلى الشريعة وتطهر باطنه بمياه الطريقة فقد فاز بالحقيقة (**وغيرِ ذلكَ من مقاصِدِ الصَّالحين العارفينَ**) كالإقبال على الخالق وقطع العلائق وترك العوائق والاشتغال به في كل حال وطلب مرضاته في سائر الأحوال، (**وألتزمُ فيه**) أي في هذا المختصر (**أن لا أذكرَ إلا حديثًا صحيحًا**) أي مقبولًا فشمل الحسن ولو لغيره كما تقدم (**من**) الأحاديث (**الواضِحَاتِ**) المعنى أي في الجملة ووضوحها (**مضافًا إلى الكتبِ الصحيحة المشهوراتِ**) وهي الصحيحان وأكثر ما هنا منهما، والسنن لأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وكذا «مستدرك الحاكم» (**وأصدّرُ الأبوابَ**) أي أجعل صدرها وبدءها (**من القرءان العزيزِ**) هو كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ بقصد الإعجاز بقدر أقصر سورة منه المتعبد بتلاوته، ومن عزّته العجز عن الإتيان بقدر أقصر سورة منه (**بآياتٍ كريماتٍ**) أي يجيء بها مناسبة للباب لتكون كالدليل وتعود بركتها على باقي مسائل الباب، وكريمات أي نفيسات ومنه كرائم الأموال (**وأُوَشِّحَ ما يحتاجُ**) من الكلمات (**إلى ضبطٍ**) لحروفه نحو «بالفوقية» أو «بالتحتية» وبيان ما قد يشتبه من الحركات (**أو شرحِ معنى**) للفظ (**خَفيّ**)

بنفائِسَ من التنبيهاتِ، وإذا قلتُ في ءاخرِ حديثٍ: متفقٌ عليه فمعناه رواه البخاريُّ ومسلم.

وأرجو إن تمَّ هذا الكتابُ أن يكون سائقًا للمعتني به إلى الخيرات، حاجزًا له عن أنواع القبائحِ والمُهلكاتِ. وأنا سائلٌ أخًا انتفعَ بشيءٍ منهُ أن يَدعوَ لي ولوالديَّ ومشايخي وسائرِ أحبابِنَا والمسلمينَ أجمعين، وعلى الله الكريم اعتمادي وإليه تفويضي واستنادي،

لغموض دلالة اللفظ عليه أو بأن يكون فيه غموض بحيث يعسُر فهم معناه من مبناه إلا للعارف أو نحو ذلك **(بنفائس)** جمع نفيسة وهو ما يرغب فيه من علم أو مال أو نحو ذلك وقوله **(من التنبيهات)** جمع تنبيه وهو لغة الإيقاظ، واصطلاحًا إعلام بما يؤخذ مما قبله إجمالًا **(وإذا قلت في ءاخر حديث)** أي عقبه **(متفق عليه فمعناه رواه البخاري ومسلم)** لا اتفاق الأئمة **(وأرجو)** من الرجاء ضد اليأس **(إن)** عبر بها مع أن المناسب للرجاء «إذا» إشارة إلى أنه مع رجائه ملاحظ لمقام الخوف المقتضي للتردد في التمام اللازم للمرجو **(تم هذا الكتاب)** الحاضر ذهنًا **(أن يكون سائقًا)** اسم فاعل من السوق **(للمعتني)** أي لصاحب العناية **(به إلى الخيرات)** وهي فعل العبادات والتقرب إليه سبحانه بأنواع الطاعة **(حاجزًا له)** أي مانعًا للمعتني به **(عن أنواع القبائح)** والرذائل كالسرقة وإخلال المروءة **(والمهلكات)** أي الموقعة لصاحبها في الهلاك والعذاب كالعجب والكبر والرياء ونحو ذلك **(وأنا سائل أخًا انتفع بشيء منه أن يدعو لي ولوالديّ ومشايخي)** جمع واحده شيخ، والمراد بالشيوخ هنا من أخذ عنهم المصنف وإن لم يبلغوا سن الشيخوخة **(وسائر أحبابنا)** أي باقيهم أي من أحبنا ومن أحببناه في الله تعالى **(و)** سائر **(المسلمين)** تعميم وقوله: **(أجمعين)** تأكيد للإحاطة والشمول **(وعلى الله الكريم)** أي لا على غيره كما يؤذن به تقديم ما حقه التأخير **(اعتمادي)** هذا. فمعنى عليه اعتمادي لزمت تفويض أمري إلى الله تعالى **(وإليه)** لا إلى غيره **(تفويضي واستنادي)** في «النهاية» يقال: فوض إليه الأمر. إذا رده إليه

وحسبيَ الله ونِعْمَ الوكيلُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العزيزِ الحكيمِ.

وجعله الحاكم فيه اهـ (**وحسبي الله**) أي محسبي كافي وقوله: (**ونعم الوكيل ولا حول**) بفتح اللام (**ولا قوة**) والمعنى كما جاء في حديث ابن مسعود مرفوعًا لا حول عن معصية الله ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله أخرجه البزار (**إلا بالله العزيز الحكيم**)، والعزيز الذي لا يغالب في مراده، والحكيم من يضع الأشياء في مواضعها على ما سبق في علمه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ - بابُ الإخلاص وإحضارِ النية في جميعِ الأعمالِ والأقوالِ والأحوالِ البارزةِ والخفيةِ

قال اللَّهُ تعالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أي أشرع في مقصود الكتاب مستعينًا باسم الله الواجب الوجود المنعم الوهاب.

باب الإخلاص

الباب لغة الفرجة التي يتوصل بها من خارج إلى داخل وبالعكس، وعرفًا طائفة مخصوصة من الكتاب مشتملة على فصول ومسائل غالبًا، و(**الإخلاص**) بكسر الهمزة مصدر أخلص. وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري: الإخلاص إفراد الحقّ سبحانه وتعالى في الطاعات بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقربّ إلى الله تعالى دون شيء ءاخر من تصنع لمخلوق واكتساب محمدة عند الناس (**وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة**) أي الظاهرة (**و**) الأعمال والأقوال والأحوال (**الخفية**) والنية واجبة أول كل فعل شرعي واجب لتوقف صحته عليها، ودوام استحضارها إلى ءاخره سنة محبوبة.

(**قال الله تعالى**) أي عما لا يليق بشأنه سبحانه (﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾) أي

إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [سورة البَيّنة]، **وَقالَ تعالَى**: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الحج]، **وَقَالَ تعالَى**: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة ءال عمران].

اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل (﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾) أي موحدين لا يعبدون سواه. (﴿حُنَفَآءَ﴾) مائلين عن جميع الأديان إلى دين الإسلام، (﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾) أي المكتوبة في أوقاتها (﴿وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾) عند وجوبها (﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾) أي الملة المستقيمة أو دين الجماعة القيمة. وقال الحافظ السيوطي في «الإكليل»: قوله تعالى «وما أمروا» إلخ استدل به على وجوب النية في العبادات لأن الإخلاص لا يكون بدونها اهـ.

وقال تعالى ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ﴾ أي لن تبلغوا حقيقة البرّ الذي هو كمال الخير، وقوله: ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ أي من المال والآية تعمّ الإنفاق الواجب والمستحب. وقوله: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ﴾ محبوب أو غيره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾﴾ فيجازيكم بحسبه.

وقال تعالى (﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ ﴿٣٧﴾﴾) قال القرطبي: قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يلطخون البيت بدماء البُدن فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك فنزلت هذه الآية.

(**وقال تعالى** ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾﴾) فهو العالم بخفيات الصدور وما اشتملت عليه قال تعالى ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الملك] فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا يغيب عنه شيء سبحانه لا إلٰه إلا هو عالم الغيب والشهادة. وفي الآيات تنبيه للموفق على الإخلاص وتحذير له من الرياء.

١ - وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ بْنِ نُفَيْلِ ابْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ رِياحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطِ بْنِ رَزَاحِ بْنِ عَدِيّ بْنِ كَعبِ بْنِ لُؤَيّ بْنِ غَالِبٍ الْقُرَشِيّ الْعَدَوِيّ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلّ امْرِئ مَا نَوَى،

---

١ - **(وعن أمير المؤمنين)** أول من لقب به من الخلفاء **(أبي حفص)** بالحاء المهملة وهو الأسد، كناه به ﷺ وكني به لكمال شجاعته ومزيد صلابته **(عمر بن الخطاب بن نفيل)** بضم النون وفتح الفاء وسكون التحتية **(ابن عبد العزى)** بضم العين المهملة وتشديد الزاي بعدها ألف مقصورة **(ابن رياح)** بكسر الراء بعدها تحتية وبعد الألف حاء مهملة **(ابن عبد الله بن قرط)** بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة **(ابن رزاح)** بفتح الراء قيل وقد تكسر، وبعدها زاي وبعد الألف حاء مهملة **(ابن عدي)** بفتح المهملة وكسر الثانية وتشديد التحتية **(ابن كعب)** بسكون المهملة بعدها موحدة **(ابن لؤي)** بضم اللام وفتح الهمزة تصغير اللأى وهو الثور. وفي كعب يجتمع نسبه مع نسب رسول الله ﷺ **(ابن غالب القرشي العدوي رضي الله عنه)** أشار المصنف إلى طريق النسبة إلى القبائل وذلك أنه يبدأ بالأعم قبل الأخص فيقال القرشيّ الهاشميّ **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول)** ثم الحديث المذكور لم يرو من طريق صحيح عنه ﷺ إلا من حديث عمر رضي الله عنه وإن رواه نحو عشرين صحابيًّا **(إنما)** هي لتقوية الحكم المذكور بعدها إتفاقًا **(الأعمال)** هي حركات البدن فتدخل فيها الأقوال ويتجوّز بها عن حركات النفس **(بالنيات)** الباء فيه قيل للسببية والتقدير وجود الأعمال شرعًا مستقرّ أو ثابت بسببها، ويصح كونها للملابسة وكونها للمصاحبة. قال بعض المحققين: فعلى الأول هي جزء من العبادة وهو الأصح **(وإنما لكل امرئ ما نوى)** الجملة السابقة لبيان أن الأعمال لا يعتد بها شرعًا إلا بالنية الموجودة لها، وهذه الجملة لبيان أن جزاء العامل على عمله

فَمَن كانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَن كانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا

بحسب نيته من خير أو شر. و«ما» في ما نوى إما موصولة أو موصوفة أو مصدرية أي ما يحصل لكل امرئ أي إنسان إلا الذي نواه أو شيء نواه أو منويه.

(فمن كانت هجرته) هو تفصيل لبعض الإجمال فيما قبله، والتقدير إذا تقرر أن لكل امرئ منويه من طاعة وغيرها فلا بد من مثال يجمع الأعمال كلها أمرها ونهيها وذلك الهجرة إذ هي متضمنة لذلك؛ أما الكف عن المنهي فظاهر، وأما الأمر فلأنه لا يتم بل لا يمكن الإتيان به إلا بهجرة دواعي النفس والهوى. ولتضمن الهجرة هذا الأمر العام ءاثر ﷺ ذكرها مفردًا لها بالفاء الداخلة على الجزاء إن جعلت من شرطية أو الخبر إن جعلت موصولة لمشابهة الموصول للشرط في العموم أو تضمنه له. والهجرة لغة الترك، وشرعًا مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام خوف الفتنة، وحقيقتها مفارقة ما يكرهه الله إلى غيره للحديث المذكور **(إلى الله ورسوله)** أي قصدًا ونية، فهو كناية عن الإخلاص **(فهجرته إلى الله ورسوله)** ثوابًا وخيرًا **(ومن كانت هجرته لدنيا)** اللام للتعليل أو بمعنى إلى لقوله: «فهجرته إلى ما هاجر إليه» واستظهر الأول وحكمة التغاير في التعبير هنا باللام وثمة بإلى إفادة أن من كانت هجرته لأجل تحصيل ذلك كان هو نهاية هجرته لا يحصل له غيره. والدنيا بضم أولها من الدنوّ أي القرب لسبقها على الآخرة أو لدنوها إلى الزوال. **(يصيبها)** حال مقدرة: أي قاصدًا إصابتها، **(أو)** كانت هجرته **(امرأة ينكحها)** أي يتزوجها كما في رواية من باب عطف الخاص على العام إشعارًا بأن النساء أعظم ضررًا، قال ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء» وفي «فتح الباري»: «السبب ما رواه الطبراني بإسناد صحيح على شرط الشيخين عن ابن مسعود قال: كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس، فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر،

فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِه. رواه إماما المُحَدِثينَ: أبو عبدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بنُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ بنِ المُغِيْرَةِ ابنِ بَرْدِزْبَه الجُعْفِيُّ البُخاريُّ، وأَبو الحُسَيْنِ مُسلِمُ بنُ الحَجَّاجِ بنِ مُسلِمٍ القُشَيْرِيُّ

فهاجر فتزوجها فكنا نسميه مهاجر أم قيس» اهـ ولم يعين اسمه سترًا عليه وإن كان ما فعله مباحًا لما يأتي. وعلى هذا فذكر الدنيا إما زيادة على السبب تحذيرًا من قصدها، أو لأن أم قيس انضم لجمالها المال فقصدهما مهاجرها، أو لأن السبب قصده نكاحها (**فهجرته إلى ما هاجر إليه**) أي فهجرته قبيحة إذ ليست من الله في شيء وذلك حظه ولا نصيب له في الآخرة، وإيراد الموصول لإفادة التحقير وذم فاعل ما ذكر كما يشعر به السياق مع كون مطلوبه مباحًا لأنه أظهر قصد الهجرة إلى الله وأبطن خلافه وهذا ذميم. (**متفق على صحته رواه إماما المحدثين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة**) بضم الميم وكسرها (**ابن بردزبه**) بموحدة مفتوحة فراء ساكنة فمهملة مكسورة بعدها زاي ساكنة فموحدة فهاء تأنيث وهو بالعربية الزراع. قال في «هدي الساري مقدمة فتح الباري»: «كان بردزبه المذكور مجوسيًا، وكان في بخارى والٍ يقال له اليمان الجعفي، فأسلم المغيرة بن بردزبه على يديه فمن ثم قيل للبخاري الجعفي، وأما إسمعيل فذكر له ابنه ترجمة في «تاريخه» وقال: إنه سمع من مالك وحماد بن زيد وابن المبارك، وذكره كذلك ابن حبان في الطبقة الرابعة من ثقاته» اهـ (**الجعفي**) أي مولاهم لما ذكر من أن جده المغيرة أسلم على يد اليمان بن أخنس الجعفي فنسب إليه ولاء (**البخاري**) ولد ثالث عشر شوال سنة أربع وتسعين ومائة للهجرة، توفي ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين. ومن مناقبه ما حكي عنه أنه عمي صبيًا فرأى في نومه إبراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فتفل في عينيه أو دعا له فأبصر، فمن ثم لم يقرأ كتابه في كرب إلا فرج. ثم الحديث المذكور في سبعة مواضع من «صحيح البخاري» (**وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري**) نسبة إلى

النَّيْسابُورِيّ رَضيَ الله عَنْهُما في كتابَيْهِما اللَّذَيْنِ هُما أَصَحُّ الكُتُبِ المُصَنَّفَةِ.

٢ - وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ عائِشَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَغْزُو جَيشٌ الْكَعبَةَ

قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة قبيلة كبيرة، وقشير أيضًا بطن من أسلم منهم سلمة بن الأكوع رضي الله عنه **(النيسابوري)** نسبة إلى نيسابور أحسن مدن خراسان وأوسعها للخيرات. ولد الإمام مسلم سنة أربع ومائتين، ومات في رجب سنة إحدى وستين ومائتين **(رضي الله عنهما في كتابيهما)** المشهورين بالصحيحين المعروفين بذلك كنار على علم **(اللذين)** بلامين وفتح الذال المعجمة مثنى الذي وكتب بلامين فرقًا بينه وبين الذين الجمع **(هما أصحّ الكتب)** بلا شك ولا مرية كما أطبق عليه من بعدهما وقوله **(المصنفة)** اقتفى به أثر الإمام الشافعي رضي الله عنه في قوله: «بعد كتاب الله» ليحترز بذلك عنه أيضًا.

٢ - **(وعن أم المؤمنين أم عبد الله)** كناها ﷺ بابن أختها أسماء «عبد الله بن الزبير» **(عائشة)** الصديقة بنت أبي بكر الصديق عبد الله ابن أبي قحافة عثمان **(رضي الله عنها)** وعن أبيها وجدها، تزوّجها ﷺ بمكة وهي بنت ست سنين بعد تزوّجه بسودة بشهر وقبل الهجرة بثلاث سنين ودخل بها في شوّال منصرفه من بدر سنة ثنتين من الهجرة وهي بنت تسع سنين، وتوفي ﷺ وهي بنت ثمان عشرة سنة، وعاشت بعده ﷺ أربعين سنة، وتوفيت سنة سبع أو ثمان وخمسين لثلاث عشرة بقيت من رمضان بعد الوتر، وصلى عليها أبو هريرة لإمارته على المدينة حينئذٍ من قبل مروان **(قالت: قال رسول الله ﷺ: يغزو جيش الكعبة)** قال السندي في حاشيته على سنن النسائي: «أي يقصدها بالهدم وقتل الأهل»، وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[1] «في رواية مسلم:

---

(١) فتح الباري (٤/ ٣٤٠).

فَإِذَا كانُوا بِبَيدَاءَ مِنَ الأَرضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَءاخِرِهِمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُخْسَفُ بأَوَّلِهِمْ وَءاخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَن لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ:

«عَبِثَ[1] رسولُ الله ﷺ في منامه، فقلنا له: صنعت شيئًا لم تكن تفعله؟ قال: العجبُ أن أناسًا من أمتي يَؤُمُّون[2] هذا البيت لرجل من قريش» وزاد في رواية أخرى: أن أم سلمة قالت ذلك أيام ابن الزبير، وفي أخرى: أن عبد الله بن صفوان أحد رواة الحديث عن أم سلمة قال: والله ما هو هذا الجيش» اهـ. قال القرطبي: وقد ظهر ما قال، فإن الجيش المرسل إلى ابن الزبير لم يخسف به اهـ. قال العاقولي: والأولى إجراء الحديث على إطلاقه وعدم تقييده بأحد، والكعبة مأخوذة من كعبته: ربعته، والكعبة: كل بيت مربع كذا في القاموس. **(فإذا كانوا ببيداء)** قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «في رواية مسلم: بالبيداء». قال النووي في «شرح صحيح مسلم»: «قال العلماء: البيداء: كل أرض ملساء لا شيء بها». وفي «الصحاح»: البيداء المفازة والجمع بيد **(من الأرض)** في محل الصفة لبيداء **(يخسف بأولهم وءاخرهم)** قال في «فتح الباري»: «وزاد مسلم في حديث حفصة: يخسف بأوسطهم ثم ينادي أولهم ءاخرهم ثم يخسف بهم فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم» اهـ **(قالت)** عائشة متعجبة من وقوع العذاب على من لا إرادة له في القتال الذي هو سبب العقوبة **(قلت: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وءاخرهم)** أي بجملتهم **(وفيهم أسواقهم)** والمعنى أهل أسواقهم أو السوقة منهم **(و)** فيهم **(من ليس منهم)** أي ممن خرج بقصد القتال وإنما وافقهم في صحبة الطريق **(قال)** ﷺ مجيبًا عما سألت عنه بأن العذاب

---

(١) قال النووي: «قيل معناه اضطرب بجسمه وقيل حرّك أطرافه كمن يأخذ شيئًا أو يدفعه» (شرح صحيح مسلم، ١٨/٦ - ٧).

(٢) قال السندي: «أي يقصدون» (حاشية السندي على سنن النسائي، ٢٢٨/٥).

«**يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَءاخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**». **متفقٌ عليه، هذا لفظُ البخاري.**

٣ - وعَنْ عائِشَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالتْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ

يقع عامًا لحضور ءاجالهم ثم يبعثون على نياتهم (**يخسف بأولهم وءاخرهم**) أي بجملة القوم تابعهم ومتبوعهم لشؤم الأشرار (**ثم يبعثون**) ويعاملون عند الحساب (**على نياتهم**) فيعامل كل بقصده من الخير أو الشر. قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «وفي الحديث أن الأعمال تعتبر بنية العامل، وفيه التحذير من مصاحبة أهل الظلم ومجالستهم وتكثير سوادهم إلا لمن اضطرّ إلى ذلك» اهـ (**متفق عليه**) ورواه أيضًا غيرهما و(**هذا**) المذكور (**لفظ البخاري**) ولمسلم ألفاظ وهي بنحو ما ذكر.

٣ - (وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال النبيّ ﷺ: لا هجرة) أي من مكة (**بعد الفتح**) أي فتحها، وجاء في حديث للبخاري مرفوعًا «لا هجرة بعد فتح مكة» وكان في رمضان سنة ثمان من الهجرة. وذلك أن الهجرة أي مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام كانت واجبة على من بمكة فيجب على من أسلم بها أن يهاجر منها إلى المدينة لكونها كانت دار كفر فلما فتحت صارت دار إسلام، أما الهجرة من المواضع التي لا يتأتى إقامة أمر الدين فيها فهي واجبة اتفاقًا، قال الخطابي في «معالم السنن»: «كانت الهجرة في أول الإسلام مندوبًا إليها، وحين اشتد أذى المشركين على المسلمين عند انتقال رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمروا بالانتقال إليه ليكونوا معه فيتعاونوا ويتظاهروا إن حزبهم أمر وليتعلموا منه أمر دينهم ويتفقهوا فيه، وكان عظم الخوف في ذلك الزمان من قريش وهم أهل مكة، فلمَّا فتحت مكة زال ذلك المعنى وارتفع وجوب الهجرة وعاد الأمر فيها إلى الندب والاستحباب» قال المصنف: يتضمن الحديث على هذا القول معجزة لرسول الله ﷺ، وهي أن مكة تبقى دار

وَلكِن جِهَادٌ ونِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَمَعْنَاهُ: لا هِجْرَةَ مِن مَكّةَ لأَنَّهَا صَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ[1].

٤ - وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيّ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ النّبِيّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالا مَا سِرْتُم مَسِيرًا ولا قَطَعْتُمْ

إسلام لا يتصوّر منها الهجرة **(ولكن جهاد ونية)** قال الطيبي: كلمة لكن تقتضي مخالفة ما بعدها لما قبلها أي المفارقة عن الأوطان المسماة بالهجرة المطلقة انقطعت لكن المفارقة بسبب الجهاد باقية مدى الدهر، وكذا المفارقة بسبب نية خالصة لله تعالى كطلب العلم والفرار بدينه ونحوه **(وإذا استنفرتم)** أي طلبكم الإمام للخروج إلى الجهاد، ويحتمل العموم أي إذا استنفرتم إلى الجهاد ونحوه **(فانفروا)** بكسر الفاء على الأفصح ويجوز ضمها وبالأول جاء القرءان أي اخرجوا **(متفق عليه)** ورواه أبو داود **(ومعناه لا هجرة من مكة)** أي بعد الفتح واجبة **(لأنها صارت دار إسلام)**.

٤ - **(وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري)** الخزرجي السلمي بفتح اللام لنسبته إلى سلمة بن سعد. وكان جابر من أصغر الصحابة سنًا وكان من ساداتهم وفضلائهم المتحفين بحبّ رسول الله ﷺ. توفي بالمدينة بعد أن كفّ بصره سنة ثلاث وسبعين وهو ابن أربع وتسعين سنة، وصلى عليه أبان بن عثمان وكان والي المدينة، وجابر ءاخر الصحابة موتًا بالمدينة **(رضي الله عنهما)** أشار إلى أنه ينبغي لكل من ذكر صحابيًّا أبوه صحابي أي وقد ذكره أن يقول رضي الله عنهما **(قال: كنا مع النبيّ ﷺ في غزاة)** هي غزوة تبوك. وفي «النهاية» غزا يغزو غزوًا فهو غاز، والغزوة المرّة من الغزو، والاسم الغزاة أي بفتح الغين **(فقال: إنّ بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرًا)** أي سيرًا أو في مكان سير **(ولا قطعتم**

---

(١) في نسخة: «الإسلام».

وَادِيًا إِلا كانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ»، وفي رِوَايَةٍ: «إِلا شَرِكُوكُمْ فِي الأَجرِ» رواه مسلمٌ.

ورَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ أَقْوَامًا خَلْفَنَا بِالْمَدِينَةِ مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلا وَادِيًا

واديًا) فيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة التوبة] إلى قوله ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [سورة التوبة] **(إلا كانوا معكم)** أي شركوكم في الأجر لصحة نيتهم في مباشرة كل ما باشره إخوانهم المجاهدون **(حبسهم)** أي منعهم **(المرض)** فلصحة النية أعطاهم الله مثل أجر المباشر[1]. **(وفي رواية إلا شركوكم)** قال النووي في «شرح صحيح مسلم»: شركه «بكسر الراء بمعنى شاركه» **(في الأجر)** بدل قوله: إلا كانوا معكم. **(رواه مسلم)**.

(ورواه البخاري عن أنس) عدل المصنف عن قوله متفق عليه مع أنهما روياه لكن باختلاف يسير في لفظه لاختلاف صحابي الحديث عندهما. وقال جمهور المحدّثين: لا يطلق اتفاقهما إلا على ما اتفقا على إخراج إسناده ومتنه معًا نقله الحافظ ابن حجر في «نكته» على كتاب ابن الصلاح **(قال رجعنا من غزوة تبوك)** وهي في طرف الشام من جهة القبلة بينها وبين المدينة النبوية نحو أربع عشرة مرحلة. وكانت غزوته ﷺ تبوك في سنة تسع من الهجرة وهي ءاخر غزواته **(مع النبيّ ﷺ)** أي صحبته **(فقال إن أقوامًا)** أي رجالًا ولأن القوم مختص بالرجال **(خلفنا)** بسكون اللام أي وراءنا، وفي نسخة بتشديدها من التخليف أي خلفنا خلفًا **(بالمدينة)** علم بالغلبة على دار هجرته ﷺ **(ما سلكنا شعبًا)** بكسر الشين المعجمة أي الطريقة في الجبل **(ولا واديًا)** هو الموضع الذي يسيل فيه

---

(١) أي أجرًا يشبه أجر الفاعل وليس معناه ينال مثل أجره كاملًا من جميع الوجوه.

إلا وَهُم مَعَنَا حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ».

٥ - وعَنْ أَبِي يَزِيدَ مَعْنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الأَخْنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَهُوَ وأَبُوهُ وجَدُّهُ صَحَابِيُّونَ قالَ: كانَ أَبِي يَزِيدُ أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يتَصَدَّقُ بِهَا فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ في المسْجِدِ فَجِئْتُ فأَخَذْتُهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ: واللَّهِ مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ، فَخَاصَمْتُه إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «لكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ ولَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ» رواه البخاريُّ.

٦ - وعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ سَعْدِ بْنِ أبي وقَّاصٍ

الماء (**إلا وهم معنا**) بفتح العين والجملة حالية (**حبسهم العذر**) استئناف بياني جوابًا عن السؤال المقدر من حصول مثل ثواب المجاهد لهم مع قعودهم، والعذر بضم المهملة وصف يعرض للمكلف يناسب التسهيل عليه.

٥ - (**وعن أبي يزيد معن**) بفتح الميم وسكون المهملة ءاخره نون (**ابن يزيد بن الأخنس**) بمعجمة فنون فمهملة (**رضي الله عنهم**) أتى بضمير الجمع وعلل الإتيان به كذلك بقوله (**هو وأبوه وجده صحابيون**) وما كان كذلك فينبغي أن يؤتى عند ذكرهم بالترضي عليهم بصيغة الجمع. والصحابي على الصحيح من اجتمع بالنبيّ ﷺ حال حياته مؤمنًا به ولو لحظة ومات على الإيمان (**قال كان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدق بها**) ظاهره صدقة تطوع (**فوضعها عند رجل في المسجد**) أي وأذن له أن يتصدق بها على المحتاج إليها (**فجئت**) الرجل (**فأخذتها**) أي باختيار منه (**فأتيته**) أي أبي (**بها**) أي مصاحبًا لها (**فقال: والله ما إياك أردت**) بهذه الدنانير المتصدق بها (**فخاصمته**) منتهيًا (**إلى رسول الله ﷺ فقال**) ﷺ (**لك ما نويت**) أي ثوابه (**يا يزيد**) لأنك نويت التصدق بها على محتاج، وابنك محتاج وإن لم تنوه (**ولك ما أخذت يا معن**) لكونك قبضتها قبضًا صحيحًا (**رواه البخاري**).

٦ - (**وعن أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص**) بتشديد القاف ءاخره

مَالِكِ بْنِ أُهَيْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ ابْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ الْقُرَشِيّ الزُّهْرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَحَدِ الْعَشَرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُم بِالْجَنّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قالَ: «جَاءَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُني عامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِن وجَعٍ اشْتَدَّ بي فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ إِنّي

مهملة (**مالك بن أهيب**) بضم الهمزة وفتح الهاء وسكون التحتية (**ابن عبد مناف**) بفتح الميم (**ابن زهرة**) بضم الزاي (**ابن كلاب**) بكسر الكاف يحتمل أن يكون منقولا عن جمع كلب، وأن يكون منقولا عن مصدر كالب. واسم كلاب حكيم وقيل عروة (**بن مرّة**) بضم الميم وتشديد الراء (**ابن كعب**) وهو أول من جمع يوم العروبة كانت تجتمع إليه قريش في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبيّ ﷺ ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به (**ابن لؤيّ**) بضم اللام وفتح الهمزة (**ابن غالب القرشيّ الزهريّ رضي الله عنه**) أسلم سعد قديمًا وكان من المهاجرين الأولين شهد بدرًا وما بعدها وهو (**أحد العشرة المشهود لهم بالجنة رضي الله عنهم**) وأحد الستة أصحاب الشورى، كان يحرس النبيّ ﷺ في مغازيه، وجمع له النبي ﷺ أبويه فقال: «فداك أبي وأمي أيها الغلام الحزور، اللهم سدّد رميته وأجب دعوته». ودعا له النبيّ ﷺ بالشفاء من جرح كان به فشفي وهو أول من أراق دمًا في الإسلام، وأول من رمى بسهم في سبيل الله. روي له عن النبي ﷺ مائتان وسبعون حديثًا. توفي في قصره بالعقيق على سبعة أميال من المدينة وحمل على أعناق الرجال إلى المدينة وصلى عليه والي المدينة مروان ابن الحكم وأزواج النبيّ ﷺ. وكانت وفاته سنة ثمان أو خمس وخمسين (**قال: جاءني رسول الله ﷺ يعودني**) فيه عيادة الكبير أتباعه، ففيه التواضع ولين الجانب (**عام حجة الوداع**) سميت بذلك لأنه ﷺ ودعهم فيها وهو بكسر الواو ويجوز فتحها وتسمى بحجة البلاغ لأنه ﷺ قال لهم فيها: «هل بلغت» وبحجة الإسلام لأنها الحجة التي حجّ فيها المسلمون وليس فيها مشرك (**من وجع اشتد بي فقلت يا رسول الله إني**

قَدْ بَلَغَ بي مِنَ الوَجَع مَا تَرى وأَنَا ذُو مَالٍ ولا يَرِثُنِي إلا ابْنةٌ لِي أَفأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَي مَالِي؟ قالَ: «لا»، قُلْتُ: فالشَّطْرُ؟ فَقَالَ: «لا»، قُلْتُ: فالثُّلُثُ؟ قالَ: «الثُّلُثُ والثُّلُثُ كَثِيرٌ أَوْ كَبِيرٌ، إِنّكَ أَن تَذَرَ ورَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَن تَذَرَهُمْ عالَةً يَتَكَفَّفُونَ النّاسَ،

قد بلغ بي من الوجع ما ترى) فيه جواز ذكر المريض ما يجده لغرض صحيح من نحو مداواة أو دعاء صالح أو وصية أو استفتاء عن حالة **(وأنا ذو مال)** فيه دليل إباحة جمع المال لأن هذه الصيغة لا تستعمل في العرف إلا لمال كثير **(ولا يرثني)** من الولد **(إلا ابنة لي)** اسمها عائشة ولم يكن إذ ذاك سواها، ثم جاء له بعد ذلك أولاد. **(أفأتصدق بثلثي مالي)** يحتمل أنه أراد بالصدقة الوصية، ويحتمل أنه أراد الصدقة المنجزة وحكمهما سواء عند الشافعية. وعند العلماء كافة لا ينفذ منهما ما زاد على ثلث التركة إلا برضى الوارث **(قال لا، قلت فالشطر)** أي فالنصف بالرفع على الابتداء أي أتصدق به أو على أنه فاعل لفعل مقدر أي أفيجوز الشطر؟ **(قال لا، قلت فالثلث قال)** ﷺ **(الثلث)** أي يكفيك الثلث **(والثلث كثير)** بمثلثة **(أو كبير)** أي بموحدة، قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «المحفوظ في أكثر رواياته بالمثلثة، ومعناه كثير بالنسبة إلى ما دونه» قال: «وهذا محتمل أن يكون مسوقًا لبيان جواز التصدق بالثلث، وأن الأولى أن ينقص عنه وهو ما يتبادر إلى الفهم، ومحتمل أن يكون لبيان أن التصدق بالثلث هو الأكمل: أي كثير أجره ويحتمل أن يكون معناه أو كثير غير قليل. قال الشافعي رحمه الله: وهذا أولى معانيه، يعني أن الكثرة أمر نسبي» اهـ **(إنك)** يجوز فتح الهمزة وهو أوضح لأنه علة لما تضمنه قوله: «والثلث كثير» من أنه لا ينبغي أن يوصي بالثلث بل ينقص عنه شيئًا قليلًا، ويجوز كسرها استئنافًا **(أن تذر ورثتك أغنياء)** بفتح همزة أن أي لأن تذر **(خير من أن تذرهم)** أي تتركهم **(عالة)** بتخفيف اللام فقراء **(يتكففون الناس)** أي يسألونهم ما في أكفهم، ففي الحديث حثّ على صلة الأرحام والإحسان إلى الأقارب

وإنّكَ لَن تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وجْهَ اللَّهِ إلا أُجِرْتَ بهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ»، قالَ: فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ أُخَلّفُ بعْدَ أَصْحَابي؟ قالَ: «إنّكَ لَن تُخَلّفَ

والشفقة على الورثة، وأنّ صلة القريب الأقرب أفضل من الأبعد (**وإنك لن تنفق نفقة**) معطوف على قوله: «إنك أن تذر» إلى ءاخره، وهما علة للنهي عن الوصية بأكثر من الثلث كأنه قال: لا تفعل لأنك إن متّ تركت ورثتك أغنياء وهو خير لك، وإن عشت تصدقت وأنفقت فالأجر حاصل لك في الحالين، (**تبتغي بها وجه الله**) أي ذاته وحده كما دل عليه السياق (**إلا أجرت**) بالبناء للمجهول: أي ءاجرك الله (**بها**) وفي نسخة «عليها» لأنه من العمل الصالح (**حتى ما تجعل في في امرأتك**) أي إلا أجرت بالنفقة التي تبتغي بها وجه الله حتى بالشيء الذي تجعله في فم امرأتك، ففي الحديث أن الأعمال بالنيات. وإنما يثاب على عمله بنيته، وأن الإنفاق على العيال يثاب عليه إذا قصد وجه الله تعالى به. وفيه أن المباح إذا قصد به وجه الله صار طاعة ويثاب عليه إذ وضع اللقمة في فم امرأته إنما يكون في العادة عند الملاعبة والملاطفة والتلذّذ بالمباح، فهذه الحالة أبعد الأشياء عن الطاعة وأمور الآخرة، ومع ذلك فقد أخبر الشارع بأن ذلك يؤجر عليه بالقصد الجميل. ويؤخذ منه أن الإنسان إذا فعل مباحًا من أكل أو شرب وقصد به وجه الله كالاستعانة بذلك على الطاعة وبالنوم على قيام الليل يثاب عليه. (**قال فقلت يا رسول الله أخلف**) بضم الهمزة وفتح اللام المشددة، وفي نسخة من البخاري «أخلف» بهمزة الاستفهام أي أخلف في مكة (**بعد أصحابي**) أي بعد انصرافهم معك. قال القاضي عياض: قاله إما إشفاقًا من موته بمكة لكونه هاجر منها وتركها لله فخشي أن يقدح ذلك في هجرته أو في ثوابه، أو خشي بقاءه بمكة بعد انصراف النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة وتخلفه عنهم بسبب المرض، وكانوا يكرهون الرجوع فيما تركوه لله. (**قال إنك لن تخلف**) أي بأن يطول عمرك وبقاؤك في الحياة بعد

فَتَعمَلَ عَمَلاً تَبْتَغِي بِه وَجْهَ اللَّهِ إلا ازْدَدْتَ بِه دَرَجَةً وَرِفْعَةً، وَلَعَلّكَ أَن تُخَلَّفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بكَ ءاخَرُونَ، اللّهُمَّ أَمْضِ لأَصْحَابي هِجْرَتَهُمْ ولا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، لكِنِ الْبَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ» يَرْثِي لَهُ رَسُولُ الله ﷺ أَن مَاتَ بِمَكّةَ. متفقٌ عليه.

٧ - وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ صَخْرٍ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ

جماعات من أصحابك (**فتعمل عملاً تبتغي**) تقصد (**به وجه الله**) وحده أي ذاته (**إلا ازددت به درجة**) في الجنة (**ورفعة**) بكسر الراء، ففي هذا فضيلة طول العمر للازدياد من العمل الصالح والحثّ على إرادة وجه الله تعالى بالأعمال (**ولعلك أن تخلف**) بأن يطول عمرك (**حتى ينتفع بك أقوام**) في دينهم ودنياهم (**ويضر بك ءاخرون**) هذا من جملة إخباره ﷺ بالمغيبات فإنه عاش حتى فتح العراق وغيره، وانتفع به قوم في دينهم ودنياهم، وولي العراق فاهتدى على يديه خلائق بإقامة الحق فيهم من كفار ونحوهم (**اللهمّ أمض**) بفتح الهمزة أي أتمم (**لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم لكن البائس**) بموحدة وبالمد أي الذي ءاثر البؤس أي شدة الفقر والقلة (**سعد بن خولة**) بفتح الخاء المعجمة وهو زوج سبيعة الأسلمية (**يرثي له**) أي يرق له ويترحم له (**رسول الله ﷺ أن**) بفتح الهمزة أي لأنه (**مات بمكة**) وهي الأرض التي هاجر منها. قال العلماء: انتهى كلام النبي ﷺ إلى قوله: «لكن البائس سعد بن خولة»، وما بعده مدرج من الراوي قيل من سعد وقيل أكثر ما جاء من كلام الزهري. واختلف في قصة سعد بن خولة: فقيل لم يهاجر من مكة حتى مات بها. وتوفي بمكة في حجة الوداع سنة عشر، وقيل توفي بمكة سنة سبع في الهدنة، خرج مختارًا من المدينة إلى مكة. (**متفق عليه**) ورواه مالك في «الموطإ» وأبو داود والترمذي والنسائي.

٧ - (**وعن أبي هريرة عبد الرحمٰن بن صخر رضي الله عنه**) وسبب تكنيته بذلك ما رواه ابن عبد البر عنه أنه قال: «كنت أحمل يومًا هرة

قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ ولا إِلَى صُوَرِكُمْ، ولكِن يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ». رواه مسلمٌ.

٨ - وَعَنْ أَبي مُوسَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ الأَشْعَرِيّ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ

في كمي فرءاني النبي ﷺ فقال: «ما هذه؟ فقلت: هرة، فقال: يا أبا هريرة». أسلم عام خيبر وشهدها مع رسول الله ﷺ ثم لازمه الملازمة التامة رغبة في علم راضيًا بشبع بطنه، وكان يدور معه حيثما دار، ومن ثم كان أحفظ الصحابة، وقد شهد له ﷺ أنه حريص على العلم والحديث. يروى عنه كما قال البخاري أكثر من ثمانمائة ما بين صحابي وتابعي، وكان ملازمًا لسكنى المدينة، وبها توفي في سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين عن ثمان وسبعين سنة ودفن بالبقيع. (**قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم**) أي لا يثيبكم عليها ولا يقربكم منه ذلك فمعنى نظر الله هنا مجازاته، وهذا بعينه يأتي في قوله تعالى ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة ءال عمران] وإلا فنظره تعالى الذي هو رؤيته للموجودات واطلاعه عليها لا يخص موجودًا دون موجود بل يعم جميع الأشياء إذ لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. قال: (**ولكن ينظر إلى قلوبكم**) وفي الحديث الاعتناء بحال القلب وصفاته بتحقيق علومه وتصحيح مقاصده وعزومه وتطهيره عن كل وصف مذموم وتحليته بكل نعت محمود، وفيه أن الاعتناء بإصلاح القلب وبصفاته مقدم على عمل الجوارح لأن عمل القلب هو المصحح للأعمال الشرعية، إذًا لا يصح عمل شرعي إلا من مؤمن عالم بمن كلفه مخلص له فيما يعمله، ثم لا يكمل إلا بمراقبته تعالى فيه المعبر عنها بالإحسان.

٨ - (**وعن أبي موسى عبد الله**) بالجر عطف بيان أو بدل من أبي موسى (**بن قيس**) بفتح القاف وسكون التحتية ءاخره مهملة (**الأشعري**) نسبة إلى الأشعر قبيلة مشهورة باليمن وإنما قيل له الأشعر لأن أمه ولدته والشعر على بدنه، قدم أبو موسى (**رضي الله عنه**) مكة على النبي ﷺ قبل

قالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً أَيُّ ذلِكَ فِي سَبيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن قاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». متفقٌ عليه.

٩ - وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ نُفَيْعِ بْنِ الحَارِثِ الثَّقَفِيّ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِذَا الْتَقَى

الهجرة فأسلم ثم هاجر، وكان لأبي موسى ثلاث هجر: إلى مكة، ثم إلى الحبشة ثم إلى المدينة. ولاه ﷺ على زبيد وعدن وساحل اليمن، وكان ﷺ يكرمه ويبجله، توفي بمكة وقيل بالكوفة سنة اثنتين أو أربع وأربعين عن ستين سنة (**قال سئل**) بالبناء للمجهول، والسائل هو لاحق بن ضمرة الباهلي (**رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة**) هي الإقدام على العدو عن روية (**و**) سئل عن الرجل (**يقاتل حمية**) بتشديد التحتية أي أنفة وغيرة ومحاماة عن عشيرته. (**و**) سئل عن الرجل (**يقاتل رياء**) أي ليرى الناس قتاله ومثله القتال سمعة أي ليسمع الناس (**أيّ ذلك في سبيل الله**) أي كائن في طاعته (**فقال رسول الله ﷺ: من قاتل لتكون كلمة الله**) أي دين الإسلام فإن الإسلام ظهر بكلام الله الذي أظهره على لسان رسوله ﷺ، وقيل: المراد من كلمة الله دعوته إلى الإسلام (**هي العليا فهو في سبيل الله**) يدخل في الحديث من قاتل لطلب ثواب الآخرة أو رضا الله لأنه من إعلاء كلمة الله، في الحديث بيان أن الأعمال إنما تحسب بالنيات الصالحة، وأن الفضل الوارد في المجاهدين يختص بمن قاتل لإعلاء كلمة الله (**متفق عليه**) ورواه أبو داود والنسائي والترمذي.

٩ - (**وعن أبي بكرة**) بسكون الكاف (**نفيع**) بضم النون وفتح الفاء وسكون التحتية ءاخره مهملة عطف بيان أو بدل من أبي بكرة (**بن الحارث**) بن كلدة بفتحتين (**الثقفي**) نسبة لثقيف بوزن رغيف. كان أبو بكرة (**رضي الله عنه**) من ذوي المزايا من أصحاب رسول الله ﷺ، نزل البصرة وشهد وقعة الجمل ولم يقاتل فيها واجتنب حروب الصحابة، توفي بالبصرة سنة إحدى أو اثنتين وخمسين (**أن النبي ﷺ قال: إذا التقى**

الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ هذَا الْقَاتِلُ فمَا بالُ الْمَقْتُولِ؟ قالَ: «إِنَّهُ كانَ حَرِيصًا على قَتْلِ صَاحِبِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١٠ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ في جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ وَبيتِه بِضْعًا وعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذٰلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لا يُرِيدُ

المسلمان بسيفيهما) قاصدًا كل منهما إتلاف صاحبه **(فالقاتل)** بسببه مباشرته قتل صاحبه **(والمقتول)** لحرصه على ذلك كائنان **(في النار)** أي إن لم يعف الله عنهما **(قلت: يا رسول الله هذا القاتل)**: أي حكمة دخوله النار إن لم يعف الله عنه ظاهرة لأنه ظلم أخاه **(فما بال المقتول)** المظلوم **(قال إنه)** أي المقتول **(كان)** عاصيًا لأنه كان **(حريصًا على قتل صاحبه)** ففي الحديث العقاب على من عزم على المعصية بقلبه ووطن نفسه عليها **(متفق عليه)** ورواه أحمد وأبو داود والنسائي.

١٠ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: صلاة الرجل جماعة) أي في المسجد **(تزيد على صلاته)** أي الرجل **(في سوقه)** سميت بذلك لأن الناس يسوقون إليها بضائعهم أو لأنهم يقفون فيها على ساق **(و)** تزيد على صلاته في **(بيته)** منفردًا **(بضعًا)** بكسر الباء وفتحها وهو من الثلاثة إلى العشرة. والمراد منه خمس أو ست أو سبع كما جاء مبينًا في روايات في «الصحيح» **(وعشرين درجة)** أي يزيد ثواب الصلاة في الجماعة في المسجد على الصلاة في البيت والسوق هذا القدر، فيحصل له بالصلاة في المسجد ثواب أزيد من ثواب ما لو صلى تلك الصلاة بعينها منفردًا فيها بضعًا وعشرين درجة **(وذلك أن أحدهم)** أي الواحد من الرجال **(إذا توضأ فأحسن الوضوء)** بضم الواو أي أسبغه وأتى بسننه وءادابه **(ثم أتى المسجد)** حال كونه **(لا يريد)** من إتيانه إياه

إِلا الصَّلَاةَ لا يَنهَزُهُ إلا الصلاةُ لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إلا رُفِعَ له بِهَا دَرَجَةٌ وحُطَّ عَنْهُ بهَا خَطِيئَةٌ حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كانَتِ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ، والْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُم مَا دَامَ فِي مَجْلِسِه الّذِي صَلَّى فِيهِ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ»

(**إلا الصلاة**) أي ثواب الصلاة في جماعة وفي الحديث إشارة إلى اعتبار الإخلاص (**لا ينهزه إلا الصلاة**) هو بمعنى ما قبله (**لم يخط**) بفتح التحية وضم الطاء المهملة (**خطوة**) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: «ضبطناه بضم أوله ويجوز الفتح. قال الجوهري: الخطوة بالضم ما بين القدمين، وبالفتح المرة الواحدة» اهـ (**إلا رفع له**) بالبناء للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود إلى الرجل (**بها**) أي بسببها و(**درجة**) والدرجة بفتح الدال المرتبة والمنزلة (**وحط**) أي وضع (**عنه**) أي عن الرجل المذكور بأن يمحى من صحيفته (**بها**) أي بسببها (**خطيئة**) أي ذنب (**حتى**) غاية لما قبله أي إلى أن (**يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد**) منتظرًا للصلاة (**كان**) الرجل (**في الصلاة**) أي في ثوابها وهذا مجاز فإن الصلاة أو ثوابها ليس ظرفًا (**ما كانت الصلاة هي تحبسه والملائكة**) قيل هم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل (**يصلون على أحدكم**) أي يدعون له. وقابل صلاة الجماعة بصلاة الملائكة ليتناسب العمل والثواب. وهؤلاء الملائكة يجوز أن يكونوا الحفظة ويجوز أن يكونوا غيرهم (**ما دام في مجلسه**) أي مدة دوام كونه في مجلسه (**الذي صلى فيه**) أي صلاة تامة (**يقولون**) بيان ليصلون (**اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه**) فعلم أن المراد بصلاتهم الدعاء لا الاستغفار فقط. واستدل بالحديث على أفضلية الصلاة على غيرها من الأعمال كما ذكر من دعاء الملائكة للمصلي، (**ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه**) والمراد بالحدث في الحديث

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، هذَا لفْظُ مُسْلِمٍ.

وقوله ﷺ: «يَنْهَزُهُ» هو بفتح الياء والهاء وبالزاي: أي يُخرجُهُ وَيُنهِضُهُ.

١١ - وَعَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَن رَبِّهِ تباركَ وتعالى قالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ والسيِّئَاتِ،

الذي ذكره البخاري الريح ويؤخذ منه أن الحدث يقطع ذلك ولو استمر جالسًا في مصلاه. وتأول أكثر العلماء الأذى بالغيبة والضرب فإن ذلك أعظم من أذى الحدث (**متفق عليه، هذا لفظ مسلم**) ورواه مالك وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي مقطعًا (**قوله ﷺ**) كما في نسخة (**ينهزه هو بفتح الياء والهاء**) وحكي ضم الياء وكسر الهاء (**وبالزاي أي يخرجه وينهضه**) وفي «النهاية»: النهز الدفع، يقال نهزت الرجل أنهزه أي إذا دفعته، ونهز رأسه إذا حركه.

١١ - (**وعن أبي العباس عبد الله بن عباس**) عم رسول الله ﷺ (**ابن عبد المطلب رضي الله عنهما**) ولد قبل الهجرة بثلاث سنين بالشعب وبنو هاشم محصورون فيه قبل خروجهم منه بيسير وتوفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل ابن خمس عشرة، ويؤيد الأول ما صح عنه من قوله في حجة الوداع «وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام» وصح أنه ﷺ دعا له بقوله: «اللهم فقهه في الدين وعلمه الحكمة والتأويل، اللهم علمه تأويل القرءان» مات بالطائف ودفن بها سنة ثمان وخمسين في خلافة ابن الزبير، وصلى عليه محمد ابن الحنفية وقال مات رباني هذه الأمة (**عن رسول الله ﷺ فيما يروي**) أي روي عن أبي العباس أنه روى عن النبي ﷺ ما يأتي حال كونه مندرجًا في الأحاديث القدسية وهي التي يرويها (**عن ربه تبارك**) قال البيضاوي أي تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير ولا يستعمل إلا لله تعالى اهـ (**وتعالى**) أي تنزّه عما لا يليق به مما يقوله الجاحدون والمبطلون إطنابًا (**قال**) أي النبي ﷺ ويصحّ عوده إلى الله وعليه فيكون من الإظهار في محل الإضمار قوله (**إن الله كتب الحسنات والسيئات**) أي

ثُمَّ بَيَّنَ ذٰلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبها اللّٰهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، وإِنْ هَمَّ بهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وإِنْ هَمَّ بسيّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وإِنْ هَمَّ بهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا

أمر الحفظة بكتابتهما (**ثم بين**) أي الله تعالى (**بيّن ذلك**) للكتبة من الملائكة (**فمن هم بحسنة**) أي أرادها وترجح فعلها عنده، فعلم منه بالأولى العزم وهو الجزم بفعلها والتصميم عليه (**فلم يعملها كتبها الله عنده**) هي عندية شرف ومكانة لتنزهه تعالى عن عندية المكان (**حسنة**) لأن الهم بالحسنة سبب إلى عملها وسبب الخير خير، أما الخطرة التي تخطر ثم تنفسخ من غير عزم ولا تصميم فليست كذلك. واستفيد من ذكر الحسنة هنا والمضاعفة فيما يأتي اختصاص المضاعفة بمن عمل دون من نوى، وقوله (**كاملة**) وصف حسنة وذكر لئلا يظن أنها لكونها مجرد همّ ينقص ثوابها (**وإن همّ بها**) أي بالحسنة (**فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات**) لأنه أخرجها من الهمّ إلى ديوان العمل فكتب له بالهمّ حسنة ثم ضوعفت فصارت عشرًا، وهذا التضعيف لازم لكل حسنة تعمل قال الله تعالى ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴿١٦٠﴾﴾ [سورة الأنعام] ثم قد تضاعف لمن شاء الله قال الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴿٢٦١﴾﴾ [سورة البقرة] (**إلى سبعمائة ضعف**) على حسب ما اقترن بها من إخلاص نيته وإيقاعها في محلها الذي هي به أولى وأحرى. وفي رواية في «الصحيحين» أيضًا «إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به» وفيها دليل على أن الصوم لا يعلم قدر مضاعفة ثوابه إلا الله تعالى لأنه أفضل أنواع الصبر (**إلى أضعاف كثيرة وإن همّ بسيئة فلم يعملها**) بأن ترك فعلها أو التلفظ بها لوجهه تعالى (**كتبها الله عنده حسنة**) لأن رجوعه عن العزم عليها خير أيّ خير فجوزي في مقابلته بحسنة، وأكدت بقوله (**كاملة**) إشارة إلى نظير ما مر في كاملة في الهم بالحسنة. وعند مسلم «يقول الله إنما تركها من جرّاي» أي من أجلي (**وإن همّ بها فعملها كتبها**

اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً». مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٢ - وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهمَا قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّن كانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى ءاوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ

الله سيئة واحدة) زاد أحمد «ولم تضاعف عليه» ويدل له قوله تعالى ﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴿١٦٠﴾﴾ [سورة الأنعام].

تنبيه لم يقع من يوسف عليه السلام همّ بمعصية على ما قاله ابن أبي حاتم ومن وافقه[1] **(متفق عليه)**.

١٢ - (وعن أبي عبد الرحمٰن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما) ولد قبل البعثة بسنة، وأسلم مع أبيه بمكة وهو صغير وقيل قبله، وهاجر معه وقيل قبله، ولم يشهد بدرًا، وكان عمره عام أحد أربع عشرة سنة فاستصغره ﷺ، ثم بلغ في عام الخندق خمس عشرة سنة فأجازه ﷺ، ثم لم يتخلف بعدُ عن سرية من سرايا رسول الله ﷺ، وقال ﷺ لشقيقته حفصة: «إن أخاك رجل صالح لو أنه يقوم الليل» فلم يترك قيامه بعده، وكان من فقهاء الصحابة ومفتيهم وزهادهم، وكان من أعلم الناس بالمناسك وحمل على ألف فرس في سبيل الله، مات بمكة سنة ثلاث وسبعين شهيدًا عن ستّ وثمانين سنة ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: انطلق ثلاثة نفر)** في «النهاية» هو اسم جمع يقع على عدد مخصوص من الرجال أي ما بين الثلاثة إلى العشرة ولا واحد له من لفظه **(ممن كان قبلكم)** في الزمان **(حتى ءاواهم المبيت إلى غار)** أي كهف **(فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت)** بتشديد الدال **(عليهم الغار)** أي بابه أي صارت على باب

---

(١) وهذه المسئلة محلّ إجماع الأئمة المجتهدين لاتفاقهم على عصمة الأنبياء عليهم السلام عن الهمّ بالوقوع في أيّ معصية كبيرة.

فَقَالُوا: إِنَّهُ لا يُنْجِيكُم مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ إِلا أَن تَدْعُوا اللَّهَ تعالَى بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ. قال رجلٌ مِنهم: اللَّهُمَّ كانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبيرَانِ وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلا مَالا، فَنَأَى بي طَلَبُ الشَّجَرِ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ

الغار كالسد (**فقالوا: إنه**) الضمير للشأن (**لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى**) متوسلين إليه (**بصالح أعمالكم**) أي بأعمالكم الصالحة، الواو من تدعوا ساكنة لأنها للجمع، قال ابن علان: واستدل أصحابنا بهذا أي بقوله: «لا ينجيكم» إلخ على أنه يستحبّ للإنسان الدعاء في حال كربه وفي حال الاستسقاء وغيره بصالح عمله[1]، ويتوسل إلى الله تعالى بذلك لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم، وذكره ﷺ في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم (**قال رجل منهم**) قدم على الرجلين بعده إشارة إلى شرف برّ الوالدين والاهتمام بشأنهما، فإن التقديم في الذكر يكون للاهتمام (**اللهمّ**) أي يا الله (**كان لي أبوان**) فيه تغليب الأب لشرفه على الأم، (**شيخان**) بفتح الشين (**كبيران**) في السن (**وكنت لا أغبق**) بفتح الهمزة وسكون الغين المعجمة وضم الموحدة وكسرها أي كنت لا أقدم في شرب الماء (**قبلهما أهلاً**) أي من زوج وولد (**ولا مالا**) أي من رقيق وخادم، والغبوق: شرب العشيّ، والصبوح: شرب الصباح (**فنأى**) أي بعد (**بي طلب الشجر يومًا**) لترعى فيه المواشي (**فلم أرح عليهما**) بضم الهمزة وكسر الراء أي لم أرجع (**حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما**) وفي نسخة من البخاري «فحملت» (**فوجدتهما نائمين**) يحتمل أن يكون وجد فيه من أفعال القلوب فنائمين مفعوله الثاني، وأن يكون بمعنى لقي فنائمين حال من المفعول

---

(١) وفي هذا الحديث ردّ على مانعي التوسل والاستغاثة والطلب من غير الله، إذ إذا جاز التوسل بصالح العمل جاز التوسل بالذوات الفاضلة، ومعلوم أن الرسول هو أفضل الخلق ﷺ.

وَكَرِهْتُ أَنْ أوقِظَهُمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ ٱسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ والصِبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قدَمَيَّ، فَاسْتَيْقَظَا فَشربا غَبُوقَهُمَا. اللَّهُمَّ إِن كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هذِه الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شيْئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ. وَقال الآخرُ: اللَّهُمَّ كانَ لِي ابنةُ عمٍّ كانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ»، وفي رواية: «كُنْتُ أُحِبُّهَا كأَشَدّ مَا يُحِبُّ الرّجَالُ النّساءَ»، فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنّي حَتَّى أَلَمَّتْ بهَا سَنَةٌ مِنَ السِنِينَ

(**وكرهت**) وفي نسخة أي من البخاري فكرهت (**أن أوقظهما وأن أغبق**) بفتح أوله كما تقدم (**قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر**) بفتح الراء وكسرها أي تلألأ وظهر ضوؤه (**والصبية يتضاغون**) يتضاغون بالضاد والغين المعجمتين يصيحون من الجوع، والضغاء ممدود مضموم الأول صوت الذلة والفاقة (**عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما**) بفتح الغين (**اللهم إن كنت فعلت ذلك**) المذكور من السهر واللبث عليه وحمل القدح إلى قيامهما (**ابتغاء وجهك**) أي ذاتك لا لغرض ءاخر دنيوي كما يدل عليه السياق (**ففرّج عنا**) بتشديد الراء دعاء من التفريج أي افتح (**ما نحن فيه من**) كرب سد (**هذه الصخرة فانفرجت شيئًا**) أي يسيرًا من الانفراج (**لا يستطيعون الخروج**) أي منه (**وقال الآخر**) بمد الهمزة وفتح الخاء المعجمة (**اللهم كان لي**) بينه وبين مرفوعه المؤنث الحقيقي، وفي نسخة «كان» وهو (**ابنة عم، كانت أحبّ الناس إلي**) بتشديد الياء والياء المدغمة هي المنقلبة عن ألف إلي، والمدغم فيها ياء المتكلم (**وفي رواية**) أي في «الصحيحين» (**كنت أحبها كأشد**) أي حبًّا مثل أشد (**ما يحب الرجال النساء**) أو المراد تشبيه محبته بأشد المحبات (**فأردتها**) وفي نسخة فراودتها (**على نفسها**) هو كناية عن طلب الجماع (**فامتنعت مني**) أي من موافقتي على ما طلبته منها (**حتى ألمت**) أي إلى أن نزلت (**بها سنة من السنين**) المقحطة أي المجدبة التي

فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ ومائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَن تُخَلّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا»، وفي رواية: «فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالت: اتَّقِ اللَّهَ وَلا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلا بحَقّهِ، فَانْصَرَفْتُ عنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِن كُنْتُ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَٱنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا. وقالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ

لا تنبت فيها الأرض شيئًا (**فجاءتني**) عند نزول الشدة بها (**فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت**) أي خلّت (**حتى إذا قدرت عليها**) أي بالقعود الآتي بيانه في الرواية الثانية (**وفي رواية**) للبخاري (**فلما قعدت**) وعند مسلم «فلما وقعت» (**بين رجليها**) أي وهي جلسة الجماع (**قالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه**) الفضّ بالفاء والضاد المعجمة: الكسر والفتح. والخاتم كناية عن الفرج وعذرة البكارة، وحقه التزويج المشروع أي لا تزل بكارتي إلا بالتزويج (**فانصرفت عنها**) إجلالا لله سبحانه وتعالى وخوفًا منه كما يعلم مما يأتي. وقوله: (**وهي أحب الناس إليّ**) جملة في محل الحال مسوقة لبيان تقديم خوف الله على هوى نفسه (**وتركت الذهب الذي أعطيتها**) معطوف على قوله: «فانصرفت عنها» فيكون فيه زيادة في مجاهدة النفس على ترك الهوى بتخلية المال (**اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك**) أي طلب مرضاة ذاتك لا لغرض ءاخر (**فافرج عنا ما نحن فيه**) أي من الكرب (**فانفرجت الصخرة**) أي فرجة زائدة على الفرجة الأولى (**غير أنهم**) مع ذلك (**لا يستطيعون الخروج منها**) لضيقها عن ذلك (**وقال الثالث: اللهم استأجرت أجراء**) بضم الهمزة وفتح الجيم جمع أجير نحو شرفاء وشريف (**وأعطيتهم أجرهم**) أي أجرتهم (**غير رجل**) بالنصب، وقوله: (**واحد**) وصف رجل للتأكيد ودفعًا لتوهم أن المراد منه الجنس نحو: «تمرة خير من جرادة» (**ترك الذي له**) أي في ذمة المستأجر

وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ فَجَاءنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ: كلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبلِ وَالْبَقَرِ والغَنَم وَالرَّقِيق، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لا تَسْتَهْزِئ بِي، فَقُلْتُ: لا أَسْتَهْزِئ [بِكَ]، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ إِن كُنْتُ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ». مُتَّفَقٌ علَيه.

(**وذهب فثمرت أجره**) أي كثرته (**حتى كثرت**) بضم المثلثة (**منه**) أي من أجره بالتجارة فيه (**الأموال**) أي أنواعها من إبل وبقر وغنم ورقيق (**فجاءني**) أي ذلك الرجل الأجير (**بعد حين**) أي زمن (**فقال: يا عبد الله أدّ**) بحذف الياء أي ادفع (**إليّ**) بتشديد الياء (**أجري، فقلت**) مخلصًا (**كل ما ترى**) من أنواع المال (**من أجرك**) وفي نسخة من البخاري «من أجلك» وهو خبر المبتدإ وقوله (**من الإبل**) بكسرتين أو بكسر فسكون وما بعده بيان لما قبله (**والبقر**) سمي بذلك لأنه يبقر الأرض أي يشقها للحرث (**والغنم والرقيق، فقال**) أي الأجير (**يا عبد الله لا تستهزئ بي**) فإن أجري في أصله لا يقارب ذلك وهو بسكون الهمزة (**فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه**) أي ذلك إلى رحله ومنزله (**فلم يترك**) أي يدع لي (**منه شيئًا. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك**) أي طلب مرضاتك وحدك لا غيرك (**فافرج**) بالوجهين السابقين (**عنا ما نحن فيه**) أي من الكرب (**فانفرجت الصخرة**) عن باب الغار (**فخرجوا يمشون**) **متفق عليه**) أي على أصل الحديث وإلا فبينهما اختلاف في بعض ألفاظه. ثم في الحديث استحباب الدعاء حال الكرب والتوسل بصالح العمل كما تقدم. وفيه فضيلة برّ الوالدين وفضل خدمتهما وإيثارهما على من سواهما من الولد والزوجة، وفيه فضل العفاف أو الانكفاف عن المحرّمات لا سيما بعد القدرة عليها والهمّ بفعلها وترك ذلك لله خالصًا، وفيه جواز الإجارة بالطعام وفضل حسن العهد وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة وإثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل الحق.

٢ - باب التوبة

قال العلماءُ: التَّوْبَةُ وَاجبَةٌ مِن كلّ ذَنْبٍ، فَإن كانَتِ الْمَعصِيَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ تعالَى لا تَتَعَلَّقُ بحَقّ ءادَمِيٍّ فَلَهَا ثَلاَثَةُ شُرُوطٍ: أَحَدُهَا: أَن يُقْلِعَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ. وَالثَّانِي: أَن يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا. والثَّالِثُ: أَن يَعْزِمَ أَن لا يَعُودَ إِلَيْهَا أَبَدًا. فَإِن فُقِدَ أَحَدُ الثَّلاَثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوْبَتُهُ.

---

٢ - باب التوبة

وهي لغة الرجوع يقال تاب وأناب وءاب بمعنى رجع فالتائب إلى الله تعالى هو الراجع من شيء إلى شيء، راجع من الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف المحمودة، راجع عما نهى الله عنه إلى أمره، وعن معصيته إلى طاعته وعما يكرهه إلى ما يرضاه، فمن رجع عن المخالفات خوفًا من عذاب الله فهو تائب.

(**قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب**) ووجوبها مجمع عليه، لا فرق بين الصغائر والكبائر الظاهرة والباطنة كالحقد والحسد (**فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق ءادمي فلها ثلاثة شروط**) جواب إن الشرطية (**أحدها أن يقلع**) بضم أوله أي يكف وينقطع (**عن المعصية**) التي كان متلبسًا بها، إذ تستحيل التوبة مع مباشرة الذنب. (**والثاني**) من الشروط (**أن يندم على فعلها**) من حيث إنها معصية، فلو ندم عليه لا من هذه الحيثية بل لأجل تلك الوجوه الآتية في الكلام على التوبة النصوح لم يعتد بندمه (**والثالث أن يعزم ألا يعود إليها**) أي إلى مثلها مطلقًا (**أبدًا**) فلا يعود التائب من الرياء إلى مثله وهو الرياء، (**فإن فقد أحد**) هذه (**الثلاثة**) أي واحد منها (**لم تصح توبته**) أي التامة أما الناقصة فتصح مع فقد الإقلاع والعزم على عدم العود كما تقدم تمثيله، قيل: وعلى ذلك يحمل حديث «الندم توبة» وقيل: بل الحديث نظير

وإن كانَتِ الْمَعْصِيَةُ تَتَعَلَّقُ بآدَميّ فَشُرُوطُهَا أَرْبَعَةٌ: هذِهِ الثَّلَاثَةُ وَأَن يَبْرَأَ مِنْ حَقّ صَاحِبِهَا، فَإِن كَانَتْ مَالا أَوْ نَحْوَهُ رَدَّهُ إِلَيْهِ، وَإِن كانَ حَدَّ قَذْفٍ ونَحْوَهُ مَكَّنَهُ منه أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ، وَإِن كَانَتْ غِيبَةً ٱسْتَحَلَّهُ مِنْهَا. وَيَجِبُ أَن يَتُوبَ مِن جَمِيعِ الذُّنُوبِ، فَإِن تَابَ مِن بَعْضِهَا صَحَّتْ تَوْبَتُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقّ مِن ذلِكَ الذَّنْبِ وَبَقِيَ عَلَيْهِ الْبَاقِي. وَقدْ تَظَاهَرَتْ

حديث «الحج عرفة» أي ركنها الأعظم، والله أعلم (**وإن كانت المعصية**) التي تريد التوبة منها (**تتعلق بحق ءادمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة**) المذكورة (و) الرابع (**أن يبرأ من حق صاحبها فإن كانت**) أي المعصية المتعلقة بالآدمي (**مالاً أو نحوه**) من اختصاص محترم (**رده إليه**) أي إلى صاحبه بعينه إن كان موجودًا أو بدله عند تلفه من قيمة أو مثل (**وإن كان**) أي حق الآدمي (**حد قذف ونحوه**) أي نحو القذف كالقتل والقطع قصاصًا (**مكنه**) أي صاحب الحق (**منه**) أي من الحد أي استيفائه منه (**أو طلب عفوه**) بإسقاط حقه. وظاهر كلامه توقف صحة التوبة على ما ذكر من الردّ والتمكين أي إن أمكنه ذلك، وإلا نوى ذلك إذا قدر أو طلب العفو، (**وإن كان**) أي حق الآدمي، وفي نسخة «كانت» أي المعصية (**غيبة**) بكسر الغين المعجمة وسكون التحتية، وكذا شاهد الزور (**استحله منها**) أي بأن يخبره بما قاله حتى يصح تحليله، لكن محل تعيين الإخبار ما لم يترتب عليه ضرر أعظم وإلا كأن يخشى قتله بذلك مثلًا فلا. ومحل تعيين الإخبار والاستحلال إن بلغه الاغتياب (**ويجب**) جمعًا عندنا معاشر أهل السنة (**أن يتوب من جميع الذنوب**) أي ولو صغائر قال تعالى ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴿٨﴾﴾ [سورة التحريم] ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴿٣١﴾﴾ [سورة النور] (**فإن**) لم يتب من الجميع بل أصرّ على بعضها و(**تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق**) هم أهل السنة (**من ذلك الذنب**) الأنسب من ذلك البعض أي الذي تاب منه (**وبقي عليه الباقي**) أي تبعته ووجوب التوبة منه (**وقد تظاهرت**) بالظاء المعجمة من التظاهر

دَلائِلُ الْكِتَابِ وَالسُّنّةِ وَإِجْمَاعِ الأُمَّةِ عَلَى وُجُوبِ التَّوْبَةِ.

قال اللَّهُ تعالى ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة النُّور]، **وقال تعالى** ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴿٣﴾﴾ [سورة هُود]، **وقال تعالى** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴿٨﴾﴾ [سورة التحريم].

١٣ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَاللَّهِ

وهو التعاون (**دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة**) إضافة دلائل لما بعدها من المتعاطفات إضافة بيانية (**على وجوب التوبة**) متعلق بتظاهرت.

(**قال الله تعالى**) أي حال كونه متعاليًا علوّ مكانة لا علوّ مكان متقدمًا عما لا يليق به (﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾﴾) مما وقع منكم من النظر الممنوع وغيره. وفي الآية تغليب الذكور على الإناث (﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾) تنجون من ذلك بقبول التوبة منه. ولعل في الأصل للرجاء وفي كلامه تعالى للتحقيق.

(**وقال تعالى** ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴿٣﴾﴾) من الشرك[1] ومثله من غيره، والقصر عليه لأنه الذنب المأمور بالخروج عنه وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴿٨﴾﴾ اختلفت عبارات السلف في التوبة النصوح ومرجعها إلى شيء واحد. قال عمر بن الخطاب وأبيّ بن كعب رضي الله عنهما: التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه كما لا يعود اللبن إلى الضرع. قال الحسن البصري: هي أن يكون العبد نادمًا على ما مضى مجمعًا على ألا يعود إليه.

١٣ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: والله) فيه ندب الحلف لتأكيد الأمر وتقويته ليبادروا إلى الإتيان

---

(١) أي بالدخول في الإسلام لأنه لا يدخل كافر في الإسلام إلا بالنطق بالشهادتين.

إِنّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ في الْيَوْمِ أَكْثَرَ من سَبْعِينَ مَرَّةً». رواه البخاري.

١٤ - وَعَنِ الأَغرّ بْنِ يَسارٍ الْمُزَنيّ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِني أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ». رواه مسلمٌ.

١٥ - وَعَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

بذلك (**إني لأستغفر الله**) أي أطلب منه مغفرة تليق بمقامي المبرإ عن كل وصمة ذنب أو مخالفة ولو سهوا وقبل النبوة (**وأتوب إليه**) أي أرجع إليه (**في اليوم**) وهو شرعًا ما بين طلوع الفجر وغروب الشمس. (**أكثر من سبعين مرة**) إنما لم يحده بعدد مخصوص لما علمت أن موجب الاستغفار والتوبة اللائقين به لا ينحصر ولأنهما يتكرران بحسب الشهود والترقي. ثم في هذا تحريض للأمة على التوبة والاستغفار (**رواه البخاري**).

١٤ - (**وعن الأغر**) بفتح الهمزة والغين المعجمة وتشديد الراء (**ابن يسار**) بفتح التحتية والمهملة (**المزني**) ويقال الجهني، وفي الصحابة أيضًا الأغر الغفاري وجعلهما بعض الحفاظ إنسانًا واحدًا. (**رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يا أيها الناس توبوا إلى الله**) أي ارجعوا إليه بامتثال ما أمركم به واجتناب ما نهاكم عنه ومما أمركم به التوبة (**فإني أتوب**[1]) أي أرجع رجوعًا يليق بي وفي نسخة: «إليه» أي إلى شهوده أو إلى سؤاله أو الحضور والصغار بين يديه (**في اليوم مائة مرة. رواه مسلم**) في «أواخر صحيحه».

١٥ - (**وعن أبي حمزة**) بالحاء المهملة المفتوحة كني بذلك ببقلة فيها حموزة أي حموضة كان يحبها (**أنس**) بفتح أوليه (**ابن مالك**) بن النضر

---

(١) الاستغفار والتوبة قد يكونان لذنب سبق وقد يكونان لمعنى السّتر ستر القبيح أما للنبي فهو لطلب رفع الدرجات.

الأَنْصَارِيّ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَلَّهُ أَفْرَحُ بتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكمْ سَقطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّه فِي أَرْضٍ فَلاَةٍ». مُتَّفَقٌ عليه.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ «لَلّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بتَوْبَةِ عَبْدِهِ

(**الأنصاري**) الخزرجي النجاري المدني ثم البصري (**خادم رسول الله ﷺ**) حضرًا وسفرًا منذ قدم المدينة إلى أن توفي ﷺ (**رضي الله عنه**) قال: قدم النبي ﷺ إلى المدينة وأنا ابن عشر سنين ومات وأنا ابن عشرين سنة، غزا مع النبيّ ﷺ ثماني غزوات، وروى الكثير، ومن كراماته ﷺ معه ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عنه قال: «دخل النبي ﷺ عند أم سليم: يعني أمه، فأتته بتمر وسمن فقال: «أعيدوا سمنكم في سقائه وتمركم في وعائه فإني صائم»، ثم قام إلى ناحية البيت يصلي غير المكتوبة، فدعا لأم سليم وأهل بيتها، فقالت: يا رسول الله إن لي خويصة، قال: «وما هي؟» قالت خادمك أنس، ادع الله له، فما ترك خير ءاخرة ولا دنيا إلا دعا لي به: «اللهم ارزقه مالًا وولدًا وبارك له»، قال: فإني لمن أكثر الأنصار مالًا». وعنه قال: رزقت لصلبي سوى ولد ولدي خمسة وعشرين ومائة، وإن أرضي لتثمر في السنة مرّتين». وكان ريحان بستانه يشم منه رائحة المسك. توفي على نحو فرسخ ونصف من البصرة في موضع يعرف بقصر أنس، وهو ءاخر من مات بها من الصحابة سنة ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة. (**قال: قال رسول الله ﷺ: لله**) بفتح اللام جوابًا للقسم المقدر أي والله لله (**أفرح بتوبة عبده من**) فرح (**أحدكم**) حال كونه قد (**سقط على بعيره**) قال في «النهاية» أي يعثر على موضعه ويقع عليه كما يسقط الطائر على وكره اهـ. والمراد صادفه من غير قصد (**وقد أضله في أرض فلاة**) من إضافة الموصوف إلى الصفة أي في أرض واسعة (**متفق عليه. وفي رواية لمسلم**) أي انفرد بلفظها عن البخاري (**لله أشد فرحًا بتوبة عبده**) أي رجوعه إلى طاعته وامتثال أمره قال النووي في «شرح صحيح مسلم»: «قال العلماء: فرح

حِين يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكمْ كانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بأَرْضٍ فَلاَةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلّهَا قَد أَيِسَ مِن رَاحلَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذا هُوَ بها قَائمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا

الله تعالى هو رضاه، وقال المازري: الفرح ينقسم إلى وجوه منها السرور، والسرور يقاربه الرضا بالمسرور به، قال: فالمراد هنا أن الله تعالى يرضى توبة عبده أشد مما يرضى واجد ضالته بالفلاة، فعبِّر عنه بالفرح تأكيدًا لمعنى الرضا في نفس السامع ومبالغة في تقريره» اهـ (**حين يتوب**) أي يرجع منتهيًا (**إليه**) أي يخلص في توبته بأن ينوي بها وجه الله لا غير، وبه يعلم أن قوله: (**حين يتوب إليه**) قيد لا بد منه لا يغني عنه قوله بتوبة عبده (**من**) فرح (**أحدكم إذا كان**) وفي نسخة «كان» (**على راحلته**) أي التي يركبها من ناقة أو غيرها (**بأرض فلاة**) بالإضافة (**فانفلتت**) أي الراحلة (**منه و**) الحال أنه (**عليها طعامه وشرابه**) فله احتياج إليها لوجهين ركوبها وكون زاده عليها (**فأيس منها**) لمبالغته في لحوقها أو في التفتيش عنها فلم يقدر عليها (**فأتى شجرة فاضطجع في ظلها**) ليستريح مما حصل له من شدة التعب في مزيد الطلب حال و(**قد أيس من راحلته**) أي من حصولها وحينئذٍ استسلم للموت لحضور أسبابه (**فبينما هو كذلك**) أي أيس، أو المشار إليه مفهوم من سياق الكلام أي مستسلم (**إذ هو بها قائمة عنده**) وفيه على كون المشار إليه الأول الإشارة إلى أن الفرج مع الكرب واليسر مع العسر قال تعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [سورة الشرح] وعلى الثاني الإشارة إلى أن الاستسلام والخروج عن الحول والقوّة سبب لحصول المطالب وبلوغ المآرب، وليس المراد ترك مزاولة الأسباب بل ترك الركون إليها والاعتماد عليها، (**فأخذ بخطامها**) فرحًا بها وخطام البعير أي بكسر المعجمة أن يؤخذ حبل من ليف أو شعر أو كتان فيجعل في أحد طرفيه حلقة، ثم يشد فيه الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة. ثم يقلد البعير به ثم يثنى على خطمه قال في «النهاية»: أما الذي يجعل في الأنف دقيقًا

ثمَّ قَالَ مِن شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِن شِدَّةِ الْفَرَحِ».

١٦ - وَعَنْ أَبِي مُوسَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ الأَشْعَرِيّ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيّ ﷺ قالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا». رَوَاهُ مُسلمٌ.

١٧ - وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن

فهو الزمام (**ثم قال من**) أجل (**شدة الفرح**) لدهشه بل ربما قال (**اللهمّ أنت عبدي وأنا ربك**) وقوله: (**أخطأ من شدة الفرح**) أي تجاوز الصواب من أجل شدة الفرح.

١٦ - (وعن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: إن الله تعالى يبسط يده[1] بالليل) هو عبارة عن الجود والتنزه عن المنع، أو هو عبارة عن رحمة الله وكثرة تجاوزه عن الذنوب (**ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل**) أي أنه يوسع جوده وفضله على العصاة بالليل ليلهموا التوبة بالنهار وبالنهار ليلهموا التوبة بالليل، فسبق ذلك الكرم والجود علة للتوبة ما دام بابها مفتوحًا. (**حتى تطلع الشمس من مغربها**) فحينئذٍ يغلق بابها قال تعالى ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا ﴿١٥٨﴾﴾ [سورة الأنعام] الآية، وكذا لا عبرة بالتوبة حال الغرغرة والمعاينة كما سيأتي قال تعالى ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ﴿٨٥﴾﴾ [سورة غافر] الآية (**رواه مسلم**) ورواه أحمد أيضًا.

١٧ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من

---

(١) لا تجوز الجارحة على الله تعالى قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى]. وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي في عقيدته التي هي عقيدة كل المسلمين عن الله: «تعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات». معناه الله لا يجوز عليه الأعضاء كاليد الجارحة والرجل والرأس والأذن وغير ذلك. وأن الله موجود بلا مكان ولا جهة. وكانت وفاة الإمام الطحاوي سنة **٣٢٢** هجرية.

تَابَ قَبْلَ أَن تَطْلُعَ الشَّمْسُ من مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيهِ». رواه مسلمٌ.

١٨ - وَعَنْ أَبي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضِيَ اللَّهُ عنهمَا عَنِ النَّبيّ ﷺ قالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العبْدِ مَا لَمْ يُغَرغِر». رواهُ التِرمذِيُّ وقال: حديثٌ حَسَنٌ.

تاب) أي توبة صحيحة جامعة للشروط **(قبل أن تطلع)** بضم اللام **(الشمس من مغربها)** وتستمر طالعة إلى كبد السماء وحدّ الاستواء، ثم تعود لعادتها ومن يومئذٍ يغلق باب التوبة. قال النووي في «شرح صحيح مسلم»: «قال العلماء: هذا حدّ لقبول التوبة وقد جاء في الحديث الصحيح بأن للتوبة بابًا مفتوحًا فلا تزال مقبولة حتى تغلق فإذا طلعت الشمس من مغربها أغلق وامتنعت التوبة على من لم يكن تاب قبل ذلك» اهـ **(تاب الله عليه)** أي قبل توبته. قال المصنف: لا يجب على الله تعالى قبول التوبة إذا وجدت بشروطها عقلًا عند أهل السنة لكنه سبحانه وتعالى يقبلها كرمًا منه وفضلًا، وقد عرفنا قبولها بالشرع والإجماع؛ ثم توبة الكافر من كفره مقطوع بقبولها **(رواه مسلم)**.

١٨ - (وعن أبي عبد الرحمٰن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال) أي النبيّ ﷺ، **(إن الله عز)** جده **(وجلّ)** شأنه **(يقبل توبة العبد)** أي المذنب المكلف ذكرًا أو أنثى كرمًا منه وفضلًا كما سبق **(ما لم يغرغر)** أي تصل روحه حلقومه من الغرغرة وهي جعل الشراب في الفم، ثم يديره إلى أصل حلقومه فلا يبلعه وهذا مأخوذ من قوله تعالى ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة النساء] وفسر ابن عباس حضوره بمعاينة ملك الموت **(رواه)** الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة **(الترمذي)** بضم المثناة وفتحها وكسرها نسبة إلى مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذي يقال له جيحون، ولد سنة مائتين وتسع. وتوفي في شهر رجب سنة سبع وتسعين ومائتين **(وقال)** يعني الترمذي **(حديث حسن)**.

١٩ - وَعَن زِرّ بْنِ حُبَيْشٍ قالَ: أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ رَضيَ اللَّهُ عنهُ أَسْأَلُهُ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ فَقالَ: مَا جَاءَ بكَ يَا زِرُّ؟ فَقُلْتُ: ابْتِغَاءَ الْعِلْم، فَقَالَ: إِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَضعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْم رِضًا بِمَا يَطْلُبُ. فَقُلْتُ: إِنّهُ حَكَّ فِي صَدْرِي الْمَسْحُ عَلَى الْخُفَّيْنِ بَعْدَ الغَائِطِ وَالْبَولِ، وَكُنْتَ امْرَأً مِنْ أَصْحَابِ النَّبيّ ﷺ فَجِئْتُ أَسْأَلُكَ هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ فِي ذلِكَ شَيْئًا؟ قالَ: نَعَمْ، كانَ يأْمُرُنَا إِذَا كُنَّا سَفْرًا - أَوْ مُسَافِرِينَ - أَن لا نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ

---

١٩ - (**وعن زرّ بن حبيش**) أدرك الجاهلية، سمع عمر وعليًا عاش مائة وعشرين سنة وتوفي سنة اثنتين وثمانين (**قال: أتيت صفوان بن عسال رضي الله عنه**) المرادي الكوفي، غزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة (**أسأله عن المسح على الخفين فقال ما جاء بك**) أي ما حملك على المجيء (**يا زرّ، فقلت ابتغاء العلم**) مفعول له (**فقال إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم**) أي تكفّ أجنحتها عن الطيران وتنزل لسماع العلم. وقيل: هو مجاز إما عن التواضع أو عن المعونة وتيسير السعي في طلب العلم (**رضا**) منها (**بما يطلب**) أي من العلوم (**فقلت إنه حك**) أي أثر ما، وفي نسخة حيك (**في صدري المسح على الخفين بعد الغائط**) وهو في الأصل المكان المنخسف من الأرض سمي به الخارج للمجاورة (**والبول، وكنت**) بفتح التاء للمخاطب حال و(**امرأ**) أي شخصًا (**من أصحاب النبي ﷺ، فجئت أسألك هل سمعته يذكر في ذلك شيئًا**) والمسؤول عنه قدر مدته بدليل قوله في الجواب (**قال: نعم**) أي سمعته يذكر فيه ثم بين المسموع بقوله : (**كان يأمرنا إذا كنا سفرًا**) جمع سافر (**أو**) شك من الراوي (**مسافرين**) جمع مسافر، شك هل قال سفرًا أو قال مسافرين (**ألا ننزع خفافنا**) بكسر المعجمة جمع خف بضمها (**ثلاثة أيام ولياليهن**) أي فإن نزع الخف والمراد به ظهور شيء من محل الفرض من القدم، قبل المدة، فإن كان محدثًا توضأ وضوءًا

إلا مِن جَنَابَةٍ لكِن مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْم. فَقُلْتُ: هَلْ سَمِعتَهُ يَذْكُرُ فِي الْهَوَى شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذْ نَادَاهُ أَعرَابيٌّ بصَوْتٍ لَهُ جَهْوَرِيٍّ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَجَابَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَحْوًا مِن صَوْتِهِ: «هَاؤُمُ» فَقُلْتُ لَهُ: وَيْحَكَ، اُغْضُضْ مِن صَوْتِك فَإِنَّكَ عِنْدَ النَّبيّ ﷺ وَقدْ نُهيتَ عَن هذَا، فَقَالَ:

كاملًا، وإن كان بطهر المسح لزمه غسل قدميه فقط على الصحيح، وكالنزع فيما ذكر انقضاء المدة وبطلانها بنحو شك في انقضائها وغيره مما ذكروه في الفروع (**إلا من جنابة**) وكذا في معناه مما يوجب الغسل من حيض أو نفاس فيلزمه نزعه وبه تبطل المدة، و(**لكن**) مفادها مخالفة ما قبلها نفيًا أو إثباتًا مخففًا أو مثقلًا؛ وحينئذٍ فالتقدير أمرنا رسول الله ﷺ إذا كنا سفرًا أن ننزع خفافنا من الجنابة في المدة المذكورة ولكن لا ننزعها فيها (**من غائط وبول ونوم فقلت: هل سمعته**) أي النبي ﷺ (**يذكر في الهوى**) مقصورًا أي الحب (**شيئًا؟ قال: نعم كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فبينا نحن عنده إذ ناداه أعرابي**) بفتح الهمزة اسم جمع وهم سكان البوادي والعرب يعم ذلك وسكان القرى، (**بصوت**) متعلق بنادى (**له جهوري**) بفتح الجيم وإسكان الهاء والياء فيه للنسبة منسوب إلى جهور بصوته والجهوري الشديد العالي (**يا محمد**) لعله قبل تحريم ندائه ﷺ باسمه، أو لم يكن يعلم ذلك لكونه ببادية بعيدة (**فأجابه رسول الله ﷺ نحوًا**) مفعول مطلق أي إجابة نحوًا (**من صوته**) أي في الرفع (**هاؤم**) قال أبو حيان في «النهر»: قال الكسائي وابن السكيت: يقال هاء للرجل وللاثنين رجلين أو امرأتين هاؤما وللرجال هاؤم وللمرأة هاء بهمزة مكسورة بغير ياء وللنساء هاؤنّ، ومعنى هاؤم: خذوا، (**فقلت له**) أي للأعرابيّ (**ويحك**) بفتح الواو والمهملة وإسكان المثناة بينهما، كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها، وقد تستعمل في «المدح» (**اغضض**) أي انقص (**من صوتك، فإنك عند النبيّ ﷺ. وقد نهيت عن هذا**) أي عن رفع الصوت وعلوّه بين يديه ﷺ (**فقال**) لما قام عنده من

واللَّهِ لا أَغْضُضُ. قَالَ الأَعْرَابِيُّ: الْمَرْءُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بهِمْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ»، فَمَا زَالَ يُحَدّثُنَا حَتَّى ذَكَرَ بَابًا مِنَ الْمَغْرِبِ مَسِيرَةُ عَرْضِهِ أَوْ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي عَرْضِهِ أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ عَامًا. قَالَ سُفْيَانُ أَحَدُ الرُّوَاةِ: قِبَلَ الشَّامِ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ مَفْتُوحًا للتَّوْبَةِ لا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ».

الحال المقتضي للجهر بالصوت (**والله لا أغضض**) أي من صوتي، (**فقال الأعرابيّ**) سائلًا النبي ﷺ (**المرء يحبّ القوم**) أي الأخيار أحياءً وأمواتًا (**ولما يلحق بهم**) أي في الأعمال وطرق الكمال أي لم يعمل بعملهم إذ لو عمله لكان منهم ومثلهم ولما لنفي الماضي المستمر فتدل على نفيه في الماضي والحال، بخلاف لم فإنها تدل على الماضي فقط (**قال النبي ﷺ**) جوابًا عن ذلك (**المرء مع من أحبّ**) فيه فضل حبّ الله ورسوله ﷺ والأخيار أحياء وأمواتًا، ومن أفضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما والتزام الآداب الشرعية، ثم لا يلزم من كونه مع من أحبّ أن تكون منزلته وجزاؤه مثلهم من كل وجه (**المرء مع من أحبّ**). (**فما زال يحدثنا**) إن كان من كلام صفوان كما هو الظاهر فالمحدّث لهم النبيّ ﷺ، (**حتى ذكر**) في حديثه (**بابًا من المغرب مسيرة عرضه**) أي بين طرفيه (**أو يسير الراكب في عرضه**) شكّ من الراوي (**أربعين أو سبعين عامًا**) لكمال سعته (**قال سفيان**) بتثليث السين وسكون الفاء، وهو ابن عيينة (**أحد الرواة**) لهذا الحديث أي أحد رجال إسناده (**قبل الشأم**) بالهمز والقصر ويجوز ترك الهمز، وهي غربي المدينة، وحدّها طولا ما بين العريش والفرات وعرضًا من جبل طي من نحو القبلة إلى نحو أرض الروم وما سامت ذلك من البلاد. وقال ابن حبان: أوله نابلس وءاخره العريش اهـ (**خلقه الله تعالى**) أي أوجده (**يوم خلق**) أي أوجد (**السمٰوات والأرض مفتوحًا للتوبة**) أي لقبولها سواء كانت من الكفر أو من الذنب (**لا يغلق**) ذلك الباب المترتب عليه عدم قبولها (**حتى تطلع الشمس منه**) أي من المغرب لأنه من علامات القيامة فحينئذٍ

رواه التّرمِذِيُّ وغيرُهُ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٢٠ - وَعَنْ أَبِي سَعيدٍ سعدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيّ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كانَ فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عن أَعلَم أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهبٍ فأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَل لَهُ مِن تَوْبَةٍ؟ فقال: لا، فَقَتَلهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ

كأنها ظهرت الساعة وظهور الساعة انقضاء التكليف (**رواه الترمذي وغيره وقال**) يعني الترمذي (**حديث حسن صحيح**).

٢٠ - (**وعن أبي سعيد**) كنية (**سعد بن مالك بن سنان**) بكسر السين المهملة وبنونين بينهما ألف (**الخدريّ**) بضم المعجمة وسكون المهملة ثم سعد وأبوه صحابيان، استشهد أبوه في وقعة أحد وحينئذٍ فلا يظهر إفراد الضمير في قول الشيخ (**رضي الله عنه**) وكان حقه رضي الله عنهما كما هو المطلوب عند ذكر صحابي ابن صحابي ومناقبه كثيرة توفي بالمدينة يوم الجمعة سنة أربع وستين ودفن بالبقيع (**أنّ**) بفتح الهمزة ويجوز كسرها بتقدير القول (**نبيّ الله ﷺ قال**) مرغبًا في التوبة والإنابة إلى الله تعالى ومومئًا إلى صغر الذنب وإن عظم في جنب عفوه سبحانه (**كان فيمن كان قبلكم**) أي من الأمم (**رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا**) أي على وجه العدوان فهبت عليه نفحات الوصول وءان إبان ساعة الإنابة والقبول (**فسأل عن أعلم أهل الأرض**) أي في ذلك الوقت (**فدل**) بالبناء للمجهول (**على راهب**) أي عابد من عباد بني إسرائيل (**فأتاه فقال إنه**) عدل إليه عن حكاية لفظه وهو «إني» بضمير المتكلم تنبيهًا على الأدب في حكاية مثل ذلك فيؤتى فيه بضمير الغيبة (**قتل تسعة وتسعين نفسًا**) عدوانًا (**فهل له من توبة**) من مزيدة للتأكيد (**فقال لا ف**) لما أوقعه في ميدان القنوط (**قتله فكمل به مائة**) من القتلى. قال القرطبي: وهذا من الراهب دليل على قلة علمه وعدم فطنته حيث لم يصب وجه الفتيا ولا سلك طريق التحرّز في نفسه مما صار له القتل عادة معتادة، فكان حقه ألا يشافهه بمنع التوبة مداراة لدفع القتل عن نفسه (**ثم**) بقي في

سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَل لَهُ مِن تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَن يَحُولُ بيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ ٱنْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ تعالى فَٱعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلا تَرْجِعْ إِلَى أَرضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ.

نفسه الرغبة في السؤال عن حاله فما زال يحثه على هذا الأمر حتى **(سأل)** ثانيًا **(عن أعلم أهل الأرض)** أي في ذلك الزمن **(فدل على رجل)** أتى به توطئة لقوله **(عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة)** أي مقبولة **(فقال)** ناطقًا بالحق والصواب مجيبًا عن السؤال منكرًا على من ينفيها عنه **(نعم، ومن)** استفهام إنكار أي شيء **(يحول)** بالحاء المهملة، أي يكون حائلًا وفاصلًا **(بينه)** أي التائب من الذنب **(وبين التوبة)** وعبر بمن تغليبًا أي لا مانع بينك وبينها من شخص ولا غيره، وقبول توبة القاتل عمدًا مذهب أهل العلم وإجماعهم ولم يخالف أحد منهم وأما قوله تعالى ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴿٩٣﴾﴾ [سورة النساء] فالصواب في معناه أن جزاءه جهنم وقد لا يجازى بل يعفى عنه. ثم إن العالم دلّ السائل على ما فيه نفعه بقوله **(انطلق إلى أرض كذا وكذا)** اسمها بصرى واسم القرية التي كان بها كفرة رواه الطبراني. ليفارق دار الفساد وأصحابه الذين كانوا يعينونه عليه ما داموا كذلك. قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «وفي الحديث فضل العالم على العابد لأن الذي أفتاه أولا بأن لا توبة له غلبت عليه العبادة فاستعظم ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير، وأما الثاني فغلب عليه العلم فأفتاه بالصواب ودلّه على طريق النجاة» اهـ. وقوله: **(فإن بها أناسًا)** بضم الهمزة **(يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم)** أتى بالمظهر والمقام للضمير استلذاذًا فذكر المحبوب محبوب **(ولا ترجع إلى أرضك)** أي التي كنت بها زمن العصيان **(فإنها أرض سوء)** بفتح المهملة، وفيه تنبيه على وجه استبدال تلك الأرض بأرضه، وفيه الانقطاع عن إخوان السوء ومقاطعتهم ما داموا على حالهم

فَٱنْطَلَقَ حَتّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فقالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ تعالَى، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأتاهُم مَلَكٌ فِي صُورَةِ ءادَميّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ - أي حَكَمًا - فقالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرَضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَدنَى إِلَى الأَرضِ الَّتي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ ٱلرَّحْمَةِ». **مُتَّفَقٌ عليهِ**.

واستبدال صحبة أهل الخير والعلم والصلاح والعبادة والورع ومن يقتدى به وينتفع بصحبته لتتأكد بذلك توبته وتقوى أوبته، فإن كل قرين يقتدي بقرينه **(فانطلق)** تائبًا من زلته مفارقًا لمحلته قاصدًا لما أمر بالرحلة إليه واستمرّ كذلك **(حتى إذا نصف الطريق)** بتخفيف الصاد المهملة المفتوحة أي بلغ نصفها وفي نسخة بتشديد الصاد **(أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى)** قال القرطبي: هذا نصّ صريح في أن الله تعالى أطلع ملائكة الرحمة على ما في قلبه من صحة قصده إلى التوبة وحرصه عليها. وأن ذلك خفي على ملائكة العذاب حتى أخبر ﷺ عنها بقوله: **(وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط)** بضم الطاء ظرف لاستغراق الزمن الماضي إذ لو اطلعت على ما في قلبه من التوبة لما صح لها أن تقول هذا ولا أن تنازع ملائكة الرحمة في قولها إنه جاء تائبًا الخ، بل كانت تشهد بما في علمها كما شهد الأولون بما تحققوه، قال **(فأتاهم ملك في صورة ءادمي)** صوّر بصورته إخفاء عن الملائكة وتنويهًا ببني ءادم، وأن منهم من يصلح لأن يفصل بين الملائكة إذا تنازعوا **(فجعلوه بينهم)** حجة لمن قال بلزوم حكم المحكم للخصمين المتراضيين به **(فقال: قيسوا ما بين الأرضين)** أي التي خرج منها والتي ذهب إليها **(فإلى أيتهما كان أدنى فهو له)** أي لذلك الأدنى إليه منهما أي الجنة والعذاب **(فقاسوا)** أي ملائكة الصنفين **(فوجدوه)** أي التائب **(أدنى)** أي أقرب **(إلى)** جهة **(الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة)** لكونه أقرب إلى أرض الصلاح **(متفق عليه)**.

وفي رِوَايَةٍ في «الصَّحِيح»: «فَكَانَ إِلَى القَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَجُعِلَ مِنْ أَهْلِهَا». وفي رِوَايَةٍ في «الصَّحِيح»: «فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى هذِهِ أَن تَبَاعَدِي وَإِلَى هذه أَن تَقَرَّبي، وَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا فَوُجِدَ إِلَى هذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ لَهُ». وَفي رِوَايَةٍ: «فَنَأَى بِصَدرِهِ نَحوَهَا».

٢١ - وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ رضي اللَّهُ عنه مِن بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(**وفي رواية في الصحيح**) عند مسلم من حديث أبي سعيد أيضًا (**فكان إلى القرية الصالحة**) إسناد مجازي من إسناد الشيء إلى مكانه (**أقرب بشبر**) أي بعد الأمر للقرية الصالحة بأن تقرب فلا تخالف الرواية الآتية (**فجعل من أهلها**) أي الجنة فأخذه أهلها (**وفي رواية**) أخرى (**في الصحيح**) هي عندهما واللفظ للبخاري (**فأوحى الله تعالى**) أي أشار (**إلى هذه**) إلى أرض الفساد (**أن تباعدي**) عن ذلك الإنسان بأن ينضام بعضها لبعض (**و**) أوحى أي أشار (**إلى هذه**) أي أرض الصلاح (**أن تقربي**) بانبساط أجزائها وامتدادها (**وقال**) أي الحكم (**قيسوا ما بينهما، فوجد إلى هذه**) أي أرض الصلاح (**أقرب بشبر**) بسبب امتدادها وانبساطها وانزواء تلك وانقباضها (**فغفر له**) فأخذته ملائكة الرحمة (**وفي رواية**) أي في الصحيح أيضًا رواها مسلم «فناء» بتقديم الألف على الهمزة وفي نسخة من مسلم (**فنأى**) بتقديم الهمزة عليها أي نهض مع ثقل ما أصابه من الموت (**بصدره نحوها**) وفيه دليل لصحة توبته وصدق رغبته.

٢١ - (**وعن عبد الله بن كعب بن مالك**) بن كعب الأنصاري السلمي أي بفتحتين (**وكان قائد كعب رضي الله عنه من**) بين (**بنيه**) وهم: عبد الله هذا وعبد الرحمٰن وعبيد الله (**حين**) أي زمن (**عمي**) أي صار أعمى (**قال**) بيان للمرويّ عن عبد الله (**سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه**) شهد العقبة والمشاهد كلها إلا بدرًا وتبوك، وجرح يوم أُحُد أحد عشر جرحًا في سبيل الله، وهو أحد شعراء النبيّ ﷺ المجاهدين بألسنتهم وأيديهم، وهم ثلاثة حسان، وكعب، وابن رواحة. وكان حسان يقع في

يُحَدّثُ حَدِيثَه حِينَ تَخَلَّفَ عَن رسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَة تَبُوكَ، قَالَ كَعْبٌ: «لَمْ أَتَخَلَّفْ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَطُّ إلا فِي غَزْوةِ تَبُوكَ غيرَ أَنّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهُ، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمْ

«الأنساب»، وابن رواحة يعيرهم بالكفر، وكعب يخوفهم وقائع السيف. توفي بالمدينة سنة خمسين رضي الله عنه (**يحدث حديثه حين تخلف عن**) الخروج مع (**رسول الله** ﷺ) وفي نسخة: «عن النبي ﷺ» (**في غزوة تبوك**) بفتح الفوقية وضم الموحدة، يصرف إن أريد به المكان ولا يصرف إن أريد به البقعة وكانت غزوة تبوك في التاسعة من الهجرة (**قال كعب**) بيان لحديثه (**لم أتخلف عن رسول الله** ﷺ **في غزوة غزاها قط**) وعدة الغزوات التي خرج فيها رسول الله ﷺ بنفسه سبع وعشرون، قاتل في تسعة منها بنفسه: بدر، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، وفتح مكة على القول بأنها فتحت عنوة والصحيح عند أئمتنا خلافه، وحنين، والطائف. وقيل إنه قاتل بني النضير. وكانت سراياه التي بعث فيها سبعًا وأربعين سرية (**إلا في غزوة تبوك**) ثم استثنى من قوله: «لم أتخلف» إلخ قوله: (**غير أني قد تخلفت**) أي عنه ﷺ (**في غزوة بدر**) قرية مشهورة تنسب إلى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها (**ولم يعاتب أحدًا**) من المسلمين هو بفتح الفوقية مبني للمجهول، وفي رواية: «لم يعاتب أحدًا» (**تخلف عنه**) فيها (**إنما خرج رسول الله** ﷺ **والمسلمون يريدون عير قريش**) عله لعدم العتاب. والعير الإبل التي عليها أحمالها وذلك أن أبا سفيان كان بالشأم في ثلاثين راكبًا منهم عمرو بن العاص، فأقبلوا في قافلة عظيمة فيها أموال قريش حتى إذا كان قريبًا من بدر بلغ النبي ﷺ ذلك، فندب أصحابه إليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدوّ، فلما بلغ النبيّ ﷺ الروحاء أتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عن عيرهم، فكان سبب الحرب المشار إليها بقوله (**حتى جمع الله بينهم**

وَبَينَ عَدُوّهمْ عَلَى غير ميعَادٍ، ولَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلاَمِ وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ وَإِن كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا.

فكانَ مِنْ خَبَرِي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنّي لـمْ أَكُن قَطُّ أَقْوَى وَلا أَيْسَرَ مِنّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا في تِلكَ الْغَزْوَةِ وَلَمْ يَكُن

وبين عدوهم) أي من كفار قريش **(على غير ميعاد)** أي موعد **(ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة)** أي الليلة التي بايع النبيّ ﷺ الأنصار فيها على الإسلام وأن يؤووه وينصروه، وهي العقبة التي في طرف منى التي تضاف إليها جمرة العقبة، وكانت بيعة العقبة مرتين في السنة الأولى كانوا اثني عشر، وفي السنة الثانية سبعين كلهم من الأنصار بمسجد يقرب العقبة المذكورة، وإذا أطلق ذكر العقبة فالمراد الأخيرة **(حين تواثقنا)** بالمثلثة بعد الألف بدل من ليلة وتواثقنا **(على الإسلام)** أي تبايعنا عليه وتعاهدنا وأخذ بعضنا على بعض الميثاق، وفي بعض النسخ «توافقنا» بالفاء بدل المثلثة **(وما أحبّ أن لي بها)** أي بدل الليلة أو العقبة **(مشهد بدر)** بالنصب اسم أن، أي ما أحبّ أني شهدت بدرًا ولم أشهدها قال ذلك لما ظهر له بحسب نظره أن ليلة العقبة كانت أفضل لأنها وقعت قبل الهجرة، والمسلمون قليل والإسلام ضعيف **(وإن كانت بدر أذكر)** بالنصب: أي أشهر ذكرًا **(في الناس منها)** بالفضيلة **(فكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة)** بإسكان الزاي، **(تبوك أني)** بفتح الهمزة هي ومدخولها اسم كان **(لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني)** فيه تفضيل الشيء على نفسه باعتبار تعدد الزمان **(حين)** أي زمن **(تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة)** بيان لكونه أيسر **(ولم يكن**

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلا وَرَّى بِغَيْرِهَا حَتَّى كانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرّ شَدِيدٍ وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ عَدَدًا كَثِيرًا، فَجَلّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُم بِوَجْهِهِمُ الَّذِي يُرِيدُ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ وَلا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ (يُرِيدُ بذلِكَ الدّيوَانَ) قالَ كَعْبٌ: فَقَلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَتَغَيَّبَ إِلا ظَنَّ أَنَّ ذلِكَ سَيَخْفَى مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحيٌ مِنَ اللَّهِ تعالى، وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثّمَارُ

رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورّى بغيرها) أي أوهم، زاد أبو داود: وكان يقول: «الحرب خدعة» **(حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله ﷺ في حرّ شديد)** يخاف منه الهلاك **(واستقبل سفرًا بعيدًا ومفازًا)** ويقال مفازة أي برية طويلة قليلة الماء **(واستقبل عددًا كثيرًا)** وفي بعض نسخ الصحيح: عدوًا **(فجلى للمسلمين أمرهم)** بتخفيف اللام وتشديدها أي كشفه وأوضحه وعرفهم ذلك من غير تورية **(ليتأهبوا أهبة غزوهم)** بضم الهمزة وإسكان الهاء أي ليستعدوا بما يحتاجون إليه في سفرهم. **(فأخبرهم بوجههم)** أي بقصده، **(الذي يريد)** وسبب تلك الغزوة أنه ﷺ بلغه أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل أي لحربه، فندب ﷺ الناس إلى الخروج لذلك **(والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير)** وعدة من كان معه ﷺ ثلاثون ألفًا، **(ولا يجمعهم كتاب حافظ)** حال متداخلة، **(يريد)** أي كعب **(بذلك)** أي بالكتاب الحافظ **(الديوان)** بكسر الدال على المشهور، وحكي فتحها فارسي معرب، وقيل عربي **(قال كعب: فقلّ رجل)** وفي «البخاري» فما رجل **(يريد أن يتغيب)** أي يغيب **(إلا ظن أن ذلك سيخفى)** قال القرطبي: هي لإيجاب ما تضمنته قلّ من معنى النفي، لأن معنى قلّ رجل ما رجل، فكأنه قال ما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن **(ما لم ينزل فيه وحي من الله تعالى)** منبه على تغيبه **(وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار)** أي أينعت ونضجت وءان وقت أكلها

والظِّلاَلُ فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُ فأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا وَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذلِكَ إِذَا أَرَدْتُ، فَلَمْ يَزَلْ ذلِكَ يَتَمَادَى بي حَتَّى اسْتَمَرَّ بالنَّاسِ الجِدُّ، فأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِن جِهَازِي شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ ذلك يَتَمَادَى بي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدرِكَهُمْ فَيا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذلِكَ لِي، فَطَفِقْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ

(و) طابت (**الظلال**) بكسر الظاء المعجمة جمع ظل (**فأنا إليها أصعر**) بالمهملتين أي أميل، والصعر الميل (**فتجهز رسول الله ﷺ، و**) تجهز (**المسلمون معه وطفقت**) من أفعال الشروع جعلت يقال: طفق بكسر الفاء وفتحها وبإبدال الفاء بموحدة (**أغدو لكي أتجهز معه فأرجع ولم أقض**) شيئًا من أمري (**وأقول في نفسي أنا قادر على ذلك**) أي على التجهيز (**إذا أردت**) أي لسعة الوقت (**فلم يزل ذلك**) أي التسويف في الأمر (**يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد**) بكسر الجيم أي الاجتهاد في أمر السفر وشأنه (**فأصبح رسول الله ﷺ غاديًا و**) أصبح (**المسلمون معه**) أي مصاحبين له في السفر (**ولم أقض من جهازي**) بفتح الجيم وكسرها أي أهبة سفري (**شيئًا ثم غدوت**) أي سرت أول النهار (**فرجعت**) من غدوي (**ولم أقض شيئًا**) أي من جهازي (**فلم يزل ذلك**) أي الغدو لقضاء الجهاز وعدم قضائه (**يتمادى بي حتى أسرعوا**) بالمهملات. (**وتفارط**) بفوقية ففاء وراء وطاء مهملتين (**الغزو**) بإعجام الغين أي تقدم الغزاة، والفارط والفرط المتقدم وجمعه أفراط (**فهممت أن أرتحل فأدركهم فيا**) قوم (**ليتني فعلت**) وخلصت من ورطة التخلف، وفيه الندم على ما فات من عمل البرّ، والنهي عنه على ما فات محمول على ما فات من الأعراض الفانية (**ثم لم يقدر ذلك**) أي الارتحال (**لي**) وما لم يقدر لا يكون (**فطفقت إذا خرجت في الناس**) أي المتخلفين من مؤمن معذور أو

بَعْدَ خُرُوج رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْزُنُني أَنّي لا أَرَى لِي أُسْوَةً إِلا رَجُلاً مَغمُوصًا عَلَيْهِ فِي النّفَاقِ، أَوْ رَجُلاً مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ تعالَى مِنَ الضُّعَفَاءِ، ولَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ: «مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ»؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِن بَنِي سَلِمَةَ: يا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ والنَّظَرُ فِي عِطفَيْه، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، واللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلا خَيْرًا،

منافق مغرور (**بعد خروج رسول الله ﷺ يحزنني**) بفتح التحتية وضم الزاي من حزن ويجوز ضم التحتية وكسر الزاي من أحزن (**أني**) وفي نسخة «أن» (**لا أرى لي أسوة**) فاعل يحزن. والظرف في محل الحال من أسوة وهي بضم الهمزة وقد تكسر القدوة (**إلا رجلًا مغموصًا**) بإعجام الغين وإهمال الصاد أي مطعونًا (**عليه**) في دينه محتقرًا متهمًا (**في النفاق**) أي إظهار الإسلام وإخفاء الكفر. ولا يخفى ما اشتملت عليه هذه الجملة من الاستعارة المكنية وما يتبعها من الاستعارة التخييلية (**أو رجلًا ممن عذر الله تعالى**) أي عذره الله (**من الضعفاء**) بيان لمن (**ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك**) هكذا في «نسخ الرياض» ممنوع الصرف على إرادة البقعة. قال المصنف: وهو في أكثر نسخ «الصحيحين» تبوكًا بالصرف، وكأنه صرفه لإرادة المكان دون البقعة (**فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بني سلمة**) بكسر اللام بطن من الأنصار، واسم ذلك الرجل عبد الله ابن أنيس (**يا رسول الله حبسه برداه**) بضم الباء، يعني الرداء والإزار أو الرداء والقميص، وسماهما بردين لأن الإزار والقميص قد يكونان من برد والبرود ثياب من اليمن فيها خطوط، (**والنظر في عطفيه**) بكسر المهملة الأولى أي جانبيه كناية عن العجب. وكانت نسبة باطلة بدليل ردّ العدل الفاضل معاذ بن جبل عليه كما قال: (**فقال له معاذ بن جبل بئس ما**) أي بئس هو قولا (**قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا**) ففيه جواز ذمّ المتكلم بالعيب والقبيح في حق المسلم ونصرة المسلم

فسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَيْنَا هُوَ على ذلِكَ رَأى رَجُلاً مُبيضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ»، فَإِذَا هُوَ أبو خَيْثَمَةَ الأَنْصَارِيُّ، وَهُوَ الذِي تَصَدَّقَ بِصاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ. قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا بلغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قدْ تَوَجَّهَ قَافِلاً مِن تَبُوكَ حَضَرَني بَثّي، فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَ أَخْرُجُ مِن سَخَطِه غَدًا؟ وَأَسْتَعِينُ على ذلِكَ بِكلّ ذِي رَأيٍ مِنْ أَهْلي، فَلَمَّا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

في غيبته والرد عن عرضه. (**فسكت رسول الله ﷺ**) أي عن السؤال عن حال كعب، زاد مسلم على البخاري (**فبينا هو على ذلك رأى رجلاً مبيضًا**) من البياض أي لابس البياض، (**يزول**) أي يتحرك وينهض (**به السراب**) هو ما يظهر للإنسان في الهواجر في البراري كأنه ماء (**فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة**) لفظهُ لفظ الأمر ومعناه الدعاء، وقال النووي في «شرح صحيح مسلم»: «قيل معناه أنت أبو خيثمة. قال ثعلب: العرب تقول كن زيدًا أي أنت زيد. قال القاضي عياض: والأشبه عندي أنّ كن هنا للتحقيق والوجود أي لتوجد يا هذا الشخص أبا خيثمة حقيقة وهذا الذي قاله القاضي هو الصواب» اهـ (**فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري**) إذا فجائية والجملة بعدها في محل جرّ بالإضافة (**و**) أبو خيثمة (**هو الذي تصدّق بصاع التمر حين لمزه المنافقون**) واللمز: الطعن. انتهت زيادة مسلم (**قال كعب: فلما أن بلغني أن رسول الله ﷺ**) بفتح الهمزة (**قد توجه قافلاً**) أي راجعًا (**من تبوك**) بالصرف وعدمه على ما تقدم (**حضرني بثي**) جواب للما. وعند البخاري «حضرني همي» والبث أشد الحزن (**فطفقت**) أي أخذت (**أتذكر الكذب**) أي ما يقبله السامع من الآتي به والجملة خبر طفق (**وأقول**) عطف على خبر طفق (**بم**) أي أقول بأي شيء من الأعذار (**أخرج من سخطه**) بفتحتين أو بضم فسكون أي من كراهيته لتخلفي وعدم رضاه به (**غدًا وأستعين على ذلك**) أي المخرج لي من سخطه وعدم رضاه (**بكل ذي**) أي صاحب (**رأي من أهلي فلما قيل**) أي تحدث وليس المراد منه تضعيف المخبر عنه (**إن رسول الله ﷺ**)

قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنّي الْبَاطِلُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنّي لَمْ أَنْجُ مِنْه بِشْيءٍ أَبَدًا فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَصَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِن سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكانُوا بِضْعةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً، فَقَبِلَ مِنْهُمْ عَلانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ

بكسر الهمزة محكي أي قيل هذا اللفظ (**قد أظل**) بالمعجمة المشالة أي أقبل ودنا كأنه ألقى عليه ظله (**قادمًا زاح عني الباطل**) أي زال وذهب، والمراد بالباطل ما كان عزم عليه من التنصل من سخطه بالإخبار بغير مطابق للواقع (**حتى عرفت أني لم أنج**) بفتح الهمزة وسكون النون وضم الجيم (**منه**) أي من سخطه نجاة نافعة (**بشيء**) أي من الكذب، وفي نسخة «بشيء فيه كذب» (**أبدًا**) أي لا أنجو به نجاة أبدية وإن نجوت به في الحال، لكن يحصل خلافه عند كشف الله لنبيه عن حقيقة الأمر كما جرى للمنافقين، والأبد الزمن المستقبل (**فأجمعت صدقه**) أي عزمت عليه، (**وصبَّح رسول الله ﷺ قادمًا وكان إذا قدم**) بكسر الدال مضارعه يقدم بفتحها (**من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين**) تحية المسجد، إنما كان يفعل ذلك ليبدأ بتعظيم بيت الله قبل بيته وليقوم بشكر نعمة الله عليه في سلامته، (**ثم جلس للناس**) أي ليسلموا عليه ويهنئوه بالسلامة (**فلما فعل ذلك**) أي المذكور من صلاة التحية والجلوس للناس معتكفًا كما يومئ إليه علو مقامه والاعتكاف يحصل بما زاد على الطمأنينة ولا يتوقف على الصوم (**جاءه المخلفون**) اسم مفعول أي عن الخروج معه إلى تبوك. فطفقوا (**يعتذرون إليه**) من تخلفهم عنه (**ويحلفون له**) على ما يعتذرون به (**وكانوا بضعة وثمانين رجلًا**) والبضع ما بين الثلاث إلى التسع من العدد. ثم منهم من اعتذر بالمرض ومنهم من اعتذر بغيره مما هو كاذب فيه (**فقبل منهم علانيتهم**) بتخفيف التحتية أي ما أظهروه إجراء للأحكام على ظاهر الأمر (**وبايعهم**) بالموحدة (**واستغفر لهم**) أي سأل الله غفر ذنب المتخلف عنه (**ووكل**) بتخفيف الكاف (**سرائرهم**) جمع

إِلَى اللَّهِ تعالَى حَتَّى جِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لي: «مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُن قَدِ ابْتَعتَ ظَهْرَكَ؟» قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنّي سَأَخرُجُ مِن سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلا، وَلَكِنّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضى بِهِ عَنّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ يُسْخِطُكَ عليَّ، وَإِنْ

سريرة أي ما أخفوه من النفاق وقصد الإخبار بخلاف الواقع (**إلى**) علم (**الله حتى جئت، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب**) أي الغضبان، وفي التعبير به دونه إيماء إلى أن الغضب منه ﷺ إنما يكون عارضًا بسبب أمر يقتضيه وإلا فخلقه الكريم الرضى والعفو والصفح والتجاوز عما لا معصية فيه من الأمور (**ثم قال: تعال**) بفتح اللام (**فجئت**) أي عقب الأمر من غير تراخ ففيه ما كان عليه الصحابة من البدار لأداء أوامره ﷺ (**أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: ما**) أي ما الذي (**خلفك**) أي ما كان سبب تخلفك عن الخروج معي لتبوك. (**ألم تكن قد ابتعت**) أي اشتريت (**ظهرك**) الظهر هي الإبل التي تركب (**قال قلت: يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بـ**) ذكر (**عذر**) أبديه موريًا أو موجهًا (**ولقد أعطيت**) بالبناء للمجهول (**جدلا**) بفتح أوليه الجيم فالمهملة أي فصاحة وقوة في الكلام وبراعة بحيث أخرج عن عهدة ما ينسب إليّ إذا أردت، ثم أكد ما قبله بقوله (**ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب**) بفتح فكسر (**ترضى به عني**) لفصاحته وبراعته الموهمة أنه كذلك في الواقع (**ليوشكن الله**) أن (**يسخطك عليّ**) والتقدير ولكني مع الحال المذكورة لا أفعل لعلمي بأن الله يجلي لك الأحوال ويظهر لك الصادق والكاذب من المقال، ففيه التنبيه على اجتناب المعاصي، فإنها وإن كانت قد تحلو ساعة مباشرتها بتزيين الشيطان وإغوائه إلا أنها مرة المجنى منقصة في المعنى لمن استنارت بصيرته وجليت سريرته (**وإن**

حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاللَّهِ مَا كانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، واللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلا أَيْسَرَ مِنّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ.

قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَمَّا هذَا فَقد صَدَقَ فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فيكَ»، وَثَارَ رجالٌ مِن بَني سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي: واللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هذَا، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَن لا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ

حدثتك حديث صدق تجد) بكسر الجيم وتخفيف المهملة أي تغضب **(عليّ فيه)** أي لأني ملوم بسببه واقع في المخالفة به، فقوله: **(إني لأرجو فيه)** أي الصدق **(عقبى الله عز وجل)** جواب القسم، والعقبى بضم العين المهملة وسكون القاف أي العاقبة الحسنة أي أرجو من الله تعالى أن يعقبني خيرًا بتوبته علي وإرضاء نبيه ﷺ عني، وقد حقق الله له رجاءه **(والله ما كان لي من عذر)** أي حقيقي في التخلف فأعتذر به **(والله ما كنت قط)** بفتح القاف وتشديد المهملة المضمومة على الأفصح **(أقوى)** أي في البدن **(ولا أيسر)** أي في المال **(مني)** هو المفضل عليه وتفضيل الشيء على نفسه باختلاف الزمان **(حين)** أي وقت **(تخلفت عنك فقال رسول الله ﷺ: أما)** بفتح الهمزة وتشديد الميم حرف فيه معنى الشرط والتفصيل **(هذا فقد صدق فقم)** الفاء فيه فصيحة أي حيثما صدقت فقم **(حتى يقضي الله)** أي يبدي في عالم الشهادة ما سبق به قضاؤه الأزلي **(فيك)** أي في شأنك أي من المؤاخذة بجريرة ذنب التخلف المحرم من غير عذر أو العفو عنه أو التوبة عليه والرضى عنه لما تجرعته من مرارة الصدق الشاق عليك لما ترتب عليه فقمت **(وثار)** بالمثلثة أي وثب **(رجال من بني سلمة)** بفتح المهملة وكسر اللام بطن من الأنصار **(فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك أذنبت ذنبًا قبل هذا)** التخلف **(لقد عجزت)** بفتح الجيم على الأفصح **(في)** تعليلية نحو ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ ﴿١٤﴾﴾ [سورة النور] **(أن لا تكون اعتذرت)** أي بسبب

إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ، فَقَد كانَ كافِيكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ. قَالَ: فَوَاللهِ مَا زَالُوا يؤَنّبُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأُكذّبَ نَفْسِي، ثمَّ قلْتُ لَهُمْ: هَل لَقِيَ هذَا مَعِيَ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ قَالا مِثْلَ مَا قلْتَ، وَقيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ، قَالَ: قُلْتُ مَنْ هُما؟ قَالُوا: مُرَارَةُ ابْنُ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيُّ، وَهِلالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ. قَالَ: فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَد شَهِدَا بَدرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ، قَالَ: فَمَضَيْتُ

عدم اعتذارك (**إلى رسول الله ﷺ بما**) أي بمثل الذي (**اعتذر به إليه المخلفون**) فإن كان ذنبًا لكونه كذبًا لم تورّ (**فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك قال**) كعب (**فوالله ما زالوا يؤنبونني**) أي يلومونني أشد اللوم (**حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذب نفسي**) أي أقول إنها كاذبة في قول السابق ما كان لي من عذر (**ثم قلت لهم: هل لقي هذا**) أي الصدق في المقال وذكر الواقع الذي لمتوني به (**معي من**) مزيدة (**أحد**) فيهون عليَّ الأمر وأجد لي مساويًا في ذلك (**قالوا نعم، لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت**) أي من الإخبار بانتفاء العذر المانع من الخروج (**وقيل لهما مثل ما قيل لك**) أي من انتظار ظهور ما سبق به القضاء في شأنهما (**قال**) كعب (**قلت من هما؟ قالوا**): هما (**مرارة**) بضم الميم وتكرار الراء (**ابن الربيع العامري**) هذا لفظ مسلم قال النووي في شرح مسلم: «هكذا هو في جميع نسخ مسلم العامري وأنكره العلماء وقالوا هو غلط إنما صوابه العَمْرِي» (**وهلال**) بوزن بلال (**ابن أمية**) بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف ابن امرئ القيس بن مالك بن الأوس (**الواقفي**) بقاف ففاء منسوبًا إلى بني واقف المذكور في النسب واسمه مالك بطن من الأنصار (**قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا**) أي غزوة بدر الكبرى وأهلها لهم الشرف الأعلى، (**فيهما أسوة**) بضم الهمزة وكسرها أي قدوة (**قال**) كعب: (**فمضيت**) أي مصممًا على ما وقع مني من الإخبار بالصدق

حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي. وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَن كَلامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَة مِن بَيْنِ مَن تَخَلَّفَ عَنْهُ، قَالَ: فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، أَوْ قَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ لِي فِي نَفْسِي الأَرضُ فَمَا هِيَ بِالأَرض التي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا على ذلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً؛ فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَٱسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ

(**حين ذكروهما لي**) بمثل ذلك (**ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة**) ففيه وجوب هوان من ظهرت منه المعصية فلم يسلم عليه إلى أن يقلع وتظهر توبته. وأي بالضم والثلاثة (**من بين**) أي دون (**من**) أي سائر الذي (**تخلف عنه**) وذلك لرفع شأن هؤلاء الكرام وإعراضه عن باقي المتخلفين لأنهم اعتذروا، ومنهم المعذور حقيقة، ومنهم المنافقون اعتذروا ظاهرًا فقبل منهم ذلك لأن الأحكام الشرعية مبناها عليه، وقد فضح الله سرائرهم وأظهر للمؤمنين ضمائرهم كما يأتي ءاخر الحديث (**قال فاجتنبنا**) بفتح الموحدة (**الناس**) أي صاروا لنا مجانبين (**أو**) شك من الراوي (**قال**) ف (**تغيروا لنا**) عما كنا نعهده من الأنس والوداد منهم (**حتى تنكرت**) غاية لما قبلها وتنكرت تغيرت (**لي في نفسي الأرض**) أي تغيرت لي لا لغيري في نفسي أي عندها لا في نفس الأمر (**فما هي**) أي الأرض الآن (**بالأرض التي أعرف**) والحاصل أنه لعظم ما اشتدّ عليه الأمر توهم أنه تغير عليه كل شيء حتى الأرض، فإنها توحشت وصارت كأنها غير الأرض التي كان يعرفها قبل ذلك (**فلبثنا**) أي أقمنا (**على ذلك**) المذكور من الانتظار لما يبدو في عالم الشهادة مما سبق به القضاء، وهجر الناس لنا (**خمسين ليلة**) أي ونهارًا (**فأما**) بفتح الهمزة تفصيل لبعض حاله وحال صاحبيه (**صاحباي**) أي المشاركان لي في هذا الحال (**فاستكانا**) أي خضعا (**وقعدا في بيوتهما يبكيان**) أي على خطيئتهما ففيه بكاء الإنسان على خطيئته، وفي الحديث: «وابك على خطيئتك وليسعك بيتك» (**وأما أنا فكنت أشبّ القوم**) بالمعجمة فالموحدة

وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاةَ وَأَطُوفُ في الأَسْوَاقِ وَلا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَءاتي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ في مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَأَقُولُ في نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدّ السَّلام أَمْ لا؟ ثُمَّ أُصلّي قَرِيبًا مِنْهُ وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ على صَلاتِي نَظَرَ إِلَيَّ وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنّي حَتَّى إِذَا طَالَ ذلِكَ عَلَيَّ مِن جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ

أي أصغرهم سنًا (**وأجلدهم**) أي أقواهم (**فكنت أخرج**) إلى المسجد وغيره (**فأشهد الصلاة**) أي أشهد الجماعة في الصلوات المكتوبات (**وأطوف**) بفتح الهمزة وبالمهملة أي أمشي دائرًا (**في الأسواق**) جمع سوق سميت بذلك لسوق الناس بضائعهم إليها، (**ولا يكلمني أحد**) معطوفة على وأطوف ويصح كونها في محل الحال (**وءاتي رسول الله ﷺ**) تشرفًا برؤيته وإراحة القلب من ألم الكرب، ففيه أن حبه له الأكيد لم يغيره عنه ما صدر من الأمر فيه بالتبعيد (**فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة**) فيه الجلوس عقب الصلاة في المصلى للذكر والدعاء ونحوهما، وأتردد هل رد عليه الصلاة والسلام بلسانه على السلام (**فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه**) بفتح المعجمة أي أقول هل حركهما ناطقًا (**برد السلام**) عليّ كما هو قضية صفحه وعفوه والانزجار يحصل بعدوله عن الجهر بذلك إلى الإسرار (**أم لا**) لقضية ما صدر مني من العصيان المقتضي للهجران. (**ثم أصلي قريبًا منه**) للنافلة والرواتب (**وأسارقه النظر**) بالمهملة والقاف أي أنظر إليه في خفية. ففيه أن مسارقة النظر في الصلاة وكذا الالتفات لا يبطلها (**فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي**) لما ورد من إقبال المولى سبحانه على المقبل بقلبه وقالبه على مولاه (**وإذا التفت نحوه**) في صلاتي (**أعرض عني**) إذ الالتفات في الصلاة اختلاس من الشيطان كما ورد في الحديث مع ما ينبئ عنه من الغفلة الشاهد بها خبر «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه» (**حتى إذا طال ذلك علي من**) بيانية لذلك (**جفوة**) بفتح الجيم وسكون الفاء أي إعراض (**المسلمين**) ويجوز أن يكون المشار إليه ما تقدم (**مشيت**) واستمررت في

حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ٱبْنُ عَمّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلّمْتُ عَلَيْهِ فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ باللَّهِ هَلْ تَعْلَمُني أُحِبُّ اللَّهَ ورَسُولَهُ ﷺ؟ فَسَكَتَ، فَعُدتُ فَنَاشَدتُهُ فَسَكَتَ، فعُدتُ فَنَاشَدتُهُ فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ،

المشي (**حتى تسورت**) بتشديد الواو أي علوت سور (**جدار حائط**) هو البستان إذا كان عليه دائر بناء. وفيه جواز دخول الإنسان دار صديقه وقريبه الذي يدل عليه ويعرف أنه لا يكره ذلك بغير إذنه بشرط أن يعلم أنه ليس هناك نحو زوجة مكشوفة (**أبي قتادة**) بفتح القاف (**وهو ابن عمي**) أي بحائل، ووجهه أنهما يجتمعان في كعب بن سلمة، وهو الجد الخامس لكعب والسادس لأبي قتادة (**وأحب الناس إليّ**) أي أكثرهم محبوبية إليّ لقرابته في النسب، أو لغير ذلك من السبب (**فسلمت عليه فوالله ما رد عليّ السلام**) لعموم النهي عن كلام كعب وصاحبيه، ففيه عدم رد السلام على نحو المبتدع، وأن السلام كلام فيحنث به من حلف لا يكلم فلانًا فسلم عليه أو رده عليه وإن كان واجبًا عليه، وإيثار طاعة الله ورسوله على مودة الصديق والقريب ونحوهما (**فقلت له يا أبا قتادة أنشدك**) بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة أي أسألك (**بالله**) وأصله من النشيد وهو الصوت (**هل تعلمني**) أي بما تراه من الشواهد والآيات (**أحب الله ورسوله** ﷺ) محبتهما طاعة أمرهما ومنها الإيمان وفعل الطاعات وترك مخالفتهما.

(**فسكت**) عن الجواب لما تقدم (**فعدت**) له (**فناشدته**) أي نشدته (**فسكت فعدت**) إليه (**فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم**). قال القاضي عياض: لعل أبا قتادة لم يقصد بهذا تكليمه به لأنه منهي عن كلامه، وإنما قال ذلك لنفسه لما ناشده بالله فقال أبو قتادة مظهرًا لاعتقاده لا ليسمعه إذ من حلف لا يكلم فلانًا فسأله عن شيء فقال الله أعلم يريد إسماعه وجوابه حنث، فإن لم يرد ذلك فلا حنث (**ففاضت عيناي**) أي

وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي في سُوق الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِن نَبَطِ أَهْلِ الشَّام مِمَّن قَدِمَ بالطَّعَام يَبيعُهُ بالمَدِينَةِ يَقُولُ: مَن يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حتَّى جاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كتَابًا من مَلِكِ غَسَّانَ، وَكُنْتُ كاتِبًا، فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَد بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَد جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بدَارِ هَوَانٍ وَلا مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ. فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا: وهذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ

كثرت دموع عيني (**وتوليت**) راجعًا من حيث أتيت (**حتى تسورت الجدار فبينا**) بألف الإشباع (**أنا أمشي في سوق المدينة**) علم بالغلبة على دار هجرته ﷺ، وسميت بذلك لأنها يطاع الله فيها، والدين الطاعة (**إذا نبطي**) بفتح النون والموحدة الفلاح سمي به لأنه يستنبط الماء أي يستخرجه (**من نبط**) بفتح أوليه أي فلاحي (**أهل الشام**) بالهمزة الساكنة وقال الجوهري: يجوز تذكيره وتأنيثه، سمي بذلك باسم سام بن نوح واسمه بالسريانية شام. (**ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل**) بضم المهملة (**على كعب بن مالك فطفق**) أي أخذ (**الناس يشيرون له إليّ، حتى جاءني فدفع إليّ كتابًا من ملك غسان**) بفتح المعجمة وتشديد المهملة ءاخره نون واسمه جبلة بن الأيهم (**وكنت كاتبًا**) أي قارئًا (**فقرأته فإذا فيه: أما بعد**) بالبناء على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه (**فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك**) أي أعرض عنك (**ولم يجعلك الله بدار هوان**) أي منقطعًا بدار تهان فيها (**ولا**) بدار أو حال (**مضيعة**) بسكون المعجمة ويجوز كسرها مع فتح الميم فيهما أي في دار أو حال يضاع فيهما حقك أي فإذا حصل لك ما عرض حلوله بك (**فالحق**) بفتح المهملة (**بنا نواسك**) بضم النون وكسر المهملة من المواساة وفي بعض نسخ مسلم إثباتها (**فقلت حين قرأتها**) أي الكتابة المعبر عنها بالكتاب (**وهذه**) الواقعة (**أيضًا من البلاء**) أي الابتلاء ليترتب عليه ما يليق مما يصدر عنه من رسوخ قدم يحمد عليه أو أمر يوجب الندم (**فتيممت**) أي قصدت. ولمسلم فتأممت وهي لغة (**بها التنور**) أنث الضمير في بها وفي

فَسَجَرتُهَا، حَتى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ وَاسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِيني فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَن تَعْتَزِلَ امْرأَتَكَ. فَقُلْتُ: أُطَلّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ فَقَالَ: لا بَل اعْتَزِلْهَا فَلا تَقْرَبَنَّهَا، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذلِكَ، فَقُلْتُ لامْرَأَتي: الْحَقِي بأَهْلِكِ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتى يَقْضِيَ اللَّهُ في هذَا الأَمْرِ، فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هِلالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ

قوله: (**فسجرتها**) بمهملة وجيم وراء أي أوقدت الكتاب لما ذكر ءانفًا، والتنور الذي يخبز فيه، (**حتى إذا مضت أربعون**) غاية لمقدر أي استمررت على ذلك الأمر المذكور من غير زيادة عليه حتى مضت أربعون ليلة ويومًا (**من الخمسين واستلبث**) أي أبطأ وجملة استلبث (**الوحي**) من زيادة مسلم على البخاري (**إذا**) فجائية (**رسول رسول الله ﷺ**) في رواية الواقدي أنه خزيمة بن ثابت قال: وهو الرسول إلى هلال ومرارة بذلك (**يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك**) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: «هي عميرة بنت جبير بن صخر بن أمية الأنصارية أمّ أولاده الثلاثة عبد الله وعبيد الله ومعبد» اهـ (**فقلت**) ما المراد من اعتزالها (**أطلقها**) بضم همزة الاستفهام مقدرة بدليل قوله (**أم ماذا**) أي ما الذي (**أفعل؟ فقال لا**) تطلقها (**بل اعتزلها**) أمر بترك مخالطتها مخالطة الزوجات من الجماع ومقدماته كما فسره بقوله (**فلا تقربنها، وأرسل**) رسول الله ﷺ (**إلى صاحبيّ**) بتشديد ياء المتكلم المدغم فيها ياء المثنى يأمرهما (**بمثل ذلك**) أي الاعتزال المفسر بعدم قرب الزوجة (**فقلت لامرأتي: الحقي**) بهمزة وصل وفتح المهملة بعدها قاف (**بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر**) وقوله: «الحقي بأهلك» من كنايات الطلاق ولكونه لم ينوه به لم يقع عليه (**فجاءت امرأة هلال بن أمية**) هي خولة بنت عاصم قاله الحافظ ابن حجر (**رسول الله ﷺ فقالت له**) اللام للتبليغ (**يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ**) أي ذو

ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «لا، وَلكِن لا يَقْرَبَنَّكِ». فَقَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيءٍ، وَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كانَ إِلَى يَوْمِه هذَا. فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَو اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ في امْرَأَتِكَ فَقَد أَذِنَ لامْرَأَةِ هِلالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَن تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: لا أَسْتَأْذِنُ فيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وما يُدرِيني ماذَا يَقُولُ لي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا

سنّ (**ضائع**) بالمعجمة وبعد الألف همزة ثم عين مهملة، وفسرته بقولها (**ليس له خادم**) أي من يقوم بما يحتاجه من خدمة، يقع على الذكر والأنثى بلفظ واحد (**فهل تكره أن أخدمه**) بضم المهملة (**قال: لا**) أي لا أكره أن تخدميه (**ولكن**) استدراك لما قد يتوهم من شمول الخدمة للتمتع بها (**لا يقربنك**) بضم الراء وفتح الموحدة بعدها نون توكيد، كناية عن الجماع (**فقالت**) لا حاجة إلى منعه من ذلك (**إنه**) أي الشأن أو هلالا (**والله**) جملة قسمية أتى بها لتأكيد المقال (**ما به حركة**) وفي نسخة من حركة بزيادة من، والحركة بفتحات أي داعية تحركه (**إلى شيء**) من الجماع ومقدماته لما هو فيه من الكرب، (**ووالله**) يحتمل العطف على جملة القسم السابقة ويحتمل الاستئناف (**ما زال يبكي**) على تخلفه المتسبب عليه ما ءال إليه أمره (**منذ كان من أمره**) أي شأنه (**ما كان**) من تخلفه عن الخروج وما ترتب عليه (**إلى يومه هذا**) وفي نسخة «الآن»، قال كعب: (**فقال**) أي أشار (**لي بعض أهلي**) لما أمرت امرأتي بالذهاب لأهلها قال الحافظ لم أقف على اسمه (**لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك**) أي في خدمتها (**فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه**) وقد استشكل هذا بنهيه ﷺ عن كلام الثلاثة. وأجيب بأنه يحتمل أنه عبر عن الإشارة بالقول كما أشرت إليه، أو أن النهي كان خاصًا بالرجال والقائل كان امرأة، أو كان هذا الكلام ممن يخدم المنهيّ عن كلامه فلم يدخل في النهي. (**فقلت لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ**) وأشار إلى الفرق بين حاله وحال هلال بقوله: (**وما يدريني**) بضم التحتية (**ماذا يقول لي رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها**) أي

وأنا رَجُلٌ شَابٌّ، فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيالٍ، فَكَمُلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نُهِيَ عَن كَلامِنَا.

ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلاَةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِن بُيُوتِنَا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَال الَّتي قَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَّا قَد ضَاقَتْ عليَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عليَّ الأَرضُ بِمَا رَحُبَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يا كَعْبُ بْن مَالِكٍ أَبْشِرْ، فَخَررتُ سَاجِدًا

من الإذن في ذلك أو المنع منه، وفي نسخة بدون «لي» (**وأنا رجل شاب**) جملة حالية من فاعل يقول، وأشار به إلى وجه احتمال منعه دون هلال لكونه رجلًا شابًا، (**فلبثت**) أي أقمت (**بذلك**) أي من ذلك المذكور من إرسال الزوجة (**عشر ليال**) أي مع أيامها (**فكمل**) بتثليث الميم أي تمّ بضمها إلى الأربعين السابقة على الأمر باعتزال الزوجة (**لنا خمسون ليلة**) ويومًا واقتصر عليها في جميع ما ذكر لأنها الأصل والنهار تابع لها (**من حين**) بفتح النون (**نهي**) بالبناء للمفعول أي وقع النهي للمسلمين غير من تقدم (**عن كلامنا ثم صليت صلاة الفجر صباح**) منصوب على الظرفية أي في صباح تلك الليلة المكملة (**خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي قد ذكر**) ها (**الله تعالى منا**) أي عنا أيها الثلاثة وفي نسخة «منا» وبينها بقوله: (**قد ضاقت عليّ نفسي**) أي قلبي من فرط الوحشة والغمّ بحيث لا يسعها أنس ولا سرور (**وضاقت عليّ**) بتشديد التحتية. وعند مسلم وضاقت بي (**الأرض بما رحبت**) أي برحبها، فما مصدرية، والرحب بضم الراء وسكون الحاء المهملتين السعة (**سمعت صوت صارخ**) هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد تاب الله على كعب، (**أوفى**) بالفاء أي صعد وارتفع (**على سلع**) بفتح السين وسكون اللام جبل بالمدينة معروف (**يقول**) جاهرًا (**بأعلى صوته يا كعب بن مالك**) بنصب «ابن» وفي «كعب» الضم والفتح (**أبشر**) حذف المفعول لتذهب النفس في طرف السرور كل مسلك (**فخررت ساجدًا**) سجدة الشكر على اندفاع ما كان فيه من الحال وبلوغه

وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَد جَاءَ فَرَجٌ، فآذنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشّرُونَنَا، فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبيَّ مُبَشّرُونَ وَرَكَضَ رَجُلٌ إليَّ فَرَسًا وَسَعَى ساعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي وَأَوْفى عَلَى الْجَبَلِ وكانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَني الَّذي سَمِعْتُ صَوتَهُ يُبَشّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ، وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَٱسْتَعَرتُ ثوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا وَٱنْطَلَقْتُ

إلى نعمة البشرى والإقبال. وفيه أن سجدة الشكر كانت معلومة عندهم معمولا بها فيما بينهم **(وعرفت)** من هذا التبشير **(أنه قد جاء فرج فآذن)** بالمد والقصر أي أعلم **(رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله عزَّ وجلَّ علينا)** أي بتوفيقه إيانا لها أو بتبرئته إيانا عن غفلة الذنب **(حين صلى صلاة الفجر)** ظرف لآذن **(فذهب الناس يبشروننا)** بالتوبة **(فذهب قبل)** بكسر ففتح أي جهة **(صاحبيّ)** بتشديد الياء **(مبشرون)** قال الفربري وخرج سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل إلى هلال يبشره فلما أخبره سجد ولقيه الناس يهنئونه فما استطاع المشي لما ناله من الضعف والحزن والبكاء حتى ركب حمارًا، وبشر مرارة بن الربيع سلكان بن سلامة فأقبل حتى توافوا يعني الثلاثة عند رسول الله ﷺ اهـ **(وركض رجل إليّ)** هو الزبير بن العوّام. أي جرى جريًا شديدًا **(فرسًا، وسعى ساع من أسلم)** هو حمزة ابن عمر الأسلمي **(قبلي، وأوفى)** بالفاء مقصورًا. أي أشرف وطلع **(على الجبل وكان الصوت)** أي وصول الصوت المذكور أي صوت الأسلمي المذكور بقرينة مجيئه له وطلبه شيئًا لبشارته **(أسرع من)** وصول صاحب **(الفرس، فلما جاءني)** الأسلمي **(الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيّ)** بتشديد التحتية **(فكسوتهما إياه ببشارته)** ففيه استحباب إجازة البشير بخلعة وإلا فبغيرها. والخلعة أحسن وهي المعتادة، وفيه كسوة البشير وإن لم يملك غيره، وفيه جواز إظهار الفرح بأمور الخير والدين وجواز البذل والهبات عندها **(والله ما أملك غيرهما)** أي من الثياب **(يومئذٍ)** أي وقت كسوتي له **(واستعرت ثوبين)** من أبي قتادة **(فلبستهما وانطلقت**

أَتَأَمَّمُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَلَقَّاني النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنّئُونني بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، حَتى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله رضِيَ الله عنه يُهَرْوِلُ حَتى صَافَحَني وَهَنَّأَني، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غيْرُهُ، فَكانَ كَعْبٌ لا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ. قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ»

أتأمم) أي أقصد **(رسول الله ﷺ فتلقاني الناس فوجًا)** أي جماعة **(فوجًا)** أي تلقوني زمرة بعد زمرة وجماعة بعد جماعة **(يهنئونني بالتوبة)** أي بقبولها **(ويقولون لتهنك)** بكسر النون. **(توبة الله عليك)** فيه دليل على جواز التهنئة بأمور الخير بل على ندبها إذا كانت دينية فإنها إظهار السرور بما يسر به أخوه المسلم وإظهار المحبة وتصفية القلب بالمودة **(حتى دخلت المسجد)** غاية لمقدر أي فسرت وحالي ما ذكر أي من تهنئة الناس لي إلى أن دخلت المسجد، **(فإذا)** فجائية **(رسول الله ﷺ جالس)** في المسجد **(حوله الناس)** الظرف لغو وحوله الناس خبر بعد خبر **(فقام)** إليّ **(طلحة بن عبيد الله)** أحد العشرة المبشرة **(رضي الله عنه يهرول حتى صافحني وهنأني)** فيه استحباب مصافحة القادم والقيام له إكرامًا والهرولة إلى لقائه بشاشة وفرحًا. قال كعب: **(والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره فكان كعب لا ينساها)** أي تلك الأفعال الجميلة من القيام له والهرولة والمصافحة والتهنئة **(لطلحة قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال)** أي بعد رد السلام **(وهو يبرق)** بضم الراء أي يلمع **(وجهه)** بالأنوار **(من)** تعليلية أي بسبب **(السرور)** بقبول الله تعالى توبتهم، ففيه ما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام من الحبور عند ظفر أحد من أمته بنوع من الخيور حال من فاعل قال، ومقول القول **(أبشر)** بقطع الهمزة **(بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك)**

فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»، وَكانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتى كأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذلِكَ فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِن تَوْبَتي أَن أَنْخَلِعَ مِن مَالي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وإِلَى رَسُولِهِ، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»

أي سوى يوم إسلامه، وإنما لم يستثنه لأنه معلوم لا بد منه (**فقلت**) هذا المبشر به (**أمن عندك يا رسول الله**) أي قلته اجتهادًا لأنك رأيت حصول مقصود الزجر بما وقع في هذه المدة (**أم**) هو وحي (**من عند الله قال**: **لا**) أي ليس من عندي (**بل من عند الله عز وجل وكان رسول الله ﷺ إذا سرّ**) من أمر (**استنار وجهه**) أي زاد نورًا إلى نوره (**حتى كأن وجهه قطعة قمر**) ءاثر ذكر القمر لأنه يتمكن من النظر إليه ويؤنس من شاهده من غير أذى يتولد عنه بخلاف الشمس ثم تشبيه بعض صفاته بنحو القمر والشمس جرى على عادة الشعراء والعرب في ذلك أو على سبيل التقريب والتمثيل وإلا فلا شيء يعادل شيئًا من أوصافه. وفيه يظهر السرور فناسب أن يشبه ببعض القمر (**وكنا**) معشر الصحابة المراقبين لمحاسن ذاته الملاحظين لأحواله (**نعرف ذلك**) أي الموضع الذي يتبين فيه السرور وهو جبينه (**فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله إن من**) شكر (**توبتي**) أي من شكر الله على توبتي أي التوفيق لها وقبولها، أو إن من علامة صدق توبتي (**أن أنخلع**) أي أخرج (**من مالي**) أي من جميعه (**صدقة**) مفعول له أو مطلق على تقدير أتصدق، أوفى معنى الحال أي متصدقًا (**إلى الله وإلى رسوله**) أعاد الجار للاهتمام وتنبيهًا على أن التقرب إليه مطلوب على سبيل الاستقلال (**فقال رسول الله ﷺ: أمسك بعض مالك**) أي دفعًا لضرر التصدق بكله (**فهو خير لك**). في «الفتح» للحافظ ابن حجر أن عند أبي داود عن كعب: «إن من توبتي أن أخرج من مالي كله إلى الله ورسوله صدقة، قال: لا، قلت: نصفه؟ قال: لا، قلت: فثلثه؟ قال: نعم» ولابن مردويه من طريق ابن عيينة عن الزهري

فَقُلْتُ: إِنّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصّدْقِ وَإِنَّ مِن تَوْبَتِي أَن لا أُحَدّثَ إِلا صِدْقًا مَا بَقِيتُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلاهُ اللَّهُ تعالى فِي صِدقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلانِي اللَّهُ تعالى، واللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمي هذَا وَإِنّي لأَرجُو

«فقال النبي ﷺ: ويجزي عنك من ذلك الثلث» اهـ. قال النووي في «شرح صحيح مسلم»: ولا يخالف هذا - أي قوله أمسك عليك بعض مالك - صدقة أبي بكر رضي الله عنه بجميع ماله - أي وقبوله له - فإنه كان صابرًا راضيًا» اهـ. (**فقلت: إني أمسك سهمي الذي بخيبر**) بفتح المعجمة وسكون التحتية وفتح الموحدة ءاخره راء مهملة غير مصروف في أكثر الأصول مرادًا به البقعة (**وقلت يا رسول الله إن الله تعالى إنما أنجاني**) من وصمة إثم التخلف عن المأمور به (**بالصدق**) أي بإخباري بالخبر المطابق للواقع وإن ترتب ما ترتب (**وإن من**) شكر أو صدق (**توبتي ألا أحدث**) أي إنسان حديثًا ما في أي شأن كان (**إلا صدقًا ما بقيت**) أي مدة بقائي ما لم يمنع من الصدق مانع. وإلا كأن كان فيه إفساد مصلحة للمسلمين في حروبهم أو نحو ذلك فلا، وفي الحديث المحافظة على سبب التوبة (**فوالله ما علمت أحدًا من المسلمين**) عند مسلم «ما أعلم أحدًا» (**أبلاه الله تعالى**) أي أنعم عليه (**في**) ملازمة (**صدق الحديث منذ ذكرت ذلك**) الالتزام بملازمة الصدق (**لرسول الله ﷺ**) إبلاء (**أحسن مما أبلاني الله تعالى**) به أي بتيسير الدوام على ذلك والوفاء بالالتزام. (**والله ما تعمدت كذبة**) قال النووي في شرح مسلم: بفتح الكاف وكسرها كل ذلك مع إسكان الذال، وهو في البخاري «كذبًا» بحذف الهاء (**منذ**) أي من حين (**قلت ذلك**) الالتزام (**لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا**) فيه أن الخطأ والنسيان المحترز عنهما بالعمد غير مؤاخذ به الإنسان، وهما لا ينقصان الالتزام (**وإني لأرجو**) من فضله

أَن يَحفَظَنِيَ اللَّهُ تعالى فيمَا بَقِيَ، قال: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالَى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴿١١٧﴾ حَتى بَلَغَ ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴿١١٨﴾ حَتى بَلَغَ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة التوبة]، قَالَ كَعْبٌ: وَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِن نِعْمَةٍ قَطُّ بَعدَ إِذْ هدانِي اللَّهُ لِلإِسْلام أَعْظَمَ فِي نَفْسي مِن صِدقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَلاَّ أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كما هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا،

تعالى (**أن يحفظني الله تعالى**) من الكذب (**فيما بقي**) لأنه تعالى كريم يستحي أن ينزع السر من أهله (**قال**) أي كعب مبينًا للآية التي نزلت فيها التوبة عليه وعلى صاحبيه (**فأنزل الله تعالى**) على نبيه ﷺ وهو في بيت أم سلمة حين بقي الثلث الأخير من الليل كما جاء في كتاب «التفسير من صحيح البخاري» (﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾) أدام توبته، وهي بالنسبة إلى النبي ﷺ تشريف مكانته في إعلاء رتبته. وقال بعضهم: تاب الله (﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾) أي تجاوز عنه (﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴿١١٧﴾﴾) بالعين المضمومة والسين الساكنة بعدها راء مهملات أي وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك (**حتى بلغ**) أي كعب في قراءته (﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾) أي في الآيات الثلاث (**قال كعب والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط**) أي في الزمن الماضي (**بعد إذ هداني الله للإسلام**) أي دلني عليه وأوصلني له. وفي نسخة هداني الله (**أعظم**) وصف لنعمة فتجوز قراءته منصوبًا باعتبار محلها لزيادة من، ومجرورًا باعتبار لفظها، ويجوز رفعه بتقدير هي أعظم (**في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته**) أن لا زائدة كما قال عياض وتبعه المصنف وغيره والمعنى ما أنعم الله عليّ نعمة هي أعظم من عدم كذبي فعدم هلاكي وكذبته بفتح الذال المخففة أي قلت له قولا كذبًا (**فأهلك**) بكسر اللام على الفصيح المشهور (**كما هلك الذين كذبوا**) أي هلاكًا

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شرَّ مَا قَالَ لأَحَدٍ فقال اللَّهُ تعالى ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [سورة التوبة].

قال كَعْبٌ: كُنَّا خُلِّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا

كهلاك الذين كذبوا الله القول في ادعاء الإيمان من المنافقين (**فإن الله تعالى قال للذين كذبوا**) أي عنهم (**حين أنزل**) على النبي (**الوحي شرّ ما قال**) أيّ قول (**لأحد**) أي عن أحد، ثم بين ذلك القول المجمل المنزل فيهم بقوله: (**فقال الله**) تبارك و(**تعالى** ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ﴾) رجعتم (﴿إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾) بترك المعاتبة (﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾) فأعطوهم طلبتهم (﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾) قذر لخبث باطنهم فلا يؤثر فيهم العقاب، بخلاف المؤمن إذا فرطت منه زلة فوبخ عليها طهره التوبيخ بالتوبة منها والاستغفار (﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾) يعني تكفيهم النار عتابًا فلا تتكلفوا عتابهم (﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ﴾) أي بالله (﴿لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ﴾) أي: غرضهم بالحلف طلب رضاكم لينفعهم في دنياهم (﴿فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾) أي عنهم، ولا ينفعهم رضاكم عنهم مع سخط الله، بل يكونون عرضة لعاجل عقوبته وءاجلها (**قال كعب: كنا خلفنا**) بالبناء للمجهول أخص (**أيها الثلاثة**) بتأخير أمرنا وبيان شأننا فلم يقض فينا بشيء (**عن أمر أولئك**) المعتذرين (**الذين**) كذبوا الله ورسوله و(**قبل منهم رسول الله ﷺ**) عذرهم في التخلف (**حين حلفوا له**) إنهم صادقون فيما اعتذروا به (**فبايعهم**) أي عاقدهم على الإسلام وعاهدهم عليه (**واستغفر لهم**) أي بنحو غفر الله لكم (**وأرجأ**) أخر (**رسول الله ﷺ أمرنا**) فلم يقض

حَتَّى قَضَى اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ بِذلِكَ، قال اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة التوبة]، وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ مِمَّا خُلِّفْنَا تَخَلُّفَنَا عَنِ الْغَزْوِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّن حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيه فَقَبِلَ مِنْهُ». متفقٌ عليه.

وفي روايةٍ: «أَنَّ النّبيَّ ﷺ خَرَجَ في غَزْوَةِ تَبُوكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَكَانَ يُحِبُّ أَن يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ».

وفي روايةٍ: «كَانَ لا يَقْدَمُ مِن سَفَرٍ إِلا نَهَارًا في الضُّحَى، فَإِذَا قدِمَ بَدَأَ بالْمَسْجِدِ

فيه بشيء (**حتى قضى الله تعالى**) أي أبرز ما سبق قضاؤه (**فيه**) وأنزل فيه الآية فـ (**بذلك**) أي فعن ذلك التخليف (**قال الله تعالى** ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴿١١٨﴾﴾) هو معنى ما تقدم في تفسير الآية من قولنا خلفوا عن التوبة أي عن قبولها حالا كما قبلت من المعذرين وأرجأ أمر هؤلاء الثلاثة (**وليس الذي ذكر**) بالبناء للمجهول (**مما خلفنا**) أي من تخليفنا المخبر عنه بقوله: «خلفوا» (**تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه ﷺ إيانا**) عمن قبله من أولئك المعتذرين (**وإرجاؤه**) تأخيره (**أمرنا**) أي بيانه وإيضاحه (**عن**) أي عن أمر (**من حلف له واعتذر إليه**) من المعذرين (**فقبل منه متفق عليه**) أي رواه الشيخان وإن وقع بينهما اختلاف يسير في زيادة كلمة أو نقصها أو تقديم أو تأخير (**وفي رواية: أن النبيّ ﷺ خرج**) من المدينة (**في غزوة تبوك يوم الخميس، وكان يحبّ أن يخرج**) لسفره (**يوم الخميس**) في «الصحيحين» من حديث كعب «قلما خرج رسول الله ﷺ في سفر إلا يوم الخميس» ورواه النسائي. (**وفي رواية**) للبخاري من حديث كعب (**كان لا يقدم من سفر إلا نهارًا**) ونهى عن طروق المسافر أهله ليلًا ما لم يشع خبر قدومه كأن كان في قفل ووصلوا لقرب البلد نهارًا وعلم ذلك الخبر لأهل البلد فلا بأس بالقدوم ليلًا حينئذٍ (**في الضحى**) لأنه أطيب ما في النهار لما فيه من حسن الهواء (**فإذا قدم**) بكسر الدال (**بدأ بالمسجد**)

فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثمَّ جَلَسَ فِيه».

٢٢ - وَعَنْ أَبِي نُجَيْدٍ - بضَمّ النُّون وَفَتْح الجيم - عِمْرَانَ بْنِ الحُصَيْنِ الخُزَاعِيّ رَضِيَ اللَّهُ عنهما أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وهِيَ حُبْلَى مِنَ الزّنا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْه عَلَيَّ، فَدَعَا نَبيُّ اللَّهِ ﷺ وليَّها فَقَالَ: «أَحسِنْ إِلَيهَا فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِني»

قبل دخول منزله اهتمامًا به وتعظيمًا لشعائر الله تعالى، وتقديمًا لحق الله تعالى على حق نفسه وأهله وشكرًا لنعمته عليه بسلامته من وعثاء السفر **(فصلَّى فيه ركعتين)** تحية **(ثم جلس فيه)** ليسلم عليه الناس.

٢٢ - **(وعن أبي نجيد)** بضم النون وفتح الجيم كني باسم ابنه نجيد **(عمران)** بكسر العين المهملة **(ابن الحصين)** بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين **(الخزاعي)** الكعبي **(رضي الله عنهما)** أسلم عام خيبر، وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات، وبعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى البصرة ليفقه أهلها. قال محمد بن سيرين: لم نر في البصرة أحدًا من أصحاب النبيّ ﷺ يفضل على عمران بن الحصين، وكان مجاب الدعوة. وكان تسلم عليه الملائكة في مرضه فاكتوى ففقد ذلك ثم عادت إليه، وكان به استسقاء طال به سنين وهو صابر عليه وشق بطنه وأخذ منه شحم وشق له سرير فبقي عليه ثلاثين سنة **(أن امرأة من جهينة)** وفي رواية أخرى لمسلم «جاءت امرأة من غامد» **(أتت رسول الله ﷺ: وهي حبلى من الزنا)** من تعليلية ويصح كونها ابتدائية **(فقالت: يا رسول الله أصبت حدًا)** أي ما يلزم به الحد فيكون مجازًا مرسلًا **(فأقمه عليّ)** أي لأطهر من تبعته في الآخرة. قال النووي في «شرح صحيح مسلم»: «فيه دليل على أن الحدّ يكفر ذنب المعصية التي حد لها» اهـ **(فدعا نبيّ الله ﷺ)** عبر عنها بنبيّ الله وأولا برسول الله تفننا في التعبير **(وليها فقال: أحسن إليها)** أمره بذلك خوفًا عليها من أن تحمل أقاربها الغيرة ولحوق العار بهم على أن يؤذوها، ورحمة لها إذ تابت **(فإذا وضعت)** حملها **(فائتني)** بها ففيه تأخير حدّ الزنى عن الحامل إلى أن تضع وتسقيه اللِّبَأ لئلا

فَفَعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ ثُمَّ صَلّى عَلَيْهَا. فَقَالَ له عُمَرُ رضِيَ الله عَنْهُ: تُصَلّي عَلَيْهَا يا رسُولَ اللَّهِ وَقَد زَنتْ؟ فقَالَ: «لَقَدْ تَابتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَن جَادَتْ بنَفْسِهَا للَّه عَزَّ وَجَلَّ؟». رواه مسلم.

يموت الجنين وهو مجمع عليه. فإن كان حدها الجلد لم تجلد حتى تضع بالإجماع **(ففعل)** أي ما أمره به **(فأمر بها نبيّ الله ﷺ)** أي بأن تهيأ للرجم لأنها كانت محصنة **(فشدت عليها ثيابها)** فعلت ذلك لئلا ينكشف ثوبها في تقلبها وتكرر اضطرابها **(ثم)** بعد أن شدت ثيابها **(أمر بها فرجمت)** في عدم تعرضه لحضوره ﷺ دلالة لمذهب الشافعي وموافقيه أنه لا يلزم الإمام حضور الرجم، وكذا لا يلزم الشهود إذا ثبت بشهادتهم. وقال أبو حنيفة وأحمد يحضر الإمام مطلقًا ويبدأ بالرجم إن ثبت بالإقرار وتحضر للشهود إن ثبت بشهادتهم ويبدءون بالرجم **(ثم)** بعد غسلها وتكفينها **(صلى)** النبي ﷺ **(عليها)** فيه دليل لمذهب الشافعي وءاخرين من أن الإمام وأهل الفضل يصلون على المرجوم كما يصلي عليه غيرهم، **(فقال له عمر رضي الله عنه تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت)** أي أتصلي وهو استكشاف لحكمة صلاته ﷺ عليها مع أنه وقع منها أمر يقتضي إهمال أمرها والإعراض عنها، وليس هو للإنكار **(فقال)** مبديًا لما خفي على عمر رضي الله تعالى عنه فإنه نظر إلى ما صدر منها من الفعل القبيح وهو الزنى وغفل عما ختمت به أمرها وهو التوبة النصوح فنبهه ﷺ عليه بقوله: **(لقد تابت توبة)** صحيحة نصوحا **(لو قسمت)** بكمالها **(بين سبعين)** عاصيًا **(من أهل المدينة)** أي المنافقين الذين بها أي لو تاب المنافقون الذين بها يومئذٍ توبة صحيحة من نفاقهم كتوبتها **(لوسعتهم)** أي لكفتهم في رفع ءاثامهم فإذا رفعت ذنب الكفر فما دونه أولى، ولعل هذا حكمة قوله ﷺ من أهل المدينة. **(وهل وجدت)** شيئًا تبذله في مرضاة الله **(أفضل)** أي أعظم **(من أن جادت بنفسها)** ببذلها (لله) أي لمرضاته **(عزّ وجلّ. رواه مسلم)**

٢٣ - وَعَنِ عبد الله بن عَبّاسٍ وأَنسٍ رضِيَ الله عنهم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ لابْنِ ءادَمَ وَادِيًا مِن ذَهَبٍ أَحَبَّ أَن يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَن يَمْلأَ فَاهُ إِلا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن تَابَ». متفق عليه.

٢٤ - وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «يَضْحَكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى إِلَى رَجُلَيْن يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدخُلَانِ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هذَا في سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْلِمُ فَيُسْتَشْهَدُ».

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وفي الحديث بيان عظم التوبة.

٢٣ - (**وعن عبد الله بن عباس وأنس رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: لو**) ثبت (**أن لابن ءادم واديًا**) مملوءًا (**من ذهب أحبّ**) وفي نسخة لأحبّ أي من حرصه الذي هو طبعه (**أن يكون له واديان**) أي ءاخران كما هو الأنسب بحرصه (**ولن يملأ جوفه إلا التراب**) أي إنه لا يزال حريصًا على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره، وهذا حكم غالب النوع الإنساني الحرص على الدنيا، أما من لطف به وحفظ من ذلك ابتداء أو بالتوبة منه فمستثنى كما قال (**ويتوب الله على من تاب**) أي إن الله تعالى يقبل التوبة من الحرص المذموم وغيره من المذمومات (**متفق عليه**).

٢٤ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يضحك الله سبحانه وتعالى إلى رجلين**) قال القاضي عياض: الضحك في حقه تعالى - لاستحالة قيام حقيقته بذاته سبحانه لكونه من أوصاف الحادث - مجاز عن الرضى بفعلهما والثواب عليه، وحمد فعلهما ومحبته وتلقي رسله له بذلك، لأن الضحك من أحدنا إنما يكون عند موافقة ما يرضاه وسروره بمن يلقاه (**يقتل أحدهما**) أي الواحد منهما (**الآخر**) أي صاحبه (**يدخلان الجنة**) ثم بين ذلك الإجمال بقوله: (**يقاتل هذا**) يعني المسلم (**في سبيل الله**) لإعلاء كلمة الله (**فيقتل**) أي يقتله كافر (**ثم**) للترتيب في الإخبار (**يتوب الله على القاتل فيسلم فيستشهد**) لا يمكث بعد إسلامه

متفق عليه.

٣ - باب الصبر

قال اللَّهُ تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴿٢٠٠﴾﴾ [سورة ءال عمران]،

زمنًا يقترف فيه شيئًا من موبقات الذنوب بل عقب إسلامه استشهد فعمل قليلًا وحاز خيرًا جليلًا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ثم لا يلزم من تساويهما في دخول الجنة تساويهما في المنزلة، فإن تفاوت مراتب الجنان على حسب تفاوت مراتب الأعمال (**متفق عليه**).

وفي ختم المصنف الباب بهذا الحديث إشارة إلى أن الإنسان ينبغي له أن يتوب من الذنب الذي اقترفه وإن كان كبيرة، ولا يؤيسه ذاك من رحمة الله تعالى فإن الله هو التواب الرحيم، والذنب وإن عظم قدره كالكبائر وكثر عدده إذا قوبل بفضل الله وعفوه كان حقيرًا يسيرًا قال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة النجم].

٣ - باب الصبر

أي هذا باب بيان فضائل الصبر من الآيات والأحاديث. قال الراغب في «مفرداته»: الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع، أو على العبد عما يقتضيان حبسها عنه اهـ. قال تعالى ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴿٢٠٠﴾﴾ [سورة ءال عمران] أي احبسوا أنفسكم على العبادة وجاهدوا هواكم اهـ (**قال الله تعالى** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ﴾) على الطاعات والمصائب وعن المعاصي (﴿وَصَابِرُواْ﴾) الكفار، أي غالبوهم بالصبر فلا يكونوا أشد صبرًا منكم (﴿وَرَابِطُواْ﴾) أي أقيموا على الجهاد (**وقال تعالى** ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾) على الطاعة وما يبتلون به (﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾) أي بغير مكيال ولا وزن (**وقال تعالى** ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾) فلم ينتصر لنفسه بعد ظلمها (﴿وَغَفَرَ﴾) تجاوز عن ظالمه (﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾) المذكور من

[**وقال تعالى** ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [**سورة البقرة**]][*]، **وقال تعالى** ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [**سورة الزُّمَر**]، **وقال تعالى** ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [**سورة الشُّورَى**]، **وقال تعالى** ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ ﴿١٥٣﴾﴾ [**سورة البقرة**]، **وقال تعالى** ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٣١﴾﴾ [**سورة محمد**]. **والآيَاتُ في الأَمْرِ بالصَّبْرِ وبيانِ فَضْلِهِ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ.**

٢٥ - وَعَنْ أَبي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الأَشْعَرِيّ رضي اللَّهُ عنه

الصبر والغفر (﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾) أي من الأمور التي أمر الله تعالى بها (**وقال تعالى** ﴿ٱسْتَعِينُوا۟﴾) أي اطلبوا المعونة على أموركم (﴿بِٱلصَّبْرِ﴾) أي الحبس للنفس على ما تكره (﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ ﴿١٥٣﴾﴾) أفردها بالذكر تعظيمًا لشأنها، وفي الحديث «كان ﷺ إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة» لأنها تورث الخشوع وتنفي الكبر. (**وقال تعالى** ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾) اللام فيه مؤذنة بقسم قلبه، أي والله لنختبرنكم بأن نأمركم بالجهاد ومشاق الدين فيظهر لنا منكم الطائع والعاصي (﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٣١﴾﴾) المراد بالعلم هنا لازمه من الوجود، والمعنى حتى نتبين[1] المجاهد والصابر على دينه من غيره أو حتى نعلم علم ظهور. (**والآيات**) القرءانية (**في الأمر بالصبر، و**) في (**بيان فضله كثيرة**) اهتمامًا بشأنه (**معروفة**).

٢٥ - (وعن أبي مالك الحارث بن عاصم) هذا أحد أقوال عشرة في اسمه، (**الأشعري**) نسبة إلى الأشعر قبيلة مشهورة من اليمن، وقيل: له الأشعر لأن أمه ولدته والشعر على بدنه. قدم أبو مالك (**رضي الله عنه**) مع الأشعريين على النبي ويعد في «الشاميين»، توفي في خلافة عمر

(*) زيادة من بعض النسخ المطبوعة.

(١) ليس المعنى أنه ينكشف لله شيء كان خافيًا عليه لاستحالة ذلك على الله تعالى قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة البقرة]. إنما المعنى حتى نُظهر لكم.

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَان، وَالحَمْدُ لله تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ للَّهِ تَمْلآن - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ،

بالطاعون (**قال: قال رسول الله ﷺ: الطهور**) قال النووي: بالضم على المختار وهو قول الأكثر اهـ. والمراد به بالضم الفعل وبالفتح الاسم كالسحور بالفتح اسم لما يتسحر به. واشتقاقه من الطهارة وهي لغة النظافة حسية كانت أو معنوية. وشرعًا فعل ما يترتب عليه إباحة أو ثواب مجرد (**شطر**) أي نصف (**الإيمان**) أن ينتهي تضعيف أجره إلى نصف أجر الإيمان فالمراد بالإيمان حقيقته. (**والحمد لله**) هذه الجملة بخصوصها لأنها أفضل صيغ الحمد، ولذا بدئ بها الكتاب العزيز (**تملأ**) بالفوقية أي هذه الكلمة بالمعنى اللغوي أو الجملة لو جسمت، أو بالتحتية أي يملأ هذا المبني وكذا ما أفاد مفاده لو كان جسمًا (**الميزان**) باعتبار ثواب التلفظ بذلك مع استحضار معناه الثناء على الله بالجميل الاختياري والإذعان له، والميزان المراد منه حقيقته أي ما توزن به الأعمال إما بأن تجسم أو توزن صحائفها فتطيش بالسيئة وتثقل بالحسنة؛ وإنما ملأ ثواب هذه الجملة كفة الميزان مع سعتها المفرطة لأن معاني الباقيات الصالحات في ضمنها (**وسبحان الله**) منصوب على المصدر، والتسبيح تنزيه الله عن السوء والنقائص وتبعيده منها (**والحمد لله تملآن**) بالفوقية «أو» شك من الراوي «يملأ» بالتحتية أي المذكور منهما أو أجرهما (**ما بين**) طبقات (**السمٰوات**) السبع، (**والأرض**) أفرده، والمراد به الجمع أي الأرضون. وإنما ملأ ثواب ما ذكر ما بين المذكورات التي لا يحيط بسعتها إلا خالقها سبحانه لأن العالم كله شاهد بأن الله هو خالقه والقائم بتدبيره وبأنه لا يجوز أن يكون له فيه شريك ولا معين وبأنه واجب الاتصاف بصفات الكمال منزه عن مشابهة المحدثات (**والصلاة نور**) أي محسوس أي إن الصلاة نفسها تضيء لصاحبها في ظلمات الموقف بين يديه، ولم يجئ في فعل متعبد به أنه

وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرءانُ حُجَّةٌ لك أَوْ عَلَيْكَ، كلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا». رَواهُ مُسْلِمٌ.

٢٦ - وَعَنْ أَبي سَعِيدٍ سعدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيّ رضِيَ الله عَنْهُما أَنَّ نَاسًا

نور في نفسه سوى الصلاة، فالظاهر أن هذا النور خاص بها، فالمراد بها أي بسببها يعلو النور وجه المؤمن **(والصدقة برهان)** أي حجة على إيمان مؤديها، **(والصبر ضياء)** قيل: المراد هنا بالصبر الأعم من الصبر على طاعة الله وعن معصيته وعلى المكاره ومنه الصوم، **(والقرءان)** أي كلام الله المنزل على حبيبه ﷺ بقصد الإعجاز المتعبد بتلاوته **(حجة لك)** إن امتثلت أوامره واجتنبت نواهيه فتحتج به في المواقف التي تسأل فيها عنه كمسائل الملكين في القبر وكالمسألة عند الميزان وعند الصراط **(أو)** حجة **(عليك)** إن لم تمتثل أوامره ولم تجتنب نواهيه، فالمرجع إليه عند التنازع، وهو دال على اتباع السنة وهي على حجية القياس، والكتاب والسنة دالان على حجية الإجماع فصار القرءان مرجع جميع الأحكام فقال: **(كل الناس يغدو)** أي يبكر في مصالحه **(فبائع نفسه)** من الله **(فمعتقها)** من العذاب، وناهيك بها صفة اغتنام إذ كان الثمن فيها دار السلام، والنظر إلى الملك العلام. قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [سورة التوبة] الآية.

وهؤلاء سعوا في خلاص نفوسهم وتوجهوا بقلبهم إلى ربهم وطلب ما عنده **(أو)** بائع نفسه لغير ربه من هواه أو الشيطان، فهو **(موبقها)** أي مهلكها بالطرد عن ساحة الرضوان وبالبعد **(رواه مسلم)** ورواه أحمد والدارمي في «مسنده» وأبو عوانة في «صحيحه» والترمذي في «الدعوات» من جامعه، وقال إنه حسن صحيح، والنسائي في عمل اليوم والليلة.

٢٦ - (وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه أن ناسًا) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «لم يتعين لي أسماؤهم إلا أن النسائي روى عن أبي سعيد ما يدل على أنه منهم

مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أَنْفَقَ كلَّ شَيْءٍ بِيَدِهِ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ،

وذلك أنه قال: «سرحتني أمي إلى النبي ﷺ، يعني لأسأله من حاجة شديدة، فأتيته وقعدت فاستقبلني وقال: من استغنى أغناه الله» الحديث. وزاد فيه «ومن سأل وله أوقية فقد ألحف، فقلت: ناقتي خير من أوقية فرجعت ولم أسأله» اهـ **(من الأنصار)** بفتح الهمزة اسم إسلامي علم بالغلبة على أولاد الأوس والخزرج سموا به لنصرتهم رسول الله ﷺ **(سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم)** أي عقب سؤالهم ولم يتوان لما جبل عليه من مكارم الأخلاق والسماحة **(ثم سألوه فأعطاهم)** فتكرر منهم السؤال مرتين ومنه الإعطاء عقب كل مرة **(حتى نفد)** بكسر الفاء وبالدال المهملة، ففي الصحاح نفد الشيء ينفد نفادًا فني **(ما عنده)** أي ذهب بالإنفاق جميع ما عنده **(فقال)** عقب نفاده تنفيرًا لهم من الاستكثار مما زاد على الحاجة من الدنيا، وتحريضًا على القناعة، وحثًا على الاستعفاف. **(لهم حين أنفق كل شيء بيده ما يكن)** هو بالجزم وفي البخاري «ما يكون» بالرفع **(عندي من)** بيانية **(خير فلن أدخره)** بتشديد الدال المهملة، والمعنى لا أجعله ذخيرة لغيركم معرضًا **(عنكم)** أو فلا أخبؤه وأمنعكم إياه **(ومن يستعفف)** بفك الإدغام فالفعل مجزوم بالسكون لفظًا أي من طلب العفة عن سؤال الناس والاستشراف إلى ما في أيديهم **(يعفه الله)** أي يرزقه العفة فيصير عفيفًا قنوعًا. وفي «النهاية»: وقيل: الاستعفاف الصبر والنزاهة عن الشيء، يقال عفّ يعف عفة فهو عفيف، وهو بفتح الفاء لأنها أخف الحركات **(ومن يستغن)** أي يظهر الغناء بالتعفف عما في أيدي الناس **(يغنه الله)** أي يجعله غنيّ النفس ولا غناء إلا غناؤها **(ومن يتصبر)** أي يتكلف الصبر على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا **(يصبره الله)** أي يعطه من حقائق الصبر الموصلة للرضى ما

وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ». مُتَّفَقٌ عَلَيه.

٢٧ - وَعَنْ أَبي يَحْيَى صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كلَّهُ لَهُ خَيْرٌ ولَيْسَ ذلِكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتهُ سَرَّاءُ

يهوّن عليه كل مشق ومكدّر (**وما أعطي أحد عطاء**) مفعول ثان لأعطي أي ما أعطي أحد من خلق ولا مقام (**خيرًا وأوسع من الصبر**). قال الشيخ زكريا: خيرًا هنا ليس بأفعل تفضيل بل هو كقوله تعالى ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الفرقان] اهـ. ومعنى كونه أوسع أن به تتسع المعارف والمشاهد والمقاصد. (**متفق عليه**) وكذا أخرجه أصحاب «السنن الأربع»، وزاد رزين «وقد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما ءاتاه» وهذه الزيادة أخرجها مسلم والترمذي.

٢٧ - (**وعن أبي يحيى صهيب**) بضم المهملة وفتح الهاء بعدها تحتية ساكنة فموحدة (**ابن سنان**) بكسر المهملة ونونين بينهما ألف ابن مالك كناه ﷺ بأبي يحيى، وإنما قيل له الرومي لأن الروم سبوه صغيرًا فابتاعه منهم كلبي، ثم قدموا به مكة فشراه عبد الله بن جدعان منهم فأعتقه وأقام معه إلى أن هلك عبد الله ولما بعث النبيّ ﷺ أسلم، وكان من السابقين إلى الإسلام. وقدم المدينة مع عليّ بن أبي طالب في النصف من ربيع الأول والنبيّ ﷺ في قباء لم يرم أي لم يبرح من مكانه بعد، وءاخى النبيّ ﷺ بينه وبين الحارث ابن الصمة، شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ. توفي بالمدينة سنة ثمان وثلاثين، ودفن بالمدينة (**رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: عجبًا**) مفعول مطلق أي أعجب عجبًا وتعجب ابن ءادم من الشيء إذا عظم موقعه عنده وخفي عليه سببه كما في «النهاية» (**لأمر المؤمن**) أي الكامل، وهو العالم بالله الراضي بأحكامه العامل على تصديق موعوده (**إن أمره**) أي شأنه (**كله**) بالنصب تأكيد، وبالرفع مبتدأ خبره (**له خير**) والجملة خبر إن (**وليس ذلك**) الخير في كل شأن (**لأحد إلا المؤمن**) الكامل، (**إن أصابته سرّاء**) بفتح السين

شَكَرَ فَكانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا لَهُ». **رواه مسلم**.

٢٨ - وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه قالَ لَمَّا ثَقُلَ النَّبيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ الْكَرْبُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ الله عنها: وَاكرْبَ أَبَتَاهُ، فقالَ: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ» فَلَمَّا مَاتَ قَالتْ: يَا أَبَتَاهُ،

وتشديد الراء المهملتين أي ما يسرّه (**شكر**) أي عرف قدر نعمة مولاه فشكره (**فكان**) شكره (**خيرًا له**) من السراء التي نالها لكونه ثوابًا أخرويًّا (**وإن أصابته ضرّاء**) أي ما يضرّه في بدنه أو ما يتعلق به من أهل أو ولد أو مال (**صبر**) واحتسب ذلك عند الله رجاء ثوابه ورضي به نظرًا لكونه فعل مولاه الذي هو أرحم به (**فكان**) صبره في الضراء (**خيرًا له**) لأنه حصل له بذلك خير الدارين (**رواه مسلم**) وكذا رواه الإمام أحمد.

٢٨ - (وعن أنس رضي الله عنه) تقدمت ترجمته (**قال: لما ثقل النبيّ ﷺ**) بضم القاف من شدة المرض، (**جعل**) من أفعال الشروع (**يتغشاه**) أي يغشاه (**الكرب**) أي الشدة من سكرات الموت لعلو درجته وشرف رتبته (**فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أبتاه**) قالته لما رأته حل به ﷺ فتألم قلبها وباح بما فيه لسانها مع كمال صبرها ورضاها بفعل ربها ومثل ذلك لا يقدح في الكمال.

ففي الحديث «العين تدمع، والقلب يجزع، ولا نقول إلا ما يرضي الرّب» وهذا محمول على أنها لم ترفع صوتها بذلك وإلا لكان ينهاها (**فقال**) أي النبي ﷺ (**ليس على أبيك**) أي بالمظهر إيماء إلى أن سبب صدور ما تقدم من السيدة فاطمة هو البعضية، وكونه ﷺ أصلًا لها (**كرب بعد اليوم**) أي لا يصيبه نَصَبٌ ولا وصب يجد له ألمًا بعد اليوم لأنه ينتقل من دار الأكدار إلى دار الآخرة والسلامة الدائمة إلى ما لا يعلم بأدناه من العطايا السنية والمراتب العلية فضلًا عن أعلاه إلا من منحه وأولاه (**فلما مات قالت**) فاطمة (**يا**) حرف ندبة (**أبتاه**) بإسكان الهاء

أَجَابَ رَبًّا دَعاهُ. [يَا أَبَتَاهُ][1]، جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ. يَا أَبَتَاهُ، إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهُ. فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عنها: أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَن تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ؟. رواه البخاريُّ.

(أجاب ربًا دعاه) إلى لقاه **(يا أبتاه جنة الفردوس)** والفردوس بستان يجمع كل ما في البساتين من شجر وزهر ونبات، وفي «الجامع الصغير» حديث «إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإنه سرّ الجنة» رواه الطبراني عن العرباض مرفوعًا. والسرّ بالضم: الوسط، بمعنى الخيار لما في حديث ءاخر عند البخاري في كتاب الجهاد «إنه وسط الجنة، وإنه أعلى الجنة، وإن سقفه عرش الرحمٰن» **(مأواه)** أي منزله **(يا أبتاه إلى جبريل)** وهو اسم عبراني، قيل: معناه عبد الرحمٰن، وقيل: عبد الله **(ننعاه)** أي نرفع خبره إليه لأن الإنسان يذكر ما ينزل به من الأحوال لأصحابه على وجه الإخبار عما نزل. ويؤخذ من الحديث جواز التوجع للميت عند احتضاره مثل قول فاطمة «واكرب أبتاه» وأنه ليس من النياحة لأنه ﷺ أقرها على ذلك **(فلما دفن)** بالبناء للمجهول **(قالت فاطمة رضي الله عنها)** جملة دعائية مستأنفة، وعبر عنه بالماضي تفاؤلًا بتحققه، **(أطابت أنفسكم أن تحثوا)** أي بأن تحثوا **(على)** قبر **(رسول الله ﷺ التراب)** قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «أشارت بذلك إلى عتابهم على إقدامهم على ذلك لأنه يدل على خلاف ما عرفته فيهم من رقة قلوبهم وعليه لشدة محبتهم له، وسكت أنس عن جوابها رعاية لها، ولسان حاله يقول: لم تطب أنفسنا بذلك إلا أنا قهرناها على فعله امتثالًا لأمره» اهـ. وروي أنها أنشدت:

ماذا على من شَمَّ تربةَ أحمدٍ ألا يَشَمَّ مدى الزمان غواليا
صبت عليّ مصائبٌ لو أنها صُبَّتْ على الأيام عدن لياليا

(رواه البخاري) في ءاخر «المغازي» من صحيحه، وكذا رواه النسائي وابن ماجه في «الجنائز».

---

(١) سقطت من النسخة الخطية الأولى.

٢٩ - وَعَنْ أَبي زَيْدٍ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحِبِّهِ وَابْنِ حِبِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عنهما قال: أَرْسَلَتْ بِنْتُ النَّبيِّ ﷺ أَنَّ ابْنِي قَدِ احْتُضِرَ فاشْهَدْنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلامَ وَيَقُولُ: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وكلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا،

---

٢٩ - **(وعن أبي زيد أسامة)** بضم الهمزة بعدها سين مهملة **(ابن زيد ابن حارثة)** بمهملتين بينهما ألف وبعد الثانية مثلثة **(مولى رسول الله ﷺ)** ولاء عتاقة منه ﷺ على أبيه وسرى منه لابنه **(وحبه وابن حبه)** بكسر الحاء فيهما أي حبيبه. **(رضي الله عنهما)** الأولى رضي الله عنهم لأن حارثة والد زيد صحابي أيضًا. وأم أسامة هي بركة الحبشية أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، فأيمن أخو أسامة لأمه، توفي بالجرف بعد قتل عثمان وحمل إلى المدينة **(قال)** أسامة **(أرسلت بنت النبي ﷺ)** هي زينب، **(أن ابني قد احتضر)** بالبناء للمجهول أي حضرته مقدمات الموت **(فاشهدنا)** أي احضرنا **(فأرسل يقرئ السلام)** بضم أوله وهو مهموز والجملة المضارعية حال من فاعل أرسل **(ويقول: إن لله ما أخذ)** فلا ينبغي الجزع من أخذه لأن صاحب الحق إذا أخذ حقه لا يجزع منه، وقدم ذكر الأخذ على الإعطاء وإن كان متأخرًا في الواقع اهتمامًا بما يقتضيه المقام **(وله ما أعطى)** يعني أن الله تعالى إذا أعطى عباده شيئًا فلا يخرج بذلك الإعطاء عن ملكه بل هو باق عليه، بخلاف إعطاء المخلوق لمثله. **(وكل شيء)** أي من الأخذ والإعطاء أو الأنفس أو ما هو أعم من ذلك **(عنده)** والمراد منه عندية العلم مجازًا للملازمة بينهما **(بأجل مسمى)** أي معلوم مقدر فمحال أن يتقدم عليه أو يتأخر عنه. والأجل يطلق على الجزء الأخير، وعلى مجموع العمر **(فلتصبر)** على مقادير الله **(ولتحتسب)** أي تنو بصبرها طلب الثواب من ربها ليحسب لها ذلك من عملها الصالح **(فأرسلت إليه)** أي عقب مجيء رسول الله ﷺ إليها كما يدل عليه العطف بالفاء التعقيبية **(تقسم عليه ليأتينها)** جاء في

فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرِجَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيُّ فَأَقْعَدَهُ فِي حِجْرِهِ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ فقال سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هذَا؟ فقَال: «هذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ». وفي رِوَايَةٍ: «فِي قُلُوبِ مَن يَشَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ».

حديث عبد الرحمٰن بن عوف: أنها راجعته مرتين وأنه قام في ثالث مرة وكأنها ألحت في ذلك لما ترجوه من دفع ما تجده من الألم عند حضوره ببركة حضوره ﷺ، وقد حقق الله رجاءها، وكان امتناعه ﷺ أوَّلًا للمبالغة في إظهار التسليم لأمر الله، ولبيان الجواز في أن من دعي لمثل ذلك لا تجب عليه الإجابة، بخلاف الوليمة (**فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت ورجال رضي الله عنهم أجمعين**) وقد سمي منهم غير من ذكر في غير هذه الرواية عبادة بن الصامت وأسامة راوي الحديث وعبد الرحمٰن بن عوف (**فرفع**) بالراء مبني للمجهول، وفي الكلام حذف دلّ عليه المقام إذ تقدير الكلام فمشوا إلى أن وصلوا إلى بيتها واستأذنوا فأذن لهم فدخلوا فرفع (**إلى رسول الله ﷺ الصبيّ فأقعده**) أي وضعه (**في حجره**) بفتح الحاء وكسرها وسكون الجيم الحضن (**ونفسه تقعقع**) بفتح التاء والقافين أي تضطرب وتتحرّك (**ففاضت عيناه**) أي النبيّ ﷺ (**فقال سعد**) أي ابن عبادة مستبعدًا ما رءاه منه لما يعلمه من عادته ﷺ من مقاومة المصيبة بالصبر عليها (**يا رسول الله ما هذا**) أي فيض الدمع (**فقال**) ﷺ (**هذه**) أي الدمعة أثر (**رحمة جعلها الله في قلوب عباده**) أي بعض عباده ومثل هذا الفيضان الناشئ عن حزن القلب من غير تعمد من صاحبه ولا استدعاء لا مؤاخذة عليه فيه، إنما النهي عن الجزع وعدم الصبر أو عما كان مع نوح أو ندب (**وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**) بالنصب على أن «ما» في إنما كافة وبالرفع على أنها موصولة، والرحماء جمع رحيم، وهو من

مُتَفَقٌ علَيه.

ومعنى «تقعقع»: تتحرك وتضطرب.

٣٠ - وَعَن صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «كانَ مَلِكٌ فِيمَن كان قَبْلَكُمْ وكانَ لَهُ سَاحِرٌ، فلمَّا كَبِرَ قالَ لِلْمَلِكَ: إنّي قَد كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلّمْهُ السّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلّمُه، وكانَ في طَرِيقِه إِذَا سَلَكَ رَاهبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وسمِعَ كَلامَهُ فأَعْجَبَهُ،

صيغ المبالغة (**متفق عليه ومعنى تقعقع تتحرك وتضطرب**) والقعقعة: حكاية صوت الشيء اليابس إذا حرك.

٣٠ - (**وعن صهيب**) بضم المهملة وفتح الهاء وسكون التحتية مصغر (**رضي الله عنه أن**) بفتح الهمزة، (**رسول الله ﷺ قال: كان ملك**) بكسر اللام أي ذو ملك بضم الميم (**فيمن كان قبلكم**) من الأمم السابقة (**وكان له ساحر**) وعند الترمذي «كان لبعض الملوك كاهن يتكهن له» أي والروايات يفسر بعضها بعضا (**فلما كبر**) بكسر الموحدة: أي كبرت سنه، أما كبر بضم الموحدة ففي القدر قال تعالى ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ [سورة الكهف] (**قال للملك إني قد كبرت فابعث**) أي أرسل (**إليّ غلامًا**) زاد في رواية الترمذي «فهمًا» أو قال: «فطنًا» نعتان. والغلام لغة الصبي من الفطام إلى البلوغ (**أعلمه السحر**) وعند الترمذي «أعلمه علمي فإني أخاف أن أموت وينقطع عنكم هذا العلم ولا يكون فيكم من يعلمه، قال: فنظروا له على ما وصف» (**فبعث إليه غلامًا يعلمه**) ذكر القرطبي في «التفسير» أنَّ الضحاك روى عن ابن عباس كان ملك بنجران وفي رعيته رجل له ابن، واسم الغلام عبد الله بن تامر، ثم ساق القصة بنحو ما عند مسلم (**وكان في طريقه**) أي الغلام (**إذا سلك**) إلى الساحر (**راهب**) في الأصل هو المتخلي من أشغال الدنيا التارك لملاذها بالزهد فيها الصابر على مشاقها المعتزل عن أهلها (**فقعد**) الغلام (**إليه**) أي إلى الراهب (**وسمع كلامه فأعجبه**) زاد الضحاك في روايته «فدخل في دين الراهب». وعند الترمذي «فجعل الغلام يسأل

وكانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ فإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَا ذلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فقال: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمةٍ قَد حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَم الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللهُمَّ إِن كانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النّاسُ فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا

ذلك الراهب عن معبوده كلما مر به، فلم يزل حتى أخبره، فقال إني أعبد الله» (**وكان**) الغلام (**إذا أتى**) أي أراد أن يصل إلى (**الساحر مر بالراهب**) لكونه في طريقه (**وقعد إليه**) لمحبته لنهجه (**فإذا أتى الساحر**) ووصل إليه (**ضربه**) وعند الترمذي «أن الكاهن أرسل إلى أهل الغلام إنه لا يكاد يحضرني» (**فشكا ذلك إلى الراهب فقال**) أي الراهب (**إذا خشيت الساحر**) لتخلفك عندي في الذهاب إليه (**فقل حبسني**) أي منعني (**أهلي**) أي شغلهم، وجوّز ذلك إن قيل بإسلامه واستقامته لأنه رأى أن مصلحة تخلفه عنده تزيد على مفسدة تلك الكذبة، فهو نظير الكذب لإصلاح الخصمين، أو أنه من باب الكذب لإنقاذ المحترم من التعدي عليه بالضرب (**وإذا خشيت أهلك**) لتخلفك عندي في العودة من عند الساحر (**فقل حبسني الساحر، فبينما هو على ذلك**) المذكور من التردد بين الرجلين (**إذ أتى على دابة عظيمة**) عند الترمذي قال بعضهم إن تلك الدابة كانت أسدًا (**قد حبست الناس**) أي منعتهم من المرور لخوفهم من صولتها (**فقال**) الغلام (**اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟**) أي ينكشف لي ذلك (**فأخذ**) الغلام (**حجرًا فقال اللهم إن كان أمر الراهب**) أي ما هو فيه من الشئون والأمور (**أحب إليك من أمر**) أي حال وشأن (**الساحر فاقتل هذه الدابة**) أي عقب وصول الحجر إليها، ليكون ذلك ءاية على أحبية الراهب عندك، وقوله: (**حتى يمضي الناس**) يصح أن يكون غاية مترتبة على السؤال وأن يكون علة له (**فرماها**) الغلام (**فقتلها**) بتلك الرمية، وإسناد القتل إليه مجاز عقلي لكونه السبب الصوري في

وَمَضَى النّاسُ. فأَتَى الرَّاهِبَ فأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنّي قَد بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فإِنِ ابْتُلِيتَ فَلا تَدُلَّ عَلَيَّ، وكانَ الْغُلَامُ يُبْرِئ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِن سَائرِ الأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كانَ قَد عَمِيَ

ذلك والفاعل حقيقة هو الله سبحانه وتعالى. وفي الحديث إثبات كرامات الأولياء وإهانة أعداء الله الأغبياء (**ومضى الناس**) أي انطلقت ألسنتهم بالثناء عليه بالعلم. وعند الترمذي «ففزع الناس وقالوا قد علم هذا الغلام علمًا لم يعلمه أحد». ويحتمل أن يكون المراد فمضى الناس في تلك السبيل لزوال المانع من سلوكها (**فأتى**) الغلام (**الراهب فأخبره**) فيه وفيما بعده من جهة حكايته ﷺ له وعدم إنكاره أنه لا بأس بذكر الإنسان مفاخره وحمد الناس له والثناء عليه بحضوره إذا لم يترتب عليه فتنة من نحو عجب (**فقال له الراهب أي بنيّ أنت اليوم**) المراد منه الحين كما في يومئذٍ (**أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى**) أي من كمال اليقين وصدق الاعتقاد، وقوله: «قد بلغ» إلخ كالتعليل لما قبله (**وإنك ستبتلى**) بالبناء للمجهول، ثم يحتمل أن يكون هذا منه بطريق الكشف فيكون كرامة، أو بطريق الفراسة، أو بطريق العادة والتجربة إذ من خالف الناس في منهجهم ابتلوه وءاذوه (**فإن ابتليت**) بالبناء للمجهول، وما هنا باعتبار الواقع وما يبرز في عالم الشهادة فإن الفراسة قد تخطئ والتجربة قد تتخلف والكشف قد يعارض، أو قصد به التخفيف عن الغلام فلا يخاطبه بجملتين تدلان يقينًا على الابتلاء لئلا يصير في الكرب قبل حلول البلاء (**فلا تدل**) بضم المهملة (**عليّ**) بتشديد الياء (**وكان**) أي صار (**الغلام يبرىء الأكمه**) أي يحصل البرء عقب علاجه فالإسناد إليه مجاز عقلي، والأكمه بفتح الهمزة وسكون الكاف هو الذي ولد أعمى (**والأبرص**) أي من وقع به البرص داء معروف (**ويداوي الناس من سائر**) أي جميع (**الأدواء**) أي الأمراض والأسقام جمع داء وخصا بالذكر لأنهما داءا إعياء (**فسمع**) أي به (**جليس للملك كان قد عمي**

فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فقالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ[1] إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي. فقالَ: إِنّي لا أَشفِي أحدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ تعالَى، فَإِنْ ءامَنْتَ بالله تعالى دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فآمَنَ بالله فَشَفَاهُ اللَّهُ تعالى، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَما كانَ يَجْلسُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَن رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قالَ: رَبّي، قالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قالَ: رَبّي وَرَبُّكَ اللَّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يزَلْ يُعَذّبُه حَتَّى دَلَّ عَلى الْغُلامِ، فَجيءَ بِالْغُلَامِ

فأتاه) أي فأتى الجليس الغلام **(بهدايا كثيرة، فقال)** الجليس **(ما)** أي الذي **(هاهنا)** أي في هذا المكان من الهدايا كائن **(لك إن أنت شفيتني)** أي إن شفيتني أنت لا غيرك كما يؤذن به المقام، فلك جميع ما هاهنا **(فقال)** الغلام **(إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله تعالى)** أي إذا كان لا يشفي أحد إلا الله فلا أشفي أحدًا، إذ لا شفاء إلا شفاؤه سبحانه **(فإن ءامنت بالله دعوت الله فشفاك)** من عماك الحسي كما شفاك بالإيمان من عماك المعنوي **(فآمن)** أي الجليس **(بالله)** عقب قول الغلام لسبق العناية به وليترتب عليه ما سبق ترتبه عليه في علم الله سبحانه **(فشفاه الله تعالى)** أي حصل له الشفاء الموعود بترتبه على الإيمان ليزداد يقينه **(فأتى)** الجليس **(الملك)** بكسر اللام **(فجلس)** مفضيًا **(إليه)** جلوسًا **(كما كان يجلس)** أي إن جلوسه بعد شفائه مماثل لجلوسه قبل حلول دائه **(فقال له الملك من ردّ عليك بصرك)** أي إدراكك للمبصرات **(قال ربي)** أي ردّه ربي أو ربي ردّه **(قال)** يعني الملك **(أو لك ربّ غيري؟)** بتقدير همزة الاستفهام الإنكاري قبل العاطف **(قال)** يعني الجليس **(ربي)** أي مالكي ومربيّ بألطافه **(وربك)** كذلك **(الله)** خبر عن قوله ربي **(فأخذه فلم يزل)** الملك **(يعذبه)** بتشديد الذال والتضعيف: إما باعتبار أنواع العذاب، أو باعتبار شدته وغلظه، ليدل على من علمه ما هو فيه **(حتى)** غائية **(دل على الغلام فجيء بالغلام)** أي فأمر بالغلام

---

(١) في النسخ المطبوعة: «لك أجمع».

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِن سِحرِكَ مَا تُبْرِئ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وتَفْعَلُ، فقال: إنّي لا أَشْفِي أَحَدًا إِنّمَا يَشْفِي اللَّهُ تعالَى، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ. فَجِيءَ بالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَن دِينِكَ فأَبَى، فَدَعَا بِالمِئْشَارِ فَوُضِعَ الْمِئْشَارُ فِي مَفْرِقِ رَأْسِه فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بجَلِيس الْمَلِك فَقيلَ لَهُ ارْجِعْ عَن دِينِكَ فأَبَى فَوُضِعَ المِئْشَارُ في مَفْرِقِ رأْسِه فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ

فجيء به (**فقال له الملك أي بُنيّ**) بضم الموحدة وفتح النون وكسر التحتية المشددة قاله على سبيل التلطف به أو على ما جرت به العادة من مخاطبة الكبير للصغير (**قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل**) كناية عن كثرة تصرفاته ومزيد أعماله، وفي نسخة: وتفعل ما تفعل (**فقال: إني لا أشفي أحدًا**) رد لما يفهم من كلام الملك حيث نسب إليه إبراء المريض دون الله عز وجل، ثم أثبت الغلام ذلك لله وحده بقوله: (**إنما يشفي الله تعالى**) وإنما أداة حصر على الصحيح (**فأخذه**) أي أخذ الملك الصبيّ (**فلم يزل يعذبه**) ليدل على من علمه ما هو فيه (**حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك**) ودينه هو ما دل عليه كلامه وصرح به من عبادة الله عزّ وجلّ (**فأبى**) أي امتنع أشد الامتناع (**فدعي بالمئشار**) بالهمزة في رواية الأكثرين وهو الأفصح وروي «بالمنشار» بالنون لغتان صحيحتان إذ يقال أشرت الخشبة ونشرتها (**فوضع المئشار**) بالبناء للمجهول (**في مفرق رأسه**) بكسر الراء وسطه (**فشقه حتى وقع شقاه**) على الأرض (**ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى**) أي امتنع أشد امتناع (**فوضع المئشار**) بالهمزة وبالنون (**في مفرق**) بفتح الميم وكسر الراء أي مكان فرق الشعر (**رأسه فشقه**) مستعينًا (**به**) أي المنشار، واستمرّ يشقه (**حتى وقع شقاه**) بكسر الشين المعجمة أي جانباه على الأرض (**ثم جيء بالغلام**) ولعل تأخيره

فَقيلَ لَهُ ارْجِعْ عَن دِينِكَ فأَبَى، فَدفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِه فقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وكَذَا فَاصْعَدُوا بِه الْجَبَلَ فإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِن رَجَعَ عَن دِينِه وَإِلا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا به فَصَعِدُوا بِه الْجَبَلَ فقالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِم بمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بهمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِك، فقال لهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فقال: كَفَانيهِمُ اللَّهُ تعالى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِه فقال: اذْهَبُوا بِه فَاحْمِلُوهُ في قُرْقُورٍ وتَوَسَّطُوا بِه البَحْرَ فَإِن رَجَعَ عَن دِينه وَإِلا

حتى يرى ما فعل بصاحبه فيرجع عما هو عليه (**فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر**) بفتح أوليه اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة ولا واحد له من لفظه (**من أصحابه**) أي الملك أي أتباعه وخدمه (**فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا**) من ألفاظ الكنايات يكنى بها عن المجهول وعما لا يراد التصريح به قاله في «النهاية» (**فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه**) فاتركوه بدليل (**وإلا فاطرحوه**) أي وإلا يرجع فاطرحوه، (**فذهبوا به فصعدوا**) بكسر العين المهملة (**به**) أي جعلوه صاعدًا أو صعدوا بسببه أو معه (**الجبل فقال**) الغلام (**اللهم اكفنيهم بما شئت**) أي بمشيئتك أي بالذي شئت من أنواع الكفاية إما بإهلاكهم أو بغيره (**فرجف**) بفتح أوليه الراء فالجيم: أي تحرك واضطرب (**بهم الجبل فسقطوا**) أي بسبب اضطرابه وفيه نصر من توكل على الله سبحانه وانتصر به وخرج عن حول نفسه وقواها (**وجاء**) الغلام (**يمشي إلى الملك**) ليريه ءاية الله تعالى بنصر أهل دينه لينكشف عن قلبه حجب الغواية فيرجع إلى الإيمان (**فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال كفانيهم الله تعالى**) وحاق سوء فعلهم بهم (**فدفعه إلى نفر**) ءاخرين (**من أصحابه، فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور**) في النهاية هي السفينة العظيمة وجمعها قراقير (**وتوسطوا به البحر**) أي ليبعد الغور فيتعذر الخلاص (**فإن رجع عن دينه**) فاتركوه (**وإلا**) أي وإلا يرجع

فَاقذِفُوه، فَذَهَبُوا بِه فقال: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهم بمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا وَجاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِك، فقالَ له الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فقال: كَفَانيهِمُ اللَّهُ تعالَى. فقالَ لِلْمَلِك: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلي حَتَّى تَفْعَلَ مَا ءامُرُكَ بِه. قال: مَا هُوَ؟ قال: تَجْمَعُ النَّاسَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلِبُني عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِن كِنَانَتِي ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ في كَبِد الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ: بسمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ،

عنه (**فاقذفوه**) بكسر الذال المعجمة، أي ارموه بقوّة (**فذهبوا به**) حتى بلغوا وسط البحر (**فقال**) الغلام (**اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة**) أي انقلبت بهم (**فغرقوا**) يحتمل أنه كان معهم في القرقور فنجاته دونهم ءاية وهذا هو الأقرب، (**وجاء**) الغلام (**يمشي إلى الملك**) ليريه الآيات الكبرى المرّة بعد الأخرى ليبصر ضياء الإيمان ولكن لا تبصر أعين العميان (**فقال له الملك ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى، فقال**) الغلام (**للملك: إنك لست بقاتلي**) أي في أي حال من الأحوال كما يقتضيه تأكيد النفي بزيادة الباء في الخبر (**حتى تفعل**) أي إلا في حال أن تفعل (**ما ءامرك به، قال**) الملك (**ما هو**) أي أيّ شىء الأمر الذي تأمرني به (**قال تجمع الناس في صعيد واحد**) أي أرض واحدة ومقام واحد (**وتصلبني على جذع**) بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة أي عود من أعواد النخل وجمعه جذوع (**ثم خذ سهمًا من كنانتي**) بكسر الكاف بيت السهام (**ثم ضع السهم في كبد**) بفتح فكسر، أو بفتح، أو كسر مع سكون للثاني فيهما أي وسط (**القوس ثم قل**) أتى بثم لتفاوت منزلة ما بعدها وما قبلها، لأن ذلك الذكر مطلوب منه عقب وضع السهم في كبد القوس بلا مهلة (**باسم الله**) قال النووي في «شرح صحيح مسلم»: «قال الكُتَّاب من أهل العربية: إذا قيل باسم الله تعين كتبه بالألف وإنما تحذف الألف إذا كُتب بسم الله الرحمٰن الرحيم بكمالها» اهـ (**ربّ الغلام**) تمم به الغلام لئلا يوهم الملك الحاضرين أن الغلام أراد بقوله باسم الله معبود ذلك الملك أو الملك وإن كان لفظ

ثُمَّ ارْمِ فإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِن كِنَانَتِه ثمَّ وضَعَ السَّهْمَ في كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِسم اللَّهِ رَبِّ الْغُلَام، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ في صُدْغِه فَوَضَعَ يَدَهُ في صُدْغِه فمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: ءامَنَّا برَبّ الْغُلَام، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَد واللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَد ءامَنَ النَّاسُ. فَأَمرَ بِالأُخْدُودِ بأَفْوَاهِ السِكَكِ فَخُدَّتْ

الجلالة لم يسم به غير الله تعالى (**ثم ارم، فإنك إذا فعلت ذلك**) المذكور (**قتلتني**) إسناد القتل إليه مجاز عقلي أتيت بما جعله الله سببًا لقتلي، وقصد الغلام من هذا الكلام إفشاء توحيد الله تعالى بين الناس وإظهار أن لا مؤثر في شيء على الحقيقة سواه، ولم يفطن الملك لذلك لفرط غباوته (**فجمع**) الملك (**الناس في صعيد**) مقام (**واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهمًا من كنانته**) أي كنانة الغلام (**ثم وضع السهم في كبد**) وتر (**القوس، ثم قال: باسم الله ربّ الغلام**) أي أرميه لأقتله (**ثم رماه فوقع السهم في صدغه**) بضم الصاد وسكون الدال المهملتين: هو ما بين العين إلى شحمة الأذن (**فوضع**) الغلام (**يده في**) أي على (**صدغه**) لتألمه من السهم (**فمات، فقال الناس**) لما رأوا الآية العظمى الشاهدة لله تعالى بالوحدانية وأنه الفاعل المختار ولا فاعل سواه وأنه هو الإلٰه (**ءامنا برب الغلام، فأتي**) بصيغة المجهول (**الملك**) أي حين وقع فيما حذر منه من توحيد الله تعالى والإيمان به (**فقيل له أرأيت**) بفتح التاء أي أخبرني (**ما كنت تحذر**) ما مبتدأ والجملة صلته والعائد محذوف أي تحذره، والخبر (**قد والله نزل بك حذرُك**) أو ما كنت تحذر منه من إيمان الناس وقع بك (**قد ءامن الناس**) تفسير للذي كان يحذر منه (**فأمر**) أي الملك (**بالأخدود بأفواه السكك**) الأفواه جمع فوه، والسكك جمع سكة: وهي الطرق، والمراد من أفواهها أبوابها (**فخدت**) بضم

وَأُضْرِمَ فيهَا النّيرَانُ وَقالَ: مَن لَمْ يَرْجِعْ عَن دِينِه فأَقْحِمُوهُ فيهَا أَوْ قيلَ لهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبيٌّ لهَا فَتَقَاعَسَتْ فقَال لها الْغُلَامُ: يا أُمَّه اصْبِري فإِنَّكِ عَلَى الْحَقّ». رواه مسلمٌ.

«ذروةُ الجبل»: أعلاه، وهي بكسر الذال المعجمة وضمها. «القُرقُور» بضم القافين: نوع من السفن. و«الصعيد» هنا: الأرض البارزة. و«الأخدود»: الشقوق في الأرض كالنهر الصغير. و«أضرَم»:

الخاء المعجمة وتشديد المهملة أي شقت الأخاديد (**وأضرم**) بالبناء للمجهول (**فيها**) أي في الأخدود (**النيران**) جمع نار (**وقال**) أي الملك (**من لم يرجع عن دينه**) أي الإيمان الذي صار إليه (**فأقحموه**) بهمزة القطع: أي ألقوه كرهًا (**فيها أو**) شك من الراوي (**قيل له**) أي لمن لم يرجع عن دينه (**اقتحم**) أي النار والمراد أنه شك هل أمرهم بإلقاء من أبى، أو بأمره أن يلقي نفسه فيها (**ففعلوا**) أي ما أمروا به من الأخدود وما بعده، واستمروا كذلك (**حتى جاءت امرأة ومعها صبيّ لها**) أي في غير أوان الكلام كما أشار إليه المصنف، وزاد أنه كان سنه أكبر من سن صاحب المهد وإن كان صغيرًا (**فتقاعست**) أي توقفت ولزمت موضعها وكرهت أن تقع في النار (**فقال لها الغلام**) بلسانه (**يا أمه**) بسكون الهاء وهي الوقف لحقت ءاخر المندوب المتفجع عليه (**اصبري**) أي على هذا العذاب فإنه يئول إلى جزيل الثواب (**فإنك على**) الدين (**الحق**) أي الإيمان (**رواه مسلم**)، وكذا رواه الترمذي، وفيه بعض اختلاف وزيادة ونقص، وقوله في الحديث: (**ذروته**) أي (**أعلاه، وهي بكسر الذال المعجمة وضمها**) وجمعها ذرى بضم ففتح و(**القرقور بضم القافين**) وإسكان الراء المهملة بينهما (**نوع من السفن والصعيد هنا**) أي في قوله: «في صعيد واحد» (**الأرض البارزة**) وقيده بقوله هنا احترازًا عنه في نحو قوله تعالى ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴿٤٣﴾﴾ [سورة النساء] فإن المراد منه التراب (**والأخدود**) بضم الهمزة (**الشقوق**) بضم أوليه جمع شَق (**في الأرض كالنهر الصغير، وأضرم**) بالضاد المعجمة

أوقَد. و«انكفأت» أي انقلبت. و«تقاعست»: توقفت وجَبُنَت.

٣١ - وَعَنْ أَنَسٍ رَضيَ اللَّهُ عنه قالَ: مَرَّ النَّبيُّ ﷺ بِٱمْرَأَةٍ تبكي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: «ٱتَّقِي اللَّهَ وَٱصْبِري» فَقَالَتْ: إِلَيْكَ عَنّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتي وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقيلَ لَهَا: إِنّهُ النَّبيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبيّ ﷺ فَلَمْ تَجدْ

(**أوقد وانكفأت**) السفينة (**أي انقلبت، وتقاعست**) بالقاف والعين والسين المهملتين (**توقفت وجبنت**) عن ولوج الأخدود، وفي الحديث بيان شرف الصبر، وأنه وإن عظم في الألم وتحمل الشدائد فهو سهل في جنب ما أعد لصاحبه من الثواب. وفيه فضل الثبات على الدين وإن عذب بأنواع العذاب كما وقع من بلال في أول الإسلام، وإن كان يجوز في مثل هذه الحالة الإتيان بألفاظ الكفر مع الإيمان القلبي لعذر الإكراه كما وقع من عمار بن ياسر، إلا أن ما وقع من بلال أفضل.

٣١ - (**وعن أنس رضي الله عنه قال: مرّ النبيّ ﷺ بامرأة تبكي عند قبر**) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «لم أقف على اسمها ولا اسم صاحب القبر. وفي رواية لمسلم ما يشعر بأنه ولدها» اهـ (**فقال لها اتقي الله واصبري**) وقال الحافظ في «فتح الباري»: «قال القرطبي: الظاهر أنه كان في بكائها قدر زائد من نوح أو غيره، ولهذا أمرها بالتقوى. قلت: ويؤيده أن في مرسل يحيى بن أبي كثير المذكور: «فسمع منها ما يكره، فوقف عليها» اهـ (**فقالت إليك**) اسم فعل بمعنى تنحّ وأبعد (**عني فإنك لم تصب**) بالبناء للمجهول (**بمصيبتي**). وفي رواية للبخاري: «فإنك خلو من مصيبتي» وهو بكسر الخاء وسكون اللام. ولمسلم «ما تبالي بمصيبتي». (**ولم تعرفه**) جملة حالية أي خاطبته بذلك غير عارفة أنه النبيّ ﷺ (**فقيل لها: إنه النبيّ ﷺ**) وفي رواية لأبي يعلى: «فمر بها رجل فقال لها: هل تعرفينه؟ قالت: لا» زاد مسلم في رواية له «فأخذها مثل الموت» أي من شدة الكرب الذي أصابها لما عرفت أنه رسول الله ﷺ حياء منه ومهابة (**فأتت**) للاعتذار (**باب النبي ﷺ فلم تجد**

عِنْدَهُ بَوَّابِينَ فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدمَةِ الأُولى». مُتَّفَقٌ علَيهِ.

وفي رِوَايَةٍ لمسلم: «تَبْكي عَلَى صَبيّ لَهَا».

٣٢ - وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّه

عنده بوابين). قال الطيبي: فائدة هذه الجملة أنه لما قيل لها: إنه النبي ﷺ استشعرت خوفًا وهيبة في نفسها وتصورت أنه مثل الملوك له حاجب أو بواب يمنع الناس من الوصول إليه، فوجدت الأمر بخلاف ما تصوّرته (**فقالت لم أعرفك**) في حديث أبي هريرة «والله ما عرفتك» (**فقال**) ﷺ (**إنما الصبر**) أي الذي يحمد عليه صاحبه كل الحمد ما كان (**عند الصدمة الأولى**) أي عند مفاجأة المصيبة. بخلاف ما بعدها فإنه على عود الأيام يسلو قاله الخطابي. وقال الطيبي: صدر الجواب منه ﷺ بهذا عن قولها لم أعرفك على أسلوب الحكيم، كأنه قال لها: دعي الاعتذار فإني لا أغضب لغير الله وانظري إلى نفسك في تفويتك الثواب الجزيل بعدم الصبر عند مفاجأة المصيبة. (**متفق عليه**) وكذا أخرجه الترمذي والنسائي (**وفي رواية**) أي أخرى (**لمسلم تبكي على صبيّ لها**).

٣٢ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى**) هذا من الأحاديث القدسية وهي أكثر من مائة حديث جمعها بعضهم في جزء كبير، والفرق بينه وبين القرءان أن القرءان اللفظ المنزل للإعجاز، والقدسي ما أخبر الله به نبيه بالإلهام أو رؤيا المنام أو غيره من كيفيات الوحي، فعبر عنه ﷺ بعبارته، فلا يكون معجزًا ولا متواترًا كالقرءان، ولذا لم يثبت له شيء من أحكامه من حرمة حمله ومسه على المحدث، وقراءته على الجنب، وحصول الثواب على كل حرف منه لقارئه بعشر حسنات وغير ذلك (**ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت**) بفتح الموحدة (**صفيه**) أي حبيبه لأنه يصافيه وده ويخلصه محبته

مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلا الْجَنَّةُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٣٣ - وَعَنْ عَائِشَةَ رضِيَ اللَّهُ عنها أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ فَأَخْبَرَهَا: «أَنَّهُ كانَ عذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ تعالَى عَلَى مَن يَشَاءُ فَجَعَلَهُ اللَّهُ تعالَى رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ في الطَّاعُونِ فَيَمْكُثُ في بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يُصِيبُهُ إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلا كانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ». رَوَاهُ الْبُخارِيُّ.

(**من أهل الدنيا**) بيان للواقع (**ثم احتسبه**) بأن يرجو ثوابه ويدخره عند الله تعالى وذلك ينبئ عن الصبر والتسليم (**إلا الجنة**) أي دخولها مع الناجين (**رواه البخاري**) في كتاب الرقاق من «صحيحه».

٣٣ - (**وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن**) شأن (**الطاعون**) وحقيقته كما يؤخذ من الأحاديث بثر مؤلم يخرج غالبًا في الآباط مع لهب واسوداد حواليه وخفقان القلب والقيء، وهو كما قال الحافظ ابن حجر: أخصّ من الوباء لأنه وخز الجنّ، والوباء المرض العام (**فأخبرها أنه كان عذابًا يبعثه الله تعالى على من يشاء**) في نسخة من البخاري «على من شاء» (**فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين فليس من عبد يقع في الطاعون**) أي به أو في بلده، (**فيمكث في بلده**) التي وقع بها الطاعون (**صابرًا**) على ما نزل به أو ببلده (**محتسبًا**) أي راجيًا للأجر والثواب من الله (**يعلم أنه لا يصيبه**) شيء (**إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد**) وإن مات بغير الطاعون، فإنه حيث كان موصوفًا بما أشار إليه الحديث من قصده ثواب الله ورجائه موعوده، عارفًا أنه لو وقع به فبتقدير الله. وإن صرف عنه فكذلك، وهو غير متضجر لو وقع به معتمدًا على ربه في حال صحته وسقمه كان له أجر الشهيد وإن مات بغير الطاعون كما هو ظاهر الحديث، ويؤيده رواية «من مات في الطاعون فهو شهيد» (**رواه البخاري**) وكذا أحمد والنسائي.

٣٤ - وَعَنْ أَنَسٍ رضِيَ اللَّهُ عنه قالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ»، يُرِيدُ عَيْنَيْهِ. رَوَاهُ الْبُخارِيُّ.

٣٥ - وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قالَ: قال لِي ٱبْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهما: أَلا أُرِيكَ ٱمْرَأَةً منْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ فَقُلْتُ بَلَى. قالَ:

---

٣٤ - (**وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله عز وجل**) أي عزّ شأنه وجل برهانه، وأتى بهما وإن كانا في المعنى متقاربين لأن مقام الثناء مقام إطناب، (**قال إذا ابتليت عبدي**) أي عاملته معاملة المبتلى أي المختبر، فإن الابتلاء إنما يكون من الجاهل بعواقب الأحوال والله بكل شيء عليم، وهو يستعمل في الخير والشر (**بحبيبتيه فصبر**) على فقدهما محتسبًا لأجرهما مدخرًا له عند الله تعالى (**عوّضته منهما**) أي بدلهما فهو كقوله تعالى ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة التوبة] (**الجنة**) أي مع الفائزين أو منازل مخصوصة منهما (**يريد**) أي النبي ﷺ بحبيبتيه (**عينيه**) لأنهما أحبّ أعضاء الإنسان إليه (**رواه البخاري**) وأخرج الترمذي وصححه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثوابًا دون الجنة» ووجه هذا الجزاء أن فاقدهما حبيس، فالدنيا سجنه حتى يدخل الجنة على ما ورد في الحديث: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».

٣٥ - (**وعن عطاء**) بالمهملتين المفتوحتين والمد (**ابن أبي رباح**) بالراء المفتوحة وبالموحدة وبالمهملة. وهو عطاء بن أبي رباح هو أبو محمد القرشي مولاهم المكي أحد الأعلام، عاش ثمانين سنة ومات سنة مائة وأربع عشرة (**قال**) عطاء (**قال لي**) اللام لام التبليغ (**ابن عباس رضي الله عنهما: ألا**) بفتح الهمزة وتخفيف اللام أداة عرض بدئ بها ليتوجه السامع لما بعدها (**أريك امرأة**) من الإراءة البصرية ولذا تعدت لمفعول فقط (**من أهل الجنة**) في محل الصفة لامرأة (**فقلت بلى، قال:**

هذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنّي أُصْرَعُ وَإِنّي أَتَكَشَّفُ فَٱدْعُ اللَّهَ تعالَى لِي، قال: «إِن شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِن شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ تعالَى أَن يُعَافِيَكِ» فقالتْ: أَصْبِرُ، فقالَتْ: إِنّي أَتَكَشَّفُ فَٱدْعُ اللَّهَ تَعَالَى لي ألا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا. مُتَّفقٌ علَيهِ.

٣٦ - وعن أَبي عَبْدِ الرَّحْمَٰنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه

هذه المرأة السوداء) اسمها سعيرة بضم المهملة الأولى وفتح الثانية وسكون التحتية الأسدية، وكنيتها أم زفر **(أتت النبي ﷺ فقالت)** مخبرة عما نزل بها من غير تبرم ولا تضجر لأن البرّ يهدي إلى البرّ، طالبة منه الدعاء برفع دائها **(إني أصرع)** بضم الهمزة من الصرْع: علة معروفة **(وإني أتكشف)** أي ينكشف بعض بدني من الصرع **(فادع الله لي)** أي برفع الصرع الناشئ عنه التكشف **(قال إن شئت صبرت)** بكسر تاء الخطاب فيهما أي الصبر على هذا الداء محتسبة **(ولك الجنة)** وفي نسخة: «الأجر»، أي إن شئت جزيل الأجر صبرت **(وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك، فقالت)** مختارة للبلاء والصبر عليه لجزيل الثواب المرتب عليه **(أصبر)** أي على الصرْع لأنه يرجع إلى النفس، ولما كان التكشف راجعًا لحق الله تعالى إذ هي مأمورة بستر جميع البدن لكونه عورة **(قالت: إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها)** فهي من أهل الجنة بوعد الصادق المصدوق ﷺ **(متفق عليه)**.

٣٦ - **(وعن أبي عبد الرحمٰن)** كنية **(عبد الله بن مسعود رضي الله عنه)** أسلم عبد الله قديمًا بمكة سادس ستة لما مر به ﷺ وهو يرعى غنمًا لعقبة بن أبي معيط فأراه معجزة فأسلم، ثم هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وشهد بدرًا وبيعة الرضوان والمشاهد كلها وصلى للقبلتين، وكان ﷺ يكرمه ويدنيه ولا يحجبه، وكان مشهورًا بين الصحابة بأنه صاحب سرّ رسول الله ﷺ وسواكه ونعليه وطهوره في السفر، وبشره ﷺ بالجنة وقال: «رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد، وسخطت لها ما

قالَ: كأَني أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْكي نَبِيًّا مِنَ الأَنبيَاء صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِمْ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَن وَجْهِهِ ويَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ». مُتَّفَقٌ علَيهِ.

٣٧ - وَعَنْ أَبي سَعِيدٍ وَأَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنْهُمَا عَن النَّبيّ ﷺ قال: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِن نَصَبٍ وَلا وَصَبٍ وَلا هَمّ وَلا حَزَنٍ وَلا أَذًى

سخط لها ابن أم عبد» وكان يشبه برسول الله ﷺ في هديه وسمته، ولي قضاء الكوفة ومالها في خلافة عمر وصدرًا من خلافة عثمان ثم رجع إلى المدينة ومات بها سنة اثنتين وثلاثين عن بضع وستين سنة، وصلى عليه الزبير ليلًا ودفنه بالبقيع بإيصائه له بذلك لكونه ﷺ كان قد ءاخى بينهما (**قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء**) وبقوله كأني أنظر إلخ. إشارة لكمال استحضاره لها . قال مجاهد: وذلك النبيّ المحكيّ هو نوح عليه السلام، (**صلوات الله وسلامه عليهم**) وقوله: (**ضربه قومه فأدموه**) بيان للمحكيّ، أي أتى بفعل مثل فعل ذلك النبي المحكي فعله، والمحكي به ما وقع له ﷺ بأحد من شج رأسه وكسر رباعيته (**وهو**) أي ذلك النبيّ المحكيّ عنه، أو رسول الله ﷺ (**يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**) وفي هذه الجملة أنواع من الصبر والحكم (**متفق عليه**) وينبغي للسالك التحلي بما فيه.

٣٧ - (**وعن أبي سعيد**) الخدري سعد بن مالك بن سنان (**وأبي هريرة**) الدوسي عبد الرحمٰن بن صخر (**رضي الله عنهما**) حال كونهما راويين (**عن النبي ﷺ قال:**) بيان للمرويّ (**ما يصيب**) بضم أوله (**المسلم**) حقيقة، وخص لأن الثواب الأخروي خاص به وهو مفعول الفعل (**من نصب**) بفتحتين التعب (**ولا وصب**) بفتحتين وجع دائم، خاص بعد عام لما في الوجع كذلك من الشدة المؤدية إلى التضجر والسخط بالقضاء المحبط للثواب أو الإسلام والعياذ بالله، (**ولا همّ ولا حزن**) فرق بينهما بأن الأول للمستقبل والثاني للماضي، (**ولا أذى**) هو

وَلا غَمّ حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِنْ خَطَاياهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

و «الوصب»: المرض.

٣٨ - وَعَن ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه قالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبيّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، قال: «أَجَلْ إِنّي أُوعَكُ كما يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ» قُلتُ: ذلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْن؟ قال: «أَجَلْ ذلِكَ

كل ما لا يلائم النفس فهو أعمّ الكل (**ولا غمّ**) هو أبلغ من الحزن لأنه حزن يشتد بمن قام به حتى يصير بحيث يغمى عليه (**حتى الشوكة**) بالرفع أو الجر (**يشاكها إلا كفَّر الله**) استثناء من أعم الأحوال المقدرة أي ما حصل للإنسان في حال المصيبة حال من الأحوال إلا الحالة التي يكفر الله (**بها**) أي بسببها (**من خطاياه**) قيل: وهو أولى لأن بعض الذنوب لا تكفر بذلك كحق الآدمي والكبائر (**متفق عليه**) وأخرجه الترمذي. وفيه أن الأمراض وغيرها من المؤذيات التي تصيب المؤمن مطهرة له من الذنوب، وأنه ينبغي للإنسان ألا يجمع على نفسه بين ضررين عظيمين الأذى الحاصل وتفويت ثوابه (**والوصب: المرض**) أي الدائم كما تقدم أو الشديد الكثير الأوجاع.

٣٨ - (**وعن**) عبد الله (**بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ**) عائدًا، (**وهو يوعك**) بالبناء للمجهول من الوعك (**فقلت: يا رسول الله إنك توعك**) بالفوقية مبني للمفعول (**وعكًا شديدًا**) يحتمل أنه عرف ذلك من لمس بعض أعضائه ﷺ أو من ظهور الآثار عليه (**قال أجل**) بفتحتين في «الصحاح»: أجل جواب مثل نعم. قال الأخفش إلا أنه أحسن من نعم في التصديق، ونعم أحسن منه في الاستفهام اهـ. (**إني**) بيان للإجمال في قوله أجل (**أوعك**) بالبناء للمجهول (**كما يوعك رجلان منكم**) واحترز بقوله منكم عن نحو الأنبياء (**قلت ذلك**) أي زيادة الوعك (**أن لك**) بفتح الهمزة أي لأن لك (**أجرين قال أجل ذلك**) أي

كَذلكَ، مَا من مُسْلم يُصِيبُهُ أَذًى شَوْكَةٌ فمَا فَوْقَهَا إِلا كفَّرَ اللَّهُ بهَا سَيِّئَاتِهِ[1] كما تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا». مُتَّفَقٌ علَيه.

و«الوعك»: مَغْثُ الحُمَّى، وقيل: الحُمَّى.

٣٩ - وعَن أَبي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللَّهُ عنه قالَ قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصَبْ مِنْهُ». رَواهُ الْبُخارِيُّ.

وضبطوا «يصَب»: بفتح الصاد وكسرها.

تضاعف الأجر (**كذلك**) أي كتضاعف المرض، ثم ذكر الدليل على ترتب الثواب على أنواع البلاء عند حصول الصبر فقال (**ما من مسلم**) من مزيدة للاستغراق فيدخل فيه الكامل وغيره (**يصيبه**) بضم أوله (**أذى**) أي ما يتأذى به (**شوكة**) بدل من أذى وذكرها لأنها أخف أنواعه، ولما كان ما فوقها تعجز العبارة عن تفصيل جميعه أجمله بقوله: (**فما فوقها إلا كفّر الله بها سيئاته**) أي الصغائر المتعلقة بحقوق الله تعالى (**كما تحط الشجرة ورقها. متفق عليه**) وكذا رواه أحمد (**والوعك**) بإسكان المهملة (**مغث الحمى**) أي حرارتها ووهنها للبدن وإضعافها إياه. وفي «مختصر النهاية» للسيوطي: أنه ألم الحمى (**وقيل الحمى**) وهذا الحديث يشهد للقول المختار من حصول الأجر على الأمراض والأعراض أي بشرط الصبر وعدم التبرم من القدر والسخط منه.

٣٩ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من يرد الله به خيرًا**) حالًا ومآلًا (**يصب منه**) إما في بدنه أو ماله أو محبوبه (**رواه البخاري**) في صحيحه ورواه الإمام أحمد (**وضبطوا**) أي شراح الحديث الصحيح (**يصب**) المذكور في الحديث (**بفتح الصاد**) أي المهملة على البناء للمفعول ولم يذكر الفاعل للعلم به وأنه الله سبحانه (**وكسرها**) على البناء للفاعل.

---

(١) في النسخ المطبوعة زيادة: «وحُطت عنه ذنوبه».

٤٠ - وعن أَنَسٍ رضِيَ اللَّهُ عَنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِن كانَ لا بُدَّ فَاعِلًا فَلْيَقُل: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي». مُتَّفَقٌ علَيهِ.

٤١ - وعن أَبي عبدِ اللَّهِ خَبَّابٍ

---

٤٠ - (**وعن أنس**) بن مالك (**رضي الله عنه قال: قال رسول الله** ﷺ **لا يتمنينّ**) بتشديد النون (**أحدكم**) أي الواحد منكم (**الموت**) وفي التعبير بيتمنى دون يسأل إيماء إلى أنه قد يكون من المستحيل لعدم مجيء حينه، فحصوله حينئذٍ محال وإن كان بأنواع السؤال فسوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار، والمنهي عنه على وجه التنزيه تمني الموت (**لضرّ**) بفتح الضاد المعجمة وتضم، وضبط هنا بذلك ضد النفع (**أصابه**) في نفسه أو ماله أو من يلوذ به أو نحوه، لما يدل عليه من الجزع في البلاء وعدم الرضا بالقضاء، أما تمنيه شوقًا للقاء ربّ العالمين أو شهادة في سبيل الله أو ليدفن ببلد شريف أو لخوف فتنة في الدين فلا كراهة فيه، وعليه يحمل ما جاء عن كثيرين (**فإن كان**) من أصابه الضرّ (**لا بد**) أي لا فرق ولا محالة كما في «القاموس» (**فاعلًا**) لتمني الموت لما قاساه من المحن الدنيوية التي لو كشف له عن حقائق اللطف فيها لرءاها من «المنح الإلٰهية»، ولو لم يكن فيها إلا رجوع العبد إلى مولاه، وخروجه عن حوله وقواه لكفاه فكيف وهي سبب لتكفير الخطايا ورفع الدرجات (**فليقل: اللهم**) يا الله، فالميم عوض من حرف النداء؛ (**أحيني**) بقطع الهمزة أي أدم لي الحياة الحسية (**ما كانت الحياة**) المسؤولة بقولي أحيني، وما مصدرية ظرفية أي مدة كون الحياة (**خيرًا لي**) بأن أوفق لمرضاة الله تعالى وأداء عبادته وأسلم من الخذلان والغفلة والنسيان (**وتوفني**) أي أمتني (**إذا كانت الوفاة خيرًا لي**) بأن انعكس الأمر (**متفق عليه**) وأخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان.

٤١ - (**وعن أبي عبد الله**) كنية (**خباب**) بفتح المعجمة وتشديد

ابنِ الأرَتّ رضِيَ اللَّهُ عنه قالَ: شَكَوْنَا إلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسّدٌ بُرْدَةً لَه في ظِلّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: «قَدْ كانَ مَن قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ في الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِئْشَارِ

الموحدة الأولى، (**ابن الأرتّ**) بفتح الهمزة والراء وتشديد الفوقية ءاخره، فهو (**رضي الله عنه**) تميميّ في قول الأكثر، وعُذّب في الله تعالى. قال مجاهد: أول من أظهر إسلامه رسول الله ﷺ وأبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وأم عمار، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأما الآخرون فألبسوهم أدرع الحديد ثم أصبروهم في الشمس فبلغ منهم الجهد ما شاء الله من حرّ الحديد والشمس. شهد بدرًا والمشاهد كلها، ولما هاجر ءاخى ﷺ بينه وبين تميم مولى حراش بن الصمة، مرض خباب مرضًا شديدًا ونزل الكوفة ومات بها، وهو أول من دفن بظهر الكوفة من الصحابة، وكان موته سنة سبع وثلاثين (**قال: شكونا إلى رسول الله** ﷺ) أي ما بنا من أذى الكفار وعذابهم بدليل قوله في الرواية الثانية «وقد لقينا من المشركين شدة» (**وهو متوسد بردة له**) أي جاعلها تحت رأسه. والبرد بضم الموحدة الشملة المخططة، وقيل كساء أسود مربع فيه صور، والجملة حالية من رسول الله ﷺ وكذا قوله: (**في ظل الكعبة، فقلنا**) بيان لشكواهم إليه (**ألا**) بفتح الهمزة وتخفيف اللام أداة استفتاح أو عرض (**تستنصر**) أي تسأل الله النصر (**لنا ألا تدعو لنا**) أي بذلك أو نحوه من كفهم عنا ومنعهم من أذانا (**فقال**) محرّضًا لهم على الصبر (**قد كان من**) بفتح الميم أي الذين (**قبلكم**) من الأمم (**يؤخذ الرجل**) أي المؤمن منهم فالجملة خبر والرابط محذوف أي كان الذين قبلكم يؤخذ الرجل الذي ءامن منهم ليعذب فيرجع عن إيمانه فما يرجع (**فيحفر له في الأرض**): أي يحفر الآخذ، (**فيجعل فيها ثم يؤتى بالمئشار**) روي بالنون من نشرت الخشبة قال الحافظ في «الفتح» «وهي أشهر في الاستعمال»

فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ مَا يَصُدُّهُ ذلِكَ عَن دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلا اللَّهَ والذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

(**فيوضع**) أي المنشار (**على رأسه**) فيؤشر (**فيجعل**) أي يصير (**نصفين ويمشط**) أي يعذب (**بأمشاط**) جمع مشط معروف (**الحديد**) أي يعذب بها (**ما دون لحمه وعظمه**) زيادة في تعذيبه ليرجع عن إيمانه و(**ما يصده**) أي يمنعه أو يصرفه (**ذلك**) المذكور من أنواع العذاب (**عن دينه**) والثبات عليه، وفيه مدح الصبر على العذاب على الدين، وعدم إقرار عين الكافر باللفظ بكلمة الكفر وإن كانت جائزة حينئذٍ للإكراه (**والله**) فيه الحلف من غير استحلاف، وهو مندوب لتأكيد ما يحتاج لتأكيده (**ليتمن الله**) بضم التحتية (**هذا الأمر**) أي ليتمنّ الله هذا الأمر أي دين الإسلام (**حتى يسير**) بالنصب لأنه مستقبل بالنسبة لما قبل زمن التكلم به (**الراكب**) التقييد به جرى على الغالب من أن المسافر يكون راكبًا فلا مفهوم له، والمراد الجنس فيشمل ما فوق الواحد (**من صنعاء**) بالمد مدينة عظيمة باليمن (**إلى حضرموت**) مدينة بقرب اليمن وهو مركب مزجيّ غير مصروف لذلك وللعلمية (**لا يخاف**) أحدًا (**إلا الله**) والمعنى أن الإسلام يعم النواحي فيسير المسافر لا يخشى أحدًا يعذبه على إيمانه ولا يفتنه في دينه فلا يخاف إلا الله سبحانه (**و**) لا يخاف إلا من الأسباب العادية على أموره الدنيوية فيخاف (**الذئب**) بكسر المعجمة سبع معروف أن يعدو (**على غنمه**) والسارق أن يغير على ماله ونعمه (**و**) تمام هذا الأمر: أي الإسلام وظهوره على سائر الأديان كائن البتة (**لكنكم تستعجلون**) أي تطلبون العجلة في الأمور ولكل شيء في علم الله أوان وإذا جاء الأوان يجيء.

وقد وقع ما أخبر به المصطفى ﷺ كما أخبر، فعم الإسلام وظهر وصار الراكب لا يخشى من يفتنه ويصده عن دينه إنما يخشى بوائق

رَوَاهُ الْبُخارِيُّ.

وَفي رِوَايةٍ: «وَهُوَ مُتَوَسّدٌ بُرْدَةً وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكينَ شِدَّةً».

٤٢ - وعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رضِيَ اللَّهُ عنه قالَ: لَمَّا كانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ ءاثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاسًا في الْقِسْمَةِ فَأَعْطَى الأَقْرَعَ

الحدثان وبالله المستعان، فهو من جملة علامات نبوّته ﷺ. (**رواه البخاري**) في علامات النبوّة ورواه أبو داود والنسائي. (**وفي رواية**) أي للبخاري في باب ما لقي النبيّ ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة (**وهو متوسد بردة**) أتى بها مع أنها في الرواية السابقة ليبين بها محل قوله (**وقد لقينا**) أي معشر ضعفاء المسلمين (**من المشركين شدة**) أي عظيمة كما يؤذن به التنوين، فكانوا يلقون بلالًا على قفاه في وقت الظهيرة ويجعلون على صدره الصخرة العظيمة، وكانوا يلقون خبابًا على ظهره على النار وجعلوا سمية أم عمار بين جملين وأدخلوا في قبلها رمحًا فماتت رضي الله عنهم أجمعين، ثم هذه الشدائد التي حلت بأولئك الأماجد لكمال استعدادهم زيادة في علو درجاتهم ورفع شأنهم، وفي الحديث الشريف: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» وعلى قدر المقام يكون الابتلاء. وقد كانت قلوبهم راضية وأنفسهم بذلك مطمئنة، وشكواهم ليست عن تضجر ولا تبرم، وإنما هي لأنهم رأوا أن في السلامة من ذلك تفرغًا للعبادة وتوجهًا إلى كمال السعادة، فأرشدهم المصطفى ﷺ إلى أن غاية الأدب الصبر على مراد الله والرضا بقضاء الله.

٤٢ - (**وعن**) عبد الله (**بن مسعود**) الهذلي (**رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين**) أي زمن غزوتها وهي واد بين مكة والطائف وراء عرفات، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلًا وهو معروف، وكانت وقعة حنين في شوال سنة ثمان من الهجرة عقب فتح مكة (**ءاثر**) بالمد أي أعطى (**رسول الله ﷺ ناسًا**) من المؤلفة ومن الطلقاء ومن رؤساء العرب يتألفهم (**في القسمة**) لغنائم هوازن (**فأعطى الأقرع**) بالقاف الساكنة بعدها

ابْنَ حَابِسٍ مائَةً مِنَ الإِبِلِ وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ مِثْلَ ذلِكَ، وأَعْطَى نَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَءاثَرَهُمْ يَوْمئِذٍ في الْقِسمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هذِهِ قِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا وَما أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،

مهملتان لقب به لقرع كان في رأسه (**ابن حابس**) وهو من سادات تميم كان شريفًا في الجاهلية والإسلام (**مائة من الإبل وأعطى عيينة بن حصن**) ابن بدر الفزاري (**مثل ذلك**) مفعول ثان (**وأعطى ناسًا من أشراف العرب**) والطلقاء وضعفاء الإيمان (**وءاثرهم**) أي أعطاهم عطايا نفيسة (**يومئذٍ**) أي يوم حنين (**في القسمة**) لغنائمها تألفًا لهم، وترك أقوامًا اعتمادًا على ما وقر في قلوبهم من نور الإيمان وشمس العرفان. وفي الحديث الصحيح عن سعد مرفوعًا: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه مخافة أن يكبه الله في النار على وجهه». (**فقال رجل**) هذا لفظ مسلم وعند البخاري «فقال رجل من الأنصار هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، فقال ﷺ: لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر». قلت: قال الشيخ زكريا اسمه: معتب بن قشير اهـ. وهو بضم الميم وفتح المهملة وتشديد الفوقية ءاخره موحدة وهو من الأنصار أي من قبيلتهم، وهو الذي روى عنه الزبير أنه قال: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هٰهنا. أما الذي قال: اعدل يا رسول الله فاسمه ذو الخويصرة وهو أبو الخوارج، فإن صح ذلك فيكون معنى قوله: إنه من الأنصار: أي حلفًا أو ولاء (**والله إن هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله**) الأوجه أنه ﷺ إنما ترك قتل قائل هذا الكلام مع أن سبه ﷺ كفر يقتل به فاعله، لئلا يتحدث الناس بأنه ﷺ يقتل أصحابه قال الحافظ في «الفتح»: «ظاهره أن ترك الأمر بقتله بسبب أن له أصحابًا بالصفة المذكورة فلو أذن في قتلهم لكان ذلك تنفيرًا عن دخول غيرهم في الإسلام» اهـ. قال ابن مسعود (**فقلت: والله لأخبرنّ رسول الله ﷺ**) وليعلم ما أخفاه من حاله، وليس هذا من باب نقل المجالس وهي بالأمانة، لأن ذاك في غير نحو هذا،

فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كانَ كالصِّرْفِ ثُمَّ قَالَ: «فَمَن يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هذَا فَصَبَرَ»، فَقُلْتُ: لا جَرَمَ لا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

أما هذا فمن النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين **(فأتيته فأخبرته بما قال)** مما يدل على حجب بصيرة قائله عن مشكاة أنواره ﷺ وإلا فلو أشرق فيه بعض ذلك النور لامتلأ قلبه من الخيور وعلم أنه ﷺ الطبيب الحاذق الذي يداوي كل سقيم ويذهب كل ضير وألم ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النور]. قال ابن مسعود: **(فتغير وجهه)** ﷺ كما هو قضية طبع البشر عند حصول مؤذ للنفس **(حتى كان)** أي صار **(كالصرف)** هذا لفظ رواية مسلم. وفي رواية البخاري في باب بدء الخلق «فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه» **(ثم قال)** رادًا عليه ما نسبه إليه من عدم العدل **(فمن يعدل)** استفهام إنكار فهو في معنى ما يعدل أحد **(إذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال)** مبينًا أن الصفح عن عثرات اللئام سنة قديمة في الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام **(يرحم الله موسى)** أتى به مع أن الأكثر من هديه ﷺ في الدعاء: أي عند ذكر أحد من الأنبياء أن يبدأ بنفسه فيقول مثلًا غفر الله لنا ولفلان، اهتمامًا بشأنه لأنه ذكر في مقام المدحة له والتأسي به **(قد أوذي بأكثر من هذا)** أي من أذى السفهاء والجهال له ﷺ فقالوا إنه ءادر وذلك منهم غاية العتوّ ونهاية الاختلاق **(فصبر)** على أذاهم وقابل جهلهم بحلمه، وهو ﷺ المقتبس من مشكاته كل خلق حسن **(فقلت لا جرم)** والمعنى حق أن **(لا أرفع إليه بعدها)** أي هذه المرة **(حديثًا)** يقع من أولئك فيه نفثات ألسنتهم بما تخفيه صدورهم أي مما لا يعود بضرر على النبيّ ﷺ ولا على الإسلام وإنما رأى ذلك لأنه رأى أن كلامه حصل منه بعض التعب للنبي ﷺ حتى رأى أثر الغضب من تلك الحمرة في بشرته الشريفة، ومع ذلك صفح عن ذلك القائل كيلا يقول الناس إن محمدًا ﷺ يقتل أصحابه **(متفق عليه)** رواه

وقوله: «كالصرف» هو بكسر الصاد المهملة: وهو صبغ أحمر.

٤٣ - وعن أَنَسٍ رضِيَ الله عنه قالَ: قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الخيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ في الدُّنْيا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ

البخاري في أبواب الخمس وفي الأنبياء وفي الدعوات وفي الأدب. ورواه مسلم في الزكاة (**وقوله**) في الحديث: (**كالصرف هو بكسر الصاد المهملة**) وسكون الراء ءاخره فاء (**وهو صبغ أحمر**) زاد النووي في «شرح مسلم» يصبغ به الجلود، قال ابن دريد: وقد يسمى الدم أيضًا صرفًا اهـ.

٤٣ - (**وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله بعبده**) المراد عقابه (**الخير عجل له**) في جزاء سيئاته (**العقوبة في الدنيا**) ببلاء في نفسه أو بموت صديقه أو بفقد ماله ونحوه، فيكون ذلك إذا سلم من التبرّم من الأقدار كفارة لجناياته فيوافي القيامة وقد خلص من تبعة الذنب ودركه، فإن لم يكن من أرباب المخالفات ونزل به بلاء كان زيادة في درجاته، (**وإذا أراد بعبده**) المذكور (**الشر**) من العقاب والعذاب (**أمسك عنه**) الأذى (**بذنبه**) الباء بمعنى في، أو سببية يعني أن تأخير ما ذكر عنه وبقاءه في تبعات ذنبه من أسباب ذنبه، ففيه استدراجه من حيث لا يشعر (**حتى يوافي به**) أي بذنبه حاملًا له على كاهله (**يوم القيامة**) فيجازى به، وأين جميع أهوال الدنيا ومضايقها من ساعة من عذاب النار وما فيها من الأغلال والأنكال؟ وفي الحديث الحثّ على الصبر على ما تجري به الأقدار وأنه خير للناس في الحال والمآل، فمن صبر فاز ومن تبرّم بالأقدار فقدر الله لا يُردّ وفات المتبرّم أعالي الدرجات وتكفير السيئات والله وليّ التوفيق.

(**و**) عن أنس (**قال النبيّ ﷺ**) مؤكدًا لما دل عليه ما قبله مبينًا له (**إن عظم الجزاء**) أي الثواب في الآخرة كائن (**مع عظم البلاء**) فمن حلّ به

وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ٱبْتَلَاهُمْ، فَمَن رَضِيَ فَلَهُ الرِضَا وَمَن سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ». رواه التّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

٤٤ - وعن أَنَسٍ رضِيَ اللَّهُ عنه قال: كانَ ابْنٌ لأبي طَلْحَةَ رضِيَ اللَّهُ عنه يَشْتَكِي

خلاف ما يهواه الإنسان بالطبع من الشدائد فليفرح بها، لما فيها من التخصيص وإجزال العطاء، فإن لم يكن من أهل مقام الرضا فلا أقل من أهل مقام الصبر (**وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم**) لأنه لو تركهم وزهرات الدنيا ربما استغرقت فيها قلوبهم فاشتغلوا بها عن مربوبهم كما وقع ذلك للكفار وأرباب الغفلات، فمن أراد الله إقباله عليه قطع عنه العلائق وأنزل به أنواع البلايا لتقوده إلى الرجوع إلى مولاه في كل ساعة (**فمن رضي**) بما جرى به القدر ولم يتبرم ولم يتضجر (**فله الرضا**) بالاختصاص الإلٰهي والفيض الرباني والثواب الجزيل والأجر الجميل قال تعالى ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الرحمٰن] (**ومن سخط**) من ذلك وتبرم من تلك المقادير جرى المقدور إذ لا مانع لما أراد سبحانه (**فله**) أي الساخط (**السخط**) وفي نسخة الانتقام أو إرادته، لما فيه من الاعتراض على الأحكام الربانية، وليس ذلك من شأن العبيد، والله يفعل ما يريد (**رواه الترمذي**) في «جامعه» (**وقال حديث حسن**) وفي معنى حديث الباب ما أخرجه الترمذي أيضًا عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب أن لو كانت جلودهم قرضت في الدنيا بالمقاريض».

٤٤ - (**وعن أنس**) الأخصر وعنه (**رضي الله عنه قال: كان ابن**) قال الحافظ في «الفتح»: هو أبو عمير الذي كان النبي ﷺ يمازحه ويقول له ﷺ: «يا أبا عمير ما فعل النغير؟» اهـ وحديثه ذلك عند الترمذي في «شمائله». قيل كناه ﷺ بما ذكر إشارة إلى قصر عمره (**لأبي طلحة**) اسمه زيد بن سهل الأنصاري، والابن أخ لأنس من أمه أم سليم (**رضي الله عنه**) الأولى رضي الله عنهما لأنه ذكر صحابيين الابن وأبوه (**يشتكي**)

فَخَرَجَ أبو طَلْحَةَ فَقُبِضَ الصَّبيُّ، فَلَمَّا رَجَعَ أبو طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا فَعَلَ ابنِي؟ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْم وَهِيَ أُمُّ الصَّبيّ: هُوَ أَسْكَنُ مَا كانَ، فَقَرَّبَتْ له[1] الْعَشَاءَ فَتَعَشَّى ثُمَّ أَصَاب مِنْهَا، فَلَمَّا فَرَغَ قَالتْ وَارُوا الصَّبيَّ. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: «أَعرَّسْتُمُ اللَيلَة؟» قَالَ: نَعَم، قَال: «اللهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا» فَوَلَدَتْ غُلَامًا

أي مريض، وليس المراد أنه صدرت منه شكوى لكن لما كان المريض يحصل منه ذلك استعمل في كل مريض **(فخرج أبو طلحة)** أي إلى النبي ﷺ **(فقبض)** بالبناء للمجهول **(الصبي)** زاد الإسماعيلي في روايته: «فأمرت أمه أنسًا أن يدعو أبا طلحة وألا يخبره بموت ابنه» **(فلما رجع أبو طلحة رضي الله عنه)** إلى بيته، جاء في رواية الإسماعيلي «وكان أبو طلحة صائمًا» **(قال ما فعل ابني)** أي ما قام به من صحة أو زيادة مرض **(فقالت أم سليم)** بضم المهملة مصغرًا. **(وهي أم الصبي)** جملة معترضة **(هو أسكن ما كان)** أي أسكن أكوانه فإنه كان في القلق والاضطراب للنزع فذهب ذلك حينئذٍ، وظن أبو طلحة أنها أرادت هو أسكن من الألم لحصول العافية وفي عبارتها التوجيه **(فقربت له العشاء)** بفتح المهملة ممدودًا الطعام الذي يؤكل عند العشاء، وهو ما بين المغرب والعتمة **(فتعشى ثم أصاب منها)** أي جامعها. **(فلما فرغ)** من حاجته **(قالت: واروا)** أي استروا **(الصبي)** بالدفن **(فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره)** أي بما عدا الجماع بدليل قوله: **(فقال: أعرستم الليلة)** المراد منه هنا الوطء وسماه إعراسًا لأنه من توابع الإعراس **(قال: نعم)** وهي من حروف الجواب لتصديق مخبر أو إعلام مستخبر أو وعد طالب **(قال: اللهم)** أي يا أله **(بارك لهما)** دعا لهما بالبركة وهي النماء والزيادة **(فولدت)** من ذلك الوطء المدعو بالبركة فيه **(غلامًا)** هو

---

(١) وفي نسخة «إليه».

فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: احمِلْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبيَّ ﷺ وَبَعَثَتْ مَعَهُ بِتَمَرَاتٍ، فَقَالَ: «أَمَعَهُ شَيْءٌ»؟ قالَ: نَعَمْ تَمَرَاتٌ فَأَخَذَهَا النَّبيُّ ﷺ فَمَضَغَهَا ثُمَّ أَخَذَهَا مِن فِيهِ فَجَعَلَهَا في فِي الصَّبيّ ثُمَّ حَنَّكَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ. متفقٌ عليه.

وفي رِوَايةٍ البخارِيّ: «قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: «فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: فَرَأَيْتُ تِسْعَةَ أَوْلادٍ كلُّهُمْ قَدْ قَرأَوا الْقُرْءانَ» يَعْنِي مِنْ أَوْلادِ عَبْدِ الله الْمَوْلُودِ.

عبد الله، قال أنس: (**فقال لي أبو طلحة: احمله حتى تأتي به النبيّ** ﷺ) ليحلّ نظره الشريف عليه (**وبعثت معه بتمرات**) بفتح الميم ليحنكه بها، والتحنيك بالتمر تفاؤل بالإيمان لأنها ثمرة الشجرة التي شبهها رسول الله ﷺ بالمؤمن ولحلاوتها أيضًا (**فقال**) أي النبيّ ﷺ (**أمعه شيء؟**) أي يحنك به (**قال**) أنس: (**نعم**) بفتحتين فسكون (**تمرات**) أي معه تمرات (**فأخذها النبي** ﷺ **فمضغها**) لتختلط بريقه الشريف ويقدر الصبي على إساغتها فيكون أول ما يدخل جوفه الممتضغ بريق المصطفى ﷺ فيسعد ويبارك فيه (**ثم أخذها**) أي التمرات الممضوغات (**من فيه فجعلها في في الصبيّ**) أي في فمه (**ثم حنكه**) قال الحافظ في «الفتح»: «التحنيك مضغ الشيء ووضعه في فم الصبي ودلك حنكه به» اهـ (**وسماه عبد الله**) أي وضع له هذا الاسم، ففيه فضل التسمية بذلك (**متفق عليه و**) زاد (**في رواية البخاري قال**) سفيان (**بن عيينة**) الهلالي قرين الإمام مالك من تابعي التابعين (**فقال رجل من الأنصار**) هو: عباية بن رفاعة (**فرأيت تسعة أولاد كلهم**) بالرفع مبتدأ خبره جملة (**قد قرءوا القرءان يعني**) هذا لفظ أحد الرواة عن سفيان لبيان أن الأولاد المرئيين (**من أولاد عبد الله**) بن أبي طلحة (**المولود**) من تلك الإصابة المدعو لها بالبركة. وله من الولد فيما ذكر ابن سعد وغيره من علماء الأنساب إسحاق وإسماعيل وعبد الله ويعقوب وعمر والقاسم وعمارة وإبراهيم وعمير وزيد ومحمد، وأربع

وَفي رِوَايَةٍ لمسلم: مَاتَ ابْنٌ لأبي طَلْحَةَ مِنْ أُمّ سُلَيْم فَقَالَتْ لأَهْلِهَا: لا تُحَدّثُوا أَبَاً طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتّى أَكُونَ أَنَا أُحَدّثُهُ، فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْه عَشَاءً فَأَكلَ وَشَرِبَ، ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كانَتْ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذلِكَ، فَوَقَعَ بِهَا، فَلَمَّا أَن رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَومًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُم أَلَهُمْ أَن يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لا، فَقَالَتْ فَاحْتَسِبِ ٱبْنَكَ، قال:

من البنات، (**وفي رواية**) أخرى (**لمسلم**) في «صحيحه» (**مات ابن لأبي طلحة من أم سليم**) الظرف الأول صفة لابن والثاني محتمل لها والحالية (**فقالت لأهلها**) أي لقرابتها الذين عندها وشعروا بوفاة ابنها (**لا تحدثوا أبا طلحة**) عند مجيئه المنزل (**بـ**) وفاة (**ابنه**) لئلا يتنغص عيشه وهو صائم فلا ينال حاجته من الطعام (**حتى**) تعليلية أو غائية (**أكون أنا**) تأكيد للضمير المستكن (**أحدثه، فجاء فقربت إليه عشاء**) عبر هنا بإلى لأنه منتهى التقريب، وفيما تقدم باللام إشارة إلى أنه مقصود بذلك العشاء مهيأ (**فأكل وشرب ثم تصنعت له**) بتحسين الهيئة بالحلي ونحوه (**أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك**) الوقت، وهذا يدل على كمال يقينها وقوة صبرها (**فوقع بها**) أي جامعها (**فلما أن**) زائدة (**رأت أنه قد شبع**) من الطعام (**وأصاب منها**) بالجماع (**قالت**) منبهة له على أنه لا ينبغي له الحزن على موت ولده عند إطلاعه عليه لأنه وديعة بصدد الاسترداد (**يا أبا طلحة أرأيت**) أخبرني (**لو**) ثبت (**أن قومًا**) هو في الأصل جماعة الرجال، والأكثر في استعمال الشرع أن يراد به ما يشملهم والنساء، قاله الراغب في «مفرداته» (**أعاروا عاريتهم**) مفعول ثان لأعار (**أهل بيت**) مفعوله الأول (**فطلبوا عاريتهم ألهم**) أي لأهل البيت المستعيرين (**أن يمنعوهم**) أي منعهم، (**قال: لا**) أي ليس لهم منعهم لأن الإعارة إباحة منافع المعار والمعار باق على ملك المعير فله استرداده متى شاء (**قالت: فاحتسب ابنك**) أي اطلب ثواب ابنك وأجر مصيبتك فيه من الله ولا تدنسها بما يحبط الثواب فإنه كان عندك عارية استرده مالكه (**قال**)

فَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ: تَرَكْتِنِي حَتّى إِذَا تَلَطَّخْتُ ثُمَّ أَخْبَرْتِنِي بابْني، فَانْطَلَقَ حَتّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بمَا كانَ فقالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بارَكَ اللَّهُ في لَيْلَتِكُما»، قالَ: فَحَمَلَتْ.

قالَ: وكانَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ في سفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ، وَكانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِن سَفَرٍ لا يَطْرُقُهَا طُرُوقًا فَدَنَوْا مِنَ المدينةِ، فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ، فَاحْتُبِسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ وانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قالَ: يَقُولُ

أنس (**فغضب**) أبو طلحة (**ثم قال**) لأم سليم (**تركتني**) بكسر التاء للمخاطبة (**حتى إذا**) وقتية (**تلطخت**) تلوثت بالجماع، يقال لَطَخَهُ بكذا أي لوّثه به (**ثم أخبرتني**) بكسر التاء (**بابني**) أي بموته (**فانطلق**) يمشي (**حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان**) أي المذكور من فعل أم سليم الدال على كمال يقينها وحسن صبرها مما يعجز عنه كثير من الرجال (**فقال رسول الله ﷺ**) داعيًا لهما بما يعود نفعه عليهما لجميل فعلهما (**بارك الله في ليلتكما**) أي فيما فعلتماه فيها من الإعراس بأن يجعله نتاجًا طيبًا وثمرة حسنة (**قال**) أنس: (**فحملت**) أم سليم إجابة لدعائه ﷺ بالبركة بما كان منه قوم صالحون (**قال**) أنس: (**وكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه، كان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر**) بفتح أوليه سمي بذلك لأنه يسفر عن أخلاق الرجال، وسفره ﷺ من المدينة إنما كان لأداء النسك أو الجهاد (**لا يطرقها**) بضم الراء (**طروقًا**) بضم أوليه المهملين أي لا يأتيها ليلًا، وكل ءات بالليل طارق، ونهى عن طروق المسافر أهله ليلًا لئلا يرى منهم ما قد يكرهه. وأيضًا فإذا وصلوا البلد نهارًا وسمع بهم أهلهم تصنعت المرأة لبعلها فيراها بمنظر حسن، بخلاف ما إذا فجأها وهي شعثة ربما كان رؤياها كذلك سببًا لفراقه لها، وهذا إذا لم يترقب أهله قدومه عليهم ليلًا (**فدنوا**) قربوا (**من المدينة فضربها المخاض**) وهو وجع الولادة (**فاحتبس عليها أبو طلحة**) أي حبس نفسه عليها لاشتغاله بشأنها (**وانطلق رسول الله ﷺ**) في مسيره إلى المدينة (**قال**) أنس: (**يقول**

أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبِّ أَنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ وأَدْخُلَ مَعه إِذَا دَخَلَ وَقَد احْتُبِسْتُ بِمَا تَرَى، تَقُولُ أُمُّ سُلَيْم: يا أَبَا طَلْحَةَ مَا أَجِدُ الّذِي كُنْتُ أَجِدُ، انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا وضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا. فَقَالَتْ لِي أُمّي: يَا أَنَسُ لا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَغْدُوَ بِهِ على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ فَانْطَلَقْتُ بِهِ

أبو طلحة) أتى بلفظ المضارع لحكاية الحال الماضية إشارة لكمال استحضاره للقصة وإتقانه لها **(إنك لتعلم يا رب)** بكسر الباء ويجوز فتحها وضمها **(إنه يعجبني)** بضم التحتية **(أن أخرج مع رسول الله ﷺ إذا خرج)** من المدينة لسفر **(وأدخل معه)** المدينة، **(إذا دخل)** أي دخلها، **(وقد احتبست)** أي منعت من الدخول **(بما ترى)** مما نزل بأم سليم، فأجاب الله دعوته وكشف كربته قال أنس مخبرًا عن ذلك **(تقول أم سليم)** أي قالت أم سليم **(يا أبا طلحة، ما أجد الذي كنت أجد)** أي ما أجد ألم الوضع الذي كنت أجده قبل **(انطلق)** أمر له لأن سبب التخفيف زال. قال أنس **(فانطلقنا وضربها المخاض حين قدما)** بكسر الدال أي وقت قدوم أبي طلحة وأم سليم المدينة مع المصطفى ﷺ **(فولدت غلامًا)** هو المسمى بعبد الله **(فقالت لي أمي)** أم سليم أم عبد الله المذكور **(يا أنس لا يرضعه)** بضم التحتية **(أحد)** أي ليكون أول شيء يشق جوفه ويدخل أمعاءه الممزوج بريق المصطفى ﷺ، فيعود عليه بخير الدارين كما ظهر أثره في هذا الغلام بتكثير بنيه الصالحين الأتقياء الفالحين **(حتى تغدو به)** وتعرضه **(على رسول الله ﷺ)** والغدوّ سير أول النهار، والرواح السير بعد الزوال، هذا هو الأصل فيهما وقد يتجوز في ذلك، وعدى بعلى إشارة إلى أن القصد من الوصول به إليه عرضه ليحل عليه نظره السعيد فيفوز بالخير المديد وقد حقق الله ما أرادت **(فلما أصبح)** أي دخل وقت الصباح ومنه قوله تعالى ﴿فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الروم] **(احتملته فانطلقت)** أمشي **(به)**

إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ.

٤٥ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه أَنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ مَن يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ». متَّفَقٌ عليه.

و«الصرعة»: بضم الصاد وفتح الراء وأصله عند العرب من يَصْرَعُ الناسَ كثيرًا.

منتهيًا (**إلى رسول الله ﷺ. وذكر تمام الحديث**) وفيه نحو مما في حديث البخاري السابق أنه حنكه بالتمر وسماه عبد الله. وفي الحديث فوائد جواز الأخذ بالشدة وترك الرخصة مع القدرة عليها، والتسلية عن المصائب، وتزين المرأة لزوجها، وتعرضها لطلب الجماع منه، واجتهادها في عمل مصالحه، ومشروعية المعاريض الموهمة إذا دعت الضرورة إليها ولم يترتب عليها إبطال حق مسلم. وفيه إجابة دعوة النبيّ ﷺ وأن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه. وكان لأم سليم من قوّة القلب وثبات الجنان الغاية القصوى، فكانت تشهد الحرب وتداوي الجرحى.

٤٥ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ليس الشديد**) المحمودة شديديته شرعًا (**بالصرعة إنما الشديد**) الممدوحة شديديته شرعًا (**من يملك نفسه**) من الوقوع في المنهيات (**عند**) وجود (**الغضب**) وقيامه به وذلك إنما يكون لمن راض نفسه بسياسة الاتباع واقتدى بالمصطفى في سائر الأحوال فلم يحمله الغضب على الوقوع في أسباب الهلاك في دينه. والغضب ضد الرضا. وسببه حصول مخالف لمراد الإنسان ممن هو دونه وتحت يده فيحصل منه تلك الحالة المقتضية لفعل ما لا يجوز من قتل أو ضرب أو سب. فمن حفظ نفسه عن ذلك وقادها بزمام الشريعة وكظم غيظه وعفا فاز بالدرجة العليا وكان محمودًا شرعًا، وإن انتقم بقدر ما أذن فيه الشرع من التأديب فلا بأس (**متفق عليه**) ورواه الإمام أحمد (**الصرعة بضم الصاد وفتح الراء وأصله عند العرب من يصرع الناس كثيرًا**) وفي الحديث أن مجاهدة النفس أشدّ من

٤٦ - وَعَن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رضِيَ اللَّهُ عنه قال: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبيّ ﷺ وَرَجُلانِ يَسْتَبَّانِ وَأَحَدُهُما قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم ذَهَبَ منْهُ مَا يَجِدُ» فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «تَعَوَّذْ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ».

مجاهدة العدو. وقد ورد أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه لما عادوا من بعض الغزوات: «رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

٤٦ - **(وعن سليمان بن صرد رضي الله عنه)** وصرد بضم ففتح لأوليه وجميع حروفه مهملة، وهو خزاعي. كان اسم سليمان في الجاهلية «يسار» فسماه ﷺ «سليمان» وكان خيّرًا دينًا فاضلًا ذا دين وعبادة وشرف في قومه. وقتل في حرب وحمل رأسه إلى مروان بن الحكم بالشام. وكان عمره حين قتل ثلاثة وتسعين سنة **(قال: كنت جالسًا مع النبي ﷺ ورجلان يستبان)** أي يسبّ كل منهما صاحبه **(وأحدهما)** قال ابن حجر: قيل إنه معاذ بن جبل **(قد احمرّ)** بتشديد الراء **(وجهه وانتفخت أوداجه)** في «النهاية»: الأوداج ما أحاط بالعنق من العروق التي يقطعها الذابح واحدها ودج، وقيل الودجان: عرقان غليظان على جانبي ثغرة النحر، ومنه الحديث اهـ **(فقال رسول الله ﷺ: إني لأعلم كلمة)** المراد منها معناها اللغوي وهي الجمل المفيدة **(لو قالها)** بصدق ويقين **(لذهب عنه ما يجد)** من شدة الغضب ببركة الكلمات. ثم هذا الحديث الشريف مستمد من قوله تعالى ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ [سورة الأعراف] **(لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب منه ما يجد)** من شدة الغضب وشره، وأعوذ معناه ألجأ وأعتصم، والشيطان: العاتي المتمرّد من شاط احترق، أو من شطن بعد، والرجيم فعيل بمعنى مفعول أي المبعد من رحمة الله **(فقالوا له)** أي قال الصحابة لذلك الرجل المغضب **(إن النبي ﷺ قال: تعوّذ بالله من الشيطان الرجيم)** هذا منهم رواية للحديث بالمعنى لا بخصوص

مُتَّفَقٌ علَيه.

٤٧ - وَعَن مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رضِيَ اللَّهُ عنه أَنَّ النّبيَّ ﷺ قالَ: «مَن كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وتعالى عَلَى رُءوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتّى يُخَيّرَهُ مِنَ الحُوْرِ [الْعِينِ][1] مَا شَاءَ». رَواهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتّرْمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

اللفظ والمبنى، ففيه نص على جواز ذلك للعارف به. وفي الحديث: تتمة سكت عنها المصنف هنا وهي أنه لما قيل له ذلك قال: «وهل بي من جنون؟» وفيه أن الغضب إنما يثير ناره ويشعل لهبه الشيطان لما يترتب عليه من الضرائر في الدين والدنيا فلذا كان دواؤه قطع سبب مادته وهو وسواس الشيطان الرجيم بالاستعاذة منه **(متفق عليه)** ورواه أبو داود والترمذي والنسائي.

٤٧ - **(وعن معاذ)** بضم الميم بعدها مهملة **(ابن أنس رضي الله عنه)** هو الجهني؛ سكن مصر **(أن النبي ﷺ قال: من كظم غيظًا)** تجرعه واحتمل سببه وصبر عليه. والغيظ: تغير الإنسان عند احتداده، وظاهر عموم تنكير غيظًا حصول الثواب على كظم الغيظ مع القدرة على إنفاذه وإن قلّ **(وهو قادر على أن ينفذه)** أي يقضي ويعمل بما يدعوه إليه من ضرب المغتاظ منه، أو قتله أو نحوه لسطوته على المغتاظ منه بملك أو نحوه وهو قيد في حصول ثواب كظم الغيظ المذكور **(دعاه الله سبحانه)** تنزيهًا له عما لا يليق بشأنه **(وتعالى)** عن ذلك فهو كالإطناب كما سبق **(على رؤوس الخلائق)** تنويهًا بشأنه وإعلامًا بعلوّ مكانه **(يوم القيامة حتى يخيره من الحور)** أي شديدات سواد العيون وبياضها **(العين)** ضخام العيون كسرت عينه بدل ضمها لمجانسة الياء مفرده عيناء كحمراء **(ما شاء رواه أبو داود والترمذي)** ورواه ابن ماجه **(وقال)** يعني الترمذي **(حديث حسن)** وعند ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الغضب من حديث أبي

---

(١) زيادة في إحدى روايات أبي داود.

٤٨ - وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللَّهُ عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَزَالُ الْبَلاَءُ بالْمؤمِنِ وَالْمُؤمِنَةِ في نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تعالَى وما عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

هريرة مرفوعًا: «من كظم غيظًا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانًا» وقد روي أن الحسين بن علي رضي الله عنهما كان له عبد يقوم بخدمته ويقرب إليه طهره فقرب إليه طهره ذات يوم في كوز فلما فرغ الحسين من طهوره رفع العبد الكوز من بين يديه فأصاب فم الكوز رباعية الحسين فكسرها فنظر إليه الحسين فقال العبد: «والكاظمين الغيظ» قال: قد كظمت غيظي فقال: «والعافين عن الناس» قال قد عفوت عنك، قال: «والله يحب المحسنين» قال اذهب فأنت حرّ لوجه الله تعالى، قال وما جواز عتقي، قال السيف والدرقة فإني لا أعلم في البيت غيرهما.

٤٨ - (**وعن أبي هريرة**) الأخصر وعنه (**رضي الله عنه قال: قال رسول الله** ﷺ: **ما يزال البلاء**) بالمصائب والمتاعب نازلًا (**بالمؤمن والمؤمنة في نفسه**) بالمرض والفقر، والغربة التي هي في الظاهر كربة، وإن نظرت إليها وأنها واردة إليك من أرحم الراحمين انقلبت من كونها محنة إلى كونها منحة (**وولده**) بالموت والمرض أو عدم الاستقامة أو نحوه مما يؤلم الوالد بحسب الطبع البشري (**وماله**) بالتلف ببعض الأسباب من حرق أو سرقة أو نحو ذلك (**حتى**) غاية لنزول البلاء بأرباب الإيمان أي إن البلاء لا يزال بالإنسان أي الصابر كما يدل عليه لفظ المؤمن والمؤمنة المحمول عن الفرد الكامل إلى أن يغفر الله له به الخطايا ف (**يلقى**) أي المبتلى ليشمل كلًا منهما (**الله تعالى**) ولقاء الله كناية عن الموت (**وما عليه خطيئة**) أي ذنب وقوله خطيئة ظاهر عمومه شمول الكبائر والتبعات، فإن ثبت ذلك وأنه مراد فذلك من محض فضل الكريم الجواد إذ صالح العمل ومنه الصبر والاحتساب إنما يكفر الصغائر المتعلقة بحقوق الله تعالى (**رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح**).

٤٩ - وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه أَنَّ رجُلًا قَالَ للنّبيّ ﷺ: أَوْصِنِي، قالَ: «لا تَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مِرَارا، قَالَ: «لا تَغْضَبْ». رواه الْبُخَارِيُّ.

٥٠ - وَعَن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عنهما قال: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ فَنَزَلَ عَلَى ابن أَخِيهِ الْحُرّ بنِ قَيْسٍ، وَكانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عنه، وَكانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ

---

٤٩ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا**) قال الشيخ زكريا هو جارية بالجيم ابن قدامة ومنه أخذ جمع أنه صحابي واعتمده الحافظ ابن حجر (**قال للنبيّ ﷺ: أوصني**) توصية جامعة لخير الدارين كما يدل عليه التعميم بحذف المفعول. (**قال لا تغضب**) لما كان الغضب من نزغات الشيطان ولذا يخرج الإنسان عن اعتداله فيتكلم بالباطل ويفعل المذموم قال له لما قال أوصني: لا تغضب (**فردد**) السائل قوله: أوصني (**مرارًا قال**) له ﷺ في جواب كل مرة (**لا تغضب**) ولم يزد عليه، ففيه دليل على عظم مفسدة الغضب وما ينشأ منه، (**رواه البخاري**) في «صحيحه» وكذا رواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

٥٠ - (**وعن**) عبد الله (**بن عباس رضي الله عنهما قال: قدم**) بكسر الدال (**عيينة بن حصن**) بكسر فسكون لأوليه المهملتين الفزاري. أسلم يوم الفتح وقيل قبله، وكان من المؤلفة قلوبهم ومن الأعراب الجفاة، ارتدّ وأتي به أسيرًا إلى الصديق فأسلم فأطلقه، فقدم ابن حصن المدينة (**فنزل على ابن أخيه الحرّ**) بضم الحاء وتشديد الراء المهملتين (**ابن قيس**) بن حصن الفزاري صحابي، وهو الذي تمارى مع ابن عباس في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيل إليه، فقال ابن عباس: هو الخضر، (**وكان**) الحرّ (**من النفر**) بفتح أوليه الناس كلهم أو ما دون العشرة من الرجال (**الذين يدنيهم**) بضم أوله أي يقربهم (**عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه**) لكونه من الفقهاء القراء (**وكان القراء**) قال الحافظ في «الفتح»: «أي العلماء العبّاد» اهـ (**أصحاب**) أي ملازمي

مَجْلِسِ عُمَرَ رَضيَ اللَّهُ عنه وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولاً كانُوا أَوْ شُبَّانًا، فقال عُيَيْنَةُ لابنِ أَخِيهِ: يا ابنَ أَخِي لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هذَا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِن لِي عَلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: هِيْ يَا ابنَ الْخطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ وَلا تَحْكُمُ فِينَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ رَضي اللَّهُ عنه حَتّى هَمَّ أَن يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمنينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قالَ لِنَبيّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [سورة الأعراف]، وَإِنَّ هذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ،

(**مجلس عمر رضي الله عنه**) لينبهوه إذا سها ويذكروه إذا نسي (**ومشاورته كهولاً كانوا أو شبانًا**) الكهل الذي جاوز الثلاثين وخطه الشيب. (**فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخي لك وجه**) أي جاه (**عند هذا الأمير**) أي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه (**فاستأذن لي**) أمر أي اسأل لي الإذن في الدخول (**عليه، فاستأذن**) أي الحر لعيينة (**فأذن له عمر**) أي لعيينة في الوصول إليه (**فلما دخل قال هي**) بكسر الهاء وسكون التحتية كلمة تهديد، (**يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل**) أي ما تعطينا الشيء الكثير أو العطاء الكثير قال الحافظ: «وأصل الجزل ما عظم من الحطب». وكأنه أراد أنه يستأثر به عن مستحقيه (**ولا تحكم فينا بالعدل**) وهو ما جاء به الكتاب والسنة نصًا أو استنباطًا (**فغضب عمر رضي الله عنه**) أي لما رماه به من منع المال عن مستحقه من الأنام وعدم العدل في الأحكام (**حتى هم**) بتشديد الميم أي أراد (**أن يوقع به**) بضم التحتية وكسر القاف والمفعول محذوف أي شيئًا من العقوبة وذلك لجفائه وسوء أدبه معه (**فقال له**) أي لعمر (**الحر يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه** ﷺ) محرّضًا له على الحلم والصفح أي ولكم في رسول الله أسوة حسنة (**خذ العفو**) التيسير من أخلاق الناس ولا تبحث عنها. وفي البخاري عن عبد الله بن الزبير «ما نزلت ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ [سورة الأعراف] إلا في أخلاق الناس». (﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾) أي المعروف (﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾) فلا تقابلهم بسفههم. والخطاب له ﷺ يدخل في حكمه أمته إلا ما قام الدليل على

وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا، وَكانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ الله تَعَالَى. رَواهُ الْبخارِيُّ.

٥١ - وَعَن ابنِ مَسْعودٍ رضيَ اللَّهُ عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونهَا» قالُوا: يا رسولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قالَ: «تُؤَدُّونَ الْحَق الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ». مُتَّفَقٌ عَليهِ.

و«الأثرة»: الانفراد بالشيء عمن له فيه حق.

اختصاصه به (**والله ما جاوزها**) أي الآية (**عمر**) أي ما خرج عما تضمنته من الصفح والتجاوز (**حين تلاها**) الحر عليه (**وكان وقافًا عند**) حدود (**كتاب الله تعالى**) كناية عن امتثاله لها والاهتمام بأمرها وعدم تجاوز ذلك، والوقاف بالتشديد للثاني من الوقوف كذا في «النهاية» (**رواه البخاري**) في التفسير وفي الاعتصام.

٥١ - (**وعن**) عبد الله (**بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إنها ستكون**) تحصل (**بعدي**) أي بعد وفاتي بمدة كما يومئ إليه السين (**أثرة**) بالمثلثة والراء اسم مصدر استأثر، أو اسم مصدر ءاثر يؤثر أي يستأثر عليكم أي يفضل غيركم في نصيبه من الفيء، والاستئثار الانفراد بالشيء (**وأمور تنكرونها**) كما وقع من تأخير الصلوات وبعض المنكرات (**قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟**) نفعله حينئذٍ (**قال: تؤدون**) بضم الفوقية أي تعطون (**الحق الذي**) كتب (**عليكم**) من الانقياد لهم وعدم الخروج عليهم (**وتسألون الله الذي لكم**) من الحق في بيت مال المسلمين أي تطلبون منه ذلك وهو يسخر قلوبهم لأداء ذلك أو يعوّضكم عنه ولا يجوز لكم الخروج عليهم لمنع أداء الحق الواجب عليهم وفي الحديث الصبر على المقدور والرضا بالقضاء حلوه ومرّه والتسليم لمراد الرب العليم الحكيم (**متفق عليه**) رواه البخاري في علامات النبوّة وفي الفتن، ورواه مسلم في المغازي، (**والأثرة**) بفتح أوليه (**الانفراد بالشيء**) أي الاختصاص به أو ببعضه (**عمن له فيه حق**) فهو منع المستحق من نصيبه مثلًا أو من بعضه.

٥٢ - وعَنْ أَبي يَحْيى أُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ رضيَ اللَّهُ عنه أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ قالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ أَلا تَسْتَعْمِلُنِي كمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلانًا؟ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَونَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ». مُتَّفَقٌ عليه.

و«أسيد» بضم الهمزة. و«حضير» بحاء مهملة مضمومة وضاد معجمة مفتوحة، والله أعلم.

٥٣ - وَعَنْ أَبي إِبرَاهِيمَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَبي أَوْفَى

---

٥٢ - (وعن أبي يحيى) كني بابنه يحيى، **(أسيد بن حضير رضي الله عنه)** أنصاري أوسي أشهلي، أسلم قبل سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير بالمدينة بعد العقبة الأولى وكان الصديق يكرمه، وشهد العقبة الثانية. ءاخى ﷺ بينه وبين زيد ابن حارثة، وكان من أحسن الصحابة صوتًا بالقرءان، وكان أحد العقلاء الكمل أصحاب الرأي. توفي أسيد في شعبان سنة عشرين، وحمل عمر رضي الله عنه السرير حتى وضعه بالبقيع وصلى عليه **(أن رجلاً من الأنصار)** قال الشيخ زكريا قيل هو أسيد بن حضير الراوي اهـ. **(قال: يا رسول الله ألا)** بفتح الهمزة وتخفيف اللام أداة عرض **(تستعملني)** أي تصيرني عاملًا في بلاد ونحوها **(كما استعملت فلانًا)** هو عمرو بن العاص وفلانًا أي استعمالًا كاستعمال فلان وفلان. **(فقال إنكم)** أي يا معشر الأنصار **(ستلقون بعدي أثرة فاصبروا)** على استئثارهم عليكم بما تستحقونه **(حتى تلقوني على الحوض)** أي إلى الموت الكائن بعد البعث منه لقاؤهم له ﷺ على الحوض. وفي الحديث إيماء إلى أن الخلافة بعده ﷺ لا تكون فيهم؛ وقد أوصى عليهم ﷺ **(متفق عليه وأسيد بضم الهمزة وحضير بالحاء المهملة المضمومة وضاد معجمة مفتوحة)** عرف الحاء ونكر الضاد تفننا في التعبير، وبعد الضاد تحتية ساكنة فراء مهملة.

٥٣ - (وعن أبي إبراهيم عبد الله بن أبي أوفى) واسم أبي أوفى علقمة

رضيَ اللَّهُ عنهما أَنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ في بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِي فِيهَا الْعَدُوَّ انْتَظَرَ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوّ وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعافيَةَ، فَإذا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ

ابن خالد بن الحارث الأسلمي، هو وأبوه صحابيان **(رضي الله عنهما)** بايع عبد الله بيعة الرضوان وشهد خيبر وما بعدها من المشاهد. ولم يزل بالمدينة حتى قبض رسول الله ﷺ ثم تحوّل إلى الكوفة وهو ءاخر من توفي بها من أصحاب النبيّ ﷺ. توفي عبد الله بالكوفة سنة ستّ وقيل سبع وثمانين بعد ما كفّ بصره رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه)** أي أيام غزواته وحروبه وهو متعلق بقوله الآتي «انتظر» **(التي لقي فيها العدو)** والعدوّ يطلق على الواحد والجمع، والمراد منه الكفار **(انتظر)** أي أخر قتالهم **(حتى إذا مالت الشمس)** عن كبد السماء إلى جهة المغرب هو وقت الزوال، أي كان يؤخر القتال إلى ميل الشمس ليبرد الوقت على المقاتلة، ويخفّ عليهم حمل السلاح التي يؤلم حملها في شدّة الهاجرة، **(قام فيهم)** وحتى لبيان غاية الانتظار أي ما زال منتظرًا إلى ميل الشمس وقام جواب إذا والظرف حال من الضمير في قام أي قام فيهم منبهًا لهم على ما فيه صلاحهم **(فقال: يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدوّ)** زاد في رواية «فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم» وحكمة النهي كما قاله ابن بطال أن المرء لا يعلم مآل أمره وهو نظير سؤال العافية من الفتن. **(واسألوا الله العافية)** قال النووي في شرح صحيح مسلم: «كثرت الأحاديث في الأمر بسؤال العافية وهي من الألفاظ العامة المتناولة لدفع جميع المكروهات في البدن والباطن في الدين والدنيا والآخرة» اهـ **(فإذا لقيتموهم)** أي العدو **(فاصبروا)** على قتالهم ولا تجبنوا عن حربهم فإنه تعالى مع الصابرين بالمعونة وقد وعد جنده بالظفر فقال: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [سورة الصافات] ففيه الحثّ على الصبر وهو من أهم المطلوب في الجهاد **(واعلموا أن الجنة تحت ظلال)** بكسر

السُّيُوفِ» ثُمَّ قالَ النّبيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ وهَازِمَ الأحزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنا عَلَيْهِمْ».

الظاء المعجمة جمع ظل **(السيوف)** أي حاصلة بها. قال النووي: «معناه ثواب الله والسبب الموصل إلى الجنة عند الضرب بالسيف ومشي المجاهد في سبيل الله فاحضروا بصدق نية واثبتوا» اهـ **(ثم قال)** داعيًا بالنصر، وقدم الثناء عليه تعليمًا للأدب فيه وهو أن يقدم الداعي أمام دعائه ذكر بعض أسمائه تعالى وأوصافه مما يناسب حاجته ومطلوبه لأن **(النبي ﷺ)** مطلوبه هنا النصرة وهي من ءاثار القدرة، والمذكور يناسبها أي مناسبة **(اللهم)** يا **(منزل الكتاب)** أل فيه للجنس والكتب المنزلة إلى الدنيا بتخفيف الزاي ويجوز تشديدها مائة وأربعة: ستون صحف شيث، وثلاثون صحف إبراهيم، وعشر صحف موسى قبل التوراة، والتوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان. **(ومجري السحاب)** بإثبات واو العطف، **(وهازم الأحزاب)** الطوائف من الكفار الذين تحزّبوا على رسول الله ﷺ، واحده حزب بالكسر. وكانت وقعة الأحزاب في السنة الخامسة من الهجرة، وقيل في الرابعة منها، وإنما خصت بالذكر لأن هزمهم فيها مع كثرة عددهم إنما كان بمحض القدرة الإلٰهية لا دخل فيه لمباشرة الأسباب، بخلاف باقي الحروب فإنه كان عقب مقابلتهم، بل وأعجب من ذلك أن هزمهم كان بما يستراح به الشيء عادة وهي ريح الصبا التي تستريح بها النفوس ويرتاح بها المأنوس، فكان ذلك لهم دافعًا ولكيدهم مانعًا ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأحزاب]، **(اهزمهم)** أي القوم المحاربين حينئذٍ أي اغلبهم **(وانصرنا عليهم)** أي عجل به، وإلا فرسل الله هم المنصورون، وجند الله هم الغالبون، وخص الدعاء عليهم بما ذكر دون الإهلاك لأن فيه سلامة نفوسهم، وقد يكون فيها رجاء لإسلامهم بخلاف الإهلاك. وفي الحديث استعمال السجع في الدعاء. وقال النووي وغيره: والسجع المذموم في الدعاء هو المتكلف؛ لأنه يذهب الخشوع والخضوع والإخلاص، ويلهي عن

مُتَّفَقٌ عليه.

وَباللَّهِ التَّوفيقُ وبهِ الإعَانَةُ.

٤ - باب الصدق

قال اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة التوبة]، **وقال عَزَّ وَجَلَّ** ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأحزاب]، **وقال عَزَّ وَجَلَّ** ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ [سورة محمد]. **وَأَمَّا الأَحَادِيثُ:**

٥٤ - فالأَوَّلُ: عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ

الضراعة والافتقار وفراغ القلب. أما ما حصل بلا كلفة ولا إعمال فكر لكمال فصاحة الداعي ونحو ذلك، أو لكونه محفوظًا فلا بأس به، بل هو حسن اهـ. وفي الحديث الدعاء حال الشدائد وفي فعله ﷺ جمع بين الحقيقة والشريعة، فالشريعة أخذه العدة من السلاح وغيره والخروج للقتال وتحريض الصحابة على ذلك، والحقيقة هي دعاؤه ﷺ وإظهاره للافتقار وتعلقه بربه، **(متفق عليه)** ورواه أحمد وأبو داود.

٤ - باب في الصدق

(قال الله عزّ) أي غلب على مراده **(وجلّ)** عما لا يليق بشأنه، (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾) بترك معاصيه (﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾) [سورة التوبة] في الإيمان والعهود بأن تلزموا الصدق، وقال بعضهم: مع الصادقين المقيمين على منهاج الحق. **(وقال عزَّ وجلَّ)**: في تعدد محاسن الأوصاف التي قيل بأنها التي ابتلي بها إبراهيم ﷺ (﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾) في الإيمان (﴿وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴿٣٥﴾﴾) [سورة الأحزاب] فيه، وقيل في القول والعمل. **(وقال عزَّ وجلَّ** ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾) في الإيمان والطاعة (﴿لَكَانَ﴾) الصدق (﴿خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾) [سورة محمد]. **(وأما الأحاديث)** النبوية:

٥٤ - (ف) الحديث **(الأول عن)** عن عبد الله **(بن مسعود)** بن غافل

رضيَ اللَّهُ عنه عَنِ النَّبيّ ﷺ قالَ: «إِنَّ الصّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرّ وَإِنّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا». متَّفقٌ عليه.

٥٥ - الثاني: عَنْ أَبي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ

الهذلي (**رضي الله عنه عن النبيّ** ﷺ) حال كونه قد (**قال إن الصدق**) أي تحريه في الأقوال (**يهدي**) بفتح أوله، أي يرشد ويوصل (**إلى البر**) أي العمل الصالح الخالص من كل مذموم. والبر: اسم جامع للخير كله، (**وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل**) أل فيه للجنس، وذكره لأنه الأشرف وإلا فذلك جار في المرأة أيضًا (**ليصدق**) أي يلازمه ويتحرّاه وفي رواية في الصحيح «ليتحرّى الصدق» (**حتى يكون صديقًا**) من أبنية المبالغة وهو من يتكرّر منه الصدق حتى يصير سجية له وخلقًا وفي نسخة: «حتى يكتب عند الله» (**وإن الكذب يهدي**) يوصل (**إلى الفجور**) الأعمال السيئة (**وإن الفجور يهدي**) يوصل (**إلى النار**) لأن المعاصي يقود بعضها إلى بعض، وهي سبب الورود إلى النار (**وإن الرجل ليكذب**) وفي رواية في الصحيح «ليتحرّى الكذب» (**حتى يكتب عند الله كذابًا**) أي يحكم له بتحقق مبالغة الكذب منه وأنها الصفة المميزة له مبالغةً في كذبه فهو ضد الصدّيق. قال النووي: «ومعنى يكتب هنا يحكم له بذلك ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم، أو صفة الكاذبين وعقابهم. والمراد إظهار ذلك للمخلوقين إما بأن يكتبه في ذلك ليشتهر بحظه من الصفتين في الملإ الأعلى وإما بأن يلقى ذلك في قلوب الناس وألسنتهم وكما يوضع له القبول أو البغضاء وإلا فقدر الله تعالى وكتابه السابق بكل ذلك» اهـ (**متفق عليه**) ورواه بنحوه من حديث ابن مسعود أحمد والبخاري في «الأدب» والترمذي، وفي أوله عندهم «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإياكم والكذب» الحديث.

٥٥ - (**الثاني: عن أبي محمد الحسن**) كناه وسماه بذلك رسول الله

ابنِ عَلِيّ بنِ أَبي طَالِبٍ رضي اللَّهُ عنهما قالَ حَفِظْتُ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَالْكَذِبَ رِيبَةٌ». رَواهُ التِّرْمِذِيُّ وَقالَ: حَدِيثٌ حسنٌ صَحِيحٌ.

قوله:

ﷺ (**ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما**) أمه فاطمة الزهراء رضي الله عنها. قال أبو أحمد العسكري سماه النبيّ ﷺ الحسن، ولد منتصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة على الأصح، ومات مسمومًا من زوجته بإرشاد يزيد بن معاوية لها على ذلك على ما قيل سنة أربع أو خمس أو تسع وأربعين ودفن بالبقيع وصلى عليه سعيد بن العاص، وقبره مشهور فيه، ويكفيك في فضله الحديث الصحيح: «أن النبيّ ﷺ كان يخطب فرقي إليه الحسن فأمسكه ﷺ والتفت إلى الناس ثم قال: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» فكان كذلك. فإنه لما استخلف بعد موت أبيه وخرج لقتال معاوية وعرف أنه لا يخلص الأمر لأحد حتى يقتل جمع كثير من الجانبين، امتثل إشارة جده ﷺ ورغب عن الخلافة ونزل عنها لمعاوية وسلمها له طوعًا وزهدًا وحقنًا لدماء المسلمين وأموالهم على شروط وفى له معاوية بمعظمها. ومناقبه كثيرة وفضائله جمَّة شهيرة، وهو من الحكماء الكرماء الأسخياء (**قال حفظت من رسول الله ﷺ: دع**) أمر ندب لأن توقي الشبهات مندوب على الأصح (**ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة**) وعند ابن حبان: «فإن الخير طمأنينة، وإن الشرّ ريبة» وهو كالتمهيد لما قبله، والتقدير: إذا وجدت نفسك ترتاب في الشيء فاتركه، فإن نفس المؤمن جبلت على أنها تطمئن إلى الصدق وتنفر من الكذب وإن لم تعلم أن الذي اطمأنت إليه كذلك في نفس الأمر، وإذا جبلت على ذلك فعليك أن تأخذ برغبتها ورهبتها إذا جربت منها الإصابة كما هو شأن كثير من النفوس الصافية، (**رواه الترمذي**) ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم (**وقال**) الترمذي (**حديث حسن صحيح. قوله**) ﷺ

«يريبك» بفتح الياء وضمها، ومعناه: اترك ما تشك في حله واعدل إلى ما لا تشك فيه.

٥٦ - الثالثُ: عَنْ أَبي سُفْيَانَ صَخْرِ بنِ حَرْبٍ رضي اللَّهُ عنه في حديثِهِ الطَّويلِ في قِصَّةِ هِرَقْلَ، قالَ هِرَقْلُ: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ - يَعْنِي النَّبيَّ ﷺ - قال أَبُو سُفْيَانَ: قُلْتُ: يَقُولُ: «اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لا تُشْرِكُوا بِه شَيْئا،

(**يريبك بفتح الياء**) التحتية (**وضمها**) والفتح أفصح وأشهر، من راب وأراب: بمعنى شك. (**ومعناه**) أي معنى قوله: دع ما يريبك إلخ (**اترك**) ندبًا (**ما تشك في حله واعدل إلى ما لا تشك فيه**) أي في حله، قيل: وهذا نظير ما في الحديث الآخر «ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه» وحاصله التنزه عن الشبه وورود صافي الحلال البين.

٥٦ - (**الثالث عن أبي سفيان صخر**) بفتح المهملة فسكون المعجمة بعدها راء مهملة (**ابن حرب**) بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي المكي (**رضي الله عنه**) ولد قبل الفيل بعشر سنين، وأسلم ليلة الفتح وكان من المؤلفة ثم حسن إسلامه. وشهد حنينًا وأعطاه ﷺ من غنائمها ثم شهد الطائف وفقئت عينه يومئذٍ وفقئت عينه الأخرى يوم اليرموك، استعمله النبي ﷺ على نجران فمات النبي ﷺ وهو عليها. مات بالمدينة سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين وله ثمان وثمانون أو ثلاث وتسعون سنة وصلى عليه عثمان رضي الله عنه (**في حديثه الطويل في قصة هرقل**) بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف وهو ملك الروم؛ ولقبه قيصر كما يلقب ملك الفرس بكسرى أي في قصته لما كتب إليه ﷺ يدعوه للإسلام فأرسل إلى من بالشام من قريش وكان أقربهم منه ﷺ أبا سفيان وكان ذلك في سنة ستّ من الهجرة (**قال هرقل**) متعرّفًا أحوال النبيّ ﷺ (**فماذا يأمركم؟**) يدل على أن الرسول من شأنه أن يأمر قومه والأصل ماذا يأمركم به (**يعني: النبيّ ﷺ**) هذا مدرج لبيان المستفهم عنه (**قال أبو سفيان: قلت يقول: اعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئًا**) كذا هو في «الرياض» بحذف الواو وهي في رواية

واتْرُكُوا مَا يَقُولُ ءاباؤُكُمْ»، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ. مُتّفقٌ عليه.

٥٧ - الرَّابعُ: عَنْ أبي ثَابتٍ، وَقِيلَ: أبي سَعِيدٍ، وَقِيلَ: أبي الْوَلِيدِ سَهْلِ بنِ حُنَيْفٍ وَهُوَ بَدْرِيٌّ رَضي اللَّهُ عنه أَنَّ النّبيَّ ﷺ قال: «مَن سَأَلَ اللَّهَ تَعالَى الشَّهادَةَ بصِدقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وإن مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ».

المستملي فيكون تأكيدًا لقوله وحده وبالغ أبو سفيان في ذلك لأنه أشدّ الأشياء عليه والإبعاد منها أهم، أو أنه فهم أن هرقل من الذين يقولون من النصارى بالإشراك **(واتركوا ما يقول ءاباؤكم)** أي مقولهم وهي كلمة جامعة لترك ما كانوا عليه في الجاهلية، **(ويأمرنا بالصلاة)** أي بإقامتها **(والصدق)** وهي في رواية للبخاري «الصدقة» بدل «الصدق» **(والعفاف)** الكف عن المحارم وخوارم المروءة. قال في المحكم: العفة الكف عما لا يحل ولا يجمل **(والصلة)** أي صلة الأرحام وكل ما أمر الله أن يوصل وذلك بالبرّ والإكرام وحسن المراعاة **(متفق عليه)**.

٥٧ - **(الرابع عن أبي ثابت وقيل)** يكنى: بـ **(أبي سعيد)** وقيل: بأبي سعد **(وقيل أبي الوليد)** بفتح الواو وكسر اللام وقيل: أبي عبد الله **(سهل ابن حنيف)** بضم المهملة ففتح النون **(وهو بدري)** مدني **(رضي الله عنه)** شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وثبت يوم أحد مع رسول الله ﷺ لما انهزم الناس، وكان بايعه في يومئذٍ على الموت، ثم صحب سهل عليًا فاستخلفه على المدينة حين سار إلى البصرة، وشهد معه صفين، وولاه بلاد فارس فأخرجه أهلها، فاستعمل عليهم زياد ابن أبيه فصالحوه وأدوا الخراج. مات سهل بالكوفة سنة ثمان وثلاثين وصلى عليه عليّ **(أن النبي ﷺ قال: من سأل الله تعالى الشهادة)** أي إنالته إياها **(بصدق)** أي حال كونه صادقًا في سؤالها **(بلغه الله)** بنيته الصادقة **(منازل الشهداء)** العليا **(وإن مات على فراشه)** ففي الحديث أن صدق القلب سبب لبلوغ الأَرَب، وأن من نوى شيئًا من عمل البرّ

رواه مسلمٌ.

٥٨ - الخامِسُ: عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضي اللَّهُ عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غَزَا نبيٌّ مِنَ الأَنْبيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لا يَتْبَعْني رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُريدُ أن يَبْنِيَ بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَوْلادَهَا. فَغَزَا فَدَنَا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا

أثيب عليه وإن لم يتفق له عمله، قال النووي: «ففي الحديث استحباب سؤال الشهادة واستحباب نية الخير» (**رواه مسلم**).

٥٨ - (**الخامس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: غزا نبيّ من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين**) قال السيوطي في «التوشيح»: هو يوشع بن نون (**فقال لقومه لا يتبعني**) في الخروج للحرب (**رجل ملك بضع امرأة**) بضم الباء وسكون المعجمة يطلق على الفرج والنكاح والجماع (**وهو يريد أن يبني بها ولما**) بتشديد الميم (**يبن**) أي يدخل (**بها**) وكان عادة العرب إذا دخل الزوج على المرأة بنى عليها قبة من شعر ونحوه فأطلق البناء وأريد به الدخول من إطلاق اللازم وإرادة الملزوم (**ولا أحد بنى بيوتًا ولم يرفع سقوفها**) أي لم يتمّ عملها (**ولا أحد اشترى غنمًا**) أي حوامل بدليل ما بعده (**أو خلفات**) قال الحافظ في «الفتح»: «هي الحامل من النوق وقد يطلق على غير النوق» اهـ (**وهو ينتظر أولادها**) ويحتمل أن هذا خاص بالإبل، قال النووي: «وفي هذا الحديث أن الأمور المهمة ينبغي أن لا تفوّض إلا إلى أولي الحزم وفراغ البال لها ولا تفوّض إلى متعلق القلب بغيرها لأن ذلك يضعف عزمه ويفوت كمال بذل وسعه فيه» اهـ (**فغزا فدنا من القرية**) وقع في جميع نسخ مسلم «أدنى رباعيًا». قال النووي: «وهو إما أن يكون تعدية لدنا أي قرب فمعناه أدنى جيوشه وجموعه للقرية؛ وإما أن يكون أدنى بمعنى حان، أو قرب فتحها» اهـ، والقرية هي أريحاء (**صلاة العصر أو قريبًا**

مِن ذلِكَ فَقالَ لِلشّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَينا فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ فَجَاءَتْ يَعْنِي النَّارَ لِتَأْكُلَهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا فَقالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولا فَلْيُبَايِعْنِي مِن كُلّ قَبيلَةٍ رَجُلٌ فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بيَدِهِ فَقَالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ فَلْتُبَايِعْنِي قَبيلَتُكَ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَينِ أَوْ ثلاَثةٍ بيَدِهِ فَقَالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ، فَجَاءوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ فَوَضَعَهَا فَجَاءَتِ النَّارُ فَأَكلَتْهَا، فَلَمْ تَحِلَّ الْغَنَائمُ

من ذلك، فقال للشمس: إنك) وعند مسلم «أنت» **(مأمورة)** أي مسخرة بأمر الله عزّ وجلّ **(وأنا مأمور)** أي مسخر كذلك وكذا جميع الكائنات غير أن أمر الجمادات أمر تسخير وتكوين وأمر العقلاء أمر تكليف **(اللهم احبسها علينا، فحبست)** معجزة له، وقد حبست لنبينا ﷺ في قصة الإسراء وفي حفر الخندق. **(حتى فتح الله عليه)** البلاد **(فجمع الغنائم فجاءت يعني النار لتأكلها فلم تطعمها)** وهذه كانت عادة الأنبياء صلى الله عليهم وسلم في الغنائم أن يجمعوها فتجيء نار من السماء فتأكلها فيكون ذلك علامة قبولها وعدم الغلول فيها، فلما جاءت هذه النار فلم تأكلها علم أن فيها غلولا. قال الكرماني: وعبر بلم تطعمها دون لم تأكلها للمبالغة، إذ معناه لم تذق طعمها **(فقال: إن فيكم غلولا)** بضم أوليه المعجمة فاللام الخيانة في المغنم **(فليبايعني من كل قبيلة رجل)** لعسر مبايعة كل واحد واحد لكمال كثرتهم فإنهم كانوا نحو سبعين ألفًا كما ذكره بعضهم **(فلزقت يد رجل)** منهم **(بيده)** إعلامًا بأنه ممن غلّ قومه، فلذا قال **(فقال: فيكم)** القبيلة التي منها ذلك الرجل **(الغلول فلتبايعني قبيلتك)** أي كل فرد منهم **(فلزقت يد رجلين أو ثلاثة)** وكان علامة الغلول عندهم التصاق يد الغالّ **(بيده فقال)** النبيّ **(فيكم)** أي عندكم **(الغلول فجاءوا)** أي الغالّ المذكور **(برأس مثل رأس بقرة من الذهب)** بيان لرأس **(فوضعها)** في جملة الغنيمة **(فجاءت النار)** المؤذن أكلها بالقبول **(فأكلتها فلم تحل الغنائم)** بفتح الفوقية وكسر الحاء المهملة

لأحَدٍ قَبْلَنَا ثُمَّ أحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ فَلمَّا رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا». مُتّفقٌ عليه.

«الخلفات» بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام جمع خَلِفةٍ وهي الناقة الحامل.

٥٩ - السَّادِسُ: عَنْ أَبي خالدٍ حَكِيمِ بنِ حِزَامٍ رضي اللَّهُ عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «البَيّعانِ

على البناء للمفعول (**لأحد قبلنا**) من سائر الأنبياء والأمم السابقين (**ثم أحل الله لنا الغنائم**) أي للنبيّ ﷺ كما في الحديث الآخر: «وأحلت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي» ولأمته ولم تحلّ لأحد غيرهم أصلًا (**فلما رأى**) علم (**ضعفنا**) في الأبدان (**وعجزنا**) عن قوى الأعمال (**فأحلها**) أي الغنائم (**لنا متفق عليه الخلفات بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام جمع خلفة**) بفتح الخاء وكسر اللام أيضًا ويجمع على خلف كذلك بحذف الهاء كما في «مختصر القاموس» وعلى خلائف كما في «مختصر النهاية» (**وهي الناقة الحامل**).

٥٩ - (**السادس عن أبي خالد حكيم**) بفتح المهملة وكسر الكاف (**ابن حزام**) بكسر المهملة بعدها الزاي، وهذا الضبط في كل ما جاء على هذه الصورة من أسماء قريش، وما جاء منه في أسماء الأنصار فهو بالمهملتين المفتوحتين (**رضي الله عنه**) ولد في الكعبة ولم يتفق ذلك لغيره أسلم عام الفتح وكان من أشراف قريش ووجوهها في الجاهلية والإسلام، وكان من المؤلفة، أعطاه ﷺ يوم حنين مائة بعير ثم حسن إسلامه ولم يصنع شيئًا من المعروف في الجاهلية إلا صنع مثله في الإسلام، وكانت بيده دار الندوة فباعها من معاوية بمائة ألف درهم، وتصدق بثمنها وحج في الإسلام ومعه مائة بدنة قد جللها بالجرة أهداها، وأهدى ألف شاة وكان جوادًا، كفّ قبل موته، وعاش مائة وعشرين سنة نصفها في الجاهلية ونصفها في الإسلام، وتوفي سنة أربع وخمسين أيام معاوية (**قال: قال رسول الله ﷺ البيعان**) قال الحافظ:

بالْخِيارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقا، فَإِن صَدَقا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا في بَيْعِهِمَا، وَإِن كَتَما وكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكةُ بَيْعِهِمَا». مُتّفقٌ عليه.

٥ - باب المراقبة

قال الله عَزَّ وجَلَّ ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ **[سورة الشُّعَراء]،**

«أي البائع والمشتري» (**بالخيار**) بكسر الخاء المعجمة اسم من الاختيار والتخيير وهو طلب خير الأمرين من الفسخ والإجازة (**ما لم يتفرّقا**). قال الفضل بن سلمة: افترقا بالكلام وتفرقا بالأبدان (**فإن صدقا**) فيما يخبران به البائع في المبيع والمشتري في الثمن قدرًا وصفة وأن الثمن انتهت الرغبات فيه إلى كذا، ويخبر بما يترتب عليه تفاوت الرغبات من عيب ونحوه (**وبيَّنا**) البائع ما في المبيع والمشتري ما في الثمن من غش وشبهة قوية قامت قرائن أحوال أحدهما أنه إذا اطلع على مثلها لا يأخذه (**بورك لهما في بيعهما**) وشرائهما بتسهيل الأسباب المقتضية لزيادة الربح، من كثرة الراغبين وحسن المعاملين ومنع الخيانة في المبتاع والحسد والعداوة المقتضية للخسران (**وإن كتما**) ما في السلعة من العيوب ونحوها (**وكذبا**) فيما يمدحانها (**محقت**) ذهبت وتلفت (**بركة بيعهما**) فلم يحصلا منه إلا على مجرّد التعب (**متفق عليه**).

٥ - باب المراقبة

هو أحد مقامي الإحسان المشار إليه في حديث جبريل الآتي بقوله: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (**قال الله عَزَّ وجَلَّ**) مخاطبًا لنبيه ﷺ (﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾﴾) إلى الصلاة (﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾) في أركان الصلاة قائمًا وقاعدًا وراكعًا وساجدًا (﴿فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾) أي المصلين. وقيل: في الآية إشارة إلى أن من لزم الإقبال عليه بنحو الصلاة سارعت إليه العناية به، ومن خصوصياته ﷺ أنه كان يرى من خلفه، والآية محتملة لإفادة هذه الخصوصية.

وقال اللَّه عزَّ وجلَّ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴿٤﴾﴾ [سورة الحديد]، وقال عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾ [سورة ءال عمران]، وقال عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الفجر]، وقال عَزَّ وجَلَّ ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [سورة غافر].

والآياتُ في الْبَابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ.

وأَمَّا الأَحَادِيثُ:

٦٠ - فالأَوَّلُ: عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رضِيَ اللَّهُ عنه قالَ: بَيْنَما نَحْنُ[1]

(وقال اللَّه عزَّ وجلَّ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾) بعلمه (﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴿٤﴾﴾) لا يحجبه مكان ولا يخفى عليه شأن، قال تعالى ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الملك].

(وقال اللَّه عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾) كائن (﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾) لعلمه بما يقع في العالم من كليّ وجزئي، وخصهما بالذكر لأن الحس لا يتجاوزهما.

(وقال عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾) يرصد أعمال العباد لا يفوته منها شيء: (وقال عزَّ وجلَّ ﴿يَعْلَمُ﴾) أي الله (﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾) بمسارقتها النظر إلى محرم (﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾) أي القلوب، قيل: فيه إشارة إلى التذكير بصغائر الذنوب فكيف بالكبائر، وأنه تعالى يعلم البواطن أي ومن علم ذلك علم الظواهر بالقياس العادي.

(والآيات في الباب كثيرة معلومة) كقوله تعالى ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [سورة يونس] (وأما الأحاديث):

(فالأول) منها (عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن

---

(١) في بعض النسخ المطبوعة زيادة «جلوس».

عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتّى جَلَسَ إِلَى النَّبيّ ﷺ فَأَسنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتيهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبرنِي عَنِ الإِسلامِ؟

عند رسول الله ﷺ ذات يوم) بينما كبينا ظرفا زمان فيهما معنى المفاجأة ومعنى الشرط ولذا استدعيا جوابًا **(إذ طلع علينا رجل)** والمعنى وقت حضورنا في أشرف مجلس فاجأنا عند طلوع ذلك الرجل **(شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى)** بضم التحتية بالبناء للمجهول **(عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد)** معناه التعجب المتضمن لدعوى كونه ملكًا، إذ لو كان غريبًا لكان عليه أثر السفر وشعثه ولو كان مدنيًا لعرفوه واستدل به على ندب حسن الهيئة **(حتى جلس إلى النبي ﷺ)** قيل: يتعلق بمحذوف تقديره استأذن وأتى حتى جلس. **(فأسند ركبتيه)** أي جبريل **(إلى ركبتيه)** أي إلى ركبتي النبي ﷺ زيادة في التقريب الباعث على التنبيه على أنه إنما جاء لأمر كلي **(ووضع كفيه على فخذيه)** أي فخذي نفسه كما هو الأدب وهي جلسة المتعلم بين يدي المعلم. **(وقال: يا محمد)** ناداه باسمه مع قوله تعالى ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة النور] زيادة في التغريب عند افتتاح الخطاب بالمسألة، على أن الملائكة ليسوا داخلين في مثل ذلك الخطاب **(أخبرني عن الإسلام)** هو والإيمان لاعتبار التلازم بين مفهوميهما شرعًا فلا يعتبر في الخارج إيمان شرعًا بلا إسلام ولا عكسه، متحدان ما صدقا في الشرع مختلفان مفهومًا، فكل مؤمن شرعًا مسلم كذلك وكل مسلم مؤمن، فما دلّ عليه حديث جبريل من اختلافهما هو باعتبار المفهوم إذ مفهوم الإسلام الشرعي الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية. والإيمان في الشرع التصديق بالقواعد الشرعية، على أنه قد يتوسع الشرع فيهما فيستعمل كل واحد منهما في مكان الآخر كإطلاق الإيمان على الأعمال الظاهرة في حديث: «الإيمان

فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِسلَامُ أَن تَشْهَدَ أَن لا إِلَـٰهَ إلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْه سَبيلًا» قالَ: صَدَقْتَ،

بضع وسبعون بابًا، أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إلٰه إلا الله» على أحد الوجوه في ذلك (**فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله**) المراد أن يقول ذلك بلسانه المتمكن من النطق فهو معتبر في الإسلام، فمن صدق بمضمونها ولم يأت بها مع عدم مانع من النطق فليس بمسلم ولا مؤمن. وحكى المصنّف الإجماع عليه في «شرح مسلم»، فقوله تشهد أي تقرّ وتبين، (**وأن محمدًا رسول الله**) وحكم الإسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين. قال ابن الصلاح: وإنما أضيف إليهما الصلاة ونحوها لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها وبقيامه بها يتمّ استسلامه وانقياده، وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده، فالمقصود من ذكر الأركان الخمسة في الحديث بيان كمال الإسلام وتمامه فلذلك ذكر هذه الأمور مع الشهادتين، أما أصل الإسلام فالشهادتان كافيتان فيه (**وتقيم الصلاة**) أي تعدل أركانها أو تديم إقامتها. والصلاة لغة الدعاء بخير. وشرعًا أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة غالبة (**وتؤتي الزكاة**) الواجبة في الأنواع الواجبة هي فيها المقررة في كتب الفقه. والزكاة لغة النماء والتطهير وشرعًا اسم للمخرج من ذلك (**وتصوم**) من الصوم وهو لغة الإمساك. وشرعًا إمساك مخصوص (**رمضان**) صريح في عدم كراهة ذلك مطلقًا وهو الأصح (**وتحج البيت**) أي تقصده بنسك حج أو عمرة إذ الأصح وجوبها والحج لغة القصد. وشرعًا قصد الكعبة للنسك. والبيت علم بالغلبة على الكعبة كالنجم للثريا (**إن استطعت إليه سبيلًا**) وإنما قيد الحج بالاستطاعة مع أن ما مرّ مقيد بها أيضًا اتباعًا للنظم القرءاني فإنه لم يقيد بهذا اللفظ غيره أو إشارة إلى أن فيه من المشاقّ ما ليس في غيره. وأيضًا فعدم الاستطاعة في الحج يسقط وجوبه من أصله (**قال**) جبريل (**صدقت**) قال

فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قالَ: فَأَخْبِرني عَنِ الْإِيمَانِ؟ قالَ: أَن تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ

عمر: **(فعجبنا له)** أي منه أو لأجله **(يسأله ويصدقه)** إذ السؤال يدلّ على عدم علم السائل والتصديق يدل على علمه، وجملة يسأله في محل الحال.

(قال) جبريل **(فأخبرني عن الإيمان)** هو لغة مطلق التصديق من ءامن بوزن أفعل ويتضمن معنى أعترف وأقرّ فيعدى بالباء كما في الحديث. وأذعن فيعدى باللام نحو ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة العنكبوت]. وشرعًا التصديق بالقلب فقط أي قبوله وإذعانه لما علم بالضرورة أنه من دين محمد ﷺ، وتعريفه بما ذكر هو قول جمهور الأشاعرة وعليه الماتريدية.

(قال) ﷺ مفسرًا للإيمان بذكر متعلقاته ولم يفسر لفظه بل أعاده بقوله: **(أن تؤمن)** لأنه كان معروفًا عندهم أنه لغة مطلق التصديق وشرعًا التصديق بالأمور المعلومة من الدين بالضرورة فمن تلك المتعلقات التي يجب الإيمان بها الإيمان **(بالله)** أي بأنه تعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له في الألوهية وهي استحقاق العبادة، منفرد بخلق الذوات بصفاتها وأفعالها وبقدم ذاته وصفاته الذاتية وبأن ذاته له صفات واجبة قديمة وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وهذه الصفات ليست أعراضًا ولا عين ذاته ولا غيرها بناء على أن الغيرين ما ينفك أحدهما عن الآخر. والحاصل أنه يجب الإيمان بأنه تعالى متصف بكل كمال[1] منزه عن كل وصف لا كمال فيه[2]، واجب الوجود لذاته منفرد باستحقاق العبودية على العاملين **(وملائكته)** جمع ملك وقدم الملائكة على الكتب مراعاة للترتيب الواقع

---

(١) أي يليق به كالقِدم والمخالفة للحوادث ونحو ذلك.

(٢) أي كالجهل والعجز والتغيّر والكون في مكان أو جهة فالله تعالى موجود بلا مكان ولا جهة، قال الإمام الشافعي: المجسم كافر، ونقل ابن المعلم القرشيّ في كتابه «نجم المهتدي ورجم المعتدي» أن الشافعي كفّر من وصف الله بالجلوس على العرش في صحيفة ٥٥١ منه.

وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرّهِ.

لأنه تعالى أرسل الملك بالكتاب إلى الرسل، فيجب الإيمان بأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، والملائكة باعتبار الأحوال والأعمال أقسام **(وكتبه)** أي بأنها كلام الله تعالى الأزليّ القديم القائم بذاته المنزه عن الحرف والصوت؛ وبأنه تعالى أنزلها على بعض رسله بألفاظ حادثة في ألواح أو على لسان الملك، وبأن كل ما تضمنته حق وصدق، وبأن بعض أحكامها نسخ وبعضها لم ينسخ. وهي مائة كتاب وأربعة كتب خمسون على شيث وثلاثون على إدريس وعشرة على ءادم وعشرة على إبراهيم والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان، **(ورسله)**[1] أي بأنه أرسلهم إلى الخلق لهدايتهم وتكميل معاشهم ومعادهم، وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، فبلغوا عنه رسالته وبينوا للمكلفين ما أمروا ببيانه، وأنه يجب احترام جميعهم ولا يفرّق بين أحد منهم في الإيمان به، وأنه تعالى نزههم عن كل وصمة ونقص، فهم معصومون من الكبائر والصغائر[2] قبل النبوة وبعدها على المختار بل هو الصواب. **(واليوم الآخر)** وهو يوم القيامة، وصف بذلك لأنه لا ليل بعده، ولأنه ءاخر أيام الدنيا. ووصفه بالآخر تأكيد كأمس الدابر أي بوجوده وما اشتمل عليه من الحساب والميزان والصراط والجنة والنار وغير ذلك مما نطق به الكتاب والسنة الثابتة **(وتؤمن بالقدر خيره وشره)** أي أن الجميع بتقدير الله ومشيئته، وحقيقة الإيمان بالقدر الاعتراف بأن جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأنها مرادة له وأنها مكتسبة للعبد. والقضاء عند الأشعرية إرادته الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما

---

(١) كل رسل الله دعوا إلى دين واحد هو الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴿١٩﴾﴾ [سورة ءال عمران] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة ءال عمران]. وروى البخاري أنه ﷺ قال: «الأنبياء اخوة لعلات دينهم واحد وأمهاتهم شتى».

(٢) أي التي فيها خسة ودناءة.

قال: صَدَقْتَ. قال: فَأَخْبِرْني عَنِ الإِحْسَانِ؟ قال: «أَن تَعْبُدَ اللَّهَ كأَنَّكَ تَرَاهُ، فإن لمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قال: فَأَخْبِرنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قال: «مَا المَسْئولُ عَنْها بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ».

لا يزال. والقدر إيجاده إياها على قدر مخصوص وتقدير معين في ذواتها وأفعالها، أو انقضاء علمه أزلًا بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال، والقدر إيجاده إياها على ما يطابق العلم. واعلم أن الإيمان بالقدر على قسمين أحدهما: الإيمان بأنه تعالى سبق في علمه ما يفعله العباد من خير وشرّ وما يجازون به وأنه كتب ذلك عنده وأمضاه وأن أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه. ثانيهما: أنه تعالى خلق أفعال عباده كلها من خير وشرّ، وهذا القسم تنكره القدرية كلهم والأول لا ينكره إلا غلاتهم **(قال: صدقت، قال، فأخبرني عن الإحسان)** قال القرطبي: فلما تكرر الإحسان في القرءان وترتب عليه هذا الثواب العظيم سأل عنه جبريل ليعلمهم بعظيم ثوابه وكمال رفعته اهـ وهو راجع إلى إتقان العبادة بأدائها على وجهها المأمور به مع رعاية حقوق الله تعالى ومراقبته واستحضار عظمته وجلاله ابتداء واستمرارًا وهو على قسمين أحدهما: غالب عليه مشاهدة الحق كما **(قال)** ﷺ الإحسان **(أن تعبد الله)** من «عبد» أطاع، والتعبد التنسك، والعبودية الخضوع والذل **(كأنك تراه)** قيل: أصله كأنك تراه ويراك، فحذف الثاني لدلالة الأول عليه، وهذا من جوامع كلمه ﷺ، والثاني: من لا ينتهي إلى تلك الحالة لكن يغلب عليه أن الحق مطلع عليه ومشاهد له، وقد بينه ﷺ بقوله: **(فإن لم تكن تراه فإنه يراك)** وهذا من جوامع الكلم أيضًا أي فإن لم تكن تراه فلا تغفل فإنه يراك وأخر الإحسان عما قبله لأنه غاية كما لهما بل والمقوّم لهما إذ بعدمه يتطرق إلى الإسلام بمعنى الأعمال الظاهرة الرياء والشرك، وإلى الإيمان النفاق فيظهره رياء أو خوفًا **(قال فأخبرني عن الساعة)** أي عن زمن وجود يوم القيامة، سمي بذلك مع طول زمنه اعتبارًا بأوله فإنها تقوم بغتة، أو لسرعة حسابها **(قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل)** بل

قال: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قال: «أَن تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَن تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ في الْبُنْيَانِ». ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا

كلانا سواء في عدم العلم بالزمن المعين لوجودها، وفيه أنه ينبغي للمفتي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم **(قال: فأخبرني عن أمارتها)** بفتح الهمزة أي أشراطها وعلاماتها الدالة على اقترابها **(قال: أن تلد الأمة)** أي القنة وأل فيها للماهية، **(ربتها)** أي سيدتها، وفي رواية «ربها» أي سيدها، وفي أخرى «بعلها» بمعنى ربها كناية إما عن كثرة التسري اللازمة لاستيلائنا على بلاد الكفرة حتى تلد السرية بنتًا أو ابنًا لسيدها فيكون ولدها سيدها كأبيه؛ فالعلامة استيلاؤنا على بلادهم وكثرة الفتوح والتسري، أو عن كثرة بيع المستولدات لفساد الزمان حتى تشتري المرأة أمها وتسترقها جاهلة أنها أمها فتكون العلامة غلبة الجهل الناشئ عنها بيع أم الولد الممنوع منه **(وأن ترى الحفاة)** جمع حاف بالمهملة وهو من لا نعل برجليه **(العراة)** جمع عار وهو من لا شيء على جسده. **(العالة)** بتخفيف اللام جمع عائل وهو الفقير من عال افتقر، أعال كثرت عياله **(رعاء)** بكسر أوله وبالمد جمع راع، ويجمع أيضًا على رعاة بضم أوله وهاء ءاخره مع القصر، والرعي الحفظ **(الشاء)** الغنم واحده شاة بالهاء كشجر وشجرة، وخص مطلق الرعاء لأنهم أضعف الناس ورعاء الشاء لأنهم أضعف الرعاء، **(يتطاولون في البنيان)** وهو كناية عن إسناد الأمر لغير أهله وصيرورة الأسافل من ضعفاء أهل البادية الغالب عليهم الفقر ملوكًا أو كالملوك حتى يشرئبون لانقلاب الأحوال واتساع الدنيا عليهم بعد ضيقها إلى تشييد المباني وهدم أركان الدين بعدم العمل بآي المثاني. **(ثم انطلق)** أي جبريل **(فلبثت)** زمانًا **(مليا)** بتشديد الياء أي كثيرًا من الملوين الليل والنهار. أما المهموز فمن الملاءة أي اليسار يعني أقام النبي ﷺ بعد انصرافه حينًا، وعلى الأول فهو إخبار من عمر عن نفسه. وجاء في رواية أبي داود والترمذي وغيرهما «فلبثت ثلاثًا»

ثُمَّ قال: «يَا عُمَرُ أَتَدرِي مَنِ السَّائلُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «فَإِنَّه جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلّمُكُمْ دِينَكُمْ». رواهُ مسلمٌ.

ومعنى «تلد الأمة ربتها»: أي سيدتها، ومعناه: أن تكثر السراري

وظاهره أنه ثلاث ليال، **(ثم قال: يا عمر أتدري من السائل)** فيه ندب تنبيه العالم تلامذته والكبير من دونهم على فوائد العلم وغرائب الوقائع طلبًا لنفعهم وتيقظهم **(قلت: الله ورسوله أعلم)** فيه ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من حسن الأدب معه ﷺ برد العلم إلى الله وإليه، وأنه ينبغي لمن سئل عما لا يعلم أن يقول ذلك كما تقدمت الإشارة إليه **(قال: فإنه جبريل)** وفيه دليل على أن الله مكن الملك أن يتمثل فيما شاء من الصور البشرية[1]، وقد كان يتمثل جبريل للنبي ﷺ في صورة دحية ولم يره ﷺ على صورته الأصلية غير مرتين كما صح الحديث بذلك **(أتاكم يعلمكم)** بسبب سؤاله، وإسناد التعليم إليه مجاز إذ المعلم بالحقيقة النبي ﷺ **(دينكم)** أي قواعده أو كليات دينكم. ففيه أن الدين مجموع الإسلام والإيمان والإحسان، ولا ينافيه أن الإسلام وحده يسمى دينًا كما في ءاية ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴿١٩﴾﴾ **(رواه مسلم)** قال القاضي عياض: وقد اشتمل على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر والتحفظ من ءافات الأعمال حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه. قال القرطبي: فيصلح هذا الحديث أن يقال فيه إنه أمّ السنة لما تضمنه من جمل علم السنة كما سميت الفاتحة أمّ القرءان لما تضمنته من جمل معاني القرءان اهـ. **(ومعنى تلد الأمة ربتها)** بالمثناة الفوقية **(أي سيدتها ومعناه)** أعاده تأكيدًا لطول الكلام بين معنى الذي هو مبتدأ وخبره أعني **(أن تكثر السراري)** وذلك ناشئ عن الاستيلاء على بلاد الكفار فيكون

---

(١) الملائكة لا يتشكلون بأشكال الإناث ولا بأشكال بهائم قبيحة كالكلب والخنزير، يتشكلون بأشكال الذكور دون ءالة الذكورة ويتشكلون بنحو طائر جميل الشكل.

حتى تلد الأمة السُّرّيَّةُ بنتًا لسيدها، وبنت السيد في معنى السيد، وقيل غير ذلك. و«العالة»: الفقراء. وقوله: «مليا» أي زمنًا طويلًا، وكان ذلك ثلاثًا.

٦١ - الثَّاني: عنْ أَبي ذَرٍّ جُنْدُبِ بنِ جُنادَةَ وأَبي عبْدِ الرَّحْمٰنِ مُعاذِ بْنِ جبلٍ رضي اللّهُ عنهما عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «اتَّقِ اللَّهَ

الاستيلاء هو العلامة عليها كما تقدم (**حتى تلد الأمة السرية**) فعلية من السرّ وهو الخفية لخفاء أمرها بالنسبة إلى الأزواج (**بنتًا لسيدها وبنت السيد في معنى السيد، وقيل غير ذلك**) من ذلك أنه كناية عن عقوق الأولاد لأمهاتهم، فيعاملونهم معاملة السيدة لأمتها من الإهانة والسبّ (**والعالة**) بتخفيف اللام جمع عائل (**الفقراء، وقوله: مليًا**) بتشديد الياء (**أي زمنًا طويلًا، وكان ذلك ثلاثًا**) ظاهره من الليالي، ويحتمل أن يكون من الأيام.

٦١ - (**الثاني عن أبي ذرّ**) بتشديد الراء (**جندب**) بضم الجيم وسكون النون وتثليث الدال المهملة وءاخره موحدة (**ابن جنادة**) بكسر الجيم وبالنون وإهمال الدال، روي عنه أنه قال: «أنا رابع الإسلام» أسلم بمكة قديمًا وخبر إسلامه في «صحيح مسلم» ثم رجع إلى قومه ثم هاجر إلى المدينة، ووصفه ﷺ في عدة أحاديث بأنه أصدق الناس لهجة، وهو أوّل من حيا النبيّ ﷺ بتحية الإسلام، وقال عليّ في حقه «وعاء مليء علمًا، ثم أوكئ عليه فلم يخرج منه شيء حتى قبض». مات بالربذة سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين (**وأبي عبد الرحمٰن معاذ بن جبل**) الأنصاري أسلم وعمره ثمان عشرة سنة، وشهد العقبة وبدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ مات بناحية الأردن في طاعون عمواس بفتح أوليه قرية بين الرملة والقدس، نسب إليها لأنه أول ما ظهر منها سنة ثماني عشرة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وقبره بغور بيسان في شرقيه (**رضي الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ قال:**) أي لكل منهما لأبي ذر لما أسلم ولمعاذ لما انطلق إلى اليمن وقد جاء التصريح بذلك (**اتق الله**) أمر من

حيثُما كُنْتَ وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنةَ تَمْحُهَا، وخَالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حسنٍ». رواهُ التِّرْمذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

٦٢ - الثَّالثُ: عن ابنِ عبَّاسٍ رضي اللَّهُ عنهما قال: «كُنْتُ

التقوى وهي امتثال أوامره تعالى واجتناب نواهيه، **(حيثما كنت)** أي في أي مكان كنت حيث يراك الناس وحيث لا يرونك اكتفاء بنظره تعالى قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [سورة النساء] وهذا من جوامع كلمه ﷺ، فإن التقوى وإن قلّ لفظها جامعة لحقوقه تعالى، **(وأتبع السيئة الحسنة تمحها)** وجه مناسبتها لما قبلها أن العبد مأمور بالتقوى في كل حال، ولما كان ربما يفرط إما بترك بعض المأمورات أو فعل بعض المنهيات أمره بما يمحو به ما فرّط فيه، وهذا الحديث على حد ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ۝١١٤﴾[1] [سورة هود] وظاهر قوله «تمحها» وقوله تعالى ﴿يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ۝١١٤﴾ أن الحسنة تمحو السيئة من الصحف. هذا في الصغائر المتعلقة بحق الله تعالى، أما الكبائر فلا يكفرها - على الصحيح - إلا التوبة بشروطها وحينئذٍ يصح إدخالها في الحديث بأن يراد بالسيئة ما يعمّ الكبيرة، وبالحسنة ما يشمل التوبة منها، وأما التبعات فلا يكفرها إلا إرضاء أصحابها **(وخالق الناس بخلق حسن)** جماعه ينحصر كما ذكر عن الترمذي وغيره في طلاقة الوجه لهم وكفّ الأذى عنهم وبذل المعروف إليهم. وقال بعضهم: هو أن تفعل معهم ما تحبّ أن يفعلوه معك فتجتمع القلوب ويتفق السرّ والعلانية وحينئذٍ يأمن كيد الكائد وذلك جماع الخير وملاك الأمر. وقد جاءت أحاديث كثيرة في مدح الخلق الحسن وسيأتي بعضها **(رواه الترمذي وقال: حديث حسن)**.

٦٢ - (الثالث عن) عبد الله **(بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت**

---

(١) هذه الآية فيها بيان بطلان الحديث المفترى المنسوب للرسول الذي يقولون فيه: «الكلام في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». فهذا كذب ظاهر.

خَلْفَ النَّبيّ ﷺ يوْمًا فَقال: «يَا غُلامُ إِنّي أُعلّمُكَ كَلِمَاتٍ: احفَظِ اللّهَ يَحْفَظْكَ، احفظِ اللّهَ تَجِدْهُ تُجاهكَ، إِذَا سأَلْتَ فَاسْأَلِ اللّهَ وإِذَا اسْتَعَنْتَ

خلف النبيّ ﷺ) أي على دابته كما جاء في رواية ففيه جواز الإرداف على الدابة إن أطاقته.

(**يومًا**) أي في ساعة منه كما يدل عليه تنكيره (**فقال: يا غلام**) بضم الميم لأنه نكرة مقصودة، وسنه إذ ذاك كان نحو عشر سنين (**إني أعلمك كلمات**) ينفعك الله بهن كما في رواية أخرى وذكره ذلك ليتنبه السامع فيشتد شوقه ويلقي سمعه فيقع في نفسه فيكمل نفعه. وجاء بها بصيغة القلة ليؤذنه بأنها قليلة اللفظ فيسهل حفظها، ومنونة إيذانا بعظم خطرها ورفعة حملها، وتأهيله لهذه الوصايا الرفيعة المقدار الجامعة من العلوم والمعارف ما يفوق الحصر دليل على أنه ﷺ علم ما يؤول إليه أمر ابن عباس من العلم والمعرفة وكمال الأخلاق وحسن الأحوال (**احفظ الله**) بملازمة تقواه، واجتناب نواهيه، وما لا يرضاه (**يحفظك**) بالجزم في نفسك وأهلك ودنياك ودينك لا سيما عند الموت إذ الجزاء من جنس العمل (**احفظ الله**) بما ذكر (**تجده تجاهك**) أي تجده معك بالحفظ والإحاطة والتأييد والإعانة حيثما كنت فتأنس به وتغنى به عن خلقه، فهو كالتأكيد لما قبله وهو من المجاز البليغ لاستحالة الجهة التي هي مدلول «تجاه» عليه تعالى، وتجاه بضم التاء وأصله وجاه بضم الواو وكسرها فأبدلت فوقية ومعناه أمام وخص الأمام من بين باقي الجهات الستّ بالذكر إشعارًا بشرف المقصد وبأن الإنسان مسافر إلى الآخرة والمسافر إنما يطلب أمامه لا غير، فكأنّ المعنى: تجده حيثما توجهت وتيممت من أمر الدنيا والآخرة (**إذا سألت**) أي أردت السؤال (**فاسأل الله**) أن يعطيك مطلوبك قال تعالى ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة النساء] ولا تسأل غيره فإن خزائن الوجود بيده تعالى وأزمتها إليه فهو حق أن يقصد ويسأل، (**وإذا استعنت**) أي طلبت الإعانة على أمر من

فَاسْتَعِن باللّهِ، واعلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجتَمعت علَى أَن ينْفعُوكَ بِشيءٍ لَمْ يَنْفعُوك إِلا بِشَيءٍ قَد كَتَبهُ اللّهُ لَكَ، وإِن اجْتَمَعُوا علَى أَن يضُرُّوك بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيءٍ قد كَتَبَهُ اللّهُ عليْكَ، رُفِعتِ الأَقْلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ».

أمور الدارين (**فاستعن بالله**) لأنه القادر على كل شيء وغيره عاجز عن كل شيء فمن أعانه تعالى فهو المعان ومن خذله فهو المخذول، ومن ثم كانت «لا حول ولا قوّة إلا بالله» كنزًا من كنوز الجنة لتضمنها براءة النفس من حولها وقوتها إلى حوله وقوّته. (**واعلم أن الأمة**) المراد بها هنا سائر المخلوقين كما صرحت به رواية أحمد «فلو أن الخلق جميعًا أرادوك إلخ». وأما مدلولها وضعًا فالجماعة وأتباع الأنبياء، والرجل الجامع للخير المقتدى به. والدين والملة نحو ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الزخرف] والزمان نحو ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة يوسف] والرجل المنفرد بدينه الذي لم يشركه فيه أحد كقوله ﷺ: «يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده» فالأمة لفظ مشترك ومن جملة معانيه الأم كهذه أمة زيد أي أم زيد (**لو اجتمعت**) لو هنا بمعنى إن، إذ المعنى على الاستقبال، (**على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن**) عبر بها بدل لو تفننا في التعبير (**اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضرّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**) كما يشهد له قوله تعالى ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة يونس] والمعنى وحد الله في لحوق الضرّ والنفع فهو الضار النافع على الحقيقة ليس معه أحد في ذلك لما تقرّر أنه القادر لا سواه، فهذا تقرير وتأكيد لما قبله من توحيد الله تعالى في لحوق النفع والضرّ على أبلغ برهان وأوضح بيان، وحثّ على التوكل والاعتماد على الله سبحانه وتعالى في جميع الأمور (**رفعت الأقلام**) أي تركت الكتابة بها لفراغ الأمر وانبرامه (**وجفت**) بالجيم بالبناء للمفعول (**الصحف**) التي فيها تقادير الكائنات كاللوح المحفوظ أي فرغ من الأمر وجفت كتابته فلم

رواهُ التِرْمذيُّ وقَالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وفي روايةِ غير التِرْمذيّ: «احفَظِ اللّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إلى اللَّهِ في الرَّخَاءِ يَعرِفْكَ في الشِّدةِ، واعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُن لِيُصِيبَكَ ومَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُن لِيُخْطِئَكَ،

يمكن أن يكتب فيها بعد ذلك تبديل أو نسخ لما كتب من ذلك واستقرّ لأنها أمور ثابتة لا تبدّل ولا تغير عما هي عليه، فذلك كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها والفراغ منها من أمد بعيد، وهذا من أحسن الكنايات وأبلغها، وقد دل الكتاب والسنة على ذلك، فمن علم ذلك وشهده بعين بصيرته هان عليه التوكل على خالقه والإعراض عما سواه (**رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح**).

(**وفي رواية غير الترمذي**) وهو عبد بن حُميد في «مسنده» لكن بإسناد ضعيف (**احفظ الله تجده أمامك تعرف**) بتشديد الراء (**إلى الله في الرخاء**) بالدأب في الطاعات والإنفاق في وجوه القرب والمثوبات حتى تكون متصفًا عنده بذلك معروفًا به (**يعرفك في الشدة**) بتفريجها عنك وجعله لك من كل ضيق فرجًا ومن كل هم مخرجًا بواسطة ما سلف منك من ذلك التصرف. ومعرفة العبد ربه ضربان عامة وهي الإقرار بوحدانيته وربوبيته والإيمان به وخاصة وهي الانقطاع إليه والأنس به والطمأنينة بذكره والحياء منه وشهوده في كل حال (**واعلم أن ما أخطأك**) من المقادير فلم يصل إليك (**لم يكن**) مقدرًا عليك (**ليصيبك**) أي محال أن يصيبك لأنه بان بأنه أخطأك أنه مقدر على غيرك (**وما أصابك**) منها (**لم يكن**) مقدرًا على غيرك (**ليخطئك**) وإنما هو مقدر عليك إذ لا يصيب الإنسان إلا ما قدر عليه، ومعنى ذلك أنه فرغ مما أصابك وأخطأك من خير أو شرّ فما إصابته لك محتومة لا يمكن أن يخطئك وما أخطأك فسلامتك منه محتومة فلا يمكن أن يصيبك، ففي الحديث تقرير وحضّ على تفويض الأمور كلها إلى الله تبارك وتعالى مع شهود أنه الفاعل لما يشاء، وأن ما قضاه وأبرمه لا يمكن أن يتعدّى

واعْلَمْ أَنَّ النَّصرَ مَعَ الصَّبْرِ وأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وأَنَّ مَعَ الْعُسرِ يُسْرا».

٦٣ - الرَّابعُ: عنْ أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه قالَ: «إِنَّكُمْ لتَعْمَلُونَ أَعْمَالا هيَ أَدقُّ في أَعْيُنِكُم مِنَ الشَّعْرِ كُنَّا نعُدُّهَا علَى عَهْدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُوْبِقاتِ». رواه البخاري، وقال: «الموبقات»: المهلكات.

حدّه المقدر له، وهذا راجع إلى قوله تعالى ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الحديد] **(واعلم)** تنبيه على أن شأن هذه الدار لا سيما مع الصالحين الأخيار كثرة الأعراض والأنصاب فينبغي الصبر للظفر بجزيل الثواب والرضا بالقضاء والقدر **(أن النصر)** من الله للعبد على جميع أعداء دينه ودنياه كائن **(مع الصبر)** على طاعة الله وعن معصيته **(وأن الفرج)** وهو الخروج من الغمّ حاصل سريعًا **(مع الكرب)** هو الغم الذي يأخذ بالنفس فلا دوام للكرب، وحينئذٍ فينبغي لمن نزل به ذلك أن يكون صابرًا محتسبًا راجيًا سرعة الفرج مما نزل به حسن الظن بمولاه في جميع أموره فإنه أرحم به من كل راحم إذ هو أرحم الراحمين **(وأن مع العسر يسرا)** كما نطق به قوله تعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [سورة الشرح] والحديث بطريقيه أصل عظيم في مراقبة الله ومراعاة حقوقه والتفويض لأمره والتوكل عليه وشهود توحيده وتفرده وعجز الخلائق كلهم وافتقارهم إليه.

٦٣ - (الرابع: عن أنس رضي الله عنه قال) مخاطبًا للمتساهلين في الأعمال **(إنكم لتعملون أعمالا)** تستهونها لعدم نظركم إلى عظم المعصى بها **(هي)** لذلك **(أدقّ في أعينكم من الشعر)** استخفافًا بها **(كنا نعدها)** لكمال الخشية الناشئة عن كمال المعرفة بالله الحاصلة بحلول نظر النبيّ ﷺ **(على عهد)** زمن **(رسول الله ﷺ من الموبقات)** وفي الحديث كمال مراقبة القوم لله تعالى وكمال استحيائهم منه. أحيا الله قلوبنا من موت الغفلة بمنته **(رواه البخاري، وقال)** أي البخاري **(الموبقات)** بضم الميم **(المهلكات)** وفيه أن الإنسان ينبغي له أن يحذر من صغار الذنوب

٦٤ - الْخَامِسُ: عنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه عن النّبيّ ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللّهِ أَن يَأْتِيَ الْمَرْءُ مَا حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْه». متفقٌ عليه.

و«الغيرة»: بفتح الغين وأصلها الأَنَفَةُ.

٦٥ - السَّادِسُ: عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه أَنَّهُ سمِعَ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلاثَةً مِن بَنِي إِسْرائيلَ: أَبْرصَ وأَقْرعَ وَأَعْمَى أَرَادَ اللّهُ أَن يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فأَتَى الأَبْرَصَ

فلعلها تكون المهلكة له في دينه كما يحترز من يسير السموم خشية أن يكون فيها حتفه.

٦٤ - (**الخامس: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: إن الله تعالى يغار، وغيرة الله أن يأتي المرء ما حرّم الله عليه**) أي منعه أن يأتي ذلك (**متفق عليه**) ورواه أحمد والترمذي كلهم بزيادة «والمؤمن يغار» ورواه بإسقاطها البخاري (**والغيرة بفتح الغين وأصلها**) في وضع اللغة (**الأنفة**) بفتح أوليه، أي الامتناع من الضيم ونحوه، وقال النووي: «أصلها المنع» ومعنى غيرة الله تعالى أي أنها منعه سبحانه وتعالى الناس من الفواحش - أي وسائر المحرمات كما في حديث الباب - لكن الغيرة في حق الناس يقارنها تغير حال الإنسان وانزعاجه، وهذا مستحيل في غيرة الله تعالى» اهـ.

٦٥ - (**السادس: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع**) كلام (**النبيّ ﷺ يقول إن ثلاثة من بني إسرائيل**) أي أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم (**أبرص**) أي به وضح (**وأقرع**) أي من ذهب شعر رأسه من ءافة (**وأعمى**) العمى عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيرًا (**فأراد الله أن يبتليهم**) أي يعاملهم معاملة المبتلى المختبر، وإلا فعلمه أزليّ شامل للموجود والمعدوم قبل وجوده (**فبعث**) أرسل (**إليهم ملكًا**) بفتح اللام في صورة إنسان (**فأتى**) الملك (**الأبرص**) بدأ به

فَقَال: أَيُّ شَيْءٍ أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ ويَذْهبُ عنّي الذي قَد قَذِرَنِي النَّاسُ، فَمَسَحهُ فذَهَب عنهُ قَذَرُهُ وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ الْمالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبلُ أَوْ قَالَ الْبَقَرُ - شَكَّ الرَّاوِي - فأُعْطِي نَاقَةً عُشَراءَ، فَقالَ: بارَك اللّهُ لَكَ فِيها.

فأَتَى الأَقْرعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قال: شَعْرٌ حسنٌ ويَذهبُ عنّي هَذَا الذي قَذِرَنِي النَّاسُ، فَمسحهُ فَذَهب عنْهُ. وأُعْطِيَ شَعرًا حسنًا. قال: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

ثم بالأقرع اهتمامًا بالتسجيل عليهما وتعجيلًا للانتقام، وقدم الأبرص لأن داءه أقبح وأشنع ولونه أعظم **(فقال)** له **(أي شيء أحبّ إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن)** لم يقتصر على طلب اللون الحسن لأن جلد البرص يحصل له من التقلص والتشنج والخشونة ما يزيد به قبح صاحبه وعاره فلم يكف طلب حسن اللون عن طلب حسن الجلد **(ويذهب)** عطف على ما قبله بتقدير أن **(عني)** الداء **(الذي قد قذرني)** بكسر الذال أي تباعد عني وكرهني **(الناس)** أي بسببه قال ﷺ **(فمسحه)** الملك أي أمرّ يده عليه **(فذهب عنه قذره)** أي سبب قذره وهو البرص الذي كان به **(وأعطي لونًا حسنًا قال)** الملك له **(فأي المال)** معروف **(أحبّ إليك؟ قال: الإبل)** أي الجمال **(أو قال البقر. شك الراوي)** أي شك هل سمع الإبل أو البقر، والمرجح الإبل لكونه اقتصر عليها في قوله «فأعطي ناقة عشراء» **(فأعطي)** بالبناء للمفعول **(ناقة عشراء فقال بارك الله)** أي أوقع **(لك)** البركة وهو يحتمل أن يكون دعاء منه له بذلك وأن يكون إخبارًا به **(فيها)** أي في هذه الناقة **(فأتى الأقرع)** أي عقب تمام ما يتعلق بالأبرص كما تشعر به الفاء **(فقال: أيّ شيء أحبّ إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا)** الداء أي القرع **(الذي قد قذرني الناس)** أي بسببه **(فمسحه)** الملك يحتمل أن يكون مسح محل الداء فقط وهو الأقرب وأن يكون مسح جميع بدنه لتعمه بركته **(فذهب عنه)** القرع **(وأعطي شعرًا حسنًا قال)** الملك له **(فأيّ المال أحب إليك)** أي من جميع الأموال أي

قَال: الْبَقرُ، فأُعطِي بقرةً حامِلاً، فقَالَ: بَارَكَ اللّهُ لَكَ فِيهَا.

فأَتَى الأَعمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: أَن يَرُدَّ اللّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ النَّاسَ، فمَسَحَهُ فَرَدَّ اللّهُ إِلَيْهِ بصَرَهُ. قال: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: الْغنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً والِدًا، فَأَنْتجَ هذَانِ وَولَّد هذا. فكانَ لهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ ولهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ وَلِهَذَا وادٍ مِنَ الْغَنَم.

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرصَ في صورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَال: رَجلٌ مِسْكِينٌ

أيها تحب أن يكون لك منها (**قال: البقر**) اسم جنس يقال على الذكر والأنثى وإنما دخلته الهاء للفرق بين الواحدة والجمع (**فأعطي بقرة حاملاً**) لم يقل حاملة لاختصاص هذا الوصف بالمؤنث كحائض وطالق وإنما يحتاج إليها للفرق في نحو قائم وقائمة (**فقال: بارك الله لك فيها**) أي في هذه البقرة (**فأتى الأعمى فقال: أيّ شيء أحبّ إليك قال: أن يرد الله إليّ بصري**) أي القوّة المودعة في العينين التي بها تدرك المبصرات (**فأبصر**) بضم الهمزة (**الناس**) أي أراهم ببصري أي بعيني رأسي (**فمسحه**) أي أمرّ يده على عينيه، كما تقدم في «نظيره» (**فردّ الله إليه بصره**) أي القوّة المدركة المذكورة (**قال: فأي المال أحب إليك قال: الغنم**) أي أحبه إليّ، فهو مبتدأ محذوف الخبر، أو الأحبّ إليّ الغنم فيكون خبر مبتدإ محذوف. وفي «الصحاح»: الغنم اسم مؤنث موضوع للجنس يقع على الذكور والإناث يقال خمس من الغنم ذكور فيؤنث العدد وإن عنيت الكباش لأن العدد يجري في تذكيره وتأنيثه على اللفظ لا على المعنى (**فأعطي**) بالبناء للمجهول (**شاة والدًا**) أي ذات ولد وهي التي قد عُرف منها كثرة الولد والنتاج (**فأنتج هذان**) والمشار إليهما صاحبا الإبل والبقر (**وولد**) بتشديد اللام (**هذا**) أي صاحب الغنم (**فكان لهذا واد**) أي ملؤه (**من الإبل، ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم ثم إنه**) أي الملك (**أتى الأبرص**) متصورًا (**في صورته**) أي التي كان عليها (**وهيئته**) من رذالة الملبس (**فقال رجل مسكين**) بكسر الميم من المسكنة الحاجة أي أنا رجل محتاج

قدِ انقَطعتْ بِيَ الْحِبَالُ في سَفَرِي فلا بَلاغَ الْيومَ إِلا بِاللّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذي أَعْطَاكَ اللوْنَ الْحَسَنَ والْجِلْدَ الْحسَنَ والْمالَ بعِيرًا أَتبلَّغُ بِهِ في سفَرِي، فقالَ: الحُقُوقُ كَثِيرةٌ. فقال: كأَنّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فقيرًا فَأَعْطَاكَ اللّهُ؟ فقالَ: إِنَّما وَرِثْتُ هَذا المالَ كَابِرًا عَن كابِر

(**قد انقطعت بي**) الباء للتعدية (**الحبال**) واحده حبل وهو المستطيل من الرمل. وقيل الأسباب في طلب الرزق (**في سفري فلا بلاغ**) البلاغ ما يتبلغ ويتوصل به إلى الشيء المطلوب أي لا وصول لي لما أريده (**اليوم إلا بالله**) أي إيجاده وتيسيره (**ثم بك**) لكونك مظهرًا للخير يجري على يديك، وثم هي هنا للترتيب في التنزل ولم يقل وبك دفعًا لإيهام التشريك ولذا كان الإتيان بثم هو الأدب المتأكد كما يأتي (**أسألك**) أي أقسم عليك مستعطفًا (**بـ**) الله (**الذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن**) بفتح المهملتين أي بعد الابتلاء في اللون والجلد (**والمال**) أي بعد الابتلاء بالفقر (**بعيرًا**) هو اسم يقع على الذكر والأنثى وهو من الإبل بمنزلة الإنسان من الناس، والجمل بمنزلة الرجل، والناقة بمنزلة المرأة والقعود بمنزلة الفتى، والقلوص بمنزلة الجارية (**أتبلغ**) بتشديد اللام أي من البلغة وهي الكفاية (**به في سفري فقال**) الأبرص (**الحقوق كثيرة**) أي عليّ فلا فاضل عن الحاجة لأعطيك إياه فانظر غيري (**فقال**) الملك (**كأني**) بتشديد النون (**أعرفك**) الظاهر أن كأنّ فيه للتحقيق وأنشدوا عليه:

وأصبح بطن مكة مقشعرًا كأن الأرض ليس بها هشام

أي لأن الأرض، (**ألم**) استفهام تقريري (**تكن أبرص يقذرك**) بفتح الذال المعجمة أي تكرهك (**الناس**) أي فعافاك الله (**فقيرًا**) أي محتاجًا (**فأعطاك الله؟ فقال إنما ورثت**) بتشديد الراء مبني للمفعول وبتخفيفها مبني للفاعل (**هذا المال كابرًا عن كابر**) أي كبيرًا عن كبير في العزّ والشرف أي ورثته عن أبي وجدي. وحاصله إنكار تلك الحال ودعوى

فقالَ: إِن كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللّهُ إِلَى ما كُنْتَ.

وَأَتَى الأَقْرَعَ في صُورَتِهِ وهيئتِه، فقال لَهُ مِثْلَ ما قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْل مَا رَدَّ هَذَا، فقالَ: إِن كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وأَتَى الأَعْمَى في صُورتِهِ وهَيْئَتِهِ، فقالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بيَ الْحِبَالُ في سَفَرِي فَلا بَلاغَ اليَوْمَ إِلا باللّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بالَّذي رَدَّ عَلَيْكَ بصرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بهَا في سَفَرِي؟ فقالَ: قَد كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللّهُ إِلَيَّ بَصري فَخُذْ ما شِئْتَ وَدعْ مَا شِئْتَ،

أنه نشأ في تلك الأحوال فهي غير متجددة عليه وهذا من إنكار النعم وقال القرطبي: حمله عليه البخل، وحق العبد ألا يزال لنعم مولاه شاكرًا ولأحواله التي كان عليها وءال إليها ذاكرًا. **(فقال)** الملك **(إن كنت كاذبًا)** في دعواك وأتى بإن الموضوعة للشك في الشرط مع أنه جازم به مماشاة ومساجلة، أو أنّ «إن» فيه بمعنى إذ **(فصيرك الله)** بتشديد الياء التحتية **(إلى ما كنت)** قال **(وأتى الأقرع في صورته)** التي يقذرها الناس **(وهيئته)** التي يحقرونها لرثاثتها، **(فقال له)** الملك **(مثل ما قال لهذا)** الأبرص **(وردّ)** الأقرع **(عليه مثل ما ردّ هذا)** الأبرص **(فقال)** الملك **(إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت)** عليه من القرع والفقر قال **(وأتى الأعمى)** متشكلًا **(في صورته)** أي في صورة ءادمي أعمى **(وهيئته فقال)** الملك **(رجل)** أي صورة، إذ الملائكة لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة **(مسكين وابن سبيل)** أي مسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق، ويحتمل أنه أراد أنه ضيف وسمي به لأن السبيل تظهر به **(انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردّ عليك بصرك)** أي القوة الباصرة المدرك بها المبصرات **(شاة أتبلغ بها في سفري، فقال)** ذلك الرجل متذكرًا نعم الله تعالى عليه وحسن حاله بعد بؤسه **(قد كنت أعمى فردّ الله إليّ)** بتشديد الياء وفي نسخة «عليّ» **(بصري فخذ ما شئت)** أي من المال **(ودع ما شئت)** منه

فَوَاللّهِ ما أَجْهَدُك الْيَوْمَ بِشيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلّهِ تَعَالَى. فقالَ: أَمْسِكْ مالَكَ فإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَد رُضِيَ عنك وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ». متفقٌ عليه.

و«الناقة العشراء» بضم العين وفتح الشين وبالمد هي الحامل.

قوله: «أنتج» وفي رواية «فنتج» معناه: تولَّى نتاجها، والناتج للناقة كالقابلة للمرأة. وقوله: «ولَّدَ هذا» هو بتشديد اللام أي تولَّى ولادتها، وهو بمعنى نتج في الناقة، فالمولِّد والناتج والقابلة بمعنًى، لكن

(**فوالله ما أجهدك**) بفتح الهاء وهذه رواية مسلم (**اليوم بشيء**) أي في ردّ شيء (**أخذته لله تعالى**) علة لعدم الإجهاد أي لا أشق عليك لله أو للأخذ (**فقال**) الملك (**أمسك مالك فإنما ابتليتم**) أي امتحنتم أي عاملكم الله العالم بجميع الأمور معاملة المبتلى المختبر ليترتب على عملكم أثره إذ الجزاء إنما جعله الله مرتبًا على ما يبدو في عالم الشهادة لا على ما سبق في علمه (**فقد رضي عنك وسخط**) بالبناء للمجهول (**على صاحبيك**) والرضا والسخط المراد بهما في حقه تعالى لازمهما مجازًا مرسلًا إما عن إرادة الإثابة والتعذيب فيكونان صفتي ذات أو التعذيب والإثابة نفسهما فيكونان صفتي فعل (**متفق عليه**) وانفرد به الشيخان عن باقي أصحاب الكتب الستة (**والناقة العشراء بضم العين**) المهملة (**وفتح الشين**) المعجمة (**وبالمد هي الحامل**) كذا أطلقه وهو قول، وقيل: الحامل التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر من يوم طرقها الفحل وهي من أنفس الإبل (**قوله أنتج**) بالبناء للفاعل هو شاذ قليل لأنه لم يسمع من هذه المادة إلا نتج مبني للمفعول، والنتاج: الأولاد، والنتج والإنتاج: تولي الولادة (**وفي رواية فنتج**) بالبناء للفاعل كذلك و(**معناه تولى نتاجها**) الأقرب أن معناه ولد الإبل والبقر، ومعنى ولد الغنم أي صيرها والدة أي منسوبة للولادة (**والناتج للناقة كالقابلة للمرأة. وقوله: ولد هذا هو بتشديد اللام أي تولى ولادتها**) للولادة (**لكن**) في عرف الاستعمال خص

هذا للحيوان وذاك لغيره. وقوله: «انقطعت بي الحبال» هو بالحاء المهملة والباء الموحدة أي الأسباب. وقوله: «لا أجهدك» معناه لا أشق عليك في ردّ شيء تأخذه أو تطلبه من مالي. وفي رواية البخاري: «لا أحمَدُكَ» بالحاء المهملة والميم، ومعناه لا أحمدك بترك شيء تحتاج إليه، كما قالوا ليس على طول الحياة ندمٌ أي على فوات طولها.

٦٦ - السَّابِعُ: عَنْ أَبي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قال: «الكَيِّسُ مَن دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْموْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسهُ هَواهَا

(هذا) أي الناتج (للحيوان) هو الإبل والبقر (وذاك) أي المولد (لغيره) أي الغنم والقابلة لبني ءادم (قوله انقطعت بي الحبال هو بالحاء المهملة والباء الموحدة أي الأسباب وقوله لا أجهدك) بالجيم والهاء وهي رواية مسلم (معناه لا أشق عليك في ردّ شيء) فهو على حذف مضاف (تأخذه) بأن أنزعه منك (أو تطلبه من مالي) بأن أمنعه. قال القرطبي: قال صاحب «الأفعال»: جهدته وأجهدته بالغت في مشقته (وفي رواية البخاري لا أحمدك بالحاء المهملة والميم) وبلا النافية (ومعناه لا أحمدك بترك شيء تحتاج إليه) فهو على تقدير المضاف وذلك لطيب نفسي بما تأخذه (كما قالوا ليس على طول الحياة ندم أي على فوات طولها).

٦٦ - (السابع عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه) وهو ابن أخي حسان بن ثابت الجامع بين العلم والعمل والحلم. مات سنة ثمان وخمسين، وهو ابن خمس وسبعين سنة (عن النبي ﷺ قال: الكيس) العاقل (من دان نفسه) أي حاسبها ومنعها مستلذاتها وشهواتها التي فيها هلاك دينها (وعمل لما بعد الموت) من القبر وما بعده صالح العمل المؤنس له في الوحدة والوحشة، (والعاجز) التارك لما يجب فعله بالتسويف (من أتبع) بإسكان الفوقية (نفسه هواها) أي جعلها تابعة لما

وَتَمنَّى عَلَى اللّهِ». رواه التِرْمِذيُّ وقال: حديثٌ حَسَنٌ.

قال التِرْمِذيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ: مَعْنَى «دَانَ نَفْسَه»: حَاسَبَهَا.

٦٧ - الثَّامِنُ: عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنهُ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعنِيهِ». حديثٌ حسنٌ رواه التّرْمذيُّ وَغَيْرُهُ.

٦٨ - التَّاسعُ: عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضِي اللَّهُ عنه عَنِ النَّبِيّ ﷺ قال: «لا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فيمَ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ».

تهواه مؤثرة لشهواتها معرضة عن صالح الأعمال لكونه على خلاف ما تدعو إليه النفس (**وتمنى على الله**) الفوز في الآخرة (**رواه الترمذي**) وكذا رواه أحمد وابن ماجه والحاكم (**وقال**) الترمذي (**حديث حسن**) ورواه البيهقي (**قال الترمذي وغيره من العلماء معنى دان نفسه: حاسبها**).

٦٧ - (**الثامن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من حسن إسلام المرء**) «من» فيه تبعيضية أو ابتدائية. وحسن الإسلام عبارة عن كمالِه وهو أن تستقيم نفسه في الإذعان لأمر الله تعالى والاستسلام لأحكامه (**تركه ما لا يعنيه**) أي ما لا يريده ولا يحتاج إليه ولا ضرورة إليه فيه ولا ينفعه بكون عيشه بدونه ممكنًا وذلك يشمل الأفعال الزائدة والأقوال الفاضلة، فينبغي ألا يشتغل إلا بما فيه صلاحه معاشًا ومعادًا بتحصيل ما لا بد منه في قوام البدن وبقاء النوع الإنساني ثم بالسعي في الكمالات العلمية والفضائل العلية، وأن يعرض عما عدا ذلك وذلك إنما يكون بالمراقبة وأنه تعالى لا يخفى عليه شيء من شأنه (**حديث حسن رواه الترمذي وغيره**) ورواه ابن ماجه وابن حبان في «صحيحه».

٦٨ - (**التاسع: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: لا يسأل**) بالبناء للمجهول (**الرجل فيم**) بحذف ألف ما الاستفهامية لجرها بفي، أي بأيّ سبب (**ضرب امرأته**) لاحتمال أن يكون السبب مما يستحيا من ذكره كالامتناع من التمكين، بل يترك ذلك إليه وإلى مراقبته

رواهُ أَبو داودَ وغيرُه.

٦ - باب التقوى

لمولاه (**رواه أبو داود وغيره**) ورواه الإمام أحمد.

ولما كانت نتيجة مراقبة العبد لمولاه في سائر الأحوال وأنه بمرأى منه لا يخفى عليه شيء من شأنه امتثال الأوامر واجتناب النواهي وذلك هو التقوى عقبها بها فقال:

٦ - باب التقوى

أصلها «وقوى» بكسر أوله وقد يفتح من الوقاية أبدلت تاء كتراث وتخمة وهي ما يستر الرأس فهي اتخاذ وقاية تقيك مما تخافه وتحذره؛ فتقوى العبد لله أن يجعل بينه وبين ما يخشاه وقاية تقيه منه وهي امتثال أوامره تعالى واجتناب نواهيه بفعل كل مأمور به وترك كل منهي عنه حسب الطاقة من فعل ذلك فهو من المتقين الذين شرفهم الله تعالى في كتابه بالمدح والثناء ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [سورة ءال عمران] وبالحفظ من الأعداء ﴿وَإِنْ تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة ءال عمران] وبالتأكيد والنصرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة النحل] وبالنجاة من الشدائد والرزق من الحلال ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٣﴾﴾ [سورة الطلاق] قال أبو ذر قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ثم قال: «يا أبا ذرّ لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم» وبإصلاح العمل وغفران الذنب ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب] وبكفلين من الرحمة والنور ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الحديد] وبالقبول ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة المائدة] وبالإكرام والإعزاز عند الله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحجرات] وبالنجاة من النار ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ

قال الله عزَّ وجلَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة ءال عمران]، **وقال الله عزَّ وجلَّ** ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴿١٦﴾﴾ [سورة التغابن] **وهذه الآية مُبَيّنةٌ للمراد من الأُولى، وقال اللَّه تعالى** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب]، **والآياتُ في الأَمْرِ بالتَّقْوَى كَثِيرَةٌ معلُومَةٌ، وقال تعالى** ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ ﴿٣﴾﴾ [سورة الطلاق]،

﴿٧٢﴾﴾ [سورة مريم] وبالخلود في الجنة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة ءال عمران] وبغاية ذلك القصوى وهي محبة الله تعالى وموالاته، وانتفاء الخوف والحزن، وحصول البشارة في الدنيا والآخرة والفوز العظيم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ [سورة التوبة] ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة يونس] ولو لم يكن في التقوى سوى هذه الخصلة لكفت.

قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة التوبة] سبق الكلام فيها في باب الصدق (**قال الله عزَّ وجلَّ** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴿١٠٢﴾﴾) بأن يطاع فلا يعصى.

(**وقال الله عزَّ وجلَّ** ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴿١٦﴾﴾ **وهذه الآية**) المقيد فيها أمر التقوى بالاستطاعة (**مبنية للمراد من**) الآية (**الأولى**) الخالية من ذلك التقييد، وذلك بأن يقال المراد أن يطاع فلا يعصى بحسب الاستطاعة وكذا ما بعده.

(**وقال الله تعالى** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾) صوابًا (﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب]) يتقبلها أو يوفقكم للأعمال الصالحة (**والآيات في الأمر بالتقوى كثيرة معلومة. وقال تعالى** ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾) من كرب الدنيا والآخرة (﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ ﴿٣﴾﴾) يخطر بباله.

وقال تعالى ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [سورة الأنفال]، **والآياتُ في الْبَاب كَثيرةٌ مَعلُومَةٌ. وأَمَّا الأَحَاديثُ:**

٦٩ - فَالأَوَّلُ: عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قيل: يا رسولَ اللّهِ مَن أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قال: «أَتْقَاهُمْ». فقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فيُوسُفُ نَبيُّ اللّهِ ابْنُ نَبيِّ اللّهِ ابْنِ نبيّ اللَّهِ ابنِ خَليلِ اللّهِ»، قَالُوا: لَيْسَ عن هَذَا نَسْأَلُكَ،

(**وقال الله تعالى** ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾) بالأمانة وغيرها (﴿يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ٢٩﴾) بينكم وبين ما تخافون فتنجون (﴿وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ ٢٩﴾) ذنوبكم (**والآيات في الباب كثيرة معلومة**) وقد سبق جملة منها أول الباب.

(**وأما الأحاديث**) النبوية:

٦٩ - (**ف**) الحديث (**الأول**) منها (**عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله من أكرم الناس**)؟ قال النووي: أصل الكرم كثرة الخير ومن كان متقيًا كان كثير الخير وكثير الفائدة في الدنيا وصاحب الدرجات العلى في الآخرة»، فلما سئل ﷺ أيّ الناس أكرم؟ أخبر بأكرم الكرم وأعمه (**فقال: أتقاهم**) لله فإن من كان متقيًا كان كثير الخير في الدنيا صاحب الدرجات العليا في الآخرة اهـ (**فقالوا ليس عن هذا**) الكرم (**نسأل، قال فـ**) أكرم الناس (**يوسف**)[1] بتثليث السين فإنه جمع خيري الدارين وشرفهما فإنه مع كونه (**نبيّ الله ابن نبيّ الله**) يعقوب (**ابن نبيّ الله**) إسحاق (**ابن خليل الله**) إبراهيم انضم إليه شرف علم الرؤيا وتمكنه فيه ورياسة الدنيا وملكها بالسيرة الجميلة وإحاطته للرعية وعموم نفعه إياهم وشفقته عليهم، (**قالوا: ليس عن هذا**) أيضًا (**نسألك**) ففهم

---

(١) معناه من ناحية هو أكرم لأنه نبيّ ابن نبيّ ابن نبيّ وإلا فأكرم الناس على الإطلاق سيدنا محمد ﷺ.

قال: فعَن مَعَادِنِ الْعَرَب تسْأَلُونِي خِيَارُهُمْ في الْجاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ في الإِسْلامِ إِذَا فَقُهُوا». متفقٌ عليه.

و«فقهوا» بضم القاف على المشهور، وحكي كسرها، أي علموا أحكام الشرع.

٧٠ - الثَّانِي: عَنْ أَبي سَعيدٍ الْخُدْرِيّ رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قال: «إِنَّ الدُّنْيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإِنَّ اللّهَ تَعَالَى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فينْظُرُ كيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا

حينئذٍ أن مرادهم قبائل العرب (**قال: فعن معادن العرب تسألوني**) قالوا نعم وسكت عنه لدلالة السياق عليه فقال (**خيارهم**) بكسر الخاء المعجمة (**في الجاهلية**) ما قبل الإسلام سموا بذلك لكثرة جهالتهم (**خيارهم في الإسلام**) أي إن أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق في الجاهلية هم أصحابها في الإسلام وهم الخيار (**إذا فقهوا**) أي صاروا فقهاء عالمين بالأحكام الشرعية الفقهية. (**متفق عليه. وفقهوا بضم القاف على المشهور، وحكي كسرها**) يقال فقه بضم القاف إذا صار ذا سجية، وبكسرها بمعنى فهم.

٧٠ - الحديث (**الثاني**) من أحاديث الباب (**عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن الدنيا حلوة خضرة**) بفتح المعجمة الأولى وكسر الثانية. قال النووي: «يحتمل أن المراد به شيئان أحدهما حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة فإن النفوس تطلبها طلبًا حثيثًا فكذا الدنيا، والثاني سرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين» (**وإن الله تعالى مستخلفكم فيها**) بكسر اللام أي جعلكم خلفاء في الدنيا أي أنتم بمنزلة الوكلاء فيها. وقيل معناه: جعلكم خلفاء ممن كان قبلكم فإنها لم تصل إلى قوم إلا بعد ءاخرين (**فينظر**) أي فيعلم علم مشاهدة وعيان (**كيف تعملون**) من إنفاقها في مراضيه فتثابون، أو في مساخطه فتأثمون فإن الجزاء إنما يترتب على ما يبدو في عالم الشهادة من الأعمال كما تقدم (**فاتقوا الدنيا**) أي اجتنبوا فتنتها واحذروا

واتَّقُوا النّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النّسَاءِ». رواه مسلمٌ.

٧١ - الثَّالِثُ: عَن ابْنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ الْهُدى وَالتُّقَى وَالْعَفافَ والْغِنَى». رواه مسلمٌ.

٧٢ - الرَّابِعُ: عَنْ أَبِي طَرِيفٍ عَدِيّ بْنِ حاتِمٍ الطائِيّ رضِي اللَّهُ عنه

أن تميلكم محبتها والاغترار بها عن أوامر الله تعالى واجتناب مناهيه فيها (**واتقوا النساء**) أي اجتنبوا الافتتان بهن أي أن يمنعكم التمتع بهن لاستيلاء محبتهن عن القيام بأداء حقوق العبودية والتقرّب إلى مراضي الله تعالى (**فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**) أي بسببهن، هلك كثير من الفضلاء (**رواه مسلم**).

٧١ - الحديث (**الثالث عن**) عبد الله (**بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول اللهم**) أصله يا الله فحذف حرف النداء وعوّض عنه الميم كما تقدم (**إني أسألك الهدى**) بضم الهاء الرشاد (**والتقوى**) وفي نسخة «والتقى»: امتثال الأوامر واجتناب النواهي (**والعفاف**) أي التنزه عما لا يباح والكف عنه (**والغنى**) أي غنى النفس والاغتناء عن الناس وعما في أيديهم، والمسؤول له ﷺ زيادة ذلك. وفيه شرف هذه الخصال، وفيه الخضوع واللجأ للكريم الوهاب في سائر الأحوال (**رواه مسلم**) ورواه الترمذي وابن ماجه.

٧٢ - الحديث (**الرابع عن أبي طريف**) بفتح الطاء وكسر الراء المهملتين وسكون التحتية بعدها فاء (**عدي**) بفتح أوله فكسر ثانيه المهملتين فتشديد الياء (**ابن حاتم**) بالحاء المهملة والفوقية المكسورة، العلم المضروب به المثل في الجود (**الطائي**) نسبة إلى طيىء بوزن سيد، واسمه جلهمة، وفد عديّ (**رضي الله عنه**) على النبيّ ﷺ سنة تسع في شعبان وكان نصرانيًا وقيل بل أسر المسلمون أخته سفانة بنت حاتم فأسلمت وعادت إليه فأخبرته ودعته إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن

قال: سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ علَى يمِينٍ ثُمَّ رَأَى أَتْقَى لِلّهِ مِنْهَا فَلْيَأْتِ التَّقْوَى». رواه مسلمٌ.

٧٣ - الْخَامِسُ: عنْ أَبي أُمَامَةَ صُدَيِّ بْنِ عَجْلانَ الْبَاهِلِيّ رضِي اللَّهُ عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ في حَجَّةِ الْوَدَاعِ

إسلامه. ولما توفي رسول الله ﷺ قدم على الصديق وقت الردّة بصدقة قومه وثبت على الإسلام ولم يرتدّ وثبت قومه معه، توفي سنة سبع وقيل: تسع وستين وله مائة وعشرون سنة. قيل مات بالكوفة أيام المختار (**قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: من حلف على يمين**) الحلف هو اليمين كما تقول حلف يحلف حلفا، وأصلها العقد بالعزم والنية فخالف بين اللفظين وقال: حلف على يمين تأكيدًا. (**ثم رأى أتقى لله منها**) أي من يمينه التي التزمها في ترك أمر (**فليأت التقوى**) وحاصله أن من حلف على ترك فعل شيء أو فعله فرأى غيره خيرًا من التمادي على اليمين وأتقى لله كأن حلف ليتركنّ الصلاة أو ليشربنّ المسكر وجب عليه الحنث والإتيان بما هو التقوى من فعل المأمور به وترك المنهيّ عنه، فإن حلف على ترك مندوب أو فعل منهي عنه نهي كراهة ندب له الحنث، ومثله حديث مسلم أيضًا «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه» (**رواه مسلم**).

٧٣ - (الخامس عن أبي أمامة) بضم الهمزة (**صدي**) بضم الصاد ففتح الدال المهملتين وتشديد الياء، ويقال الصدي بأل (**بن عجلان**) بفتح المهملة وسكون الجيم (**الباهلي**) كان (**رضي الله عنه**) من مشهوري الصحابة. سكن مصر ثم حمص وتوفي بها سنة إحدى وقيل: سنة ست وثمانين. وهو ءاخر من مات من الصحابة بالشأم (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع**) بكسر الحاء على الأفصح وفتح الواو اسم مصدر من التوديع، وبكسرها مصدر وادع، قال النووي: «سميت بذلك لأن النبي ﷺ ودع الناس فيها وعلمهم في خطبته فيها أمر دينهم وأوصاهم بتبليغ الشرع فيها إلى من غاب عنها». وفيه جواز تسميتها

فَقَالَ: «اتَّقُوا اللّهَ وصَلُّوا خمْسكُمْ وصُومُوا شَهْرَكُمْ وأَدُّوا زكَاةَ أَمْوَالِكُمْ وَأَطِيعُوا أُمَرَاءَكُمْ تَدخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ». رواه التِرْمِذيُّ في ءاخر كتابِ الصلاةِ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح.

٧ - باب اليقين والتوكل

بذلك من غير كراهة (**فقال: اتقوا الله**) بدأ به لأنه الأساس لتناوله فعل سائر المأمورات وترك سائر المناهي وعطف عليه ما بعده من عطف الخاص على العام اهتمامًا به واعتناء بشأنه، (**وصلوا خمسكم**) أي الفروض الخمسة (**وصوموا شهركم**) أي شهر رمضان، وأضيف للأمة لما يسبغ عليهم فيه من الفيوض الإلٰهية من عتق الرقاب وجزيل الثواب. (**وأدّوا زكاة أموالكم وأطيعوا أمراءكم**) فيما ليس فيه معصية الله تعالى وفي ذلك انتظام الأحوال المتوصل به إلى قوام المعاش والاستعداد للمعاد (**تدخلوا**) بالجزم في جواب الأمر (**جنة ربكم. رواه الترمذي في ءاخر كتاب الصلاة، وقال: حديث حسن صحيح**) ورواه ابن حبان والحاكم.

٧ - باب اليقين والتوكل

قال السيد في كتاب «تعريفات العلوم»: (**اليقين**) في اللغة العلم الذي لا شك معه. وفي الاصطلاح: اعتقاد الشيء أنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا، وهو مطابق للواقع غير ممكن الزوال. (**والتوكل**) اعتمادك على مولاك ورجوعك إليه، وخروجك عن حولك وقوّتك وانطراحك بين يديه.

وقال القشيري: اعلم أن التوكل محله القلب وأما الحركة بالظاهر فلا تنافي توكل القلب بعد ما تحقق العبد أن التقدير من فعل الله عزّ وجلّ، فإن تعسر شيء فبتقديره وإن تيسر شيء فبتيسيره.

قال الله عزَّ وجلَّ ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [**سورة الأحزاب**]، **وقال عزَّ وجلَّ** ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [**سورة ءال عمران**]، **وقال عزَّ وجلَّ** ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴿٥٨﴾﴾ [**سورة الفرقان**]، **وقال عزَّ وجلَّ** ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [**سورة إبراهيم**]، **وقال عزَّ وجلَّ**

(**قال الله عزَّ وجلَّ** ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾) من الكفار (﴿قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾) من الابتلاء والنصر (﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ﴾) في الوعد (﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾) ذلك (﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾) تصديقًا بوعد الله (﴿وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾) لأمره. (**وقال عزَّ وجلَّ** ﴿ٱلَّذِينَ﴾) بدل من الذين قبله أو نعت له (﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾) أي نعيم بن مسعود الأشجعي (﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾) أبا سفيان وأصحابه (﴿قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾) الجموع ليستأصلوكم (﴿فَٱخْشَوْهُمْ﴾) ولا تأتوهم (﴿فَزَادَهُمْ﴾) ذلك القول (﴿إِيمَٰنًا﴾) تصديقًا بالله ويقينًا (﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾) كافنا أمرهم (﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾) المفوض إليه الأمر هو، وخرجوا مع النبيّ ﷺ فوافوا سوق بدر الذي كان واعد النبيّ ﷺ كفار قريش يوم أحد عليه، وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه فلم يأتوا، وكان مع الصحابة تجارات فباعوا وربحوا، قال تعالى (﴿فَٱنقَلَبُوا۟﴾) رجعوا من بدر (﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾) بسلامة وربح (﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾) من قتل أو جرح (﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ﴾) بطاعته وطاعة رسوله في الخروج (﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾) على أهل طاعته (﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴿٥٨﴾﴾) فيه إشارة إلى أن من توكل على غير الله فقد ضاع لأن الغير يموت (**وقال عزَّ وجلَّ** ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾) لا على غيره (﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾) إذ هو الحي القيوم. (**وقال عزَّ وجلَّ**

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران]. **والآياتُ في الأَمْرِ بالتَّوكُّلِ كَثِيرَةٌ معلُومةٌ.**

وقال عزَّ وجلَّ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ ﴿٣﴾﴾ [سورة الطلاق] **أَيْ: كَافِيهِ، وَقَال عزَّ وجلَّ** ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الأنفال]. **والآياتُ في فَضْلِ التَّوكُّلِ كَثِيرةٌ معروفةٌ. وأَمَّا الأَحاديثُ:**

٧٤ - فَالأَوَّلُ: عَن ابْنِ عبَّاسٍ رضي اللَّهُ عنهما قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «عُرِضَت عَلَيَّ الأُمَمُ فرَأَيْتُ

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾) على إمضاء ما تريد بعد المشاورة (﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴿١٥٩﴾﴾) أي ثق به لا بالمشاورة **(والآيات في الأمر بالتوكل كثيرة معلومة)**.

(وقال عزَّ وجلَّ) في فضل التوكل وثمراته (﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ ﴿٣﴾﴾) أي كافيه **(وقال عزَّ وجلَّ** ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾): أي الكاملو الإيمان (﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾) أي وعيده (﴿وَجِلَتْ﴾) خافت (﴿قُلُوبُهُمْ﴾) وقيل: «إذا ذكر الله وجلت قلوبهم» فزعت لذكره استعظامًا له وتهيبًا من جلاله (﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾) تصديقًا، وإسناد الزيادة للآيات من الإسناد للسبب (﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾) يفوضون أمرهم إليه ولا يخشون ولا يرجون إلا إياه **(والآيات في فضل التوكل)** وثمراته **(كثيرة معروفة)**.

(وأما الأحاديث) النبوية في فضل التوكل.

٧٤ - (ف) الحديث **(الأول)** منها **(عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: عرضت)** بالبناء للمفعول **(عليّ)** بتشديد التحتية **(الأمم)** وفيه كمال شرفه وعرض جميع الأمم عليه صلوات الله وسلامه عليه، وهذا العرض يحتمل أن يكون منامًا ورؤيا الأنبياء وحي أو في اليقظة ليلة الإسراء أو غيرها **(فرأيت)** أبصرت إن كانت يقظة أو رؤًى

النَّبيَّ وَمعَه الرُّهَيْطُ والنَّبيَّ ومَعهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ وَالنَّبيَّ وَلـيْسَ مَعهُ أَحدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عظِيمٌ فظننتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيل لِي: هَذا مُوسى وَقَوْمُه ولَكِن انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ فَإِذَا سَوَادٌ عَظيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذه أُمَّتُكَ ومعَهُمْ سبْعُونَ أَلْفًا يَدخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ» ثُمَّ نَهَض فَدخَلَ منْزِلَهُ، فَخَاض النَّاسُ في أُولَئِكَ الَّذينَ يدخُلُون الْجنَّةَ بِغَيْرِ حِسابٍ وَلا عذابٍ،

حلمية إن كانت منامًا (**النبي ومعه الرهيط**) بضم المهملة وفتح الهاء وسكون التحتية ءاخره طاء مهملة أيضًا. وفي «مختصر القاموس» الرهط ويحرك قوم الرجل وقبيلته ما دون العشرة وما فيهم امرأة ولا واحد له من لفظه (**والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد إذ رفع**) بالبناء للمفعول (**لي سواد**) أي أشخاص قال القرطبي: أي أشخاص كثيرة ويجمع على أسودة (**عظيم**) لكثرته (**فظننت أنهم**) أي السواد الذي هو الأشخاص وباعتباره جمع الضمير العائد إليه (**أمتي فقيل لي هذا**) أي السواد العظيم (**موسى وقومه**) أي أمته المؤمنون (**ولكن انظر إلى الأفق**) بضم الهمزة والفاء وبسكونها كما في «الصحاح»، وعبارته: الآفاق النواحي الواحد أفق، (**فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم**) أي غير السواد الأول إذ النكرة إذا أعيدت كانت الثانية غير الأولى غالبًا (**فقيل لي هذه**) أي مجموع السوادين العظيمين (**أمتك**) أي المؤمنون كما تقدم نظيره (**ومعهم سبعون ألفًا**) يحتمل أن يكون معناه ومن أمتك غير هؤلاء سبعون ألفًا، ويحتمل أن يكون معناه وفي جملة هذه الأسودة سبعون ألفًا (**يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**) ويؤيد الاحتمال الثاني رواية البخاري في «صحيحه» هذه أمتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفًا فالسبعون ألفًا من أمته بلا شك (**ثم نهض**) ﷺ قبل بيان السبعين المذكورين (**فدخل منزله فخاض**) بالخاء والضاد المعجمتين أي تكلم (**الناس**) والمراد منهم الصحابة وتناظروا (**في**) تعيين (**أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**) وفي

فَقَالَ بَعْضُهُم: فَلعَلَّهُمُ الَّذينَ صَحِبُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ، وَقال بَعْضُهُم: فَلَعَلَّهُمُ الَّذينَ وُلِدُوا في الإِسْلام فَلَمْ يُشْرِكُوا باللَّهِ وذَكَروا أَشْياءَ فخرجَ علَيْهِمْ رسولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «ما الَّذي تَخُوضونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: «هُمُ الَّذينَ لا يَرْقُونَ، وَلا يَسْتَرْقُونَ، وَلا يَتَطيَّرُونَ وَعَلَى ربِّهِمْ يَتوكَّلُونَ»،

البخاري «فأفاض الناس» وهو بمعناه يقال أفاض الناس في الحديث إذا تباحثوا فيه وناظروا عليه وتناظروا. وفي الحديث إباحة المناظرة في العلم والمباحثة في نصوص الشرع على جهة الاستفادة وإظهار الحق **(فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ)** أي السابقون الذين صحبوه وقاموا بنصرة الدين وهجروا الأهل والأوطان لذلك **(وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا)** بالبناء للمفعول **(في الإسلام)** أي وإن لم يرهم ﷺ وفضلهم ما أشاروا إليه بقولهم **(فلم يشركوا بالله)** فيه دليل على شرف المسلم أصالة على من كان كافرًا ثم أسلم، ويدل له ما ذكره الفقهاء في تقديم من دخل ءاباؤه في الإسلام على من تأخر ءاباؤه في الدخول فيه في الإمامة **(وذكروا أشياء)** من الاحتمالات في التعيين **(فخرج عليهم رسول الله ﷺ)** أو عقب خوضهم في ذلك كما تشعر به الفاء إراحة لهم من الخوض فيما لا سبيل لهم لمعرفته إلا من جهته ﷺ **(فقال ما الذي تخوضون فيه؟ فأخبروه، فقال: هم الذين لا يرقون ولا يسترقون[1])** أي يطلبون الراقية لهم من الغير. وقد اختلف العلماء في هذا المقام مع ورود السنة فعلًا وإذنًا بجواز الرقية والاسترقاء. **(ولا يتطيرون)** أي يتشاءمون بالطيور ونحوها مما يتشاءم به أي لا يرجعون عما عزموا عليه عند وجود ما جرت به عادة الجاهلية من التطير به والوقوف عن الفعل منه من الجوائح والسوانح وسيأتي في هذا بسط **(وعلى ربهم)** لا على غيره في سائر أحوالهم **(يتوكلون)** وهؤلاء هم

---

(١) أي بالرقية فيها شرك أو المعاصي.

فقَامَ عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: ادْعُ اللّهَ أَن يجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَام رَجُلٌ ءاخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللّهَ أَن يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فقال: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ». متفق عليه.

«الرهيط» بضم الراء: تصغير رهط وهم دون عشرة أنفس. و«الأفق»: الناحية والجانب.

القائمون بأعلى مقام التوكل بترك الأسباب وعدم معاطاتها رضا بتصرف المولى فيهم، واكتفاء بتدبيره تعالى عن تصرّف كلّ وتدبيره **(فقام عكاشة ابن محصن)** بكسر الميم وسكون المهملة الأولى وفتح الثانية الأسدي بفتح أوّليه والمهملتين حليف بني عبد شمس، وكان عكاشة من أفاضل الصحابة وخيارهم وشجعانهم، له ببدر المقام المشهور وذلك أنه ضرب بالسيف في الكفار حتى انقطع فأعطاه ﷺ جزل حطب فأخذه فهزه في يده فعاد سيفًا صارمًا فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون، ولم يزل عنده يشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتل عكاشة وهو معه، وقتل في قتال أهل الردة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه قتله طليحة بن خويلد الأسدي وكان من أجمل الرجال **(فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: أنت منهم)** يحتمل كونه منهم لدعائه ﷺ له بذلك، ويحتمل لكونه كان موصوفًا بتلك الأوصاف الجميلة، **(ثم قام رجل ءاخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال)** له لما لم يكن عنده ما عند عكاشة من تلك الأحوال الشريفة **(سبقك بها)** أي في الفضل بالدعوة إلى منزلة أصحاب هذه الأوصاف **(عكاشة)** وكره أن يقول له: لست من أهل هذه الطبقة لأنه لكمال فضله لا يواجه أحدًا بما يكره، فجاء بكلام موف للغرض، وفيه التعريض بالمراد. **(متفق عليه)** ورواه أحمد بنحوه وليس فيه ذكر عكاشة و**(الرهيط بضم الراء)** المهملة أوله وسكون التحتية **(تصغير رهط)** بفتح فسكون **(وهم دون عشرة أنفس)** سبق بيان الأقوال فيه والخلاف في ذلك **(والأفق: الناحية والجانب)** عطف مرادف - ففي «الصحاح» الجانب

و«عكَّاشة»: بضم العين وتشديد الكاف وبتخفيفها والتشديد أفصح.

٧٥ - الثَّانِي: عَن ابْنِ عبَّاسٍ رضي اللَّهُ عنهما أَيْضًا أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يقُولُ: «اللَّهُم لَكَ أَسْلَمْتُ وبِكَ ءامَنْتُ وعليكَ توَكَّلْتُ وإِلَيكَ أَنَبْتُ وبِكَ خاصَمْتُ، اللَّهُمّ إني أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ أَن تُضِلَّنِي أَنْتَ الْحيُّ القيُّومُ الَّذي لا يمُوتُ وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ

الناحية وكذا الجنبة (**وعكاشة بضم العين**) المهملة (**وتشديد الكاف**) قال في «القاموس»: بوزن رمانة (**وبتخفيفها والتشديد أفصح**).

٧٥ - الحديث الثاني: (**عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا أن رسول الله ﷺ كان يقول: اللهم**) أي يا الله (**لك**) لا لغيرك كما يؤذن به تقديم الظرف (**أسلمت**) استسلمت لحكمك وأمرك وسلمت ورضيت وءامنت وصدقت وأيقنت (**وبك**) أي بذاتك وما يجب لك من أوصاف الكمال (**ءامنت**) أي صدقت (**وعليك توكلت**) ركنت إليك في سائر الأمور وخرجت عن تدبيري لنفسي وحولي وقوّتي اكتفاء بما سبقت به الإرادة وجرت به الأقدار (**وإليك أنبت**) من الإنابة الرجوع، وتختص بالرجوع إلى الخير (**وبك**) أي بما أعطيتني من البرهان والحجج القولية، أو بالنصرة ونحوها من الحجج الفعلية (**خاصمت**) أعداء الدين فقصمت ظهورهم بالبراهين القوية وقطعت دابرهم بالسيوف والرماح السمهرية (**اللهم إني أعوذ**) أعتصم وألتجئ (**بعزتك**) أي بقوتك وقدرتك وسلطانك وغلبتك (**لا إله إلا أنت**) جملة معترضة لتأكيد العزة والاعتصام بحبله تعالى وقوله (**أن تضلني**) أصله من أن تضلني متعلق بأعوذ، وتضلني بضم الفوقية من الإضلال (**أنت الحي**) على الدوام (**القيوم**) بفتح القاف وتشديد التحتية القائم بتدبير الخلق وحفظه (**الذي لا يموت**) بالتحتية نظرًا لكونه صلة للذي، وبالفوقية نظرًا لضمير الخطاب قبله وهو كالتأكيد لما قبله لأن من شأن القائم بالتدبير والحفظ ألا يموت لأن من لا يحفظ حياة نفسه كيف يحفظ حياة غيره (**والجن والإنس**) وأتباعهم من

يمُوتُونَ». متفق عليه، وَهَذا لَفْظُ مُسْلِمٍ وَاخْتَصرهُ الْبُخَارِيُّ.

٧٦ - الثَّالِثُ: عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي اللَّهُ عنهما أَيضًا قال ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [سورة ءال عمران]، قَالَهَا إِبْراهيمُ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ في النَّارِ، وَقالَها مُحمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴿١٧٣﴾﴾ [سورة ءال عمران]، وقَالُوا ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [سورة ءال عمران]. رواه البخاري.

وفي روايةٍ له عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي اللَّهُ عنهما قال: «كَانَ ءاخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ

الحيوانات والحشرات (**يموتون**) فيه تنبيه على سبب التوكل عليه ورد الأمر إليه دون غيره وهو أن غيره يموت ويضمحلّ شأنه ويفوت، والتوكل إنما هو على الحيّ الذي لا يموت (**متفق عليه**) ورواه النسائي أيضًا (**وهذا**) المذكور (**لفظ مسلم**) في روايته (**واختصره البخاري**). فقال: عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول: «أعوذ بعزّتك لا إلٰه إلا أنت، أنت الذي لا تموت والجن والإنس يموتون».

٧٦ - الحديث (**الثالث عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا قال**: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ **قالها إبراهيم** ﷺ **حين ألقي في النار وقالها محمد** ﷺ **حين قالوا**) أي قال الناس له ﷺ (﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾) قضية هذا أن يكون «الذين» الواقع أول الآية وضمائر الجمع بعده مما أريد به الواحد وهو النبيّ ﷺ، فيكون نظير قوله تعالى ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة النساء] فإن المراد منه النبي ﷺ وكذلك الناس في قوله تعالى ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ﴿١٧٣﴾﴾ [سورة ءال عمران] فإن المراد منه كما تقدم أول الباب نعيم بن مسعود (**رواه البخاري**) والنسائي أيضًا (**وفي رواية له**) أي البخاري (**عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان ءاخر قول إبراهيم صلى الله**) على نبينا و(**عليه**) وعلى سائر النبيين (**وسلم**) هكذا ينبغي أن

حِينَ أُلْقِيَ في النَّارِ: حَسْبيَ اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ».

٧٧ - الرَّابعُ: عَن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قال: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدتُهُم مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ». رواه مسلم.

قيل: معناه متوكلون، وقيل: قلوبهم رقيقة.

٧٨ - الْخَامِسُ: عَن جَابِرٍ رضي اللَّهُ عنه: «أَنَّهُ غَزَا

يقال عند ذكر باقي الأنبياء (**حين ألقي في النار: حسبي الله**) أي بالإفراد، فحسبي أي كافيّ الله (**ونعم الوكيل**) فهو من عطف الجملة الخبرية على مثلها، قال السيوطي في «التوشيح» لأبي نعيم في «المستخرج» إنها أول ما قاله فلعلها أول شيء قاله وءاخر شيء قاله.

٧٧ - الحديث (**الرابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يدخل الجنة**) ظاهره مع الفائزين كما يدل عليه سياقه في مقام المدح لهم، وإلا فجميع أهل الإيمان يدخلون الجنة بوعد الله الذي لا يخلف (**أقوام**) جمع واحده قوم. وفي «مفردات الراغب» القوم جماعة الرجال في الأصل دون النساء ولذا قال تعالى ﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ ﴿١١﴾﴾ [سورة الحجرات] وفي عامة القرءان أريد به الرجال والنساء اهـ. وظاهر أن ما نحن فيه من قبيل الثاني (**أفئدتهم**) وفي كتاب الإيمان من «شرح مسلم» للنووي: المشهور أن الفؤاد هو القلب وقيل: الفؤاد داخل القلب أي الطبقة القابلة للمعاني من العلوم وغيرها (**مثل أفئدة الطير**) جمع طائر ويقع على الواحد وجمعه طيور وأطيار (**رواه مسلم**) ورواه أحمد (**قيل: معناه**) أقوام (**متوكلون**) ففي الحديث الآتي «لو اتكلتم على الله حق اتكاله لرزقكم كما يرزق الطير». وفيه إشارة إلى أنها لما لم تتسبب للأرزاق بتدابيرها يسر الله وصول الرزق إليها مع ضعفها وقلة حيلتها (**وقيل: قلوبهم رقيقة**) أي فهي أسرع فهمًا وقبولًا للخير وامتثالا له.

٧٨ - الحديث (**الخامس: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه غزا**

مع النَّبيّ ﷺ قِبلَ نَجْدٍ، فَلمَّا قَفَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ قَفَل مَعَهُمْ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقائِلَةُ في وادٍ كَثِيرِ الْعِضَاه، فَنَزَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يسْتَظِلُّونَ بالشَّجَرِ، ونَزَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ فَعَلَّقَ بهَا سَيْفَه ونِمْنَا نوْمةً فإِذَا رسولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعونَا وإِذَا عِنْدَهُ أَعْرابيٌّ فقَال: «إِنَّ هَذَا اخْتَرَط عَلَيَّ سيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فاسْتيقَظتُ وَهُو في يدِهِ صَلْتًا قالَ: مَن يَمْنَعُكَ مِنّي؟

مع النبي ﷺ) وهذه رواية عنه بالمعنى، وإلا فإنما قال غزوت بتاء المتكلم (**قبل نجد**) هو لغة ما ارتفع من الأرض، وهي هنا اسم خاص لما دون الحجاز، والمراد بها ذات الرقاع وكانت في السنة السادسة (**فلما قفل**) بفتح أوليه، القاف والفاء أي رجع من سفره (**رسول الله ﷺ، قفل**) أي جابر (**معه**) أي مع النبي ﷺ، وفي نسخة «معهم» أي مع النبي ﷺ وصحبه المجاهدين معه التابعين له (**فأدركتهم القائلة**) أي الظهيرة، في «الصحاح» وقد تكون بمعنى القيلولة أيضًا وهي النوم في الظهيرة (**في واد كثير العضاه**) بكسر العين المهملة وبالضاد المعجمة (**فنزل رسول الله ﷺ**) أي صار في المنزل وترك السير للحر (**وتفرّق الناس يستظلون بالشجر**) يستترون بها كما في «الصحاح» علة لتفرقهم عنه في ذلك المكان حتى انفرد ﷺ ووصل إليه ذلك العدوّ (**ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة فعلق**) بالتشديد (**بها سيفه ونمنا نومة**) علة لما تقدم أيضًا والنوم من تعب السفر مع حرّ الشمس ولذا استحبت القيلولة (**فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي**) منسوب للأعراب وهم سكان البوادي والعرب يعمهم ويعم سكان القرى كما تقدم، وهذا الأعرابي من بني محارب الذين خرج ﷺ لحربهم في غزوة ذات الرقاع. قال العلماء: اسمه غورث بغين معجمة وثاء مثلثة والغين مضمومة ومفتوحة (**فقال: إن هذا اخترط عليّ سيفي وأنا نائم فاستيقظت**) أي عقب اختراطه قبل تمكنه من الفتك به، ويحتمل أن يكون بعد تمكنه من الفتك به وعصم الله تعالى نبيه وكبت عدوّه (**وهو في يده صلتا**) حال (**قال**) أي الأعرابي مخاطبًا للنبي ﷺ (**من يمنعك مني**) استفهام يتضمن النفي كأنه قال لا

قُلْتُ: اللَّهُ» ثَلاثًا وَلَمْ يُعاقِبْهُ وَجَلَسَ. متفقٌ عليه.

وفي روايةٍ: قَالَ جابرٌ: كُنَّا معَ رسولِ اللّهِ ﷺ بذاتِ الرِقاعِ فإِذَا أَتينا على شَجرةٍ ظلِيلةٍ تركْنَاهَا لرسولِ اللَّهِ ﷺ، فَجاءَ رجُلٌ منَ الْمُشْرِكين وسَيفُ رسولِ اللَّهِ ﷺ مُعَلَّقٌ بالشَّجَرةِ فاخْترَطَهُ فقال: تَخَافُنِي؟ قَال: «لا»، قالَ: فمَن يمْنَعُك مِنّي؟ قَال: «اللّهُ».

وَفي رواية أَبي بكرٍ الإِسماعِيلي في صحيحِهِ:

مانع لك مني، ظن لقصور نظره أن السيف هو القاتل ولم يدر أن الله هو الفاعل وأنه يحول بين المرء وقلبه (**فقلت: الله**) أي يمنعني منك فيكون مبتدأ محذوف الخبر بقرينة وجوده في السؤال، (**ثلاثًا**) الظاهر أنه قيد في الجواب فقط، وكأنه ﷺ أعاد هذا اللفظ ثلاثًا تلذذًا به ولغلبة توحيده وكمال شهوده لم ينزعج قلبه الشريف (**و**) من كرم أخلاقه ﷺ (**لم يعاقبه**) ففيه العفو والحلم ومقابلة السيئة بالحسنة (**وجلس**) أي النبيّ ﷺ من اضطجاعه الذي كان عليه حال نومه أو جلس الأعرابي من قيامه الذي كان عليه حال اختراط السيف لأمنه (**متفق عليه**) في السيرة لابن سيد الناس عن جابر أن في ذلك نزل قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [سورة المائدة] الآية (**وفي رواية**) للبخاري (**قال جابر: كنا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع**) أي بغزوة ذات الرقاع وسميت بذلك لأن أقدامهم نقبت فكانوا يلفون عليها الخرق (**فإذا أتينا على شجرة ظليلة**) أي ذات ظل كثيف لتراكم أغصانها وكثرة أوراقها (**تركناها لرسول الله ﷺ**) لأنه السيد المقدم (**فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بالشجرة فاخترطه**) أي سله بسرعة (**فقال: تخافني**) أي أتخافني (**فقال ﷺ (لا**) أي لا أخافك لعلمه بأن الفاعل المختار هو الواحد القهار (**قال**) الأعرابي (**فمن يمنعك مني؟**) أي بالحيلولة بيني وبين ما أريد من الفتك (**قال: الله**) أي الله يمنعني منك ويحول بينك وبين ما تريد (**وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في «صحيحه»**) وكذا أخرجه أبو عوانة من

«فقال: مَن يمْنعُكَ مِنّي؟ قَالَ: «اللّهُ»، قال: فسقَطَ السَّيْفُ مِن يدِهِ فأَخذ رَسولُ اللَّهِ ﷺ السَّيْفَ فَقال: «مَن يمْنعُك مِنّي؟» فَقال: كُن خَيرَ ءاخِذٍ، فَقَالَ: «تَشهدُ أَن لا إلهَ إلا اللّهُ وأَنّي رسولُ اللَّهِ؟» قال: لا ولكِنّي أُعاهِدُك أَني لا أُقَاتِلَكَ ولا أَكُونَ معَ قومٍ يُقَاتِلُونكَ فَخلَّى سبِيلَهُ فأَتى أَصْحابهُ فقَالَ: جِئتُكُم مِنْ عِندِ خيرِ النَّاس».

قوله: «قفل» أي رجع. و«العضاه»: الشجر الذي له شوك. و«السمرة» بفتح السين وضم الميم

حديث جابر المستخرج على صحيح البخاري (**فقال**) أي الأعرابي (**من يمنعك مني؟ قال الله، فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله ﷺ السيف فقال**) للأعرابي (**من يمنعك؟**) أي من البشر أي لا مانع لك الآن (**مني، فقال: كن خير ءاخذ**) أي بأن تعفو وتصفح وتقابل السيئة بالحسنة (**فقال**) النبي ﷺ (**تشهد أن لا إلـه إلا الله وأني رسول الله؟**) فـ (**قال لا، ولكن أعاهدك أني لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك**) فرأى ﷺ المصلحة في العفو عنه رجاء إسلام قومه وإقبالهم على حضرته الشريفة لما يسمعون بمحاسن هذه الأخلاق وكمال هذا الكرم فيسمعون منه ما يكون سبب إسلامهم وسعادتهم الأبدية (**فخلى سبيله**) أي منّ عليه وأطلقه من غير فداء. ولعله قال هذا المذكور هنا من امتناعه من الإسلام أولا ثم شرح الله صدره في المجلس بحلول نظر المصطفى ﷺ عليه وملاحظته له فأسلم. وسكت عن ذلك رواة الصحيح إما نسيانًا أو لسبب ءاخر وذكره غيرهم، ويقربه قوله (**فأتى أصحابه**) أي قومه الذين كان تعاقد معهم على الفتك برسول الله ﷺ (**فقال: جئتكم من عند خير الناس**) خلقًا وخلقًا، ويكفيك في شرف خلقه وكماله قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [سورة القلم] وسئلت السيدة عائشة عن خلقه ﷺ فقالت: كان خلقه القرءان (**قوله قفل**) بالقاف والفاء (**أي رجع**) من السفر (**العضاه**) بكسر العين المهملة والضاد المعجمة الواحدة عضه فالهاء أصلية (**الشجر الذي له شوك، والسمرة بفتح السين**) المهملة (**وضم الميم**) وبعدها راء جمعه سمر

الشجرة من الطلح وهي العظام من شجر العضاه. و«اخترط السيف» أي سلَّه وهو في يده. «صلتا»: أي مسلولا وهو بفتح الصاد وضمها.

٧٩ - السادِسُ: عنْ عمرَ بن الخطاب رضي اللَّهُ عنه قال: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقُولُ: «لَوْ أَنَّكم تتوكَّلُون على اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ حقَّ توكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَما يرزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِماصًا وترُوحُ بِطَانًا». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

معناه: تذهب أول النهار خماصًا أي ضامرة البطون من الجوع وترجع ءاخر النهار بطانًا أي ممتلئة البطون.

(**الشجرة من الطلح**) بفتح المهملة أوله وسكون اللام بعد مهملة: وهو العوسج (**وهي**) أي الطلح (**العظام**) أي الكبار (**من شجر العضاه، واخترط السيف: أي سله**) قال ابن النحوي: بسرعة (**وهو في يده صلتًا أي مسلولا وهو بفتح الصاد**) المهملة (**وضمها**) وسكون اللام فيهما. قال في «جامع الأصول كالنهاية والصحاح»: الصلت المشهور، يقال أصلت السيف إذا شهرته اهـ.

٧٩ - الحديث (**السادس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لو**) تحقق (**أنكم تتوكلون**) بفتح الهمزة أي لو تحقق توكلكم (**على الله عزَّ وجلَّ حق توكله**) بأن تعتمدوا عليه في سائر الأحوال وتروا أن الخير بيده ومن عنده (**لرزقكم كما يرزق الطير**) أل فيه للجنس (**تغدو خماصًا**) بكسر الخاء المعجمة وبعد الألف صاد مهملة جمع خميص وهو الضامر البطن وخماصًا حال أي خالية الأجواف من القوت (**وتروح بطانا**) بكسر الموحدة جمع بطين وهو العظيم البطن وهو حال أيضًا (**رواه الترمذي**) وأحمد وابن ماجه والحاكم في «المستدرك» (**وقال**) الترمذي (**حديث حسن**) قال المصنف (**معناه**) أي معنى الحديث المذكور (**تذهب أول النهار خماصًا: أي ضامرة البطن من الجوع**) فمعنى الغدوّ الذهاب أول النهار، والرواح ضده ولذا قال في معنى قوله: «وتروح بطانا» (**وترجع ءاخر النهار بطانًا: أي ممتلئة البطون**)

٨٠ - السَّابِعُ: عن أَبي عُمَارةَ الْبَرَاءِ بْنِ عازِبٍ رضي اللَّهُ عنهما قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يا فُلانُ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُل: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نفْسي إِلَيْكَ، ووجَّهْتُ وجْهِي إِلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أَمرِي إِلَيْكَ، وأَلْجأْتُ ظهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً ورهْبةً إِلَيْك، لا ملجَأ

قال السيوطي في قوت المغتذي: قال البيهقي في «شعب الإيمان»: ليس في هذا الحديث دلالة على القعود عن الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق لأن الطير إذا غدت فإنها تغدو لطلب الرزق وإنما أراد والله أعلم لو توكلوا على الله تعالى في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم ورأوا أن الخير بيده ومن عنده لم ينصرفوا إلا سالمين غانمين كالطير تغدو خماصًا وتعود بطانًا لكنهم يعتمدون على قوتهم وجلدهم ويغشون ويكذبون ولا ينصحون، وهذا خلاف التوكل اهـ.

٨٠ - الحديث (**السابع عن أبي عمارة**) بضم العين المهملة وتخفيف الراء (**البراء**) بفتح الموحدة وتخفيف المهملة والمد (**ابن عازب**) بالمهملة أوله وبعد الألف زاي فموحدة أبوه عازب صحابي ذكره ابن سعد في «الطبقات» فلهذا قال المصنف (**رضي الله عنهما**) استصغر البراء يوم بدر، وأول مشاهده أحد وشهد بيعة الرضوان. نزل الكوفة وبها توفي في زمن مصعب بن الزبير رضي الله عنهما (**قال: قال رسول الله ﷺ: يا فلان**) هو أسيد بن حضير (**إذا أويت**) أي انضممت (**إلى فراشك فقل: اللهم إني أسلمت نفسي**) بسكون الياء وتفتح أي ذاتي (**إليك**) أي أسلمت وجعلت نفسي منقادة لك طائعة لحكمك راضية بقضائك قانعة بقدرك (**ووجهت وجهي إليك**) أي أقبلت بذاتي إليك مستسلمًا راضيًا قانعًا وهو مع ما قبله كالإطناب (**وفوضت أمري إليك**) أي توكلت في جميع شئوني الدنيوية والأخروية عليك وجعلتها راجعة إليك (**وألجأت**) أي أسندت (**ظهري إليك**) أي إلى حفظك، لما علمت أنه لا سند يتقوى به سواك. (**رغبة**) أي طمعًا في ثوابك (**ورهبة**) أي خوفًا من عقابك (**إليك لا ملجأ**) بهمزة مفتوحة أي مستند ولا من يلتجئ إليه، وقيل لا

ولا منْجَا مِنْكَ إلا إلَيْك، ءامَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذي أَنْزَلْتَ ونبِيِّكَ الَّذي أَرْسلتَ. فَإِنَّكَ إِن مِتَّ مِن لَيلَتِكَ مِتَّ علَى الْفِطْرةِ، وإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ خيْرًا». متفقٌ عليه.

وفي روايةٍ في «الصَّحيحين» عن الْبَرَاءِ قال: قال لِي رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مضجَعكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ علَى شِقّكَ الأَيْمَنِ وقُلْ» وذَكَر نَحْوَه، ثُمَّ قالَ: «وَاجْعَلْهُنَّ ءاخرَ ما تَقُولُ».

مخلص ولا مفرّ **(ولا منجا)** غير مهموز **(منك إلا إليك)** أي لا ملجأ منك إلى أحد إلا إليك ولا منجا إلا إليك **(ءامنت بكتابك الذي أنزلت)** قيل: الإضافة في كتابك للعهد أي القرءان بقرينة المقام، والإيمان به إيمان بسائر الكتب، ويؤيده قوله **(ونبيك)** من غير مراعاة الجار **(الذي أرسلت)** أي أرسلته لكافة الناس بشيرًا ونذيرًا **(فإنك إن متّ)** بكسر الميم وضمها كما قرئ بهما في السبع إلا أن تثبت رواية بأحدهما فيوقف عندها، ويجوز كونه على أحدهما مبنيًا للفاعل وعلى الآخر مبنيًا للمفعول **(من ليلتك)** مع اعتقاد مضمون هذا الكلام الذي أتيت به **(مت على الفطرة)** أي على الإيمان الذي فطر الله عليه عباده قال تعالى ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الروم] **(وإن أصبحت)** حيا **(أصبت خيرًا)** أي أجرًا عظيمًا وثوابًا جزيلًا **(متفق عليه)** ورواه أصحاب السنن الأربعة **(وفي رواية في «الصحيحين» عن البراء قال: قال لي رسول الله ﷺ: إذا أتيت مضجعك)** بفتح أوله وثالثه أي مكان اضطجاعك **(فتوضأ وضوءك)** أي مثله **(للصلاة)** في غسل الأعضاء بنية **(ثم اضطجع على شقك)** بكسر الشين المعجمة وتشديد القاف أي جانبك **(الأيمن)** وذلك لشرف الأيمن، ولأنه يصير القلب حينئذٍ متعلقًا فلا يغتبط بالنوم فيكون سببًا لقلة النوم والقيام بالليل **(وقل فذكر نحوه)** أي بمعناه، ويقال مثله فيما لو كان بمبناه هذه عادة المحدّثين إذا أوردوا الحديث بإسناد ثم بإسناد ءاخر **(ثم قال)** ﷺ **(واجعلهن ءاخر ما تقول)** أي من الدعوات.

٨١ - الثَّامِنُ: عنْ أَبي بكْرٍ الصّدّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عبدِ اللّهِ بنِ عثمانَ بنِ عامِرِ بنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بنِ سَعدِ بن تَيْمَ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ ابْنِ لُؤَيّ بْن غَالِبٍ الْقُرَشِيّ التَّيْمِيّ رضي اللَّهُ عنه - وهُو وأَبُوهُ وأُمُّهُ صحابَةٌ رضِي اللَّهُ عنهم -

---

٨١ - الحديث (**الثامن: عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه**) بكسر المهملة وتشديد الثانية وهو أول من لقب بذلك في الإسلام وغلبت الكنية عليه وعلى أبيه. لقب بذلك لمبادرته لتصديق النبي ﷺ، ويلقب بعتيق أيضًا من العتاقة وهي الحسن لعتاقة وجهه (**عبد الله بن عثمان**) أبي قحافة (**بن عامر بن عمرو**) بفتح المهملة، ويكتب بالواو حالتي الرفع والخفض لئلا يشتبه بعمر كزفر (**ابن كعب**) بفتح الكاف وسكون المهملة ءاخره موحدة (**ابن سعد**) بفتح المهملة الأولى وسكون المهملة الثانية (**ابن تيم**) بفتح الفوقية وسكون التحتية (**ابن مرة**) بضم الميم وتشديد الراء المهملة محل اجتماعه مع النبي ﷺ في نسبه الكريم (**ابن كعب بن لؤي**) بضم اللام وفتح الهمزة مصغر اللأى (**ابن غالب القرشي التيمي**) بدأ بالأول لأنه الأصل وعقبه بما بعده لأنه شعبة منه، (**رضي الله عنه**) الأولى عنهما لقوله: (**هو وأبوه وأمه**) أم الخير سلمى بنت صخر التيمية بنت عم أبيه (**صحابة**) ولم يتفق لأحد من الصحابة ما اتفق له من إسلام أبويه وبنيه وبعض بنيهم وصحبة الجميع (**رضي الله عنهم**) أسلم لما دعاه ﷺ إلى الإسلام ولم يتلعثم ولم يتردد. وهو أول من أسلم من الرجال الأحرار البالغين بلا خلاف، وتأخر إسلام أبيه إلى يوم الفتح ويكفيك في فضله قوله ﷺ: «إن من أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا[1] غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته» رواه البخاري وفضائله كثيرة ومناقبه شهيرة.

---

(١) معنى خليل الله الذي بلغ الغاية في الانقطاع إلى الله بالعبادة. ولا يجوز قول جاري اللصيق عن الله بل هذا تشبيه لله بخلقه وهو كفر صريح.

قال: نظرتُ إِلَى أَقْدَامِ المُشْرِكِين ونَحنُ في الْغَارِ وهُمْ علَى رُءوسِنَا فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهمْ نَظَرَ تحْتَ قَدَمِهِ لأَبصَرَنا فقال: «مَا ظَنُّكَ يا أَبا بكرٍ باثْنَيْنِ اللّهُ ثالِثُهُما». متفق عليه.

٨٢ - التَّاسِعُ: عَنْ أُمِّ المُؤمِنِينَ أُمِّ سلَمةَ، واسمُهَا هِنْدُ بنْتُ أَبي أُمَيَّةَ حُذَيفةَ الْمخْزُومِيَّةُ

وتوفي رضي الله تعالى عنه بين المغرب والعشاء من ليلة الثلاثاء لثمان بقين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة عن ثلاث وستين سنة، وحمل على السرير الذي كان ينام عليه النبي ﷺ، وصلى عليه عمر بن الخطاب تجاه المنبر النبوي وكبر عليه أربعًا ودفن بجانب قبر النبيّ ﷺ **(قال: نظرت إلى أقدام المشركين)** الذين خرجوا يقصون[1] أثر النبيّ ﷺ لما هاجر ويلتمسون محله الذي هو فيه **(ونحن في الغار)** هو ثقب في الجبل عظيم كالكهف وهو الغار المذكور في قوله تعالى ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة التوبة] قال قتادة هو غار في جبل بمكة يقال له ثور. واختلف في التفاضل بينه وبين غار حراء **(وهم)** يعني المشركين **(على رءوسنا)** في طلبنا فأعماهم الله **(فقلت: يا رسول الله لو)** وقع **(أن أحدهم نظر)** موضع **(تحت قدمه لأبصرنا)** أي من خلال أغصان الشجر وبيت العنكبوت التي كانت على باب الغار الذي دخلا منه **(فقال)** ﷺ **(ما ظنك)** أي ما تظن **(يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما)** بالنصر والمعونة والكِلاءة والحفظ أيصيبهما ضيم وهذا استفهام تقريري، وفيه تسكين لما حصل للصديق حينئذٍ من الاضطراب **(متفق عليه)** ورواه الترمذي. وفي الحديث تنبيه على أن من توكل على مولاه كفاه وحماه من سائر عداه.

٨٢ - الحديث **(التاسع: عن أم المؤمنين أم سلمة)** بفتح المهملة واللام كنية لها بابنها سلمة **(واسمها هند)** على الصحيح المشهور **(بنت أبي أمية)** بضم الهمزة وفتح الميم وتشديد التحتية **(حذيفة المخزومية)** أم

---

(١) قَصَصتُ الأَثَرَ تَتَبَّعْتُهُ. المصباح المنير.

رضي اللَّهُ عنها أَنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إِذَا خَرج مِن بيْتِهِ قالَ: «بسم اللّهِ توكَّلْتُ علَى اللّهِ، اللَّهُمَّ إِنّي أَعوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَو يُجهَلَ عَلَيَّ». حديثٌ صحيحٌ

المؤمنين (**رضي الله عنها**) تزوّجها ﷺ بعد وفاة زوجها أبي سلمة سنة أربع، وخيّرها ﷺ بين أن يسبع لها ويسبع لنسائه وأن يثلث لها ويدور عليهن فاختارت التثليث، وكانت من أجمل النساء، ماتت سنة اثنتين وستين ودفنت بالبقيع وعمرت فعاشت تسعين سنة وهي ءاخر أمهات المؤمنين وفاة رضي الله عنها (**أن النبيّ ﷺ كان إذا خرج**) أي أراد الخروج (**من بيته قال**) ولفظ أبي داود «ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي إلا رفع طرفه إلى السماء فقال: اللهم إني أعوذ بك إلخ» وليس عنده قوله (**بسم الله**) أي أتحصن. قال السمين الحلبي: إنما تحذف ألفها حيث يضاف الاسم للجلالة وإذا أضيف لغيرها لم تحذف، (**توكلت على الله**) وعلى في هذا المقام للتفويض مجازًا عن الاستعلاء، (**اللهم**) يا الله (**إني أعوذ**) أعتصم وألتجئ (**بك**) بقدرتك وعزتك من (**أن أضل**) بفتح أوله وكسر الضاد المعجمة أي أغيب عن معالي الأمور بارتكاب نقائصها فأبوء بالقصور عن أداء مقام العبودية، من ضلّ الماء في اللبن غاب (**أو أضلّ**) بضم ففتح مبني للمجهول أي يضلني غيري (**أو أزلّ**) بفتح فكسر للزاي أي أنزل عن الطريق المستقيمة إلى هوة تكون سببًا في الإعراض عن أسباب التقوى والانهماك في تحصيل الدنيا، من زلت قدمه وقع من علو إلى هبوط (**أو أزلّ**) بضم ففتح أي يستولي عليّ من يزلني عن المقام العلي إلى السفساف الدني، أو بضم فكسر أي من أن أوقع غيري في مهواة الزلل أي المعاصي والخلل (**أو أظلم**) بفتح فسكون فكسر أي أظلم غيري من الظلم وضع الشيء في غير محله أو التصرّف في حق الغير (**أو أظلم**) بضم فسكون ففتح أي أظلم من أحد من العباد (**أو أجهل**) أي أجهل الحق الواجب عليّ (**أو يجهل عليّ**) أي بأن أحمل على شيء ليس من خلقي، (**حديث صحيح**) قال الحافظ ابن حجر

رواه أَبو داود، والتّرمذيُّ وَغيْرُهُمَا بِأَسانِيد صحيحةٍ. قالَ التّرْمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وهذا لفظ أَبي داود.

٨٣ - الْعاشِرُ: عنْ أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن قالَ - يعنِي إِذا خَرَجَ مِن بيْتِه - «بِسْم اللّهِ توكَّلْتُ علَى اللّهِ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلا باللّهِ، يقالُ لهُ هُدِيتَ وَكُفِيتَ ووُقِيتَ وتنحَّى عنه الشَّيْطَانُ».

العسقلاني وصححه الحاكم ونوزع بأن في سنده انقطاعًا، فإن الشعبي لم يسمع من أم سلمة. قال الحافظ: ولعل من صححه سهل الأمر لكون الحديث في «الفضائل» **(رواه أبو داود والترمذي وغيرهما)** فرواه أحمد والنسائي وابن ماجه **(بأسانيد صحيحة، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهذا)** أي المذكور من قوله: «اللهم إني أعوذ بك أن أضلّ إلخ» وإلا ففيه زيادة إلا. «رفع طرفه إلى السماء» ونقص قوله: «بسم الله توكلت على الله» **(لفظ)** رواية **(أبي داود)**.

٨٣ - (العاشر: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قال يعني إذا خرج من بيته) لفظ أبي داود: «إذا خرج الرجل من بيته فقال» **(بسم الله)** أي أتحصن **(توكلت على الله)** أي فوضت أمري إليه وعولت في سائر الأحوال عليه **(ولا حول)** وفي نسخة بدون الواو قبلها **(ولا قوّة إلا بالله)** ومعناها لا حول عن المعاصي إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بالله. ولعل تخصيصه بالطاعة والمعصية لأنهما أمران مهمان في الدين **(يقال له هديت وكفيت ووقيت)** وهي بالبناء للمجهول في محل نائب الفاعل لأنه أريد منها اللفظ أي باستعانتك باسمه تعالى وتحصنك به هديت للصراط المستقيم وكفيت كل مهم دنيوي وأخروي، ووقيت أي حفظت من شرّ كل عدوّ وبواسطة صدقك في تفويض جميع الأمر لبارئه، وسلبك الحول والقوّة عن كل أحد وإثباتهما له تعالى **(وتنحى)** بفتح أوليه وتشديد المهملة **(عنه)** أي مال عن جهته وطريقه **(الشيطان)** فلا سبيل له إليه لكونه هدي ووقي من سائر الأعادي، وكفي

رواه أَبو داود والترمذي والنَّسائي وغيرهم. وقال الترمذي: «حديثٌ حسنٌ»، زاد أَبُو داود: «فيقول: - يعني الشَّيْطَانُ لِشَيْطانٍ ءاخرَ -: كيْفَ لك بِرجُلٍ قَد هُدِي وَكُفِي ووُقِي»؟.

٨٤ - وَعنْ أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه قال: كَان أَخَوانِ علَى عهْدِ النبيّ ﷺ فَكانَ أحدُهُما يأتِي النبيَّ ﷺ والآخَرُ يحْتَرِفُ، فشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ للنبيّ ﷺ فقال: «لعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ».

الهموم الخفايا والبوادي (**رواه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم**) فرواه ابن حبان في «صحيحه» ولفظ الحديث للترمذي.

وقاعدة المحدثين في مثله تقديم ذكر من خرّجه باللفظ وتأخير من خرجه بنحو ما ذكروه، ولعل تقديم أبي داود لكونه مقدمًا في الرتبة. (**وقال الترمذي: حديث حسن زاد أبو داود فيقول يعني**) تفسير من بعض الرواة لمرجع هو المستتر في «يقول» العائد للشيطان المذكور في قوله: وتنحى عنه الشيطان (**الشيطان**) بالنصب مفعول يعني وأل فيه عهدية وبالرفع على الحكاية (**لشيطان ءاخر**) يريد إغواء قائل هذا الذكر ولم يسمع ما قاله وما قيل له أو سمعه وأراد التمرّد (**كيف**) يتيسر (**لك**) أن تظفر (**برجل قد هدي وكفي ووقي**) في محل الصفة لرجل وجملة «كيف لك إلخ» مقول القول. وحاصل المراد أنه يقول الشيطان لشيطان ءاخر: كيف يتيسر لك الظفر بإغواء رجل موصوف بأنه أعطي هذه الهبات.

٨٤ - (**عن أنس رضي الله عنه قال كان أخوان**) لم أقف على من سماهما (**على عهد**) أي زمن حياة (**النبي ﷺ، فكان أحدهما يأتي مجلس النبي ﷺ**) ويلازمه ليتلقى من معارفه ﷺ ويأخذ من أقواله وأفعاله (**والآخر يحترف**) افتعال من الحرفة وهي الصناعة وجهة الكسب (**فشكا المحترف أخاه**) في ترك الاحتراف (**للنبي ﷺ فقال**) مسليًا له وفي انفراده بالاحتراف ترك أخيه الأسباب (**لعلك ترزق به**) أي فلعل قيامك بأمره سبب لتيسير رزقك لأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

رواه التّرْمذي بإسنادٍ صحيح على شرطِ مسلمٍ.

«يحترف»: يكتسب ويتسبب.

٨ - باب في الاستقامة

قال الله عزَّ وجلَّ ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة هود]، **وقال عزَّ وجلَّ** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾

وفيه تنبيه على أن من انقطع إلى الله واكتفى بتدبيره عن تدبير نفسه وسكن تحت جري مقاديره كفاه مهماته (**رواه الترمذي بإسناد صحيح**) هو رجال الطريق الموصلة إلى المتن (**على شرط مسلم**) أي إنهم روى عنهم مسلم في «صحيحه» وهذا هو المراد بقولهم على شرط الشيخين مثلًا (**يحترف**) المذكور في الخبر معناه (**يكتسب ويتسبب**) أي يتعاطى الأسباب.

٨ - باب في الاستقامة

وقال بعض العارفين: مرجع الاستقامة إلى أمرين صحة الإيمان بالله واتباع ما جاء به رسول الله ﷺ ظاهرًا وباطنًا (**قال الله عزَّ وجلَّ** ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴿١١٢﴾﴾) الخطاب فيه للنبي ﷺ، يعني فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعاء إليه كما أمرك ربك، والأمر فيه للتأكيد لأن النبيّ ﷺ كان على الاستقامة لم يزل عنها، فهو كقولك للقائم: قم حتى ءاتيك أي دم على ما أنت عليه من القيام حتى ءاتيك. (**وقال عزَّ وجلَّ** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾) على التوحيد وغيره مما وجب عليهم (﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾) عند الموت (﴿أَلَّا تَخَافُوا۟﴾) من الموت وما بعده (﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾) على ما خلفتم من أهل وولد فنحن نخلفكم فيهم (﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾) أي حفظتكم (﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾) أي نكون معكم فيها حتى

وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة فُصِّلت]، **وقال عزَّ وجلَّ** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الأحقاف]. **والآياتُ في البابِ كثيرةٌ معروفةٌ.**

٨٥ - وَعَنْ أَبي عمرٍو وقيل: أَبي عَمْرة سُفْيانَ بنِ عبد اللَّهِ رضي اللَّهُ عنه

تدخلوا الجنة (﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ﴾) قيل: في إضافتها إليهم إشارة إلى تنعم أنفسهم التي ذاقت المرارة في الدنيا وانظر إلى ﴿تَشْتَهِيٓ﴾ وإلى قوله: ﴿تَدَّعُونَ﴾ في قوله: (﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾) أي تطلبون، فإن فيه إشارة إلى تفاوت المرات، ولا يخفى أن ذلك مما تذهب فيه النفس كل مذهب (﴿نُزُلًا﴾) رزقًا مهيئًا (﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾) وهو الله تعالى، وإذا كان هذا النزل وهو الكرامة المعجلة فكيف بالمؤجلة، رزقنا الله تعالى اتباع الكتاب والسنة وختم لنا بالحسنى بمنه ءامين.

(**وقال عزَّ وجلَّ** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾) أي ءامنوا به ووحدوه (﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾) اعتدلوا على ذلك وداموا عليه إلى أن يتوفاهم الله عليه، والمراد الاستقامة على التوحيد الكامل واتباع الكتاب والسنة (﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾) بفضل الله تعالى قال ﷺ: «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله» الحديث (﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾) حال مقدرة (﴿جَزَآءًۢ﴾) منصوب على المصدرية بفعله المقدر أي يجزون جزاء (﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾) **والآياتُ في البابِ كثيرةٌ معروفةٌ**).

٨٥ - (**وعن أبي عمرو**) بفتح العين المهملة (**وقيل أبي عمرة**) بزيادة تاء في ءاخره (**سفيان**) بضم السين على الأفصح وهو بتثليث السين (**ابن عبد الله الثقفي رضي الله عنه**) معدود من أهل الطائف كان عاملًا عليه

قال: قُلْتُ: يا رسولَ اللّهِ قُل لِي في الإِسلامِ قَولا لا أَسْأَلُ عنْه أَحدًا غيْرَكَ قال: «قُلْ: ءامنْتُ باللّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ» رواه مسلمٌ.

٨٦ - وعنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ «قَارِبُوا وسدّدوا، واعلَمُوا أَنَّه لَن ينْجُوَ أَحدٌ منْكُم بعملهِ» قَالوا: ولا أَنْتَ؟ قال: «ولا أَنَا إِلا أَن يتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ برَحْمةٍ منْه وَفضْلٍ».

لعمر حين عزل عنه عثمان بن أبي العاص ونقله إلى البحرين (**قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام**) أي في دينه وشريعته (**قولا**) جامعًا لمعاني الدين واضحًا في نفسه بحيث لا يحتاج إلى تفسير غيرك أعمل عليه وأكتفي به بحيث (**لا أسأل**) أي لا يحوجني لما اشتمل عليه من بديع الإحاطة والشمول ونهاية الإيضاح والظهور إلى أن أسأل (**عنه أحدًا غيرك قال: قل ءامنت بالله ثم استقم**) على عمل الطاعات والانتهاء عن جميع المخالفات إذ لا تتأتى الاستقامة مع شيء من الاعوجاج فإنها ضده، والحديث على وفاق الآية قبله (**رواه مسلم**) وأخرجه أحمد والدارمي وابن حبان في «صحيحه» والطبراني في «الكبير» والضياء في «المختارة» قال المصنف: هذا أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام.

٨٦ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قاربوا وسددوا، واعلموا أنه**) أي الشأن (**لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا: ولا أنت**) أي ولا تنجو بعملك فحذف الفعل فانفصل الضمير، ويحتمل أن يكون ولا أنت ناج بعملك فيكون مبتدأ محذوف الخبر (**قال: ولا أنا**) ولا أنا ناج بالعمل (**إلا أن يتغمدني**) أي يغمرني (**الله برحمة منه وفضل**) ويلبسنيها ويغمرني بها. قال النووي في «شرح صحيح مسلم»: مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم ولا غيرهما من أنواع التكليف، ولا تثبت هذه كلها إلا بالشرع. ومذهبهم أن الله تعالى لا يجب عليه شيء، بل الدنيا والآخرة ملكه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عدلا منه وإذا أكرمهم ونعّمهم وأدخلهم الجنة فهو

رواه مسلمٌ.

و«المقاربة»: القصد الذي لا غُلُوَّ فيه ولا تقصير. و«السَّداد»: الاستقامة والإصابة. و«يتغمَّدني»: يُلبسُني

فضل منه ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك، ولكنه أخبر وخبره صدق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم في النار عدلًا منه. وفي هذا الحديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته. وأما قوله تعالى ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [سورة النحل] ونحوها من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة فهي لا تعارض هذه الأحاديث بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال، ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله وفضله فصحّ أنه لم يدخل الجنة أحد بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث. ويصح أن يقال: إنه دخل بالأعمال أي بسببها وهي من الرحمة» اهـ ملخصًا. قال ابن أبي جمرة: وفي الحديث دلالة على أنه ليس أحد من الخلق يقدر على توفية حق الربوبية على ما يجب لها. يؤخذ ذلك من قوله: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته» فإذا كان هو وهو خير البشر وصاحب المقامات العلا لا يقدر على ذلك فالغير أحرى وأولى. وإذا تأملت ذلك من جهة النظر تجده مدركًا حقيقة لأنه إذا طالبنا بشكر النعم التي أنعم علينا عجزنا عنه بالقطع ومنها ما لا نعرفه كما قال ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ٣٤﴾ [سورة إبراهيم] فكيف غير ذلك من أنواع التكليفات فما بقي إلا ما أخبر به الصادق وهو التغمد بالفضل والرحمة (**رواه مسلم**).

(**والمقاربة القصد الذي لا غلوّ فيه**) أي مجاوزة المأمور به والزيادة فيه (**ولا تقصير**) أي إخلال بشيء منه (**والسداد**) بفتح الأولى (**الاستقامة والإصابة**) قال بعضهم: السداد هو الإصابة في الأقوال والأعمال والمقاصد، والإصابة في جميعها هي الاستقامة (**ويتغمدني: يلبسني**

ويَسترُني. قال العلماء: معنى الاستقامة لزومُ طاعةِ الله تعالى، قالوا: وهي من جوامع الكلم وهي نظام الأمور، وبالله التوفيق.

ويسترني قال العلماء: معنى الاستقامة) المطلوبة الممدوحة بالكتاب والسنة **(لزوم طاعة الله تعالى)** ويلزم من ذلك ترك منهياته **(قالوا)** أي العلماء **(وهي من جوامع الكلم)** هو أن يكون اللفظ قليلًا والمعنى جزيلًا وهو ما أعطيه ﷺ **(وهي)** أي الاستقامة **(نظام الأمور)**. قال بعض العلماء: الاستقامة هي الدرجة القصوى التي بها كمال المعارف والأحوال وصفاء القلوب في الأعمال وتنزيه العقائد عن سفاسف البدع والضلال **(وبالله التوفيق)**.

٩ - باب في التفكر في عظيم مخلوقات الله تعالى وفناء الدنيا وأهوال الآخرة وسائر أمورها وتقصير النفس وتهذيبها وحملها على الاستقامة

٩ - باب في التفكر

أي إجالة الفكر (**في عظيم مخلوقات الله تعالى**) كالعرش والكرسي والسماء والأرض، ففي الحديث: «ما السماء والأرض وما بينهما في العرش إلا كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض» وعظم المخلوق يدل على كمال الخالق وعظمته (**و**) التفكر في (**فناء الدنيا**) واضمحلالها وتلاشي أمرها، قال تعالى ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الكهف] ليبعثه ذلك على الزهد فيها والإعراض عن غرورها والإقبال على الآخرة، ففي الحديث: «كونوا أبناء الآخرة ولا تكونوا أبناء الدنيا»[1] (**و**) التفكر في (**أهوال الآخرة**) وشدائدها كما قال تعالى ﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴿٢﴾﴾ [سورة الحج] وقال تعالى ﴿يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [سورة المزمل] ليبعثه ذلك على التقوى وطاعة المولى فينجو من كرب الدارين ويجزى بالإحسان قال تعالى ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الرحمٰن] (**وسائر أمورها**) أي أمور الدنيا وأنها جميعها فانية، وأهوال الآخرة وأنها شديدة (**وتقصير**) أمل (**النفس**) بذكر الموت (**وتهذيبها**) من الأخلاق السيئة بتذكر أهوال الآخرة وشدة عقابها (**وحملها على الاستقامة**) بتذكر النفس ما ورد من الوعد الصادق في الطاعة من الثواب بمحض الفضل، وعلى المعصية من العقاب بطريق العدل، وهذا

(١) ثبت هذا من كلام سيدنا عليّ كما روى البخاري.

قال الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سورة سبإ]، **وقال تعالى** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ [سورة ءال عمران]. **الآيات**

إنما يبلغه العبد بتأييد الله سبحانه وتعالى وتوفيقه لاتباع الكتاب والسنة، فإن ظفر بشيخ مرشد مربّ موصل للمريد إلى طريق الحق بتهذيب النفس من رعونتها وتحليتها بأنواع العبادات فذلك أعلى، وإلا فما لا يدرك كله لا يترك كله، (**قال تعالى** ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾) هي (﴿أَن تَقُومُواْ﴾) بالانتصاب في الأمر والنهوض فيه بالهمة (﴿لِلَّهِ﴾) أي لأجله (﴿مَثْنَىٰ﴾) أي اثنين اثنين (﴿وَفُرَٰدَىٰ﴾) أي واحدًا واحدًا (﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾) أي في السمٰوات والأرض فتعلموا أن خالقهما واحد، فعلى هذا تم الكلام بقوله «تتفكروا» وقوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سورة سبإ] ابتداء كلام، وهذا أحد قولين في الآية للمفسرين.

(**وقال تعالى** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ﴾) لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته (﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾) العقول المجلوة عن شوائب الحسّ والوهم، ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الآية لأن مناط الاستدلال هو التغير (﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾) أي يذكرون دائمًا على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين (﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) استدلالا واعتبارًا (﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾) حال من فاعل يتفكرون على إرادة القول أي يتفكرون قائلين ذلك و«هذا» إشارة إلى المتفكر فيه أو الخلق على أنه أريد به المخلوق من السمٰوات والأرض أو إليهما لأنهما في معنى المخلوق. والمعنى: ما خلقته عبثًا ضائعًا من غير حكمة بل لحكم عظيمة (﴿سُبْحَٰنَكَ﴾) تنزيهًا لك من العبث وخلق الباطل (**الآيات**) يحتمل أن يكون إلى قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ

وقال تعالى ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الغاشية]، **وقال تعالى** ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ ﴿١٠﴾﴾ **الآية** [سورة محمد]. **والآياتُ في الباب كثيرةٌ.**

ومِنَ الأَحَادِيث الحديثُ السَّابق:

ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [سورة ءال عمران] وكرّر في الدعاء «ربنا» خمس مرات مبالغة في الابتهال ودلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها. (**وقال تعالى** ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾) نظر اعتبار (﴿إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾) خلقًا دالًا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لحمل الأثقال إلى البلاد النائية، فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن قادها طوال الأعناق لتبوء بالأوقار، ترعى كل نابت وتحتمل العطش إلى عشر فصاعدًا، ولذا خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة في الحيوانات التي هي أشرف المركبات وأكبرها صنعًا، ولأنها أعجب ما عند العرب من هذا النوع، (﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾﴾) بلا عمد (﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾) فهي راسخة لا تميل (﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾) بسطت حتى صارت مهادًا. والمعنى: أفلا ينظرون إلى أنواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث؛ ولذلك عقب به أمر المعاد ورتب عليه الأمر بالتذكير فقال ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ (**وقال تعالى** ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ ﴿١٠﴾﴾) أي إلى تقلب الأحوال بأبناء الدنيا واضمحلالهم بعد وجودهم فيها، وتلاشي أمرهم بعد كمال قوّتهم صورة فيعرفون أن الحيّ القيوم هو الله وأن غيره فان، فلا يركنوا إلى الدنيا ولا يغتروا بزهراتها ولا يقبلوا على مستلذاتها وشهواتها ويغفلوا عما خلقوا له من عبادة مولاهم وطاعته اللذين بهما كمال المرء وسعادته (**الآية**) بالنصب أي إقرإ الآية، أو بالرفع أي الآية إلى ءاخرها معلومة، أو المستدل به الآية فهو مبتدأ أو خبر (**والآيات في الباب كثيرة. ومن الأحاديث الحديث السابق**) عن

«الْكَيِّس مَن دَانَ نَفْسَه وَعَمِلَ لِمَا بعدَ الموتِ».

١٠ - باب في المبادرة إلى الخيرات
وحث من توجه لخير على الإقبال عليه بالجد من غير تردد

قال الله تعالى ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ ﴿١٤٨﴾﴾ [سورة البقرة]، **وقال تعالى** ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴿١٣٣﴾﴾ **الآية** [سورة ءال عمران].

شداد بن أوس في باب المراقبة (**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت**) فإن محاسبته لها وعدم تركها هملا إنما ينشأ عن تفكره في الدنيا وزوالها وفي نفسه وانتقالها كأنك بالدنيا ولم تكن وبالآخرة ولم تزل، فيحاسب نفسه فيمنعها عما لا ينبغي ويحليها بما يرضي الله، وبالله التوفيق.

١٠ - باب في المبادرة

أي المسارعة (**إلى**) فعل (**الخيرات وحثّ**) أي حض (**من توجه لخير على الإقبال عليه**) أي على التوجه (**بالجدّ**) بالعزم على الأمر والإتيان به (**من غير تردد**) في ذلك (**قال تعالى** ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ ﴿١٤٨﴾﴾) سارعوا إليها (**وقال تعالى** ﴿وَسَارِعُوٓاْ ﴿١٣٣﴾﴾) بادروا (﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴿١٣٣﴾﴾) أي الأعمال الموجبة للمغفرة بالوعد الصادق، أو إلى التوبة، أو إلى أداء الفرائض إلى (﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴿١٣٣﴾﴾) أي كعرضها أي سعتها كذلك، وخص العرض بالذكر لأن طول كل شيء غالبًا أكثر من عرضه هذا عرضها، وأما طولها فلا يعلمه إلا الله، وهذا على التمثيل لا أنها كالسمٰوات والأرض لا غير بل كعرض السمٰوات والأرض عند ظنكم (**الآية**) أي أتم الآية يعني ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ وهو وقف تامّ وما بعده من الآيات وصف للمتقين المعدّ لهم الجنة في علم الله من فضله.

وأَمَّا الأَحادِيثُ:

٨٧ - فالأَوَّلُ: عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «بادِروا بالأَعْمالِ فِتَنًا كقِطَعِ الليلِ الْمُظْلِم يُصبحُ الرَّجُلُ مُؤمنًا ويُمْسِي كافرًا، ويُمسِي مُؤْمنًا ويُصبح كافرًا، يَبيعُ دِينَه بِعَرَضٍ منَ الدُّنْيا». رواه مسلم.

٨٨ - الثَّاني: عنْ أَبي سِرْوَعةَ - بكسر السين المهملة وفتحها - عُقْبَةَ بنِ الْحارِثِ

---

٨٧ - **(وأما الأحاديث: فالأول عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: بادروا بالأعمال)** الصالحة **(فتنا)** أي ائتوا بالعمل الصالح قال النووي: معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم «المقمر»، ثم وصف الفتن المانعة من كمال العمل أو من أصله بأنها **(كقطع)** بكسر ففتح جمع قطعة أي طائفة من **(الليل المظلم)** أي كلما ذهب ساعة منه مظلمة عقبتها ساعة مثل ذلك. قال في «النهاية»: أراد فتنة سوداء تعظيمًا لشأنها اهـ. وفي الحديث إشارة إلى تتابع الفتن المضلة أواخر الزمان وكلما انقضى منها فتنة أعقبتها أخرى. وقانا الله من الفتن بمنه وكرمه **(يصبح الرجل مؤمنًا)** أي باقيًا على إيمانه الذي كان عليه **(ويمسي)** بضم التحتية فيه وفي يصبح **(كافرًا)** الكفر الحقيقي **(ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا. يبيع دينه بعرض)** بفتح الراء أي متاع وحطام **(من الدنيا)** استئناف بياني أي أن سبب كفره بيعه أي أخذه العرض في مقابلة دينه، بأن يأخذ أو يستحل مال أخيه المسلم أو يستحلّ الربا والغشّ أو نحوه مما أجمع على تحريمه وعلم من الدين بالضرورة. **(رواه مسلم)** ورواه أحمد والترمذي.

٨٨ - **(الثاني: عن أبي سروعة بكسر السين المهملة وفتحها)** وإهمال الراء والعين **(عقبة بن الحارث)** بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي

رضي اللَّهُ عنه قال: صليتُ وراءَ النبيّ ﷺ بالمدِينةِ الْعصْرَ فسلَّم ثُمَّ قام مسْرِعًا فَتَخَطَّى رِقَاب النَّاسِ إِلى بعضِ حُجَرِ نسائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ من سُرعَتِهِ، فخرج عَليهِمْ فرأَى أَنَّهُمْ قد عَجِبوا من سُرْعتِه قالَ: «ذكرتُ شيئًا من تِبرٍ عندنا فكرِهتُ أَن يَحبِسني فأَمرْتُ بقِسمتِه». رواه البخاري.

وفي روايةٍ له: «كنْتُ خلَّفْتُ في الْبيتِ تِبرًا من الصَّدقةِ فكرِهْتُ أَنْ أُبَيّتَه».

القرشي النوفلي (**رضي الله عنه قال: صليت وراء النبيّ ﷺ بالمدينة**) علم بالغلبة على مهاجره ﷺ والنسبة إليها مدني (**العصر**) هذا بناء على أنها اسم للصلاة، وعلى كونها اسمًا للوقت فهو على تقدير المضاف أي صلاة العصر (**فسلم ثم قام مسرعًا**) لعل تراخي القيام عن السلام مع مبادرته في الأثر وإسراعه أنه إنما تذكر، (**فتخطى رقاب الناس**) أي قطع الصفوف حال جلوس الناس أما وهم قيام فيقال له خرق الصفوف (**إلى بعض حجر نسائه**) متعلق بتخطى، وحجر بضم الحاء وفتح الجيم جمع حجرة اسم للمنزل (**ففزع**) بوزن علم، من الفزع الخوف أي خاف (**الناس من سرعته**) في السير إلى تلك الحجرة، وعادته ﷺ أن يمشي هونًا، وعادتهم الفزع إذا رأوا منه غير ما يعهدون خشية أن ينزل فيهم شيء يسوؤهم (**فخرج عليهم، فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته**) في خروجه من الحجرة (**قال: ذكرت شيئًا من تبر**) بكسر الفوقية وسكون الموحدة، وفي رواية «وأنا في الصلاة». (**عندنا فكرهت أن يحبسني**) أي يشغلني التفكر فيه عن التوجه والإقبال على الله تعالى. (**فأمرت بقسمته**) وفي رواية فقسمته، وفيه جواز الاستنابة مع القدرة على المباشرة (**رواه البخاري**) وترجم له باب من صلى بالناس فذكر حاجة فتخطاهم (**وفي رواية له: كنت خلفت في البيت تبرًا من الصدقة فكرهت أن أبيته**) من التبييت أي أتركه عندي ولا أدفعه لمستحقه ففيه المبادرة لأداء القربات

«التبر»: قِطَعُ ذهب أو فضة.

٨٩ - الثَّالثُ: عن جابرٍ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رجلٌ للنبيّ ﷺ يوم أُحُدٍ: أَرأَيتَ إِن قُتلتُ فأَينَ أَنَا؟ قال: «في الْجَنَّةِ»، فأَلْقى تمَراتٍ كنَّ في يَدِه ثُمَّ قاتَل حتَّى قُتِلَ. متفقٌ عليه.

٩٠ - الرابعُ: عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: جاءَ رجلٌ إِلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّهِ أَيُّ الصَّدقةِ أَعْظمُ أَجْرًا؟ قال: «أَن تَصَّدَّقَ وأَنْت صحيحٌ شَحيحٌ

وفعل الخيرات (**والتبر قطع**) بكسر القاف ففتح المهملة (**ذهب أو فضة**) هذا قول لبعضهم، والذي قال الجوهري: إنه الذهب فقط، فلذا قال في «فتح الباري»: التبر الذهب إذا لم يصفّ ولم يضرب.

٨٩ - (**الثالث: عن جابر**) أي ابن عبد الله (**رضي الله عنه قال: قال رجل للنبيّ ﷺ يوم أحد**) قال الخطيب: هو عمرو بن الحمام بن الجموح بن حرام الأنصاري، وقيل: غيره (**أرأيت**) بفتح الفوقية أي أخبرني (**إن قتلت**) أي في سبيل الله (**فأين أنا**) أي فأين أصير (**قال: في الجنة، فألقى تمرات**) أي قليلات (**كن في يده**) كان يأكل منهن ولم يطمئن للأكل مسارعة للجهاد (**ثم قاتل حتى قتل. متفق عليه**) وفي أخرى عنه: «لئن أنا حييت حتى ءاكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل» رواه مسلم من حديث أنس. وذكر ابن عقبة في «مغازيه» أنه أول من قتل يومئذٍ من المسلمين.

٩٠ - (**الرابع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل**) قال في «فتح الباري»: لم أقف على اسمه، ويحتمل أنه أبو ذرّ (**إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرًا**) في رواية: «أي الصدقة أفضل؟» (**قال: أن تصدق**) بتشديد الصاد والدال المهملتين وأصله تتصدق بتاءين فأدغمت إحداهما في الصاد (**وأنت صحيح شحيح**) قال الخطابي: الشحّ أعم من البخل، وكأنّ الشحّ جنس والبخل نوع، وأكثر

تخْشَى الْفقرَ وتأْمُلُ الْغِنَى ولا تُمْهِلْ حتَّى إِذا بلَغتِ الْحُلْقُومَ قُلتَ لفُلانٍ كذا ولفلانٍ كَذَا وقَد كان لفُلان». متفقٌ عليه.

«الحلقوم»: مجرى النفس. و«المريء»: مجرى الطعام والشراب.

٩١ - الخامسُ: عن أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ سيْفًا

ما يقال البخل في أفراد الأمور والشحّ عام. فمعنى الحديث: أنّ الشحّ غالب في حال الصحة فإذا سمح فيها وتصدق كان أصدق في نيته وأعظم لأجره بخلاف من أيس من الصحة ورأى مصير المال لغيره فإن صدقته حينئذٍ ناقصة بالنسبة إلى حال الصحة والشح ورجاء البقاء وخوف الفقر اهـ **(تخشى)** أي تخاف **(الفقر)** أي إن أنفقت لوسوسة الشيطان بذلك قال تعالى ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ ﴿٢٦٨﴾﴾ [سورة البقرة] **(وتأمل)** بضم الميم **(الغنى)** أي تطمع به **(ولا تمهل)** بالإسكان على أنه نهي والرفع على أنه نفي ويجوز النصب قاله في «فتح الباري»: أي لا تؤخر الصدقة **(حتى إذا بلغت)** أي الروح **(الحلقوم)** أي قاربت بلوغه، إذ لو بلغته حقيقة لم تصح وصية ولا صدقة ولا شيء من تصرفاته بالاتفاق، ولم يجر للروح ذكر اكتفاء بدلالة السياق كالآية **(قلت)** ليأسك من الحياة أوصيت **(لفلان)** بما هو **(كذا و)** أوصيت **(لفلان)** بما هو **(كذا وقد كان لفلان)** الظاهر أن هذا من باب الإقرار لا الوصية. قال الحافظ: ويحتمل أن يكون بعضها وصية وبعضها إقرارًا، وقد وقع في رواية ابن المبارك «قلت: اصنعوا لفلان كذا وتصدقوا لفلان بكذا» انتهى ملخصًا **(متفق عليه)** ورواه أبو داود والترمذي والنسائي.

(الحلقوم) بضم الحاء المهملة وسكون اللام وبالقاف **(مجرى)** بفتح الميم وسكون الجيم محل جريان **(النفس)** بفتح النون والفاء **(والمريء)** بفتح الميم وكسر الراء المهملة مهموز ممدود، **(مجرى الطعام والشراب)** من الحلق وجمعه مرؤ كسرير وسرر.

٩١ - (الخامس عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أخذ سيفًا

يومَ أُحُدٍ فقَال: من يأْخذُ منّي هَذا؟ فبسطُوا أَيدِيَهُم كُلُّ إِنْسانٍ منهمْ يقُول: أَنا أَنا. قَالَ: «فمن يأْخُذُهُ بحقه؟ فَأَحجَمَ الْقومُ، فقال أَبُو دُجَانة رضي اللَّهُ عنه: أَنا ءاخُذُه بحقّهِ، فأَخَذهُ ففَلق بهِ هَام الْمُشْرِكينَ». رواه مسلم.

يوم أحد) بضم أوليه جبل معروف بالمدينة كانت عنده الغزوة المعروفة **(فقال: من يأخذ مني هذا)** أي السيف مطلقًا عن التقييد **(فبسطوا)** بموحدة فمهملتين **(أيديهم)** أي مدوها لأخذه **(كل إنسان منهم يقول أنا)** ءاخذه **(أنا)** ءاخذه والتكرار باعتبار التعدد في معنى كل **(قال)** ﷺ **(فمن يأخذه بحقه)**. قال القرطبي: يعني بهذا الحق أن يقاتل بذلك السيف إلى أن يفتح الله على المسلمين أو يموت **(فأحجم القوم)** لما فهموا ذلك **(فقال أبو دجانة)** بضم الدال المهملة وبالجيم وبعد الألف نون واسمه سماك بن خرشة بن لودان الأنصاري مشهور بكنيته **(رضي الله عنه)** شهد بدرًا وأحدًا ودافع عن رسول الله ﷺ يومئذٍ هو ومصعب بن عمير وكثرت فيه الجراحات وقتل مصعب واستشهد أبو دجانة يوم اليمامة.

(أنا ءاخذه بحقه) أي بعد أن قال: يا رسول الله وما حقه؟ فقال: «أن تضرب به في وجه العدوّ حتى ينحني»، فقال أنا ءاخذه **(فأخذه)** فقام بشرطه ووفى بحقه **(ففلق)** أي شق **(به هام)** بتخفيف الميم، أي رؤوس **(المشركين)** وفي «سيرة ابن سيد الناس» عن الزبير أنه قال: «وجدت في نفسي حين سألت النبي ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة، فقلت، والله لأنظرنّ ما يصنع فاتبعته فأخذ عصابة حمراء فعصب بها رأسه؛ فقالت الأنصار، أخرج أبو دجانة عصابة الموت، وهكذا كان يقول إذا عصب بها فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى أحدًا إلا قتله» رواه مسلم.

قوله: «أحجم القوم» أي توقفوا. و«فلق به»: أي شقَّ. «هام المشركين»: أي رءوسهم.

٩٢ - السَّادسُ: عن الزُّبيرِ بنِ عَدِيّ قال: أَتَيْنا أَنسَ بنَ مالكٍ رضي اللَّهُ عنه فشَكوْنا إليهِ ما نلْقى من الْحَجَّاجِ فقال: «اصْبروا فإنه لا يأْتي زمانٌ إلا والَّذي بعْدَه شَرٌّ منه حتَّى تَلقَوا ربَّكُمْ» سمعتُه من نبيِّكُمْ ﷺ. رواه البخاري.

(وقوله أحجم القوم) قال في «شرح مسلم»، هو بحاء ثم جيم تأخروا وكفوا، وهو بمعنى قول المصنف هنا **(توقفوا وفلق به أي شق)** به **(هام المشركين أي رؤوسهم)** قال الشاعر:

ويضرب بالسيوف رؤوس قوم أزيلت هامهن عن المقيل

المقيل: أصول الأعناق.

٩٢ - (السادس: عن الزبير) بضم الزاي وفتح الموحدة وسكون التحتية **(ابن عدي)** بفتح فكسر للمهملتين وتشديد الياء. **(قال: أتينا أنس ابن مالك رضي الله عنه)** أي بالبصرة **(فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج)** بفتح المهملة وتشديد الجيم الأولى ابن يوسف الثقفي عامل عبد الملك ابن مروان على الحجاز ثم على العراق **(فقال اصبروا)** أي على ما تلقون منه **(فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شرّ منه)** أي فينبغي للإنسان أن يبادر لصالح الأعمال وإن لحقته المتاعب والمشاق والأتعاب ولا يترقب الخلوّ عن ذلك، فما يأتي بعد أشد في ذلك وحاصل الأمر أن الوقت سيف إن لم تقطعه بصالح العمل وانتظرت الفراغ من سائر الأتعاب قطعك وذهب عليك أنفس الأشياء بلا فائدة **(حتى تلقوا ربكم)** فلا راحة للمؤمن دون لقاء ربه[1] **(سمعته)** أي ما حدثتكم به **(من نبيكم)** أضافه إليهم ليخف عنهم ألم ما يكابدونه من المشاق **(ﷺ رواه البخاري)**.

---

(١) أي الموت.

٩٣ - السَّابعُ: عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «بادِروا بالأَعْمالِ سَبْعًا، هل تَنتَظرونَ إلا فقرًا مُنسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغيًا، أَوْ مرضًا مُفْسِدًا، أَو هَرَمًا مُفْنِدًا أَو موتًا مُجْهِزًا أَوِ الدَّجَّالَ فشرُّ غَائبٍ يُنتَظر، أَوِ السَّاعةَ فالسَّاعةُ أَدْهى وأَمَرُّ». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

٩٤ - الثامنُ: عنه رَضِيَ اللَّهُ عنهُ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال يومَ خيْبرَ: «لأُعطِينَّ هذِهِ الرايةَ رجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ ورسُولَه

---

٩٣ - (السابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: بادروا) سابقوا أي اسبقوا بالاشتغال **(بالأعمال)** الصالحة **(سبعًا)** من الأحوال الطارئة المشغلة واهتموا بالأعمال الصالحة قبل حصولها **(هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا)** أي أنه لما ينال النفس منه من الغم ينشأ عنه النسيان **(أو غنى مطغيًا)** لصاحبه وملهيًا له عن القيام بأنواع حق العبودية **(أو مرضًا مفسدًا)** للعقل أو البدن مانعًا من أداء العبادة أو من كمالها، ومن ثم ورد «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» **(أو هرمًا مفندًا)** قال في «النهاية»: الفند في الأصل الكذب **(أو موتًا مجهزًا)** بضم الميم وسكون الجيم وكسر الهاء ءاخره زاي أي سريعًا يقال أجهز على الجريح يجهز إذا أسرع بقتله كأنه يريد به الموت الفجأة أو الاختزام في الشباب **(أو الدجال)** فهو **(شرّ غائب ينتظر)** لما فيه من شدة الفتنة التي لا ينجو منها إلا من عصمه الله **(أو الساعة فالساعة)** أي عذابها وأعادها بلفظها تفخيمًا لشأنها **(أدهى)** أعظم بلية **(وأمرّ)** أشد مرارة من عذاب الدنيا وأهوالها **(رواه الترمذي، وقال: حديث حسن)** ورواه الحاكم في «المستدرك».

٩٤ - (الثامن: عنه) أي عن أبي هريرة **(رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر:)** بوزن جعفر، وكانت في السنة السابعة **(لأعطينّ هذه الراية رجلًا يحبّ الله ورسوله)** بالنصب. ومحبة العبد لله ورسوله هو

يفتَحُ اللَّهُ عَلَى يدَيهِ» قال عمرُ رضي اللَّهُ عنه: ما أَحببْتُ الإِمارةَ إِلا يومئذٍ، فتساورْتُ لهَا رجاءَ أَنْ أُدْعَى لهَا، فدعا رسولُ اللَّهِ ﷺ عليَّ ابنَ أَبي طالب رضي اللَّهُ عنه فأَعْطَاه إِيَّاها وقالَ: «امشِ ولا تلْتَفتْ حتَّى يَفتحَ اللَّهُ عليكَ» فَسار عليٌّ شيئًا ثُمَّ وقف ولم يلْتفتْ فصرخ: يا رسولَ اللَّهِ على ماذا أقاتلُ الناسَ؟ قال: «قاتِلهم حتى يَشهدوا أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأَنَّ مُحمَّدًا رسولُ اللَّهِ، فَإِذا فَعَلوا ذلك

الإيمان بهما واتباع ما جاء به (**يفتح الله على يديه**) أي بعض حصون خيبر، وكان ذلك بعد إرسالها مع رجلين من كبار الصحابة وما كان الفتح على أيديهما ففيه معجزة للنبيّ ﷺ حيث أخبر عن مغيب فكان كما أخبر به كما سيأتي (**قال عمر رضي الله عنه: ما أحببت الإمارة**) بفتح الهمزة وكسرها (**إلا يومئذٍ**) ليس حبه لها لذاتها إنما هو لكونها علامة لحب ذلك الأمير لله تعالى اللازمة لحبّ الله تعالى قال تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة المائدة] ولحصول الفتح على يديه (**فتساورت له**) أي تطاولت له كما جاء في رواية لمسلم أيضًا (**رجاء أن أدعى لها**) بالبناء للمفعول (**فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فأعطاه إياها وقال: امش ولا تلتفت**) لئلا يشغلك ذلك الالتفات عن كمال التوجه (**حتى يفتح الله عليك**) أي واصبر على الجهاد وترك الالتفات إلى أن يفتح الله عليك، (**فسار عليّ**) أي عقب الأمر مبادرًا للجهاد (**شيئًا**) أي من السير فهو مفعول مطلق (**ثم وقف ولم يلتفت**) لئلا يخالف نهيه عنه، وفهم منه عليّ رضي الله عنه ظاهره من الالتفات يمنة ويسرة، فلذا لم يلتفت بعينه مع أنه يحتاج إليه للخطاب (**فصرخ**) أي رفع صوته (**يا رسول الله على ماذا**) مركب بمعنى على أيّ شيء (**أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**) سكت فيه عن ذكر أداء الجزية. وفي الحديث الدعاء إلى الإسلام قبل القتال. ومذهبنا ومذهب ءاخرين إن كان القوم ممن لم تبلغهم دعوة الإسلام وجب إنذارهم قبل القتال أو من غيرهم فلا، ولذا قال (**فإذا فعلوا ذلك**)

فقد مَنعوا منْكَ دماءَهُمْ وأَموالهُمْ إلا بحَقّها وحِسابُهُمْ على اللّهِ».
رواه مسلم.

قوله «فتساورت»: هو بالسين المهملة أي وثبت متطلعًا.

١١ - باب في المجاهدة

قال الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [سورة العنكبوت]،

فيه إطلاق الفعل على القول أي إذا تلفظوا بهذه الكلمة (**فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها**) أي فيؤخذ بذلك كالنفس بالنفس والزكوات (**وحسابهم على الله**) أي يكفّ عن قتالهم بنطقهم بذلك، وأما ما بينهم وبين الله تعالى فإن صدقوا وءامنوا بالقلب نفعهم ذلك في الآخرة ونجوا من العذاب كما نفعهم في الدنيا وإلا فلا ينفعهم بل يكونون منافقين من أهل النار (**رواه مسلم. قوله فتساورت هو بالسين المهملة**) وبالراء المهملة أيضًا (**أي وثبت متطلعًا**) لها أي حرصت عليها حتى أظهرت وجهي وتصديت له ليرى مكاني فلعله يوليني.

١١ - باب في المجاهدة

مفاعلة من الجهد: أي الطاقة فإن الإنسان يجاهد نفسه باستعمالها فيما ينفعها حالًا ومآلًا، وهي تجاهده بما تركن إليه بحسب طبعها وجبلتها من ضد ذلك.

(**قال تعالى** ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾) قال بعض العارفين هذه الآية صفوة هذه السورة. ومن جملة المجاهدات مجاهدة النفس بالصبر عند الابتلاء ليعقب ذلك أنس الصفاء وينزع عنه لباس الجفاء (﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾) أتى بلام الابتداء أو لام جواب القسم المقدر المسند إلى الحق سبحانه إشارة إلى أنه تعالى يتولى الهداية بنفسه للمجاهدين فيه، وأنه ينعم عليهم بكمال النعمة والجزاء، (﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾) المحسن

وقال تعالى ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [سورة الحجر]. **وقال تعالى** ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨﴾ [سورة المُزَّمِّل] **أي انْقطِعْ إليْه، وقال تعالى** ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧﴾ [سورة الزلزلة]، **وقال تعالى** ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ ٢٠﴾ [سورة المُزَّمِّل]، **وقال تعالى** ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٢١٥﴾ [سورة البقرة]. **والآياتُ في الباب كثيرةٌ معلومةٌ. وأَما الأَحاديثُ:**

٩٥ - فالأَولُ: عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال

من يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه سبحانه يراه، فإذا كان هكذا كان له من شريف المعية ما أشار إليه بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾.

(**وقال تعالى** ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾) أي الموت (**وقال تعالى** ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾) بالتوحيد والتعظيم أي دم على ذلك (﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ﴾) في العبادة (﴿تَبۡتِيلٗا ٨﴾) مصدر بتل، (**أي انقطع إليه**) عما سواه انقطاعًا، وقيل أخلص إخلاصًا، وقيل توكل توكلًا. قال بعضهم التبتل: رفض الدنيا بما فيها والتماس ما عند الله.

(**وقال تعالى** ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧﴾) أي ير ثوابه، ففيه تشويق لتقديم العمل الصالح بين يديه ليجد جزاءه عند قدومه عليه (**وقال تعالى** ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾) بيان لما (﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا﴾) مما خلفتم (﴿وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ ٢٠﴾) وهو فصل وما بعده. والمعنى ما أخرجتم لله خير لكم وأعظم أجرًا عند الله مما ادخرتم، (**وقال تعالى** ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾) إنفاق أو غيره (﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٢١٥﴾) فمجاز عليه، (**والآيات**) القرءانية (**في الباب**) أي باب المجاهدة (**كثيرة معلومة. وأما الأحاديث:**) النبوية.

٩٥ - (**ف**) الحديث (**الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال**

رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تعالى قال: مَنْ عادَى لي وليًّا فقد ءاذنتُهُ بالْحرْب، وما تقرَّبَ إِلَيَّ عبْدِي بِشيْءٍ أحبَّ إِليَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عليْهِ، وما يَزالُ عبدي يتقرَّبُ إِليَّ بالنَّوافلِ حَتَّى أُحِبَّه،

رسول الله ﷺ: إن الله تعالى قال: من عادى) من المعاداة ضد الموالاة **(لي)** حال من قوله **(وليًّا)** وهو من تولى الله بالطاعة والتقوى فتولاه الله بالحفظ والنصرة **(فقد ءاذنته)** بالمد **(بالحرب)** أي أعلمته بأني محارب له، أي أعامله معاملة المحارب ومن عامله الحق بذلك فإنه لا يفلح، فهو من التهديد في الغاية القصوى، والوعيد لمن عادى وليًّا من أجل ولايته وقربه من الله تعالى وذلك كإيذاء من ظهرت أمارات ولايته باتباع الكتاب والسنة. وإذا علم ما في معاداة الوليّ من الوعيد والتهديد علم ما في موالاته من جسيم الثواب وباهر التوفيق والهداية والقرب والتأييد **(وما تقرّب إليّ عبدي)** إضافته للتشريف المؤذن بمزيد الرفعة والتأهل لعليّ المقامات **(بشيء أحبّ إليّ من)** أداء **(ما افترضت)** به **(عليه)** لأن الأمر بها جازم فيتضمن أمرين: الثواب على فعلها والعقاب على تركها، بخلاف النفل، فلذا كان الفرض أكمل وأحب إلى الله وأشدّ تقرّبًا قال الحافظ: «قال ابن حبيرة: «النافلة لا تقدم على الفريضة»، قال بعض الأكابر: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور» **(وما يزال عبدي)** إضافته لما تقدم **(يتقرّب)** وفي رواية «يتحبب» **(إليّ بالنوافل)** أي بالتطوعات من جميع أصناف العبادات ظاهرها كقراءة القرءان إذ هو من أعظم ما يتقرب به، وكالذكر وكفى في شرفه قوله تعالى ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴿١٥٢﴾﴾ [سورة البقرة] وباطنها كالزهد والورع والتوكل والرضا وغير ذلك من سائر أحوال العارفين سيما محبة أولياء الله تعالى وأحبائه فيه ومعاداة أعدائه فيه **(حتى أحبه)** بضم أوله والفعل منصوب. ومحبة الله تعالى للعبد كما تقدم توفيقه لما يرضيه عنه وإثابته ومعاملته بالإحسان، فعلم أن إدامة النوافل بعد أداء الفرائض تفضي إلى محبة الله تعالى للعبد وصيرورته من جملة أوليائه الذين يحبهم

فإذا أَحبَبْتُه كُنْتُ سَمعَهُ الَّذِي يَسْمعُ به، وبصَرَهُ الَّذِي يُبصِرُ بِهِ، ويدَهُ الَّتي يَبْطُشُ بِهَا، ورِجلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وَإِن سأَلنِي أَعْطَيْتُهُ، ولَئِنِ اسْتَعَاذَ بِي لأُعيذَنَّهُ». رواه البخاري.

«ءاذنته»: أعلمته بأني محارب له. «اسْتَعَاذَ بِي»: روي بالنون وبالباء.

٩٦ - الثاني: عن أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ فيمَا يَرْوِيهِ عن ربهِ عزَّ وجَلَّ

ويحبونه. (**فإذا أحببته كنت**) أي صرت حينئذٍ (**سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر**) بضم أوله وكسر ثالثه (**به، ويده التي يبطش**) بفتح أوله وكسر ثالثه أو ضمه (**بها ورجله التي يمشي بها**) قال بعض المحققين: التحقيق أن هذه الصيرورة مجاز أو كناية عن نصرة الله تعالى لعبده المتقرّب إليه بما ذكر، وتأييده وإعانته له وتوليه في جميع أموره، ولذا جاء في رواية أخرى «فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي» أي أنا الذي أقدرته على هذه الأفعال وخلقتها فيه فأنا الفاعل لذلك لا أنه يخلق أفعال نفسه أي سواء الجزئيات والكليات، وهذا يردّ على المعتزلة في زعمهم أن العبد يخلق أفعاله الجزئيات. وزعم الحلولية والاتحادية بقاء هذا الكلام على حقيقته وأنه تعالى عين عبده أو حالّ فيه وهذا ضلال وكفر إجماعًا (**وإن سألني أعطيته**) وفي رواية «لأعطينه» (**ولئن استعاذ بي لأعيذنه**) مما يخاف، وهذه عادة الحبيب مع محبوبه، ولا يحصى عدد من حصل له ذلك فوقع له مطلوبه وذهبت عنه كروبه من صالحي الأمة، (**رواه البخاري. ءاذنته**) بالمد (**أعلمته**) هذا معنى ءاذنته، وقوله (**بأني محارب له**) هذا معني بالحرب، وقوله (**استعاذ بي روي بالنون**) أي طلبني أعيذه فيكون متعديًا (**وبالباء**) الموحدة أي اعتصم وتحصن بي.

٩٦ - (**الثاني: عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل**) أي فهو من الأحاديث القدسية والفرق بينها وبين القرءان

قال: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعبْدُ إِليَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِراعًا، وإِذَا تقرَّب إِليَّ ذِراعًا تقرَّبْتُ منه باعًا، وإِذا أَتانِي يَمْشِي أَتيْتُهُ هرْوَلَةً». رواه البخاري.

٩٧ - الثالثُ: عن ابنِ عباسٍ رضي اللَّهُ عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ: «نِعمتانِ مغْبونٌ فِيهِما كثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصّحَّةُ، والْفراغُ».

أنه معجز ويتعلق الثواب بتلاوته ولا تجوز روايته بالمعنى ولا مسّ ما كتب فيه ولا حمله مع الحدث ولا كذلك هذه الأحاديث **(قال)** أي الربّ سبحانه أو النبيّ ﷺ راويًا له عن ربه **(إذا تقرّب العبد إليّ شبرًا)** قال الحافظ: قال ابن بطال: معناه التقرب إليه بطاعته وأداء مفترضاته» اهـ **(تقربت إليه ذراعًا)** قال الحافظ: فقربه سبحانه من عبده عبارة عن إثابته على طاعته **(وإذا تقرّب إليّ ذراعًا تقرّبت إليه)** وفي نسخة منه **(باعًا، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة)** كذا في النسخ بحذف الواو من إذا الأولى. والظاهر إثباتها ليدل على أن المذكور بعض حديث أوله: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منه، وإذا تقرّب إليَّ» إلخ ثم هذا من باب التمثيل في الجانبين. والمعنى من أتى شيئًا من الطاعات ولو قليلًا قابلته عليه بأضعاف من الإثابة والإكرام، وكلما زاد في الطاعة زدته في الثواب، وإن كان إتيانه بالطاعة على التأني تكون كيفية إتياني بالثواب على السرعة، فالغرض أن الثواب راجع على العمل مضاعف عليه وإطلاق النفس والتقرّب والهرولة وهي من الإسراع ونوع من العدو عليه تعالى إنما هو مجاز على سبيل المشاكلة أو على طريق الاستعارة أو على قصد إرادة لوازمها وهو من الأحاديث الدالة على كرم أكرم الأكرمين **(رواه البخاري)**.

٩٧ - (الثالث: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي) وفي نسخة رسول الله **(ﷺ نعمتان)** أي عظيمتان **(مغبون فيهما)** من الغبن وهو الشراء بأضعاف الثمن، أو البيع بدون ثمن المثل وهو وصف و**(كثير من الناس الصحة والفراغ)** شبه ﷺ المكلف بالتاجر والصحة أي في البدن

رواه البخاري.

٩٨ - الرابعُ: عن عائشةَ رضي اللَّهُ عنها أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَان يقُومُ مِنَ الليْلِ حتَّى تَتفطَّرَ قَدمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تصنعُ هذا يا رسُولَ اللّهِ وقد غُفِرَ لَكَ مَا تقدَّمَ مِن ذَنبِكَ وما تأَخَّرَ؟ قال: «أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عبْدًا شَكُورًا؟».

والفراغ أي من العوائق عن الطاعة برأس المال لأنهما من أسباب الأرباح ومقدمات نيل النجاح، فمن عامل الله تعالى بامتثال أوامره وابتدر الصحة والفراغ يربح، ومن لا ضاع رأس ماله ولا ينفعه الندم **(رواه البخاري)** ورواه الترمذي وابن ماجه.

٩٨ - (الرابع: عن عائشة رضي الله عنها أن النبيّ ﷺ كان يقوم) أي بالتهجد **(من الليل)** أي بعضه وهو السدس الرابع والخامس غالبًا **(حتى تفطر)** بفتح المثناة والفاء وتشديد المهملة وأصله تتفطر وهو كذلك في رواية الأصيلي كما في «فتح الباري» أي تتشقق[1] **(قدماه)** وعند النسائي: «حتى تزلع قدماه» بزاي وعين مهملة. وللبخاري في رواية: «حتى تورّمت قدماه». ولا مخالفة بين هذه الروايات فإنه إذا حصل النفخ والورم حصل الزلع والتشقق **(فقلت له: لم تصنع هذا)** الأمر الشاق **(يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟)** قال العارف بالله ابن أبي جمرة في أثناء كلام له على حديث: «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله» ما لفظه: لا يخطر بخاطر أحد أن الذنوب التي خبر الله تعالى أنه بفضله غفرها للنبي ﷺ من قبيل ما نقع نحن فيها معاذ الله لأن الأنبياء معصومون من الكبائر بالإجماع ومن الصغائر التي فيها رذائل. **(قال أفلا أحبّ أن أكون عبدًا شكورًا)** والمعنى أن المغفرة سبب لكون التهجد شكرًا فكيف أتركه. قال القرطبي: ظن من سأله عن سبب تحمله المشقة في العبادة أنه إنما يعبد الله خوفًا من الذنب وطلبًا للمغفرة والرحمة، فمن تحقق غفران الله

---

(١) أي بلا ضرر فإن الرسول لا يفعل شيئًا يؤدي به إلى الضرر لعدم جواز ذلك.

متفقٌ عليه. هذا لفظ البخاري، ونحوه في «الصحيحين» من رواية المُغيرةِ بْنِ شُعْبَةَ.

٩٩ - الخامسُ: عن عائشةَ رضي اللَّهُ عنها أَنها قالت: «كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دخَلَ الْعَشْرُ أَحيا الليْلَ وأَيقظ أَهلهُ وجَدَّ وشدَّ المِئْزَر». متفقٌ عليه.

والمراد: العشر الأواخر من شهر رمضان. و«المئزر»: الإزار وهو كناية عن اعتزال النساء،

تعالى له لا يحتاج لذلك، فأفادهم أن لذلك سببًا ءاخر هو الشكر على المغفرة وإيصال النعمة لمن لا يستحق عليه منها شيئًا. والشكر الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة، فمن كثر منه سمي شكورًا ومن ثم قال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة سبإ] اهـ **(متفق عليه)** أي على أصل المعنى لا على خصوص الراوي والمبني بدليل قوله: **(هذا)** أي المذكور عن عائشة بهذا اللفظ **(لفظ البخاري ونحوه)** أي بمعناه **(في الصحيحين)** الذي يعبر عنه بالمتفق عليه **(من رواية المغيرة بن شعبة)** وكذا رواه من رواية الترمذي والنسائي وابن ماجه.

٩٩ - (الخامس: عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت) وكأنه عدل إليه لئلا يتوهم أن المغيرة اسم امرأة والضمير لأقرب مذكور **(كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر)** أي الأخير من رمضان، وأوله الحادي والعشرون وءاخره ءاخر رمضان **(أحيا الليل)** بأنواع الطاعات **(وأيقظ أهله)** للصلاة تنبيهًا لهم على فضل تلك الأوقات واغتنام صالح العمل فيها **(وجدّ)** أي اجتهد في العبادة زيادة على العادة وذلك لأن فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر **(وشدّ المئزر. متفق عليه)** ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه **(والمراد العشر الأواخر من شهر رمضان. والمئزر)** بكسر الميم وفتح الزاي وسكون التحتية **(الإزار: وهو)** أي شد المئزر لا الإزار كما قد يتبادر **(كناية عن اعتزال النساء)** هذا ما جزم به عبد الرزاق عن

وقيل: المراد تشميره للعبادة يقال: شددت لهذا الأمر مئزري: أي تشمَّرت وتفرَّغت له.

١٠٠ - السادسُ: عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «المُؤمِنُ الْقَوِيُّ خيْرٌ وأَحبُّ إِلى اللّهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وفي كُلّ خيْرٌ. احْرِصْ على مَا ينْفَعُكَ واسْتَعِن بِاللّهِ وَلا تَعْجِزْ، وإِنْ أَصابَكَ شيءٌ فلا تقلْ لَوْ أَنّي فَعلْتُ كانَ كَذَا وَكَذا وَلَكِن قُلْ: قدَّرَ اللّهُ

الثوري (**وقيل**) هو قول الخطابي كما في «فتح الباري» (**المراد**) منه (**تشميره للعبادة**) على سبيل المجاز المرسل لعلاقة الإطلاق والتقييد (**يقال شددت لهذا الأمر مئزري: أي تشمرت وتفرّغت له**) قال في «فتح الباري»: يحتمل أن يريد به الجد في العبادة.

١٠٠ - (السادس: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**المؤمن القويّ**) هو من لا يلتفت إلى الأسباب لقوّة باطنه بل يثق بمسبب الأسباب (**خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف**) يعلم المراد به من المراد بضده (**وفي كل**) بالتنوين أي من المؤمن القوي والمؤمن الضعيف (**خير**) لاشتراكهما في أصل الإيمان وخير هنا مصدر وهو خلاف الشر (**احرص**) أي استعمل الحرص والاحتياط (**على**) تحصيل (**ما ينفعك**) من أمر دينك ودنياك التي تستعين بها على صيانة دينك وعيالك ومكارم الأخلاق ولا تفرط في ذلك (**واستعن بالله**) أي اطلب المعونة منه وتوكل عليه ولا تعتمد على حركاتك ولا على أسبابك بل الجأ في كل الأمور إليه وتوكل عليه، فمن أعانه أعين (**ولا تعجز**) بكسر الجيم على الأفصح أي لا تفرط في طلب ذلك (**وإن أصابك شيء**) من المقدورات (**فلا تقل لو أني فعلت**) كذا (**كان كذا وكذا**) كناية عن مبهم فيكون فيه ركون إلى العادات وربط للمسببات بأسبابها العادية وغفلة عن حقائق الأمور وهو أن كل شيء بقدر مقدور فلذا قال (**ولكن**) بسكون النون (**قل قدر الله**)[1] وفي نسخة بفتح

---

(١) اعلم أنه لا يجوز قول الله لا يقدّر لأن الله قدر كل شيء في الأزل ولا يجوز قول: لا سمح الله.

ومَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ». رواه مسلم.

١٠١ - السابعُ: [عنه] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَواتِ، وحُجِبتِ الْجنَّةُ بِالمَكَارِهِ». متفقٌ عليه.

وفي رواية مسلم: «حُفَّت» بَدلَ

أوليه المخففين ورفع الراء بصيغة الماضي المعلوم **(وما شاء)** أي ما شاءه الله **(فعل)** لا رادّ لمراده وهو على كل شيء قدير. ففيه التنبيه على الدواء عند وقوع المقدور وذلك بالتسليم لأمر الله والرضا بقدر الله، والإعراض عن الالتفات لما مضى وفات بألا يقول لو أني فعلت كذا لكان كذا، لأن ذلك يئول به إلى الخسران من توهم أن التدبير يعارض سوابق المقادير وهذا عمل الشيطان كما قال **(فإن لو)** بسكون الواو على الحكاية أي إذا ذكرت على سبيل معارضة القدر، أو مع اعتقاد أن ذلك المانع لو ارتفع لوقع خلاف المقدور **(تفتح عمل الشيطان)** أي وساوسه المفضية بصاحبها للخسران، أما إذا أتى بلو على وجه التأسف على ما فات من الخير وعلم أنه لن يصيبه إلا ما قدر الله تعالى فليس بمكروه، وفيه حديث «لو استقبلت من أمري ما استدبرت» الحديث **(رواه مسلم)** ورواه أحمد وابن ماجه.

١٠١ - (السابع: عنه) أي عن أبي هريرة **(رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: حجبت)** بالمهملة فالجيم مبني للمفعول والتاء في ءاخره للتأنيث **(النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره)** وقال النووي: معناه لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره والنار بالشهوات، والمكاره يدخل فيها الاجتهاد في العبادات والمواظبة عليها والصبر على مشاقها وكظم الغيظ والعفو والحلم والإحسان إلى المسيء والصبر عن الشهوات ونحو ذلك، وأما الشهوات التي النار محفوفة بها فالظاهر أنها الشهوات المحرمة كالخمر والزنا والغيبة ونحو ذلك، وأما الشهوات المباحة فلا تدخل في هذه لكن يكره الإكثار منها مخافة أن يجر إلى المحرمة أو يشغل عن الطاعة ونحو ذلك» **(متفق عليه)** في المعنى ومعظم المبني بدليل قوله **(وفي رواية مسلم: حفت)** بضم المهملة وتشديد الفاء **(بدل**

«حُجِبتْ» وهو بمعناهُ، أَيْ بينَهُ وبيْنَهَا هَذا الحِجابُ، فإذا فعلَهُ دخَلها.

١٠٢ - الثامنُ: عن أَبي عبدِ اللَّهِ حُذَيْفَةَ بنِ اليَمانِ رضي اللَّهُ عنهما قال: صَلَّيْتُ معَ النَّبيّ ﷺ ذَاتَ ليْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرةَ، فقُلْتُ: يرْكعُ عِندَ المِائَةِ، ثُمَّ مضى فَقُلْتُ: يُصلّي بهَا في رَكْعةٍ، فَمَضَى

حجبت وهو) أي حفت و(**بمعناه**) أي حجبت أي معناهما واحد (**أي بينه وبينها**) أي النار في الأول والجنة في الثاني (**هذا الحجاب فإذا فعله**) وخرق الحجاب (**دخلها**).

١٠٢ - (**الثامن: عن أبي عبد الله حذيفة**) بضم المهملة وفتح الذال المعجمة وسكون التحتية بعدها فاء (**ابن**) حسيل بكسر المهملة الأولى وسكون الثانية ولقبه (**اليمان**) لقب به لحلفه الأنصار وهم من اليمن وإلا فهو عبسي بفتح المهملة فسكون الموحدة نسبة إلى عبس بن يعيص بن بنت غطفان ثم ابن قيس عيلان بالمهملة ابن مضر (**رضي الله عنهما**) أسلم حذيفة وأبوه وشهدا أحدًا وقتل اليمان يومئذٍ بأيدي المسلمين غلطًا، ونادى حذيفة حينئذٍ أبي عباد الله أبي أبي فما احتجزوا عنه حتى قتلوه. فقال حذيفة: يغفر الله لكم؛ ووهب دمه للمسلمين. وكان حذيفة أحد الرقباء النجباء وأحد الفقهاء أهل الفتوى وصاحب سرّ رسول الله ﷺ في المنافقين، والمختص بأخبار الفتن المستقبلة ما ظهر منها وما بطن، وله مقامات محمودة في الجهاد من أعظمها ليلة الأحزاب وكان فتح همدان والدينور على يديه وشهد فتح الجزائر، ولاه عمر المدائن توفي بالمدينة سنة ستّ وثلاثين بعد قتل عثمان بأربعين ليلة (**قال: صليت مع النبي ﷺ**) أي في صلاة التهجد، ففيه وفي حديث ابن مسعود الآتي الاقتداء في النافلة وتطويل صلاة الليل (**ذات ليلة، فافتتح البقرة**) فيه إطلاق ذلك بلا كراهة (**فقلت يركع عند المائة**) منها (**ثم مضى**) في قراءتها بعد تمام المائة (**فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى فقلت: يركع بها**) فأكملها (**ثم افتتح النساء فقرأها**) إلى ءاخرها (**ثم افتتح**

فَقُلْتُ: يَرْكَع بهَا، ثمَّ افْتَتَح النّسَاءَ فَقَرأَهَا ثمَّ افْتتحَ ءالَ عِمْرانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرأُ مُتَرَسِّلاً إِذَا مَرَّ بآيَةٍ فِيها تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَل، وإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثم ركَع فَجَعلَ يقُول: «سُبحانَ رَبّيَ الْعظِيم» فَكَانَ ركُوعُه نحْوًا مِن قِيامِهِ ثمَّ قالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمن حَمِدَهُ، ربَّنا لك الْحمدُ» ثمَّ قَام قِيامًا طوِيلاً قَرِيبًا مِمَّا رَكَع، ثمَّ سَجَد فَقالَ: «سُبْحان ربّيَ الأَعلَى» فكَانَ سُجُوده قَرِيبًا مِن قِيامِهِ». رواه مسلم.

١٠٣ - التاسعُ: عن ابنِ مَسْعُودٍ رضِي اللّه عنه قال: صلَّيْتُ معَ النبيّ ﷺ لَيلَةً فَأَطَالَ حتَّى هَممْتُ

ءال عمران فقرأها يقرأ مترسلاً) أي مرتلًا بتبيين الحروف وأداء حقها **(إذا مرّ بآية فيها تسبيح)** نحو ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ۝١﴾ [سورة الأعلى] **(سبح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ)** فيه دليل لاستحباب هذه للقارئ وهي سنة له مطلقًا **(ثم ركع فجعل)** من أفعال الشروع **(يقول)** في ركوعه **(سبحان ربي العظيم)** وكرّر ذلك التسبيح فيه وبه قال بعض الأئمة **(فكان ركوعه)** في الطول **(نحوًا)** أي قريبًا **(من قيامه)** في القراءة قبله **(ثم)** رفع رأسه و**(قال)** عند رفعه **(سمع الله لمن حمده)** أي تقبله منه **(ربنا لك الحمد ثم قام)** أي دام في القيام بعد الرفع من الركوع **(قيامًا طويلاً مما ركع)** أي من ركوعه **(ثم سجد فقال)** في سجوده **(سبحان ربي الأعلى)** وكرره، والحكمة في جعل العظيم في الركوع والأعلى في السجود أن الأعلى لكونه أفعل تفضيل أبلغ من العظيم، والسجود أبلغ في التواضع من الركوع فجعل الأبلغ للأبلغ **(فكان سجوده قريبًا من قيامه. رواه مسلم)**.

١٠٣ - (التاسع: عن) عبد الله **(بن مسعود رضي الله عنه قال: صليت مع النبي ﷺ ليلة)** أي التهجد في ليلة فهي منصوبة على الظرفية **(فأطال)** أي القيام طولا كثيرًا زائدًا على العادة **(حتى هممت)** بفتح الميم الأولى **(بأمر سوء)** بإضافة أمر إلى سوء كذا في «فتح الباري» **(قيل: وما هممت**

بِأَمرِ سُوءٍ، قيل: وما همْمتَ بِهِ قال: همْتُ أَنْ أَجْلِسَ وأَدَعَهُ. متفقٌ عليه.

١٠٤ - العاشرُ: عن أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يَتْبعُ الميِّتَ ثَلاَثٌ: أَهلُهُ ومالُه وعمَلُه فيرْجِعُ اثنانِ ويبْقَى واحِدٌ، يرجِعُ أَهلُهُ ومالُهُ، ويبقَى عمَلُهُ». متفقٌ عليه.

١٠٥ - الحادي عشَرَ: عن ابن مَسْعُودٍ رضي اللَّهُ عنه قال:

به قال: هممت أن أجلس وأدعه) قال النووي: فيه أنه ينبغي الأدب مع الأئمة والكبار وألّا يخالفوا بفعل ولا قول ما لم يكن حرامًا. واتفق العلماء على أنه إذا شق على المقتدي في فريضة أو نافلة القيام وعجز عنه جاز له القعود، وإنما لم يقعد ابن مسعود تأدبًا مع رسول الله ﷺ اهـ. قال الحافظ: «في الحديث دليل على اختيار النبيّ ﷺ تطويل صلاة الليل، وقد كان ابن مسعود قويًا محافظًا على الاقتداء بالنبي ﷺ، وما همّ بالقعود إلا بعد طول كثير ما اعتاده»، وفي الحديث أن مخالفة الإمام في أفعاله معدودة في العمل السيء، وفيه تنبيه على فائدة معرفة وغيرها لأن أصحاب ابن مسعود ما عرفوا مراده من قوله هممت بأمر سوء حتى استفهموه عنه فلم ينكر عليهم استفهامهم عنه» اهـ **(متفق عليه)** ورواه الترمذي في «الشمائل».

١٠٤ - **(العاشر: عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: يتبع الميت)** أي يصحبه إلى قبره **(ثلاث أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد)** أجمله ثم فصله بقوله على سبيل الاستئناف البياني **(يرجع أهله وماله ويبقى عمله)** ليكون أقرّ في النفس وأمكن لأنها يجيئها التفصيل وقد تطلبته واشتاقت إليه. وفي الحديث: الحثّ على تحسين العمل ليكون أنيسه في قبره **(متفق عليه)** والسياق للبخاري.

١٠٥ - **(الحادي عشر: عن)** عبد الله **(بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله)** الشراك بكسر

قال النبيُّ ﷺ: «الْجنَّةُ أَقرَبُ إِلى أَحدِكُم مِن شِراكِ نَعْلِهِ والنَّارُ مِثْلُ ذلِكَ». رواه البخاري.

١٠٦ - الثاني عَشَرَ: عن أَبي فِراسٍ رَبِيعةَ بنِ كَعْبٍ الأَسْلَمِيّ خادِمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ومِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ رضي اللَّهُ عنهم قال: «كُنْتُ أَبِيتُ معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فآتِيهِ بِوَضوئِهِ وحاجتِهِ

الشين المعجمة وبالراء وءاخره كاف أحد سيور النعل التي تكون في وجهه ويختلّ المشي بفقده كفقد الشسع بمعجمة ثم مهملتين السير الذي يدخل فيه أصبع الرجل. قال ابن مالك: ووجه الأقربية أن يسيرًا من الطاعة قد يكون سببًا لدخول الجنة ومثله من المعصية في النار كما قال: **(والنار مثل ذلك)** قال الحافظ في «فتح الباري»: «قال ابن بطال: في الحديث أن الطاعة موصلة إلى الجنة، وأن المعصية مقرّبة إلى النار، وأن الطاعة والمعصية قد يكونان في أيسر الأشياء، وفي هذا المعنى «إن الرجل ليتكلم بالكلمة» الحديث، فينبغي للمرء ألا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه، ولا في قليل من الشرّ أن يجتنبه فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها ولا السيئة التي يسخط عليه بها» **(رواه البخاري)** ورواه أحمد.

١٠٦ - (الثاني عشر: عن أبي فراس) بكسر الفاء وبالمهملتين بينهما ألف **(ربيعة بن كعب)** بن مالك **(الأسلمي)** الحجازي **(خادم رسول الله ﷺ)** حضرًا وسفرًا **(ومن أهل الصفة)** بضم المهملة وتشديد الفاء محل مسقف ءاخر المسجد يأوي إليه الفقراء الذين ليس لهم عريف **(رضي الله عنهم)** قال أبو نعيم كان من أحلاس المسجد ومن الملازمين لخدمة رسول الله ﷺ وله بأهل الصفة اتصال **(قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ)** على باب بيته لأداء خدمته كما قال **(فآتيه)** بالمد **(بوضوئه)** بفتح الواو الماء المعدّ للوضوء بضمها **(وحاجته)** أي ما يحتاج إليه من لباس وغيره **(فقال: سلني)**[1] حاجة أتحفك بها في مقابلة خدمتك لأن هذا

فقال: «سَلْني» فقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرافَقَتَكَ في الجنَّةِ، فقالَ: «أَوَ غَيْرَ ذلِك؟» قُلْت: هو ذَاك، قال: «فأَعِنّي على نَفْسِكَ بِكَثْرةِ السجُودِ». رواه مسلم.

١٠٧ - الثالثَ عشَرَ: عن أَبي عبدِ اللَّهِ ويُقَال أَبُو عبْدِ الرَّحمٰنِ ثَوْبانَ

شأن الكرام ولا أكرم منه ﷺ (**فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة**) أي أن أكون معك فيها قريبًا منك متمتعًا بنظرك وقربك حتى لا أفارقك، فلا يشكل حينئذٍ بأن منزله ﷺ الوسيلة وهي خاصة به عن سائر الأنبياء فلا يساويه في مكانه منها نبيّ مرسل فضلًا عن غيرهم (**فقال أو**) تسأل (**غير ذلك**) لأنه أهون (**قلت: هو**) أي مسئولي (**ذاك**) الذي ذكرته لا غيره فلا أرجع عنه وإن كان مشقًا، وعبر عنه ﷺ بذلك الموضوع للبعيد ليدله على بعد هذه المرتبة وعزتها وأنها لا تحصل بالهوينى فعدل عنها السائل إلى «ذاك» الدالة على القرب بالنسبة لذلك ليعلم بأنه مصمم على أن مسئوله غير مستبعد له على امتثال كل ما يؤمر به لأجله، فلما علم ﷺ صدقه وقوة عزمه (**قال**) له (**فأعني**) حينئذٍ (**على نفسك**) المتخلفة بطبعها عن السعي في نيل المعالي لميلها إلى الدعة والرفاهية والشهوات والبطالات، وفي قوله: «أعني» إشارة إلى أنه ﷺ كان مجتهدًا أي اجتهاد في إصلاحه كغيره وأنه الطبيب الساعي في شفائه، والطبيب يحتاج لمساعدة المريض بتعاطيه ما يصفه له (**بكثرة السجود**) المحصل لنيل مرتبة القرب المطهر للنفس عن خبائثها المخرج لها عن شهواتها وعاداتها (**رواه مسلم**) وأحمد بن حنبل.

١٠٧ - (**الثالث عشر: عن أبي عبد الله ويقال**) في كنيته (**أبو عبد الرحمٰن ثوبان**) بفتح المثلثة وسكون الواو بعدها موحدة وبعد الألف نون ابن بحدد (**مولى رسول الله ﷺ**) كان (**رضي الله عنه**) من اليمن

---

(١) وفي الحديث جواز عرض طلب شيء لم تجر به العادة من غير الله تعالى خلافًا لما يدّعيه نفاة التوسل المانعين من ذلك بلا مستند شرعي.

رضي اللَّهُ عنه مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: عليك بِكَثْرةِ السُّجُودِ فإنَّك لَن تَسْجُدَ لله سجدةً إلا رفَعَكَ اللّهُ بهَا دَرَجَةً، وحَطَّ عنْك بهَا خَطِيئةً». رواه مسلم.

١٠٨ - الرابعَ عشَرَ: عن أَبي صَفْوانَ عبدِ اللَّهِ بنِ بُسْرٍ الأَسلَمِيّ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: خَيْرُ النَّاسِ مَن طالَ عُمُرُه وَحَسُنَ عملُه». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

«بُسْر»: بضم الباء وبالسين المهملة.

أصيب سبيًا فمرّ به رسول الله ﷺ فأعتقه، وقيل اشتراه فأعتقه فلم يزل مع النبي ﷺ حتى قبض وتحول إلى حمص مات بها سنة أربع وخمسين في زمن معاوية (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليك**) اسم فعل بمعنى خذ، والباء في (**بكثرة السجود**) زائدة لازمة (**فإنك لن تسجد**) مخلصًا (**لله سجدة**) أي في ضمن ركعة أو لنحو تلاوة أو شكر، وإلا فالتعبد بالسجدة المنفردة غير مشروع (**إلا رفعك الله بها درجة**) أيّ درجة (**وحط عنك بها خطيئة**) أيّ خطيئة (**رواه مسلم**) قال في «الجامع الصغير»: ورواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ثوبان وأبي الدرداء.

١٠٨ - (**الرابع عشر: عن أبي صفوان**) بفتح المهملة وسكون الفاء، وقيل أبو بسر (**عبد الله بن بسر الأسلمي**) كان (**رضي الله عنه**) ممن صلى للقبلتين، ووضع ﷺ يده على رأسه ودعا له وقال: «يعيش هذا الغلام قرنًا» فعاش مائة سنة، وقال: «لا يموت حتى يذهب هذا الثؤلول من وجهه» فلم يمت حتى ذهب الثؤلول من وجهه وقيل مات بحمص، وهو ءاخر من مات بها بل بالشام من الصحابة سنة ست وتسعين عن مائة سنة (**قال: قال رسول الله ﷺ: خير الناس**) أي أفضلهم (**من طال عمره وحسن عمله**) فاكتسب في طول الأيام ما يقرّبه إلى مولاه ويوصله إلى رضاه وحسن العمل الإتيان به مستوفيًا للشروط والأركان والمكملات (**رواه الترمذي وقال حديث حسن**) وكذا رواه أحمد (**بسر بضم الباء**) أي الموحدة (**وبالسين المهملة**) وراء.

١٠٩ - (**الخامس عشر: عن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي**) أي

١٠٩ - الخامسَ عشَرَ: عن أَنسٍ رضي اللَّهُ عنه قال: غَاب عمّي أَنَسُ بنُ النَّضْرِ رضي اللَّهُ عنه عن قِتالِ بدرٍ فقال: يا رسولَ اللَّهِ غِبْتُ عن أَوَّلِ قِتالٍ قَاتلْتَ المُشرِكِينَ لَئِنِ اللّهُ أَشْهدني قِتَال المُشرِكِين لَيَرَيَنَّ اللّهُ مَا أَصْنَعُ. فَلمَّا كَان يَوْمُ أُحُدٍ انْكشَفَ المُسْلِمُون، فقال: اللَّهُمَّ أَعْتَذِرُ إِليْكَ مِمَّا صنَع هَؤُلاءِ - يَعْني أَصْحَابه - وأَبرأُ إِلَيْكَ مِمَّا صنعَ هَؤُلاءِ - يَعني المُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبلَهُ سعْدُ بْنُ مُعاذٍ فَقالَ: يا سعْدَ

أخو والدي إذ هو أنس بن مالك بن النضر وعمه (**أنس بن النضر رضي الله عنه عن قتال بدر**) الإضافة لأدنى ملابسة أي الكائن فيها، وبدر المحل المعروف (**فقال**) متحسرًا (**يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن**) اللام موطئة للقسم المحذوف أي والله لئن و(**الله أشهدني**) أحضرني (**قتال المشركين ليرين الله ما أصنع**) قال القرطبي في «المفهم»: هذا الكلام يتضمن أنه ألزم نفسه إلزامًا مؤكدًا هو الإبلاغ في الجهاد والانتهاض فيه والإبلاغ في بذل ما يقدر عليه (**فلما كان يوم أحد**) برفع يوم على أن «كان» تامة وبنصبه على الظرفية والمعنى يوم قتال أحد (**انكشف المسلمون**) بما وقع لهم من ترك منازلهم التي أنزلهم النبي ﷺ فيها حال التصافّ للحرب ونهاهم عن التحول عنها فلما انكسر المشركون وانهزموا نزل بعض أولئك الأقوام عن تلك المنازل فكان في تلك المخالفة سبب انهزامهم[1] (**فقال**) أنس (**اللهم**) إني (**أعتذر إليك مما صنع هؤلاء: يعني أصحابه**) المسلمين من الفرار (**وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء: يعني المشركين**) من قتال النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين (**ثم تقدم**) إلى القتال (**فاستقبله سعد بن معاذ**) منهزمًا (**فقال يا سعد**) يجوز ضمه وفتحه لأنه وصف بقوله (**ابن معاذ**) ويتعين نصب ابن لأنه مضاف

---

(١) أي المسلمون الذين خالفوا أمر رسول الله ﷺ في هذه الوقعة انهزموا أمَّا رسولُ الله فلم ينهزم.

ابْنَ مُعاذٍ الْجنَّةُ ورَبِ النَّضْرِ إِني أَجِدُ رِيحَها مِن دُونِ أُحُدٍ. قال سعْدٌ: فَما اسْتَطعْتُ يا رسولَ اللّهِ ما صنَعَ، قال أَنسٌ: فَوجدْنَا بِهِ بِضْعًا وثمانِينَ ضَرْبةً بِالسَّيفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْح أَو رَمْيةً بِسهْم، ووجدْناهُ قَد قُتِلَ وَمَثَّلَ بِهِ الْمُشرِكُونَ فَما عرفَهُ أَحدٌ إِلا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ. قال أَنس: كُنَّا نُرى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نزلَتْ فيهِ وَفِي أَشْباهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأحزاب] إلى ءاخرها. متفقٌ عليه.

(**الجنة**) بالنصب أي أريد والرفع أي مطلوبي (**ورب النضر**) بفتح النون وإسكان المعجمة يعني أباه (**إني أجد ريحها**) أي الجنة (**من دون أحد**) أي من مكان أقرب منه يحتمل أن يكون على الحقيقة وأنه وجد ريحها (**قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع**) أي أن أصنع ما صنع، ورواية مسلم: «فقاتلهم حتى قتل» وهي ظاهرة كما قال القرطبي في أنه قاتلهم وحده فيكون فيه دليل على جواز ذلك بل على ندبه اهـ (**قال أنس: فوجدنا به بضعًا**) بكسر الباء وسكون الضاد المعجمة ما بين الثلاث إلى التسع (**وثمانين ضربة بالسيف أو**) هي للتنويع (**طعنة برمح، أو رمية**) بفتح الراء المهملة واحدة الرمي (**بسهم، ووجدناه قد قتل**) بالبناء للمجهول لعدم العلم بعين قاتليه (**ومثل**) بتشديد المثلثة (**به المشركون**) حتى خفي على أهله (**فما عرفه أحد**) منهم (**إلا أخته**) أي أخت أنس بن النضر وهي الرُّبيّع بضم الراء وفتح الباء الموحدة وتشديد التحتية (**ببنانه**) أي بأصابعه وفي رواية بشامته (**قال أنس: كنا نرى**) بضم النون بمعنى نظن (**أو نظن**) شك من الراوي في لفظ أنس وإن كان معناهما واحدًا، وعند مسلم: فكانوا يرون إلخ يعني به أن الصحابة كانوا يظنون (**أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه**) والآية (﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴿٢٣﴾﴾ **إلى ءاخرها**) أو إلى قوله ﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأحزاب] أي استمروا على ما التزموا ولم يقع منهم نقض فيما أبرموا (**متفق عليه**) ورواه الترمذي (**ليرين الله روي بضم الياء**) التحتية (**وكسر الراء**) المهملة (**أي ليظهرن الله**

قوله: «ليرين الله»: روي بضم الياء وكسر الراء، أي ليظهرن اللَّهُ ذلك للناس، وروي بفتحهما ومعناه ظاهر، والله أعلم.

١١٠ - السادِسَ عشَرَ: عن أَبي مسعودٍ عُقْبَةَ بنِ عمرٍو الأَنصاريّ البدري رضي اللَّهُ عنه قال: لـمَّا نَزَلَتْ ءايةُ الصَّدقَةِ كُنَّا نُحَامِلُ عَلى ظُهُورِنا، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ فَقَالُوا: مُراءٍ، وجاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بصَاعٍ فقالُوا: إِنَّ اللّهَ لَغَنيٌّ عَن صاعِ هَذَا، فَنَزَلَتْ ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ ﴿٧٩﴾﴾

ذلك) الذي أصنعه من الجهاد في سبيله (**للناس، وروي بفتحهما ومعناه ظاهر**).

١١٠ - (السادس عشر: عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري) سكن بدرًا وشهد العقبة الثانية توفي بعد عليّ (**رضي الله عنه قال: لما نزلت ءاية الصدقة**) قال في «فتح الباري» كأنه يشير إلى قوله تعالى ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة التوبة] الآية (**كنا نحامل على ظهورنا**) قال الخطابي: يريد نكلف الحمل بالأجرة لنكتسب ما نتصدق به، (**فجاء رجل**) هو عبد الرحمٰن بن عوف (**فتصدق بشيء كثير**) كان ثمانية ءالاف درهم أو أربعة ءالاف درهم (**فقالوا مراء**) من المراءاة وهي العمل ليراه الناس فيكتسب منهم غرضًا دنيويًا (**وجاء رجل**) هو أبو عقيل، وقيل غيره (**فتصدق بصاع**) هو أربعة أمداد نبوية، وكان تحصيله له بأن أجر نفسه على النزع من البئر بالحبل بصاعين من تمر فذهب بصاع لأهله وتصدق بالآخر (**فقالوا: إن الله لغنيّ عن صاع هذا**) سمي من اللامزين (**فنزلت ﴿ٱلَّذِينَ﴾**) مبتدأ وخبره ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة التوبة] (﴿يَلۡمِزُونَ﴾) أي يعيبون (﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾) بتشديد الطاء المهملة وأصله المتطوعين أدغمت التاء في الطاء أي المتنفلين (﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ ﴿٧٩﴾﴾) طاقتهم

الآية [سورة التوبة]. **متفقٌ عليه.**

و«نحامل» بضم النون وبالحاء المهملة أي يحمل أحدنا على ظهره بالأجرة ويتصدق بها.

١١١ - السابعَ عشَرَ: عن سعيد بنِ عبد العزيز عن رَبيعةَ بنِ يزيدَ عن أَبي إِدريس الخَوْلاني عن أَبي ذَرّ جُنْدبِ بنِ جُنادَةَ رضي اللَّهُ عنه عن النَّبيّ ﷺ فيما رَوَى عَنِ الله تبارك وتعالى أَنه قال: «يا عِبَادِي إِنّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلى نَفْسِي

فيأتون به **(الآية)** إلى قوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة التوبة] **(متفق عليه)** ورواه النسائي **(ونحامل بضم النون وبالحاء المهملة)** وكسر الميم **(أي يحمل أحدنا على ظهره بالأجرة)** طلبًا لتحصيل ما يتوصل به إلى الصدقة **(ويتصدق بها)** طلبًا لمرضاة الله تعالى. فالصيغة للمبالغة، ففيه أن العبد يطيع مولاه جهده وطاقته وحسب قدرته واستطاعته.

١١١ - **(السابع عشر: عن سعيد بن عبد العزيز)** التنوخي مفتي دمشق وعالمها قرأ على ابن عامر وسمع مكحولًا وسأل عطاء لما حج. قال أحمد هو والأوزاعي عندي سواء. كان بكاءً خوافًا. وقال سفيان: ثقة ثبت، مات سنة سبع وستين ومائة من أبناء الثمانين **(عن ربيعة بن يزيد)** القصير يكنى ربيعة بأبي شعيب وهو فقيه أهل دمشق مع مكحول استشهد بإفريقية سنة اثنتي عشرة ومائة **(عن أبي إدريس الخولاني)** بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو نسبة لخولان قبيلة نزلت بالشام واسمه عائذ الله ولد يوم حنين ومات سنة ثمانين **(عن أبي ذرّ جندب ابن جنادة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ فيما روى)** عن جبريل عليه السلام **(عن الله تبارك وتعالى)** وهذا من الأحاديث القدسية **(أنه قال يا عبادي)** بكسر أوله وتخفيف ثانيه **(إنّي حرّمت الظلم على نفسي)** انعقد الإجماع على استحالة تصوّر الظلم في حقه تعالى إذ هو لغة وضع الشيء في غير محله. وعرفًا: التصرف في حق الغير بغير

وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُم مُحَرَّمًا فَلا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ،

حق، أو مجاوزة الحد وهو بمعنييه محال في حقه تعالى إذ ليس فوقه من يطيعه تعالى حتى يحدّ له حدًّا فيقال إنه جاوزه ولا حق لأحد معه سبحانه بل هو الذي خلق المالكين وأملاكهم وتفضل عليهم بها وحدّ لهم حدودًا وحرم وأحل فلا حاكم يتعقبه ولا حق يترتب عليه تعالى عن ذلك **(وجعلته بينكم محرّمًا)** أي حكمت بتحريمه عليكم وهذا مجمع عليه في كل ملة لاتفاق سائر الملل على مراعاة حفظ الأنفس فالأنساب فالأعراض فالعقول فالأموال. والظلم قد يقع في هذه أو بعضها وأعلاه الشرك. قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة لقمان] وهو المراد بالظلم في أكثر الآيات، ثم يليه المعاصي على اختلاف أنواعها **(فلا تظالموا)** بفتح التاء وتخفيف الظاء على الأشهر، وروي بتشديدها ففيه حذف إحدى التاءين وإدغامها في الظاء أي لا يظلم بعضكم بعضًا وهذا توكيد لقوله **(وجعلته بينكم محرّمًا)** وزيادة في تغليظ تحريمه **(يا عبادي)** كرّر النداء زيادة في تشريفهم ولذا أضافهم إليه وتنبيهًا على فخامة ما بعده، وجمعه لإفادة الاستغراق **(كلكم ضالّ)** أي غافل عن الشرائع قبل إرسال الرسل، أو ضال عن الحق لو ترك ونفسه **(إلا من هديته)** من الضلال بالتوفيق للإيمان بما جاءت به الرسل على المعنى الأول أو للوصول إلى الحق بالنظر الموصل إلى معرفة الله تعالى وامتثال ما جاء من عنده على المعنى الثاني قال النووي: «وفي هذا دليل لمذهب أصحابنا وسائر أهل السنة أن المهتدي هو من هداه الله وبهدى الله اهتدى وبإرادة الله تعالى ذلك، وأنه سبحانه أراد هداية بعض عباده وهم المهتدون، ولم يرد هداية الآخرين ولو أرادها لاهتدوا»، قال تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴿٩٩﴾﴾ [سورة يونس] **(فاستهدوني)** اطلبوا مني الهداية بمعنى الدلالة على طريق الحق والإيصال إليها معتقدين أنها لا تكون إلا من فضلي **(أهدكم)** أنصب لكم

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جائِعٌ إِلا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلا مَن كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

أدلة ذلك الواضحة وأوصل من شئت إيصاله في سابق العلم القديم الأزلي. وحكمة طلبه تعالى منا السؤال للهداية إظهار الافتقار منا والإذعان والإعلام بأنه لو هداه قبل أن يسأله لربما قال: إني أوتيته على علم عندي فيضلّ بذلك، فإذا سأل ربه فقد اعترف على نفسه بالعبودية ولمولاه بالربوبية، وهذا مقام شريف لا يتفطن له إلا الموفقون (**يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته**) لأن الناس كلهم عبيد لا ملك لهم في الحقيقة وخزائن الرزق بيده فمن لم يطعمه بفضله بقي جائعًا بعدله إذ ليس عليه إطعام أحد، فقوله تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴿٦﴾﴾ [سورة هود] التزام منه تفضلًا لا أنه عليه واجب بالأصالة، ولا يمنع نسبة الإطعام إليه ما يشاهد من ترتب الأرزاق على أسبابها الظاهرة من أنواع الكسب لأنه تعالى المقدر لتلك الأسباب الظاهرة بقدرته وحكمته الباطنة (**فاستطعموني**) أي سلوني واطلبوا مني الطعام (**أطعمكم**) أي أيسر لكم أسباب تحصيله إذ العالم جماده وحيوانه مطيع لله تعالى طاعة العبد لسيده فيسخر السحاب لبعض الأماكن ويحرّك قلب فلان لإعطاء فلان، ويحوج فلان لفلان، وفيه تأديب للفقراء (**يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم**) وفي هذا جميعه أوفى تنبيه وأظهر تقرير على افتقار سائر خلقه تعالى إليه وعجزهم عن جلب منافعهم ودفع مضارّهم إلا أن ييسر لهم ما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرّهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله (**يا عبادي إنكم تخطئون**) قال النووي: «بضم التاء، وروي بفتحها وفتح الطاء، يقال خطئ يَخْطَأُ إذا فعل ما يأثم به فهو خاطئ، ومنه قوله تعالى ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة يوسف] ويقال في الإثم أيضًا أخطأ فهما صحيحان» اهـ. والمخاطب بهذا هنا غير معصوم (**بالليل والنهار**) هو من باب

وأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَن تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَن تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَءاخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ كَانُوا عَلى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُم مَا زَادَ ذلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَءاخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كانُوا عَلى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذٰلِكَ مِن مُلْكِي شَيئًا،

المقابلة (**وأنا أغفر الذنوب جميعًا**) ما عدا الشرك والذي لا يشاء مغفرته قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة النساء] (**فاستغفروني أغفر لكم**) أصل الغفر الستر فغفر الذنب ستره ومحو أثره وأمن عاقبته (**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**) لما قام من الإجماع والبرهان على أنه تعالى منزّه مقدس غنيّ بذاته لا يمكن أن يلحقه ضرّ ولا نفع فهو تعالى إن أحسن إلى عباده بغاية وجوه الإحسان غير محتاج إلى مكافأتهم بجلب نفع أو دفع ضرّ، ومن ثم قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات] ونفع عباداتهم إنما يعود عليهم كما قال تعالى (﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ ﴿٤٦﴾﴾) ومحبته تعالى لها لكمال رحمته بهم ورأفته عليهم. والمعنى لا يتعلق بي ضرّ ولا نفع فتضروني أو تنفعوني لأنه تعالى غنيّ مطلق والعبد فقير مطلق (**يا عبادي لو أن أولكم وءاخركم وإنسكم**) سموا بذلك لظهورهم أو أنهم يؤنسون (**وجنكم**) سموا به لاجتنانهم أي اختفائهم (**كانوا على**) تقوى (**قلب أتقى رجل واحد منكم**) وفي نسخة «على أنقى قلب رجل» وكذا قرينه الآتي، قيل أراد به هنا محمدًا ﷺ (**ما زاد ذلك في ملكي شيئًا**) أي لا يعود نفع ذلك إلى الله بأن يزيد في ملكه، بل نفعه قاصر على فاعله (**يا عبادي لو أن أولكم وءاخركم وإنسكم وجنكم كانوا على**) فجور (**أفجر قلب رجل واحد**) أي على صورته (**ما نقص ذلك**) العصيان (**من**) كمال (**ملكي شيئًا**) ففي ذلك

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَءاخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِد فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذٰلِكَ مما عِنْدِي إلا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّما هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ

إشارة إلى أن ملكه تعالى على غاية الكمال، لا يزيد بطاعة جميع الخلق وكونهم على أكمل صفات البر والتقوى، ولا ينقص بمعصيتهم لأنه تعالى الغنيّ المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله، الكامل فلا نقص يلحقه بوجه (**يا عبادي لو أن أولكم وءاخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد**) أي أرض واحدة ومقام واحد (**فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك**) أي إعطاء كل سائل مسئوله (**مما عندي**) من الخزائن الإلٰهية (**إلا كما ينقص المخيط**) هو بكسر فسكون ففتح الإبرة (**إذا أدخل البحر**) وهو في رأي العين لا ينقص شيئًا من البحر، فكذا الإعطاء من الخزائن الإلٰهية لا ينقصها شيئًا ألبتة لأنها من رحمته وكرمه وهما صفتان قديمتان ولا نهاية لهما، والنقص مما لا يتناهى محال بخلافه مما يتناهى كالبحر وإن جلّ وعظم وكان أكبر المرئيات في الأرض بل قد يؤخذ العطاء الكثير من المتناهي ولا ينقص كالنار والعلم تقتبس منهما ما شاء الله ولا ينقص منهما شيء، بل قد يزيد العلم على الإعطاء، فعلم أن قوله: «إلا كما ينقص المخيط» إلخ ليس المراد منه حقيقته وإنما هو تمثيل يقرب إلى الفهم ليعلم منه أنه لا ينقص في تلك الخزائن ألبتة لا لعدم نقص ماء البحر من غرز المخيط، وفي هذا تنبيه وأيّ تنبيه للخلق على إدامتهم لسؤاله تعالى مع إعظام الرغبة وتوسيع المسألة فلا يختصر سائل بل يسأل ما أحب لما تقرّر أن خزائن النعم سحاء الليل والنهار لا ينقصها الإعطاء وإن جلّ وعظم (**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها**) أي أضبطها (**لكم**) بعلمي وملائكتي الحفظة واحتيج إليهم معه لا لنقصه عن الإحصاء بل ليكونوا شهداء بينه وبين خلقه، وقد يضم إليهم شهادة الأعضاء زيادة في العدل، والحصر

ثُمَّ أُوَفّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَن وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللّهَ، وَمَن وَجَدَ غَيْرَ ذلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلا نَفْسَهُ». قَالَ سعيدٌ: كان أَبو إِدريسَ إِذا حدَّثَ بهذا الحديث جَثَا عَلى رُكبتيه. رواه مسلم. وروينا عن الإِمام أَحمد بن حنبل رحمه الله قال: ليس لأَهل الشام حديثٌ أَشرفُ من هذا الحديث.

المستفاد من إنما هو بالنسبة لجزاء العمل، (**ثم أوفيكم إياها**) أي جزاءها في الآخرة على حد ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ﴿١٨٥﴾﴾ [سورة ءال عمران] (**فمن وجد خيرًا**) أي ثوابًا ونعيمًا بأن وفق لأسبابهما أو حياة طيبة هنيئة مريئة (**فليحمد الله**) على توفيقه للطاعات التي ترتب عليها ذلك الخير والثواب فضلًا منه ورحمة، وعلى إسدائه ما وصل إليه من عظيم المبرّات، (**ومن وجد غير ذلك**) أي شرًّا ولم يذكره بلفظه تعليمًا لنا كيفية الأدب في النطق بالكتابة عما يؤذي، ومثله ما يستقبح ويستحى من ذكره، وإشارة إلى أنه إذا اجتنب لفظه فكيف الوقوع فيه وإلى أنه تعالى حَيِيٌّ كريم يحبّ الستر ويغفر الذنب فلا يعاجل بالعقوبة ولا يهتك الستر (**فلا يلومن إلا نفسه**) فإنها ءاثرت شهواتها ومستلذاتها على رضا مولاها فاستحقت أن يعاملها بمظهر عدله، وأن يحرمها مزايا جوده وفضله والحاصل أن المعاصي التي ترتب عليها العقاب وإن كانت بقدر الله وخذلانه فهي بكسب العبد فليلم نفسه لتفريطه بالكسب القبيح (**قال سعيد**) بن عبد العزيز (**كان أبو إدريس إذا حدث بهذا الحديث جثا**) بالمثلثة بعد الجيم أي جلس (**على ركبتيه**) تعظيمًا له وإجلالا (**رواه مسلم**) وهو حديث عظيم رباني مشتمل على قواعد عظيمة في أصول الدين وفروعه وءادابه ولطيف الغيوب وغيرها، وقد أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والترمذي (**وروينا عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قال: ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث**).

١٢ - باب في الحث على الازدياد من الخير في أواخر العمر

قال الله تعالى ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة فاطر]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما والمحقّقونَ: مَعْنَاهُ: أَولَمْ نُعمِّركمْ سِتِّينَ سنةً. ويُؤيّدُهُ الحديثُ الذي سنذكُرُه إِن شاءَ اللّه تعالى؛ وقيل: معناه ثماني عشرة سنةً؛ وقيل: أَرْبعِين سنةً، قالهُ الحسن والكلبي ومسْرُوق، ونقل عن ابن عباس أَيضًا،

---

١٢ - باب الحث

بالمثلثة: أي الحض **(على الازدياد من الخير)** أي الطاعات والبر الموصلة إلى مرضاة الله عزّ وجل **(في أواخر العمر)** لأنه أوان الختام وبحسنه تحصل ثمرات الطاعات وبركات الحسنات.

(قال الله تعالى ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾) هو استفهام توبيخ وتقرير **(﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾)** ما موصولة أي المدة التي يتذكر فيها المتذكر، **(﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴿٣٧﴾﴾)**. قال البيضاوي: عطف على معنى «﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾» فإنه للتقرير كأنه قيل عمرناكم وجاءكم النذير. **(قال ابن عباس رضي الله عنهما والمحققون)** من المفسرين **(معناه أولم نعمركم ستين سنة، ويؤيده الحديث الذي سنذكره)** أول أحاديث الباب **(إن شاء الله تعالى وقيل معناه)** أولم نعمركم **(ثماني عشرة سنة)** قال ابن الجوزي في «زاد المسير»، قاله عطاء ووهب بن منبه وأبو العالية وقتادة اهـ. قال قتادة: طول العمر حجة **(وقيل: أربعين سنة قاله الحسن)** أي البصري ومحمد بن السائب **(والكلبي ومسروق)** بن سعيد **(ونقل)** ذلك **(عن ابن عباس أيضًا)** أخرجه ابن جرير عن مجاهد عنه قال: العمر الذي أعذر الله إلى ابن ءادم أربعون سنة، واختاره ابن جرير ونقله غيره، وكأنه أخذه من

ونَقلوا أَنَّ أَهْل المدينَةِ كانوا إِذا بلَغ أحدُهُمْ أَرْبَعِينَ سنةً تَفَرَّغ للعِبادةِ؛ وقيل: هو الْبُلُوغُ. وقوله تعالى ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴿٣٧﴾﴾ قال ابن عباس والجمهور: هو النبيُّ ﷺ، وقيل: الشَّيب، قاله عِكْرمةُ وابنُ عُيينَةَ وغيرُهُما. والله أَعلم.

قوله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً ﴿١٥﴾﴾ [سورة الأحقاف] **(ونقلوا أن أهل المدينة كانوا إذا بلغ أحدهم أربعين سنة)** تخلى عن العلائق والعوائق، و**(تفرّغ للعبادة)** وإلى هذا المعنى رمز بعضهم بقوله:

إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الزمان عن الصغار

قال القرطبي في «التفسير»: قال ابن مالك: أدركت أهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا والعلم ويخالطون الناس حتى إذا بلغوا أربعين سنة تركوا المخالطة واشتغلوا بالعبادة حتى يأتيهم الموت **(وقيل: هو البلوغ)** أي سنه. وهذا القول نقله البغوي والخازن في «التفسير» ولم يعينا قائله، وسنه عند إمامنا الشافعي خمس عشرة سنة وعند الإمام أبي حنيفة ثماني عشرة سنة. أما الاحتلام وإمكانه فهو بعد استكمال التسع.

(وقوله تعالى ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴿٣٧﴾﴾. قال ابن عباس والجمهور) أي جمهور العلماء ومنهم زيد بن علي وابن زيد، حكاه عنهما القرطبي **(هو النبيّ ﷺ)** قال القرطبي: لأن الله تعالى بعثه بشيرًا ونذيرًا إلى عباده قطعًا لحجتهم، قال: لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل **(وقيل)** هو **(الشيب قاله)** ابن عباس و**(عكرمة و)** سفيان **(بن عيينة وغيرهما)** كوكيع والحسين بن الفضل والفراء والطبري ذكره القرطبي، واقتصر عليه البخاري في كتاب الرقاق من «صحيحه»، قال: والشيب نذير لأنه يأتي في سنّ الاكتهال وهو علامة لمفارقة سن الصبا الذي هو سن اللهو واللعب قال:

رأيتُ الشَّيْبَ مِنْ نُذُرِ المَنَايا لصاحبه وَحَسْبُكَ مِنْ نذيرِ

(والله أعلم)

وأَمَّا الأَحاديث:

١١٢ - فالأَوَّلُ: عن أَبي هُرَيْرَة رضي اللَّهُ عنه عن النَّبيّ ﷺ قال: «أَعْذَرَ اللَّهُ إِلى امْرِئ أَخَّرَ أَجلَه حتى بَلَغ سِتّينَ سنَةً». رواه البخاري.

قال العلماءُ معناه: لَمْ يتْرُكْ لَه عُذْرًا إِذا أَمْهَلَهُ هذِهِ المُدَّةَ. يُقال: أَعْذَرَ الرَّجُلُ إِذا بلغَ الغاية في الْعُذْرِ.

١١٣ - الثاني: عن ابن عباسٍ رضي اللَّهُ عنهما قال: كانَ عمرُ رضي اللَّهُ عنه يُدْخِلُني مَع أَشْياخِ بدْرٍ فَكأَنَّ بعْضهُمْ وجَدَ في نَفْسِهِ

---

١١٢ - **(وأما الأحاديث)** النبوية. **(ف)** الحديث **(الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: أعذر الله إلى امرئ)** أي شخص **(أخر)** بتشديد المعجمة **(أجله حتى بلغ ستين سنة. رواه البخاري. قال العلماء: معناه)** أزال عذره ف **(لم يترك له عذرًا)** يعتذر به في ترك صالح الأعمال **(إذا أمهله هذه المدة)** فالهمزة للسلب **(يقال)** في كلام العرب **(أعذر الرجل)** بالرفع **(إذا بلغ الغاية في العذر)**. قال الحافظ العسقلاني: «الإعذار إزالة العذر، والمعنى أنه لم يبق له اعتذار كأن يقول: لو مدّ لي في الأجل لفعلت ما أمرت به، وإذا لم يكن له عذر في ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذي حصل له فلا ينبغي له حينئذٍ إلا الاستغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية ونسبة الإعذار إلى الله تعالى مجازية والمعنى أن الله لم يترك للعبد سببًا في الاعتذار يتمسك به».

١١٣ - **(الثاني: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدر)** أحد جموع شيخ، والمراد منه ذوو الأسنان من الصحابة البدريين وهم من أفاضل الصحابة وأكارمهم أي يدخله معهم في المشورة والمهمات وإدخاله معهم مع كبر سنهم لكبر قدره بما عنده من العلوم والمعارف، وقد كان يسمى البحر لسعة علمه **(فكأن)** بتشديد النون **(بعضهم)** قال ابن النحوي هو عبد الرحمٰن بن عوف كما صرح به البخاري في موضع ءاخر **(وجد)** غضب **(في نفسه)**

فقال: لِمَ يدْخُلُ هَذَا معنا ولنَا أَبْنَاءٌ مِثْله؟ فقال عمرُ: إِنَّه من حيْثُ علِمْتُمْ، فدَعاني ذاتَ يَوْم فَأَدْخلَني معهُمْ فما رأَيْتُ أَنَّه دعاني يوْمَئِذٍ إلا لِيُرِيَهُم، قال: ما تقولُون في قول الله تعالى ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [سورة النصر]، فقال بَعضُهُمْ: أُمِرْنَا نَحْمَدُ اللّهَ ونَسْتَغْفِرُه إِذَا نَصَرَنَا وفَتَحَ علَيْنَا، وسكَتَ بعضهُمْ فلم يقُلْ شيئًا. فقال لي: أَكَذلك تقول يا ابنَ عباسٍ؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هُو أَجَلُ رسولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَه له قال ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾

من ذلك (**فقال**) له (**لم تدخل**) بضم الفوقية وكسر الخاء المعجمة، وفي نسخة «يدخل» بفتح التحتية وضم المعجمة (**هذا معنا، ولنا أبناء مثله**) في السن، (**فقال عمر: إنه من حيث علمتم**) أي من بيت النبوّة ومنبع العلوم ومصدر الآراء السديدة، ثم أراد زيادة بيان لشرفه بكثرة علمه المقتضي لتقدمه (**فدعاني ذات يوم فأدخلني معهم، فما رأيت**) علمت بقرائن الأحوال (**أنه دعاني يومئذٍ إلا ليريهم**) بضم التحتية الأولى أي يعلمهم مني ما أستحق به الإدخال مع الشيوخ البدريين (**قال: ما تقولون في قوله تعالى ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله**) بفتح النون والميم (**ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا**) جعل هذا القائل الخطاب بالسورة شاملًا لجميع الأمة (**وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، فقال لي**) عمر (**أكذلك**) أي كما يقول هؤلاء مما ذكر (**تقول يا ابن عباس فقلت لا**) أي لا أقول ذلك (**قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له**) أي للنبيّ ﷺ أي إن المراد من السورة تنبيهه على ما يعرف به قرب أجله وعلى ما يأتي به حينئذٍ (**قال ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾**) نبيَّه ﷺ على أعدائه (﴿وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾) فتح مكة، ﴿وَرَأَيْتَ﴾ أي أبصرت ﴿ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ أي الإسلام ﴿أَفْوَاجًا ۝٢﴾ جماعات بعدما كان يدخل فيه واحد بعد واحد وذلك بعد فتح مكة

وذلك علامة أَجلِك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [سورة النصر]، فقال عمر رضي اللَّهُ عنه: ما أَعْلَم منها إِلا ما تَقُولُ. رواه البخاري.

١١٤ - الثالثُ: عن عائشةَ رضي اللَّهُ عنها قالت: ما صَلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ صلاةً بعْدَ أَن نزلَتْ علَيْهِ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ إِلا يقولُ فيها: «سُبْحانَكَ ربَّنَا وبحمْدِكَ،

(وذلك) أي النصر وما بعده (علامة) قرب انتهاء (أجلك). قال البيضاوي في «التفسير»: لعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال أمر الدين فهي كقوله تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴿٣﴾﴾ [سورة المائدة] أو لأن الأمر بالاستغفار ينبه على دنوّ الأجل أي لأنه يكون في خواتم الأمور ولذا كان ﷺ يستغفر بعد صلاته، وإذا خرج من الخلاء وإذا أفاض ولذا سميت سورة التوديع. والأكثر على أن هذه السورة نزلت قبل فتح مكة وأنه نعي لرسول الله ﷺ اهـ.

(﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴿٣﴾﴾) أي متلبسًا (﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾) على العباد، وكان ﷺ بعد نزول هذه السورة يكثر من قوله: «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي» وفي رواية «أستغفرك وأتوب إليك» كما يأتي في الحديث عقبه (فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول. رواه البخاري) والترمذي، أي فأشار إلى أن سبب تقديمه له على إخوانه وأقرانه هو سعة علمه وكمال فهمه، وأن التقدم بالمعنى المقتضي له وإن صغر السن.

١١٤ - (الثالث، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما صلى رسول الله ﷺ صلاة بعد أن نزلت) بالبناء للفاعل (عليه ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾) وتسمى سورة النصر (إلا يقول فيها) أي في ركوعها وسجودها كما يأتي في الحديث بعده (سبحانك) أي تنزيهًا لك عما لا يليق بك من كل نقص (ربنا) وفي نسخة: «اللهم» أي يا الله (وبحمدك) الواو للحال ومتعلق الظرف محذوف: أي متلبسًا بحمدك من أجل توفيقك

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي». متفقٌ عليه.

وفي روايةٍ في «الصحيحين» عنها: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَن يَقُولَ في ركُوعِه وسُجُودِهِ: «سُبْحانكَ اللَّهُمَّ ربَّنَا وَبحمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي» يتأَوَّلُ الْقُرْءان.

معنى «يتأول القرءان» أي يعمل ما أمر به في القرءان في قوله تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ ﴿٣﴾﴾.

وفي روايةٍ لمسلم: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُكثِرُ أن يَقولَ قبْلَ أَن يَمُوتَ: «سُبْحانَكَ وبِحمْدِكَ أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ».

لي، وقيل: عاطفة لجملة على جملة أي أنزهك وأتلبس بحمدك، وقدم التسبيح على التحميد لأنه تنزيه عن النقائص، والحمد ثناء بصفات الكمال، والتخلية مقدمة على التحلية (**اللهم اغفر لي**) أي ما هو نقص بالنظر إلى عليّ مقامي وإن لم يكن ذنبًا في نفس الأمر (**متفق عليه. وفي رواية في «الصحيحين» عنها**) أيضًا (**كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا**) أي يا ربنا (**وبحمدك اللهم اغفر لي**) وتقدم وجه عدم أخذ الفقهاء بقضية هذا الحديث حيث قالوا: إنه يقول في الركوع سبحان ربي العظيم، وفي السجود سبحان ربي الأعلى، دون ما ذكر في هذا الحديث من أن ما ذكروه هو ما واظب عليه ﷺ طول عمره وغيره مما ضمه إليه تارة واقتصر عليه أخرى كان في بعض الأوقات (**معنى**) قولها (**يتأول القرءان أي**) أي هذه تفسيرية وما بعدها عطف بيان لما قبلها أو بدل منه فلا يظهر موقعها فإن قوله: (**يعمل ما أمر به في القرءان في قوله تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ ﴿٣﴾﴾**) وقال الحافظ العسقلاني: معنى يتأول القرءان يخص عمومه ببعض الأحوال (**وفي رواية لمسلم: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت**) أي بعد نزول هذه السورة (**سبحانك وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك**) هذا من مزيد خضوعه ﷺ لربه وانطراحه بين يديه ورؤية التقصير في أداء مقام العبودية وحق

قالت: قلت: يا رسولَ اللَّهِ ما هذِهِ الكلِمَاتُ الَّتي أَرَاكَ أَحدَثْتَها تَقولُها؟ قال: «جُعِلَتْ لي علامةٌ في أُمَّتي إذا رَأَيْتُها قُلتُها ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ **إلى ءاخر السورة»**.

وفي روايةٍ له: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ مِن قَوْلِ: «سُبْحَانَ اللّهِ وبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللّهَ وأَتُوبُ إِلَيْه». قالت: فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أَراكَ تُكْثِرُ مِن قَوْلِ: سُبْحَانَ اللّهِ وبحمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللّهَ وأَتُوبُ إِليْهِ؟ فقال: «أَخْبرَني ربّي أَنّي سأَرَى علاَمَةً في أُمَّتي فَإِذا رأَيْتُها أَكْثَرْتُ مِن قَوْلِ: سُبْحانَ اللّهِ وبحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَد رَأَيْتُها: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ **فَتْحُ مَكَّةَ،** ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾.

الربوبية **(قالت)** أي عائشة **(قلت يا رسول الله ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها قال جعلت)** بالبناء للمفعول **(لي علامة في أمتي إذا رأيتها)** بصرتها أو عرفتها **(قلتها)** والعلامة المذكورة هي (﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ **إلى ءاخر السورة. وفي رواية له)** أي لمسلم عنها **(كان رسول الله ﷺ يكثر من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، قالت: وقلت يا رسول الله أراك)** أي أبصرك حال كونك **(تكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، فقال: أخبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي فإذا رأيتها أكثرت)** بضم التاء فيهما **(من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه)** أي وإكثار ذلك عند رؤيا العلامة إما باعتبار عظم النعمة المرتب عليها ذلك المقتضي للتكثير زيادة في العظم، أو باعتبار صيغة التفعيل في سبح وهي للكثرة واستحبّ ذلك فيما عطف عليه لاقترانه به ولقوله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ المعلل به طلب الاستغفار **(فقد رأيتها)** ثم بين العلامة بقوله (﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ - **فتح مكة** - ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾).

١١٥ - الرابعُ: عن أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه قال: إِنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ تَابعَ الوحْيَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ حتَّى تُوُفِّي أَكْثَرَ مَا كانَ الْوَحْيُ. متفقٌ عليه.

١١٦ - الخامسُ: عن جابرٍ رضي اللَّهُ عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «يُبْعثُ كُلُّ عبْدٍ على ما مَاتَ علَيْهِ». رواه مسلم[1].

---

١١٥ - (**الرابع: عن أنس رضي الله عنه قال: إن الله عزّ**) غلب فلا يغالب على مراده (**وجل**) عما لا يليق بشأنه (**تابع الوحي على رسول الله** ﷺ) فيه الإظهار في مقام الإضمار إشارة إلى كمال التشريف له ﷺ وتبركًا بذكر اسمه تعالى وتلذذًا به (**قبل**) وفي نسخة قبيل بالتصغير (**وفاته**) وذلك لتكمل الشريعة ولا يبقى مما يوحى إليه به شيء (**حتى**) غاية للمبالغة (**توفي**) بالبناء للمجهول (**أكثر ما كان الوحي**) أي وقت أكثريته ولما تكامل ما أريد إنزاله للعالم مما به انتظام معاشهم ومعادهم قال تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴿٣﴾﴾ [سورة المائدة] فتوفي بعده ﷺ بأشهر (**متفق عليه**).

١١٦ - (**الخامس: عن جابر**) بن عبد الله (**رضي الله عنه قال: قال النبي** ﷺ) وفي نسخة «رسول الله ﷺ» (**يبعث**) بالبناء للمفعول (**كل عبد**) والمراد منه المكلف ولو حرًا وامرأة كما تقدم (**على ما مات عليه**) حتى يبعث صاحب المزمار ومزماره في يده، ففيه تحريض للإنسان على حسن العمل وملازمة السنن المحمدي في سائر الأحوال والإخلاص لله تعالى في الأقوال والأعمال ليموت على تلك الحالة الحميدة فيبعث كذلك. وفي ختم المصنف هذا الباب بهذا الحديث كمال الحسن فإنه محرّض على تحسين العمل والازدياد من الطاعات في سائر الأوقات لاحتمالها للموت، وفي أواخر العمر وسنّ الكبر وحال المرض أولى، فالحديث المذكور واسطة العقد وختامه مسك (**رواه مسلم**) ورواه ابن ماجه.

---

(١) في النسخة الخطية الثانية: «رواه البخاري».

١٣ - باب في بيان كثرة طرق الخير

قال الله تعالى ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [سورة البقرة]، **وقال تعالى** ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾ [سورة الزلزلة]، **وقال تعالى** ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الجاثية]. **والآيات في الباب كثيرةٌ.**

وأَمَّا الأَحاديث فكثيرة جدًّا وهي غير منحصرة فنذكر طرفًا منها:

١١٧ - الأَوَّلُ: عن أَبي ذَرّ جُنْدَب بنِ جُنَادَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قلت: يا رسولَ اللَّهِ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟

---

١٣ - باب في بيان كثرة طرق الخير

وتنويعها ليدوم نشاط السالك وجده في المعاملات، فإذا ملَّ من عمل اشتغل بغيره فأنفق أوقاته في مرضاة مولاه.

(**قال الله تعالى** ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ **وقال تعالى** ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾) تقدم الكلام فيهما في باب المجاهدة.

(**وقال تعالى** ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا ﴿١٥﴾﴾) وجه دلالة الآيات على كثرة أعمال البرّ أن في كل منها نكرة في سياق الشرط وهي كذلك للعموم. والأصح أن العموم في قوة قضايا كلية تعددت بتعدد أفرادها (﴿فَلِنَفْسِهِۦ ﴿١٥﴾﴾) أي فنفع عمله لها (**والآيات**) القرءانية (**في الباب**) أي باب تعدد طرق الخير (**كثيرة**).

(**وأما الأحاديث**) النبوية في هذا المعنى (**فكثيرة جدًا**) بالكسر أي بلغت النهاية في الكثرة، وأكد ذلك بقوله: (**وهي غير منحصرة**) مبالغة في الكثرة، وهذا فيه تجوّز كما لا يخفى (**فنذكر طرفًا منها**) أي جانبًا.

١١٧ - الحديث (**الأول: عن أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟**) أي أكثر ثوابًا عند الله تعالى

قال: «الإيمانُ باللّهِ وَالجِهَادُ في سَبِيلِهِ». قُلْتُ: أَيُّ الرّقَابِ أَفْضَلُ؟ قال: «أَنْفَسُهَا عِنْد أَهْلِهَا وأَكثَرُهَا ثَمَنًا». قُلْتُ: فَإِن لَمْ أَفْعلْ؟ قال: «تُعينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ». قُلْتُ: يا رسولَ اللَّهِ أَرَأَيتَ إِن ضَعُفْتُ عَن بَعْضِ الْعملِ؟ قال: تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنها

(**قال: الإيمان بالله**) إذ جزاؤه الخلود في الجنان ورضا الرحمٰن ولا شيء فوق ذلك (**والجهاد في سبيله**) لإعلاء كلمته (**فقلت: أيّ الرقاب أفضل؟**) أي أكثر ثوابًا لمن أعتقها (**قال: أنفسها**) بفتح الفاء من النفاسة (**عند أهلها**) أي أرفعها وأجودها، يقال مال نفيس أي مرغوب فيه (**وأكثرها ثمنًا**) عندهم لأن ذلك أحبّ إليهم وقد قال تعالى ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة ءال عمران] قال النووي: وهذا إذا أراد أن يعتق رقبة، أما لو كان معه ألف درهم وأمكنه أن يشتري بها رقبتين مفضولتين ورقبة نفيسة مثمنة قال: فثنتان أفضل وهذا بخلاف الأضحية فإن التضحية بسمينة أفضل منها بشاتين دونها في السمن لأن القصد من الأضحية اللحم ولحم السمين أوفر، ومن العتق تكميل حال الشخص وتخليصه من الرق، فتخليص جماعة أفضل من تخليص واحد اهـ (**قلت: فإن لم أفعل**) أي ما ذكر من الجهاد والعتق لا الإيمان لأنه شرط لنيل الثواب في الآخرة على صالح الأعمال أي فإن لم أقدر على ذلك فأطلق الفعل وأراد القدرة (**قال: تعين صانعًا أو تصنع**) أي صنعك (**لأخرق**) بالمعجمة فالراء فالقاف. قال النووي في «شرح مسلم»: هو الذي ليس بصانع يقال رجل أخرق وامرأة خرقاء فإن كان صانعًا حاذقًا قيل رجل صنع بفتح الصاد والنون، وامرأة صناع بفتح الصاد (**قلت: يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل**) المذكور من الإعانة والصنع أو مطلق العمل المأمور بالتعبد به أي أخبرني إن عجزت عن فعل ذلك فما الطريق الموصل إلى تزايد الثواب على شيء مما أقدر عليه (**قال: تكفّ شرك عن الناس**) قاصدًا سلامة الناس من ذلك لامتثال أمر الله تعالى بذلك، وهذا شرط في حصول الأجر هنا (**فإنها**) أي

صدقةٌ مِنْكَ على نَفسِكَ». متفقٌ عليه.

«الصانع» بالصاد المهملة هذا هو المشهور وروي «ضائعًا» بالمعجمة، أي ذا ضِياعٍ من فقرٍ أو عيال ونحو ذلك. «والأخرق»: الذي لا يتقن ما يحاول فعله.

١١٨ - الثاني: عن أَبي ذَرّ أيضًا رضي اللّهُ عنه أَنَّ رسُولَ اللّه ﷺ قال: «يُصْبِحُ على كلّ سُلامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صدقَةٌ، فَكُلُّ تَسبِيْحةٍ صَدقَةٌ،

الخصلة أو الكفّ (**صدقة منك على نفسك. متفق عليه**) وهذا لفظ مسلم (**الصانع**) في قوله: تعين صانعًا (**بالصاد المهملة**) وبالنون بعد الألف (**هذا**) الضبط (**هو**) الصحيح عند العلماء كما في «شرح مسلم» (**المشهور**) أي بينهم في الضبط لصحته وإلا فالأكثر على أنه بالمعجمة كما ذكره في «شرح مسلم» أيضًا؛ وأشار إليه هنا بقوله (**وروي ضائعًا بالمعجمة**) والهمزة بعد الألف (**أي ذا**) أي صاحب (**ضياع**) بكسر الضاد من الضيعة الفقر والحاجة (**من**) تعليلية (**فقر أو عيال ونحو ذلك والأخرق الذي لا يتقن ما يحاول فعله**) هو بمعنى ما تقدم عن «شرح مسلم» لأن من لا يتقن الصنعة ليس بصانع.

١١٨ - (**الثاني: عن أبي ذرّ أيضًا رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يصبح على كل سلامى**) أي كل عظم ومفصل (**من أحدكم**) إذا أصبح سليمًا من الآفات باقيًا على الهيئة التي تتم بها منافعه وأفعاله (**صدقة**) عظيمة شكرًا لله تعالى على عظيم منته على أن الصدقة تدفع البلاء، فبوجودها عن أعضائه يرجى دوام اندفاع البلاء عنها و(**على**) في الخبر لتأكيد الندب (**فكل تسبيحة صدقة**) وأيد بأنه روى أحمد وأبو داود عن بريدة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «في الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلًا، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه صدقة، قال: ومن يطيق ذلك يا نبي الله قال: النخاعة في المسجد تدفنها صدقة، والشيء

وكُلُّ تحمِيدَةٍ صدقَةٌ، وكُلُّ تهْلِيلَةٍ صَدَقةٌ، وكلُّ تَكْبِيرةٍ صدَقَةٌ، وأَمْرٌ بالمعْرُوفِ صدقَةٌ، ونَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صدقَةٌ. ويُجْزِئ مِن ذَلكَ رَكعَتَانِ يركَعُهُما مِنَ الضُّحى». رواه مسلم.

«السلامى»: بضم السين المهملة وتخفيف اللام وفتح الميم: المِفصَل.

تنحيه عن الطريق صدقة، فإن لم تجد فركعتا الضحى تجزيك» (**وكل تحميدة**) أي ثناء على الله تعالى بأوصافه العلية نحو الحمد لله (**صدقة، وكل تهليلة**) أي قول لا إلٰه إلا الله (**صدقة، وكل تكبيرة**) أي قول الله أكبر (**صدقة، وأمر**) بالجر عطف على مدخول كل (**بالمعروف**) ما أمر به الشرع (**صدقة، ونهي عن المنكر**) وهو ما أنكره الشرع (**صدقة**) وحكمة إسقاط كل قبل أمر ونهي مع أنهما نوعان غير ما قبلهما الإشارة إلى ندرة وقوعهما بالنسبة إلى ما قبلهما لاسيما المعتزل عن الناس (**ويجزئ**) قال العراقي في «شرح التقريب»: يجوز فتح أوله بغير همز ءاخره وضمه مع همزه، فالفتح من جزى يجزي أي كفى، والضم من الإجزاء وبهما ضبط في هذا الحديث اهـ. (**من ذلك**) أي عما ذكر أو بدله (**ركعتان يركعهما من**) صلاة (**الضحى**) وظاهر الخبر إجزاؤهما عما ذكر قبله وإن تمكن منه، وظاهر أن الذي تقوم ركعتا الضحى مقامه من الأمر بالمعروف وقرينه إنما هو المندوب كأن قام بالفرض منه غيره وكان في كلامه تأكيد لذلك الأمر وتقوية له، وأما الواجب فلا تقوم الركعتان مقامه ولا ترفعان عنه إثم الترك.

وفي الحديث عظم فضل صلاة الضحى لتحصيلها هذا الثواب الجزيل وقيامها مقام هذه الأفعال، فينبغي المداومة عليها، وكان سبب قيامها مقام ذلك لاشتمال الركعتين على جميع ما تقدم حتى الأخيرين إذ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (**رواه مسلم**) وأخرجه أبو داود والنسائي وأبو عوانة وابن خزيمة وابن حبان (**السلامى بضم السين المهملة وتخفيف اللام وفتح الميم**) في «النهاية» أنها جمع سلامية: وهي الأنملة من أنامل المفصل، وقيل: جمعه ومفرده واحد ويجمع على سلاميات اهـ (**المفصل**) بكسر أوله وفتح ثالثه المهمل، والمراد بها

١١٩ - الثَّالثُ وَعنْهُ أيضًا رضيَ اللَّهُ عنهُ قال: قال النبيُّ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمالُ أُمَّتي حَسَنُهَا وسيّئُهَا، فوَجدْتُ في مَحاسِنِ أَعْمالِهَا الأَذَى يُماطُ عنِ الطَّرِيقِ، وَوجَدْتُ في مَساوِئ أَعْمالِها النُّخَاعَةَ تَكُونُ في المَسْجِدِ لا تُدْفَنُ». رواه مسلم.

١٢٠ - الرابعُ وَعنه رضيَ اللَّهُ عنهُ: أَنَّ ناسًا قالوا: يا رسُولَ اللّه ذَهَب أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ،

العضو وفي «النهاية»: قيل: هي التي بين كل مفصلين من أصابع الإنسان، وظاهر أن ما ذكر في بيان معناه لغة، وإلا فالمراد منه هنا كما قال المصنف في «شرح مسلم» سائر عظام البدن ومفاصله.

١١٩ - (الثالث: وعنه أيضًا رضي الله عنه قال: قال النبيّ ﷺ: عرضت) بالبناء للمفعول **(عليّ)** بتشديد الياء **(أعمال أمتي حسنها وسيئها)** بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل **(فوجدت)** أي رأيت **(في محاسن أعمالها الأذى)** كالحجر والشوك **(يماط)** بالبناء للمفعول أي ينحى **(عن الطريق)** لئلا يؤذي المارة، ففيه التنبيه على فضل كل ما نفع الناس أو أزال عنهم ضررًا **(ووجدت في مساوئ)** بفتح الميم أي سيئات **(أعمالها)** السيئة، فهو من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف **(النخاعة)** قال في «مختصر النهاية»: وهي البزقة التي تخرج من أصل الفم مما يلي النخاع؛ والنخامة البزقة التي تخرج من أقصى الحلق من مخرج الخاء المعجمة اهـ. **(تكون في المسجد)** في محل الصفة، فلا تزال بدفن أو كشط **(رواه مسلم)**.

١٢٠ - (الرابع وعنه رضي الله عنه: أن ناسًا) هذا أصل ناس وتحذف همزته ويعوض عنها أل ولذا لا يجمع بينهما وهو اسم جمع كرجال، وذكر المصنف في «الأربعين» وصف الناس بأنهم من أصحاب النبيّ ﷺ وسكت عن ذلك هنا لعلمه من السياق، فإن سؤالهم له المتفرّع على اجتماعهم مسلمين به وهو المراد من الصحابي، يدل عليه **(قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور)** لكثرة أعمالهم فإنهم

يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قال: «أَوَلَيْس قَد جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ، إِنَّ بِكُلّ تَسْبِيحَةٍ صَدقَةً، وكُلّ تَكبِيرةٍ صدقةٌ ، وكلّ تَحْمِيدةٍ صدقةٌ ، وكلّ تَهْلِيلَةٍ صدقةٌ ، وأَمرٌ بالمعْرُوفِ صدقةٌ، ونَهْيٌ عنِ المُنْكرِ صدقةٌ

(يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم) أي بأموالهم الفاضلة عن كفايتهم وقيدوا بذلك بيانًا لفضل الصدقة فإنها بغير الفاضل عن الكفاية لمن لا قدرة له على الصبر إما مكروهة أو محرمة على التفصيل المقرر في محله، وقولهم المذكور غبطة ومنافسة فيما يتنافس فيه المتنافسون من طلب مزيد الخير ومنتهاه لشدة حرصهم على العمل الصالح ورغبتهم فيه، ولما فهم منه ﷺ ذلك **(قال)** لهم جوابًا وجبرًا لخاطرهم وتقريرًا لأنهم ربما ساووا الأغنياء **(أوليس)** أي أتقولون ذلك فالهمزة للإنكار وليس بمعنى لا أي لا تقولوه فإنه **(قد جعل الله لكم ما تصدقون)** بتشديد الصاد والدال كما هو الرواية أي ما تتصدقون فأدغمت إحدى التاءين في الصاد وقد تحذف إحداهما فتخفف الصاد **(به، إنّ)** لكم **(بكل تسبيحة)** أي قول «سبحان الله» أي بسببها كقوله تعالى ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الزخرف] **(صدقة وكل)** بجره وكذا ما بعده عطفًا على ما قبله أو رفعه استئنافًا **(تكبيرة)** أي قول «الله أكبر» **(صدقة)** بنصبه كالذي بعده عطفًا على ما قبله ورفعه استئنافًا **(وكل تحميدة)** أي قول «الحمد لله» **(صدقة وكل تهليلة)** أي قول «لا إله إلا الله» **(صدقة وأمر)** بالرفع مبتدأ **(بالمعروف)** عرفه إشارة إلى تقربه وثبوته وأنه مألوف **(صدقة، ونهي عن المنكر)** نكره إشارة إلى أنه في حيز العدم والمجهول الذي لا إلف للنفس به أي عن المنهي عنه شرعًا بشرطه ككونه مجمعًا على تحريمه أو يعتقده الفاعل **(صدقة)** وتسمية ما ذكر وما يأتي صدقة مجاز لمشابهتها لها أي أن لهذه الأشياء أجرًا كأجر الصدقة في الجنس، لأن الجميع صادر عن رضا الله تعالى مكافأة على طاعته إما في القدر أو الصفة، فيتفاوت بتفاوت

وفي بُضْعِ أَحدِكُمْ صدقةٌ» قالوا: يا رسولَ اللّهِ أَيأتي أَحدُنَا شَهْوَتَه ويكُونُ لَه فيها أَجْر؟ قال: «أَرأَيْتُمْ لو وضعهَا في حرامٍ أَكَانَ عليهِ وِزْرٌ فكذلكَ إِذا وضَعهَا في الحلالِ كانَ لهُ أَجْرٌ». رواه مسلم.

«الدثور»: بالثاء المثلثة: الأموال، واحدها دَثْرٌ.

مقادير الأعمال وصفاتها وغاياتها وثمراتها. ولا شك أن الواجب بقسميه أفضل من النفل لحديث البخاري السابق «وما تقرّب إليّ عبدي بأفضل من أداء ما افترضته عليه» **(وفي بضع)** بضم الموحدة وسكون الضاد المعجمة ءاخره عين مهملة أي فرج أو جماع **(أحدكم)** لحليلته **(صدقة)** إذا قارنته نية صحيحة كإعطاف نفسه أو زوجته عن نحو نظر أو فكر أو همّ محرم، أو قضاء حقها من معاشرتها بالمعروف المأمور به، أو طلب ولد يوحد الله تعالى أو يتكثر به المسلمون، أو يكون له فرطًا إذا مات بصبره على مصيبته، فعلم أن في النية الصالحة ما يصير المباضعة صدقة على المسلمين باعتبار ما ينشأ عنها من وجود ولد صالح يحمي بيضة الإسلام أو يقوم ببيان العلوم الشرعية والأحكام. ويستفاد من الحديث أن جميع أنواع فعل الخير والمعروف والإحسان صدقة **(قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟)** استبعدوا - نظرًا إلى أن الأجر إنما يحصل غالبًا في عبادة شاقة على النفس مخالفة لهواها - حصوله بفعل هذا المستلذ **(قال: أرأيتم)** أي أخبروني **(لو وضعها في حرام أكان عليه وزر)** أي إثم، وتقدير الكلام «قالوا نعم» وسكت عنه لظهوره، **(فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر)** بالرفع وروي بنصبه وهما ظاهران وظاهر الخبر حصول الأجر بوطء حليلته مطلقًا لكن في خبر عند الإمام أحمد تقييد ذلك بما تقدم من النية الصالحة.

(رواه مسلم) ورواه أحمد وأبو داود والنسائي وأبو عوانة والطبراني والبيهقي وهو حديث عظيم لاشتماله على قواعد نفيسة من قواعد الدين **(الدثور)** بضم الدال المهملة **(بالثاء المثلثة الأموال)** الكثيرة **(واحدها دثر)** بفتح فسكون يوصف به الواحد وما فوقه، يقال مال دثر وأموال دثر.

١٢١ - الخامسُ: وعنه رضيَ اللَّهُ عنهُ قال: قال لي النبيُّ ﷺ: «لا تَحقِرنَّ مِن المعرُوفِ شَيئًا ولَوْ أَن تلْقَى أَخَاكَ بِوجهٍ طَلْقٍ». رواه مسلم.

١٢٢ - السادسُ: عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسُولُ اللّه ﷺ: «كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ علَيْهِ صدَقةٌ، كُلَّ يوْمٍ تَطْلُعُ فيه الشَّمْسُ تعدِلُ بيْن الاثْنَيْنِ صدَقَةٌ،

---

١٢١ - (**الخامس: وعنه رضي الله عنه قال: قال لي النبيّ ﷺ: لا تحقرنّ**) بكسر القاف أي تستقل (**من المعروف شيئًا**) فتتركه لقلته فقد يكون سبب الوصول إلى مرضاة الله تعالى كما في الحديث «وإن العبد ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات» رواه أحمد والبخاري من حديث لأبي هريرة مرفوعًا (**ولو**) كان ذلك المعروف (**أن تلقى أخاك بوجه طلق**) بفتح المهملة وكسر اللام[1] (**رواه مسلم**) وفي رواية لمسلم أيضًا «طليق» بزيادة ياء وهما بمعنى أي بوجه ضاحك مستبشر وذلك لما فيه من إيناس الأخ المؤمن ودفع الإيحاش عنه وجبر خاطره وبذلك يحصل التأليف المطلوب بين المؤمنين.

١٢٢ - (**السادس: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كل سلامى**) أي مفصل وجزء (**من الناس عليه**) أي على صاحبه أي الإنسان المكلف حق مؤكد في أداء شكر سلامة ذلك (**صدقة**) بعدد المفاصل، (**كل يوم تطلع**) بضم اللام (**فيه الشمس**) أتى به دفعًا لتوهم الاكتفاء في أداء شكر نعم هذه الأعضاء بالإتيان بما في الحديث مرة، فنبه على أن ذلك مطلوب من الإنسان كل يوم شكرًا لسلامتها فيه (**تعدل**) أي عدلك (**بين الاثنين**) المتهاجرين أو المتخاصمين أو المتحاكمين بأن تحملهما لكونك حاكمًا أو محكمًا أو مصلحًا بالعدل والإنصاف والإحسان بالقول والفعل على الصلح الجائز، (**صدقة**)

---

(١) ويقال «طَلْق» بإسكان اللام.

وتُعينُ الرَّجُلَ في دابَّتِهِ فَتحْمِلُهُ علَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا متَاعَهُ صدقةٌ، والكلمةُ الطَّيّبةُ صدَقةٌ، وبِكُلّ خَطْوَةٍ تمْشِيها إِلى الصَّلاَةِ صدقَةٌ، وَتُمِيطُ الأَذى عَن الطرِيق صَدَقةٌ». متفقٌ عليه.

ورواه مسلم أَيضًا من رواية عائشةَ رضي اللَّهُ عنها قالت: قال

عليهما لوقايتهما مما يترتب على الخصام من قبيح الأقوال والأفعال، **(وتعين الرجل)** أي إعانتك إياه **(في دابته فتحمله عليها أو)** للتنويع **(ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة)** وهي كل ذكر ودعاء للنفس والغير وسلام عليه وثناء عليه بحق ونحو ذلك مما فيه سرور السامع واجتماع القلوب وتألفها، وكذا سائر ما فيه معاملة الناس بمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، ومنه ما في حديث أبي ذرّ المذكور ءانفًا «لا تحقرن من المعروف شيئًا» إلخ **(صدقة)** لصاحبها **(وبكل خطوة)** بفتح المعجمة المرة الواحدة وبضمها ما بين القدمين **(تمشيها إلى الصلاة صدقة)** فيه مزيد الحثّ على حضور الجماعات والمشي إليها وعمارة المساجد بها إذ لو صلى في بيته فاته ذلك **(وتميط)** بضم أوله **(الأذى)** أي إماطته **(عن الطريق)** يذكر ويؤنث ويقال لها السبيل والصراط **(صدقة)** على المسلمين، وأخرت هذه لأنها أدون مما قبلها كما يشير إليه الخبر الآتي: «وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» ثم شرط الثواب على هذه الأعمال خلوص النية فيها وفعلها لله وحده، قال تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [سورة النساء] وقال ﷺ بعد أن ذكر جملًا من أعمال البرّ «والذي نفسي بيده ما من عبد يعمل بخصلة منها يريد بها ما عند الله إلا أخذت بيده يوم القيامة حتى يدخل الجنة» رواه ابن حبان في «صحيحه» **(متفق عليه)** ورواه أحمد وأبو عوانة وأبو نعيم في «مستخرجيهما» والطبراني في «مكارم الأخلاق» وابن حبان في «صحيحه» وغيرهم **(ورواه)** أي الحديث **(مسلم أيضًا)** أي انفرد به عن البخاري **(من رواية عائشة رضي الله عنها)** بنحوه وحديثها **(قالت: قال**

رسُولُ الله ﷺ: «إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسانٍ مِن بني ءادم علَى سِتّينَ وثلاثمائَةِ مَفْصِلٍ، فَمن كَبَّر اللّهَ وحمِدَ اللّهَ وَهَلَّلَ اللّهَ وسبَّحَ اللّهَ واستَغْفَرَ اللّهَ وعَزلَ حَجَرًا عن طَريقِ النَّاسِ أَوْ شَوكَةً أَوْ عظْمًا عن طَريقِ النَّاسِ، وَأَمَرَ بمعرُوفٍ أَوْ نهى عنْ مُنْكَرٍ عَددَ السّتّينَ والثَّلَاثِمائَةِ فَإِنَّهُ يُمْسِي يَوْمئِذٍ وَقَد زَحْزَحَ نفْسَهُ عنِ النَّارِ».

رسول الله ﷺ: إنه) أي الشأن **(خلق)** بالبناء للمجهول للعلم بالفاعل **(كل إنسان من)** بيانية **(بني ءادم)** غير منصرف للعلمية **(على ستين وثلاثمائة مفصل)** أي عظم كما جاء في رواية البزار قال ﷺ: «للإنسان ثلاثمائة وستون عظمًا» الحديث. **(فمن كبر الله)** بنحو الله أكبر **(وحمد الله)** بكسر الميم بنحو الحمد لله **(وهلل الله)** أي قال لا إلٰه إلا الله أو إلا هو **(وسبح الله)** بنحو سبحان الله **(واستغفر الله)** أي سأله غفر الذنب بنحو قوله أستغفر الله أو اللهم اغفر لي **(وعزل حجرًا عن طريق الناس، أو)** عزل **(شوكة أو عظمًا عن طريق الناس)** أعاد قوله أو عزل وقوله عن طريق الناس اهتمامًا بشأن التنحية لما فيها من إبعاد الضرر عن الناس وعموم النفع للمارة فيها وذكر الأكثر ضررًا وهو الحجر والأقل وهو الشوكة تنبيهًا على أن فضل تنحية المؤذي عن الطريق يحصل بتنحية ما عظم ضرره فيها وما كان دون ذلك **(وأمر)** بصيغة الماضي معطوف على مدخول من ثم هو في بعض النسخ هكذا بالواو وفي بعض بأو وهو الأنسب بما قبله **(بمعروف أو نهي عن منكر عدد الستين والثلاثمائة)** أي من أتى بهذا العدد ولو من مجموع أنواع الطاعات بأن أتى من كل نوع بطاعة حتى وصل لهذا القدر **(فإنه يمسي)** بضم الياء التحتية **(يومئذٍ وقد زحزح)** أي باعد **(نفسه عن النار)** بالتقرّب لمولاه بأنواع الطاعات، وشكر ما أنعم به عليه من إيجاد تلك الأعضاء سالمة، وقد سبق أنه يجزي عن ذلك كله ركعتا الضحى، وفي حديث ءاخر «تكف شرّك إلخ» وهو يفيد أنه يكفيه ألا يفعل شيئًا من الشرّ ويلزم من ذلك القيام بالواجبات وترك جميع المحرمات، وهذا هو الشكر الواجب وهو كاف

١٢٣ - السابعُ: وعنه رضيَ اللَّهُ عنهُ عن النَّبيّ ﷺ قال: «منْ غدَا إِلى المَسْجِدِ أَو رَاحَ أَعدَّ اللّهُ لَهُ في الجنَّةِ نُزُلا كُلَّمَا غَدا أَوْ رَاحَ». متفقٌ عليه.

«النزل»: القوت والرزق وما يهيأ للضيف.

١٢٤ - الثامنُ: وعنه رضيَ اللَّهُ عنهُ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يا نِسَاءَ المُسْلِماتِ لا تحقِرنَّ جَارةٌ لِجارتِهَا ولَوْ فِرْسِنَ شاةٍ». متفقٌ عليه.

قال الجوهري: الفِرْسِنُ

في شكر هذه النعم وغيرها. أما الشكر المستحبّ فبالزيادة على ذلك بنوافل العبادات القاصرة كالأذكار.

١٢٣ - (السابع: وعنه) أي عن أبي هريرة **(رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: من غدا)** هو في الأصل السير أول النهار **(إلى المسجد)** طلبًا لأداء صلاة فيه أو اعتكاف أو قراءة أو درس علم طلبًا لمرضاة الله **(أو راح)** هو في الأصل السير ءاخر النهار **(أعد)** بتشديد الدال أي هيأ **(الله له)** ثواب عمله من محض فضله **(في الجنة نزلاً)** بضمتين **(كلما غدا أو راح. متفق عليه)** ورواه أحمد **(والنزل)** بضمتين **(القوت)** أي ما يقتات به **(والرزق)** وهو ما ينتفع به ولو محرمًا **(وما)** أي الذي **(يهيأ)** بضم التحتية الأولى يعدّ **(للضيف)** من الكرامة والمراد هنا المعنى الأخير فإنه أبلغ في التكريم.

١٢٤ - (الثامن: وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يا نساء المسلمات) بنصب نساء وجرّ المسلمات من إضافة الصفة إلى الموصوف. **(لا تحقرنّ جارة)** أسدت **(لجارتها)** شيئًا من المعروف فتمتنع منه لقلته **(ولو)** كان **(فرسن شاة)** كناية عن القلة، ويحتمل أن يكون نهيًا للمعطاة أي لا تحتقر المعطاة الشيء القليل بل تشكر ذلك، ففي الحديث «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» **(متفق عليه، قال)** أبو نصر إسماعيل بن حماد **(الجوهري)** الإمام في النحو واللغة والصرف صاحب «الصحاح» **(الفرسن)** قال القاضي عياض في «المشارق»: بكسر الفاء

مِنَ الْبعِيرِ: كالحافِرِ مِنَ الدَّابَّةِ، قال: ورُبَّمَا اسْتُعِير في الشَّاةِ.

١٢٥ - التاسعُ: وعنه رضيَ اللَّهُ عنهُ عن النبيّ ﷺ قال: «الإيمَانُ بِضْعٌ وَسبْعُون أَوْ بِضْعٌ وَسِتّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضلُهَا قوْلُ لا إِلٰهَ إِلا اللّهُ،

والسين قال السيوطي في «مختصر النهاية»: هو عظم قليل اللحم (**من البعير كالحافر من الدابة**) أي ذوات الأربع كالحمار والبغل (**قال: وربما استعير**) أي الفرسن فاستعمل (**في الشاة**) كما في الحديث، قال النووي في «شرح مسلم»: «قال أهل اللغة ولا يقال - أي الفرسن - إلا في الإبل ومرادهم أن أصله مختص بالإبل ويطلق عليه في الغنم استعارة، وهذا النهي عن الاحتقار نهي للمعطية المتصدقة والمهدية ومعناه لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها واحتقارها الموجود عندها، بل تجود بما تيسر وإن كان قليلًا كفرسن شاة وهو خير من العدم، قال تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [سورة الزلزلة] وقال ﷺ: اتقوا النار ولو بشق تمرة.

١٢٥ - (**التاسع: وعنه**) أي أبي هريرة (**رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: الإيمان بضع**) بكسر الباء وقد تفتح سيأتي معناها (**وسبعون**) أي شعبة ولذا صح الإخبار عنه بستة وسبعين وهي غيره ضرورة مغايرة الجزء للكل، وبه يعلم ما في قول النووي: الحديث نصّ في إطلاق اسم الإيمان على الأعمال اهـ. وحاصله أن التقدير شعب الإيمان (**أو**) شك من الراوي (**بضع وستون**) ورجح بعضهم رواية «وستون» بأنها المتيقنة وما عداها مشكوك فيه (**شعبة**) بضم أوله المعجم وسكون ثانيه المهمل وبالموحدة.

قال الحافظ ابن حجر: لم يتفق من عد الشعب على نمط واحد، وأقربها إلى الصواب طريقة ابن حبان فإنه قال: عددت كل طاعة عدها الله تعالى في كتابه والنبيّ ﷺ في سنته فإذا هي تسع وسبعون لا تزيد ولا تنقص فعلمت أنه المراد.

(**فَأَفْضلُهَا قول لا إله إلا الله**) لإنبائها عن التوحيد المتعين على كل

وَأَدنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذى عنِ الطَّرِيقِ، والحيَاءُ شُعْبةٌ مِنَ الإِيمانِ». متفقٌ عليه.

«البضع»: من ثلاثة إلى تسعة بكسر الباء وقد تفتح. و«الشعبة»: القطعة.

١٢٦ - العاشرُ: وَعنه رضيَ اللَّهُ عنهُ أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «بَينَما رَجُلٌ يَمْشِي بطَريقٍ اشْتَدَّ علَيهِ الْعَطشُ فَوجد بِئرًا فَنزَل فيها

مكلف والذي لا يصح غيره من الشعب إلا بعد صحته فهو الأصل المبني عليه سائرها **(وأدناها)** أدونها مقدارًا، من الدنوّ بمعنى القرب ولذا استعمل في مقابلة الأعلى **(إماطة)** بالمهملة أي إزالة **(الأذى)** أي المؤذي وإن خف كشوكة أو حجر، **(عن الطريق)** ووجه كونها أدناها أنها لدفع أدنى ضرر يتوقع حصوله لأحد من الناس **(والحياء)** بالمد، وهو لغة تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويذم عليه، أو انحصار النفس خوف ارتكاب القبائح وفي الشرع: خلق يبعث على اجتناب القبيح شرعًا ويمنع من التقصير في حق ذي الحق **(شعبة)** عظيمة كما يومئ إليه التنكير **(من الإيمان)** لتكفله بحصول سائر الشعب لأنه يحجز صاحبه عن المعاصي، إذا الحييّ يخاف فضيحة الدارين فينزجر عن كل معصية ويمتثل كل طاعة، وأرفع الحياء الحياء من الله وهو ألا يراك حيث نهاك، وإنما ينشأ هذا من مراقبة ثابتة للحق والمعرفة به وهي مقام الإحسان. والإيمان لا يخرج عن فعل المأمور واجتناب المنهي فلذا أفرد الحياء بالذكر لأن رتبته متوسطة بين الأعلى والأدنى **(متفق عليه)**.

(والبضع من ثلاثة إلى تسعة) تقديم التاء أي ما بينها هذا هو الأشهر اهـ. **(والشعبة)** في اللغة **(القطعة)** والغصن من الشجر وفرع كل أصل، وأريد بها في هذا الحديث الخصلة أو الجزء أي الإيمان ذو خصال أو أجزاء متعددة.

١٢٦ - (العاشر: وعنه رضيَ اللَّهُ عنهُ أن رسول الله ﷺ قال: بينما رجل يمشي بطريق) أي فيها **(اشتدّ عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فيها**

فَشَرِب ثُمَّ خَرَجَ فإذا كلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَش، فقال الرَّجُل: لَقَدْ بَلَغَ هذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعطَش مِثْلُ الَّذي كَانَ قَد بَلَغَ مِنّي فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَملأَ خُفَّه مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَه بِفِيهِ حتَّى رقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللّهُ لَه فَغَفَرَ لَه» قَالُوا: يا رسولَ اللَّهِ وإِنَّ لَنَا في الْبَهَائِم أَجْرًا؟ فَقَالَ: «في كُلّ كَبِدٍ رَطْبةٍ أَجْرٌ». متفقٌ عليه.

وفي روايةٍ للبخاري: «فَشَكَرَ اللّهُ له فَأَدْخَلَه الْجنَّةَ».

فشرب) منها **(ثم خرج فإذا)** للمفاجأة **(كلب يلهث)** يدلع لسانه من العطش؛ وليس غيره من الحيوان كذلك **(يأكل الثرى)** أي التراب الندي **(من)** تعليلية **(العطش)** وأكله للثرى لقربه من الماء في التبريد **(فقال الرجل)** أخذ منه قرينة أكله الثرى الذي لا يكون منه إلا من العطش **(لقد بلغ هذا الكلب)** بالنصب **(من)** ابتدائية **(العطش مثل)** فاعل بلغ **(الذي كان بلغ مني)** منه **(فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسك بفيه حتى رقي)** بكسر القاف **(فسقى الكلب فشكر الله له)** الشكر بمعنى القبول فكأنه ﷺ يقول قبل الله عمله وأثابه بالجنة عليه **(فغفر له)** وفيه دليل على التحضيض على فعل البرّ وإن قل، إذ لا يدري فيم تكون السعادة، وفيه دليل على أن الإخلاص هو الموجب لكثرة الأجر إذ حال الرجل كان كذلك إذ هو في البرية ولم يره أحد حال سقيه وكان مخلصًا في ذلك العمل **(قالوا: يا رسول الله)** لما ذكر لهم هذه القصة وحرّضهم على صنيع المعروف وإن قلّ فإن المقصود من ذكره ﷺ لقصص من مضى التحريض على الفعل الممدوح والنهي عن ضده وغير ذلك من الفوائد، إذ العبث لا يقع منه ﷺ **(وإن لنا في البهائم)** أي بسببها **(أجرًا فقال في كل)** أي في إرواء كل **(كبد رطبة أجر)** والرطوبة كناية عن الحياة فإن الميت يجفّ جسمه وكبده، وقيل الكبد إذا ظمئت ترطبت، ففي الحديث الإحسان إلى الحيوان المحترم وهو ما لا يؤمر بقتله فيحصل بسقيه والإحسان إليه الأجر سواء كان حرًّا أو مملوكًا له أو لغيره، أما المأمور بقتله فيمتثل أمر الشرع في قتله **(متفق عليه، وفي رواية للبخاري: فشكر الله له فأدخله الجنة)** أي

وفي روايةٍ لَهُما: «بَيْنَما كَلْبٌ يُطيف بِرَكِيَّةٍ قَد كَادَ يقْتُلُه الْعطَشُ إِذْ رأَتْه بغِيٌّ مِن بَغَايا بَنِي إِسْرَائيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَاسْتَقتْ لهُ بِهِ فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا».

«الموق»: الخف. و«يطيف»: يدور حول «ركية»: وهي البئر.

١٢٧ - الْحادِي عَشَرَ: وعنْهُ رضيَ اللَّهُ عنهُ عن النبيّ ﷺ قال: «لَقَد رأَيْتُ رَجلًا يَتقلَّبُ فِي الْجنَّةِ في شَجَرةٍ قطَعَها مِن ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي الْمُسلِمِينَ». رواه مسلم.

وفي روايةٍ: «مرَّ رجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرةٍ علَى ظَهْرِ طرِيقٍ فَقالَ: واللّهِ لأُنَحّيَنَّ

ابتداء مع الناجين وهي لازمة للرواية السابقة إذ من غفر له دخلها كذلك (**وفي رواية لهما: بينما كلب يطيف**) بضم التحتية (**بركية**) لظمئه (**قد**) للتقريب (**كاد يقتله العطش**) لاشتداده به (**إذ رأته بغيّ**) أي زانية، والبغاء الزنا، ولا تنافي بين كون الفاعل هنا امرأة، وفي الحديث قبله رجلًا لاحتمال تعدد القصة (**من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها**) بضم الميم وفتح القاف (**فاستقت له به فسقته**) أي حتى روي (**فغفر**) بالبناء للمفعول (**لها. الموق: الخف، ويطيف: يدور**) قال النووي في «شرح صحيح مسلم»: «بضم الياء، ويقال طاف به وأطاف إذا دار حوله» و(**ركية**) بفتح الراء المهملة وكسر الكاف وشد التحتية (**وهي البئر**) مطلقًا.

١٢٧ - (**الحادي عشر: وعنه رضيَ اللَّهُ عنهُ عن النبي ﷺ قال: لقد رأيت رجلًا يتقلب في الجنة**) أي يتنعم فيها بملاذها (**في شجرة قطعها من ظهر الطريق**) قال النووي: أي يتنعم في الجنة بسبب قطعه الشجرة (**كانت تؤذي المسلمين**) ففيه فضل إزالة الأذى عن الطريق وقد تقدم أنه من شعب الإيمان، وفيه فضيلة كل ما نفع المسلمين وأزال عنهم ضررًا (**رواه مسلم**).

(**وفي رواية له**) أي لمسلم من حديث أبي هريرة أيضًا مرفوعًا (**مرّ رجل بغصن شجرة على ظهر طريق: فقال: والله لأنحينّ**) من التنحية

هذا عنِ الْمسلِمِينَ لا يُؤْذِيهمْ، فأُدخِلَ الْجنَّةَ».

وفي روايةٍ لهما: «بيْنَما رجُلٌ يمْشِي بِطريقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ علَى الطَّرِيق فأَخَّرهُ فشَكَرَ اللّهُ لَهُ فغَفرَ لَهُ».

١٢٨ - الثَّاني عشَرَ: وَعنْه رضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن توضَّأَ فأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعةَ فَاستَمَعَ وأَنصَتَ، غُفِر لهُ ما بيْنَهُ وبيْن الْجُمُعةِ وزِيادةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، وَمن مسَّ الْحصى فَقد لَغَا».

الإزالة أي لأزيلنّ (**هذا عن**) طريق (**المسلمين لا يؤذيهم**) أي إرادة أن لا يؤذيهم (**فأدخل الجنة**) بالبناء للمفعول، وظاهر هذا الخبر دخوله الجنة بمجرد نيته للفعل الجميل؛ ويحتمل أنه فعل ذلك وترك ذكره الراوي إما سهوًا وإما لأمر ءاخر (**وفي رواية لهما**) عن أبي هريرة مرفوعًا (**بينما رجل**) بالرفع لكف بين عن الإضافة للمفرد لها (**يمشي بطريق**) أي فيه (**وجد غصن شوك على الطريق فأخره**) بتشديد الخاء المعجمة أي نحاه عن الطريق (**فشكر الله له**) ذلك الفعل اليسير أي قبله منه (**فغفر**) بالبناء للفاعل (**له**).

١٢٨ - (**الثاني عشر: وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله** ﷺ: **من توضأ فأحسن الوضوء**) بإسباغه والإتيان بآدابه وسننه (**ثم أتى الجمعة**) أي إلى المسجد لصلاتها وهي بضم الجيم والميم وسكونها وقد تفتح، سميت بذلك لاجتماع الناس لها (**فاستمع**) الخطبة (**وأنصت**)[1] عن الكلام المباح (**غفر له**) صغائر (**ما بينه وبين الجمعة**) قال النووي: «والمراد بما بين الجمعتين من صلاة الجمعة وخطبتها إلى مثل الوقت من الجمعة الثانية حتى تكون سبعة أيام بلا زيادة ولا نقصان» (**و**) يضم إليها (**زيادة**) عليها ذنوب (**ثلاثة أيام**) فتكفر ذنوب عشرة أيام. (**ومن مسّ الحصى**) وفي معناه سائر العبث في حال الخطبة (**فقد لغا**) ففي

---

(١) يستفاد من الحديث كراهة أن يقول الحاضرون أثناء خطبة الجمعة إذا دعا الخطيب ءامين فإن هذا خلاف السنة وخلاف ما كان عليه الصحابة وسائر السلف.

رواه مسلم.

١٢٩ - الثَّالثَ عَشَرَ: وَعنْه رضيَ اللَّهُ عنهُ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِذَا توضَّأَ الْعبْدُ الْمُسْلِمُ أَوِ الْمُؤْمِنُ فغَسلَ وجْهَهُ خَرَجَ مِن وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بعينهِ مَعَ الْماءِ أَوْ معَ ءاخِرِ قطْرِ الْماءِ، فَإِذَا غَسَل يديهِ خَرَجَ مِن يديْهِ كُلُّ خَطِيْئَةٍ كانَ بَطَشَتْهَا يداهُ مع الْمَاءِ أَوْ مع ءاخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع ءاخر

الحديث، إشارة إلى الحثّ على إقبال القلب والجوارح على الخطبة، والمراد من اللغو الباطل المذموم المردود (**رواه مسلم**).

١٢٩ - (الثالث عشر: وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن) شك من الراوي في أيهما لفظه ﷺ وإن كان يلزم من تحقق أحدهما شرعًا تحقق الآخر **(فغسل وجهه)** الفاء تفصيلية **(خرج من وجهه كل خطيئة)** صغيرة متعلقة بحق الله تعالى **(نظر إليها)** أي إلى سببها إطلاقًا لاسم المسبب على السبب مبالغة وكذا البواقي **(بعينه)** قال النووي: «قال القاضي: والمراد بخروجها مع الماء المجاز والاستعارة في غفرانها لأنها ليست بأجسام فتخرج حقيقة» **(مع الماء أو مع ءاخر قطر الماء)** أو للشك من الراوي في أي اللفظين قاله ﷺ، وخصت العين بالذكر مع أن في الوجه الفم والأنف فأغنت عن غيرها. فالذي يتجه في الجواب أن سبب التخصيص أن كلًّا من الفم والأنف له طهارة مخصوصة خارجة عن طهارة الوجه فكانت متكلفة بإخراج خطاياه، بخلاف العين فإنها ليس لها طهارة إلا في غسل الوجه، فحطت خطيئتها عند غسله دون غيرها **(فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان)** اسمها ضمير الشأن **(بطشتها يداه)** قال النووي: «معناه اكتسبتها» **(مع الماء أو مع ءاخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها)** أي مشت إليها **(رجلاه مع الماء أو مع ءاخر**

قطر الماء حتَّى يَخْرُج نقِيًّا مِن الذُّنُوبِ». رواه مسلم.

١٣٠ - الرَّابعَ عشَرَ: وَعنه رضيَ اللَّهُ عنهُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «الصَّلواتُ الْخَمْسُ والْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعةِ ورمضانُ إِلَى رمضانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بينَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبائِرُ». رواه مسلم.

قطر الماء حتى يخرج نقيًا من الذنوب) الصغائر المذكورة **(رواه مسلم)** ومالك في «الموطأ».

١٣٠ - (الرابع عشر: وعنه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهنّ) من الصغائر المتعلقة بحقوق الله تعالى **(إذا اجتنبت الكبائر)** قال الحافظ وليّ الدين العراقي: استند العلماء في تقييد الذنوب المكفرة بالعمل الصالح بالصغائر لهذا الحديث فجعلوا التقييد فيه مقيدًا للإطلاق في غيره قال النووي: وقد يقال إذا كفر الوضوء فماذا تكفر الصلوات؟ وإذا كفرت الصلوات فماذا تكفر الجمعات؟ ورمضان وغيرها مما ورد فيه ذلك؟ فالجواب ما أجاب به العلماء أن كل واحد من هذه المذكورات صالح للتكفير، فإن وجد ما يكفره من الصغائر كفره، وإن لم يصادف كبيرة ولا صغيرة كتبت له به حسنات ورفعت له به درجات، وإن صادف كبيرة أو كبائر ولم يصادف صغيرة رجونا أن يخفف عنه منها. قال السيوطي: استشكل بأن الصغائر مكفرة باجتناب الكبائر، وحينئذٍ فما الذي تكفره الصلوات؟ والتحقيق في الجواب ما أشار إليه البلقيني أن الناس أقسام: من لا ذنب له مطلقًا وهذا له رفع الدرجات؛ ومن له صغائر بلا إصرار فهي المكفرة باجتناب الكبائر إلى موافاة الموت على الإيمان، ومن له صغائر مع الإصرار فهي التي تكفر بصالح الأعمال؛ ومن له كبائر وصغائر فالمكفر بصالح العمل الصغائر فقط؛ ومن له كبائر فقط فيكفر منها على قدر ما كان يكفر من الصغائر اهـ. **(رواه مسلم)** ورواه أحمد والترمذي.

١٣١ - الْخامسَ عشَرَ: وَعنه رضيَ اللَّهُ عنهُ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلا أَدُلُّكم على ما يَمْحُو اللّهُ بِهِ الْخَطَايا ويَرْفَعُ بِهِ الدَّرجاتِ؟» قالوا: بلَى يا رسُولَ اللّهِ، قال: «إِسباغُ الْوُضوءِ على الْمَكَارِهِ وكَثْرةُ الْخُطَا إِلَى الْمَساجِدِ وانْتِظارُ الصَّلاةِ بعْدَ الصَّلاةِ، فَذٰلِكُمُ الرّبَاطُ».

---

١٣١ - (الخامس عشر: وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا) بتخفيف اللام أداة استفتاح ليتنبه السامع لما بعدها **(أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا)** قال النووي: قال القاضي عياض: محو الخطايا كناية عن غفرانها، قال: ويحتمل محوها من كتاب الحفظة ويكون دليلًا على غفرانها **(ويرفع به الدرجات)** أي المنازل في الجنة **(قالوا بلى)** هي لإيجاب النفي المذكور في السؤال أي دلنا على ذلك يا رسول الله **(قال: إسباغ الوضوء)** أي استيعاب أعضائه بالغسل والمسح مع استيفاء ءادابه ومكملاتها **(على)** بمعنى مع **(المكاره)** جمع مكره بفتح الميم من الكره المشقة والألم **(وكثرة الخطا إلى المساجد)** فيه فضل الدار البعيدة عن المسجد على القريبة، ويؤيده الخبر الآتي «دياركم تكتب ءاثاركم» **(وانتظار الصلاة)** أي وقتها أو جماعتها **(بعد الصلاة)** منفردًا أو في جماعة وذلك بأن يجلس في المسجد أو في بيته أو سوقه أو شغلته لانتظارها وذلك لتعلق فكره وقلبه بها، فهو دائم الحضور والمراقبة غير ملته عن أفضل العبادات البدنية بشيء **(فذلكم)** عدل إليه عن هذا الذي هو القياس للدلالة على بعد منزلته وعظمها **(الرباط)** لا غيره والرباط الحقيقي وهو ملازمة الثغر لحفظ عورة المسلمين لا يستحق ذلك الاسم بالنسبة إليها لما فيها من أعظم القهر لأعدى عدوّ الإنسان وهي نفسه الأمارة بالسوء، وقمع شهواتها وقلع مكائد الشيطان من جميع أجزائها فإن هذه الأعمال تسد طرق الشيطان والهوى عن النفس وتقهرها وتمنعها من قبول الوسواس والشهوات فكانت هي الرباط الحقيقي وهو الجهاد وفي هذا أعظم تأييد لخبر «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» أي من جهاد العدوّ إلى جهاد النفس، إذ

رواه مسلم.

١٣٢ - السَّادسَ عشَرَ: عن أَبي موسى الأَشْعري رضي اللّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «من صلَّى الْبَرْدَينِ دَخَل الْجنَّةَ». متفقٌ عليهِ.

«البردان»: الصبح والعصر.

١٣٣ - السَّابعَ عشرَ: وعنه رضيَ اللَّهُ عنهُ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مرِضَ الْعبْدُ

جهاد الكفار إنما شرع بالخروج عن النفس والأولاد والأموال لإعلاء كلمة الله تعالى مع تكميل النفس بخروجها عن مألوفاتها ومستلذاتها لكنه لا يدوم زمنه بل يكون برهة وتنقضي، وهذه الأعمال دائمة وذلك التكميل موجود فيها بزيادة (**رواه مسلم**).

١٣٢ - (**السادس عشر: عن أبي موسى الأشعري**) تقدمت ترجمته أول باب الإخلاص (**رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من صلى البردين**) بفتح الموحدة وسكون الراء تثنية برد، والمراد صلاة الفجر والعصر كما سيأتي، زاد مسلم في روايته «يعني العصر والفجر» قال الخطابي: سميا بردين لأنهما يصليان في بردي النهار وهما طرفاه حين يطيب الهواء وتذهب شدة الحرّ (**دخل الجنة**) وجه تخصيصها بالذكر أن وقت الصبح يكون عند النوم ولذته، ووقت العصر يكون عند الاشتغال بتتمات أعمال النهار وتجارته وتهيئة العشاء، ففي صلاته لهما مع ذلك دليل على خلوص النفس من الكسل ومحبتها للعبادة، ويلزم من ذلك إتيانه بجميع الصلوات الأخر، وأنه إذا حافظ عليهما كان أشد محافظة على غيرهما، فالاقتصار عليهما لما ذكر لا لإفادة أن من اقتصر عليهما بأن أتى بهما دون باقي الخمس يحصل له ذلك لأنه خلاف النصوص، (**متفق عليه. البردان، الصبح والعصر**).

١٣٣ - (**السابع عشر، وعنه رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: إذا مرض العبد**) قال في «الصحاح»: المرض السقم اهـ. والمرض حال

أَوْ سافَر كُتِبَ لهُ مِثْلُ ما كانَ يَعْملُ مُقِيمًا صحِيحًا». رواه البخاري.

١٣٤ - الثَّامنَ عشَرَ: عن جابِرٍ رضي اللَّهُ عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «كُلُّ معرُوفٍ صدقَةٌ». رواه البخاري، ورواه مسلم مِن رواية حُذَيفَةَ رضي اللَّهُ عنه.

١٣٥ - التَّاسعَ عشَرَ: عنْهُ رضيَ اللَّهُ عنهُ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما مِن مُسْلِم يَغْرِسُ غَرْسًا إلا كانَ ما أُكِلَ مِنْهُ لهُ صدقةً، وما سُرِقَ مِنْه لَه صدقَةً، ولا يَرزَؤه

خارجة عن الطبع ضارّ بالطبع ويعلم من هذا أن الآلام والأورام أعراض عن المرض (**أو سافر**) أي في غير معصية. والحديث شامل لطويل السفر وقصيره (**كتب له**) من البر (**مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**) قال ابن بطال: هذا في أمر النوافل، أما صلاة الفرض فلا تسقط بسفر أو مرض (**رواه البخاري**) ورواه أحمد وغيره.

١٣٤ - (**الثامن عشر، عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ**) وفي نسخة رسول الله (**كل معروف**) قال الحافظ: قال ابن بطال: أي كل شيء يفعله المرء أو يقوله من الخير يكتب له به صدقة (**صدقة**) أي ثوابه كثوابها فإطلاقها على ذلك بطريق الاستعارة كما تقدم (**رواه البخاري**) وأحمد (**ورواه مسلم**) وأحمد وأبو داود (**من رواية حذيفة رضي الله عنه**) فلا يقال فيه متفق عليه، لأن الشيخين لم يتفقا على سنده وإن اتفقا على معناه ومبناه.

١٣٥ - (**التاسع عشر: عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما من مسلم يغرس غرسا**) بالفتح مصدر (**إلا كان ما أكل منه**) أي مما غرسه (**له صدقة**) يعني يحصل للغارس ثواب التصدق بالمأكول إن لم يضمنه الآكل (**وما سرق منه له صدقة**) يعني يحصل له مثل ثواب صدقة المسروق، وليس المعنى أن المأخوذ صار ملكًا للآخذ كما لو تصدق به عليه (**ولا يرزؤه**) بفتح التحتية وراء مهملة ثم زاي ثم همزة، وسيأتي أن

أَحَدٌ إِلا كَانَ له صدقةً». رواه مسلم. وفي رواية له: «فَلا يغْرِسُ الْمُسْلِم غرْسًا فَيأْكُلَ مِنْه إِنسانٌ ولا دابةٌ ولا طَيرٌ إِلا كانَ له صدقَةً إِلى يَوْم الْقِيَامة».

وفي رواية له: «لا يغْرِس مسْلِمٌ غرْسًا ولا يزرع زرْعًا فيأْكُلَ مِنْه إِنْسانٌ وَلا دابَّةٌ ولا شيءٌ إِلا كَانَتْ له صدقةً». ورويَاه جميعًا مِن رواية أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه.

معناه ينقصه (**أحد إلا كان له صدقة. رواه مسلم. وفي رواية له**) أي لمسلم عن جابر (**فلا يغرس المسلم غرسًا فيأكل منه إنسان**) أي على وجه التصدق عليه والإكرام أو بطريق الغصب ما لم يؤدّ بدله (**ولا**) تأكل منه أو تتلفه (**دابة**) لعل المراد منها كل ما يدب على الأرض لكونه أعم (**ولا طير**) قيل: إنه اسم جمع لطائر، (**إلا كان**) أي المأكول (**له**) في محل الحال و(**صدقة**) خبر كان، ويستمر ما استمرت هي أو ما تولد منها (**إلى يوم القيامة**) قال الأبي: ولا يبعد أن يدوم له الثواب وإن انتقل الملك إلى غيره إلى يوم القيامة وهذا ممكن في الغراس. قال ابن العربي: من سعة كرم الله تعالى أن يثيب على ما بعد الحياة كما يثيب على ذلك في الحياة وذلك في ستة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، أو غرس، أو زرع[1]، أو الرباط. فللمرابط ثواب عمله إلى يوم القيامة. (**وفي رواية له**) عن جابر أيضًا (**لا يغرس**) بالرفع (**مسلم غرسًا ولا يزرع**) أي المسلم (**زرعًا**) والغرس في الأشجار (**فيأكل**) بالنصب في جواب النفي (**منه**) أي من ثمرة ما ذكر (**إنسان ولا دابة ولا شيء**) أي من طائر وجنيّ فهو أعم من الروايات قبله (**إلا كانت**) أي الزروع والمغروسات فالتأنيث لذلك أو نظرًا إلى تأنيث الخبر (**له صدقة. ورورياه جميعًا**) أي الشيخان (**من رواية أنس رضي الله عنه**) قال النووي:

---

(١) المقصود بالزرع ما يكون منه ما يأكله الإنسان أو الطير فقد صح الحديث: «ما من مسلم يغرس غرسًا فيأكل منه إنسان أو طير إلا كان له به صدقة» أما ما يزرع للهوى فلا ثواب فيه.

قوله: «يرزؤه»: أي ينقِصُه.

١٣٦ - الْعِشْرُونَ: وعنْهُ رضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: أَراد بنُو سَلِمةَ أَن ينْتَقِلوا قُرْب المَسْجِدِ فبلَغَ ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّه بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَن تَنْتَقِلُوا قُربَ الْمسْجِدِ؟» فقَالُوا: نَعَمْ يا رسولَ اللَّهِ قَد أَرَدْنَا ذلكَ، فَقالَ: «بنِي سَلِمةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ ءاثَارُكُمْ، دِيَارَكُم تُكْتَبْ ءاثارُكُمْ». رواه مسلم.

وفي روايةٍ: «إِنَّ بِكُلّ خُطْوةٍ درجةً». ورواه البخاري أَيضًا بِمعناهُ مِن رواية

وقد اختلف العلماء في أطيب المكاسب وأفضلها، فقيل التجارة، وقيل: الصنعة باليد، وقيل: الزراعة وهو الصحيح. وفي الحديث أن الثواب في الآخرة مختص بالمسلمين وأن الإنسان يثاب على ما سرق من ماله أو أتلفته دابة أو طائر أو نحوهما» (**قوله**) في الحديث (**يرزؤه: أي ينقصه**).

١٣٦ - (**العشرون: وعنه رضي الله عنه قال: أراد بنو سلمة**) بكسر اللام قبيلة معروفة من الأنصار، قال ابن عبد البرّ في كتاب «الأنساب»: إنه سلمة ابن سعد بن الخزرج (**أن ينتقلوا**) من منزلهم الذي كانوا به وكان بعيدًا من المسجد النبوي (**قرب المسجد**) لخلوه كما صرح به في رواية في مسلم (**فبلغ ذلك**) أي إرادتهم التحوّل (**رسول الله ﷺ فقال لهم: إنه**) الضمير للشأن (**بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد، فقالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك، فقال: بني سلمة**) بحذف حرف النداء (**دياركم**) قال النووي: معناه الزموا دياركم فإنكم إذا لزمتموها كتبت ءاثاركم وخطاكم الكثيرة إلى المسجد (**تكتب**) بالجزم جواب الشرط المقدر (**ءاثاركم**) أي ءاثار أقدامكم وخطاكم من الجمعة والجماعة (**رواه مسلم**).

(**وفي رواية**) لمسلم عن جابر «فنهانا رسول الله ﷺ» (**فقال: إن بكل خطوة**) تقدم أنه بضم الخاء ما بين القدمين وبفتحها المرة من الخطوات (**درجة**) أي في الجنة (**ورواه البخاري أيضًا بمعناه من رواية**

أَنَس رضي اللَّهُ عنه.

و«بنو سلِمة» بكسر اللام: قبيلة معروفة من الأنصار رضي اللَّهُ عنهم. و«ءاثارهم»: خطاهم.

١٣٧ - الْحَادي والْعِشْرُونَ: عنْ أَبي الْمُنْذِر أُبيّ بنِ كَعْبٍ رضي اللَّهُ عنه قال: كَان رجُلٌ لا أَعْلَمُ رجُلًا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ وكَانَ لا تُخْطِئُهُ صلاةٌ فَقِيلَ لَه أَوْ فقُلْتُ لهُ: لَو اشْتَرَيْتَ حِمارًا ترْكبُهُ في الظَّلْماءِ وفي الرَّمْضاءِ فَقالَ: ما يسُرُّني أَنَّ منْزِلي إِلَى جنْب الْمسْجِدِ،

أنس رضي الله عنه) ولفظ روايته قال: قال النبي ﷺ: «يا بني سلمة ألا تحتسبون ءاثاركم».

(وبنو سلمة بكسر اللام) والنسبة إليها السلمي بفتح أوّليه من تغيير النسب **(قبيلة معروفة من الأنصار)** وءاثارهم بالمد **(خطاهم)** بضم الخاء جمع خطوة أي خطواتهم في ذهابهم إلى المسجد للجمعة والجماعة.

١٣٧ - **(الحادي والعشرون: عن أبي المنذر)** بضم الميم وسكون النون بعدها ذال معجمة فراء مهملة، وهذه الكنية كناه بها رسول الله ﷺ، ويكنى بأبي الطفيل ولده كناه بها عمر بن الخطاب **(أبيّ)** بضم الهمزة وفتح الموحدة وتشديد التحتية **(ابن كعب)** الأنصاري الخزرجي النجاري القارئي المدني **(رضي الله عنه)** شهد أبيّ العقبة الثانية في السبعين من الأنصار، وشهد بدرًا وغيرها من المشاهد مع رسول الله ﷺ. توفي بالمدينة ودفن بها، قيل: سنة ثلاثين في خلافة عثمان، **(قال: كان رجل)** لم أر من سماه **(لا أعلم رجلًا أبعد)** الناس منزلًا **(من المسجد منه، وكان لا تخطئه)** بضم الفوقية أي تفوته **(صلاة، فقيل له أو فقلت له)** شك من الراوي عن أبيّ **(لو)** للتمني فلا تحتاج لجواب، ويحتمل أن تكون شرطية وحذف جوابها: أي لكان أحسن لفهمه من السياق **(اشتريت حمارًا تركبه في)** الليلة **(الظلماء وفي الرمضاء فقال ما يسرني)** أي يعجبني **(أن منزلي إلى جنب المسجد)** لما يفوت بالقرب من

إِنّي أُرِيدُ أَن يُكْتَبَ لِي ممْشايَ إِلَى الْمَسْجد ورُجُوعِي إِذَا رَجعْتُ إِلَى أَهْلي، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «قَد جَمَعَ اللّهُ لكَ ذلِكَ كُلَّهُ». رواه مسلم.

وفي روايةٍ: «إِنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ».

«الرمضاء»: الأرض التي أصابها الحر الشديد.

١٣٨ - الثَّاني والْعِشْرُونَ: عنْ أَبي محمدٍ عبدِ اللّهِ بنِ عمرو بنِ العاصِ رضي اللّه عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبعُون خَصْلةً أَعلاهَا مَنيحةُ الْعَنْزِ،

أجر تعدد الخطا المرتب على بعد الدار منه (**إني أريد أن يكتب**) بالبناء للمفعول، ويحتمل أن يكون مبنيًا للفاعل (**لي**) أجر (**ممشاي**) أي مشيي فهو مصدر ميمي (**إلى المسجد، و**)أجر (**رجوعي**) منه (**إذا رجعت**) فيه إثبات الثواب في الرجوع من الصلاة كما في الذهاب إليها (**فقال رسول الله ﷺ: قد جمع الله لك**) لصحة نيتك وحسن قصدك (**ذلك**) أي الذي رجوت (**كله**) تأكيد معنوي (**رواه مسلم**).

(**وفي رواية**) لمسلم (**إن لك**) أي عند الله أجر (**ما احتسبت**) أي عملته من تكثير الخطا في الذهاب إلى المساجد احتسابًا (**الرمضاء**) بالمد (**الأرض التي أصابها الحر الشديد**) حتى حميت من ذلك.

١٣٨ - (الثاني والعشرون: عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص) الزاهد العابد الصحابي ابن الصحابي (**رضي الله عنه**) بينه وبين أبيه في السن ثنتا عشرة سنة، أسلم قبل أبيه وكان كثير العلم مجتهدًا في العبادة تلّاء للقرءان. وكان أكثر الناس أخذًا للحديث والعلم عن رسول الله ﷺ. توفي بمصر سنة ثلاث، وقيل: خمس وستين، كان عمره اثنتين وسبعين سنة رضي الله عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: أربعون خصلة**) بفتح المعجمة وسكون المهملة أي نوعًا من البرّ (**أعلاها**) في المرتبة (**منيحة**) هي العطية وأصلها عطية الناقة أو الشاة، قال إبراهيم الحربي: يقولون منحتك الناقة أغرستك النخلة أعمرتك الدار أخدمتك العبد، كل ذلك هبة منافع كذا في «فتح الباري» (**العنز**) بفتح المهملة وسكون النون

ما مِنْ عامِلٍ يعمَل بِخَصْلَةٍ مِنْها رجاءَ ثوَابِهَا وتَصْدِيقَ موْعُودِهَا إلا أَدْخلَهُ اللّهُ بِهَا الْجنَّةَ». رواه البخاري.

«المنيحة»: أن يعطيه إياها ليأكل لبنها ثم يردها إليه.

١٣٩ - الثَّالثُ والْعِشْرُونَ: عَنْ عدِيّ بنِ حاتِمٍ رضي اللَّهُ عنه قال: سمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يقول: «اتَّقُوا النارَ وَلوْ بِشقّ تَمْرَةٍ». متفقٌ عليه.

بعدها زاي معروفة وهي واحدة المعز والجمع أعنز وعنوز وعناز (**ما من**) زائدة لتأكيد العموم واستغراقه (**عامل**) أي وهو مسلم (**يعمل خصلة**) وفي نسخة بخصلة بزيادة باء (**منها رجاء**) ممدود مفعول لأجله (**ثوابها**) من الله تعالى (**وتصديق**) منصوب أيضًا (**موعودها**) أي ما وعد به فيها فالإضافة لأدنى ملابسة (**إلا أدخله الله بها**) أي بسبب قبوله عمله بفضله ومنه (**الجنة**) فدخولها بفضله لا بعمله أي مع الفائزين. وتمام الحديث كما في البخاري «قال حسان: فعددنا ما دون منيحة المعز من رد السلام وتشميت العاطس وإماطة الأذى عن الطريق ونحوه فما استطعنا أن نبلغ خمس عشرة خصلة» اهـ. قال الحافظ العسقلاني: قال ابن بطال ما ملخصه: ليس في قول حسان ما يمنع من وجدان ذلك، وقد حض ﷺ على أبواب من أبواب الخير والبرّ لا تحصى كثرة، ومعلوم أنه ﷺ كان عالمًا بالأربعين المذكورة وإنما لم يذكرها لمعنى هو أنفع لنا من ذكرها وذلك خشية أن يكون التعيين لها مزهدًا في غيرها من أنواع البرّ (**رواه البخاري**) ورواه أبو داود أيضًا (**المنيحة**) بوزن عظيمة (**أن يعطيه إياها ليأكل لبنها ثم يردها إليه**) هذا أحد معنييها كما سيأتي في باب الكرم والجود عن أبي عبيد.

١٣٩ - (الثالث والعشرون: عن عديّ بن حاتم الطائي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اتقوا النار) بأن تتخذوا ما يقيكم من عذابها من صالح العمل والصدقة (**ولو**) كان التصدق (**بشق**) بكسر الشين المعجمة أي نصف (**تمرة**) قال السيوطي شق كل شيء نصفه (**متفق عليه**)

وفي رواية لهما عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنكُم مِنْ أَحَدٍ إلا سيُكَلّمُه ربُّه لَيْس بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَينْظُرُ أَيْمنَ مِنْهُ فلا يَرى إلا مَا قَدَّم، ويَنْظُرُ أَشأَمَ مِنْهُ فلا يَرَى إلا ما قَدَّمَ، وَينْظُرُ بَيْنَ يدَيْه فَلا يَرى إلا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فاتَّقُوا النَّارَ ولوْ بِشِقّ تَمْرةٍ، فَمَن لَمْ يَجدْ فَبِكَلِمةٍ طيّبَةٍ».

١٤٠ - الرَّابعُ والْعِشرونَ: عنْ أَنَس رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللّهَ لَيرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَن يأْكُلَ الأَكْلةَ فيَحمَدَهُ عليْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبةَ فيَحمَدَهُ عليْهَا». رواه مسلم.

ورواه النسائي أيضًا (**وفي رواية لهما**) أي للشيخين (**عنه**) أي عن عدي (**قال: قال رسول الله ﷺ: ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه**) بالكلام النفسي القائم بذاته عزّ وجلّ ويسمعه كما يريد الله كما سمعه الكليم (**ليس بينه**) أي الله (**وبينه**) أي المكلم (**ترجمان**) بضم الفوقية وتفتح الذي يترجم الكلام من لغة إلى أخرى والألف والنون زائدتان. والمراد هنا الرسول لأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء فيكون كلامه في الآخرة بالوحي لا بالرسول (**فينظر العبد أيمن منه**) أي في الجانب الأيمن (**فلا يرى إلا ما قدم**) من صالح عمله (**وينظر أشأم**) بالهمزة (**منه**) أي في الجانب الأيسر (**فلا يرى إلا ما قدم**) من سيء عمله (**وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء**) بكسر الفوقية أي حذاء (**وجهه، فاتقوا النار**) باتخاذ صالح العمل وقاية منها (**ولو**) كان الاتقاء (**بشق تمرة، فإن لم يجد**) شيئًا يتقي به النار (**فـ**) ليتق منها (**بكلمة طيبة**) أي بقول حسن يطيب به قلب المسلم.

١٤٠ - (**الرابع والعشرون: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله ليرضى عن العبد أن**) بفتح الهمزة أي في أن (**يأكل الأكلة**) بفتح الهمزة كما سيأتي وأتى ببناء المرة فيه وفيما بعده إشعارًا بأنه يستحق الحمد على النعمة وإن قلت (**فيحمده عليها**) يحصل أصل السنة بقوله الحمد لله (**أو يشرب**) بالنصب (**الشربة فيحمده عليها. رواه مسلم**)

«الأكلة» بفتح الهمزة: وهي الغدوة أو العشوة.

١٤١ - الْخَامسُ والْعِشْرُونَ: عن أَبي موسى رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قال: «عَلَى كُل مُسْلِم صدقةٌ» قال: أَرَأَيْتَ إِن لَمْ يَجدْ؟ قالَ: «يَعْتَمِلُ بِيَديهِ فَينْفَعُ نَفْسَه وَيَتَصدَّقُ» قالَ: أَرَأَيْتَ إِن لَمْ يسْتطِعْ؟ قالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْملْهوفَ» قالَ: أَرأَيْتَ إِن لَمْ يسْتَطِعْ قالَ: «يأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ أَوِ الْخير» قالَ: أَرأَيْتَ إِن لَم يفْعَلْ؟

ورواه أحمد والترمذي والنسائي (**الأكلة بفتح الهمزة**) المرة من الأكل حتى يشبع (**وهي الغدوة**) بفتح المعجمة وسكون المهملة اسم للمأكول أو النهار (**أو العشوة**) المأكلول ءاخره.

١٤١ - (الخامس والعشرون: عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: على كل مسلم) حق متأكد كل يوم (**صدقة**) شكرًا لنعم الله تعالى التي لا تعد ولا تحد، فالمراد منها هنا العموم البدلي وإن كانت في سياق الإثبات، ويدل له ورود التصريح به في الرواية السابقة «كل سلامى من الناس عليه صدقة» وقد تقدم في خبر «الصحيحين» أنها ثلاثمائة وستون (**قال أرأيت**) بفتح التاء أي أخبرني (**إن لم يجد**) أي ما يتصدق به من المال (**قال: يعتمل بيديه فينفع نفسه**) بعمله أي بثمنه أو بأجره أو بثمره (**ويتصدق**) منه، ففيه الحثّ على اكتساب ما تدعو إليه حاجة الإنسان من طعام وشراب وملبس ليصون وجهه عن الغير وما يتصدق به ليكتسب الثواب الجزيل بالقصد الجميل (**قال: أرأيت إن لم يستطع**) العمل المذكور ليتصدق منه (**قال: يعين ذا الحاجة الملهوف**) قال النووي: الملهوف عند أهل اللغة يطلق على المتحسر وعلى المضطر وعلى المظلوم، وإعانته أن يحمله على دابته أو يعينه على حمل متاعه عليها أو يوصل حاجة لمن لا يقدر على إيصالها من ذي سلطان ونحوه «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» (**قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يأمر بالمعروف أو الخير**) شك من الراوي (**قال: أرأيت إن لم يفعل**) أي

قال: «يُمْسِكُ عَنِ الشَّرّ فإِنَّهَا صدَقةٌ». متفقٌ عليه.

١٤ - باب في الاقتصاد في العبادة

قال الله تعالى ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [سورة طه]، **وقال تعالى** ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ۝١٨٥﴾ [سورة البقرة].

وهو معذور في ترك ذلك أو كان الأمر بذلك المعروف ليس مفروضًا على الكفاية (**قال: يمسك**) بضم الياء أي يمسك نفسه ويحبسها (**عن الشر**) قال النووي: المراد أنه إذا أمسك عن الشر لله تعالى كان له أجر على ذلك كما أن للمتصدق بالمال أجرًا (**فإنها**) أي هذه الخصلة (**صدقة**) منه على نفسه لسلامتها من الهلاك، وعلى غيره لكف الشرّ عنه، بل هذا هو الشكر الواجب الكافي في شكر هذه النعم وغيرها، أما الشكر المستحب فبأن يزيد على ذلك بنوافل الطاعات القاصرة كالأذكار والمتعدية كالصدقة والإعانة (**متفق عليه**).

١٤ - باب في الاقتصاد في العبادة

أي التوسط (**في**) أداء (**العبادة**) إبقاء على النفس ودفعًا للملل عنها. ونفس الإنسان في الطريق المعنوي كدابة في الطريق الحسي فكما أنه إذا جد على دابته الحسية وكدها بالأحمال الثقيلة وقطع المسافات الطويلة انقطعت به في أثناء الطريق ولم يصل إلى مقصده وإذا رفق بها وماشاها وصل إلى المراد وهان عليه ببلوغه لمقصده ما لقيه من مشقة السفر كذلك هنا، والعبادة غاية التذلل فهي أبلغ من العبودية إذ هي إظهار التذلل.

(**قال الله تعالى** ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾. **وقال تعالى** ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ ۝١٨٥﴾) بسكون المهملة، وقرئ بضمها لغتان وكذلك العسر كما تقدم ذلك (﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾) هو بمعنى «يريد الله بكم اليسر» كررت تأكيدًا، قال القرطبي في «التفسير»:

١٤٢ - وعن عائشةَ رضي اللَّهُ عنها أَنَّ النبيَّ ﷺ دخَلَ عليْها وعِنْدها امْرأَةٌ قال: «مَنْ هَذِهِ»؟ قالت: فُلانَةُ تَذْكُرُ مِن صَلاتِهَا قال: «مَهْ عليكُمْ بِما تُطِيقُون، فَوَاللّهِ لا يَمَلُّ اللّهُ حتَّى تَملُّوا» وكَانَ أَحَبُّ الدّين إِلَيْهِ ما داوَمَ علَيْهِ صَاحِبُهُ. متفقٌ عليه.

و«مه»

قال مجاهد والضحاك: اليسر الفطر في السفر، والعسر الصوم فيه؛ والوجه عموم اللفظ في جميع أمور الدين كما قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة الحج].

١٤٢ - (وعن عائشة رضي الله عنها أن النبيّ ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال من هذه؟ قالت: فلانة) قال الخطيب: هي الحولاء بنت ثويب بن حبيب ابن أسد بن عبد العزى **(تذكر)** بفتح الفوقية والفاعل عائشة. وفي «مسند الحسن» بن سفيان: هذه فلانة وهي أعبد أهل المدينة. وفي «مسند أحمد»: لا تنام تصلي، وروي يذكر بالبناء للمفعول وبالتحتية أي يذكرون **(من صلاتها)** أي أنها كثيرة، وروي فذكر بفاء فضم المعجمة فكسر الكاف **(قال)** ﷺ إشارة إلى كراهة ذلك خشية الملل والفتور على فاعله فينقطع عن العبادة التي التزمها فيكون رجوعًا عما بذل لربه من نفسه **(مه)** كلمة زجر بمعنى اكفف **(عليكم بما تطيقون)** قال النووي: أي الدوام عليه بلا ضرر **(فوالله)** أتى به لتأكيد الأمر، ويسن الحلف لمثل ذلك **(لا يمل الله حتى تملوا)** بفتح الميم في الموضعين، والملال استثقال الشيء ونفور النفس عنه بعد محبته، قال النووي: الملل بالمعنى المتعارف في حقنا محال في حق الله تعالى **(وكان أحب الدين إليه)** عند المستملي «إلى الله» وهو يدل على أن الضمير في إليه لله تعالى. **(ما داوم عليه صاحبه)** قال ابن العربي: معنى المحبة من الله تعالى تعلق الإرادة بالثواب أي أكبر الأعمال ثوابًا أدومها. قال النووي: بدوام القليل تستمر الطاعة بالذكر والمراقبة والإخلاص والإقبال على الله بخلاف الكثير الشاق حتى ينمو القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة اهـ **(متفق عليه. ومه)** بسكون

كَلِمة نَهْي وزَجْرٍ. ومَعْنى «لا يملُّ اللّهُ» أَي: لا يَقْطَعُ ثَوابَهُ عنْكُمْ وَجَزاءَ أَعْمَالِكُمْ، ويُعَامِلُكُمْ مُعامَلَة الْمالّ «حَتَّى تَملُّوا» فَتَتْرُكُوا، فَينْبَغِي لكُمْ أَن تأْخُذُوا ما تُطِيقُونَ الدَّوَامَ علَيْهِ لِيَدُومَ ثَوَابُهُ لَكُمْ وفَضْلُه عَلَيْكُمْ.

١٤٣ - وعن أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه قال: جاءَ ثَلاثةُ رهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبيّ ﷺ يسْأَلُونَ عنْ عِبادةِ النَّبيّ ﷺ، فَلَمَّا أُخبِروا كأَنَّهُمْ تَقَالُّوها وقالُوا: أَين نَحْنُ مِن النَّبيّ ﷺ وقَدْ غُفِر لَهُ ما تَقَدَّم مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ،

الهاء إذا كان النهي عن أمر معين وبكسرها منونة إذا كان عن غير معين (**كلمة نهي وزجر. ومعنى لا يمل الله**) أي المعنى لا مدلول اللفظ لما قد عرفت، وكأنه أشار إلى ذلك بالإتيان بأي في قوله (**أي لا يقطع ثوابه عنكم وجزاء أعمالكم ويعاملكم معاملة المالّ حتى تملوا فتتركوا، فينبغي لكم**) إذا عرفتم ما يترتب على العمل الشاق من الانقطاع (**أن تأخذوا ما تطيقون الدوام عليه**) من العمل الصالح وإن قلّ (**ليدوم ثوابه**) عليه (**لكم و**) يستمر (**فضله عليكم**) لدوام تفضله بجعله سببًا له.

١٤٣ - (**وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط**) يعني ثلاثة رجال عليّ بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعثمان بن مظعون وإلا فالرهط لغة: من ثلاثة إلى عشرة اهـ (**إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون**) يجوز أن يكون صفة للثلاثة وأن يكون حالا لها (**عن عبادة النبيّ ﷺ**) أي عن قدرها ليتمسكوا بها ويقتدوا به في أفعاله فأخبروا بها (**فلما أُخبروا**) فالفاء عاطفة على مقدر (**تقالوها**) بتشديد اللام المضمومة تفاعل من القلة أي عدوها قليلة، قال الأبي في «شرح مسلم»: إنما تقالوها بالنسبة إلى فهمهم، وربّ قليل عند شخص كثير في نفسه. (**وقالوا: وأين نحن من النبيّ ﷺ؟**) أي بيننا وبينه بون بعيد ومسافة طويلة (**وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**) قال تعالى ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ

قالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فأُصلّي الليلَ أَبدًا، وقال الآخَرُ: وَأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ ولا أُفْطِر، وقالَ الآخرُ: وأَنا أَعْتَزِلُ النّساءَ فلا أَتَزوَّج أَبدًا، فَجاءَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فقالَ: «أَنْتُمُ الَّذين قُلْتُمْ كذا وكذَا؟ أَمَا واللّهِ إِنّي لأَخْشاكُمْ لِلّهِ وأَتْقَاكُم له لكِنّي أَصُومُ وأُفْطرُ وأُصَلّي وَأَرْقُدُ وأَتَزَوَّجُ النّساءَ، فمن رَغِبَ عن سُنَّتِي فَلَيسَ مِنّي».

مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الفتح] وهذا كناية عن تشريفه وتكميله (**قال أحدهم**) وعند مسلم بعضهم (**أما**) حرف شرط فيه معنى التوكيد (**أنا فأصلي الليل أبدًا**) أي أحييه بالقيام ولا أنام شيئًا منه (**وقال الآخر**) بفتح الخاء المعجمة (**وأنا أصوم الدهر**) أي ما عدا يومي العيد وأيام التشريق لحرمة صومها (**ولا أفطر**) في شيء من أيامه (**وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا**) يحتمل أنه زهد فيه لكونه من المستلذات ولما يرى من أن النكاح شاغل عن كمال الجد في العبادة. قال الجنيد: ما رأينا من تزوّج فبقي على حاله (**فجاء رسول الله ﷺ**) أي أعلم بما قالوه فجاء (**فقال: أنتم**) بحذف ألف الاستفهام التقريري أي أأنتم (**الذين قلتم كذا وكذا**) ويحتمل أنه أوحي له بما قالوه ولم يعلمه به أحد من البشر فأخبر به معجزة (**أما**) بتخفيف الميم أداة استفتاح (**والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له**) لما جمع الله له من علم اليقين مع المعرفة القلبية واستحضار العظمة الإلٰهية ما لم يجتمع لأحد سواه وأراد ﷺ ردّ ما بنى عليه القوم أمرهم حيث أعلمهم أنه مع كونه بالغًا في الخشية أعلاها وفي العبادة منتهاها لم يفعل ما أرادوا فعله. ولو كان أحب إلى الله مما هو عليه من الاقتصاد لفعله. والخشية خوف مقرون بمعرفة فهي أخص من الخوف إذ هو توقع العقوبة على مجاري الأنفاس واضطراب القلب من ذلك المخوف. (**لكني أصوم**) تارة (**وأفطر**) تارة أخرى (**وأصلي**) أي أتهجد في بعض الليل. أداء لحق العبودية (**وأرقد**) أداء لحق النفس (**وأتزوّج النساء، فمن رغب**) أي أعرض (**عن سنتي**) طريقتي (**فليس مني**) قال المطرزي في «شرح المصابيح»: يعني من ترك ما أمرت به من أحكام

متفقٌ عليه.

١٤٤ - وعن ابنِ مسعودٍ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «هَلَكَ الْمُتَنَطّعُونَ»، قالَهَا ثلاثًا. رواه مسلم.

«المتنطعون»: المُتَعمقون المُشَدّدُون في غيرِ مَوضعِ التشديدِ.

١٤٥ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قال: «إِنَّ الدّينَ يُسْرٌ، ولن يُشَادَّ الدّينُ إِلا غَلَبَه، فسدّدُوا

الدين فرضًا أو سنة على سبيل الاستخفاف بي وعدم الالتفات إليّ فليس مني لأنه كافر، أما من تركه لا عن استخفاف بل عن الكسل لم يكن كافرًا، وحينئذٍ فقوله: «ليس مني» أي من المقتدين بي والعاملين بسنتي اهـ **(متفق عليه)** واللفظ للبخاري وعند مسلم نحوه.

١٤٤ - (وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: هلك المتنطعون قالها) أي هذه الجملة وكررها **(ثلاثًا)** تأكيدًا في النهي عنه، وكان ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا لتفهم عنه رواه البخاري و**(رواه مسلم)** وأحمد وأبو داود.

(المتنطعون) جمع متنطع اسم فاعل من التنطع بتقديم الفوقية على النون **(المتعمقون المشددون في غير موضع التشديد)** وقال الخطابي: المتنطع المتعمق في الشيء المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم.

١٤٥ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن الدين) أل فيه للعهد أي دين الإسلام **(يسر)** قال الكرماني: معناه إما ذو يسر أو أنه يسر على سبيل المبالغة نحو زيد عدل أي لشدّة اليسر وكثرته فيه كأنه نفسه **(ولن يشادّ الدين إلا غلبه)** قال الطيبي: بناء المفاعلة في يشادّ ليس للمغالبة بل للمبالغة، والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع عن عمله كله أو بعضه **(فسددوا)** الفاء جواب شرط مقدر أي إذا بينت لكم ما في المشادة من الوهن فسددوا أي

وقَارِبُوا وأَبْشِرُوا واسْتعِينُوا بِالْغَدْوةِ والرَّوْحةِ وشَيءٍ مِن الدُّلْجةِ». رواه البخاري.

وفي رواية له: «سدّدُوا وقَارِبُوا واغْدوا ورُوحُوا وشَيءٌ مِنَ الدُّلْجةِ، الْقَصْدَ الْقصدَ تَبْلُغُوا».

قوله: «الدّينُ» هُو مرْفوعٌ علَى ما لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُه، ورُوِيَ مَنْصُوبًا، ورُوِيَ: «لَن يُشَادَّ الدّينَ أَحَدٌ». وقوله ﷺ: «إلا غَلَبَهُ»: أَيْ: غَلَبَه الدِينُ وَعَجزَ ذلكَ الْمُشَادُّ عن مُقَاومَةِ الدِينِ لِكَثْرةِ طُرقِهِ. و«الْغَدْوةُ» سيْرُ أَوَّلِ النَّهَارِ. و«الرَّوْحةُ»:

الزموا السداد، وهو التوسط من غير إفراط ولا تفريط **(وقاربوا)** أي إن لم تستطيعوا العمل بالأكمل فاعملوا ما يقرب منه **(وأبشروا)** بالثواب على العمل الدائم وإن قل **(واستعينوا)** على تحصيل العبادات **(بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)** قال في «التوشيح» بالضم **(رواه البخاري. وفي رواية له)** من حديث أبي هريرة **(سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة)** أي مضموم إلى الغدوة والروحة **(القصد)** بالنصب على الإغراء أي الزموا التوسط في الأمر من غير إفراط ولا تفريط أو مفعول **(تبلغوا)** جواب الشرط المقدر أي إن تفعلوا ذلك على وجه القصد والمقاربة تبلغوا القصد من مرضاة ربكم ودوام القيام بعبوديته وإن تعاطيتم المشاقّ ربما مللتم فانقطعتم **(قوله الدين هو)** في أكثر الروايات **(مرفوع على)** أنه مفعول **(ما)** أي فعل **(لم يسم فاعله)** «ويشاد» عليه مبني للمفعول **(وروي منصوبًا)** بإضمار الفاعل للعلم به **(وروي: لن يشادّ الدين أحد)** أي بالتصريح بالفاعل، قال الحافظ: رواه هكذا ابن السكن **(وقوله ﷺ إلا غلبه أي غلبه الدين)** بالرفع فالضمير المرفوع المستكن يرجع إليه **(وعجز ذلك المشاد عن مقاومة الدين لكثرة طرقه)** أي ولا يمكن القيام بكلها في كل وقت لأن الوقت لا يقبل عملين وليس للإنسان في جوفه من قلبين **(والغدوة)** بفتح الغين المعجمة المرة من **(سير أول النهار)** الذي هو الغدو (و) كذا **(الروحة)** فهي المرة من سير

ءاخِرُ النَّهَارِ. و«الدُّلْجَةُ»: ءاخِرُ اللَّيْلِ. وَهَذا استِعارةٌ وتَمْثِيلٌ، ومعْناهُ: اسْتَعِينُوا عَلَى طَاعةِ اللّهِ تعالَى بالأَعْمال في وقْتِ نشاطِكُمْ وفَراغِ قُلُوبِكُم بِحيثُ تَسْتَلِذُّونَ الْعِبادةَ ولا تسأَمُونَ وتبلغون مقْصُودَكُمْ كَما أَنَّ الْمُسافِرِ الْحاذِقَ يَسيرُ في هَذهِ الأَوْقَاتِ ويَستَرِيحُ هُوَ ودابَّتُهُ في غيْرِهَا فَيصِلُ الْمقْصُودَ بِغَيْرِ تَعبٍ، واللّهُ أَعلم.

١٤٦ - وعن أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه قال: دخَلَ النبيُّ ﷺ فَإِذَا حبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ

(**ءاخر النهار**) المسمى بالرواح (**والدلجة**) السير (**ءاخر الليل**) هذا قول بعض أهل اللغة، واقتصر في «مختصر القاموس» على أنه سير الليل كله (**وهذا**) أي قوله استعينوا إلخ (**استعارة**) بأن شبه استعانة السالك في استعماله في سلوكه أوقات النشاط المقرّبة لوصوله لغاية سلوكه باستعانة المسافر السفر الحسي بسيره في هذه الأوقات التي تنشط فيها الدواب وتقطع فيها المسافات التي يقرب بقطعها من المقصد ثم سرت الاستعارة منه إلى الفعل فهي استعارة مصرحة تبعية (**وتمثيل**) بأن شبه ما يقع من السالك من الاستراحة وقتها والتعبد أوقات النشاط والفراغ بحلول المسافر تارة وارتحاله في أوقات النشاط أخرى في الوصول إلى المقصد (**ومعناه: استعينوا على طاعة الله تعالى بالأعمال في وقت نشاطكم**) هذا يرجع إلى الغدوة والروحة (**وفراغ قلوبكم**) يرجع للدلجة (**بحيث تستلذون العبادة**) وإن كانت شاقة في ذاتها لمزيد النشاط وصفاء القلب مما يشغله عن استجلاء محاسن الطاعة (**ولا تسأمون**) لنشاطكم وفراغ قلوبكم (**وتبلغون مقصودكم**) من أداء العبودية حسب الطاقة (**كما أن المسافر الحاذق يسير في هذه الأوقات**) لنشاط الدواب ببرد الهواء فيقطع فيها من المسافة ما لا يقطعه في أطول منها من باقي الأوقات (**ويستريح هو ودابته في غيرها فيصل المقصود بلا تعب، والله أعلم**).

١٤٦ - (**وعن أنس رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ**) زاد مسلم المسجد (**فإذا حبل ممدود بين الساريتين**) من سواريّ المسجد وكأنهما

فقالَ: «ما هَذَا الْحبْلُ»؟ قالُوا: هَذا حبْلٌ لِزَيْنَبَ فإذا فَترتْ تَعلَّقَتْ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «حُلُّوهُ، لِيُصَلّ أَحدُكُمْ نَشاطَهُ فإذَا فَتَرَ فَلْيرْقُدْ». متفقٌ عليه.

١٤٧ - وعن عائِشَةَ رضي اللَّهُ عنها أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إذَا نعَسَ أَحدُكُمْ وَهُوَ يُصَلّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فإن أَحدَكم إذَا صلَّى وهُوَ نَاعِسٌ لا يَدرِي لعلَّهُ يذهَبُ يسْتَغْفِرُ فيَسُبُّ نَفْسَهُ».

كانا معهودين بين المخاطبين، وعند مسلم «ساريتين» بالتنكير (**فقال: ما هذا الحبل**) أي ما سبب مده بهذا المكان (**قالوا**) أي الحاضرون (**هذا حبل لزينب**) بنت جحش (**فإذا فترت**) بفتح الفوقية أي كسلت عن القيام في الصلاة (**تعلقت**) به (**فقال النبي ﷺ: «حلوه ليصلّ أحدكم نشاطه**) بفتح النون (**فإذا فتر فليرقد»**. **متفق عليه**) قال الحافظ ابن حجر: فيه الحثّ على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق فيها والأمر بالإقبال عليها بنشاط، وفيه إزالة المنكر باللسان واليد، وفيه جواز تنفل النساء في المسجد.

١٤٧ - (**وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال: إذا نعس أحدكم**) بفتح العين في الماضي والنعاس مقدمة النوم وعلامته سماع كلام الحاضرين وإن لم يفهم معناه (**وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم**) في رواية النسائي فلينصرف، والمراد به التسليم من الصلاة بعد تمامها فرضًا كانت أو نفلًا، فالنعاس سبب للنوم وللأمر به ولا يقطع الصلاة بمجرد النعاس (**فإن أحدكم**) أي الواحد منكم إذا صلى وهو ناعس غاير بين لفظي النعاس فعبر أولًا بلفظ الماضي وهنا بلفظ الوصف تنبيهًا على أنه لا يكفي وجود أدنى نعاس وتقضيه في الحال بل لا بد من ثبوته بحيث يفضي إلى عدم درايته بما يقول وعدم علمه بما يقرأ (**لا يدري لعله يذهب يستغفر**) أي يقصد الاستغفار (**فيسبّ نفسه**) أي يدعو عليها وهو بالرفع عطفًا على يستغفر، والنصب جوابًا لـ «لعل»

متفقٌ عليه.

١٤٨ - وعن أَبي عبدِ اللَّهِ جابرِ بنِ سَمُرَةَ رضي اللَّهُ عنهما قال: كُنْتُ أُصَلّي مَعَ النبيّ ﷺ الصَّلَوَاتِ فَكَانَتْ صلاتُهُ قَصدًا وخُطْبَتُهُ قَصْدًا». رواه مسلم.

قوله: «قصدًا»: أي بين الطول والقصر.

١٤٩ - وعن أَبي جُحَيْفَةَ وَهْبِ بْنِ عبدِ اللَّهِ رضي اللَّهُ عنه قال: ءاخَى

والترجي في لعل عائد على المصلي لا إلى المتكلم به أي لا يدري أمستغفر أم ساب مترجيًا للاستغفار وهو في الواقع بضد ذلك **(متفق عليه)** ورواه مالك وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

١٤٨ - **(وعن أبي عبد الله)** ويقال أبو خالد **(جابر بن سمرة)** بضم الميم ابن جنادة السوائي هو وأبوه صحابيان **(رضي الله عنهما)** توفي سنة ستّ وستين **(قال: كنت أصلي مع النبيّ ﷺ الصلوات)** وفي رواية لمسلم «والله لقد صليت مع رسول الله ﷺ أكثر من ألفي صلاة» **(فكانت صلاته قصدًا)** أي يأتي بمكملاتها ومسنونها من غير طول ولا قصر **(وخطبته)** أي للجمعة وغيرها **(قصدًا)** إذ هو لما أوتي من جوامع الكلم كان يجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة ولم يبالغ في الإيجاز لأنه بصدد البيان والمبالغة فيه تؤدي إلى خلاف ما هو بصدده غالبًا **(رواه مسلم. قوله قصدًا: أي بين الطول والقصر)** بكسر ففتح.

١٤٩ - **(وعن أبي جحيفة)** بضم الجيم وفتح المهملة وسكون التحتية بعدها فاء ثم هاء **(وهب بن عبد الله)** وقيل: ابن وهب السوائي بضم المهملة وتخفيف الواو والمد نسبة إلى سواءة بن عامر بن صعصعة المذكور في نسب جابر بن سمرة، توفي النبي ﷺ وأبو جحيفة صبيّ لم يبلغ الحلم، وكان علي بن أبي طالب يكرمه ويحبه ويثق به وجعله على بيت المال بالكوفة، نزل الكوفة وابتنى بها دارًا، وتوفي بها سنة اثنتين وسبعين **(رضي الله عنه قال: ءاخى)** بالمد والخاء المعجمة من المؤاخاة

النَّبيُّ ﷺ بَيْن سَلْمَانَ وأَبي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذّلَةً فقالَ لَهَا: ما شَأْنُكِ؟ قالَتْ: أَخُوك أَبُو الدَّرْداءِ ليْسَ له حَاجةٌ في الدُّنْيَا. فَجاءَ أَبُو الدرْدَاءِ فَصَنَعَ لَه طَعَامًا، فقالَ لَهُ: كُلْ فَإنّي صَائِمٌ، قالَ: ما أَنا بآكل حتَّى تأْكلَ، فَأَكَلَ، فَلَمَّا كانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْداءِ يقُوم فقال لَه: نَمْ فَنَام، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُوم فقالَ له: نَمْ فَلَمَّا كان من ءاخر اللَّيْلِ قالَ سلمانُ: قُمِ الآنَ فَصَلَّيَا،

والمعاهدة على التناصر والقيام بحقوق الدين (**النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء**) عويمر الأنصاري لما ءاخى بين المهاجرين والأنصار (**فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء**) الكبرى واسمها خيرة بفتح المعجمة وسكون التحتية بنت حدرد صحابية بنت صحابي ماتت قبل أبي الدرداء (**متبذلة**) قال الحافظ: أي لابسة ثياب البذلة بكسر الموحدة وسكون المعجمة وهي المهنة وزنًا ومعنًى، والمعنى أنها تاركة للبس ثياب الزينة (**فقال لها: ما شأنك**) زاد الترمذي في روايته أم الدرداء متبذلة (**قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا**) وفي رواية الدارقطني «في نساء الدنيا» وزاد فيه ابن خزيمة «يصوم النهار ويقوم الليل» (**فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا**) على وجه القرى والكرامة (**فقال**) بعد أن قرب الطعام (**له**) أي لسلمان (**كل فإني صائم، قال**) سلمان (**ما أنا بآكل**) زاد الباء لتأكيد النفي (**حتى تأكل**) وغرضه أن يصرف أبا الدرداء عن رأيه فيما يصنعه من جهد نفسه في العبادة وغير ذلك مما شكته إليه امرأته (**فأكل**) إكرامًا له فإفطاره لعذر فيثاب عليه (**فلما كان الليل**) في رواية ابن خزيمة وغيره «ثم بات عنده فلما كان الليل» أي أوله (**ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال له**) سلمان (**نم فنام، ثم ذهب يقوم فقال نم، فلما كان من ءاخر الليل**) أي عند السحر وعند الترمذي «فلما كان عند الصبح» والدارقطني «فلما كان في وجه الصبح» (**قال سلمان: قم الآن، فصليا**) في رواية الطبراني «فقاما فتوضآ ثم ركعا ثم خرجا إلى

فقالَ له سَلْمَان: إِنَّ لرَبّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِنَفْسكَ عَلَيْكَ حقًّا وَلأَهْلكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقّ حَقَّه، فَأَتَى النبيَّ ﷺ فَذَكر ذلكَ لَه، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «صَدَقَ سلْمَان». رواه البخاري.

١٥٠ - وعن أَبي محمدٍ عبدِ اللّهِ بن عَمْرِو بن العاصِ

الصلاة» (**فقال له سلمان**) مرشدًا إلى حكمة الاقتصاد وترك الغلوّ في العبادة (**إن لربك عليك حقًا**) من العبادة (**وإن لنفسك عليك حقًا**) من الطعام الذي تقوم به بنيتها والمنام الذي يحصل به صحتها (**ولأهلك**) أي زوجك (**عليك حقًّا**) هو إتيانها وقضاء وطرها، زاد الترمذي وابن خزيمة «ولضيفك عليك حقًّا» زاد الدارقطني «فصم وأفطر وصل ونم وأت أهلك» وذلك كالتفسير لقوله هنا (**فأعط كل ذي حق حقه فأتى**) أي أبو الدرداء (**النبي ﷺ، فذكر ذلك له**) في رواية الترمذي «فأتيا بالتثنية» وعند الدارقطني «ثم خرجا إلى الصلاة، فدنا أبو الدرداء ليخبر النبي ﷺ بالذي قال له سلمان فقال له: يا أبا الدرداء إن لجسدك عليك حقًا» مثل ما قال سلمان، ففي هذه الرواية أن النبي ﷺ أشار إليهما بأنه علم بطريق الوحي ما جرى بينهما، فيحتمل الجمع بأنه كاشفهما بذلك أولًا ثم أطلعه أبو الدرداء على صورة الحال (**فقال النبي ﷺ: صدق سلمان**) قال الحافظ ابن حجر: «وفي الحديث من الفوائد مشروعية المؤاخاة في الله، وزيارة الإخوان فيه والمبيت عندهم، وجواز مخاطبة الأجنبية، والنصح للمسلم وتنبيه من غفل، وفيه فضل قيام ءاخر الليل، وفيه جواز النهي عن المستحبات إذا خشي أن ذلك يفضي إلى السآمة والملل وتفويت الحقوق المطلوبة الواجبة أو المندوبة الراجح فعلها على فعل المستحب المذكور. والوعيد الوارد فيمن نهى مصليًا عن الصلاة مخصوص بمن نهاه ظلمًا وعدوانًا، وفيه جواز الفطر من صوم التطوع» اهـ (**رواه البخاري**) وغيره.

١٥٠ - (وعن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص) قال النووي: أكثر ما يأتي في كتب الحديث والفقه بحذف الياء وهو لغة، والصحيح

رضي اللَّهُ عنه قال: أُخْبِرَ النبيُّ ﷺ أَنّي أَقُول: وَاللّهِ لأَصومَنَّ النَّهَارَ ولأَقُومنَّ اللَّيْلَ ما عِشْتُ، فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ: «أَنْتَ الَّذي تَقُولُ ذلك»؟ فَقُلْتُ له: قَد قُلتُه بأَبي أَنْت وأُمّي يا رسولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّكَ لا تَسْتطيعُ ذلكَ، فَصُمْ وأَفْطرْ ونَمْ وَقُمْ وَصُمْ منَ الشَّهْرِ ثَلاثَةَ أَيَّام فَإِنَّ الْحسنَةَ بعَشْرِ أَمْثَالِها، وذلكَ مثْلُ صِيامِ الدَّهْرِ» قُلْتُ: إنّي أُطيقُ أَفْضَلَ من ذلكَ

الفصيح إثباتها (**رضي الله تعالى عنه قال: أخبر**) بالبناء للمفعول (**النبي ﷺ أني أقول: والله لأصومنّ النهار**) أي كل نهار قابل للصوم ليخرج يوم العيد وأيام التشريق (**ولأقومنّ الليل**) أي جميعه (**ما**) مصدرية ظرفية (**عشت**) أي مدة عيشتي أي حياتي (**فقال رسول الله ﷺ**) أي لي (**أنت الذي تقول ذلك؟**) أي أأنت بتقدير همزة الاستفهام التقريري والمشار إليه قوله لأصومن إلخ (**فقلت له: قد قلته بأبي أنت وأمي**) أي مفدي بهما (**يا رسول الله: قال: فإنك لا تستطيع ذلك**) قال الحافظ العسقلاني: يحتمل أن يريد لا تطيقه في الحالة الراهنة لما علمه ﷺ من أنه يتكلف ذلك ويدخل به على نفسه المشقة ويفوت به ما هو أهم من ذلك (**فصم وأفطر ونم وقم**) لتقوى بالفطر والنوم على الصوم والقيام ولذا كان الأفضل صيام داود وقيامه الآتيان (**وصم من الشهر ثلاثة أيام**) هذا تفصيل لما أجمله في قوله فصم وأفطر أي فصيام الثلاث من الشهر كصيامه (**فإن الحسنة بعشر أمثالها**) هذا أقل درجات المضاعفة، وتضعيف الحسنات من خصائص هذه الأمة نبه عليه القرافي، وظاهر الحديث أن ذلك يحصل بصيام أي ثلاثة كانت من الشهر، وقد اختلفت الأخبار في أفضلها (**وذلك**) أي صيام الثلاث من كل شهر لكون الحسنة بعشر أمثالها (**مثل صيام الدهر**) في أصل الثواب لا فيه مع المضاعفة المرتبة على صيامه بالفعل لئلا يلزم مساواة ثواب الأقل من الأعمال للأكثر منها مع التساوي في سائر الأوصاف، وقواعد الشرع تأباه. قال في «فتح الباري»: ومع ذلك فيصدق على فاعل ذلك أنه صام الدهر مجازًا (**قلت إني أطيق**) عملًا (**أفضل من ذلك**) أي أكثر ثوابًا من صوم ثلاثة أيام وهو

قَالَ: «فَصمْ يَوْمًا وَأَفْطر يَوْمَيْنِ»، قُلْتُ: إِنّي أُطيقُ أَفْضَلَ من ذلكَ، قَالَ: «فَصُم يَوْمًا وأَفْطرْ يوْمًا فَذلكَ صِيَامُ دَاودَ ﷺ، وَهُو أَعْدَلُ الصّيَام». وَفي رواية: «هوَ أَفْضَلُ الصّيام» فَقُلْتُ: فَإِنّي أُطيقُ أَفْضَلَ من ذلكَ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا أَفْضَلَ من ذلك»، وَلأَن أَكُون قَبِلْتُ الثَّلاثَةَ الأَيَّام الَّتي قال رسولُ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِليَّ منْ أَهْلي وَمَالِي.

وفي روايةٍ: «أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصومُ النَّهَارَ وتَقُومُ اللَّيْلَ؟» قلت: بلى يَا رسولَ اللّهِ. قال: «فَلا تَفْعل

الزيادة في الصوم المرتب عليها الزيادة في الثواب لما عندي من القوى (قال: **فصم يومًا وأفطر يومين قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فصم يومًا وأفطر يومًا، فذلك صيام داود ﷺ وهو أعدل الصيام**) لأن النفس تكتسب في يوم الفطر من القوى ما يجبر به ما لحقها من وهن الصوم فتدوم على العمل، ولفظ أعدل لمسلم (**وفي رواية**) للبخاري (**هو أفضل الصيام**) أي صيام التطوع فهو أفضل من صوم الدهر كما قاله المتولي وغيره (**فقلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، فقال رسول الله ﷺ: لا أفضل من ذلك**) هو لعبد الله وغيره قال عبد الله بعد كبره ومشقة ما سأل الازدياد فيه من النبي ﷺ حتى زاده حين كاد أن يعجز عنه ولم يعجبه أن يتركه لالتزامه فتمنى الأخذ بالرخصة والأخف فقال (**و**) الله (**لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام**) بالنصب عطف بيان على الثلاثة (**التي قال رسول الله ﷺ**) أي أشار أولا بها وبالاقتصار عليها إبقاء على النفس (**أحب إلي من أهلي ومالي**) قال في «فتح الباري»: ومع عجزه وتمنيه الأخذ بالرخصة لم يترك العمل بما التزمه بل صار يتعاطى فيه نوع تخفيف (**وفي رواية**) للبخاري (**ألم أخبر أنك تصوم النهار**) أي كل يوم قابل للصوم فأل فيه للاستغراق (**وتقوم الليل**) أي كل الليل على الدوام (**قلت: بلى يا رسول الله**) سيأتي في مسلم ولم أرد بذلك إلا الخير (**قال**) تنبيهًا على طريق الرفق والسداد (**فلا تفعل**) لما في ذلك من كمال المشقة

صُمْ وأَفْطِرْ ونَمْ وقُمْ فإنَّ لِجَسَدِكَ عليكَ حَقًّا، وإنَّ لِعيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإنَّ لِزَوْرِكَ علَيْكَ حَقًّا، وإنَّ بحَسْبِكَ أَن تَصُومَ مِنْ كُلّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّام، فَإنَّ لَكَ بكُلّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فَإذًا ذلك صِيَامُ الدَّهْرِ» فشَدَّدْتُ فَشُدّدَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يا رسولَ اللَّهِ إنّي أَجِدُ قُوَّةً، قال: «صُمْ صِيَامَ نبيّ اللّهِ داوُدَ وَلا تَزِدْ عَلَيْهِ» قلت: وما كَان صِيَامُ داودَ؟ قال: «نِصْفُ الدهْرِ»،

المفضي بثقل الطاعة على النفس ونفرتها منه وربما ملتها فانقطعت عنها بخلاف الرفق فإنه يدوم به الأمر، ويحسن به الشأن (**صم وأفطر ونم وقم، فإن لجسدك عليك حقًّا**) قال المهلب: حق الجسد أن يترك فيه من القوة ما يستديم به العمل إذ إجهاد النفس في العبادة قاطع لها عن الدوام كما تقدم (**وإن لعينك**) هذه رواية الكشميهني بالإفراد وعند غيره لعينيك بالتثنية (**عليك حقًّا**) وهو النوم قدر ما ينكسر به سورة السهر (**وإن لزوجك عليك حقًّا**) حق الأهل أن يبقى في نفسه قوّة يمكن معها الجماع فإنه حق للمرأة تطالب به عند بعض العلماء، وإذا عجز عن ذلك بالعنة وضربت المدة ولم يأتها جاز لها الفسخ (**وإن لزورك**) أي ضيفك (**عليك حقًّا**) وحقه خدمته وتأنيسه بالأكل معه، والزور الضيف والرجل يأتيه زائرًا والواحد والاثنان والثلاثة، المذكر والمؤنث فيه بلفظ واحد لأنه مصدر وضع موضع الأسماء مثل قوم صوم (**وإن بحسبك**) الباء زائدة والسين ساكنة أي كافيك (**أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام**) وللكشميهني في كل شهر (**فإذًا**) بتنوين الذال وهي التي يجاب بها «إن» وكذا «لو» صريحًا أو تقديرًا وإن هنا مقدرة كأنه قيل إن صمتها فإذًا (**ذلك صيام الدهر**) مثل أصل ثواب صومه (**فشددت**) على نفسي في عدم قبول هذه الرخصة (**فشدد**) بالبناء للمفعول (**عليّ**) في زيادة العمل ثم بين ذلك بقوله (**قلت يا رسول الله إني أجد قوّة**) تحتمل الزيادة على صوم الثلاثة في كل شهر (**قال: صم صيام داود**) عليه السلام (**ولا تزد عليه**) لعظم فضله (**قلت: وما كان صيام داود قال: نصف الدهر**) أي على سبيل التقريب وإلا فيوما

وَكَان عَبْدُ اللّهِ يقول بعْدمَا كَبِر: يا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النبيّ ﷺ.

وفي روايةٍ: «أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تصُومُ الدَّهْرَ وَتَقْرَأُ الْقُرْءانَ كُلَّ لَيْلَةٍ؟» فَقُلْتُ: بَلَى يا رسولَ اللّهِ، ولَمْ أُرِدْ بذلِكَ إلا الْخَيْرَ، قَالَ: «فَصُمْ صَوْمَ داودَ فَإِنَّه كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ، واقْرَإِ الْقُرْءانَ في كُلّ شَهْرٍ» قُلْت: يَا نَبيَّ اللّهِ إِنّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِن ذلِكَ قَالَ: «فَاقْرَأْه في كُلّ عِشْرِينَ» قُلْت: يَا نبيَّ اللّهِ إِنّي أَطِيقُ أَفْضَل مِن ذَلِكَ قَالَ: «فَاقْرَأْهُ في عَشْرٍ» قُلْت: يَا نَبيَّ اللّهِ إِنّي أُطِيق أَفْضَلَ مِن ذلِكَ قَالَ: «فَاقْرَأْه في سَبْعٍ وَلا تَزِدْ علَى ذَلِكَ» فَشَدَّدْتُ

العيد وأيام التشريق زائدة في عدد أيام الفطر على عدد أيام الصوم (**وكان عبد الله يقول بعدما كبر**) بكسر الموحدة أي في السنّ وشقّ عليه ثقل العمل ولم يتمكن من تركه لما تقدم (**يا**) قوم (**ليتني**) وقيل: إن «يا» للتنبيه (**قبلت رخصة النبي** ﷺ) بالتخفيف بصوم الثلاث.

(**وفي رواية**) لمسلم (**ألم أخبر**) بالبناء للمفعول (**أنك تصوم الدهر وتقرأ القرءان**) أي تختم المجتمع منذ حينئذٍ (**كل ليلة، فقلت: بلى يا رسول الله**) أي أنا أفعل ذلك الذي أخبرت به، (**ولم أرد بذلك**) أي بصيامي المتتابع وقيامي (**إلا الخير**) أي ثواب الله تعالى (**قال فصم صوم داود فإنه كان أعبد الناس**) أي غير النبي ﷺ إذ المتكلم لا يدخل في عموم كلامه ولا يلزم من ذلك أن يكون أفضلهم بعد النبي ﷺ لأن التفضيل بأعلى المراتب وأعلى المنازل موهبة من الله تعالى ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [سورة ءال عمران] (**واقرإ القرءان**) أي اختمه متهجدًا به (**في**) ليالي (**كل شهر قلت: يا نبيّ الله إني أطيق أفضل من ذلك**) أي المذكور من الصوم للثلاثة الأيام والقراءة في الشهر (**قال: فاقرأه في عشرين**) ليلة قال (**قلت يا نبيّ الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فاقرأه في**) كل (**عشر**) أي من الليالي (**قلت: يا نبيّ الله إني أطيق أفضل من ذلك**) وفي نسخة أكثر من ذلك (**قال: فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك فشددت**) بطلب

فَشُدّدَ عَلَيَّ، وقَالَ لي النَّبيّ ﷺ: «إِنَّكَ لا تَدرِي لَعلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمُرٌ» قَالَ: فَصِرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لي النَّبيُّ ﷺ، فَلَمَّا كَبِرْتُ وددتُ أني كنت قَبِلْتُ رخْصَةَ نَبيّ اللّهِ ﷺ.

وفي رِواية: «وَإِنَّ لِوَلَدِكَ علَيْكَ حَقًّا». وفي رِوايةٍ: «لا صَامَ من صَامَ الأَبَدَ» ثَلاثًا.

وفي رِوايةٍ: «أَحَبُّ الصّيَام إِلَى اللَّهِ تَعَالَى صِيَامُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَى اللّهِ تَعَالَى صَلاةُ دَاوُدَ:

الزيادة (**فشدد عليّ**) بها (**وقال لي النبي ﷺ**) من باب الإخبار بالمغيبات مما يئول إليه حاله من العجز والضعف (**إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر**) فتعجز عن القيام بمشاق العبادات ولعل معلقة لتدري عن مفعوليه (**قال**) ابن عمرو (**فصرت إلى الذي قال لي النبيّ ﷺ**) أي من قوله «لعلك يطول عمرك» وذلك من معجزاته ﷺ (**فلما كبرت**) بكسر الموحدة (**وددت**) بكسر الدال المهملة (**أني كنت قبلت رخصة**) تخفيف (**نبي الله ﷺ**) في كل من الصيام والقيام.

(**وفي رواية**) أي لمسلم (**وإن لولدك**) بفتحتين مفردًا وبضم فسكون جمعًا (**عليك حقًّا**) أن تكتسب لهم وتنفق عليهم.

(**وفي رواية**) لهما أنه قال له (**لا صام من صام الأبد**) قال بعض شراح مسلم إنه محمول على من تضرّر به، ويؤيده أن النهي لعبد الله بن عمرو وقد عجز في ءاخر عمره كما تقدم، فنهى ابن عمرو لعلمه ﷺ بحاله في مآله، ولذا أقرّ حمزة بن عمرو الأسلمي على صيام الدهر لعلمه بقدرته بلا ضرر (**ثلاثًا**) أي قاله وكرره تنفيرًا لابن عمرو من صوم الدهر لعلمه بمآله.

(**وفي رواية**) لهما أيضًا، ورواه أحمد أيضًا (**أحبّ الصيام إلى الله تعالى**) أي أكثر ما يكون محبوبًا، واستعمال أحبّ بمعنى محبوب قليل، ونسبة المحبة في الصيام والصلاة إلى الله تعالى على معنى إرادة الخير لفاعلهما أو كثرة الثواب فيهما (**صيام داود وأحبّ الصلاة إلى الله صلاة داود**) أي أحبّ

كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَكَانَ يَصُومُ يوْمًا ويُفْطِرُ يَوْمًا وَلا يَفِرُّ إِذَا لاقَى».

وفي رِوَايةٍ قَالَ: أَنْكَحَنِي أَبي امْرَأَةً ذَاتَ حسَبٍ وَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ - أَي: امْرَأَةَ وَلَدِهِ - فَيَسْأَلُهَا عَن بَعْلِهَا فَتَقُولُ لَهُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِن رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا وَلَمْ يُفَتّشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ فَلَمَّا طَالَ ذلِكَ عليه ذكَرَ ذلِكَ لِلنَّبيّ ﷺ.

أوقات القيام للصلاة وقت صلاة داود لما جاء في الحديث الآخر «وأحبّ القيام قيام داود» (**كان ينام نصف الليل**) ليستريح البدن من تعب أعمال النهار (**ويقوم ثلثه**) بضمتين (**وينام سدسه**) بضمتين، ونومه ليستريح من نصب القيام (**وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا**) ليجبر بالغذاء فيه الضعف الحاصل من الصوم قبله، وإنما كان هذا أحبّ لأنه أخذ بالرفق على النفوس التي تخشى منها السآمة التي هي سبب ترك العبادة والله يحبّ أن يوالي فضله ويديم إحسانه ولأن فيه إبقاء لقوى النفس التي تستعين بها على أداء العبادات ومجاهدة الكفار، ولذا قال (**ولا يفرّ إذا لاقى**) العدوّ في الحرب لقوة نفسه بما أبقى فيها.

(**وفي رواية**) هي للبخاري في «التفسير» (**قال أنكحني أبي امرأة ذات حسب**) بفتح المهملتين بعدهما موحدة وهو الشرف بالآباء وما يعده الإنسان من مفاخرهم (**وكان يتعاهد كنته**) بفتح الكاف (**أي امرأة ولده**) وأما هي لغة فامرأة ابن الرجل وامرأة أخيه (**فيسألها عن بعلها**) بفتح الموحدة وسكون المهملة زوجها (**فتقول له**) شاكية في معرض الثناء والشكر (**نعم الرجل**) أي هو فالمخصوص بالمدح محذوف لدلالة ما قبله عليه (**من**) بيانية (**رجل لم يطأ لنا فراشًا**) كناية عن المضاجعة والنوم معها على الفراش (**ولم يفتش لنا كنفًا**) أي لم يكشف لنا سترًا عبرت بذلك عن امتناعه عن الجماع (**منذ أتيناه فلما طال ذلك عليه**) أي على أبيه (**ذكر ذلك للنبي ﷺ**) يحتمل أن يكون سكوته عن ذلك أول ما ذكرته

فَقَالَ: «الْقَني بِه» فَلَقيتُهُ بَعْدُ فَقَالَ: «كيف تصُومُ؟» قُلْتُ كُلَّ يَوْم، قَالَ: «وَكيْفَ تَخْتِمُ؟» قلتُ: كُلَّ لَيلةٍ - وذَكَر نَحْوَ ما سَبَقَ - وكَان يَقْرَأُ علَى بعْضِ أَهْلِهِ السُّبُعَ الَّذِي يقْرؤُهُ يعْرِضُهُ مِن النهَارِ لِيكُونَ أَخَفَّ علَيهِ بِاللَّيْلِ، وإِذَا أَراد أَن يَتقوَّى أَفْطَر أَيَّامًا وأَحصَى وصَام مِثْلَهُنَّ كَراهِيةَ أَن يَتْرُكَ شيئًا فارقَ علَيهِ النَّبيَّ ﷺ.

كُلُّ هذِهِ الرّوَاياتِ صحِيحةٌ، مُعْظَمُهَا في «الصَّحيحيْنِ» وقَليلٌ مِنْهَا في أَحَدِهِما.

١٥١ - وعن أَبي رِبْعِيٍّ حنْظَلَةَ بنِ الرَّبيعِ الأُسَيِّدِيّ الْكَاتِبِ أَحدِ كُتَّابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ

له لأنه رءاها راضية بذلك، فلما كرر عليها السؤال تخوّف أن يتعلق بولده فيكون عليها حق تذكره (**فقال القني**) بفتح القاف أمر من لقي (**بهِ فلقيته بعد فقال**) النبي ﷺ (**كيف تصوم؟ قلت: كل يوم، قال: وكيف تختم؟ قلت: كل ليلة، وذكر نحو ما سبق، وكان**) عبد الله بعد كبره (**يقرأ على بعض أهله السبع**) بضم أوليه (**الذي يقرؤه**) أي يريد قراءته به (**يعرضه**) بكسر الراء (**من النهار ليكون**) لقرب عهده به (**أخف**) قراءة (**عليه بـ**) صلاة (**الليل و**) كان (**إذا أراد أن يتقوّى أفطر أيامًا وأحصى**) أي عدّ ما أفطر وهو خمسة عشر يومًا متوالية (**وصام**) أيامًا (**مثلهن**) في العدد أي متوالية (**كراهية أن يترك شيئًا فارق عليه**) أي على الالتزام بالقيام به (**النبي ﷺ كل هذه الروايات**) في حديث ابن عمرو بن العاص (**صحيحة معظمها في الصحيحين وقليل منها في أحدهما**) وتقدمت الإشارة إلى البيان في ذلك.

١٥١ - (**وعن أبي ربعيّ**) بكسر الراء وسكون الموحدة وكسر المهملة وشد التحتية (**حنظلة بن الربيع الأسيدي**) بضم الهمزة (**الكاتب**) قيل له ذلك لأنه (**أحد كتاب رسول الله ﷺ**) قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ بحنظلة إلى أهل الطائف أتريدون الصلح أم لا فلما توجه إليهم قال

قال: لَقِيَنِي أَبُو بكْرٍ رضي اللَّهُ عنه فقال: كَيْفَ أَنْتَ يا حنْظلَةُ؟ قُلْتُ: نَافَقَ حنْظَلَةُ، قالَ: سُبْحانَ اللّه ما تقُولُ؟ قُلْتُ: نَكُونُ عِنْد رسولِ اللَّهِ ﷺ يُذكّرُنَا بالْجنَّةِ والنَّارِ كأَنَّا رَأْيَ عينٍ، فَإِذَا خَرجنَا مِنْ عِنْدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ عافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعاتِ نَسِينَا كثِيرًا. قال أَبُو بكْرٍ رضي اللَّهُ عنه: فَواللّهِ إِنَّا لنَلْقَى مِثْل هَذَا، فانْطلقتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حتَّى دخَلْنَا عَلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ. فقُلْتُ: نافَقَ حنْظَلةُ يا رسولَ اللَّهِ، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يا رسولَ اللّهِ نَكُونُ عِنْدكَ تُذَكّرُنَا بالنَّارِ والْجَنَّةِ كأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ

ﷺ: ائتموا بهذا وأشباهه ثم انتقل إلى قرقسا فمات بها (**قال لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة**) أي خاف على نفسه النفاق لما كان يحصل له من الخوف في مجلس النبي ﷺ ويظهر عليه فتح كمال المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة فإذا خرج واشتغل بما سيأتي ذهب عنه ذلك، وأصل النفاق إظهار ما يكتم خلافه من الشرّ (**قال**) على وجه التعجب مما قلت (**سبحان الله**) أي تنزيهًا لله (**ما تقول**) أي تأمله وانظر فيه (**قلت**) أي في بيان سبب قولي نافق حنظلة (**نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنا**) نراهما (**رأي عين**) بالنصب (**فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا**) مارسنا (**الأزواج والأولاد والضيعات**) جمع ضيعة بالضاد المعجمة وهو معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة (**نسينا كثيرًا**) أي إذا خرجنا واشتغلنا بهذه الأمور ذهب منا ذلك الحال الذي كان ونحن عند النبي ﷺ وسماع موعظته ومشاهدته (**قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنا لنلقى مثل هذا**) قال القرطبي: في هذا رد على من زعم دوام مثل ذلك الحال ولا يعرجون بسببها على أهل ولا مال (**فانطلقت أنا وأبو بكر**) سائرين (**حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟**) أي الذي نافق به (**قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي عين**) أي فيحصل لنا من ذلك كمال

فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاج والأولادَ والضَّيْعاتِ نَسِينَا كَثِيرًا. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفسِي بِيدِهِ إِنْ لَو تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفي الذّكْر لصَافَحتكُمُ الملائِكَةُ علَى فُرُشِكُم وفي طُرُقِكُم، وَلَكِن يا حنْظَلَةُ ساعةً وساعةً»، ثَلاثَ مرَّاتٍ. رواه مسلم.

قوله: «ربعي» بكسر الراء. «والأسيدي» بضم الهمزة وفتح السين وبعدها ياء مكسورة مشدَّدة.

الخوف والمراقبة والتفكر في المآل والإقبال على الآخرة (**فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا**) أي فيذهب عنا غالب تلك الأحوال السنية فخشي حنظلة أن يكون اختلاف هذا الحال من النفاق؛ فأعلمه النبي ﷺ أنه ليس مكلفًا بالدوام على الحال الذي يكون عليه عنده وأن ذلك الاختلاف ليس نفاقًا (**فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي**) من المراقبة والتفكير في المآل والإقبال على الله تعالى (**وفي الذكر**) قال القرطبي: هكذا صحت الرواية بالواو العاطفة للظرف الثاني على الظرف الأول فيفيد أن مصافحة الملائكة المذكورة في قوله (**لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم**) موقوفة على حصول حالتين لنا على حال مشاهدة الجنة والنار مع ذكر الله تعالى ودوام ذلك، ومن كان هكذا ناسب الملائكة في معرفتها فبادرت إلى إكرامه ومشافهته وإعظامه ومصافحته (**ولكن يا حنظلة ساعة**) أي لأداء العبودية (**وساعة**) للقيام بما يحتاجه الإنسان قاله ﷺ (**ثلاث مرات**) وكرره للتأكيد ودفع ما وقع في نفسه أن ذلك من النفاق (**رواه مسلم. قوله**) في الكنية أبي (**ربعي**) هو (**بكسر الراء**) أي المهملة (**والأسيدي بضم الهمزة وفتح السين**) المهملة (**وبعدها ياء**) تحتية (**مكسورة مشددة**) والثاني كذلك إلا أنه بإسكان التحتية، يقال ذلك لكل من ينسب إلى أسيد بن عمرو ابن تميم ومنهم حنظلة بن الربيع الأسيدي صاحب رسول الله ﷺ

وقوله: «عافسنا» هو بالعين والسين المهملتين أي عالجنا ولاعبنا. و«الضيعات»: المعايش.

١٥٢ - وعن ابنِ عباسٍ رضي اللَّهُ عنهما قال: بينا النبيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِذا هُوَ بِرجُلٍ قَائم فسأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا: أَبُو إِسْرائيلَ نَذَر أَن يَقُوم في الشَّمْسِ وَلا يقْعُدَ ولًا يستَظِلَّ ولا يتَكَلَّمَ ويصومَ، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «مُرهُ فَلْيَتَكَلَّمْ ولْيَستَظِلَّ ولْيَقْعُد ولْيُتِمَّ صوْمَهُ». رواه البخاري.

(وقوله عافسنا هو بالعين والسين المهملتين) وقبل السين فاء.

قال الهروي وغيره معناه حاولنا ذلك ومارسناه واشتغلنا به، وقريب منه قوله هنا **(عالجنا)** أي الضيعات **(ولاعبنا)** أي الأولاد والزوجات وكأن المصنف إنما فسره بذلك لأنه جاء عن حنظلة في رواية في مسلم فقال بدل عافسنا إلخ ضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة، فأراد تفسير الروايات بالروايات **(والضيعات)** بالضاد المعجمة وسكون التحتية أسباب **(المعاش)** من حرفة ونحوها، سميت بذلك لأنها تحفظ صاحبها من الضياع.

١٥٢ - (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينا النبي) وفي نسخة النبي **(ﷺ يخطب إذا)** وفي نسخة إذ **(هو برجل قائم فسأل عنه)** أي عن اسمه وعن سبب قيامه **(فقالوا: أبو إسرائيل)** وهو كنية واسمه يسير مصغر يسر ضد العسر وهو أنصاري **(نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد)** ضد القيام **(ولا يستظلّ)** ضد كونه في الشمس أي بارزًا لها وصرح بهما تأكيدًا **(ولا يتكلم)** أي بغير الذكر **(ويصوم، فقال النبي ﷺ: مره فليتكلم)** أي فليس النذر بالسكوت قربة من شريعتنا **(وليقعد)** أي في غير الصلاة، وإلا فمن نذر القيام في صلاة النفل لزمه **(وليستظلّ وليقعد وليتمّ صومه)** إذ الصوم قربة «ومن نذر أن يطيع الله فليطعه» بخلاف أخواته **(رواه البخاري)**.

١٥ - باب في المحافظة على الأعمال

قال الله تعالى ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الحديد]، **وقال تعالى** ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الحديد]،

---

١٥ - باب في المحافظة على الأعمال

وقد أحسن المصنف في تعقيب هذا الباب لما قبله لأن الحاصل من هذا الباب الترغيب في ملازمة العبادة والطريق الموصل إلى ذلك الاقتصاد فيها لأن التشديد قد يؤدي إلى ترك العبادة المذموم (**قال الله تعالى** ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾) يحن (﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾) أنزلت في شأن الصحابة لما أكثروا المزاح (﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ﴾) بالتشديد والتخفيف (﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾) القرءان (﴿وَلَا يَكُونُواْ﴾) معطوف على تخشع (﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾) هم اليهود والنصارى (﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾) الزمن بينهم وبين أنبيائهم (﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴿١٦﴾﴾) لم تلن لذكر الله تعالى.

(**وقال تعالى** ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾) هي رفض النساء واتخاذ الصوامع (﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾) من قبل أنفسهم (﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾) ما أمرناهم بها (﴿إِلَّا﴾) لكن فعلوها (﴿ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾) وابتغاء رضوانه امتثال أمره واجتناب نهيه (﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴿٢٧﴾﴾) إذ تركها كثير منهم وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملكهم وبقي على دين عيسى قليل منهم . والمعنى لم يرع مبتدعو الرهبانية حق رعايتها كما يراعي

وقال تعالى ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴿٩٢﴾﴾ [سورة النحل]، وقال تعالى ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الحجر].

وأَمَّا الأَحادِيثُ فَمِنْهَا حدِيثُ عائشَةَ: وَكَان أَحَبُّ الدِينِ إِلَيهِ مَا داومَ عَلَيْهِ صاحِبُه. وقدْ سَبَقَ في الْبابِ قَبْلَهُ.

١٥٣ - وعن عُمَرَ بنِ الخطابِ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن نَامَ عَنْ حِزْبه مِنَ اللَّيْل أَو عَن شَيءٍ مِنهُ فَقَرأَه ما بينَ صلاةِ الْفَجْرِ وَصلاةِ الظهرِ،

الناذر نذره بأن قصروا فيما ألزموا به أنفسهم من الطاعات. قال الكواشي: في الآية تنبيه المؤمنين على أن من أوجب على نفسه شيئًا لم يكن واجبًا عليه لزمه إتمامه ولا يتركه فيستحق اسم الفسق.

(**وقال تعالى** ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ﴾) أفسدت (﴿غَزْلَهَا﴾) ما غزلته (﴿مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾) إحكام له وربط (﴿أَنكَٰثًا ﴿٩٢﴾﴾) حال وهو ما ينكث أي يحلّ إحكامه وهي امرأة حمقاء من مكة واسمها ريطة بنت سعد بن زيد مناة بن تميم، ويقال هي من قريش، قال الخازن: والمعنى أن هذه المرأة لم تكفّ عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك من نقض عهده، لا تركه ولا حين عاهد وفى به. (**وقال تعالى** ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾).

(**وأما الأحاديث**) النبوية:

(**فمنها حديث عائشة: وكان أحبّ الدين إليه ما داوم عليه صاحبه، وقد سبق**) مع شرحه (**في الباب قبله**) أي باب الاقتصاد في العبادة.

١٥٣ - (وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من نام عن حزبه) بكسر المهملة وسكون الزاي، قال القاضي عياض: أصله النوبة من ورد الماء ثم نقل إلى ما يجعله الإنسان على نفسه من صلاة وقراءة وغيرهما (**من الليل أو عن شيء منه، فقرأه**) فأتى به (**ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر**) أي في هذا الوقت الذي من شأن

كُتِبَ لَهُ كأَنما قَرأَهُ مِن اللَّيل». رواه مسلم.

١٥٤ - عن عبدِ اللّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ رضي اللَّهُ عنه قال: قال لي رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عبْدَ اللّهِ لا تَكُن مِثْلَ فُلانٍ كَانَ يقُومُ اللَّيْلَ فَتركَ قِيامَ اللَّيل». متفقٌ عليه.

١٥٥ - وعن عائشةَ رضي اللَّهُ عنها قالت: «كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلاةُ مِن اللَّيْلِ مِن وجَعٍ أَوْ غيْرِه صلَّى مِنَ النهَارِ ثِنْتَي عَشَرَةَ ركعةً».

الناس الغفلة فيه عن العبادة (**كتب له كأنما قرأه من الليل**) أي أثبت أجره إثباتًا مثل إثباته عند قراءته له من الليل. قال النووي: في الخبر دلالة على المحافظة على الأوراد، قال القرطبي: وهذه الفضيلة إنما تحصل لمن غلبه نوم أو عذر منعه من القيام به مع أن نيته القيام به (**رواه مسلم**) قال المنذري في «الترغيب»: ورواه أصحاب السنن الأربعة وابن خزيمة في «صحيحه».

١٥٤ - (عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا عبد الله لا تكن مثل فلان) إبهام مثل هذا لقصد الستر عليه ولا ينبغي أن يبالغ في الفحص عن تسمية من وقع في حقه ما يذم به (**كان يقوم الليل**) وهذه رواية الأكثر بإسقاط «من» وهي مرادة وهي مذكورة عند بعض رواة البخاري وعليها شرح الحافظ (**فترك قيام الليل**) في الحديث استحباب الدوام على ما اعتاده المرء من خير من غير تفريط ويستنبط منه كراهة قطع العبادة وإن لم تكن واجبة (**متفق عليه**).

١٥٥ - (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل) أي التهجد (**من**) سببية (**وجع أو غيره**) كغلبة نوم أو عذر أهم منه (**صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة**) قال ابن حجر الهيتمي في «شرح المشكاة»: جبرًا لفضيلة قيام الليل لا قضاء له إذ ليست صلاة الليل منه ﷺ في العدد كذلك، والقضاء لا يزيد على عدد

رواه مسلم.

١٦ - باب في الأمر بالمحافظة على السُّنَّة وءادابها

قال الله تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴿٧﴾﴾ [سورة الحشر]، **وقال تعالى** ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [سورة النجم]، **وقال تعالى** ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴿٣١﴾﴾ [سورة ءال عمران]، **[وقال تعالى** ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴿٢١﴾﴾](١) [سورة الأحزاب]،

الأداء، والدليل على مشروعية قضاء النافلة حديث أبي داود، «من نام عن وتره أو سننه فليصلّ إذا ذكره» اهـ (**رواه مسلم**).

١٦ - باب في الأمر بالمحافظة على السنة

أي ما جاء به ﷺ من أقوال وأفعال وأحوال (**وءادابها**) والأدب كالسنة في أصل الطلب إلا أنه دونها في التأكد، ذكره المصنف في «الروضة».

(**قال الله تعالى** ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ﴾) أعطاكم (﴿ٱلرَّسُولُ﴾) من الفيء وغيره (﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴿٧﴾﴾) قال السيوطي في «الإكليل»: في الآية وجوب امتثال أوامره ونواهيه ﷺ (**وقال تعالى** ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾) بما يأتيكم به (﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾) هوى نفسه (﴿إِنْ﴾) ما (﴿هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾) إليه (**وقال تعالى** ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴿٣١﴾﴾) بمعنى أنه يثيبكم (﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴿٣١﴾﴾) تقدم أن محبة الله ملازمة لحبّ رسوله وبالعكس، وأنهما متوقفتان على اتباع الرسول ﷺ (**وقال تعالى** ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ﴾) بضم الهمزة وكسرها (﴿حَسَنَةٌ﴾) أي اقتداء به (﴿لِّمَن﴾) بدل من لكم (﴿كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ﴾) يخافه (﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴿٢١﴾﴾)

---

(١) سقط من النسخة الثانية.

وقال تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النساء]، **وقال تعالى** ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة النساء]، **قال العلماء: معناه إلى الكتاب والسنة، وقال تعالى** ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة النساء]، **وقال تعالى** ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الشُّورى]، **وقال تعالى** ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة النور]، **وقال تعالى** ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الأحزاب]. **والآياتُ في الْبَاب كَثِيرةٌ مَعْلُومَةٌ.**

يوم القيامة (**وقال تعالى** ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾) لا زائدة (﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾) اختلط (﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾) ضيقًا أو شكًا (﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾) به (﴿وَيُسَلِّمُوا۟﴾) ينقادوا لحكمك (﴿تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾) من غير معارض، (**وقال تعالى** ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ﴾) اختلفتم (﴿فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴿٥٩﴾﴾ **قال العلماء: معناه إلى الكتاب والسنة**) المراد من قوله والرسول سنته وهو بعد وفاته (**وقال تعالى** ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ﴾) فيما أمر به (﴿فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴿٨٠﴾﴾) لأن الله أمر بطاعته واتباعه (**وقال تعالى** ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾) لتدعو بالوحي إليك (﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾) طريق (﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾) دين الإسلام. (**وقال تعالى** ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾) أي الله فإن الأمر له في الحقيقة أو الرسول فإنه المقصود بالذكر، وعلى الوجه الثاني فيه مناسبة الآية للباب (﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾) محنة في الدنيا (﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾) في الآخرة (**وقال تعالى**) مخاطبًا لأمهات المؤمنين (﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾) القرءان (﴿وَٱلْحِكْمَةِ ﴿٣٤﴾﴾) السنة (**والآيات في الباب**) أي في باب المحافظة على السنة والاقتداء به واتباعه (**كثيرة معلومة**).

وأَمَّا الأَحادِيثُ:

١٥٦ - فالأَوَّلُ: عنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قال: «دعُونِي ما تَرَكتُكُمْ، إِنَّما أَهْلَكَ من كَانَ قبْلَكُم سُؤَالُهُمْ وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبيائِهِمْ فَإِذَا نَهَيتُكُمْ عن شَيءٍ فاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُم بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ ما اسْتَطَعْتُمْ». متفقٌ عليه.

(**وأما الأحاديث**) النبوية في ذلك:

١٥٦ - (**فالأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال**) لما خطب وقال: «يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها مرارًا فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم» ثم قال (**دعوني**) أي من كثرة السؤال ولفظ مسلم «ذروني» (**ما تركتكم**) «ما» فيه ظرفية مصدرية.

ومعنى قوله: ذروني إلخ لا تكثروا الاستفصال عن المواضع التي تفيد بوجه ظاهر وإن صلحت لغيره كما في «فحجوا» فإنه وإن أمكن أن يراد به التكرار ينبغي أن يكتفي منه بما يصدق عليه اللفظ وهو المرة الواحدة فإنها مفهومة من اللفظ قطعًا ولا يكثر السؤال لئلا يقع الجواب بما فيه التعب والمشقة كما وقع لبني إسرائيل فخاف رسول الله ﷺ على أمته من مثل ذلك ومن ثم قال (**إنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم**) وعند مسلم: «فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم» بالرفع لأنه أبلغ في ذم الاختلاف إذ لا يتقيد حينئذٍ بالأكثرية بخلاف لو جرّ (**على أنبيائهم**) استفيد منه تحريم الاختلاف وكثرة المسائل من غير ضرورة لأنه توعد عليه بالهلاك (**فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**) دائمًا على كل تقدير ما دام منهيًا عنه حتمًا في الحرام وندبًا في المكروه (**وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**) أي أطقتم لأن فعله متوقف على شروط وأسباب كالقدرة على الفعل ونحوها وبعضها يستطاع وبعضها لا يستطاع فكان التكليف بما يستطاع منه لأن الله تعالى أخبر أنه لا يكلف نفسًا إلا وسعها (**متفق عليه**) ورواه أحمد.

١٥٧ - الثَّاني: عَنْ أَبي نَجيح الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَة رضي اللَّهُ عنه قال: وَعَظَنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً[1] وجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُون، فقُلْنَا: يا رَسولَ اللّهِ كأَنَّهَا موْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا. قال: «أُوصِيكُم بِتَقوى اللّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وإِن تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ،

---

١٥٧ - (**الثاني: عن أبي نجيح**) بفتح النون وكسر الجيم وسكون التحتية بعدها مهملة (**العرباض**) بكسر المهملة وسكون الراء وبعدها موحدة وءاخره ضاد معجمة وأصله الطويل (**ابن سارية**) بمهملتين بينهما ألف وبعد الراء تحتية خفيفة السلمي من أهل الصفة وهو أحد البكائين وكان يقول إنه رابع من أسلم (**رضي الله عنه**) نزل الشام وسكن حمص ومات في فتنة ابن الزبير رضي الله عنهما (**قال: وعظنا رسول الله** ﷺ) أي بعد صلاة الصبح كما جاء في رواية أخرى (**موعظة**) من الوعظ، وهو النصح والتذكير بالعواقب وتنوينها للتعظيم أي موعظة جليلة (**وجلت**) بكسر الجيم أي خافت (**منها**) أي من أجلها (**القلوب**) وكان المقام للتخويف فأتى بذلك لمناسبته (**وذرفت**) قال أبو بكر بن العربي: «سالت بالدموع» (**منها العيون**) أي دموعها وأخر هذا عما قبله لأنه إنما ينشأ عنه غالبًا (**فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع**) كأنّ وجه فهمهم لذلك مزيد مبالغته ﷺ في تخويفهم وتحذيرهم على ما كانوا يألفون منه قبل، فظنوا أن ذلك لقرب موته ومفارقته لهم إذ المودع يستقصي ما لا يستقصي غيره في القول والفعل (**فأوصنا**) أي وصية جامعة كافية (**قال: أوصيكم بتقوى الله**) جمع في هذا كل ما يحتاج إليه من أمور الآخرة (**والسمع والطاعة**) جمع بينهما تأكيدًا للاعتناء بهذا المقام، ومن ثم خصه بالذكر عاطفًا له على ما يشمله وغيره وهو التقوى فهو من عطف الخاص على العام لمزيد الاهتمام (**وإن تأمر عليكم عبد**) هو من باب

---

(١) سقط من النسخ الخطية «بليغة» وهي مثبتة في رواية أبي داود والترمذي.

وَإِنَّهُ مَن يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيرى اخْتِلافًا كثِيرًا، فَعَلَيْكُم بسُنَّتي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ، وَإِياكُمْ ومُحْدثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضلالَةٌ».

ضرب المثل بغير الواقع على سبيل الفرض والتقدير وإلا فهو لا تصح ولايته وفي رواية أبي داود والترمذي وصفه بأنه حبشي **(وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا)** فيه من معجزاته ﷺ الإخبار بما يقع بعده من كثرة الاختلاف وغلبة المنكر **(فعليكم)** الزموا حينئذٍ التمسك **(بسنتي)** أي طريقتي وسيرتي القويمة التي أنا عليها مما فصلته لكم من الأحكام الاعتقادية والعملية الواجبة والمندوبة وغيرها **(وسنة)** أي طريقة **(الخلفاء الراشدين المهديين)** وهم أبو بكر فعمر فعثمان فعليّ فالحسن رضي الله عنهم فإن ما عرف عن هؤلاء أو عن بعضهم أولى بالاتباع من بقية الصحابة إذا وقع بينهم الخلاف فيه **(عضوا عليها بالنواجذ)** عضوا عليها بجميع الفم احترازًا من النهش وهو الأخذ بأطراف الأسنان فهو إما مجاز بليغ فيه تشبيه المعقول بالمحسوس، أو كناية عن شدة التمسك بالسنة والجد في لزومها كفعل من أمسك بنواجذه شيئًا وعض عليه لئلا ينزع منه **(وإياكم ومحدثات الأمور)** أي باعدوا أنفسكم واحذروا الأخذ بالأمور المحدثة في الدين واتباع غير سنن الخلفاء الراشدين **(فإن)** ذلك بدعة وإن **(كل بدعة)** وهي لغة المخترع على غير مثال سابق. وشرعًا ما أحدث على خلاف أمر الشارع ودليله الخاص أو العام **(ضلالة)** لأن الحق فيما جاء به الشرع فما لا يرجع إليه يكون ضلالة، إذ ليس بعد الحق إلا الضلال، والمراد بالضلالة هنا ما ليس له أصل في الشرع، قال أبو بكر بن العربي: المحدَث على قسمين: محدث ليس له أصل إلا الشهوة والعمل بمقتضى الإرادة فهذا باطل قطعًا، ومحدَث يحمل النظير على النظير فهذه سنة الخلفاء والأئمة الفضلاء، وقال عمر: نعمت البدعة هذه، وإنما يذم من البدعة ما خالف السنة ويذم من المحدثات ما دعا إلى

رواه أَبو داود والترمِذِي وقال: حديث حسن صحيح.

«النواجذ»: بالذال المعجمة: الأنياب، وقيل: الأضراس.

١٥٨ - الثَّالِثُ: عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يدخُلُونَ الْجنَّةَ إلا مَنْ أَبَى». قِيلَ: وَمَن يَأْبَى؟ قالَ: «منْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجنَّةَ ومن عصَانِي فَقَدْ أَبَى». رواه البخاري.

ضلالة. ولذا انقسمت البدعة إلى الأحكام الخمسة لأنها إذا عرضت على القواعد الشرعية لم تخل عن واحد منها، فمن البدع الواجبة على الكفاية تعلم العلوم المتوقف عليها فهم الكتاب والسنة أو التي فيها حفظ الشريعة. ومن البدع المحرّمة مذاهب سائر أهل البدع المخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة. ومن المندوبة كل إحسان لم يعهد في الصدر الأول كإحداث نحو الرُّبط والمدارس والكلام في دقائق التصوف. ومن المكروهة زخرفة المساجد وتزويق المصاحف ومنها التوسع في لذيذ المآكل والمشارب (**رواه**) أحمد والدارمي في «مسنديهما». ورواه عن أحمد (**أبو داود**) في «سننه» (**و**) كذا (**الترمذي وقال: حديث صحيح. النواجذ بالذال المعجمة: الأنياب، وقيل: الأضراس**) ومن هذا قوله في الحديث «حتى بدت نواجذه».

١٥٨ - (**الثالث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**) بفتح الموحدة، أي امتنع (**قيل: ومن يأبى**) أي يمتنع من دخولها (**قال**) ﷺ (**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**) قال فبين به أن إسناد الامتناع إليهم عن الدخول مجاز عن الامتناع عن سببه وهو عصيان الرسول ﷺ والموصوف بالإباء وهو الامتناع إن كان عن أصل الدخول في الإسلام فكافر لا يدخل الجنة البتة، وإن كان بعد الدخول فيه فالمراد منعه عن الدخول فيها من الفائزين (**رواه البخاري**).

١٥٩ - الرَّابعُ: عن أَبي مسلم، وقيلَ: أَبي إِيَاسٍ، سلَمةَ بْنِ عَمْرِو بنِ الأَكْوَعِ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رجُلاً أَكَلَ عنْد رسولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ فقالَ: «كُلْ بِيمِينِكَ» قَالَ: لا أَسْتَطِيعُ قالَ: «لا اسْتَطَعْتَ» ما منعَهُ إِلا الْكِبْرُ فَمَا رَفَعها إِلَى فِيهِ. رواه مسلم.

١٦٠ - الْخامِسُ: عنْ أَبي عبدِ اللّهِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي اللَّهُ عنهما

---

١٥٩ - (**الرابع: عن أبي مسلم وقيل**) يكنى بـ (**أبي إياس**) ففيه حذف الجار وإبقاء عمله ومثله سماعي وهو بكسر الهمزة بعدها تحتية (**سلمة**) بفتح أوّليه (**ابن عمرو بن الأكوع رضي الله عنه**) شهد بيعة الرضوان بالحديبية وبايع رسول الله ﷺ يومئذٍ ثلاث مرات في أول الناس وأوسطهم وءاخرهم، وكان شجاعًا راميًا محسنًا خيرًا فاضلًا، غزا مع النبي ﷺ سبع غزوات. وكان يسكن المدينة ثم بعد قتل عثمان خرج إلى الربذة فسكن بها ثم عاد قبل وفاته إلى المدينة وتوفي بها سنة أربع وسبعين وهو ابن ثمانين سنة (**أن رجلًا**). قال الخطيب: هو بسر بن راعي العير بفتح المهملة وسكون التحتية الأشجعي وهو صحابي مشهور (**أكل عند رسول الله ﷺ بشماله**) تكبرًا (**فقال: كل بيمينك**) أمر ندب على المعتمد (**قال: لا أستطيع قال**) ﷺ (**لا استطعت**) دعاء عليه لمخالفته الحكم الشرعي بلا عذر كما قال الراوي مبينًا لذلك مدرجًا له بآخر الحديث (**ما منعه**) من متابعة السنة (**إلا الكبر**) ومحل النهي عن الأكل بالشمال حيث لا عذر يمنع من الأكل باليمين من مرض أو قطع وإلا فلا كراهة حينئذٍ (**فما رفعها إلى فيه**) إجابة لدعوته ﷺ لاستحقاقه لها بقصده السابق (**رواه مسلم**) وأخرجه أحمد وابن حبان.

١٦٠ - (**الخامس: عن أبي عبد الله النعمان**) بضم النون وسكون العين (**ابن بشير**) بفتح الموحدة وكسر المعجمة وسكون التحتية (**رضي الله عنهما**) شهد أبوه العقبة الثانية وبدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وهو أول أنصاري بايع أبا بكر رضي الله عنه، واستشهد مع خالد

قال: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللّهُ بَيْنَ وُجُوهِكم». متفقٌ عليه.

وفي رِوايةٍ لِمُسلم: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُسوّي صُفُوفَنَا حتَّى كأَنَّمَا يُسَوّي بهَا الْقِداح حَتَّى رأَى أَنَّا قَد عَقَلْنَا عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَومًا فقامَ حتَّى كَادَ أَن يُكبّر فَرأَى رجُلًا بادِيًا صدْرُهُ فقالَ: «عِبادَ اللّهِ لَتُسوُّنَّ

ابن الوليد بعين التمر سنة اثنتي عشرة من الهجرة بعد انصرافه من اليمامة. وأما النعمان فولد على رأس أربعة أشهر من الهجرة، وهو أول مولود من الأنصار بعد الهجرة. قتل النعمان بالشام بقرية من قرى حمص في ذي الحجة سنة أربع وستين. سكن النعمان الشام ثم ولي أمرة الكوفة **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لتسوُّن صفوفكم)** بضم الفوقية وفتح المهملة وضم الواو وتشديد النون **(أو)** عاطفة بفتح فسكون أي ليكونن منكم التسوية أو **(ليخالفنّ الله بين وجوهكم)** أي إن لم تسووا. قال النووي: معناه يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب، كما يقال: تغير وجه فلان أي ظهر عليَّ أي ظهر لي من وجهه كراهة لي وتغيّر قلبه عليّ لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في الظواهر، واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن، ويؤيده رواية أبي داود في حديث النعمان هذا «أو ليخالفنّ الله بين قلوبكم» قال الحافظ: ويحتمل أن يراد بالمخالفة في الجزاء فيجازى المسوّي بخير ومن لا يسوي بشرّ **(متفق عليه)**.

(وفي رواية لمسلم) عن النعمان **(كان رسول الله ﷺ يسوي صفوفنا حتى كأنما يسوي بها القداح)** قال النووي: بكسر القاف هو خشب السهام واحدها قدح بكسر القاف معناه يبالغ في تسويتها حتى تصير كأنما يقوّم بها السهام لشدة استوائها واعتدالها **(حتى رأى أنا قد عقلنا)** بفتح المهملة والقاف أي فهمنا **(عنه ثم خرج يومًا)** للصلاة بالقوم **(فقام حتى كاد أن يكبر)** تكبير التحرم **(فرأى)** عطف على خرج أي أبصر **(رجلًا)** حال كونه **(باديًا صدره)** أي ظاهرًا خارجًا عن سمته **(فقال: عباد الله لتسوُّن**

صُفوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللّهُ بيْن وُجُوهِكُم».

١٦١ - السَّادِسُ: عن أَبي موسى رضي اللَّهُ عنه قال: احْتَرقَ بيْتٌ بالْمدِينَةِ عَلَى أَهلِهِ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا حُدّثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بِشَأْنِهِمْ قال: «إِنَّ هذِهِ النَّارَ عَدُوٌّ لكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ». متفقٌ عليه.

١٦٢ - السَّابعُ: وعَنْهُ رضي اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعثَني اللّهُ بِهِ

صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم) قال النووي: فيه الحثّ على تسويتها، وفيه جواز الكلام بين الإقامة والدخول في الصلاة، وهذا مذهبنا ومذهب جماهير العلماء ومنعه بعض العلماء والصواب الجواز، وسواء كان لمصلحة الصلاة أو لغيرها أو لا لمصلحة.

١٦١ - **(السادس: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل)** أي فيه في «مغني اللبيب» في معاني «من» أنها تكون مرادفة في نحو قوله تعالى ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ ﴿٩﴾﴾ [سورة الجمعة] اهـ **(فلما حدث)** بالبناء للمفعول أي أخبر **(رسول الله ﷺ بشأنهم قال: إن هذه النار عدوّ لكم، فإذا نمتم)** والنوم زوال الشعور من القلب لاسترخاء أعصاب الدماغ بسبب رطوبات الأبخرة الصاعدة إليه من المعدة، والنعاس مقدمته **(فأطفئوها)** بقطع الهمزة **(عنكم)** وجزم النووي بأنه للإرشاد لكونه لمصلحة دنيوية. وتعقب بأنه قد يفضي إلى مصلحة دينية وهي حفظ النفس المحرم قتلها والمال المحرم تبذيره. قال النووي: «والحديث عام تدخل فيه نار السراج وغيرها، وأما القناديل المعلقة في المساجد وغيرها فإن خيف حريق بسببها دخلت في الأمر بالإطفاء وإن أمن من ذلك كما هو الغالب فالظاهر أن لا بأس بها لانتفاء العلة اهـ **(متفق عليه)** ورواه ابن ماجه.

١٦٢ - **(السابع: وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن مثل)** بكسر فسكون ويقال مثل بفتحتين، وهو في اللغة النظير ثم استعمل في كل صفة أو حال فيها غرابة وهي المراد هنا أي إن صفة **(ما بعثني الله به**

منَ الْهُدَى والْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرضًا فكَانَتْ مِنْهَا طائِفَةٌ طَيّبَةٌ قبِلَتِ الْمَاءَ فأَنْبَتتِ الْكَلأَ والْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الماءَ فنَفَعَ اللّهُ بها النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وسقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ منها أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيْعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً، فَذلِكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ في دِين اللّهِ تعالَى وَنَفَعَه بمَا بعَثَنِي اللّهُ بِه فَعلِمَ وعَلَّمَ، وَمثلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأْسًا

من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا) قيل: فيه تشبيه متعدد فشبه العلم بالغيث لأنه يحيي القلب الميت إحياء المطر البلد اليابس، وفي التعبير بالغيث دون المطر لطيفة إذ الغيث مطر محتاج إليه يغيث الناس عند قلة المياه، وقد كان الناس متحيرين قبل بعثته ﷺ حتى أغاثهم الله بوابل علومه؛ وشبه من ينتفع به بالأرض الطيبة، وشبه من يحمله ولم ينتفع به بالأرض الصلبة الماسكة للماء فينتفع به الناس وشبه من يحمله ولا ينتفع به بالقيعان **(فكانت منها)** حال **(طائفة)** أي قطعة **(طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ)** مهموز مقصور وهو المرعى **(والعشب الكثير)** قال النووي: العشب والخلى والكلأ والحشيش كلها اسم للنبات، لكن الحشيش مختص باليابس، والعشب والخلى بالقصر مختصان بالرطب، والكلأ بالهمز يقع على اليابس والرطب **(وكان)** وفي نسخة «وكانت» **(منها أجادب)** بالجيم والدال المهملة جمع أجدب وهي الأرض التي لا تنبت **(أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان)** جمع قاع وهي الأرض المستوية، وقيل الملساء، وقيل التي لا نبات فيها قال النووي وهذا هو المراد في الحديث **(لا تمسك ماء)** ولما كان بعض القيعان قد ينبت كلأ نفاه بقوله **(ولا تنبت كلأ، فذلك)** إشارة إلى ما ذكر من الأنواع الثلاثة وشروع في بيان موارد المثل الثلاثة، فمثل الطائفة الأولى القابلة للماء المنبتة للكلإ **(مثل من فقه في دين الله تعالى ونفعه بما بعثني الله به فعلم)** بكسر اللام **(وعلَّم)** بتشديد اللام **(ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا)** هذا مثل الطائفة

وَلَمْ يَقْبَل هُدَى اللّهِ الذي أُرْسِلْتُ بِهِ». متفقٌ عليه.

«فَقُه»: بضم القاف على المشهور، وقيل: بكسرها، أي صار فقيهًا.

١٦٣ - الثَّامِنُ: عن جابرٍ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مثَلِي ومثَلُكُمْ كَمَثَلِ رجُلٍ أَوْقَدَ نارًا فَجعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَراشُ يَقَعْنَ فيهَا وهُوَ يذُبُّهُنَّ عَنهَا وأَنَا ءاخذٌ بحُجَزِكُمْ عَنِ النارِ وأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ

الثانية التي أمسكت الماء ولم تنبت به شيئًا، فنفع الله الناس بها ولم تنتفع هي به، وهذا كعالم لم يعمل بعلمه وعلم غيره وعدم رفع رأسه بالعلم كناية عن عدم الانتفاع به لعدم العمل به (و) مثل من (**لم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**) هذا مثل الطائفة الثالثة التي لا تمسك الماء ولا تنبت الكلأ، ومثل هذه الطائفة رجل فات عنه التعلم والتعليم، ولا يخفى أن عدم قبول الهدى مستلزم لعدم النفع بالعلم لا في نفسه ولا في غيره (**متفق عليه**) لكن السياق لمسلم (**فقه بضم القاف على المشهور**) في الرواية (**وقيل: بكسرها أي صار فقيهًا**) عالمًا بالأحكام الشرعية. أما الفقه بالمعنى اللغوي فهو فقه بكسر القاف لا غير، والضم والكسر روايتان والمشهور الضم، قاله المصنف.

١٦٣ - (**الثامن: عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا فجعل الجنادب**) قال النووي: «وفي رواية الدوابّ» (**والفراش يقعن فيها**) لعدم إدراكهن بما يضرهن (**وهو**) أي الرجل (**يذبهن**) بالمعجمة وتشديد الموحدة، أي يمنعهن رحمة بهن (**عنها**) لما يعلمه من أن حتفهم بها (**وأنا ءاخذ**) روي بوجهين أحدهما اسم فاعل بكسر الخاء وتنوين الذال والثاني فعل مضارع ذكرهما المصنف وقال: هما صحيحان والأول أشهر (**بحجزكم**) جمع حجزة بضم المهملة وبعدها جيم ثم زاي، وهي معقد الإزار والسراويل (**عن النار وأنتم تفلتون**) روي بوجهين فتح أوله وتشديد اللام وبضم الفوقية وسكون الفاء وكسر اللام المخففة وكلاهما صحيح، يقال أفلت مني

من يَدَيَّ». رواه مسلِم.

«الجنادب»: نحو الجراد، و«الفراش»: هذا المعروف الذي يقع في النار. و«الحُجَزُ»: جمع حُجْزَة وهي معقد الإزار والسراويل.

١٦٤ - التَّاسِعُ: وعَنْهُ رضيَ اللَّهُ عنهُ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أَمَر بِلَعْقِ الأَصابِعِ وَالصَّحْفةِ وَقالَ: «إِنَّكُم لا تَدرُونَ في أَيِّهِ الْبَرَكَةُ».

وتفلت إذا نازعك الغلبة والهرب ثم غلب وهرب (**من يدي**) ومقصود الحديث أنه ﷺ شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة وحرصهم على الوقوع في ذلك مع منعه إياهم وقبضه على موضع المنع منهم بتساقط الفراش في نار الدنيا لهواه وضعف تمييزه، وكلاهما حريص على هلاك نفسه ساع في ذلك لجهله (**رواه مسلم**) ورواه أحمد.

(**الجنادب**) جمع جندب بضم الدال وفتحها والجيم مضمومة فيهما، والثالثة حكاها عياض بكسر الجيم وفتح الدال (**نحو الجراد**) وهو الصرصار. قال أبو حاتم: الجندب على خلقة الجراد له أربعة أجنحة كالجراد وأصغر منها يطير ويصرّ بالليل صرًّا شديدًا، وقيل: غيره (**والفراش هذا المعروف**) قال النووي: «قال الخليل: هو الذي يطير كالبعوض، وقال غيره: ما تراه كصغائر البق يتهافت في النار»، ولذا قال المصنف (**الذي يقع في النار، والحجز جمع حجزة: وهي معقد الإزار والسراويل**).

١٦٤ - (**التاسع: وعنه رضي الله عنه**) أي عن جابر (**أن رسول الله ﷺ أمر**) بالبناء للفاعل (**بلعق الأصابع**) إما يلعقها بنفسه أو يلعقها غيره ممن لا يتقذر بذلك من زوجة وجارية وولد ومن في معناه كتلميذ يعتقد بركته ويود التبرك به (**و**) لعق (**الصحفة**) وذلك لكسر النفس بالتواضع (**وقال**) منبهًا على علة الأمر بذلك (**فإنكم لا تدرون في أيه**) أي أيّ طعامكم كما في الرواية بعده (**البركة**) قال النووي: الطعام الذي يحضر

رواه مسلم.

وفي روايةٍ لَهُ: «إِذَا وَقَعَتْ لُقْمةُ أَحدِكُمْ فَلْيَأْخُذهَا فَلْيُمِط مَا كانَ بِهَا مِنْ أَذًى وَلْيَأْكُلْهَا وَلا يَدَعْهَا لِلشَّيطَانِ، وَلا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمِندِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لا يَدرِي في أَيّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ».

الإنسان فيه بركة ولا يدري أن تلك البركة فيما أكل أو فيما بقي على أصابعه أو فيما بقي في أسفل القصعة أو في اللقمة الساقطة، فينبغي أن يحافظ على هذا كله لتحصيل البركة، والمراد بالبركة هنا ما يحصل به التغذية وتسلم عاقبته من أذى ويقوّي على طاعة الله تعالى أو غير ذلك (رواه مسلم).

(وفي رواية له) عن جابر (إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها) ولا يدعها كما يفعله بعض المترفين استكبارًا (فليمط) بضم التحتية. أي لينح ويزل (ما كان) أي حصل (بها) أي فيها (من أذى) أي مستقذر من غبار وتراب، فإن وقعت على موضع نجس تنجست ولا بد من غسلها إن أمكن، فإن تعذر أطعمها حيوانًا ولا يتركها للشيطان (وليأكلها ولا يدعها) يتركها (للشيطان) قيل: إنه مأخوذ من شطن بمعنى بعد، وقيل: من شاط بمعنى احترق، وأل يحتمل كونها للجنس أو للعهد الذهني أي إبليس. وفي الحديث إثبات الشياطين وأنهم يأكلون (ولا يمسح يده بالمنديل) قال المصنف: هو معروف وهو بكسر الميم (حتى يلعق) بفتح التحتية (أصابعه) محافظة على البركة (فإنه لا يدري في أي طعامه البركة).

فائدة: قال العلقمي في «حاشية الجامع الصغير»: قال شيخ شيوخنا: يعني الحافظ العسقلاني: وقع من حديث كعب بن عجرة عند الطبراني في «الأوسط» صفة لعق الأصابع ولفظه «رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث بالإبهام والتي تليها والوسطى، ثم رأيته يلعق الثلاث قبل أن يمسحها الوسطى ثم التي تليها ثم الإبهام» قال شيخنا في «شرح الترمذي»: كأن السرّ فيه أن الوسطى أكثر تلويثًا لأنها أطول فيبقى فيها من الطعام أكثر من غيرها ولأنها لطولها أول ما ينزل في الطعام اهـ.

وفي روايةٍ له: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحدكُمْ عنْدَ كُلّ شيءٍ مِن شَأْنِهِ حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُم اللُّقْمَةُ فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا منْ أَذًى فَلْيأْكُلْها وَلا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ».

١٦٥ - الْعَاشِرُ: عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللّهُ عنهما قال: قَامَ فينَا رسولُ اللَّهِ ﷺ بمَوْعِظَةٍ فقال: «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُم تُحْشَرُونَ إِلَى اللّهِ تَعَالى حُفَاةً عُرَاةً غُرْلا، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الأنبياء] أَلا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلائِقِ يُكْسَى يومَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، أَلا وإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمالِ

(وفي رواية له) عن جابر أيضًا (إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه) وفي نسخة «عند كل شيء من شأنه» فيه التحذير منه والتنبيه على ملازمته للإنسان في جميع أحواله وتصرفاته، فينبغي أن يتأهب ويحترز منه ولا يغترّ بما يزينه له (حتى) غاية لملازمته (يحضره عند طعامه فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى فليأكلها ولا يدعها للشيطان).

١٦٥ - (العاشر: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة) تنوينها للتعظيم (فقال: يا أيها الناس إنكم تحشرون) بعد البعث (إلى الله تعالى حفاة) جمع حاف من لا نعل برجله (عراة) عن الثياب (غرلاً) بضم المعجمة وسكون الراء أي قلفًا. والغرلة: القلفة (﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾) بعد إعدامه والكاف متعلقة بنعيد وضميره عائد لأول وما مصدرية (﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾) منصوب بوعدنا مقدر قبله وهو مؤكد لمضمون ما قبله (﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾) ما وعدنا، وذكره ﷺ استدلالًا على إعادة كل مخلوق بجميع أجزائه (ألا) بتخفيف اللام أداة استفتاح وما بعدها مقدر وعطف عليه قوله (وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ﷺ ألا وإنه) أي الشأن (سيجاء) بالبناء للمفعول (برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال) بكسر الشين والمراد

فأَقُولُ: يا رَبِّ أَصْحَابي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَما قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴿١١٧﴾﴾ إِلَى قولِهِ: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة المائدة]، فَيُقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدّينَ عَلَى أَعْقَابِهِم مُنذُ فَارَقْتَهُمْ»

جهة النار (**فأقول: يا ربّ أصحابي**) رواية البخاري في «التفسير» «فأقول يا رب ارحم أصحابي» ويحتمل أن المراد بقوله أصحابي أي من أمتي التابعين لملتي فالصحبة مجازية ومعرفته لهم حينئذٍ برؤية نحو الغرّة والتحجيل مما تختص به هذه الأمة، وهذا أنسب بقوله في أول الحديث «برجال من أمتي دون أصحابي» (**فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**) أبهم ولم يعين تفخيمًا لشأنه وبيانه بعد ليكون أدلّ على قيام العدل وقوام الحجة عليهم (**فأقول**) مسلمًا الأمر لله (**كما قال العبد الصالح**) يعني عيسى ابن مريم (﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾) أي رقيبًا أمنعهم مما يقولون (﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ﴾) الحفيظ (﴿عَلَيْهِمْ﴾) على أعمالهم (﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾) من قولي لهم وقولهم بعدي وغير ذلك (﴿شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾) مطلع عالم به (﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾) أي من دام على الكفر منهم (﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾) وأنت مالكهم متصرف فيهم كيف شئت لا اعتراض عليك (﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾) أي لمن ءامن منهم (﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾) الغالب على أمره (﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾) في صنعه. وظاهر التشبيه في قوله كما قال العبد الصالح إلخ أن هذا القول كان من عيسى على جهة التسليم لله وأنه قد علم من ءامن منهم، فقوله ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي على كفرهم وفريتهم السابقة فهم مستحقون لذلك، ولا اعتراض عليك لأنك تصرّفت في عبادك ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي لمن تاب منهم، (**فيقال لي**) بيان لما أحدثوا (**إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم**) قال القاضي عياض: هذا لصحة من تأول أنهم أهل الردة، ولذا قال فيهم سحقًا سحقًا، ولا يقول ذلك في مذنبي أمته بل يشفع لهم ويهتم بأمرهم. وقيل هؤلاء صنفان: أحدهما عصاة مرتدون عن الاستقامة لا

متفقٌ عليه.

«غرلا»: أي غير مختونين.

١٦٦ - الْحَادِي عَشَرَ: عَنْ أَبي سعيدٍ عبدِ اللّهِ بنِ مُغَفَّلٍ رضي اللَّهُ عَنْه قال: نَهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ عَن الخَذْفِ وقالَ: «إِنَّهُ لا يقْتُلُ الصَّيْدَ ولا يَنْكَأُ الْعَدُوَّ، وَإِنَّهُ يَفْقَأُ الْعَيْنَ ويَكْسِرُ السِنَّ». متفقٌ عليه.

وفي روايةٍ: أَنَّ قريبًا لابْنِ مُغَفَّلٍ خَذَفَ فَنَهَاهُ وقال: إِنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عن الخَذْفِ وقَالَ: «إِنَّهَا لا تَصِيدُ صَيْدًا» ثُمَّ عادَ

عن الإسلام وهؤلاء مبدلون الأعمال الصالحة بالسيئة، والثاني مرتدون إلى الكفر حقيقة ناكصون على أعقابهم اهـ «ومنذ» هنا ظرف (**متفق عليه. غرلا**) بضم فسكون جمع أغرل (**أي غير مختونين**).

١٦٦ - (**الحادي عشر: عن أبي سعيد عبد الله بن مغفل**) بضم الميم وفتح المعجمة وتشديد الفاء ابن عبد غنم، (**رضي الله عنه**) من أهل بيعة الرضوان، قال عبد الله: إني لممن رفع أغصان الشجرة عن رسول الله ﷺ. سكن المدينة ثم تحول إلى البصرة وكان أحد البكائين الذين نزل فيهم قوله تعالى ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة التوبة] الآية، توفي بالبصرة سنة ستين، وقيل: سنة تسع وخمسين، وصلى عليه أبو برزة الأسلمي لوصيته بذلك (**قال: نهى رسول الله ﷺ عن الخذف**) بفتح المعجمة الأولى وسكون الثانية وبالفاء: رمي الحصى بالسبابة والإبهام بأن يضعها على أحدهما ويرميها بالآخر (**وقال**) على سبيل الاستئناف لبيان سبب النهي (**إنه لا يقتل الصيد ولا ينكأ**) بالهمزة أي لا يقتل (**العدو**) ولا يجرحه (**وإنه يفقأ**) بالفاء والقاف والهمزة أي يقلع (**العين ويكسر السن**) أي إنه ضرر لا نفع فيه (**متفق عليه. وفي رواية:**) لمسلم (**أن قريبًا لابن مغفل خذف فنهاه**) عنه (**وقال: إن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف وقال: إنها لا تصيد صيدًا**) أي الخذفة لا يحصل في الصيد كما لا يحصل منها مصلحة في الحرب (**ثم عاد**) القريب الخذف

فقالَ: أُحدّثُكَ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْهُ ثُمَّ عُدْتَ تَخْذِفُ؟ لا أُكَلّمُكَ أَبدًا.

١٦٧ - [الثاني عشَرَ]: وعنْ عابِسِ بنِ رَبيعةَ قال: رَأَيْتُ عُمَرَ بنَ الخطابِ رضي اللَّهُ عنه يُقَبّلُ الْحَجَرَ - يَعْنِي الأَسْوَدَ - ويَقُولُ: إِني أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ مَا تَنْفَعُ ولا تَضُرُّ، ولَوْلا أَنّي رأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبّلُكَ ما قَبَّلْتُكَ. متفقٌ عليه.

بعد سماع ذلك (**فقال: أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ثم عدت تخذف**) وتخالف السنة (**لا أكلمك أبدًا**) قال النووي: فيه هجران أهل البدع والفسوق ومنابذي السنة مع العلم وأنه يجوز هجرانه دائمًا، والنهي عن الهجران فوق ثلاثة أيام إنما هو فيمن هجر لحظ نفسه ومعايش الدنيا، وأما أهل البدع ونحوهم فهجرانهم دائمًا، وهذا الحديث مما يؤيده.

١٦٧ - (**الثاني عشر: وعن عابس**) بموحدة مكسورة ثم مهملة (**ابن ربيعة**) النخعي الكوفي ثقة مخضرم من كبار التابعين كذا في «التقريب» للحافظ (**قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبل الحجر يعني الأسود ويقول: إني أعلم**) في رواية أخرى للبخاري «أما والله إني لأعلم» (**أنك حجر ما تنفع ولا تضرّ**) أي إلا بإذن الله قال الطبراني: إنما فعل ذلك لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم الأحجار كما كانت الجاهلية تعتقده في الأوثان (**ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك**) في قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيه وهي قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله ولو لم نعلم الحكمة فيه، وفيه دفع ما وقع لبعض الجهال من أن في الحجر خاصية ترجع إلى ذاته، وفيه بيان السنن بالقول والفعل وأن الإمام إذا خشي على أحد من فعله فساد اعتقاد أن يبادر إلى بيان الأمر (**متفق عليه**).

١٧ - باب في وجوب الانقياد لحكم الله تعالى وما يقوله من دُعي إلى ذلك وأُمِرَ بمعروف أو نُهِيَ عن منكر

قال اللّه تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النساء]، **وقال تعالى** ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة النور].

وَفِيهِ مِنَ الأَحَادِيثِ

باب في وجوب الانقياد لحكم الله تعالى

أي الاستسلام ظاهرًا والرضا باطنًا (**لحكم الله تعالى وما يقوله من دعي**) بالبناء للمفعول (**إلى ذلك**) أتى باسم الإشارة الموضوع للبعيد موضع الضمير تفخيمًا لشأنه (**وأمر بمعروف أو نهي**) بالبناء لذلك أيضًا (**عن منكر**).

(**قال الله تعالى** ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾) حكى السيوطي في «أسباب النزول» له خلافًا في سبب نزولها، فقيل في تخاصم الزبير والأنصاري في سراح الحرة فأمر ﷺ الزبير أن يسقي ثم يرسل الماء إلى جاره، فقال الأنصاري: يا رسول الله أن كان ابن عمتك الحديث. قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴿٦٥﴾﴾. أخرجه الأئمة الستة وقيل: في تخاصم الزبير وحاطب بن أبي بلتعة في ماء فقضى ﷺ أن يسقى الأعلى ثم الأسفل. أخرجه ابن أبي حاتم.

(**وقال تعالى** ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾) أي القول اللائق لهم (﴿إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ﴾) بالإجابة (﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾) حينئذٍ (﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾) الناجون (**وفيه من الأحاديث**) النبوية

حدِيثُ أَبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ الْمَذْكُورُ في أَوَّلِ الْبَابِ قَبْلَهُ، وَغَيْرُهُ مِنَ الأَحَاديثِ فيهِ.

١٦٨ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ ﴿٢٨٤﴾﴾ الآية [سورة البقرة]، اشْتَدَّ ذلِكَ عَلَى أَصْحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فأَتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ برَكُوا عَلَى الرُّكَبِ فَقَالُوا: أَيْ رسولَ اللّهِ كُلّفْنَا مِنَ الأَعمالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلاةَ وَالصّيامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلت عليكَ هَذِهِ الآيَةُ وَلا نُطِيقُهَا.

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه المذكور في أول الباب قبله) هو قوله: «دعوني ما تركتكم» إلخ **(وغيره من الأحاديث فيه)** أي في معنى الحديث المذكور من طاعة الله ورسوله ظاهرًا وباطنًا.

١٦٨ - **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت)** بالبناء للفاعل **(على رسول الله ﷺ اية: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾)** خلقًا وملكًا **(﴿وَإِن تُبْدُواْ﴾)** تظهروا **(﴿مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾)** من السوء والعزم عليه **(﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾)** تسرّوه **(﴿يُحَاسِبْكُم﴾)** يجزكم **(﴿بِهِ ٱللَّهُ﴾)** يوم القيامة **(الآية)** أي إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [سورة البقرة] ومنه محاسبتكم وجزاؤكم **(اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا)** جثيًا **(على الركب)** بضم ففتح كما هي عادة الخائف الوجل **(فقالوا أي)** بفتح الهمزة وسكون التحتية حرف لنداء القريب **(رسول الله كلفنا)** بالبناء للمفعول **(من الأعمال ما نطيق)** الإتيان به **(الصلاة والصيام والجهاد والصدقة)** بالنصب بدل مفصل من مجمل ويجوز فيه الرفع على القطع **(وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها)** قال المصنف: قال المازري: يحتمل أن يكون إشفاقهم وقولهم لا نطيقها لكونهم اعتقدوا أنهم يؤاخذون بما لا قدرة لهم على دفعه من الخواطر التي لا تكتسب فلهذا رأوه من قبيل ما لا يطاق. وعندنا أن تكليف ما

قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتُرِيدُونَ أَن تَقُولوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِن قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعصَينَا؟ بَلْ قُولُوا: سمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمصِيرُ»، قالوا: سَمِعْنا وأَطَعْنا غفرانَكَ ربَّنَا وإليكَ المصِيرُ، فَلمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ وَذَلَّت بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ أَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى في إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [سورة البقرة] **فَلَمَّا فَعَلُوا ذلِك نَسَخَهَا اللّهُ تَعالَى، فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ:**

لا يطاق جائز عقلًا (**قال رسول الله** ﷺ) مخوّفًا لهم من قطيعة العصيان وقطيعة امتناع قبول الأوامر (**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين**) من اليهود والنصارى (**من قبلكم**) في محل الحال أو الصفة (**سمعنا**) قولك (**وعصينا**) أمرك (**بل قولوا سمعنا**) ما أمرتنا به سماع قبول (**وأطعنا**) أمرك اغفر (**غفرانك**) أو نسألك غفرانك يا (**ربنا وإليك**) لا إلى غيرك (**المصير**) الرجوع (**فلما اقترأها**) أي قرأها (**القوم**) أي اية ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٢٨٤﴾ (**وذلت**) أي انقادت بالاستسلام (**بها ألسنتهم أنزل الله تعالى في إثرها**) بكسر فسكون وبفتحتين أي عقب نزولها من غير فاصل (﴿ءَامَنَ﴾) صدّق (﴿ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾) وهو القرءان (﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾) رتبهم كذلك لترتبهم في الوجود على ذلك الترتيب (﴿لَا نُفَرِّقُ﴾) أي يقولون لا نفرّق في الإيمان بالرسل (﴿بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾) بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض كفعل اليهود والنصارى (﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا﴾) ما أمرتنا به سماع قبول (﴿وَأَطَعۡنَاۖ﴾) أمرك (﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾) المرجع بالبعث. قال القرطبي لما تقرّر الأمر على أن ﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ مدحهم الله تعالى وأثنى عليهم في هذه الآية ورفع المشقة في الخواطر عنهم، وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع إلى الله تعالى (**فلما فعلوا ذلك**) أي قالوا ما أمروا بقوله من قوله سمعنا وأطعنا (**نسخها الله تعالى فأنزل الله عزّ وجلّ**

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ﴿٢٨٦﴾﴾ [سورة البقرة]، **قَالَ: نَعَمْ** ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ ﴿٢٨٦﴾﴾ [سورة البقرة]، **قَالَ: نَعَمْ** ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ ﴿٢٨٦﴾﴾ [سورة البقرة]، **قَالَ: نَعَمْ** ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [سورة البقرة]، **قَالَ: نَعَمْ**». **رواه مسلم**.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾) أي ما تسعه قدرتها. قال القرطبي في «المفهم»: الوسع الطاقة والجهد، وهذا خبر من الله تعالى أنه لا يأمرنا أي من وقت نزول الآية إلا بما نطيقه ويمكننا إيقاعه عادة (﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾) من الخير أي ثوابه (﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾) من الشرّ أي وزره، ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد ولا بما لم يكسبه مما وسوسته به نفسه. وعبر في الحسنة باللام من حيث هي مما يفرح بكسبه ويسرّ المرء بها فيضاف إلى ملكه، وفي السيئة بعلى من حيث هي أوزار متحملات صعبة. قولوا (﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾) بالعقاب (﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾) أي تركنا الصواب لا عن عمد كما ءاخذت به من قبلنا (**قال نعم**) أي قد فعلت، وقد رواه ابن عباس بهذا اللفظ بدل قوله نعم. رواه مسلم. قال القرطبي: فيه دليل على أنهم ينقلون الحديث بالمعنى. قولوا (﴿رَبَّنَا﴾) استجب ذلك (﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾) أمرًا يثقل علينا حمله (﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ﴾) أي من بني إسرائيل في قتل النفس في التوبة وإخراج ربع المال في الزكاة وقرض موضع النجاسة (**قال نعم**) أي قد فعلت (﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ﴾) قوة (﴿لَنَا بِهِۦ ۖ﴾) من التكاليف والبلاء (**قال نعم**. ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾) امح عنا ذنوبنا (﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ﴾) في الرحمة زيادة على المغفرة (﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾) سيدنا ومتولي أمرنا (﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾) بإقامة الحجة والغلبة في قتالهم. فإن شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء (**رواه مسلم**).

١٨ - باب في النهي عن البِدَع ومُحْدَثَات الأمور

قال اللّه تعالى ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة يونس]، **وقال تعالى** ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الأنعام]، **وقال تعالى** ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة النساء] **أي إلى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَقَالَ تَعَالَى** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة الأنعام]، **وقال تعالى** ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [سورة ءال عمران]. **وَالآياتُ في الْبابِ كَثِيرةٌ مَعْلُومةٌ.**

وأَمَّا الأَحاديثُ فكَثِيرَةٌ جِدًّا

---

١٨ - باب في النهي عن البدع ومحدثات الأمور

بكسر ففتح (**ومحدثات الأمور**) أي التي ليست على قواعد الشرع ولا فيها ما يؤيدها. (**قال الله تعالى** ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴿٣٢﴾﴾) إذ هما ضدان وبترك أحدهما يقع الآخر، والحق ما جاء به الكتاب والسنة نصًا أو استنباطًا (**وقال تعالى** ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴿٣٨﴾﴾) قال الخازن في «تفسيره»: يعني اللوح المحفوظ لأنه يشتمل على أحوال المخلوقات، وقيل: المراد بالكتاب القرءان أي إنه مشتمل على جميع الأحوال اهـ.

(**وقال تعالى** ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴿٥٩﴾﴾ **أي إلى الكتاب والسنة. وقال تعالى** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾) الذي وصيتكم به (﴿صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾) حال (﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾) الطرق المخالفة له (﴿فَتَفَرَّقَ﴾) فيه حذف إحدى التاءين (﴿بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴿١٥٣﴾﴾) أي دينه. وفي الآية التفات من المتكلم إلى الغيبة.

(**وقال تعالى** ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴿٣١﴾﴾. **والآيات في الباب**) أي النهي عن البدع (**كثيرة معلومة وأما الأحاديث**) النبوية في ذلك (**فكثيرة جدًا**) بكسر الجيم صفة مصدر

وهِيَ مشْهُورةٌ فنَقْتَصِرُ علَى طرَفٍ مِنْهَا:

١٦٩ - عن عائشةَ رضي اللَّهُ عنها قالت: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «منْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فهُو ردٌّ». متفقٌ عليه.

وفي روايةٍ لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عمَلاً لَيْسَ علَيْهِ أَمْرُنَا فَهُو رَدٌّ».

١٧٠ - وعن جابِرٍ رضي اللَّهُ عنه قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَب احْمرَّتْ عيْنَاهُ وَعلا صوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُه

محذوف أي كثرة جدًا أي تامة مبالغة فيها (**وهي مشهورة**) عن علماء السنة المشتغلين بها (**فنقتصر على**) إيراد (**طرف**) بفتح أوليه المهملين أي جانب (**منها**).

١٦٩ - (**عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: من أحدث**) أي ابتدع (**في أمرنا**) أي ديننا (**هذا**) أي دين الإسلام (**ما**) أي الذي أو شيئًا (**ليس منه**) بأن لم يشهد له أصل من أصوله فلا ينافي ما تقدم من أن من البدع ما هو واجب ومنها ما هو مندوب (**فهو رد**) أي مردود لا يلتفت إليه. قال النووي: هذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به لذلك. وقال الحافظ العسقلاني: «هذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده». وقال الطوفي: هذا الحديث يصح أن يسمى نصف أدلة الشرع (**متفق عليه**) ورواه أبو داود وابن ماجه.

(**وفي رواية لمسلم**) ورواها أحمد أيضًا هنا (**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا**) أي أمر الدين (**فهو ردّ**) وهذا أعم من اللفظ الأول فيحتج به في إبطال جميع العقود المنهية وعدم وجود ثمراتها المترتبة عليها وفي ردّ المحدثات ورد جميع المنهيات إذ ليست من أمر الدين.

١٧٠ - (**وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب**) خطبة لأمر يقتضيها من تحذير عن منهي أو تخويف من عقوبة (**احمرت**) بتشديد الراء (**عيناه وعلا صوته واشتد غضبه**) لما يتجلى عليه من بوارق

حتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ» وَيقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعةَ كَهَاتَيْنِ» وَيَقْرِنُ بيْن إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيرَ الْحَدِيثِ كتَابُ اللّهِ وخَيْرَ الْهَدْيِ هدْيُ مُحمَّدٍ ﷺ،

الجلال ولوامع أضواء الأنظار وشهود أحوال أمته وتقصير أكثرهم في امتثال ما يصدر عنه، ومن ثم مثل جابر حاله ﷺ في إنذاره بمجيء القيامة وقرب وقوعها وتهالك الناس فيما يؤذيهم بحال من ينذر قومه عند غفلتهم بجيش قريب منه يقصد الإحاطة بهم بغتة من كل جانب بحيث لا يقرب منهم أحد فقال (**حتى كأنه منذر جيش**) أي مخبر بجيش العدو الذي يخاف (**يقول**) في إنذاره لهم فهو صفة منذر (**صبحكم**) العدو مغيرًا عليكم (**ومساكم**) كذلك فاحتفظوا منه فكما أن هذا لشدة اعتنائه بحال قومه يرفع صوته وتحمرّ عيناه ويشتدّ غضبه من تغافلهم عما يستأصلهم ويهلكهم كذلك حال رسول الله ﷺ لشدة حرصه على أمته وعظم رأفته ورحمته بهم وخوفه عليهم من الساعة وأهوالها، ومن ثم عقب ذلك جابر بقوله عطفًا على كأنه (**ويقول بعثت أنا**) أكد به ليصح العطف (**والساعة كهاتين**) قال القاضي عياض: يحتمل أنه تمثيل لمقاربتهما وأنه ليس بينهما أصبع أخرى، كما أنه لا نبيّ بينه وبين الساعة، ويحتمل أنه لتقريب ما بينهما من المدة كنسبة التقارب بين الأصبعين تقريبًا لا تحذيرًا (**ويقرن**) بفتح الراء وفي نسخة بضمها (**بين إصبعيه**) تثنية أصبع وفيه عشر لغات تثليث الهمزة والموحدة والعاشرة أصبوع (**السبابة**) سميت بذلك لأنهم كانوا يشيرون بها عند السب (**والوسطى، ويقول: أما بعد**) فيه استحباب قولها في خطب الوعظ والجمع والعيد وغيرها وكذا في خطب الكتب المصنفة (**فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ**) قال العلقمي: هو بضم الهاء وفتح الدال فيهما وبفتح الهاء وسكون الدال أيضًا كذا جاءت الرواية بالوجهين. وفسره النووي على رواية الفتح بالطريق أي أحسن الطرق طريقه، وعلى رواية الضم بالدلالة والإرشاد وهو الذي

وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدثَاتُهَا وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»، ثُمَّ يقُولُ: «أَنَا أَوْلَى بِكُلّ مُؤْمِنٍ مِن نَفْسِهِ، مَن تَرَكَ مَالا فَلأَهْلِهِ وَمَن تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ». رواه مسلم.

وعن الْعِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ رضي اللَّهُ عنه حَديثُهُ السَّابِقُ في بابِ الْمُحَافَظَةِ على السُّنَّةِ.

١٩ - باب فيمن سنَّ سُنَّةً حَسَنةً أو سَيّئةً

يضاف إلى الرسل والقرءان والعباد، قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الشورى] وقال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴿٩﴾﴾ [سورة الإسراء] أما الهداية بمعنى اللطف والتأييد فتفرد بها سبحانه ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة القصص] **(وشرّ الأمور محدثاتها)** أي ما لم يكن معروفًا في كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا أصل له فيها. **(وكل بدعة ضلالة)** قال النووي: هذا عام مخصوص، والمراد غالب البدع **(ثم يقول: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه)** هو موافق لقوله تعالى ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴿٦﴾﴾ [سورة الأحزاب] أي أحق **(من ترك مالا فلأهله)** الوارثين له **(ومن ترك دينًا أو ضياعًا فإليّ وعليّ)** قال الحافظ ابن حجر: هذا تفسير لقوله ﷺ «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه» قال أهل اللغة: الضياع بفتح الضاد المعجمة العيال. المراد من ترك أطفالًا وعيالًا ذوي ضياع، وقوله: «وعليّ» بتشديد الياء أي قضاء ذلك الدين، فقيل كان يقضيه تكرمًا، وقوله: «وإليّ» أي الضياع، ففي الحديث لف ونشر غير مرتب **(رواه مسلم)**.

(وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه حديثه السابق في باب المحافظة على السنة).

١٩ - باب في ثواب من سن سنة حسنة

بأن كانت قواعد الشرع تمدح ذلك (و) عقاب **(من سن سنة)** أي

قال الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [سورة الفرقان]، **وقال تعالى** ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الأنبياء].

١٧١ - وعَنْ أَبي عمْرو جَرِيرِ بنِ عبدِ اللَّهِ رضي اللَّهُ عنه قال: كُنَّا في صَدْر النَّهَارِ عِنْد رسولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَه قَوْمٌ عُرَاةً مُجْتَابِي النِمارِ

طريقة (**سيئة**) بأن كانت على خلاف ما تقدم (**قال الله تعالى**) في مدح المؤمنين بذكر بعض أوصاف محامدهم (﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴿٧٤﴾﴾) لنا بأن نراهم مطيعين لك. قال بعضهم: في هذا القول منهم إشارة إلى أنه لما كمل نفعهم أحبوا أن يعود ذلك على أتباعهم، وبدءوا بالزوجات للإشارة إلى أن في مدحهم صلاحًا للأبناء لأن من شأنهم أن يأتوا على نعت أبويهم. قيل: أفضل سعادة المرء أن يؤتى ولدًا نجيبًا. والدعاء من الآباء للأبناء وإن كان لغيرهم أي الأبناء فهو في الحقيقة صلاح للآباء، لأن العبد يؤتى يوم القيامة في صحيفته حسنة فيقول من أين لي هذه؟ فتقول الملائكة: من استغفار ولدك (﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾) في الخير.

(**وقال تعالى** ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾) يقتدى بهم في الخير (﴿يَهْدُونَ﴾) الناس (﴿بِأَمْرِنَا ﴿٧٣﴾﴾).

١٧١ - (وعن أبي عمرو جرير) بفتح الجيم وكسر أولى الراءين بينهما تحتية ساكنة (**ابن عبد الله**) بن جابر بن مالك بن نضر بن ثعلبة البجلي الأحمسي بالمهملتين الكوفي (**رضي الله عنه**) قدم جرير على النبي ﷺ سنة عشر من الهجرة في رمضان فبايعه وأسلم. وكان عمر يقول: جرير يوسف هذه الأمة، وكان طويلًا يصل إلى سنام البعير، وكان نعله ذراعًا نزل الكوفة ثم تحول إلى أفريقيا ومات بها سنة إحدى وخمسين (**قال: كنا في صدر**) أول (**النهار عند رسول الله** ﷺ) نتشرف برؤياه ونستمطر الفيوض الإلٰهية من سحب محياه (**فجاءه قوم عراة**) جمع عار (**مجتابي النمار**) قال

أَو الْعَبَاءِ مُتَقَلّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُم مِن مُضَرَ بَلْ كُلُّهُم مِن مُضرَ، فَتَمَعَّر وجهُ رسولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِم مِن الْفَاقةِ، فدخَلَ ثُمَّ خرج فَأَمر بِلالاً فأَذَّنَ وأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَب فَقَالَ «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴿١﴾﴾» **إِلَى ءاخِرِ الآيةِ** «﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء]»،

النووي: أي خرقوها وقوروا وسطها (**أو**) شك من الراوي أي قال مجتابي النمار أو قال مجتابي (**العباء**) وهو بفتح العين المهملة وبالموحدة والمد جمع عباءة وعباية لغتان (**متقلدي السيوف عامتهم**) بتشديد الميم أي معظمهم (**من**) قبيلة (**مضر بل كلهم من مضر**) أي مقصورون عليها لا يتجاوزونها إلى غيرهم (**فتمعر**) بتشديد العين المهملة أي تغير (**وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة**) أي شدة الاحتياج من عدم مواساة الأغنياء لهم بما يدفع ضررهم كما هو الواجب عليهم، إذ يجب على الكفاية على مياسير المسلمين دفع ضرر المحتاجين بإطعام الجائع وإكساء العاري وهؤلاء كذلك ولم يبادر الأغنياء إلى سد فاقتهم فهذا سبب التمعر لا مجرد رؤية الفاقة بهم لأنها شأن الصالحين من الأمة (**فدخل**) أي منزله (**ثم خرج**) منه (**فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى**) أي الظهر لأن الإقامة مختصة بالفريضة وأول فريضة بعد صدر النهار الظهر (**ثم خطب فقال** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾) الآية مكية والخطاب لأهل مكة إلا أن لفظ الناس عام والحكم بعده غير مقصور عليهم (﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾) أي عقابه، بأن تطيعوه (﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾) ءادم (**إلى ءاخر الآية**) وهو (﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾) حافظًا لأعمالكم فيجازيكم عليها أي لم يزل متصفًا بذلك، ووجه مناسبتها لما هو فيه أن فيها اتحاد الناس في خلقهم من نفس واحدة ثم الأمر باتقاء الأرحام على قراءة النصب وقرنه باتقاء الله الدال على أن صلتها من الله تعالى بمكان. وختمها بقوله ﴿رَقِيبًا﴾ ما تحمل كل غني على سد خلة المحتاج لا سيما الرحم، لأن من رأى شقيقه ورحمه في غاية الحاجة ولم يصله كان

وَالآيَةَ الأُخْرَى الَّتِي في ءاخِرِ الْحَشْرِ «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الحشر] **تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِن دِينَارِهِ مِن دِرْهَمِهِ مِن ثَوْبِهِ مِن صَاعِ بُرِّهِ مِن صَاعِ تَمْرِه»، حَتَّى قَالَ: وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجزَتْ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِن طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رسولِ اللَّهِ ﷺ يَتهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ،**

قاطعًا لرحمه وقرابته غير متق لله ولا مستحضر لكونه رقيبا عليه (**و**) قال (**الآية الأخرى التي في ءاخر الحشر**) وهي قوله تعالى (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ﴿١٨﴾﴾) وفيها غاية الحث على ما في التي قبلها (**تصدق**) خبر بمعنى الأمر وهو أبلغ لدلالته على الوقوع أي ليتصدق (**رجل**) نكرة وضع موضع الجمع المعرف كما اقتضاه السياق فأفاد العموم، ومن ثم كرر من هنا من غير عاطف فقال (**من ديناره من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره**) أي ورجل من درهمه وهكذا (**حتى قال: ولو بشق تمرة**) أي ليتصدق ولو كان بشق تمرة ومن للجنس أي ببعض ما عنده من هذا الجنس تبعيضية ومجرورها والظرف في محل الحال أو إبتدائية متعلقة بتصدق أي من دينار له وإن احتاجه لأن الإيثار في ذلك شأن الكمل، قال تعالى ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ ﴿٩﴾﴾ [سورة الحشر] (**فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز**) بكسر الجيم (**عنها بل**) إضراب مفيد للتأكيد والتحقيق (**قد عجزت ثم تتابع**) بمثناتين فوقيتين وبعد الألف (**الناس**) أي في إتيان كل بما قدر عليه (**حتى رأيت كومين من طعام وثياب**) هو بفتح الكاف وضمها. والكومة بالضم: الصبرة والكوم العظيم من كل شيء؛ والكوم المكان المرتفع كالرابية. قال القاضي: والفتح هنا أولى لأن مقصوده الكثرة والتشبيه بالرابية (**حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل**) أي يستنير ويضيء لما حصل عنده من الفرح باغتناء أولئك المحتاجين ومبادرة أصحابه إلى الامتثال (**كأنه مذهبة**)

فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: «من سَنَّ في الإِسْلامِ سُنةً حَسنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وأَجْرُ مَن عَملَ بِهَا بَعدَهُ مِن غَيْرِ أَن يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيءٌ، ومَن سَنَّ في الإِسْلامِ سُنَّةً سيّئةً كَانَ عَليْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِن بعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنَ يَنْقُصَ مِنْ أَوزَارِهِمْ شَيءٌ». رواه مسلم.

قوله: «مجتابي النّمار»: هو بالجيم وبعد الألف باء موحَّدة،

سيأتي ضبطه وأن المراد منه على القولين الصفاء والاستنارة (**فقال رسول الله ﷺ: من سن في الإسلام سنة حسنة**) أي طريقة مرضية وإن لم يكن حسنها بالنص بل بالاستنباط بأن دعا لفعلها بقول أو فعل أو أعان عليها أو فعلها فاقتدى به في فعلها قال النووي: وفي هذا الحديث تخصيص قوله ﷺ: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» وأن المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة (**فله أجرها وأجر من عمل بها بعده**) أي ومثل أجره (**من غير أن ينقص من أجورهم شيء**) فاعل ينقص: أي إن حصول أجر مثل الفاعل لها لدلالته عليها لا يدخل به شيء من النقص في أجورهم (**ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة**) معصية وإن قلَّت بأن فعلها فاقتدى به فيها أو دعا إليها أو أعان عليها (**كان عليه وزرها**) أي وزر عملها (**ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**) وعلم من الحديث أن له ﷺ من مضاعفة الثواب بحسب مضاعفة أعمال أمته ما لا يحيط به عقل ولا يحده حد وذلك أن له مثل ثواب[1] أصحابه بالنسبة لما عملوه وما دلوا عليه من بعدهم المضاعف لهم ثوابه إلى يوم القيامة وهكذا في كل مرتبة من مراتب المبلغين عنه عند انقضاء الأمة، ومنه يعلم عظيم فضل كل أهل مرتبة المتضاعف المتعدد بتعدد من بعدهم، فتأمله لتعلم فضل السلف على الخلف والمتقدمين على المتأخرين (**رواه مسلم**) في كتابي الزكاة والعلم من صحيحه.

(**قوله مجتابي النمار هو**) بضم الميم و(**بالجيم وبعد الألف باء موحدة**

---

(١) أي ثواب يشبه ثواب الفاعلين وليس مثله على التمام من جميع الوجوه.

و«النمار»: جمع نَمِرَة وهي كساءٌ من صوفٍ مخطط، ومعنى «مجتابيها» لابسيها قد خرقوها في رءوسهم. والجوب: القطع، ومنه قول اللَّه تعالى ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ۝٩﴾ [سورة الفجر] أي نحتوه وقطعوه. وقوله «تمعَّر» هو بالعين المهملة أي تغيَّر. قوله: «رأيت كَوْمَيْن» بفتح الكاف وضمها، أي صُبْرَتَيْن. وَقَوْلُهُ: «كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ» هو بالذال المعجمة وفتح الهاء وبالباء الموحَّدة، قَالَ الْقَاضي عِيَاضٌ وغَيْرُهُ: وصحَّفَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ: «مُدْهُنَةٌ» بدال مهملة وضم الهاء وبالنون، وَكَذَا ضَبَطَهُ الْحُمَيْدِيُّ، وَالصَّحيحُ الْمَشْهُورُ هُوَ الأَوَّلُ،

والنمار) بكسر النون (**جمع نمرة**) بفتح فكسر (**وهي كساء من صوف مخطط**) ومعناها قاطعيها كما قال (**ومعنى مجتابيها: لابسيها**) حال كونهم (**قد خرقوها**) أي محل جيوبها (**في رءوسهم**) ونصب لابسيها الخبر عن «معنى» لمشاكلة المفسر المفسر (**والجوب**) المأخوذ منه مجتاب المذكور (**القطع ومنه قوله تعالى** ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ۝٩﴾ **أي نحتوه وقطعوه**) واتخذوه بيوتًا بالوادي وادي القرى (**وقوله تمعر هو بالعين المهملة**) المشددة (**أي تغير وقوله: رأيت كومين**) ضبط كما تقدم عن القاضي (**بفتح الكاف وضمها**) وتقدم عنه أن الأول هو الراجح (**أي صبرتين**) بضم الصاد المهملة اسم للمجموع من الطعام (**وقوله: كأنه مذهبة**) بضم الميم و(**هو بالذال المعجمة**) الساكنة (**وفتح الهاء وبالباء الموحدة، قال القاضي عياض**) في «المشارق» (**وغيره**) من الأئمة (**وصحفه بعضهم فقال: مدهنة بدال مهملة**) ساكنة (**وضم الهاء وبالنون**) المفتوحة (**وكذا ضبطه الحميدي**) بل لم يذكر «في» بين الصحيحين غير هذه الرواية إن صحت، المدهن: الإناء الذي يدهن فيه. وهو أيضًا اسم للنقرة في الجبل التي يستنقع فيها ماء المطر فشبه صفاء وجهه الكريم بصفاء هذا الماء وصفاء هذا الدهن (**والصحيح المشهور**) قال النووي: قال القاضي عياض: والصواب (**هو الأول**) وهو المعروف في

وَالْمُرَادُ بِهِ عَلَى الْوَجْهَيْنِ: الصَّفَاءُ والاسْتِنَارة.

١٧٢ - وعن ابنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «ليس مِن نفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إلا كَان عَلَى ابْنِ ءادمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِن دمِهَا لأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَن سَنَّ الْقَتْلَ». متفقٌ عليه.

الروايات، وذكر القاضي وجهين في «تفسيره» أحدهما معناه فضة مذهبة فهو أبلغ في حسن الوجه وإشراقه، والثاني شبهه في حسنه ونوره بالمذهبة من الجلود وجمعها مذاهب وهي شيء كانت العرب تصنعه من جلود وتجعل فيها خطوطًا مذهبة يرى بعضها إثر بعض **(والمراد به على الوجهين الصفاء والاستنارة)**.

١٧٢ - (وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ليس من) زائدة لتأكيد استغراق النفي **(نفس تقتل ظلمًا إلا كان على ابن ءادم الأول)** وهو قابيل القاتل لأخيه هابيل حين تزوج كل منهما بأخته التي مع الآخر في بطن واحدة، وكان شريعة ءادم عليه السلام أن بطون حواء كانت بمنزلة الأقارب الأباعد. وحكمته تعذر التزوج فاقتضت مصلحة بقاء النسل تجويز ذلك فحينئذٍ قتل قابيل هابيل لأن زوجته كانت أجمل فأدى به حسده إلى قتله، وهذا لا يمنع السبب المذكور في الآية لإمكان أن سبب القتل به هذا الحسد وأفهم قوله الأول أنه أول أولاد ءادم، فإنهما أول قاتل ومقتول من ولد ءادم **(كفل)** بكسر الكاف وسكون الفاء أي نصيب **(من)** إثم **(دمها لأنه كان أول من سن القتل)** ففعله بأخيه فكل من فعله بعده مقتد به ولو بواسطة أو وسائط **(متفق عليه)** قال زين العرب في «شرح المصابيح» إن قلت هذا مناف لقوله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة الأنعام] قلت: كل واحدة من النفسين المباشرة والمتسببة وازرة إثمها اهـ.

٢٠ - باب في الدلالة على خير والدعاء إلى هدى أو ضلالة

قال تعالى ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة القَصَص]، **وقال تعالى** ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة النَّحل]، **وقال تعالى** ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴿٢﴾﴾ [سورة المائدة]، **وقال تعالى** ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة ءال عمران].

١٧٣ - وعن أَبي مسعودٍ عُقبَةَ بْنِ عمْرٍو الأَنصارِيّ البَدْريّ رضي اللَّهُ عنه

---

٢٠ - باب في الدلالة

بتثليث الدال المهملة والأفصح الفتح (**على خير**) ديني أو دنيوي ليس فيه كراهة دينية (**والدعاء إلى هدى أو ضلالة**) أي في ثواب الأولين وعقاب الأخير.

(**قال الله تعالى** ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ ﴿٨٧﴾﴾) أي ادع الناس إلى ربك بتوحيده وعبادته.

(**وقال تعالى** ﴿ٱدۡعُ﴾) الناس يا محمد (﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾) دينه (﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾) بالقرءان (﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴿١٢٥﴾﴾) مواعظه أو القول الرفيق.

(**وقال تعالى** ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ﴾) فعل ما أمرتم به (﴿وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴿٢﴾﴾) ترك ما نهيتم عنه، وهذا الأمر عام في سائر الطاعات، فرض في الفروض، مندوب في المندوب.

(**وقال تعالى** ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾) فيه إشارة إلى أن الدعاة إلى الحق والخير أفضل للأمة ولذا ميزهم بالذكر، وفي قوله: و«منكم» إشارة إلى أنه لا يكون سائر الناس في رتبة بل يتفاوتون، إذ يكون العالم والأعلم والفاضل والأفضل.

١٧٣ - (وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري رضي الله عنه

قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن دَلَّ علَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ». رواه مسلم.

١٧٤ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «من دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ من تَبِعَهُ لا ينْقُصُ ذلِكَ مِن أُجُورِهِم شَيئًا، ومَن دعَا إِلَى ضَلالَةٍ

قال: قال رسول الله ﷺ: من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله) بسببه كما في مسلم عن أبي مسعود قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أبدع بي فاحملني، قال: ما عندي، قال رجل: يا رسول الله أنا أدله على من يحمله، فقال رسول الله ﷺ: من دلّ على خير» إلخ، وقوله: «أبدع بي» بضم الهمزة وسكون الموحدة ءاخره مهملتان أي هلكت راحلتي وانقطع بي، وقوله: «من دل» إلخ قال النووي: المراد أن له ثوابًا مثل ما أن لفاعله ثوابًا، ولا يلزم أن يكون قدرهما سواء اهـ. واختار القرطبي أنه مثله حتى في التضعيف قال لأن الثواب على الأعمال إنما هو بفضل من الله فيعطيه لمن يشاء على أيّ شيء صدر منه خصوصًا إذا صحت النية التي هي أصل الأعمال في طاعة عجز عن فعلها لمانع منع منها وهذا جارٍ في كل ما ورد مما يشبه ذلك كحديث «من فطر صائمًا فله مثل أجره» اهـ. قلت: وحديث الترمذي الذي فيه «ورجل ليس عنده شيء من الدنيا وتمنى أنه لو كان ذلك لأنفقه فيما أنفقها فيه من الخيرات صاحبه فهما في الأجر سواء أو كما قال» **(رواه مسلم)**.

١٧٤ - **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من دعا إلى هدى)** أي من أرشد غيره إلى فعل خير عظيم كثير أو ترك ضده كإماطة الأذى عن الطرق أو أمره به أو أعانه عليه **(كان له من الأجر مثل أجور من تبعه)** فعمل بدلالته أو امتثل **(لا ينقص ذلك)** الأجر العظيم المعطى للدالّ على دلالته **(من أجورهم)** المعطاة على أعمالهم **(شيئًا)** لاختلاف جهة الجزاء **(ومن دعا إلى ضلالة)** أي من أرشد غيره إلى فعل

كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ ءاثَامِ مَن تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذلِكَ مِن ءاثَامِهِمْ شَيئًا». رواه مسلم.

١٧٥ - وعن أَبي العباسِ سَهْلِ بنِ سعدٍ السَّاعِدِيّ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رجُلًا يَفْتَحُ اللّهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللّهَ ورسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللّهُ وَرَسُولُهُ» فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكون لَيلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. فَلَمَّا أَصْبَح النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرجُو أَن يُعْطَاهَا فقال: «أَيْنَ عَليُّ بنُ أَبي طالبٍ؟»

إثم وإن قلّ أو أمره به أو أعانه عليه (**كان عليه من الإثم مثل ءاثام من تبعه**) عليها وامتثل أمره فيها (**لا ينقص ذلك من ءاثامهم شيئًا**. **رواه مسلم**) وغيره ممن تقدم.

١٧٥ - (**وعن أبي العباس**) وقيل: أبو يحيى (**سهل بن سعد**) بن مالك الأنصاري (**الساعديّ رضي الله عنه**) كان اسمه حزنًا فسماه النبيّ ﷺ سهلًا. قال الزهري سمع سهل من النبيّ ﷺ، وكان له في وفاة النبيّ ﷺ خمس عشرة سنة، وتوفي بالمدينة سنة ثمان وثمانين (**أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر**) جرت عادة العرب الكناية بيوم كذا عن غزوته سواء كانت في يوم أقل أو أكثر هذا المقال صدر منه في بعض أيام تلك الغزوة فإنها كانت أيامًا (**لأعطينّ الراية غدا رجلًا يفتح الله على يديه**) والتنوين في رجل للتعظيم، وأبدل منه ما يزيد في تعظيمه قوله: (**يحب الله ورسوله**) بالنصب (**ويحبه الله ورسوله**) أي جامع للوصفين حائز للشرفين المتلازمين «يحبهم ويحبونه» رضي الله عنهم ورضوا عنه وتقدم أن المراد من محبة الله للعبد توفيقه لمرضاته وإنابته، والمراد من محبة العبد لله ورسوله امتثال أوامرهما واجتناب مناهيهما (**فبات الناس يدوكون**) يخوضون (**ليلتهم**) أي فيها (**أيهم يعطاها**) بالبناء للمفعول (**فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها**) ورجاؤها ذلك لا لذات الراية إنما هو لشرف صاحبها من كونه محبًا لله تعالى ورسوله محبوبًا لهما (**فقال: أين علي بن أبي طالب؟**

فَقيلَ: يا رسولَ اللَّهِ هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قال: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ» فَأُتِي بِهِ فَبَصقَ رسولُ اللَّهِ ﷺ في عيْنيْهِ وَدعا لهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَن لَمْ يَكُن بِهِ وجعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ. فقال عليٌّ رضي اللَّهُ عنه: يا رسولَ اللَّهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلام، وَأَخْبِرْهُم بِما يجِبُ عليهم مِنْ حق اللّهِ تَعَالَى فِيهِ، فَواللّهِ لأَن يَهْدِيَ اللّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَم».

فقيل: يا رسول الله هو يشتكي عينيه) أي بالرمد كما جاء في رواية أخرى **(قال: فأرسلوا إليه فأتي)** بالبناء للمفعول **(به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له)** أي بالعافية **(فبرأ)** عقب ذلك حالًا معجزة له ﷺ وكرامة بإجابة دعوته فزال الوجع وءاثاره **(حتى كأن)** بتخفيف النون أي كأنه **(لم يكن به وجع)** فيهما **(فأعطاه الراية فقال علي رضي الله عنه: يا رسول الله أقاتلهم)** أي أؤقاتلهم بتقدير همزة الاستفهام قبل الفعل وحذفها دفعًا لثقل توالي همزتين **(حتى يكونوا مثلنا)** في الإسلام ويدخلوا في الدين **(فقال: انفذ)** بضم الفاء وبالذال المعجمة أي امض **(على رسلك)** أي على هينتك ولا تعجل وأصله السكون والثبات **(حتى تنزل بساحتهم)** هي الناحية والفضاء بين دور الحي **(ثم)** أي بعد وصولك لها **(ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى)** الواجب **(فيه)** من الأعمال البدنية كالصلاة والصيام، والمالية كالزكاة والجامعة لهما كالحج والعمرة. **(فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا)** أي ينقذه من الكفر والضلال بدلالتك له على الإسلام والهدى **(خير لك من حمر النعم)** أي من أن تكون لك، قال النووي: وحمر النعم هي الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه، وتشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب إلى الأفهام، وإلا فذرّة من الآخرة الباقية خير من

متفقٌ عليه.

قوله: «يدوكون»: أي يخوضون ويتحدثون. قوله: «رسلك» بكسر الراء وبفتحها لغتان والكسر أفصح.

١٧٦ - وعن أَنَس رضي اللَّهُ عنه أَنَّ فَتًى مِنْ أَسْلَمَ قال: يا رسُولَ اللّه إِنّي أُرِيدُ الْغَزْوَ ولَيْس مَعِي مَا أَتجهَّزُ بِهِ، قَالَ: «ائْتِ فُلانًا فإنه قَد كانَ تجَهَّزَ فَمَرِضَ» فَأَتَاهُ فقال: رسولَ اللَّهِ ﷺ يُقْرِئُكَ السَّلامَ وَيَقُولُ: أَعْطِنِي الَّذِي تجَهَّزْتَ بِهِ، فقال: يَا فُلانَةُ أَعْطِيهِ الذي تجَهَّزْتُ بِهِ ولا تحْبِسِي مِنْهُ شَيئًا فَوَاللّهِ لا تَحْبِسِي مِنْه شَيئًا فَيُبَارَكَ

الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تصورت وفي الحديث بيان فضل العلم والدعاء إلى الهدى وسن السنن الحسنة (**متفق عليه. قوله: يدوكون**) بالدال المهملة (**أي يخوضون ويتحدثون**) قال النووي: وفي بعض نسخ مسلم «يذكرون» بالذال المعجمة وبالراء و(**قوله رسلك**) بالجر على الحكاية (**بكسر الراء وبفتحها**) وسكون السين فيهما (**لغتان والكسر أفصح**) الهينة والتأني، قال الجوهري: يقال افعل كذا وكذا على رسلك أي اتئد فيه كما يقال على هينتك.

١٧٦ - (**وعن أنس رضي الله عنه أنّ فتى من أسلم قال: يا رسول الله إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز به**) الجهاز: ما يحتاج إليه المسافر (**قال: ائت فلانًا فإنه قد كان تجهز**) للغزو (**فمرض**) فتأخر له. ففيه الدلالة على الخير، وفيه أن من نوى صرف شيء في خير وتعذر عليه استحب له بذله في خير ءاخر ولا يلزمه ذلك إلا بالنذر (**فأتاه فقال: رسول الله ﷺ يقرئك**) بضم التحتية (**السلام ويقول**) لك (**أعطني الذي تجهزت به**) أي إعانة لي على الخير (**فقال**) مسارعًا لامتثال أمر المصطفى ﷺ (**يا فلانة**) كناية عن اسم المرأة (**أعطيه الذي تجهزت به**) أي من الراحلة والزاد وغيره مما هيأه مما يحتاجه المسافر (**ولا تحبسي**) تؤخري (**منه شيئًا، فوالله لا تحبسي**) في نسخة بزيادة النون (**منه شيئًا فيبارك**)

لَكِ فِيهِ. رواه مسلم.

٢١ - باب في التعاون على البِر والتقوى

قال الله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ٢﴾ [سورة المائدة]، **وقال تعالى** ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [سورة العصر].

قال الإِمَامُ

بالنصب (**لك فيه**) لأنه تصرف فيه على خلاف رضا مالكه وهواه لأنه أمر بدفعه أجمع لمن أرسله النبي ﷺ، فإذا خالفت وحبست منه بعض الشيء تستكثره له لا يبارك لها فيه (**رواه مسلم**).

٢١ - باب في التعاون على البر والتقوى

(**قال الله تعالى** ﴿وَتَعَاوَنُواْ﴾) أي ليعن بعضكم بعضًا (﴿عَلَى﴾) اكتساب (﴿ٱلۡبِرِّ﴾) قال ابن عباس: متابعة السنة (﴿وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ٢﴾ **وقال تعالى** ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١﴾) الدهر؛ أو ما بعد الزوال، أو صلاة العصر، أو زمان رسول الله ﷺ، أقسم به كما أقسم بمكانه تنبيهًا بذلك على أن زمانه أفضل الأزمان وأشرفها، وجواب القسم (﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾) أل فيه للاستغراق (﴿لَفِي خُسۡرٍ ٢﴾) أي خسران ونقصان في تجارة لأن تجارة الإنسان عمره فإذا ضاعت الساعة منه في معصية فهو الخسران المبين الظاهر، أو في طاعة فلعل غيرها أفضل وهو قادر على الإتيان به، فكان في فعل غير الأفضل تضييع وخسران (﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾) فليسوا في خسر، وكل ما مر من عمر الإنسان في طاعة الله فهو في صلاح وخير. وما كان بضده فهو فساد وهلاك (﴿وَتَوَاصَوۡاْ﴾) أي أوصى بعضهم بعضًا (﴿بِٱلۡحَقِّ﴾) أي الإيمان والتوحيد، وقيل: القرءان والعمل بما فيه (﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾) على الطاعة وعن المعصية. (**قال الإمام**) هو لغة من يقتدى به، وفي عرف الشرع من يقتدى به في الخير

الشَّافِعِيُّ رَحِمَه اللّهُ كَلاَمًا مَعْنَاهُ: إِنَّ النَّاسَ أَوْ أَكْثَرَهُمْ في غَفْلَةٍ عَن تَدَبُّر هَذِه السُّورةِ.

١٧٧ - وعن أَبي عبدِ الرحمٰنِ زيدِ بنِ خالدٍ الْجُهَنيّ رضيَ اللّه عنه قالَ: قالَ نبيُّ الله ﷺ: «مَن جهَّزَ غَازِيًا في سَبِيلِ اللّهِ فَقَد غَزَا وَمَنْ خَلَفَ

(الشافعي) عالم قريش المحمول عليه «لا تسبوا قريشًا، فإن عالمها يملأ الأرض علمًا» محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف جد النبي ﷺ ولد الشافعي بغزة على الأصح سنة خمسين ومائة ثم حمل إلى مكة ونشأ بها، وحفظ القرءان وهو ابن سبع سنين والموطأ وهو ابن عشر، وأذن له في الإفتاء وهو ابن خمس عشرة سنة، ثم رحل إلى مالك ولازمه مدة، ثم قدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فأقام بها سنتين، فاجتمع عليه علماؤها ورجع كثير منهم عن مذاهب كانوا عليها إلى مذهبه وصنف بها كتابه القديم، ثم عاد إلى مكة فأقام بها شهرًا، ثم خرج إلى مصر ولم يزل بها ناشرًا للعلم ملازمًا للاشتغال بجامعها العتيق إلى أن مات يوم الجمعة سلخ رجب سنة أربع ومائتين ودفن بعد العصر من يومه. ومناقبه كثيرة أفردت بالتآليف في مجلدات.

(كلامًا) مفعول، **(معناه إن الناس أو)** للتردد **(أكثرهم في غفلة عن تدبر)** مقاصد **(هذه السورة)** وما هي مؤدية ومنبهة بشرفه من التواصي بالحق والصبر ومن عمل البر، وخسران من لم يكن كذلك.

١٧٧ - (وعن أبي عبد الرحمٰن زيد بن خالد الجهني) بضم الجيم نسبة إلى جهينة قبيلة عظيمة منها بشر كثير من الصحابة، سكن زيد **(رضي الله عنه)** المدينة وشهد الحديبية وكان معه لواء جهينة يوم الفتح. توفي بالمدينة سنة ثمان وخمسين وهو ابن خمس وثمانين سنة **(قال: قال نبي الله ﷺ: من جهز غازيًا في سبيل الله)** أي هيأ أسباب السفر له إعانة على الخير **(فقد غزا)**. قال ابن حبان: معناه أنه مثله في الأجر وإن لم يغز حقيقة **(ومن خلف)** بالخاء المعجمة المفتوحة وبتخفيف اللام

غَازِيًا في أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَد غَزَا». متفقٌ عليه.

١٧٨ - وعن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيّ رضي اللّهُ عنهُ أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثًا إِلى بَني لِحْيانَ مِنْ هُذَيْلٍ فقالَ: «لِيَنْبعِثْ مِن كُلّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا وَالأَجْرُ بَيْنَهُما». رواه مسلم.

المفتوحة أيضًا **(غازيًا)** في سبيل الله **(في أهله بخير)** بأن قام بما يحتاجون إليه **(فقد غزا)** وفي رواية لابن حبان: «من جهز غازيًا في سبيل الله أو خلفه في أهله كتب الله له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجره شيء» **(متفق عليه)** ورواه ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ: «من جهز غازيًا حتى يستقلّ كان له مثل أجره حتى يموت أو يرجع». قال العلقمي: أفادت هذه الرواية فائدتين: أن الوعد المذكور مرتب على إتمام التجهيز وهو المراد بقوله حتى يستقل، وأنه يستوي معه في الأجر إلى أن تنقضي تلك الغزوة. لكن من يجهز الغازي بماله مثلًا وكذا من يخلفه فيمن يتركه بعده يباشر شيئًا من المشقة أيضًا، فإن الغازي لا يتأتى منه الغزو إلا بعد أن يكفي ذلك العمل فصار كأنه يباشر معه الغزو.

١٧٨ - (وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث) أي أراد أن يبعث **(بعثًا إلى بني لحيان)** بكسر اللام بطن **(من هذيل)** إذ هو لحيان بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر. قال النووي: واتفق العلماء على أن بني لحيان كانوا في ذلك الوقت كفارًا، فبعث إليهم بعثًا يغزوهم **(فقال)** لذلك البعث **(لينبعث من كل رجلين أحدهما)** مراده كما قال المصنف من كل قبيلة نصف عددها **(والأجر)** أي مجموع الحاصل للغازي والخالف له بخير **(بينهما)** فهو بمعنى قوله في الحديث قبله: «ومن خلف غازيًا فقد غزا» ثم قوله والأجر بينهما محمول على ما إذا خلف المقيم الغازي في أهله بخير كما تقدم في الحديث قبله وصرح به باقي الأحاديث **(رواه مسلم)**.

١٧٩ - وعن ابنِ عباسٍ رضي اللَّهُ عنهما أَنَّ نبيَّ الله ﷺ لَقِيَ رَكْبًا بالرَّوْحَاءِ فقال: «مَنِ الْقوْمُ؟» قالُوا: المُسْلِمُونَ، فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قال: «رسولُ اللَّهِ» فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قال: «نَعمْ وَلَكِ أَجْرٌ». رواه مسلم.

---

١٧٩ - (وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن نبي الله ﷺ لقي) في حجة الوداع **(ركبًا)** بفتح الراء وسكون الكاف جمع راكب **(بالروحاء)** بالمهملتين محل بقرب المدينة **(فقال)** بعد أن سلم عليهم كما في حديث أبي داود **(من القوم)** قال ابن رسلان: فيه السلام على الركب المسافرين إذا لقيهم وإن لم يعرفهم، وأن الذي يسلم يكون كبير القوم، وأن من لقي غيره لا يكلمه قبل أن يسلم عليه **(قالوا المسلمون)** فيه دليل على إطلاق ذلك ولا يحتاج إلى فصله بقوله إن شاء الله خوفًا من سوء الخاتمة **(فقالوا من أنت)** وعند أبي داود «من أنتم». قال القاضي عياض: يحتمل أن يكون هذا اللقاء كان ليلًا فلم يعرفوه، ويحتمل كونه نهارًا لكنهم لم يروه ﷺ قبل ذلك لعدم هجرتهم فأسلموا في بلدانهم ولم يهاجروا قبل ذلك **(قال)** وفي رواية أبي داود فقالوا **(رسول الله فرفعت إليه امرأة صبيًا)** زاد أبو داود «فأخذت بعضده فأخرجته من محفتها» **(فقالت)** كما في أبي داود **(ألهذا)** وعند أبي داود «هل لهذا» **(حج)** أي يصح له **(قال: نعم)** فيه حجة للشافعي والجمهور على انعقاد حج الصبي وإن كان غير مميز إذ من يخرج من المحفة بعضده لا تمييز له، فيُحرم عنه الوليّ إن كان غير مميز والإذن للصبي إن كان مميزًا فيثاب الصبي عليه في الحالين وإن كان لا يجزيه عن حجة الإسلام بل يقع تطوعًا **(ولك أجر)** أي ويثبت لك الأجر أما أجر حجة فيكتب له مع سائر ما يعمله من الطاعات من طواف وسعي وطهارة وصلاة وغيرها من الطاعات ولا يكتب له معصية بالإجماع **(رواه مسلم)** وأبو داود.

١٨٠ - وعَنْ أَبي موسى الأَشْعَرِيّ رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ أَنَّهُ قال: «الخَازِنُ المُسْلِمُ الأَمِينُ الَّذِي يُنَفّذُ ما أُمِرَ بِهِ فَيُعْطِيهِ كاملاً موَفَّرًا طَيّبَةً بِهِ نَفْسُهُ فَيَدْفَعُهُ إِلى الَّذِي أَمَرَ لَهُ بِهِ أَحَدُ المُتَصَدّقَينِ». متفقٌ عليه.

وفي رواية: «الَّذي يُعْطِي مَا أُمِرَ بِهِ». وضبَطوا «المُتَصدّقَيْنِ» بفتح القاف مع كسر النون على التَّثْنِيَةِ، وعَكسِهِ عَلى الجمْعِ وكلاهُمَا صَحيحٌ.

---

١٨٠ - (وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **الخازن**) لمال غيره بإذنه (**المسلم الأمين**) أي في ذلك المال الذي أمر بإعطائه وإن خان في غيره قبل أو بعد فيما يظهر من القواعد، لأن سبق المعصية أو تأخرها فيما لا تعلق له بما أطاع فيه لا يقتضي نقص ثواب ما أطاع فيه (**الذي ينفذ**) بفاء مكسورة مثقلة ومخففة (**ما أمر به**) أي بإعطائه (**فيعطيه كاملاً موفرًا**) تأكيد بعد تأكيد لما غلب على الخزان من الطمع فيما أمروا بإعطائه والنقص عنه (**طيبة به نفسه**) بأن لا يحسد المعطى ولا يظهر له من العبوس وتقطيب الوجه ما يكدر خاطره، ونبه ﷺ على ذلك لأن أكثر الخزان غلب عليهم البخل بمال غيرهم (**فيدفعه إلى الذي أمر له**) راجع للذي (**به**) راجع للمال (**أحد المتصدقين**) فيكتب له بتلك الشروط الأربعة ثواب من ثواب الصدقة، لكنه يقل ويكثر بحسب تعبه وبشاشته ورفقه في الإعطاء (**متفق عليه**) ورواه أحمد وأبو داود والنسائي.

(**وفي رواية**) لهما (**الذي يعطي ما أمر**) بالبناء للمفعول (**به. وضبطوا**) أي المحدثون (**المتصدقين بفتح القاف مع كسر النون على التثنية**) أي على أنه مثنى وعلى هذا اقتصر في «شرح مسلم» وعليه فهما هو وبازل الصدقة (**وعكسه**) أي كسر القاف وفتح النون (**على الجمع**) الصحيح المذكر السالم وهو جنس الخازن وجنس المتصدق أو أطلق الجمع وأريد به الاثنان مجازًا (**وكلاهما**) أي الضبطين (**صحيح**) باعتبار المعنى كما عرفت.

٢٢ - باب في النصيحة

قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحُجُرَات]، **وقال تعالى إخبارًا عن نُوحٍ** ﷺ ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الأعراف]، **وَعنْ هُودٍ** ﷺ ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة الأعراف].

---

٢٢ - باب في النصيحة

النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الخير للمنصوح له يقال إنها من وجيز الأسماء ومختصر الكلام وأنه ليس في كلام العرب كلمة مفردة تستوفي العبارة عن معنى هذه الكلمة، كما قالوا في الفلاح ليس في كلام العرب كلمة أجمع لخير الدارين منها وهي مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه شبه فعل الناصح فيما يتحراه للمنصوح له بسد الخياط خلل الثوب وإصلاحه.

(**قال تعالى** ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴿١٠﴾﴾) ففي التعبير بالأخوة المقتضية للنظر في مصالحه وما ينفعه إيماء إلى نصحه.

(**وقال تعالى إخبارًا**) أي مخبرًا (**عن نوح صلى الله**) على نبينا و(**عليه وسلم**) أي عما قاله لقومه (﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴿٦٢﴾﴾) أدلكم على طريق رشدكم. وقال شاه الكرماني: علامة النصيحة ثلاثة: اغتمام القلب بمصائب المسلمين، وبذل النصح لهم، وإرشادهم إلى مصالحهم وإن جهلوا وكرهوه.

(**و**) قال تعالى مخبرًا (**عن**) قول (**هود**) لقومه (﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ ﴿٦٨﴾﴾) أي فيما ءامركم به من عبادة الله وترك ما سواه (﴿أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾) على تبليغ الرسالة وأداء النصح. والأمين: الثقة على ما اؤتمن عليه. فكان نوح يدعو قومه ليلًا ونهارًا كما أخبر الله تعالى عنه بذلك، فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل. وأما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتًا دون وقت فلذا ذكر بصيغة الوصف، وفي الآية جواز مدح النفس والثناء عليها في مواضع الضرورة إلى مدحها.

وَأَمَّا الأَحاديث:

١٨١ - فَالأَوَّلُ: عن أَبي رُقيَّةَ تَميم بنِ أَوْسٍ الدَّارِيّ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «الدِينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَن؟ قَالَ: «لِلّهِ وَلِكِتَابِهِ ولِرسُولِهِ

---

١٨١ - **(وأما الأحاديث)** النبوية النصيحة **(فـ)** ـكثيرة: **(فالأول: عن أبي رقية)** كني بابنة له لم يولد له غيرها **(تميم بن أوس الداري)** نسبه إلى جده الدار ويقال فيه الديري نسبة إلى دير كان يتعبد فيه، أسلم تميم **(رضي الله عنه)** سنة تسع وسكن المدينة ثم انتقل إلى الشام ونزل بيت المقدس بعد قتل عثمان **(أن النبي ﷺ قال: الدين النصيحة)** أي هي عماد الدين وقوامه كقوله «الحج عرفة» فهو من الحصر المجازي دون الحقيقي أي إنه أريد المبالغة في مدح النصيحة حتى جعلت كل الدين وإن كان الدين مشتملًا على خصال كثيرة غيرها **(قلنا لمن؟)** يؤخذ منه مراجعة المتعلم للعالم عند الإبهام والالتباس **(قال لله)**. قال الخطابي: النصيحة لله تنصرف إلى الإيمان به ونفي الشريك عنه وترك الإلحاد في صفاته وأسمائه ووصفه بصفات الكمال وتنزيهه عن جميع النقائص والقيام بطاعته واجتناب معصيته والحبّ فيه والبغض فيه وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه وجهاد من كفر به والاعتراف بنعمه وشكره عليها والإخلاص في جميع الأمور والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة والحث عليها والتلطف بالناس ومن أمكن منهم علمه **(ولكتابه)** قال العلماء: النصيحة له الإيمان بأنه كتاب الله وتنزيله لا يشبه شيئًا من كلام الخلق ولا يقدر عليه أحد منهم، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه في التلاوة والذبّ عنه لتأول المحرفين، والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتناء بمواعظه والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، وللبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه والدعاء إليه وإلى ما ذكرنا من نصيحته **(ولرسوله)** ونصيحته

وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». **رواه مُسْلم**.

١٨٢ - الثَّاني: عَن جرِيرِ بْنِ عبدِ اللَّهِ رضي اللَّهُ عنه قال: بَايَعْتُ

تصديقه على الرسالة والإيمان به، وطاعته في أوامره ونواهيه، ونصرته حيًّا وميتًا، ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبثّ دعوته ونشر سنته، واستفادة علومها والتفقه في معانيها، والدعاء إليها والتلطف في تعليمها وإعظامها وإجلالها، والتأدب عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه (**ولأئمة المسلمين**) وهي بمعاونتهم على الحق وطاعتهم وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبالغوا من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب المسلمين لطاعتهم، وألا يغرّوا بالثناء الكاذب عليهم ويدعى لهم بالصلاح، هذا كله بناء على أن المراد بهم الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمر المسلمين، وهذا هو المشهور (**وعامتهم**) أي من عدا ولاة الأمر ونصيحتهم بإرشادهم لمصالحهم في دنياهم وأخراهم، وإعانتهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم وسد خلاتهم، ودفع المضارّ عنهم وجلب المنافع إليهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق، وأن يحبّ لهم ما يحبّ لنفسه، ويذبّ عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم بالقول والفعل، قال ابن بطال: وهذا الحديث يدل على أن النصيحة تسمى دينًا وإسلامًا، وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول، والنصيحة فرض يجزى فيه من قام به ويسقط عن الباقين، وهي لازمة على قدر الحاجة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه، فإذا خشي أذًى فهو في سعة اهـ (**رواه مسلم**) ورواه الإمامان الشافعي وأحمد بن حنبل وأخرجه النسائي وابن خزيمة في «صحيحه» وله طرق كثيرة.

١٨٢ - و(**الثاني: عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه**) البجلي (**قال: بايعت**

رَسولَ اللَّهِ ﷺ عَلى إِقَامِ الصَّلاةِ وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلّ مُسْلِمٍ. متفقٌ عليه.

١٨٣ - الثَّالِثُ: عَنْ أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قال: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». متفقٌ عليه.

رسول الله ﷺ على إقام الصلاة) والمراد الإتيان بالمكتوبات مستكملة الفرائض والسنن والآداب **(وإيتاء الزكاة)** المفروضة **(والنصح)** بضم النون مصدر نصح، يقال: نصحته ونصحت له وباللام أفصح نصحًا ونصاحة، والنصح بفتح النون مصدر نصحت الثوب خطته **(لكل مسلم متفق عليه)**.

١٨٣ - و**(الثالث: عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا يؤمن أحدكم)** إيمانًا كاملًا **(حتى يحب لأخيه)** من الخيرات والطاعات. وفي رواية النسائي: «حتى يحب لأخيه من الخير». **(ما يحب لنفسه)** قال ابن الصلاح: وهذا قد يعدّ من الصعب الممتنع وليس كذلك إذ معناه لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحبّ لأخيه في الإسلام ما يحبّ لنفسه، والقيام بذلك يحصل بأن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها بحيث لا ينقص النعمة على أخيه شيئًا من النعمة عليه وذلك سهل على القلب السليم، وإنما يعسر على القلب الدغل عافانا الله من ذلك ءامين. وفي الحديث من الفقه أن المؤمن مع المؤمن ينبغي أن يكون كالنفس الواحدة فيحبّ لأخيه ما يحب لنفسه من حيث إنها نفس واحدة. وفي الحديث الصحيح: «المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الجسد بالحمى» **(متفق عليه)** وأخرجه أبو داود الطيالسي في «مسنده» وابن ماجه في «سننه» وأبو عوانة في «مستخرجه» وابن حبان في «صحيحه» وهو عند الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: إنه صحيح.

٢٣ - باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الله تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة ءال عمران]، [**وقال تعالى** ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴿١١٠﴾﴾][1] [سورة ءال عمران]،

---

٢٣ - باب في الأمر بالمعروف

من الفرائض والسنن والآداب ومحاسن الأخلاق المحمودة شرعًا، فالأمر بالمعروف أمر بكل فعل يعرف بالشرع والعقل حسنه (**والنهي عن المنكر**) ضد المعروف كترك واجبٍ أو فعل حرام صغيرةً كان أو كبيرةً.

(**قال الله تعالى** ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾) كل ما يرغب فيه من الأفعال الحسنة وقيل: كناية عن الإسلام. قال الخازن «من» في قوله ﴿مِّنكُمْ﴾ للبيان لا للتبعيض لأن الله أوجب ذلك على كل الأمة في قوله له ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴿١١٠﴾﴾ وعلى هذا فمعنى الآية: كونوا أمة دعاةً إلى الخير ءامرين بالمعروف ناهين عن المنكر، ومن قال بهذا القول يقول: إن الأمر والنهي المذكورين فرض كفاية إذا قام بها واحد سقط عن الباقين (﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾) أي الناجون الفائزون نجوا من النار وفازوا بالجنة، والمفلح: الظافر بالمطلوب الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه.

(**وقال تعالى** ﴿كُنتُمْ﴾) يا أمة محمد في علم الله (﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾) وبين وجه شرفها على الأمم الماضين بقوله: (﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴿١١٠﴾﴾) فمن تحقق فيه هذا الوصف فهو من أفضل الأمة.

---

(١) سقطت من النسخة الخطية الثانية.

وقال تعالى ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف]، **وقال تعالى** ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴿٧١﴾﴾ [سورة التوبة]، **وقال تعالى** ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة المائدة]، **وقال تعالى** ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ

(**وقال تعالى** ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾).

(**وقال تعالى** ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾) قال السلمي في «الحقائق»: أي أنصار يتعاونون على العبادة ويتبادرون إليها، وكل واحد منهم يشد ظهر صاحبه ويعينه على سبيل نجاته: ألا ترى النبيّ ﷺ يقول: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا» وقال ﷺ: «المؤمنون كالجسد الواحد» وقال أبو بكر الوراق: المؤمن يوالي المؤمن طبعًا وسجية اهـ. (﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴿٧١﴾﴾) والجملة محتملة للحالية والوصفية لأن أل في الموضعين للجنس ومحتملة لكونها خبرًا بعد خبر.

(**وقال تعالى** ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾) قال في الخازن: قال أكثر المفسرين هم أصحاب السبت لما اعتدوا واصطادوا في السبت وقصتهم في سورة الأعراف (﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ﴾) قال: وهم كفار أصحاب المائدة لما أكلوا منها وادخروا ولم يؤمنوا فمسخوا كذلك (﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾) أي اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم، ثم فسر الاعتداء بقوله: (﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ﴾) أي لا ينهي بعضهم بعضًا عن المنكر (﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾) اللام فيه لام القسم أي أقسم لبئس ما كانوا يفعلون، يعني من ارتكاب المعاصي والعدوان.

(**وقال تعالى** ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ﴾) الحق ما يكون من جهة الله تعالى

فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الكهف]، **وقال تعالى** ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴿٩٤﴾﴾ [سورة الحجر]، **وقال تعالى** ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [سورة الأعراف]، **وَالآياتُ في الباب كَثِيرَةٌ مَعلومَةٌ. وَأَمَّا الأَحاديثُ:**

١٨٤ - فالأَوَّلُ: عن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيّ رضي اللَّهُ عنه قالَ: سمِعْتُ رسُولَ اللّه ﷺ يقُولُ: «مَن رَأَى مِنْكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِن لَمْ يَسْتَطِعْ

إلا ما يقتضيه الهوى، ويجوز أن يكون الحق خبر مبتدإ محذوف ومن ربكم حال أو صفة (﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴿٢٩﴾﴾) أي لا أبالي بإيمان من ءامن وكفر من كفر.

(**وقال تعالى** ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴿٩٤﴾﴾) أي اجهر (﴿بِمَا تُؤْمَرُ ﴿٩٤﴾﴾).

(**وقال تعالى** ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾) بالاعتداء (﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾) شديد فعيل من بؤس يبؤس إذا اشتد وفيه قراءة أخرى (﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾) بسبب فسقهم (**والآيات في الباب**) أي باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (**كثيرة معلومة. وأما الأحاديث:**).

١٨٤ - (**فالأوّل: عن أبي سعيد**) سعد بن مالك بن سنان (**الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من رأى**) أي علم إذ لا يشترط في وجوب الإنكار رؤية البصر بل المدار على العلم أبصر أم لا (**منكم**) معشر المكلفين القادرين المسلمين فهو خطاب لجميع الأمة حاضرها بالمشافهة وغائبها بطريق التبع (**منكرًا فليغيره**) وجوبًا بالشرع على الكفاية إن علم بذلك أكثر من واحد وإلا فهو فرض عين. ووجوبه بالكتاب والسنة (**بيده**) إن توقف تغييره عليها بشرطه الآتي (**فإن لم يستطع**) الإنكار بيده بأن خشي لحاق ضرر ببدنه أو أخذ مال، وليس من

فبلِسَانِهِ، فَإِن لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمانِ». رواه مسلم.

١٨٥ - الثاني: عن ابنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَا مِن نبيّ بعَثَهُ اللّهُ تَعالَى في أُمَّةٍ قَبْلي إلا

عدم الاستطاعة مجرد الهيبة وعلى ذلك حمل خبر الترمذي وغيره «ألا لا يمنعنّ رجلًا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه» (**فبلسانه**) أي يقوله للمرتجي نفعه من نحو صياح واستغاثة وأمر من يفعل ذلك وتوبيخ وتذكير بالله وأليم عقابه مع لين وإغلاظ حيثما يكون أنفع، ولا فرق في وجوب الإنكار بين أن يكون الآمر ممتثلًا ما أمر به مجتنبًا ما نهى عنه أو لا، ولا بين كون الآمر وليًّا أو غيره إجماعًا أخذًا بعموم «من» الشامل لذلك جميعه. وشرط وجوبه ألا يخاف على نفس أو مفسدة فوق مفسدة المنكر الواقع، وأن يكون المنكر مجمعًا عليه أو يعتقد فاعله حرمته أو حله، ولا ينافي ما تقرر من الوجوب قوله تعالى ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة المائدة] لأنه ﷺ سئل عنها، فقال: «ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا رأيت شحًا مطاعًا وهوى متبعًا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك» الحديث ففيه تصريح بأن الآية محمولة على ما إذا عجز المنكر ولا شك في سقوط الوجوب حينئذٍ، على أن معناها عند المحققين أنكم إذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم ومما كلفنا به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (**فإن لم يستطع**) ذلك بلسانه (**فبقلبه**) قال النووي: معناه فليكرهه بقلبه ويعزم أن لو قدر عليه بقول أو فعل أزاله لأنه يجب كراهة المعصية فالراضي بها شريك لفاعلها وهذا واجب على كل أحد بخلاف اللذين قبله، (**وذلك**) أي الإنكار بالقلب للعجز عنه بغيره (**أضعف الإيمان**) قال النووي: معناه أقله ثمرة. وفي رواية «وهو أضعف الإيمان» (**رواه مسلم**) وأبو داود وابن ماجه في «سننهما» وأحمد.

١٨٥ - و(**الثاني: عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ما من**) مزيدة لاستغراق النفي (**نبي بعثه الله تعالى في أمة قبلي إلا**

كان لَه مِن أُمَّتِهِ حوارِيُّون وأَصْحابٌ يَأْخذُون بِسُنَّتِهِ ويقْتَدُون بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إنها تخلُفُ مِن بعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُون مَا لا يفْعَلُون ويفعَلُون مَا لا يُؤْمَرُون، فَمَن جاهدَهُم بِيَدِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ، وَمَن جَاهَدهُم بِلِسَانِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ، ومَن جَاهَدهُم بِقَلْبِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ، ليس وراءَ ذلِك مِن الإِيمانِ حبَّةُ خَردَلٍ». رواه مسلم.

١٨٦ - الثالثُ: عن أَبي الوليدِ

كان له من أمته حواريون) قال الأزهري وغيره هم خلصان الأنبياء وأصفياؤهم. والخلصان: الذين نقوا من كل عيب وقال غيره هم أنصارهم **(وأصحاب)** جمع صاحب والصحبة الخلطة والملابسة على جهة المحبة **(يأخذون بسنته)** أي بطريقه وشريعته **(ويقتدون)** يتأسون **(بأمره ثم)** أتى بها لتراخي رتبة المعطوف بها عما قبله **(إنها تخلف)** بضم اللام أي تحدث **(من بعدهم خلوف)** بضم الخاء جمع خلف بإسكان اللام وهو الخالف بشرّ، أما بفتح اللام فهو الخالف بخير، هذا هو الأشهر. وفي «الصحاح»: الخلف ما جاء من بعد؛ يقال هو خلف سوء من أبيه وخلف صدق من أبيه بالتحريك إذا قام مقامه **(يقولون ما لا يفعلون)** أي يتشبعون بما لم يعطوا من طاعة أو حال أو مقام **(ويفعلون ما لا يؤمرون)** أي يفعلون خلاف المأمور به من المنكرات التي لم يأت بها الشرع **(فمن جاهدهم بيده)** إذا توقف إزالة المنكر عليه ولم يترتب عليه مفسدة أقوى منه **(فهو مؤمن)** كامل الإيمان **(ومن جاهدهم بلسانه)** بأن أنكر به واستعان بمن يدفعه **(فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه)** والاستعانة على إزالته بالله سبحانه **(فهو مؤمن)** وتتفاوت مراتب كمال الإيمان بتفاوت ثمراته **(ليس وراء ذلك)** أي كراهة المنكر بالقلب **(من الإيمان حبة خردل)** كنى بها عن نهاية القلة، وذلك لأن الرضا بالكفر الذي هو من جملة المعاصي كفر، وبالعصيان الناشئ عن غلبة الشهوة نقصان من الإيمان أيّ نقصان **(رواه مسلم)**.

١٨٦ - و**(الثالث: عن أبي الوليد)** بفتح الواو وكسر اللام وسكون

عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ رضي اللَّهُ عنه قال: «بايعنا رسولَ اللَّهِ ﷺ على السَّمعِ والطَّاعَةِ في العُسْرِ وَاليُسْرِ والمَنْشَطِ والمَكْرهِ وَعلى أَثَرةٍ عَلَيْنَا وعَلَى أَلاَّ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ إلا أَن تَرَوْا

التحتية (**عبادة**) بضم المهملة وتخفيف الموحدة والدال المهملة بينهما ألف (**ابن الصامت**) شهد عبادة (**رضي الله عنه**) العقبة الأولى والثانية مع رسول الله ﷺ، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد، وكان أحد النقباء ليلة العقبة، وءاخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي، واستعمله النبي ﷺ على الصدقات وكان يعلّم أهل الصفة القرءان، ولما فتح الشام أرسله عمر ومعاذًا وأبا الدرداء ليعلموا الناس القرءان بالشام ويفهموهم فأقام عبادة بحمص ومعاذ بفلسطين وأبو الدرداء بدمشق ثم صار عبادة إلى فلسطين. توفي ببيت المقدس سنة أربع وثلاثين وهو ابن ثنتين وسبعين سنة (**قال: بايعنا**) بسكون المهملة وبفتحها أي عاهدنا (**رسول الله ﷺ**) بالنصب والرفع؛ وأطلق على المعاهدة المبايعة لأن كلًّا من المتعاهدين يمد يده للآخر لأخذ العهد كما أن كلًا من المتبايعين يمدّ يده لصاحبه (**على السمع والطاعة**) لولاة الأمر (**في العسر واليسر**) بضم أوليهما وضم الأول وسكون الثاني لغتان فيما كان على هذا الوزن كما في «الصحاح» وتقدمت الإشارة إليه (**والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا**) معطوف على السمع أي بايعنا على استئثار الأمراء بحظوظهم وتخصيصهم إياها بأنفسهم. قال النووي: معناه تجب طاعة ولاة الأمور فيما يشقّ وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية، فإن كانت لمعصية فلا سمع ولا طاعة كما صرح به في أحاديث أخر هذه الأحاديث المطلقة لوجوب طاعة ولاة الأمور على موافقة تلك الأحاديث المصرحة بأنه لا سمع ولا طاعة في المعصية، وثمرة الطاعة في جميع ما ذكر اجتماع كلمة المسلمين فإن الخلاف سبب لفساد أمر الدين، والأثرة بفتح الهمزة والثاء المثلثة، الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا. (**وعلى ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا**) من

كُفْرًا بَواحًا عِنْدكُم مِنَ اللّهِ تَعَالى فِيهِ بُرْهَانٌ، وَعلى أَن نقُولَ بالْحَقّ أَينَما كُنَّا لا نَخافُ في اللّهِ لَوْمةَ لائِمٍ». متفقٌ عليه.

«المَنشط والمَكره» بفتح ميميهما: أى: في السهل والصعب. و«الأثرة»: الاختصاص بالمشترك، وقد سبق بيانها. «بواحًا»: بفتح الباء الموحَّدة بعدها واوٌ ثم ألفٌ ثم حاءٌ مهملة: أي ظاهرًا لا يحتمل تأويلًا.

١٨٧ - الرَّابعُ: عنِ النُّعْمانِ بنِ بَشيرٍ رضي اللَّهُ عنهما عن النبيّ ﷺ قال: «مَثَلُ القَائمِ في حُدودِ اللّهِ

ذي الأمر (**كفرًا بواحًا**) هكذا هو لمعظم الرواة وفي معظم النسخ، وهو من باح الرجل بالشيء يبوح به بوحًا وبواحًا إذا أظهره (**عندكم من الله تعالى فيه برهان**) أي حجة بينة وأمر لا شك فيه أي بل تعلمونه من دين الله. ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاة الأمور في أمورهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرًا محققًا تعلمونه من قواعد الإسلام فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقوموا بالحق حيثما كنتم. وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بالإجماع وإن كانوا فسقة، وعلى هذا تظاهرت النصوص (**وعلى أن نقول بالحق**) بأن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر (**أينما كنا**) أي في كل مكان وزمان (**لا نخاف في الله لومة لائم**) أي لا نداهن في ذلك أحدًا ولا نخافه، ففيه القيام بالمعروف والنهي عن المنكر (**متفق عليه**) ورواه مالك والنسائي، (**المنشط والمكره بفتح ميميهما أي في السهل والصعب**) كأنه تفسير مراد (**والأثرة: الاختصاص بالمشترك**) على التشريك فيه (**بواحًا بفتح الموحدة بعدها واو**) خفيفة (**ثم ألف ثم حاء مهملة**) هذه رواية المعظم كما تقدم (**أي ظاهرًا لا يحتمل تأويلًا**).

١٨٧ - و(**الرابع: عن النعمان بن بشير**) صحابي ابن صحابي كما تقدم (**رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: مثل**) بفتحتين وبكسر فسكون، وهي هنا تشبيه حال مركبة بمركبة أي صفة (**القائم في حدود الله**) بإقامتها

والْوَاقِعِ فيها كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا عَلى سَفِينَةٍ، فَصَارَ بَعْضهُمْ أَعلاهَا وَبَعْضُهمْ أَسْفَلَها، وَكَانَ الَّذِينَ في أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا عَلى مَن فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا في نَصِيبِنا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَن فَوقَنَا، فَإِن تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرادُوا هَلكُوا جَمِيعًا، وإِنْ أَخَذُوا عَلى أَيْدِيهِم نجَوْا ونجَّوْا جَمِيعًا». **رواهُ البخاري**.

«القائم في حدود الله» معناه: المنكر لها

والذبّ عن المحارم (**والواقع فيها**) أي مرتكبها واحد والقائم مقابله (**كمثل قوم استهموا على سفينة**) قال الحافظ: أي اقترعوها فأخذ كل واحد منهم سهمًا أي نصيبًا من السفينة بالقرعة بأن تكون مشتركة بينهم إما بالإجارة وإما بالملك (**فصار بعضهم أعلاها**) لخروج سهمه بالقرعة (**و**) صار (**بعضهم أسفلها**) لذلك (**وكان الذين**) صاروا (**في أسفلها**) بالاستفهام (**إذا استقوا من الماء مرّوا**) سالكين (**على من**) صار (**فوقهم**) أعلى السفينة بحكم الاستفهام (**فقالوا**) لما رأوا تأذي أهل فوق من مرورهم عليهم حالة السقي (**لو**) وقع (**أنا خرقنا في نصيبنا**) من السفينة (**خرقًا**) نصل به إلى الماء (**ولم نؤذ**) بمرورنا (**من فوقنا، فإن تركوهم**) أي ترك أهل العلو أهل السفل (**وما أرادوا**) الواو للمصاحبة أي تركوهم مصاحبين ما أرادوا فعله من غير منع منه (**هلكوا جميعًا**) لأن شؤم ذلك الفعل والغلبة من الماء على السفينة المغرق لها ولهم أمر عام لهم أجمعين (**وإن أخذوا على أيديهم**) أي منعوهم مما أرادوه من الخرق (**نجوا**) أي الآخذون في أنفسهم (**ونجوا**) بالتشديد أي ونجوا المأخوذين (**جميعًا**) حال من فاعل الفعلين معًا من الغرق، قال الحافظ: وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه وإلا هلك العاصي بالمعصية والساكت بالرضا بها. وفي الحديث استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف (**رواه البخاري**) هذا اللفظ في كتاب الشركة، ورواه في كتاب الشهادات بلفظ ءاخر في معناه، ورواه الترمذي في كتاب الشهادات بلفظ ءاخر في معناه (**القائم في حدود الله: معناه المنكر لها**)

القائم في دفعها وإزالتها، والمراد بالحدود: ما نهى الله عنه. و«استهموا»: اقترعوا.

١٨٨ - الخامِسُ: عَنْ أُمّ المُؤْمِنين أُمّ سَلَمَة هِنْدٍ بنتِ أَبي أُمَيَّةَ حُذيفَةَ رضي اللَّهُ عنها عن النبيّ ﷺ أَنه قال: «إِنَّهُ يُسْتَعْملُ عَليْكُمْ أُمَراءُ فَتَعْرِفُونَ وتُنكِرُونَ، فَمَن كَرِهَ فقَد بَرِئَ وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَد سَلِمَ، وَلَكِن من رضِيَ وَتَابَعَ»، قالوا: يا رَسُولَ اللّهِ أَلا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ».

على من تعداها (**القائم في دفعها وإزالتها**) على من وقع فيها (**والمراد بالحدود**) على هذا (**ما نهى الله عنه**) من المحرمات ولو صغائر، أو القائم بالحدود على من فعل ما يقتضيه (**واستهموا**) معناه (**اقترعوا**) وكانت القرعة في الجاهلية بسهام معروفة، وأطلق الاستهام وأريد به الاقتراع وهو استعمال شائع في السنة.

١٨٨ - و(**الخامس: عن أم المؤمنين**) احترامًا وإجلالًا (**أم سلمة**) بفتح أوليه (**هند بنت أبي أمية**) بضم ففتح فتشديد التحتية مصغرًا كنية (**حذيفة**) بضم المهملة وفتح المعجمة فسكون التحتية بعدها فاء مفتوحة فهاء (**رضي الله عنها**) حال كونها راوية (**عن النبي ﷺ أنه قال**): من باب الإخبار عن المغيب فكان كما أخبر به فهو من معجزاته (**إنه**) أي الشأن (**يستعمل عليكم أمراء**) أي تجعل الملوك عليكم أمراء عمالًا (**فتعرفون**) أي بعض أعمالهم لموافقتها ما عرف من الشرع (**وتنكرون**) بعضها لمخالفته ذلك (**فمن كره**) بقلبه المنكر ولم يقدر على الإنكار لخوف سطوتهم (**فقد برئ**) من الإثم بإنكاره الباطني لأنه قائم بما يجب عليه من تغييره بقلبه (**ومن**) قدر على الإنكار باليد أو باللسان فـ (**أنكر**) عليهم ذلك (**فقد سلم**) بإنكاره من العقاب الأخروي (**ولكن من رضي**) فعلهم بقلبه (**وتابع**) في العمل به فهو الذي لم تبرأ ذمته ولم يسلم من إثم فعلهم لمشاركته لهم فيه ورضاه به (**قالوا: يا رسول الله ألا نقاتلهم**) أي حينئذٍ (**قال لا**) أي لا تقاتلوهم (**ما أقاموا فيكم الصلاة**) وإنما منع من

رواه مسلم.

مَعْنَاهُ: مَن كَرِهَ بِقَلْبِهِ ولَمْ يَسْتَطِعْ إِنْكَارًا بِيَدٍ وَلا لِسَانٍ فَقَد بَرِئ مِنَ الإِثمِ وَأَدَّى وَظِيفَتَهُ، ومَنْ أَنْكَرَ بحَسَبِ طَاقَتِهِ فَقَد سَلِمَ مِنْ هذِهِ المعصِيةِ، وَمَن رضِيَ بِفِعْلِهِمْ وتابعَهم فَهُوَ العَاصِي.

١٨٩ - السَّادِسُ: عن أُمّ الْمُؤْمِنِين أُمّ الْحكَمِ زَيْنَبَ بنتِ جَحْشٍ رضي اللَّهُ عنها أَنَّ النَّبيَّ ﷺ

مقاتلتهم مدة إقامتهم الصلاة التي هي عنوان الإسلام (**رواه مسلم**) في «المغازي».

(**معناه**) أي قوله في الحديث «من كره فقد برئ» (**من كره بقلبه**) المنكر (**ولم يستطع**) لخوفه على نفسه أو ماله منهم (**إنكارًا بيد ولا لسان**) فأنكر بقلبه (**فقد برئ من الإثم**) لسقوطهما عنه حينئذٍ (**وأدى وظيفته**) المخاطب بها (**ومن أنكر**) لقدرته على ذلك باليد أو اللسان (**بحسب**) قدر (**طاقته**) وقوّة شوكته (**فقد سلم من**) تبعة (**هذه المعصية**) أي ترك إنكار المنكر لعدم العقاب على ذلك والسؤال عنه (**ومن رضي بفعلهم**) المنكر (**وتابعهم**) عليه بفعل ذلك (**فهو العاصي**) أي الآثم.

١٨٩ - (السادس: عن أم المؤمنين) جلالة واحترامًا (**أم الحكم**) كنية (**زينب بنت جحش**) بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة وبعدها شين معجمة (**رضي الله عنها**) أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة النبيّ ﷺ، أسلمت زينب قديمًا وهاجرت مع رسول الله ﷺ وتزوجها في سنة خمس، روى ابن سعد أنه تزوجها لهلال ذي القعدة سنة خمس من الهجرة وهي بنت خمس وثلاثين سنة، وكانت قبله تحت زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ثم طلقها فاعتدت ثم زوجها الله من رسوله ﷺ وأنزل فيها ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الأحزاب] توفيت سنة عشرين، وأجمع أهل السير أنها أول نساء رسول الله ﷺ موتًا بعده ودفنت بالبقيع وصلى عليها عمر بن الخطاب (**أن النبي ﷺ**)

دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يقُولُ: «لا إلهَ إلا اللّهُ، ويْلٌ لِلْعربِ مِن شَرّ قَدِ اقْتَربَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِن رَدْم يأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِثْلُ هذِهِ» وَحَلَّقَ بإِصْبَعَيْهِ الإِبْهَام والَّتي تَلِيهَا فَقُلْتُ: يَا رسولَ اللّهِ أَنَهْلِكُ وفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قال: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ». متفقٌ عليه.

١٩٠ - السَّابعُ: عنْ أَبي سَعيدٍ الْخُدْرِيّ رضي اللَّهُ عنه عن النَّبيّ ﷺ قال: «إِيَّاكُم وَالْجُلُوسَ في الطرُقَاتِ»

بكسر همزة إن على إضمار القول وبفتحها على إضمار أخبرت مثلًا **(دخل عليها فزعًا)** بفتح فكسر. والفزع الذعر **(يقول)** جملة حالية **(لا إله إلا الله)** أتى بها للتعجب من الأمر الواقع بعدها وتعظيم شأنه كالإتيان بسبحان في قوله تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴿١﴾﴾ [سورة الإسراء] **(ويل)** في «الصحاح»: ويل كلمة مثل ويح إلا أنها كلمة عذاب اهـ. **(للعرب)** هم خلاف العجم **(من شرّ)** الظاهر أن التنوين فيه للتعظيم **(قد اقترب)** زمنه **(فتح)** بالبناء للمفعول **(اليوم من ردم)** بفتح فسكون **(يأجوج ومأجوج)** أي سدهما **(مثل هذه)** أي الحلقة المبينة في قولها **(وحلق)** بتشديد اللام **(بإصبعيه)** أي جعل السبابة في أصل الإبهام وضمهما حتى لم يبق بينهما إلا خلل يسير، ومعناه عند الحُسّاب تسعون **(فقلت: يا رسول الله أنهلك)** بكسر اللام **(وفينا الصالحون)** أي وبهم يدفع البلاء ويزال العناء **(قال نعم)** أي تهلكون والحال ما ذكر **(إذا كثر)** بفتح فضم المثلثة **(الخبث)** هو بفتح المعجمة والموحدة وفسره الجمهور بالفسوق والفجور، ومعنى الحديث أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام وإن كثر الصالحون **(متفق عليه)** رواه البخاري في أحاديث الأنبياء وفي باب الفتن، ورواه مسلم في الفتن.

١٩٠ - و**(السابع: عن أبي سعيد)** سعد بن مالك بن سنان **(الخدري رضي الله عنه)** ناقلًا **(عن النبي ﷺ قال)** أي النبي **(إياكم)** هي للتحذير حذف العامل وجوبًا والأصل أحذركم **(والجلوس)** بالنصب **(في الطرقات)**

فقَالُوا: يَا رَسولَ اللّه مَا لَنَا مِن مَجالِسِنَا بُدٌّ نَتَحدَّثُ فِيهَا، فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قالوا: ومَا حقُّ الطَّرِيقِ يا رسولَ اللّه؟ قال: «غَضُّ الْبَصَرِ وكَفُّ الأَذَى ورَدُّ السَّلامِ وَالأَمْرُ بِالْمَعْروفِ والنَّهْيُ عنِ الْمُنْكَر». متفقٌ عليه.

١٩١ - الثَّامنُ: عن ابنِ عباسٍ رضي اللَّهُ عنهما أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ رأَى خَاتَمًا مِن ذَهَبٍ في يَدِ رجُلٍ فَنَزعَهُ فطَرَحَهُ وقَال: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِن نارٍ

والطريق تذكر وتؤنث، ويلحق بالطريق ما في معناها من الجلوس في الحوانيت والنهي للتنزيه لئلا يضعف الجالس عن أداء الحق الذي عليه (**فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا**) أي بالطرقات (**بد**) بضم الموحدة وتشديد المهملة: أي فرقة، وقوله (**نتحدث فيها**) استئناف بياني لعدم قدرتهم على تركها أي بالخيور الدنيوية والأخروية، فإن مجالسهم كانت مصونة عما لا يعنيهم من المباحات (**فقال رسول الله ﷺ: فإذا أبيتم إلا المجلس**) مصدر ميمي بمعنى الجلوس (**فأعطوا الطريق حقه**) أي ما يطلب فيه من الآداب، (**قالوا**) قال الحافظ في «الفتح»: القائل هو أبو طلحة، وحينئذٍ ففي إطلاق الجمع على الواحد مجاز وأنه من القائلين (**وما حق الطريق يا رسول الله**) المطلوب ممن جلس فيه (**قال: غض البصر**) أي كفه عن النظر (**وكف الأذى**) أي الامتناع عن أذى المارة (**ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**) إلى استعمال جميع ما يشرع (**متفق عليه**) رواه البخاري في «المظالم».

١٩١ - و(**الثامن: عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ رأى**) أي أبصر (**خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه**) فيه إزالة المنكر باليد للقادر عليها (**وقال**) محذرًا من ذلك معينًا لعظم إثمه (**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار**) الأولى حمل مثله مما ورد في الكتاب أو السنة ولا يحيله العقل على ظاهره أي أن هذا الخاتم قطعة نار في

فَيجْعلُها في يَدِهِ» فَقِيل لِلرَّجُلِ بعْدَمَا ذَهَبَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: خُذْ خَاتَمَكَ انتَفعْ بِهِ، قَالَ: لا واللَّهِ، لا ءاخُذُهُ أَبَدًا وقَدْ طَرَحَهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ. رواه مسلم.

١٩٢ - التَّاسعُ: عَنْ أَبي سعيدٍ الْحسنِ البَصْرِي أَنَّ عَائِذَ بنَ عمْرٍو رضِي الله عنه دخَلَ علَى عُبَيْدِ اللّهِ بنِ زِيَادٍ فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ

الآخرة، وإنه محمول على المجاز أي يئول بلابسه لعظيم إثمه على أن يجعل النار في محله، لأن الجزاء يكون على قدر الذنب وحسبه **(فيجعلها في يده)** أي في أصبعه **(خذ خاتمك)** وقوله: **(انتفع به)** استئناف لبيان علة الأخذ ببيع أو هبة أو جعله لمن يحل له استعماله من امرأة **(قال لا والله لا ءاخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ)** قال النووي: هذا منه فيه المبالغة في امتثال أمر رسول الله ﷺ واجتناب نهيه وعدم الترخص فيه بالتأويلات الضعيفة، ثم إن هذا الرجل إنما ترك الخاتم على سبيل الإباحة لمن أراد أخذه من الفقراء وغيرهم وحينئذٍ يجوز أخذه لمن شاء اهـ. **(رواه مسلم)**.

١٩٢ ـ (التاسع: عن أبي سعيد الحسن) بن بشار **(البصري)** بتثليث الموحدة منسوب إلى البصرة الأنصاري مولاهم مولى زيد بن ثابت، وأمه اسمها خيرة مولاة لأم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب قالوا: فربما خرجت أمه في شغل فيبكي فتعطيه أم سلمة ثديها فيدرّ عليه فيرون تلك الفصاحة من ذلك. رأى طلحة بن عبيد الله وعائشة ولم يصح له سماع منهما **(أن عائذ بن عمرو)** بن هلال المزني أبا هبيرة البصري، صحابي شهد الحديبية وبايع تحت الشجرة **(رضي الله عنه)** وهو أخو رافع بن عمرو **(دخل على عبيد الله)** بضم المهملة وفتح الموحدة وسكون التحتية **(ابن زياد)** ابن أبيه **(فقال)** يعظه **(أي)** بفتح فسكون حرف لنداء القريب **(بنيّ)** بضم الموحدة وفتح النون وتشديد التحتية مفتوحة ومكسورة، وأتى به

إِنّي سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقولُ: «إِنَّ شَرَّ الرِعاءِ الْحُطَمَةُ فَإِيَّاكَ أَن تَكُونَ مِنْهُمْ». فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ فإِنَّما أَنت مِن نُخَالَةِ أَصْحابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فقال: وهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نُخَالَةٌ إِنَّمَا كَانَتِ النُّخالَةُ بَعْدَهُمْ وَفي غَيْرِهِمْ. رواه مسلم.

١٩٣ - العاشرُ: عَنْ حُذَيْفَةَ رضيَ اللّهُ عنهُ عن النبيّ ﷺ قال: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بالْمعرُوفِ ولَتَنْهَوُنَّ

من باب الرفق في الوعظ ليسمع ويمتثل (**إني سمعت رسول الله ﷺ يقول**): جملة في محل الحال على حكاية الحال الماضية (**إن شر الرعاء**) بكسر الراء والمد جمع راع (**الحطمة**) بضم المهملة الأولى وفتح الثانية. قال النووي: قالوا هو العنيف في رعيته لا يرفق بها في سوقها ومرعاها بل يحطمها في ذلك وفي سقيها وغيره ويزحم بعضها ببعض بحيث يؤذيها ويحطمها (**فإياك**) منصوب على التحذير (**أن تكون منهم**) فتهوى بتلك المذمة (**فقال**) ابن زياد (**له**) أي لعائذ (**اجلس فإنما أنت من نخالة**) بضم النون وبعدها معجمة (**أصحاب محمد ﷺ**) النخالة هنا استعارة من نخالة الدقيق وهي قشوره وهي والحتافة والحسافة بمعنى واحد (**فقال**) عائذ مستبعدًا أن يكون في الصحابة من يستعار لهم النخالة التي لا يعبأ بها (**وهل كانت لهم**) أي الصحابة (**نخالة**) وهم الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وشرّفهم باقتباس أنواره.

(**إنما كانت النخالة**) أي السقط (**بعدهم**) أي بعد قرنهم (**وفي غيرهم**) أما هم فكلهم سادة قادة (**رواه مسلم**) في «المغازي».

١٩٣ - (**العاشر: عن حذيفة**) بن اليمان (**رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: والذي نفسي بيده**) أتي به لتأكيد الأمر بعده، والقسم يسن لمثل ذلك (**لتأمرنّ**) بضم الراء والفاعل ضمير الجماعة محذوف بعدها لالتقاء الساكنين والضم دليل عليه، والخطاب للأمة الموجودين حقيقة ومن سيأتي بطريق التبع (**بالمعروف**) شرعًا (**ولتنهون**) بضم واو الجماعة ولام

عَنِ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللّهُ [أن] يَبْعث عَلَيْكمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فلا يُسْتَجابُ لَكُمْ». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٩٤ - الْحَادِي عشَرَ: عنْ أَبي سَعيدٍ الْخُدرِيّ رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قال: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عندَ سُلْطَانٍ جائِرٍ». رواه أَبو داود والترمذي وقال: حديث حسنٌ.

١٩٥ - الثَّاني عَشَر: عنْ أَبي عبدِ اللّه طارِقِ بنِ شِهابٍ الْبَجَلِيّ الأَحْمَسِيّ رضي اللَّهُ عنه

الفعل محذوف قبلها لالتقاء الساكنين والفتح دليل عليه ولم تقلب واو الضمير ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها لعروض حركتها (**عن المنكر أو**) عاطفة أي ليكون أحد الأمرين إما امتثال ما أمرتم به من الأمر والنهي، أو وقوع ما أنذرتم به في قوله (**ليوشكنّ الله**) بضم التحتية مضارع أوشك من أفعال المقاربة (**أن يبعث عليكم عقابًا منه**) بجور الولاة أو تسليط العداة أو غيره من البلاء (**ثم تدعونه**) برفع ذلك (**فلا يستجاب لكم**) جزاء لما فرطتم فيه من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفيه أن المنكر إذا لم ينكر عمّ شؤمه وبلاؤه فاعله وغيره (**رواه الترمذي**) في «الفتن» (**وقال: حديث حسن**).

١٩٤ - (الحادي عشر: عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: أفضل الجهاد) من الفضل زيادة الثواب (**كلمة عدل**) أي حق (**عند سلطان**) أي ذي أمر (**جائر رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن**) ورواه أحمد.

١٩٥ - (الثاني عشر: عن أبي عبد الله طارق بن شهاب) بكسر المعجمة أوله وءاخره موحدة ابن عبد شمس أبو عبد الله (**البجلي**) بفتحتين نسبة إلى بجيلة (**الأحمسي**) بالمهملتين نسبة لأحمس بن الغوث (**رضي الله عنه**) أدرك الجاهلية وصحب النبي ﷺ، وغزا في زمن أبي بكر وعمر ثلاثًا وثلاثين أو ثلاثًا وأربعين غزوة. سكن الكوفة وتوفي سنة

أَنَّ رَجلاً سأَلَ النَّبيَّ ﷺ وقَدْ وضَع رِجْلَه في الْغَرْزِ: أَيُّ الْجِهادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةُ حقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جائِرٍ». رَوَاهُ النَّسائيُّ بإِسنادٍ صحيحٍ.

و«الغَرز» بغين معجمة مفتوحة ثم راءٍ ساكنة ثم زاي: وهو ركاب كُوْر الجمل إذا كان من جلد أو خشب، وقيل: لا يختص بجلدٍ ولا خشب.

١٩٦ - الثَّالِثَ عشَرَ: عن ابن مَسْعُودٍ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّه كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هذَا اتَّقِ اللّهَ وَدعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لا يَحِل لك، ثُمَّ

اثنتين وقيل: سنة ثلاث وثمانين (**أن رجلاً سأل النبي ﷺ وقد وضع رجله في الغرز**) جملة حالية من مفعول سأل كما هو المتبادر (**أيّ الجهاد أفضل؟**) أي أكثر ثوابًا (**قال كلمة حق**) وفي نسخة «كلمة عدل» أي من أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ردّ عن محترم من نفس أو مال أو نحو ذلك (**عند سلطان جائر**) وإنما كان أفضل الجهاد لأنه يدل على كمال يقين فاعله وقوة إيمانه وشدة إيقانه حيث تكلم بتلك الكلمة عند ذلك الأمير الجائر المهلك عادة بجوره وظلمه ولم يخف منه ولا من جوره وبطشه (**رواه النسائي**) في البيعة والمنشط (**بإسناد صحيح. والغرز**) المذكور في الحديث (**بغين معجمة مفتوحة ثم راء ساكنة ثم زاي وهو**) لغة (**ركاب كور الجمل**) أي محل الركوب من الكور. في «الصحاح»: الكور بالضم الرحل بأداته (**إذا كان من جلد أو خشب، وقيل: لا يختص بجلد ولا خشب**) بل هو الكور مطلقًا مثل الركاب للسرج.

١٩٦ - (**الثالث عشر: عن**) عبد الله (**بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن أول ما دخل النقص**) ما مصدرية أي أول دخوله (**على بني إسرائيل**) في دينهم (**أنه**) أي الشأن (**كان الرجل يلقى الرجل**) الفاعل معصية (**فيقول**) معطوف على يلقى (**يا هذا اتق الله**) أي اجعل امتثال أمره واجتناب نهيه وقاية لك من عذابه (**ودع**) اترك (**ما تصنع**) من المعاصي (**فإنه**) أي ما تصنعه (**لا يحل لك**) لكونه من المحرمات (**ثم**

يَلْقَاهُ مِن الْغَدِ وهُو عَلَى حالِهِ فلا يمْنَعُه ذلِك أَن يكُونَ أَكِيلَهُ وشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللّهُ قلوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ» ثُمَّ قال «﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ

يلقاه من الغد وهو على حاله) في المعصية **(فلا يمنعه ذلك)** أي وجدان صاحبه ملازمًا على المحرمات التي نهى عنها من **(أن يكون أكيله)** أي مواكله **(وشريبه)** أي مشاربه **(وقعيده)** أي مقاعده أي لا يمنعه ملازمة صاحبه لما نهاه الله عنه وحرمه عليه من مصاحبته ومداخلته ومباسطته وهو مأمور بمهاجرته حينئذٍ وترك ولائه إلا إن خاف محذورًا فيداريه ولا يباسطه ويداخله **(فلما فعلوا ذلك)** المذكور، **(ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال)** مستدلا على عموم اللعنة لجميعهم بقوله تعالى ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ قال أبو حيان في «النهر»: قال ابن عباس: لعنوا بكل لسان على عهد موسى في التوراة وعلى عهد داود في الزبور وعلى عهد عيسى في الإنجيل والمراد باللسان الجارحة لا اللغة أي الناطق بلعنتهم هو لسان داود وعيسى ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي اللعن كائن ﴿بِمَا عَصَواْ﴾ أي بسبب عصيانهم ﴿وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾ يجوز أن يكون معطوفًا على عصوا فيكون داخلًا في صلة «ما» أي بعصيانهم وكونهم معتدين ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾ ظاهره التفاعل بمعنى الاشتراك أي لا ينهى بعضهم بعضًا، وذلك أنهم جمعوا بين فعل المنكر والتجاهر به وعدم النهي عنه والمعصية إذا فعلت وقدّرت على العبد ينبغي أن يسترها، فإذا فعلت جهرة وتواطئوا على عدم إنكارها أو ما في معناها مما ذكر عن بني إسرائيل في الخبر كان ذلك تحريضًا على فعلها وسببًا مثيرًا لإفشائها ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ تعجب من سوء فعالهم مؤكد باللام. ﴿تَرَىٰ﴾ بصرية ويحتمل أن تكون قلبية ﴿كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ﴾

يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴿٨٠﴾» إلى قوله «﴿فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [سورة المائدة]» ثُمَّ قَالَ: «كَلَّا وَاللّٰهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللّٰهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ». رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن.

هذا لفظُ أَبي داودَ، وَلفظ الترمذي: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا وَقَعَتْ بنو إِسْرَائيلَ في الْمَعَاصِي نَهَتْهُمْ عُلَماؤُهُمْ فَلَمْ يَنْتَهُوا،

أي بني إسرائيل (﴿يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾) أي لبئس سببًا قدموه ليردوا عليه يوم القيامة (**إلى قوله** ﴿فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾) خارجون عن دينهم أو تمردوا في النفاق أي وقليل منهم قد ءامن (**ثم قال**) ﷺ (**كلا**) حقا (**والله لتأمرنّ**) بضم الراء (**بالمعروف**) شرعًا (**ولتنهونّ**) بفتح الهاء وضم واو الجمع الفاعل (**عن المنكر**) شرعًا (**ولتأخذنّ**) بضم الذال دليلًا على الواو المحذوفة لالتقاء الساكنين (**على يد الظالم**) بمنعه باليد من الظلم، وإن عجزتم فباللسان (**ولتأطرنه**) بكسر الطاء وضم الراء أي لتردنه (**على الحق**) أداء وأخذًا (**أطرا**) بفتح الهمزة وأصل الأطر العطف (**ولتقصرنه على الحق**) أداء وأخذًا (**قصرًا**) أي لتحبسنه عليه حبسًا وتمنعنه من مجاوزته أي ليكونن منكم ما ذكر (**أو ليضربنّ الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعننكم كما لعنهم**) فأو لأحد الأمرين أي ليكونن منكم ما أمرتم به، أو ليكونن منكم ما حذرتم منه عند عدم فعل ذلك (**رواه أبو داود**) في «الملاحم» (**والترمذي**) في «التفسير» وابن ماجه في «الفتن» (**وقال**) أي الترمذي (**حديث حسن هذا**) اللفظ المذكور (**لفظ**) رواية (**أبي داود**) فالإضافة إليه للملابسة (**ولفظ**) رواية (**الترمذي**) من حديث ابن مسعود (**قال رسول الله** ﷺ: **لما**) وجودية (**وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم**) عنها (**فلم ينتهوا**) عنها

فَجَالَسُوهُمْ في مَجالِسِهِمْ وَوَاكَلُوهُمْ وَشَارَبُوهُمْ، فضَرَبَ اللّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِم بِبَعْضٍ وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وعِيسَى ابنِ مَرْيمَ ذلِكَ بِمَا عَصَوْا وكَانُوا يَعْتَدُونَ» فَجَلسَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وكَان مُتَّكِئًا فَقَالَ: «لا والَّذي نَفْسي بِيدِهِ حَتَّى تَأْطِرُوهُمْ عَلَى الحَقّ أَطْرًا».

قوله: «تأطروهم» أي تعطفوهم. و«لتقصُرُنَّه» أي لتحبسُنَّه.

١٩٧ - الرَّابعَ عَشَر: عن أَبي بَكْرٍ الصِّدّيق رضي اللَّهُ عنه قال: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرءونَ هَذِهِ الآيةَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ١٠٥﴾ [سورة المائدة]،

فكان على العلماء هجرهم الله وبغضهم فيه فلم يفعلوا ذلك بل حالفوهم كما قال (**فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم**) بالمد (**وشاربوهم**) أي جلسوا معهم وأكلوا وشربوا (**فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم**) أبعدهم (**على لسان داود**) بن إيشا (**وعيسى ابن مريم ذلك**) المذكور من اللعنة وضرب القلوب بعضها ببعض (**بما عصوا وكانوا يعتدون فجلس رسول الله** ﷺ) تعظيمًا للأمر الصادر منهم وتنبيهًا على فخامة شأنه ليتوجه إليه السامع (**وكان متكئًا**) يحتمل أن يكون على تكأة وأن يكون على مرفقه والجملة حالية بتقدير قد (**فقال لا**) أي لا يكفي مجرد النهي باللسان مع القدرة على المنع باليد والقصر على الحق (**والذي نفسي بيده**) أي بقدرته (**حتى تأطروهم**) أي العصاة (**على الحق أطرا. قوله تأطروهم**) بالهمز وكسر الطاء المهملة (**أي تعطفوهم**) وأصل الأطر العطف (**ولتقصرنه**) بضم الصاد المهملة (**أي لتحبسنه**) والقصر الحبس ومنه قوله تعالى ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ٧٢﴾ [سورة الرحمٰن].

(**الرابع عشر: عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس**) بضم السين إتباعًا للفظ أي بتشديد الياء وهي وصلة لنداء ما فيه أل والناس اسم جنس وهو من ألفاظ العموم إذا حلى بأل كما هنا (**إنكم تقرءون هذه الآية**) ثم بينها بقوله (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ١٠٥﴾) أي وتتوهمون منها أن الإنسان إذا

وإني سَمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَن يَعُمَّهُمُ اللّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ». رواه أَبو داود والترمذي والنسائي بأَسانيد صحيحة.

٢٤ - باب تغليظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهى عن منكر وخالف قولُه فعلَه

قال الله تعالىٰ ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ

فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه في نفسه ورأى غيره بضد ذلك فلم يأمره ولم ينهه لا حرج عليه وليس كذلك، وفي رواية زيادة «وتضعونها على غير موضعها» (**وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم**) يفعل الظلم ومنه المعصية (**فلم يأخذوا على يديه**) بأن يمنعوه من ذلك باليد إن قدروا وإلا فباللسان، فإن عجزوا بأن خافوا على نفس محرمة أو مال أو أن يقع المنكر عليه في منكر أشد مما أراد فعله فلا حرج عليهم؛ فقوله: (**أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**) يقع على الظالم لظلمه وعلى غيره لإقراره عليه وقد قدر على منعه، أما المعذور فلا يتناوله بفضل الله هذا المحذور ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴿٢٨٦﴾﴾ [سورة البقرة] والآية على هذا البيان عامة شاملة جميع الناس فيجب العمل بذلك (**رواه أبو داود**) في «الملاحم» (**والترمذي**) في «الفتن» (**والنسائي**) في «التفسير» وابن ماجه في «الفتن» (**بأسانيد صحيحة**).

٢٤ - باب تغليظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهى عن منكر

(**وخالف قوله**) بالرفع (**فعله**) بالنصب أي كان أمره مخالفًا لفعله، ويجوز العكس.

(**قال الله تعالى**) عما لا يليق بشأنه علوًّا كبيرًا معيرًا لليهود قال أبو حيان في «النهر»: وبنو إسرائيل وإن كانوا المخاطبين بالآية إلا أنها عامة في المعنى (﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾) استفهام توبيخ وتقريع (﴿بِٱلۡبِرِّ﴾) فعل

وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة البقرة]، **وقال تعالىٰ** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة الصف]، **وقال تعالىٰ إخبارًا عن شُعيب** ﷺ ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة هود].

١٩٨ - وعن أَبي زيدٍ أُسامةَ بنِ زيدِ بنِ حَارثَةَ رضي اللَّهُ عنهما

الخير من صلة رحم وإحسان وطاعة الله تعالى (﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾) تتركونها من ذلك البرّ (﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾) تقرءونه عالمين بما انطوى عليه فكيف امتثلتموه بالنسبة إلى غيركم وخالفتموه وأنتم تتلونه، وهي حالية أبلغ من المفرد، والكتاب: التوراة والإنجيل وفيهما النهي عن هذا الوصف الذميم (﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾) تنبيه على أن ما صدر منهم خارج عن أفعال العقلاء إذ مركوز في العقل أن الإنسان إذا لم يحصل مصلحة نفسه كيف يحصل لغيره ولاسيما مصلحة يكون فيها نجاته، (**وقال تعالى** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾) قال البيضاوي: روي أن المسلمين قالوا: لو علمنا أحبّ الأعمال إلى الله لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ ﴿٤﴾﴾ [سورة الصف] فولوا يوم أحد فنزلت (﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾) المقت: أشد البغض.

(**وقال تعالى إخبارًا**) مخبرًا (**عن شعيب**) بن منكيل بن يشجب بن مدين بن إبراهيم الخليل (**صلى الله**) على نبينا و(**عليه**) وعلى سائر النبيين (**وسلم**) وفيه الصلاة على كل نبي، وقد ورد مرفوعًا «صلوا على أنبياء الله فإنهم أرسلوا كما أرسلت» رواه الطبراني (﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ ﴿٨٨﴾﴾) أي وما أريد أن ءاتي بما أنهاكم عنه لأستبد به.

١٩٨ - (وعن أبي زيد أسامة بن زيد بن حارثة) الصحابي ابن الصحابي ابن الصحابي (**رضي الله عنهما**) الأولى عنهم لما ذكر من أن

قال: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُؤْتَى بالرَّجُلِ يومَ الْقِيامةِ فَيُلْقَى في النَّار فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ في الرَّحى، فَيجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلانُ ما لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بالمَعْرُوفِ وتَنْهَى عنِ المُنْكَرِ فَيَقُولُ: بَلَى، كُنْتُ ءامُرُ بالمَعْرُوفِ وَلا ءاتِيه وَأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وَءاتِيهِ». متفق عليه.

قوله: «تندلق» بالدال المهملة ومعناه: تخرج. و«الأقتاب»: الأمعاء، واحِدُها قِتْبٌ.

جدّه صحابي أيضًا (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه**) أي تخرج أمعاؤه من جوفه (**فيدور**) ذلك الرجل (**بها**) أي فيها (**كما يدور الحمار في الرحى**) المراد أنه يدور بسبب ألم خروجها منه حوله دوران الحمار حول الرحى بسببها، اللهم ربنا قنا عذاب النار (**فيجتمع إليه أهل النار**) أي الذين بها ونسبتهم إليها باعتبار هذه الملابسة متعجبين من دخوله النار وقد كان يأمرهم بما يبعدهم منها (**فيقولون: يا فلان**) كناية عن اسمه (**ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر**) ومن شأن الآمر أن يفعل ما يأمر به والناهي أن يترك ما نهى عنه، وفعل المعروف وترك المنكر مانع بالوعد الذي لا يخلف عن دخول النار (**فيقول بلى**) جواب عن قولهم ألم تك إلخ، وبيَّن المقتضي لحلوله بالنار بقوله (**كنت ءامر بالمعروف ولا ءاتيه، وأنهى عن المنكر وءاتيه**) فشدد عليه الأمر لعصيانه (**متفق عليه**) رواه البخاري في صفة النار وفي «الفتن»، ورواه مسلم في ءاخر الكتاب (**قوله تندلق بالدال المهملة: ومعناه تخرج، والأقتاب**) بالقاف (**الأمعاء**) جمع معي (**واحدها**) أي مفردها (**قتب**) بكسر القاف وسكون الفوقية.

٢٥ - باب الأمر بأداء الأمانة

قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴿٥٨﴾﴾ [**سورة النساء**]، **وقال تعالى** ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾﴾ [**سورة الأحزاب**].

---

٢٥ - باب الأمر بأداء الأمانة

(**قال الله تعالى** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴿٥٨﴾﴾) قال أبو حيان في «النهر» بعد أن نقل أن سبب نزول الآية قصة مفتاح الكعبة. وعن ابن عباس وغيره: نزلت في الأمراء وأن يؤدوا الأمانة فيما ائتمنهم الله من أمر رعيته. ولما كان الترتيب الصحيح أن يبدأ الإنسان بنفسه في جلب المصالح ودفع المضار ثم يشتغل بحال غيره، أمر بأداء الأمانة ثم بعده بالأمر بالحكم بالحق.

(**وقال تعالى** ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾) قال أبو حيان في «النهر»: الظاهر أنها كل ما يؤمن عليه من أمر ونهي وشأن من دين ودنيا، فالشرع كله أمانة والظاهر عرض الأمانة أي الأوامر والنواهي (﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ﴾) فتثاب إن أحسنت وتعاقب إن أساءت (﴿فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا﴾) وذلك بإدراك خلقه الله تعالى فيها وهو غير مستحيل إذ قد سبح الحصى في كفه ﷺ وحنّ إليه الجذع وكلمته الذراع فيكون العرض والإباء والإشفاق على هذا حقيقة. قال ابن عباس: أعطيت الجمادات فهما وتمييزًا فخيرت في الحمل وذكر الجبال مع أنها من الأرض لزيادة قوتها وصلابتها تعظيمًا للأمر (﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ﴾) مع ضعف بنيته ورخاوة قوته، (﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا﴾) وصفه به لكونه تاركًا أداء الأمانة (﴿جَهُولٗا ﴿٧٢﴾﴾) بكنه عاقبتها.

١٩٩ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «ءايَةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ». متفق عليه.

وفي رواية «وَإِن صَامَ وصَلَّى وزعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ».

---

١٩٩ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ءاية) بالمد أي علامة **(المنافق)** أي علامة نفاقه الدالّ على قبح نيته وفساد طويته **(ثلاث)** أي خصال، وأفرد الآية على إرادة الجنس، **(إذا حدث كذب)** وهذه الخصلة أقبح الثلاث **(وإذا وعد)** بخير **(أخلف)** أي لم يف بوعده. ووجه المغايرة بين هذه وما قبلها أن الإخلاف قد يكون بالفعل وهو غير الكذب الذي هو وصف القول، ثم محله فيمن عزم على الخلف حال الوعد أما لو عزم على الوفاء حال الوعد فلا يكون فيه ءاية النفاق نقله السيوطي وغيره **(وإذا اؤتمن خان)** وخص هذه الخصال بالذكر لاشتمالها على المخالفة التي عليها مبنى النفاق من مخالفة السرّ العلن. والكذب الإخبار على خلاف الواقع، وحق الأمانة أن تؤدى إلى أهلها والخيانة مخالفة لها، والإخلاف في الوعد ظاهر ولذا صرح بأخلف قال النووي: الذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار أن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافق في هذه الخصال ويكون نفاقه في حق من حدّثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر، ولم يرد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار **(متفق عليه)** روياه في كتاب الإيمان ورواه الترمذي والنسائي.

(وفي رواية) هي لمسلم فقط **(وإن صام وصلى)** أي وإن عمل عمل المؤمنين من الصوم والصلاة وغيرهما من العبادات، **(وزعم أنه مسلم)** أي كامل الإسلام.

٢٠٠ - وعن حُذيْفَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: حَدَّثَنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ حدَّثَنا أَنَّ الأَمانَة نَزَلَتْ في جَذْرِ قُلُوبِ الرّجَال، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرءانُ فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْءان وَعلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ، ثُمَّ حدَّثَنَا عَن رَفْعِ الأَمانَةِ فَقَالَ: «يَنَامُ الرَّجلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِن قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ ينَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِن قَلْبِه فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْمَجْلِ كجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ علَى رِجْلِكَ فَنفِطَ

---

٢٠٠ - (وعن حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ **حديثين**) يعني في الأمانة وعنى بالحديثين قوله: حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال والثاني قوله: ثم حدثنا عن رفع الأمانة (**قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر**) وقوع (**الآخر**) الأول من الحديثين (**حدثنا أن الأمانة**) قال النووي: الظاهر أن المراد بها التكليف الذي كلف الله به عباده والعهد الذي أخذه عليهم وهي التي في قوله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [سورة الأحزاب] (**نزلت**) بالفطرة (**في جذر قلوب الرجال**) أي في أصلها (**ثم نزل القرءان**) شفاء من أدواء الجهل مزيحًا لظلم الشبه (**فعلموا**) أي علموها (**من القرءان**) بآية ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الأحزاب] (**وعلموا**) أي علموها (**من السنة**) بالحديث المذكور. والحاصل أن الأمانة كانت لهم بحسب الفطرة وحصلت لهم أيضًا بطريق الكسب من الكتاب والسنة (**ثم حدثنا**) هو الحديث الثاني كما تقدم (**عن رفع الأمانة**) من العالم (**فقال: ينام الرجل النومة**) المرة من النوم (**فتقبض الأمانة من قلبه**) لسوء فعل منه تسبب عنه ذلك قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴿١١﴾﴾ [سورة الرعد] ويحتمل أن ذلك لانتهاء مدتها في العالم (**فيظل أثرها مثل الوكت**) قال الهروي: هو الأثر اليسير (**ثم ينام النومة فتقبض الأمانة**) أي أثرها التام المشبه بالوكت (**من قلبه فيظل أثرها**) الباقي (**مثل أثر المجل**) والمجل (**كـ**) أثر (**جمر دحرجته على رجلك فنفط**) بكسر الفاء، وذكر مع أن

فتَراه مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْء» ثُمَّ أَخذَ حَصَاةً فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ «فَيُصْبحُ النَّاسُ يَتَبايَعُونَ فَلا يَكادُ أَحَدٌ يُؤدّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ في بَنِي فُلانٍ رَجُلًا أَمِينًا حَتَّى يُقَالَ للرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَه مَا أَعْقَلَهُ ومَا في قلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمانٍ. وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيُّكُم بايعْتُ، لَئِن كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وإن كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وأَمَّا الْيَوْمَ فَما كُنْتُ أُبايعُ مِنْكُمْ إِلا فُلانًا وَفُلانًا».

الرجل مؤنثة لإرادة العضو (**فتراه**) أي النفط (**منتبرًا**) أي مرتفعًا افتعال من النبر الارتفاع (**وليس فيه شيء**) حالية (**ثم**) قصد بيان كيفية دحرجة الجمر على الرجل وتنفطها منه ف (**أخذ حصاة فدحرجه على رجله**) أي دحرج المأخوذ (**فيصبح الناس**) بعد تلك النومة التي رفع فيها الأمانة (**يتبايعون فلا يكاد**) أي يقارب (**أحد**) منهم (**يؤدي الأمانة**) فضلًا عن أدائها بالفعل (**حتى**) غائية (**يقال**) لعزة هذا الوصف وشهرة ما يتصف به (**إن في بني فلان رجلًا أمينًا**) ذا أمانة (**حتى يقال للرجل ما أجلده**) على العمل (**ما أظرفه**) من الظرف (**ما أعقله**) أي ما أشد يقظته وفطانته (**وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**) فضلًا عن الأمانة التي هي من شعبه (**ولقد أتى عليّ**) بتشديد التحتية (**زمان وما أبالي أيكم بايعت**) المراد المبايعة المعروفة أي لا أبالي بالذي بايعته لعلمي بأن الأمانة لم ترتفع وأن في الناس وفاء بالعهد، فكنت أقدم على مبايعة من لقيت غير باحث عن حاله وثوقًا بالناس وأمانتهم فإنه والله (**لئن كان مسلمًا ليردنه**) بفتح الدال (**عليَّ دينه**) لما يحمله على أداء الأمانة لأهلها وترك الخيانة (**وإن كان نصرانيًا أو يهوديًا**) ليس عنده من الإيمان ما يحمله على أداء الأمانة لأهلها (**ليردنه عليَّ ساعيه**) أي الوالي عليه أي يقوم بالأمانة فيستخرج حقي منه (**وأما اليوم**) فقد ذهبت الأمانة إلا القليل فلذا قال: (**فما كنت أبايع منكم إلا فلانًا وفلانًا**) يعني أفرادًا أعرفهم وأثق بهم. وهذا الحديث

متفقٌ عليه.

قوله: «جَذْر» بفتح الجيم وإسكان الذال المعجمة: وهو أصل الشيء. و«الوكت» بالتاء المثناة من فوق: الأثر اليسير. و«المجل»: بفتح الميم وإسكان الجيم وهو تنفُّط في اليد ونحوها من أثر عملٍ وغيره. قوله: «مُنْتَبِرًا»: مرتفعًا. قوله: «ساعِيهِ»: الوالي عليه.

٢٠١ - وعن حُذَيْفَةَ وأَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنهما قالا: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجْمعُ اللّهُ تبارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ ءادَمَ فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيقُولُ: وهَلْ أَخْرَجَكُم مِن الْجنَّةِ إلا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ،

من أعلام النبوة (**متفق عليه**) رواه البخاري في «الرقاق» و«الفتن» و«الاعتصام»، ورواه مسلم في «الإيمان»، ورواه الترمذي وابن ماجه في «الفتن» (**قوله: جذر بفتح الجيم**) قال النووي: وكسرها لغتان (**وإسكان الذال المعجمة**) مع الوجهين في الجيم (**وهو أصل الشيء، والوكت**) بوزن الفلس (**بالتاء المثناة من فوق الأثر اليسير، والمجل: بفتح الميم وإسكان الجيم**) وفتحها لغتان والمشهور الإسكان فلذا اقتصر عليه المصنف هنا، المجل (**تنفط في اليد ونحوها من أثر عمل**) بفأس أو نحوها وتصير كالقبه فيه ماء قليل.

(**قوله منتبرًا**) اسم فاعل أي مرتفعًا (**قوله ساعيه: الوالي عليه**).

٢٠١ - (**وعن حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: يجمع**) بالبناء للفاعل (**تبارك**) أي بارك (**وتعالى**) علوًا معنويًّا عما لا يليق بشأنه جملة في محل الحال و(**الناس**) مفعول: يجمع أي يجمعهم بعد البعث بأرض المحشر (**فيقوم المؤمنون**) أي دون الكفار (**حتى تزلف**) بضم الفوقية وسكون الزاي وفتح اللام أي تقرب (**لهم الجنة**) قال تعالى ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة الشعراء] (**فيأتون ءادم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة**) أي اسأل لنا من الله فتحها لندخلها (**فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم**).

لَسْتُ بِصاحِبِ ذلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْراهِيمَ خَلِيلِ اللّهِ، قال: فيقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بصَاحِبِ ذلِكَ إِنَّما كُنْتُ خَلِيلاً مِن وراءَ وراءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى الَّذي كلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى فيقُولُ: لسْتُ بِصَاحِبِ ذلكَ،

قال النووي: لا خلاف أن الكفر عليهم بعد النبوة ليس بجائز بل هم معصومون منه. وأما المعاصي فلا خلاف أنهم معصومون من كل كبيرة. ولا خلاف أنهم معصومون من الصغائر التي تزري بفاعلها وتحط منزلته وتسقط مروءته» **(لست بصاحب ذلك)** أي لست صاحب التشريف بهذا المقام المنيف. قال القاضي عياض: هذا المنقول عن ءادم وغيره من الأنبياء يقولونه تواضعًا وإكبارًا بما يسألونه. وقد يكون فيه إشارة إلى أن هذا المقام ليس له بل لغيره، وكل واحد منهم يدل على الآخر حتى ينتهي الأمر إلى صاحبه، ويحتمل أنهم علموا أن صاحبها محمد ﷺ معينًا وتكون إحالة كل واحد منهم على الآخر على تدريج الشفاعة في ذلك إلى نبينا ﷺ. قال: وفيه تقديم ذوي الأسنان والآباء على الأبناء، والحكمة في إلهامهم سؤال ءادم والبدء به ثم من بعده واعتذار كل بأنه ليس أهل ذلك ليظهر كمال شرفه على سائر الرسل **(اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله)** أصل الخلة الاختصاص والاستصفاء تسمى إبراهيم بذلك لأنه قصر حاجته على الله تعالى **(فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك)** المقام **(إنما كنت خليلاً من وراء وراء)** قال النووي: قال صاحب «التحرير»: هذه كلمة تذكر على سبيل التواضع أي لست بتلك الدرجة الرفيعة. **(اعمدوا)** اقصدوا **(إلى موسى الذي كلمه الله تكليمًا)** قال النووي: قال صاحب التحرير: فحصل له سماع الكلام بلا واسطة وإنما كرّر وراء لكون نبينا ﷺ حصل له السماع بغير واسطة وحصل له الرؤية فقال إبراهيم: أنا وراء موسى الذي هو وراء محمد ﷺ، هذا كلام صاحب «التحرير» وأما ضبط وراء وراء فالمشهور فيه الفتح بلا تنوين، ويجوز عند أهل العربية بناؤهما على الضم **(فيأتون موسى فيقول: لست بصاحب ذلك)** المقام

اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمةِ اللّهِ ورُوحِهِ فَيقُولُ عيسَى: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذلكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فَيَقُومُ فَيُؤذَنُ لَهُ وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ والرَّحِمُ فَيَقُومَانِ جنْبَتَيِ الصّرَاطِ يمِينًا وشِمالا،

(**اذهبوا إلى عيسى كلمة الله**) الكلمة بفتح فكسر على الأفصح، وأطلق ذلك على عيسى لأنه وجد بأمره تعالى وهو قوله: «كن»[1] دون أب، وقال الحافظ ابن حجر: قيل له ذلك إشارة إلى أنه حجة الله على عباده إذ أوجده من غير أب وأنطقه في غير أوان وأحيا الموتى على يده (**وروحه**) قيل إنه على تقدير مضاف، والمعنى أنه ذو روح من الله عزّ وجلّ لا بتوسط ماء يجري مجرى الأصل والمادة له (**فيقول عيسى**) أي بعد أن يأتوا إليه ويسألوه ذلك. ففي الكلام مطوي يدل عليه السياق (**لست بصاحب ذلك**) المقام والباء مزيدة للتأكيد (**فيأتون محمدًا ﷺ**) أي لدلالة عيسى عليه الصلاة والسلام لهم على ذلك كما جاء في الروايات الأخرى، ففيه مطوي دلّ عليه ما تقدم، وثم مطويّ أيضًا تقديره: فيقولون يا رسول الله استفتح لنا الجنة مثلًا أو اشفع لنا في الإراحة من طول المواقف كما جاء في الروايات الأخرى (**فيقوم**) أي إلى تحت العرش ويسجد تحته ويفتح عليه بمحامد يحمد الله بها حينئذٍ لم يفتح عليه بها قبل (**فيؤذن له**) في الشفاعة (**وترسل**) بضم الفوقية أوله مبنيًّا للمجهول (**الأمانة والرحم**) بفتح الراء وكسر المهملة أي القرابة التي تطلب صلتها شرعًا (**فيقومان**) بالمثناة الفوقية (**جنبتي الصراط**) بفتح الجيم وسكون النون وفتح الموحدة والفوقية أي جانبيه. قال النووي: وأما

---

(١) أي المعبر عنه في القرءان بكن فإن المخلوقات التي خلقت في الماضي وتخلق الآن وفيما بعد وجدت بالخطاب الأزلي المعبر عنه في القرءان بكن، وليس معناه أن الله يقول كما نحن نقول كن بكاف ونون متعاقبتين فهذا لا يجوز على الله لأن الله تعالى كلامه الذي هو صفته ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغة. وهذا معنى قوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة يس]. ويفيد ذلك سرعة الإيجاد وأنه لا أحد يمنع الله أو يؤخر ما أراد وجوده عن الوقت الذي أراده.

فيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ» قُلْتُ: بِأَبِي وَأُمّي أَنْتَ أَيُّ شَيءٍ كَمَرّ الْبَرْقِ قال: «أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ يمُرُّ ويَرْجِعُ في طَرْفَةِ عَيْنٍ ثُمَّ كمرّ الريح ثُمَّ كَمَرّ الطَّيْرِ، وَشَدّ الرّجالِ تَجْرِي بهِمْ أَعْمَالُهُمْ ونَبيُّكُمْ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الصّراطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلّمْ سَلّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ

إرسال الأمانة والرحم فهو لعظم أمرهما وكبر موقعهما فتصوران مشخصتين على الصفة التي يريدها الله تعالى (**فيمر أولكم**) أيها المخاطبون، والمراد الأمة وهم أولها وأولاها بالفضل (**كالبرق**) أي كمرّ البرق (**قال**) أي أحد الراويين عن النبي ﷺ (**بأبي وأمي أنت**) أي أنت مفدى بهما (**أي شيء كمرّ البرق**) أي ما معناه وكيف سرعته (**قال ألم تروا**) بفتح التاء تبصروا (**كيف يمرّ**) أي ءاتيا (**ويرجع**) ءاتيا (**في طرفة عين**) أي وقوع الجفن على الجفن المسمى برمش البصر وهو زمن يسير جدًّا (**ثم**) للتراخي في الرتبة أي ثم الفرقة التي تلي الفرقة الأولى (**كمر الريح ثم**) الفرقة التالية لها (**كمرّ الطير وشد الرجال**) وشدها عدوها البالغ وجريها (**تجري بهم أعمالهم**) قال النووي: هو كالتفسير لقوله: «فيمر أولكم كالبرق» معناه أنهم يكونون في سرعة المرور على حسب مراتبهم وأعمالهم (**ونبيكم** ﷺ) لكمال شفقته ومزيد عنايته بنا معشر أمته (**قائم على الصراط**) لتنجو به أمته من المخاوف وتصرف به عنها أنواع المكاره والمتالف (**يقول**) لما في المرور على الصراط من الأهوال وزلّ بعض الأقدام (**ربّ**) حذف حرف النداء لأن المقام لعظم هوله مقام الإيجاز. وفي رواية لمسلم في حديث ءاخر في المعنى «ودعوى الرسل يومئذٍ اللهم» (**سلم سلم**) ولعله ﷺ تارة يقول ربّ وتارة يقول اللهم سلم سلم. قال النووي: فيه أن الدعاء يكون بحسب المواطن فيدعو في كل موطن بما يليق به. وسلم بفتح أوله المهمل وتشديد اللام المكسورة (**حتى تعجز**) بكسر الجيم (**أعمال العباد**) بالمتخلفين عن الإسراع في الصراط أي تضعف أعمالهم الصالحة عن سرعة المرور بهم عليه فيبطئون في السير وحتى في الخبر غائية أي يتفاوت الإسراع بحسب

حَتَّى يَجيءَ الرَّجُلُ لا يَسْتطِيعُ السَّيرَ إلا زَحفًا وفي حافَتَي الصّراطِ كَلالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمُكَرْدَسٌ في النَّارِ»، وَالَّذي نَفْسُ أَبي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا. رواه مسلم.

قوله: «وراءَ وراءَ» هو بالفتح فيهما،

تفاوت الأعمال إلى أن تصل لمرتبة عجز الأعمال عن الإسراع بصاحبها لكن فيها قوة حمله على السير وإلى أن تضعف فوق ذلك كما قال (**حتى يجيء الرجل لا يستطيع السير**) أي على الصراط (**إلا زحفًا**) لفقد قوة العمل الحاملة على السير، والمراد من الزحف السير على الإست. وفي رواية لمسلم «حتى يمرّ ءاخرهم يسحب سحبًا» (**وفي حافتي الصراط**) بتخفيف الفاء أي جانبيه (**كلاليب**) جمع كلوب بفتح الكاف وضم اللام المشددة وهو حديدة معقوفة الرأس يعلق عليها اللحم ويرسل في التنور (**معلقة**) أي بالصراط (**مأمورة بأخذ من أمرت**) بالبناء للمفعول ونائب الفاعل يعود إلى الكلاليب و(**به**) متعلق بأمرت يحتمل أن يكون على حقيقته بأن خلق لها إدراك وأمرت بأخذ من أمرت به (**فمخدوش**) أي بشيء مما يعلق به في الصراط (**ناج**) أي من النار، وهو بمعنى قوله في الروايات الأخرى: «ومخدوش مرسل» فالمراد نجاته من العذاب الذي حل فيه قسيمه المذكور في قوله (**ومكردس في النار**) بالسين المهملة في الأصول ومعناه كون الأشياء بعضها على بعض، ومنه تكردست الدابة في سيرها إذا ركب بعضها بعضًا (**والذي نفس أبي هريرة بيده**) أي بقدرته وإرادته وهذا مدرج من كلام أبي هريرة متصل بآخر الحديث، وجواب القسم (**إن قعر جهنم لسبعون خريفًا**) تقديره إن مسافة قعر جهنم سير سبعين خريفًا (**رواه مسلم**) في ءاخر كتاب الإيمان من «صحيحه» وانفرد به البخاري وأصحاب السنن (**قوله**) في الحديث (**وراء وراء هو بالفتح فيهما**) على أنهما ظرفان ركبا فبنيا على الفتح تخفيفًا، ومثله قول

وقيل: بالضم بلا تنوين، ومعناه: لستُ بتلك الدَّرجةِ الرَّفيعةِ، وهِي كلمةٌ تُذكَرُ عَلَى سَبيل التَّواضع، وقَد بسطْتُ مَعناها في «شرح صحيح مسلم»، واللَّهُ أعلم.

٢٠٢ - وعن أَبي خُبَيْبٍ بضم الخاء المعجمة عبدِ اللّهِ بنِ الزُّبَيْرِ رضي اللَّهُ عنهما

العرب: هو يأتينا صباح مساء (**وقيل بالضم بلا تنوين**) بناء على أنه من أسماء الغايات لحذف المضاف إليه ونية معناه (**ومعناه لست بـ**) صاحب (**تلك الدرجة الرفيعة**) قال صاحب «التحرير» (**وهي كلمة تذكر على سبيل التواضع**) أي لست بتلك الدرجة (**وقد بسطت معناها في شرح صحيح مسلم**) وقد قدمته عنه (**والله أعلم**).

٢٠٢ - (وعن أبي خبيب: «بضم الخاء المعجمة») أي وفتح الموحدة وسكون التحتية بعدها موحدة كنية عبد الله بن الزبير كني بأكبر أولاده (**عبد الله بن الزبير**) بضم الزاي وفتح الموحدة وسكون التحتية بعدها راء ابن العوام بن خويلد (**القرشي الأسدي**) المكي المدني الصحابي ابن الصحابي (**رضي الله عنهما**) أمه ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر الصديق، وأبوه الزبير أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وحواريّ رسول الله ﷺ وجدته صفية عمة النبيّ ﷺ ورضي الله عنها، وعمة أبيه خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، وخالته عائشة أم المؤمنين، وهو أول مولود ولد للمهاجرين إلى المدينة بعد الهجرة وفرح المسلمون بولادته فرحًا شديدًا لأن اليهود كانوا يقولون قد سحرناهم فلا يولد لهم فأكذبهم الله تعالى، وحنكه رسول الله ﷺ بتمرة لاكها فكان ريق رسول الله ﷺ أول شيء دخل جوفه، وكان صوّامًا قوّامًا طول الليل، وصولًا للرحم، عظيم الشجاعة. بويع له بالخلافة لما مات يزيد بن معاوية وأطاعه أهل اليمن والحجاز والعراق وخراسان، وجدد عمارة الكعبة، وبقي في الخلافة إلى أن حصره الحجاج بن يوسف الثقفي بمكة أول ليلة من ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين، وحجّ الحجاج بالناس ولم يزل محاصره إلى أن قتله

قال: لَمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الْجَمَلِ دَعانِي فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّهُ لا يُقْتَلُ الْيَوْمَ إِلا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ، وإِنّي لا أُرَانِي سَأُقْتَلُ الْيَومَ إلا مَظْلُومًا،

شهيدًا يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين (**قال لما وقف الزبير يوم الجمل**) أي الوقعة المشهورة التي كانت بين علي بن أبي طالب ومن معه وبين عائشة ومن معها ومن جملتها الزبير، ونسبت الوقعة إلى الجمل لأن يعلى بن أمية الصحابي المشهور كان معهم فأركب عائشة على جمل عظيم فوقفت به في الصف فلم يزل الذين معها يقاتلون حول الجمل حتى عقر الجمل فوقعت عليهم الهزيمة وكان ذلك في جمادى الأولى أو الآخرة سنة ستّ وثلاثين. واسم ذلك الجمل عسكر (**دعاني فقمت إلى جنبه**) الفاء فيه عاطفة على محذوف أي فأجبته فأتيت فقمت إلى جانبه (**فقال: يا بني**) بكسر الياء المشددة وفتحها (**إنه لا يقتل**) بالبناء للمفعول (**اليوم إلا ظالم أو مظلوم**) قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن تكون «أو» للشك من الراوي، وأن الزبير إنما قال أحد اللفظين أو للتنويع والمعنى لا يقتل اليوم إلا ظالم بمعنى أنه ظن أن الله يعجل للظالم منهم العقوبة أو لا يقتل اليوم إلا مظلوم بمعنى أنه ظن أن الله يعجل له الشهادة، وظن على التقديرين أنه يقتل مظلومًا إما لاعتقاده أنه كان مصيبًا وإما لأنه سمع من النبي ﷺ ما سمع عليّ من الحديث المرفوع «بشر قاتل ابن صفية بالنار» رواه أحمد وغيره بإسناد صحيح» ثم كان خروج الزبير وطلحة وغيرهما من كبار الصحابة مع عائشة لطلب قتلة عثمان وإقامة الحدّ عليهم لا لقتال عليّ، لأنه لا خلاف أنه كان أحقّ بالإمامة من جميع أهل زمانه وكانت قتلة عثمان لجئوا إلى عليّ فرأى أنه لا يسلمهم للقتل حتى تسكن الفتنة وتجري الأمور على ما أحبّ، فكان ما جرى به القلم من الأمور التي قدرت فوقعت ولذا قال الزبير لما رأى شدة الأمر وأنهم لا ينفصلون إلا عن قتال (**وإني لا أراني**) بضم الهمزة أي لا أظنني (**سأقتل اليوم إلا مظلومًا**)

وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمّي لَدَيْنِي، أَفتَرَى دَيْنَنَا يُبْقي مِن مَالِنَا شَيْئًا؟ ثُمَّ قَالَ: «يا بُنَيَّ بِعْ مَا لَنَا واقْضِ دَيْنِي»، وَأَوْصَى بالثُّلُثِ وَثُلُثِه لِبَنِيْه يَعْنِي لبَنِي عَبْدِ الله. قالَ: فَإِن فَضل مِن مالِنَا بعْدَ قضَاءِ الدَّيْنِ شَيءٌ فثُلُثُهُ لِبَنِيك. قَالَ عَبْدُ الله: فَجَعَل يُوصِينِي بدَيْنِهِ وَيَقُول: يَا بُنَيَّ إِنْ عَجزْتَ عن شَيءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِنْ عَليْهِ بمَوْلايَ. فَوَاللّهِ مَا دَرِيْتُ ما أَرادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَتِ

قال الحافظ ابن حجر: «ويجوز فتحها بمعنى الاعتقاد، وظنه أنه سيقتل مظلومًا قد تحقق لأنه قتل غدرًا بعد أن ذكّره عليّ فانصرف عن القتال، فنام بمكان ففتك به رجل من بني تميم يسمى عمرو بن جرموز بضم الجيم والميم بينهما راء ساكنة وءاخره زاي وكان ذلك بوادي السباع. وروى الحاكم من طرق متعددة أن عليًّا ذكّر الزبير بأن النبيّ ﷺ قال له: «لتقاتلنّ عليًّا وأنت له ظالم» فرجع لذلك منصرفًا» (**وإن من أكبر همي لديني**) وفي رواية غثام: «انظر يا بني ديني فإنه لا أدع شيئًا أهمّ منه عليّ» (**أفترى**) أي تظن (**أن ديننا يبقي من مالنا شيئًا**) قاله استكثارًا لما عليه وإشفاقًا من دينه. وفيه الوصية عند الحرب لأنها من أسباب الموت كركوب البحر (**ثم قال: يا بنيّ بع ما لنا واقض**) بهمزة وصل (**ديني وأوصى بالثلث**) أي ثلث ماله أي الفاضل عن قضاء الدين (**وثلثه**) أي ثلث الثلث (**لبنيه يعني لبني عبد الله**) قال الكرماني وتبعه الشيخ زكريا: أوصى بالثلث الفاضل مطلقًا وبثلث الثلث لحفدته أولاد عبد الله اهـ. وقال الحافظ: فسر وصيته أي بالثلث وثلثه بقوله (**قال**) أي الزبير (**فإن فضل**) بفتح الضاد المعجمة أي بقي (**من مالنا بعد قضاء الدين شيء فثلثه لبنيك**) والثلث بضمتين قال الحافظ: وضبطه بعضهم بتشديد اللام بصيغة الأمر من التثليث وهو أقرب (**قال عبد الله**) بن الزبير (**فجعل يوصيني بدينه ويقول: يا بنيّ إن عجزت**) بفتح الجيم أفصح من كسرها (**عن قضاء شيء منه فاستعن عليه بمولاي**) أي بالله عزّ وجلّ وعنه كمال الوثوق بالمولى والاستعانة به في كل حال (**فوالله ما دريت**) أي عرفت (**ما أراد**) أي بقوله استعن عليه بمولاي، (**حتى قلت**) مستفسرًا (**يا أبت**)

مَن مَوْلاكَ؟ قالَ: اللَّهُ. قال: فَوَاللّهِ ما وَقَعْتُ في كُرْبَةٍ مِن دَيْنِهِ إلا قُلْتُ: يَا مولَى الزُّبَيْرِ اقضِ عَنْهُ دَيْنَهُ فيَقْضِيَهُ. قَال: فَقُتِلَ الزُّبَيْرُ وَلَمْ يَدَعْ دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا إلا أَرَضِينَ مِنْهَا الْغَابَةُ وَإِحْدَى عَشرَةَ دارًا بالْمَدِينَةِ، ودارَيْنِ بالْبَصْرَةِ، وَدَارًا بالْكُوفَةِ وَدَارًا بِمِصْرَ. وَإِنَّما كَانَ دَيْنُهُ الذي كَانَ عَلَيْهِ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَأْتيهِ بِالمالِ فَيَسْتَودِعُهُ إِيَّاهُ، فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ: لا وَلكنْ هُوَ سَلَفٌ

بكسر التاء الفوقية وفتحها (**من مولاك قال الله**) أي الله مولاي فالخبر محذوف (**قال**) عبد الله (**فوالله ما وقعت في كربة**) بضم الكاف وسكون الراء الحزن الذي يأخذ بالنفس ويجمع على كرب (**من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه**) أي يسهل ما يحصل به القضاء. وفيه أن من استعان بمولاه في الأمور فهو المعان (**قال: فقتل**) بالبناء للمجهول (**الزبير ولم يدع**) يترك (**دينارًا ولا درهمًا إلا أرضين**) استثناء منقطع، وأرضين بفتح الراء فهو جمع أرض بسكونها جمع تكسير (**منها الغابة**) بغين معجمة وباء موحدة أرض عظيمة شهيرة من عوالي المدينة. وقال الحافظ ابن حجر: «كذا وقع فيه «منها» وصوابه «منهما» بالتثنية» وهذا منه يقتضي أن أرضين مثنى أرض فيكون بسكون الراء وفتح الضاد (**وإحدى عشرة دارًا بالمدينة ودارين بالبصرة**) بتثليث الموحدة وإسكان الصاد وتحرك بفتحة وبكسرة كما في «القاموس»: وهو اسم لبلدة مشهورة مصّرها عمر بن الخطاب (**ودارًا بالكوفة**) بلدة معروفة مصّرها عمر أيضًا (**ودارًا بمصر**) ممنوع الصرف على الأفصح الذي جاء فيه القرءان للعلمية والتأنيث، وهي البلد المعروف سميت بذلك باسم من سكنها أولًا مصر بن ينصر بن سام بن نوح. ثم بعد بيان مخلفات أبيه المستبعد لولا إعانة الله برفع أسعارها قضاء ذلك الدين الكثير الذي عليه من ذلك استأنف مبينًا لوجه دين الزبير ولجمع ذلك القدر الذي عليه بقوله (**وإنما كان دينه الذي كان عليه أنّ**) بفتح الهمزة (**الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه فيقول الزبير: لا**) أي لا أستودعه (**ولكن هو سلف**)

إِنّي أَخْشَى علَيْهِ الضَّيْعةَ. وَمَا ولِيَ إِمَارَةً قَطُّ وَلا جِبَايةً ولا خَراجًا وَلا شَيْئًا إِلا أَن يَكُونَ في غَزْوٍ مَعَ رسولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ مَعَ أَبي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ رضي اللَّهُ عنهم قَالَ عَبْدُ الله: فَحَسَبْتُ مَا كانَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ فَوَجَدْتُهُ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفٍ، فَلَقِيَ حَكِيمُ بْنُ حِزَام عَبدَ اللّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي كَمْ عَلى أَخِي مِنَ الدَّيْنِ؟ فَكتَمْتُهُ وَقُلْتُ: مِائَةُ أَلْفٍ. فَقَالَ حَكيمٌ: وَاللّهِ مَا أُرَى

بفتح أوليه أي قرض، وقوله (**إني أخشى عليه الضيعة**) أي الضياع. وقال الحافظ: وكان غرضه بذلك أنه كان يخشى على المال أن يضيع فيظن به التقصير في حفظه؛ فرأى أن يجعله مضمونًا ليكون أوثق لصاحب المال وأبقى لمروءته (**وما ولي إمارة**) أي ولاية وهو بكسر الهمزة (**قط**) بفتح القاف وضم الطاء المهملة ظرف لاستغراق النفي فيما مضى (**ولا جباية**) بكسر الجيم استخراج الأموال من مظانها كما في «النهاية» (**ولا خراجًا**) أي خراج أرض (**ولا شيئًا إلا أن يكون في غزوة مع رسول الله ﷺ أو مع أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم**) قال الحافظ ابن حجر: مراده أن كثرة ماله ما حصلت من هذه الجهات المقتضية لظن السوء بأصحابها، بل كان كسبه الغنيمة ونحوها (**قال عبد الله: فحسبت**) بفتح السين (**ما كان عليه من الدين فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف، فلقي حكيم**) بالرفع فاعل وهو بفتح الحاء المهملة وكسر الكاف (**ابن حزام**) بكسر المهملة وبالزاي، قال النووي في أول «شرح مسلم»: وحزام بن خويلد بن أسد ابن عبد العزى فهو ابن عم الزبير (**عبد الله بن الزبير قال: يا ابن أخي**) خاطبه بذلك لصغر سنه بالنسبة إليه إذ كان لحكيم من العمر حينئذٍ نحو مائة عام وعبد الله نحو الأربعين (**كم**) استفهامية وتمييزها محذوف أي كم ألفًا أو نحو ذلك (**على أخي من الدين؟ فكتمته وقلت: مائة ألف**) قال ابن بطال: إنما كتمه لئلا يستعظم حكيم ما استدانه فيظن به عدم الحزم وبعبد الله عدم الوفاء بذلك فينظر إليه بعين الاحتياج إليه فلما استعظم حكيم أمر مائة ألف كما قال عنه (**فقال حكيم: والله ما أرى**)

أَمْوَالَكُمْ تَسعُ هَذِهِ، فَقَالَ عبْدُ اللّهِ: أَرَأَيْتَكَ إِن كَانَتْ أَلْفَي أَلْفٍ وَمِائتَيْ أَلْفٍ قَالَ: مَا أُرَاكُمْ تُطِيقُونَ هَذَا، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَن شَيءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِينُوا بِي. قَالَ: وكَانَ الزُّبَيْرُ قدِ اشْتَرَى الْغَابَةَ بِسَبْعِينَ ومِائَةِ أَلْفٍ، فَباعَهَا عبْدُ اللّهِ بأَلفِ أَلْفٍ وسِتّمِائَةِ أَلْفٍ، ثُمَّ قَامَ فقال: مَن كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ شَيءٌ فَلْيُوافِنَا بِالْغَابَةِ، فأَتَاهُ عبْدُ اللّهِ بْنُ جعفرٍ، وكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ أَرْبعُمِائةِ أَلْفٍ فَقَالَ لعَبْدِ الله: إِن شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا لَكُمْ؟ قَالَ عَبْدُ الله: لا، قال: فَإِن شِئْتُمْ جعَلْتُمُوهَا فِيمَا تُؤَخّرُونَ إِنْ أَخَّرْتُمْ، فقال عَبْدُ الله: لا، قال: فَاقْطَعُوا لِي قِطْعَةً،

بضم الهمزة أي أظن (**أموالكم تسع هذه**) أي الديون، احتاج عبد الله أن يذكر له الجميع ويعرفه أنه قادر على وفائه (**فقال عبد الله: أرأيتك**) بفتح التاء المثناة الفوقية أي أخبرني والكاف حرف خطاب أكد به الضمير (**إن كانت**) أي الديون (**ألفي ألف ومائتي ألف**) قال ابن بطال: ليس في قوله مائة ألف وكتمانه ما فوقها كذب لأنه إخبار ببعض الواقع وسكوت عن الباقي وهو صادق. قال الحافظ: لكن من يعتبر مفهوم العدد يراه إخبارًا بغير الواقع، اهـ (**قال: ما أراكم**) بضم الهمزة أي أظنكم ويجوز فتحها أي ما أعتقدكم (**تطيقون هذا، فإن عجزتم عن شيء منه فاستعينوا بي قال: وكان الزبير قد اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف فباعها عبد الله بألف ألف وستمائة ألف**) كأنه قسمها ستة عشر سهمًا بدليل أنه قال بعد ذلك لمعاوية إنها قوّمت كل سهم بمائة ألف (**ثم قام فقال من كان له على الزبير شيء**) أي من الدين (**فليوافنا بالغابة، فأتاه عبد الله بن جعفر**) أي ابن أبي طالب (**وكان له على الزبير أربعمائة ألف، فقال لعبد الله**) أي ابن الزبير (**إن شئتم تركتها لكم**) أي ءال الزبير أي ورثته (**فقال عبد الله**) أي ابن الزبير (**لا**) أي لا نريد ذلك (**قال: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون**) من الديون (**إن أخرتم**) أي شيئًا منها (**فقال عبد الله لا، قال: فاقطعوا**) بفتح الطاء المهملة ووصل الهمزة وبقطع الهمزة وكسر الطاء أي اجعلوا (**لي قطعة**)

فقال عبْدُ الله: لَكَ مِنْ هٰهُنَا إِلَى هٰهُنَا، فَبَاعَ عَبْدُ اللّهِ مِنْهَا فَقَضى دَيْنَه وَأوفاهُ وَبَقِيَ مِنْهَا أَرْبَعةُ أَسْهُم ونِصْفٌ، فَقَدِم عَلَى مُعَاوِيَةَ وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ وَالْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبيْرِ وَابْنُ زَمْعَةَ، فقال لَهُ مُعَاوِيَةُ: كَمْ قُوِّمَتِ الْغَابَةُ؟ قال: كُلُّ سَهْم مِائَةَ أَلْفٍ قال: كَمْ بَقِي مِنْهَا؟ قال: أَرْبَعَةُ أَسْهُم ونِصْفٌ، فقال المُنْذرُ بْنُ الزُّبَيْرِ: قَدْ أَخَذْتُ مِنْهَا سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، وقالَ عَمْرُو بنُ عُثْمَان: قَدْ أَخَذْتُ مِنْهَا سَهْمًا بِمائَةِ أَلْفٍ. وقال ابْنُ زمْعَةَ: قَدْ أَخَذْتُ سهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: كَمْ بَقِيَ؟ قال: سَهْمٌ ونصْفُ فقَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ بِخَمْسِينَ ومِائَةِ ألفٍ. قالَ: وبَاعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ نصِيبَهُ

من الغابة (**فقال عبد الله**) بن الزبير (**لك من هٰهنا إلى هٰهنا فباع عبد الله منها**) أي الغابة والدور لا من الغابة وحدها لما تقدم أن الدين ألفا ألف ومائتا ألف فإنه باع الغابة بألفي ألف وستمائة ألف (**فقضى دينه**) الذي كان التزم ابن الزبير بعد موت أبيه (**وأوفاه**) أصحابه (**وبقي منها**) أي الغابة (**أربعة أسهم ونصف فقدم على معاوية**) أي في خلافته كما جزم به الحافظ ابن حجر، وأن ذلك كان بعد مدة انتظار أرباب الديون وما اتصل به من تأخير القسمة لاستبراء بقية من له دين (**وعنده عمرو بن عثمان**) بن عفان (**والمنذر بن الزبير**) بن العوام (**وعبد الله بن زمعة**) بفتح الزاي (**فقال له معاوية: كم قوّمت الغابة**) برفع الغابة فقومت مبني للمجهول (**فقال: كل سهم**) بالرفع والنصب أي قوم أو قومت كل سهم (**مائة**) بالنصب أي بمائة (**ألف قال: كم بقي منها؟ قال: أربعة أسهم ونصف؟ فقال المنذر: قد أخذت منها سهمًا بمائة ألف، وقال عمرو بن عثمان: قد أخذت منها سهمًا بمائة ألف، وقال عبد الله بن زمعة: قد أخذت منها سهمًا بمائة ألف، فقال معاوية: كم بقي**) بكسر القاف (**منها**) كما في نسخة أي الغابة أو السهام الباقية وهو أقرب (**قال**) أي عبد الله ابن الزبير (**سهم ونصف**) أي الباقي ذلك (**فقال: قد أخذته بخمسين ومائة ألف، قال**) ابن الزبير (**وباع عبد الله ابن جعفر نصيبه**) من السهام

مِن مُعَاوِيَةَ بِستِّمِائَةِ أَلْفٍ. فَلَمَّا فَرغَ ابنُ الزُّبَيْرِ مِن قَضاءِ دَيْنِهِ قَالَ بَنُو الزُّبيْرِ: اقْسِمْ بَيْنَنَا مِيراثَنَا قَالَ: واللّهِ لا أَقْسِمُ بيْنَكُمْ حَتَّى أُنَادِيَ بالْموسِمِ أَرْبَعَ سِنِين أَلا مَن كان لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلنَقْضِهِ، فَجَعَلَ كُلَّ سَنَةٍ يُنَادِي في الْمَوسِمِ فَلَمَّا مَضى أَرْبَعُ سِنِينَ قَسَمَ بَيْنَهُمْ ودَفَعَ الثُّلُثَ. وكَان للزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوةٍ

في الغابة (**من معاوية بستمائة ألف**) فربح مائتي ألف (**فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه**) الذي عرفه وضبطه (**قال بنو الزبير**) وهم: عبد الله وعروة والمنذر وأمهم أسماء بنت أبي بكر، وعمر وخالد وأمهما بنت خالد بن سعيد بن العاص، ومصعب وحمزة وأمهما الرباب بنت أنيف، وعبيدة وجعفر وأمهما زينب بنت بشر وزينب وأمها أم كلثوم بنت عقبة وباقي أولاد الزبير ماتوا قبله (**اقسم بيننا ميراثنا، قال: والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم**) بفتح الميم وكسر المهملة وسكون الواو بينهما (**أربع سنين: ألا**) بتخفيف اللام (**من كان له دين على الزبير فليأتنا فلنقضه، فجعل كل سنة ينادي في الموسم**) أي بقوله: «من كان له دين على الزبير فليأتنا نقضه» قال الحافظ ابن حجر: ولا يخفى أن ذلك يتوقف على إجازة جميع الورثة، وإلا فمن طلب القسمة بعد وفاء الدين الذي وقع العلم به وصمم عليها أجيب إليها ولم يتربص به انتظار شيء يتوهم فإذا ثبت دين بعد ذلك استعيد منه بقدره والذي يظهر أن ابن الزبير إنما اختار التأخير أربع سنين لأن المدن الواسعة التي يؤتى الحجاز من جهتها إذ ذاك كانت أربعًا اليمن والعراق والشام ومصر، فبنى على أن كل قطر لا يتأخر أهله في الغالب عن الحج أكثر من ثلاثة أعوام فيحسن استيعابهم في مدة الأربع (**فلما مضى أربع سنين**) فيه تجوّز لأنه إن عد موسم سنة ست وثلاثين فلم يؤخر ذلك إلا ثلاث سنين ونصفًا وإن لم يعده فقد أخر ذلك أربع سنين ونصفًا ففيه إلغاء الكسر أو جبره (**قسم**) بعد الدين الوصية (**بينهم ودفع الثلث**) أي الموصى به (**وكان للزبير أربع نسوة**) أي مات عنهن وهن أم خالد والرباب وزينب قيل: وعاتكة بنت

فَأَصاب كُلَّ امْرأَةٍ أَلْفُ أَلْفٍ ومِائَتَا أَلْفٍ فَجَمِيعُ مَالِهِ خَمْسُونَ أَلْفِ أَلْفٍ ومِائَتَا أَلْفٍ[1]. **رواه البخاري.**

٢٦ - باب تحريم الظلم والأمر بردّ المظالم

زيد أخت سعيد بن زيد أحد العشرة، وأما أسماء وأم كلثوم فكان طلقهما، وقيل: أعاد أسماء وطلق عاتكة فقتل وهي في عدته فصولحت عن ربع الثمن بثمانين ألفًا (**فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف**) هذا باعتبار أصل نصيب كل منهن ورد عليهن الباقي من سهم المصالحة أربعمائة ألف اقتسمنها بينهن. قال البخاري (**فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف. رواه البخاري**) في أبواب فرض الخمس.

٢٦ - باب تحريم الظلم والأمر برد المظالم

هو لغة وضع الشيء في غير محله. وشرعًا التصرف في حق الغير بغير حق، أو مجاوزة الحد (**والأمر برد المظالم**) بأعيانها إن بقيت فإن تلفت فيبدلها من مثل في المثلي والقيمة في المقوم (**إلى أصحابها**) إن بقوا وإلا فللوارث، فإن فقد المستحق ولو بانقطاع خبره بحيث أيس من

---

(١) هذه حاشية وجدت في أصل النسخ كذا وقيل ان القاضي عز الدين بن الصائغ رحمه الله أملاها عليه أن قيل في هذا الحديث إشكال من جهة أن جملة المال المذكور لا يوافق تفصيله فإنه قال فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف بعد أن قال إنه أصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف وهن أربع بعد قضاء الدين وهو ألفا ألف ومائتا ألف وإخراج الثلث الموصى به فوجب أن المقسوم على الورثة الذي ربع ثمن الثلثين عنه بعد قضاء الدين ثمانيةً وثلاثين ألف ألف وأربع مائة ألف والموصى به وتسعة عشر ألف ألف ومائتا ألف والدين ألفا ألف ومائتا ألف فمجموع ذلك تسعة وخمسون ألف ألف وثمان مائة ألف فالجواب وبالله التوفيق أنه قال إن التركة عقار وأنها لم تقسم إلا بعد أربع سنين فيحتمل على أن الزيادة حصلت من الربع والذي ذكر أوَّلا قيمة ما مات عنه فإن الربع حصل على ملك الورثة فلم يذكره والله أعلم فيكون تفصيل الدين ألفا ألف ومائتا ألف المُوصَى به تسعة عشر ألف الف ومائتا ألف، التركة عند القسمة ثمانية وثلاثون ألف ألف وأربعمائة ألف ثمنها أربعة ءالاف ألف وثمان مائة ألف لكل زوجة ألف ألف ومائتا ألف فذلك تسعة وخمسون ألف ألف وثمانُ مائة ألف، ءاخر الحاشية.

قال الله تعالىٰ ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [سورة غافر]، **وقال تعالىٰ** ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾ [سورة الحج].

وأَمَّا الأَحاديثُ فَمِنْهَا حَدِيثُ أَبي ذرّ رضي اللَّهُ عنه الْمُتَقَدّمُ في ءاخِرِ بابِ الْمُجَاهَدَةِ.

٢٠٣ - وعن جابرٍ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، واتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ،

حياته أرسلها لقاض أمين ولو غير قاضي بلده فيما يظهر، فإن تعذر تصدق بها على الفقراء بنية الغرم إذا وجده كما في الوديعة أو تركها عنده، (**قال الله تعالى**) شأنه عما لا يليق (﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾) قريب مشفق (﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾) ولا شفيع يشفع ووضع الظالمين موضع «هم» للدلالة على اختصاص هذا الأمر بهم وأنه لظلمهم. (**وقال تعالى** ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾) أي يدعهم الله بغير وليّ ولا نصير في عذابه.

(**وأما الأحاديث**) النبوية (**فمنها حديث أبي ذرّ**) جندب بن جنادة الغفاري (**المتقدم في ءاخر باب المجاهدة**) وبه ختم ذلك الباب.

٢٠٣ - (وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: اتقوا الظلم) أي اجتنبوا ظلم العباد ومنهم النفس، وظلمها بمنعها حقها أو إعانتها على معصية الله وإطاعتها فيها (**فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**) قال النووي: قال القاضي عياض: قيل هو على ظاهره، فيكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة سبيلًا حتى يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم ويحتمل أن الظلمات هنا الشدائد وبه فسروا قوله تعالى ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الأنعام] أي شدائدهما ويحتمل أنها عبارة عن الأنكال والعقوبات اهـ (**واتقوا الشح**) هو بالشين المعجمة وهي مثلثة والضم أعلى، والشحّ أشد البخل، وقيل: البخل مع الحرص (**فإن الشحّ أهلك من كان قبلكم**) أي من الأمم والهلاك فيه

حمَلَهُمْ على أَن سفَكُوا دِماءَهُمْ واسْتَحلُّوا مَحارِمَهُمْ». رواه مسلم.

٢٠٤ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيامَةِ حَتَّى يُقَادَ للشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرنَاءِ».

محتمل للهلاك المعنوي والهلاك الحسي ويؤيده قوله (**حملهم على أن سفكوا دماءهم**) أي قتل بعضهم بعضًا كما قتل ذلك الإسرائيلي ابن عمه الذي يرثه استعجالا للإرث حتى كشف الله أمره بقصة البقرة واستحلوا محارمهم (**واستحلوا محارمهم**) أي اتخذوا ما حرم الله من نسائهم حلالا أي فعلوا بهن الفاحشة، وأقرب منه أنهم احتالوا إلى بيع ما حرم الله تعالى عليهم أكله كالشحوم جملوها فباعوها، وكالصيد يوم السبت فحفروا للصيد حفائر لينحبس فيها السمك يومئذٍ فيأخذوه بعد، ففيه تقبيح التحليل للحرام بما لم يرد الإذن للتخلص به من الحرام كبيع العينة أخذًا من أمره ﷺ لبلال أن يبيع التمر الرديء بالدراهم ويشتري بالدراهم الجيد من التمر ونهاه عن شراء مدّ جيد بمدين من الرديء (**رواه مسلم**) ورواه أحمد والبخاري في الأدب.

٢٠٤ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لتؤدن الحقوق**) بضم الفوقية وفتح الهمزة وتشديد الدال، واللام في أوله مؤذنة بقسم مقدر لتأكيد المقام وحذف الفاعل به أي والله ليؤدنّ الله الحقوق (**إلى أهلها**) مستحقها (**يوم القيامة حتى**) غاية في إيفاء الحق أي إلى أن (**يقاد للشاة الجلحاء**) بفتح الجيم وسكون اللام هي الجمّاء التي لا قرن لها (**من الشاة القرناء**) قال النووي: هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه الدعوة وعلى هذا تظاهرت دلائل الكتاب والسنة، قال تعالى ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [سورة التكوير] وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع وجب حمله على ظاهره. قال العلماء: وليس من شرط الحشر والإعادة في

رواه مسلم.

٢٠٥ - وعن ابن عمرَ رضي اللَّهُ عنهما قال: كُنَّا نتحدَّثُ عَنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَالنَّبيُّ ﷺ بين أَظْهُرِنَا وَلا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الْوَداعِ حَتَّى حَمِدَ اللهَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ ذَكَر الْمسِيحَ الدَّجَّالَ فَأَطْنَبَ في ذِكْرِهِ وَقَالَ: «ما بَعَثَ اللّهُ مِن نَبيّ إِلا أَنْذَرَهُ أُمَّتَهُ،

القيامة المجازاة والعقاب والثواب وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة اهـ **(رواه مسلم)** ورواه أحمد والبخاري في «الأدب المفرد» والترمذي.

٢٠٥ ـ (وعن) عبد الله **(بن عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنهما قال: كنا نتحدث بحجة)** بفتح الحاء وكسرها **(الوداع)** بكسر الواو وفتحها، وسميت بذلك لأن النبيّ ﷺ ودّعهم فيها، وتسمى حجة البلاغ لقوله «هل بلغت» **(والنبيّ ﷺ بين أظهرنا)** جملة في محل الحال أي جالس بيننا مستظهرًا لا مستخفيًا يقال بين أظهرنا وظهرانينا بمعنى بيننا **(ولا ندري)** أي نعرف **(ما حجة الوداع)** أي ما وجه تسميتها به. قال في «التوشيح»: كأنه شيء ذكره النبي ﷺ فتحدثوا به، وما فهموا أن المراد بالوداع وداع النبي ﷺ حتى وقعت وفاته بعد ذلك بقليل فعرفوا بذلك، وأشار إلى ذلك بما تضمنه قوله **(حتى حمد الله)** بالنصب **(رسول الله ﷺ وأثنى عليه)** أي حمد الله بأوصاف الكمال وأثنى عليه بتنزيهه عما لا يجوز عليه **(ثم ذكر المسيح)** بفتح الميم وكسر السين **(الدجال)** أي المبالغ في الكذب بادعائه الإحياء والإماتة وغيرهما مما يقطع كل عاقل فضلًا عن مؤمن بكذبه فيه، والمسيح إذا أطلق ينصرف لسيدنا عيسى عليه السلام ويطلق على الدجال لكن مقيدًا به كما هنا. ولقب به الدجال قيل لأنه ممسوح العين فإن إحدى عينيه ممسوحة **(فأطنب في)** بيان **(ذكره)** محذرًا من فتنته لعظمها **(وقال: ما بعث الله)** أي أرسل **(من نبيّ)** أي رسول إذ هو الذي ينذر قومه **(إلا أنذر أمته)** منه وأعلمهم ببعض

أَنْذَرَهُ نوحٌ والنَّبِيُّون مِن بعْدِهِ وإنَّهُ يَخْرُجُ فِيكُمْ فما خفِيَ عَلَيْكُم مِن شَأْنِهِ فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَنَّ رَبَّكُمْ لَيسَ بِأَعْورَ، إِنَّهُ أَعْورُ عيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عيْنَهُ عِنَبةٌ طَافِيَةٌ، أَلا إِنَّ اللَّهَ حرَّم علَيْكُمْ دِماءَكُمْ وأَمْوالَكُمْ كَحُرْمةِ يوْمِكُمْ هَذا في بلدكُمْ هذا، أَلا هَلْ بلَّغْتُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قال: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ - ثَلاثًا -

---

أوصافه (**أنذره نوح**) أي أنذر منه نوح قومه (**والنبيون من بعده**) أممهم ففيه حذف المفعول وجملة أنذر نوح لتفصيل ما قبلها (**وإنه يخرج فيكم**) إذ لا أمة بعدكم ولا بد من خروجه فإذا لم يخرج في الأمم السابقة فلم يبق إلا خروجه في هذه الأمة (**فما**) شرطية أي فأي شيء (**خفي عليكم من**) للتبعيض أي بعض (**شأنه فليس يخفى عليكم أن ربكم ليس بأعور**) أي لا يخفى عليكم مضمون هذا الكلام من انتفاء النقائص عن البارئ جل وعز (**إنه**) يعني الدجال (**أعور عين اليمنى**) بالجر من إضافة الموصوف إلى صفته (**كأن عينه عنبة**) بكسر العين وفتح النون والموحدة (**طافية**) بلا همز أي بارزة من طفا الشيء يطفو إذا علا على غيره، وشبهها بالعنبة التي تقع في العنقود بارزة عن نظائرها (**ألا**) بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح يتنبه لما بعده (**إن الله حرّم عليكم دماءكم وأموالكم**) يقدر في الأول سفك وفي الثاني أخذ لأن الذوات لا تحرم (**كحرمة يومكم هذا**) أي يوم النحر (**في بلدكم هذا**) أي حرم مكة، والجواب أن تحريم اليوم والبلد كان ثابتًا في نفوسهم مقررًا عندهم بخلاف الأنفس والأموال فكانت الجاهلية تستبيحها، فورد التشبيه بما هو مقرّر عندهم ومناط التشبيه ظهوره عند السامع (**ألا**) بتخفيف اللام (**هل بلغت**) والمستفهم منه الأمة الحاضرون وحذف المفعول ليعم أي هل بلغتكم ما أمرت بإبلاغه إليكم (**قالوا نعم**: **قال اللهم**) أي يا الله فحذف حرف النداء وعوض عنه الميم المشددة (**اشهد**) على شهادتهم بالتبليغ إليهم كيلا ينكر منكر ذلك يوم القيامة (**ثلاثًا**) أي قاله ثلاث مرات، وكان ﷺ يكرر ما يحتاج للتكرير ثلاثًا كما جاء في الصحيح

وَيْلَكُمْ أَوْ وَيحكُم انظُرُوا لا ترْجِعُوا بعْدِي كُفَّارًا يضْرِبُ بعَضُكُمْ رِقَابَ بعْضٍ». رواه البخاري وروى مسلم بعضه.

٢٠٦ - وعن عائشةَ رضي اللَّهُ عنها أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَن ظَلَم قِيْدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِن سَبْعِ أَرَضِينَ». متفقٌ عليه.

«وكان إذا تكلم بكلام أعاده ثلاثًا ليفهم منه» (**ويلكم**) قال في «الصحاح»: ويل كلمة مثل ويح إلا أنها كلمة عذاب، يقال ويله وويلك، وتقول ويل لزيد، فالنصب على إضمار الفعل (**أو**) شك من الراوي أي قال (**ويحكم**) وفي الصحاح أيضًا ويح كلمة رحمة (**انظروا لا ترجعوا**) أي لا تصيروا (**بعدي كفارًا**) أي كالكفار فهو تشبيه أو من باب التغليظ فهو مجاز (**يضرب بعضكم رقاب بعض**) أي لا ترجعوا بعدي عن الدين فتصيروا مرتدين مقاتلين يضرب بعضكم بعضًا بغير حق على وجه التحقيق (**رواه البخاري**) بجملته في كتاب المغازي (**وروى مسلم بعضه**) في كتاب الإيمان.

٢٠٦ - (**وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: من ظلم قيد**) بكسر القاف أي قدر (**شبر من الأرض**) وذكر الشبر إشارة إلى استواء القليل والكثير في الوعيد المدلول عليه بقوله (**طوّقه**) بالبناء للمجهول أي طوقه الله (**من سبع أرضين**) بفتح الراء ويجوز إسكانها، قال الخطابي: قوله طوقه له وجهان: أحدهما أن معناه كلف نقل ما ظلم منها في القيامة إلى المحشر ويكون كالطوق في عنقه لا أنه طوق حقيقة. والثاني: أن معناه أنه يعاقب بالخسف إلى سبع أرضين فيكون كل أرض في تلك الحالة طوقًا في عنقه اهـ. قال الحافظ ابن حجر: يؤيد الثاني حديث ابن عمر في البخاري بلفظ «خسف به إلى سبع أرضين»، وقيل معناه كالأول، لكن بعد أن ينقل جميعه يجعل كله في عنقه طوقًا ويعظم قدر عنقه حتى يسع ذلك كما ورد في غلظ جلد الكافر ونحو ذلك اهـ (**متفق عليه**) قال السيوطي في «الجامع الصغير»: أخرجه الشيخان وابن ماجه.

٢٠٧ - وعن أَبي موسى رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة هود]. متفق عليه.

٢٠٨ - وعن مُعاذٍ رضي اللَّهُ عنه قال: بعَثَنِي رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: «إِنَّكَ تَأْتِي قوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ،

---

٢٠٧ - (وعن أبي موسى) الأشعري (رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله يملي) بضم التحتية أي يمهل (للظالم) ولا يعاجله بالعقوبة (فإذا أخذه) أي عاقبه بذنبه لم يكد يفلته أي لم يكد يخلصه أي إذا أهلكه لا يرفع عنه الهلاك أبدًا أي إن كان كافرًا فإن حمل الظلم على أعم من الشرك حمل كل على ما يليق به (ثم قرأ) مستدلًا لذلك قوله تعالى (﴿وَكَذَٰلِكَ﴾) أي مثل المذكور في الآي قبلها (﴿أَخْذُ رَبِّكَ﴾) قال البيضاوي: وقرئ أخذ بالفعل فيكون محل الكاف أي التي في قوله وكذلك النصب على المصدر (﴿إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾) أي أهلها (﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾) حال من القرى وهي في الحقيقة لأهلها لكنها لما أقيمت مقامه أجريت عليها، وفائدتها الإشعار بأنهم أخذوا لظلمهم وإنذار كل ظالم لنفسه أو غيرها من وخامة الظلم (﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾) موجع غير مرجوّ الخلاص عنه، وهو مبالغة ومحمول على التهديد والتحذير، وأجراها المعتزلة على ظاهرها في سائر العصاة (متفق عليه) ورواه الترمذي وابن ماجه.

٢٠٨ ـ (وعن معاذ) بضم الميم ابن جبل الأنصاري (رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ) أي أميرًا على اليمن، وذلك أواخر سنة تسع عند منصرفه من تبوك ولم يزل على اليمن إلى أن قدم في عهد عمر فتوجه إلى الشام فمات بها في طاعون عمواس (فقال: إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب) يعني به اليهود والنصارى لأنهم كانوا في اليمن أكثر

فادْعُهُمْ إِلَى شَهَادةِ أَن لا إِلَـهَ إِلا اللَّهُ وأَنّي رسولُ اللَّهِ، فإِنْ هُمْ أَطاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ تعالَى قَدِ افْترَض علَيْهم خَمْسَ صَلَواتٍ في كُلّ يوم وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلكَ فَأَعلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخذُ مِنْ أَغنِيائِهِمْ فَتُرَدُّ علَى فُقَرائِهِم، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلك فَإِيَّاكَ وكَرائِمَ أَمْوالِهم،

من مشركي العرب وأغلب، وإنما نبهه على هذا ليتهيأ لمناظرتهم ويعد الأدلة لإفحامهم لأنهم أهل علم سابق بخلاف المشركين وعبدة الأوثان **(فادعهم)** أي أولًا **(إلى شهادة أن لا إله إلا الله، و)** إلى شهادة **(أني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك)** أي بالنطق بكلمتي التوحيد، قال القرطبي: وهذا الذي أمر النبي ﷺ به معاذًا هو الدعوة قبل القتال التي كان يوصي بها النبي ﷺ أمراءه، وعلى هذا ففي الحديث حجة لمن يقول أول الواجبات التلفظ بكلمتي الشهادة مصدقًا بها **(فأعلمهم أن الله تعالى قد افترض عليهم خمس صلوات في)** مجموع **(كل يوم وليلة)** «وإن» هنا وفيما بعد شرطية «وهم» فاعل فعل محذوف وجوبًا دل عليه ما بعده فهو نظير ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴿٦﴾﴾ [سورة التوبة] فالجواب جملة «فأعلمهم» **(فإن هم أطاعوا لذلك)** بالإقرار بالوجوب والعزم على فعلها **(فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة)** أي زكاة كما في رواية مسلم، وسميت صدقة لأنها تدل على صدق إيمان باذلها **(تؤخذ من أغنيائهم)** أي من أموالهم. وعند مسلم «تؤخذ من أموالكم» قال النووي: «قد يستدل بلفظ «من أموالهم» على أنه إذا امتنع من دفع الزكاة أخذت من ماله بغير اختياره، وهذا الحكم لا خلاف فيه **(فترد)** وعند مسلم وترد **(على فقرائهم)** واستدل به مالك على أن الزكاة لا تجب قسمتها على الأصناف المذكورين في الآية، وأنه يجوز للإمام صرفها إلى صنف واحد من الأصناف المذكورين في الآية إذا رءاه نظرًا ومصلحة دينية **(فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم)** والكرائم جمع كريمة أي نفيسة، ففيه ترك أخذ خيار المال. والنكتة فيه أن الزكاة

واتَّقِ دعْوةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ ليْس بيْنَها وبيْنَ اللّهِ حِجَابٌ». متفق عليه.

٢٠٩ - وعن أَبي حُميْدٍ عَبْد الرَّحْمـٰن السَّاعِدِيّ رضي اللَّهُ عنه قال: اسْتعْمَلَ النَّبيُّ ﷺ رجُلًا مِنَ الأَزْدِ يُقَالُ لهُ ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ

لمواساة الفقراء فلا يناسب ذلك الإجحاف بمال الأغنياء إلا أن رضوا بذلك **(واتق دعوة المظلوم)** قال الحافظ ابن حجر: أي تجنب الظلم لئلا يدعو عليك المظلوم، وفيه التنبيه على المنع من جميع الظلم. والنكتة في ذكره عقب المنع من أخذ الكرائم الإشارة إلى أن أخذها ظلم **(فإنه)** قال القرطبي: الرواية الصحيحة بضمير المذكر على أن يكون ضمير الأمر والشأن، ووقع في بعض النسخ أي من مسلم «فإنها» بهاء التأنيث وهو عائد على لفظ الدعوة **(ليس بينها وبين الله حجاب)** أي ليس لها صارف يصرفها ولا مانع، والمراد أنها مقبولة وإن كان عاصيًا كما جاء في حديث أبي هريرة عند أحمد «دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرًا ففجوره على نفسه» وإسناده حسن، وليس المراد أن لله حجابًا يحجبه عن الناس.

فائدة: لم يقع في الحديث ذكر الصوم والحج مع أن بعث معاذ كان أواخر الأمر كما تقدم. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني نقلًا عن شيخه شيخ الإسلام يعني سراج الدين البلقيني: «والحكمة في ذلك أن الأركان الخمسة اعتقادي وهو الشهادة وبدنيّ وهو الصلاة وماليّ وهو الزكاة، فاقتصر في الدعاء إلى الإسلام عليها لتفرع الركنين الآخرين عليها، فإن الصوم بدنيّ محض والحج بدني مالي» اهـ **(متفق عليه)** فأخرجه البخاري في كتاب الزكاة وفي التوحيد وفي مواضع أخر من صحيحه بأسانيد، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان.

٢٠٩ - (وعن أبي حميد) بضم الحاء المهملة وفتح الميم وسكون التحتية بعدها مهملة **(عبد الرحمـٰن)** بن سعد **(الساعدي رضي الله عنه)** توفي ءاخر خلافة معاوية **(قال: استعمل النبي ﷺ رجلًا من الأزد)** اسمه داود، وإليه جماع الأنصار **(يقال له ابن اللتبية)** بضم اللام وإسكان

عَلَى الصَّدقَةِ، فلَمَّا قَدِم قال: هذَا لَكُمْ وهَذَا أُهدِيَ إِلَيَّ، فَقَامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ على الْمِنْبَرِ فَحمِدَ اللَّهَ وأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قال: «أَمَّا بعْدُ فَإِنّي أَسْتعْمِلُ الرَّجُلَ مِنكُمْ علَى الْعمَلِ مِمَّا ولاّنِي اللَّهُ فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَت لِي، أَفَلا جلَس في بيتِ أَبِيهِ وَأُمّهِ حتَّى تأْتِيَهُ هديَّتُه إِن كَانَ صادِقًا، واللّهِ لا يأْخُذُ أَحدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغيرِ حقّهِ إِلا لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ، فَلأَعْرِفَنَّ أَحدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُ بعِيرًا لهُ رُغَاءٌ

المثناة الفوقية بعدها موحدة فتحتية مشددة نسبة لبني لتب بطن من الأسد. واسم هذا الرجل عبد الله كذا في «التهذيب» (**على الصدقة**) أي الزكاة (**فلما قدم**) بكسر الدال (**قال هذا لكم**) معشر المسلمين (**وهذا أهدي**) بالبناء للمجهول (**إليّ، فقام رسول الله ﷺ على المنبر**) بكسر الميم وسكون النون وفتح الموحدة من النبر وهو الارتفاع (**فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد**) بالبناء على الضم أي بعدما ذكر من الحمد والثناء (**فإني أستعمل الرجل منكم**) أي أجعله (**على العمل مما**) من العمل الذي (**ولاني الله**) العائد ضمير المفعول محذوف أي ولانيه الله أي جعل لي التصرف فيه من الزكوات والغنائم (**فيأتي**) أي من عمله (**فيقول هذا لكم وهذا هدية أهديت لي**) هذا الكلام المنكر على العامل لم يصرح باسم القائل لأن مراده التحذير من مثل ذلك سواء فيه القائل أوّلا وغيره وهذا من مزيد فضله وحسن خلقه (**أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقًا**) في قوله: «هذا أهدي إليّ» إذ ظاهره أنه أهدي له لذاته، وإنما أهدي إليه لولايته عليهم فالهدية إليه ليست لذاته بل لتوليته عليهم. وفي الحديث دليل على حرمة هدايا العمال مطلقًا وفي نسخة: «أفلا جلس في بيت أبيه أو أمه» (**والله**) أتى به تأكيدًا للأمر (**لا يأخذ أحد منكم**) معاشر العمال على الأعمال (**شيئًا**) مما يعطاه وهو عامل (**بغير حق إلا لقي الله يحمله يوم القيامة**) زاد في رواية في «الصحيحين» على رقبته (**فلأعرفنّ أحدًا منكم لقي الله**) حال كونه (**يحمل بعيرًا له رغاء**) بضم الراء وبعدها غين معجمة وبعدها ألف

أَوْ بقَرةً لَهَا خُوَارٌ أَوْ شاةً تَيْعَرُ» ثُمَّ رفَعَ يَدَيْهِ حتَّى رُؤِيَ بياضُ إِبْطَيْهِ[1] فقال: «اللَّهُمَّ هَلْ بلَّغْتُ». متفقٌ عليه.

٢١٠ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه عن النَّبيّ ﷺ قال: «مَن كَانَتْ عِنْدَه مَظْلِمَةٌ لأَخيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ مِن شَيء فَلْيتَحَلَّلْه مِنْه الْيَوْمَ قَبْلَ أَن لا يكُونَ دِينَارٌ ولا دِرْهَمٌ، إِن كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقدْرِ مَظْلِمتِهِ، وإِن لَمْ تَكُن لَهُ حسَنَاتٌ

ممدودة صوت الإبل يقال رغا يرغو (**أو بقرة لها خوار**) بضم الخاء المعجمة وتخفيف الواو وءاخره راء صوت البقرة (**أو شاة تيعر**) بمثناة فوقية فمثناة تحتية فعين مهملة مكسورة ومفتوحة ومعناه تصيح، ومصدره اليعار وهو صوت الشاة. وحكمة تلك الأصوات من تلك المحمولات الزيادة في تحقيره وفضيحته (**ثم رفع يديه حتى**) غاية لمحذوف أي وبالغ في الرفع إلى أن (**رؤي بياض إبطيه فقال**) بعد تمام الرفع إلى ما ذكر (**اللهم هل بلغت. متفق عليه**) ورواه أبو داود في «الخراج».

٢١٠ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء**) من عطف العام على الخاص فتدخل فيه اللطمة ونحوها، وفي رواية الترمذي «من عرض أو مال»؛ والعرض كما في «الصحاح»: النفس يقال أكرمت عنه عرضي أي صنت عنه نفسي، وقال في «التوشيح»: العرض بالكسر موضع المدح والذم من الإنسان سواء كان نفسه أو سلفه (**فليتحلله منه اليوم**) أي في الدنيا (**من قبل ألا يكون**) يوجد (**دينار ولا درهم**) أي يوم القيامة (**إن كان له**) أي لمن عنده المظلمة (**عمل صالح أخذ**) أي أمر الله أن يؤخذ (**منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات**) مفهوم الجمع غير مراد أي وإن لم تكن له حسنة إذ من له حسنة داخل في العمل الصالح، فلا يكون من أفراد

---

(١) قوله: «حتى رؤي بياض إبطيه» لفظ مسلم، والبخاري كما في الشرح.

أُخِذَ مِن سيِّئَاتِ صاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ». رواه البخاري.

٢١١ - وعن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو بنِ الْعاصِ رضي اللَّهُ عنه عن النّبيّ ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ مَن سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ، والْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ ما نَهَى اللّهُ عَنْهُ». متفقٌ عليه.

هذا القسم القسيم لذلك (**أخذ**) بالبناء للمفعول (**من سيئات صاحبه**) أي وهو صاحب المظلمة (**فحمل عليه**) أي على الظالم. (**رواه البخاري**) ولا تعارض بين هذا وبين قوله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة الأنعام] لأنه إنما يعاقب بسبب فعله وظلمه.

٢١١ - (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: المسلم) أي الكامل الإسلام، قال النووي: «وليس المراد نفي أصل الإسلام عن من لم يكن بهذه الصفة» في قوله (**من سلم المسلمون من لسانه ويده**) بل هذا كما يقال العلم ما نفع أو العالم زيد الكامل أو المحبوب فكله على التفضيل لا الحصر، ثم ذكر المسلمين هنا خرج مخرج الغالب لأن محافظة المسلم على كف الأذى عن أخيه أشد ولأن الكفار بصدد أن يقاتلوا وإن كان فيهم من يجب الكفّ عنه والإتيان بجمع التذكير للتغليب فإن المسلمات يدخلن في ذلك ويستثنى من ذلك شرعًا تعاطي الضرب باليد في إقامة الحدود والتعازير على المسلم المستحق لذلك.

فائدة: كمال الإسلام والمسلم متعلق بخصال أخر كثيرة، وإنما خص ما ذكر لما دعا إليه من الحاجة الخاصة (**والمهاجر**) من الهجر وهو الترك وهو بمعنى المهاجر، والهجرة ضربان: ظاهرة وهي الفرار بالدين من الفتن، وباطنة وهي ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء وهو ما أشار إليه بقوله: (**من هجر ما حرم الله**) وكأن المهاجرين خوطبوا بذلك لئلا يتكلوا على مجرد التحول من دارهم حتى يمتثلوا أوامر الشرع ونواهيه (**متفق عليه**) ورواه أبو داود والنسائي.

٢١٢ - وعنه رضي اللَّهُ عنه قال: كَانَ عَلَى ثَقَلِ النَّبيّ ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كِرْكِرةُ فَمَاتَ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «هُوَ في النَّارِ» فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فوَجَدُوا عَبَاءَةً قَد غَلَّهَا. رواه البخاري.

٢١٣ - وعن أَبي بَكْرَةَ نُفَيْع بنِ الحارثِ رضيَ الله عنهُ عنِ النبيّ ﷺ قال: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللّهُ السَّمٰواتِ والأَرْضَ،

---

٢١٢ - (وعنه) أي عن عبد الله بن عمرو **(كان على ثقل النبي ﷺ)** الثقل بفتح المثلثة والقاف العيال وما يثقل حمله من الأمتعة **(رجل يقال له كركرة)** قال النووي: «بفتح الكاف الأولى وكسرها وأما الثانية فمكسورة» **(فمات فقال رسول الله ﷺ هو في النار)** أي يعذب على معصيته **(فذهبوا ينظرون إليه)** أي إلى السبب الذي قد يحال عليه العذاب **(فوجدوا عباءة)** قال الخليل: العباءة ضرب من الأكسية فيه خطوط سود **(قد غلها)** الغلول هنا الخيانة في المغنم، ونقل المصنف الإجماع على أنه من الكبائر. قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث تحريم قليل الغلول وكثيره **(رواه البخاري)** في كتاب الجهاد.

٢١٣ - (وعن أبي بكرة) بفتح الموحدة وسكون الكاف كني بذلك لأنه دلى نفسه ببكرة من حصن الطائف لما حاصرهم النبيّ ﷺ كما تقدم **(نفيع)** بضم النون وفتح الفاء وسكون التحتية بعدها مهملة **(ابن الحارث رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال)** في خطبة يوم النحر في حجة الوداع **(إن الزمان)** هو عند المتكلمين من أهل السنة مقارنة متجدد موهوم لمتجدد معلوم إزالة للإبهام من الأول لمقارنة الثاني، والمراد بالزمان هنا السنة كما يدل عليه قوله على وجه الاستئناف لبيان ذلك السنة اثنا عشر شهرًا، وإن الزمان **(قد استدار)** هو كدار الطواف حول الشيء والعود إلى الموضع الذي ابتدأ منه وهو المراد من قوله **(كهيئته)** أي استدارة مثل هيئته وهي صورة شكله وحالته التي كان عليها **(يوم خلق الله السمٰوات والأرض)** أي النيرين فيهما لأن حقيقة الزمان المشتمل على الأعوام

السَّنةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدةِ وَذو الْحِجَّةِ والْمُحرَّمُ وَرجبُ مُضَرَ الَّذي بين جُمادَى وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هذَا؟» قلْنَا: اللّهُ ورسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسكَتَ حَتَّى ظنَنَّا أَنَّهُ سَيُسمّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قال: أَليْس

والشهور والأيام إنما وجدت من حين خلق النيرين (**السنة اثنا عشر شهرًا**) جملة مستأنفة كما تقدم لبيان الاستدارة المذكورة (**منها أربعة حرم ثلاثة متواليات**) هي (**ذو القعدة**) بفتح القاف وقد تكسر وقد يحذف «ذو» منه ومما بعده (**وذو الحجة**) بالكسر وقد تفتح (**والمحرم**) بصيغة المفعول (**ورجب مضر**) عطف على ثلاث وأضيف إلى مضر بوزن عمر وضاده معجمة لأنها كانت تحافظ على تحريمه أشد من سائر العرب (**الذي بين جمادى وشعبان**) زيادة تأكيد في بيانه لعظم شأنه وإزاحة للريب الحادث فيه من النسيء وأنه عاد كما كان بين جمادى وشعبان، فأشار بهذا الحديث إلى بطلان النسيء الذي كانت تفعله العرب في الجاهلية وذلك أنهم إذا احتاجوا إلى الحرب في شهر محرم استحلوه وأخروا حرمته للشهر بعده ونادوا بذلك في قبائل العرب وجعلوا حساب الحج تابعًا لذلك، مثلًا إذا احتاجوا للحرب في رجب جعلوه حلالًا وجعلوا شعبان رجبًا وبنوا عليه حساب حجهم فاتفق في ذلك العام الذي وقع فيه حجة الوداع استدارة الزمن على الوضع الأصلي فكان ءاخر ذلك العام ذا الحجة في نفس الأمر وأوّل ما بعده المحرم، والراجح أن الاستدارة من سنة فتح مكة ولذا أمر ﷺ عتابًا أن يحج بالناس في تلك السنة والصديق أن يحج بهم في السنة التاسعة (**أيّ شهر هذا**) الاستفهام فيه لتقرير حرمة الشهر في نفوسهم فيصح بناء ما سيذكره عليها (**قلنا: الله ورسوله أعلم**) فيه مراعاة الأدب وتوقف عما لا يعلم الغرض من السؤال عنه (**فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه**) أي توهموا أن طول سكوته لتردده في وضع اسم مناسب له غير اسمه المشهور يضعه عليه بدله وما ذكر في الاستفهام وجوابهم فسكت إلخ يجري في نظيره الآتي (**قال: أليس**) أي

ذَا الْحِجَّةِ؟ قُلْنَا: بلَى، قال: «أَيُّ بلَدٍ هَذا؟» قُلْنَا: اللّهُ وَرسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سيُسمّيهِ بغَيْرِ اسْمِهِ. قال: «أَلَيْسَ الْبَلْدةَ؟» قُلْنا: بلَى. قال: «فَأَيُّ يوْمٍ هذَا؟» قُلْنَا: اللّهُ ورسُولُهُ أَعْلم، فَسكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّه سيُسمّيهِ بِغيْرِ اسمِهِ. قال: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى. قال: «فإن دِماءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وأَعْراضَكُمْ علَيْكُمْ حرَامٌ كَحُرْمَةِ يوْمِكُمْ هَذَا في بَلَدِكُمْ هَذا في شَهْرِكم هَذَا، وسَتَلْقَوْن ربَّكُم فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ،

اسمه (**ذا الحجة**) وما قدرناه هو ما يدل عليه السياق (**قلنا بلى**) أي هو ذو الحجة (**قال: أيّ بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: أليس**) أي هذا المكان (**البلدة**) وفي نسخة البلد الحرام وجه تخصيص مكة بها مع شمولها لسائر البلدان فصار علمًا عليها بالغلبة، الإشارة إلى أنها البلدة الجامعة لسائر الفضائل المتفرقة في غيرها مع زيادات لا توجد في غيرها (**قلنا بلى، قال: فأي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا بلى، قال: فإن دماءكم**) الفاء فيه فصيحة أي فإذا علمتم ما ذكر فتيقظوا إلى حرم أخرى هي أعظم منها وهي الدماء وما بعدها (**وأموالكم**) قدمها على الأعراض لأن ابتلاء الناس بالجناية فيها أكثر (**وأعراضكم**) المراد منه تحريم التعرض للإنسان بما يعير أو ينقص به في نفسه أو أحد من أقاربه (**عليكم حرام كحرمة يومكُمْ هذا**) أي المعصية فيه حال كون اليوم على جهة التجوز (**في بلدكم هذا**) وحرمة المعصية بها عظيمة إجماعًا إنما اختلف في تضاعفها كالحسنات وعدمه والراجح عدمه كما يدل عليه عموم قوله تعالى ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴿١٦٠﴾﴾ [سورة الأنعام] ولا مخصص له (**في شهركم هذا**) وهو لعظم شرفه تعظم المعصية فيه (**وستلقون ربكم**) في الدار الآخرة ناظرين إليه على وجه منزه من الحلول والاتحاد والجهة والتحيز والإحاطة بالذات الأعلى (**فيسألكم عن أموالكم**) وفي نسخة

أَلا فَلا تَرْجِعُوا بعْدِي كُفَّارًا يضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بعْضٍ، أَلا لِيُبلّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فلَعلَّ بعْضَ من يَبْلُغُهُ أَن يكُونَ أَوْعى لَه مِن بعضِ مَن سَمِعَه» ثُمَّ قال: «أَلا هَلْ بلَّغْتُ، أَلا هَلْ بلَّغْتُ؟» قُلْنا: نَعَمْ، قال: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ». متفقٌ عليه.

٢١٤ - وعن أَبي أُمَامةَ إِياسِ بنِ ثعْلَبَةَ الْحارِثِيّ

«أعمالكم» (**ألا**) أداة استفتاح فلما حذرتم وبين لكم (**لا ترجعوا**) أي لا تصيروا (**بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**) تقدم الكلام عليه (**ألا ليبلغ**) بتشديد اللام وتخفيفها والتبليغ واجب عينًا على من انحصر فيه وإلا فكفاية (**الشاهد منكم**) لما قلته العالم به سماعًا أو رواية (**الغائب**) عنه بأن لم يحصل علمه (**فلعل بعض من يبلغه**) كذا عند البخاري بفتح أوله وسكون ثانيه وضم اللام وعند مسلم بالبناء للمجهول بضم أوله وفتح ثانيه بعده لام مفتوحة مشددة ونائب فاعله الضمير المستتر والبارز مفعول له ثان أي فلعل المبلغ لجودة فهمه وقوّة استعداده وتوجهه لذلك الأمر (**أن يكون أوعى له**) أي أفهم لمعناه (**من بعض من سمعه**) فيستفيد من الخبر الذي يبلغه ويفيد الناس ما لا يحصل لمن سمعه مني ثم ذكر بعض ثمرات التبليغ ومنها انتشار العلم وعموم النفع به وحفظه على توالي الأزمنة إلى قبيل القيامة كما أخبر به ﷺ (**ثم قال: ألا هل بلغت**) أي ما أمرت به (**ألا هل بلغت**) والتكرير للتأكيد (**قلنا: نعم**) أي بلغت الرسالة والأمانة فقد بلغ الرسالة والأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وجاهد في الله حق جهاده فجزاه الله خير ما جزى نبيًا عن أمته ورسولًا عن قومه وأفضل على كل ما هو له أهل (**ثم قال: اللهم اشهد. متفق عليه**) ورواه النسائي.

٢١٤ ـ (**وعن أبي أمامة**) بضم الهمزة وميمين بينهما ألف (**إياس**) بكسر الهمزة بعدها تحتية وءاخره سين مهملة (**ابن ثعلبة**) بفتح المثلثة الأنصاري (**الحارثي**) أحد بني الحارث بن الخزرج، وهو حليف بني

رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَه النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فقال رجُلٌ: وإِن كَانَ شَيْئًا يسِيرًا يا رسولَ اللّهِ؟ فقال: «وإِن قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ». رواه مسلم.

٢١٥ - وعن عَدِيّ بنِ عَمِيْرَةَ رضِي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُول: «مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَكَتَمَنَا

حارثة، وهو ابن أخت أبي بردة بن دينار (**رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من اقتطع**) أي أخذ (**حق امرئ مسلم بيمينه**) دخل فيه من حلف على غير مال كجلد ميتة وسرجين وغير ذلك من النجاسات التي ينتفع بها، وكذا سائر الحقوق التي ليست بمال كحد القذف ونصيب الزوجة في القسم، والتقييد بالمسلم لا يدل على عدم تحريم مال الذمي، بل إنما يدل على هذا الوعيد المذكور في قوله (**فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة**) قال النووي: «معناه فقد استحق النار ويجوز العفو عنه وقد حرّم عليه دخول الجنة أول وهلة مع الفائزين، وهذه العقوبة لمن اقتطع حق المسلم ومات قبل التوبة أما من تاب فندم على فعله وردّ الحق إلى صاحبه وتحلل منه وعزم على أن لا يعود فقد سقط عنه الإثم» (**فقال**) أي أبو أمامة، ويحتمل أن يكون فقال بعض من حضر (**وإن كان**) أي المقتطع (**شيئًا يسيرًا يا رسول الله، فقال**) ﷺ (**وإن كان قضيبًا من أراك**) والأراك شجر معروف يستاك بأعواده بل هو أفضل ما يستاك به كما سيأتي إن شاء الله تعالى في باب فضل السواك (**رواه مسلم**) قال المزي: ورواه النسائي وابن ماجه.

٢١٥ - (**وعن عديّ**) بفتح أول مهمليه وكسر ثانيهما (**ابن عميرة**) بفتح العين المهملة وكسر الميم، قال النووي: لم يأت هذا الاسم في الرجال إلا بفتح العين، وجاء في النساء بالفتح والضم، وعميرة هو ابن زرارة (**رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من استعملناه منكم على عمل**) من جمع مال الزكاة أو الغنائم أو نحو ذلك (**فكتمنا**) بميم

مِخيَطًا فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولا يَأْتِي بِهِ يوْمَ الْقِيامَةِ» فقَام إِلَيْهِ رجُلٌ أَسْودُ مِنَ الأَنْصَار كأَنّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ فقال: يا رسولَ اللّهِ اقْبَلْ عنّي عملَكَ، قال: «وما لكَ؟» قال: سَمِعْتُك تقُولُ كَذَا وَكَذَا قال: «وأَنَا أَقُولُهُ الآنَ: منِ اسْتَعْملْنَاهُ منكم عَلَى عملٍ فلْيجِئ بقَلِيلِهِ وَكثِيرِهِ، فمَا أُوتِيَ منْهُ أَخَذَ ومَا نُهِيَ عنْهُ انْتَهَى».

مفتوحة والفاعل مستتر يعود إلى من وأفرده باعتبار لفظها، وقوله: (**مخيطًا**) بكسر الميم وسكون المعجمة هو الإبرة (**فما فوقه**) في الصغر، وهذا في الكلام كقولك أتراه قصيرًا؟ فيقول القائل أو فوق ذلك أي هو أقصر مما ترى (**كان**) أي المكتوم المدلول عليه بقوله كتمنا نظير ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۝٨﴾ [سورة المائدة] (**غلولا**) بضم الغين المعجمة (**يأتي به يوم القيامة**) يحمله قال ابن رسلان: الغلّ الحديدة التي يجمع بها يد الأسير إلى عنقه يأتي به يوم القيامة إلى المحشر وهو حامل له وفيه وعيد شديد وزجر أكيد في الخيانة من العامل في القليل والكثير وأنه من الكبائر العظام اهـ (**فقام إليه رجل أسود من الأنصار كأني أنظر إليه**) لم أر من ذكر اسمه (**فقال: يا رسول الله اقبل عني عملي**) قال ابن رسلان: النزول عن العمل الذي هو ولاية لا يحتاج إلى قبول بل لو قال عزلت نفسي انعزل، فيحمل هذا على الاستئذان فإن فيه نوع استشارة (**قال: وما لك**) في «سنن أبي داود» «وما ذلك» أي وأيّ شيء لك داع (**قال: سمعتك تقول كذا وكذا**) من ألفاظ الكنايات مثل كيت وكيت، ومعناه مثل ذا (**قال: وأنا أقوله الآن: من استعملناه منكم على عمل**) يدخل فيه القضاء والحسبة وسائر الأعمال (**فليجئ بقليله وكثيره**) اللام في فليجئ لام الأمر، وهذا كما قال القرطبي يدل على أن العامل لا يقتطع منه شيئًا لنفسه أجرة ولا غيرها ولا لغيره إلا أن يأذن له الإمام الذي تلزمه طاعته (**فما أوتي**) بالبناء للمفعول أعطي (**منه أخذ**) بالبناء للفاعل (**وما نهي عنه انتهى**) أي امتنع العامل عن أخذه. قال ابن رسلان: فيذكر العامل الجهات التي قبض منها المال وصفتها فيأخذ ما

رواه مسلم.

٢١٦ - وعن عمرَ بنِ الخطابِ رضي اللَّهُ عنه قال: لمَّا كان يوْمُ خَيْبَر أَقْبلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحابِ النَّبيّ ﷺ فَقَالُوا: فُلانٌ شَهِيدٌ وفُلانٌ شهيدٌ حتَّى مَرُّوا علَى رَجُلٍ فقالوا: فُلانٌ شهيد، فقال النَّبيُّ ﷺ: «كلَّا إنّي رأَيْتُهُ في النارِ في بُردَةٍ غَلَّهَا أَو عَبَاءَةٍ». رواه مسلم.

٢١٧ - وعن أَبي قَتَادةَ الحارثِ بنِ رِبعيّ رضي اللَّهُ عنه

جاز أخذه ويترك ما لم يجز أخذه بل يرده على دافعه ويفعل ما تقتضيه الشريعة، وهذا ما ظهر لي (**رواه مسلم**) وأبو داود.

٢١٦ - (**وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم خيبر**) يجوز فيها الصرف باعتبار المكان ومنعه باعتبار البقعة، وعدم الصرف أكثر في ألسنة المحدّثين، وكانت وقعة خيبر سنة ست من الهجرة عقب مرجعهم من الحديبية (**أقبل نفر**) اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة ولا واحد له من لفظه (**من أصحاب النبيّ ﷺ فقالوا: فلان**) قال ابن السراج: كناية عن اسم يسمى به المحدث عنه خاص غالبًا (**شهيد وفلان شهيد حتى مرّوا على رجل**) يحتمل أن يكون المراد انتهوا في الذكر (**فقالوا**) عنه (**فلان شهيد. فقال النبيّ ﷺ: كلا**) أي انته وانزجر عن هذا القول والحكم له بالشهادة المتضمنة الحكم له بالسعادة الأبدية والمنازل العلية لشاهد بذلك قوله تعالى ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴿١٦٩﴾﴾ [سورة ءال عمران] الآية (**إني رأيته في النار في بردة**) بضم الموحدة ثوب مخطط (**غلها**) أي أخذها (**أو**) شك الراوي (**عباءة رواه مسلم**) في كتاب الإيمان.

٢١٧ - (**وعن أبي قتادة**) بالقاف فالمثناة الفوقية (**الحارث بن ربعي**) بكسر الراء وسكون الموحدة وكسر العين المهملة الأنصاري الخزرجي السلمي فارس رسول الله ﷺ (**رضي الله عنه**) اختلف في شهوده بدرًا وشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد كلها، أصابه سهم بوجهه يوم ذي

عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ فذَكَر لَهُمْ أَنَّ الجِهادَ في سبيلِ اللَّهِ والإيمانَ بالله أَفضلُ الأعمالِ، فَقَامَ رَجلٌ فقال: يا رسولَ اللَّهِ أَرأَيتَ إِن قُتِلْتُ في سَبيل الله تُكَفَّرُ عنّي خَطَايَايَ؟ فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «نعَمْ إِن قُتِلْتَ في سَبِيلِ الله وأَنتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غيْرُ مُدْبِرٍ» ثُمَّ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «كيْفَ قُلْتَ؟» قال: أَرأَيتَ إِن قُتِلْتُ في سَبِيلِ الله أَتُكَفَّرُ عنّي خَطَاياي؟» فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعمْ وأَنتَ صابرٌ مُحْتَسِبٌ

قرد فبصق على محله النبي ﷺ فما ضرب عليه بعد قط ولا قاح، ودعا له ﷺ في ذلك اليوم فقال: «اللهم بارك في شعره وبشره» وفي سفر ءاخر قال له: «حفظك الله كما حفظت نبيه» أخرجه أبو داود. توفي سنة أربع وخمسين، قيل: بالمدينة وقيل بالكوفة في خلافة عليّ فصلى عليه عليّ (**عن رسول الله ﷺ أنه**) بفتح الهمزة وكسرها كما سبق (**قام فيهم**) أي خطيبًا (**فذكر لهم**) أي بعد حمد الله والثناء عليه (**أن الجهاد في سبيل الله**) أي لإعلاء كلمة الله (**والإيمان بالله**) والواو لمطلق الجمع (**أفضل الأعمال**) أما بالنظر إلى المجموع فهو على إطلاقه، وكذا بالنظر إلى الأفراد بالنظر إلى الإيمان؛ وأما بالنسبة إلى الجهاد فبالنسبة إلى ذلك الوقت أو هو على تقدير من، وهذا يجري فيما ورد في الحديث أنه أفضل الأعمال، وهو من أفضلها كالصلاة أوّل الوقت ونحو ذلك (**فقام رجل فقال: أرأيت**) بفتح التاء أي أخبرني (**إن قتلت**) بالبناء للمجهول (**في سبيل الله**) أي لإعلاء كلمة الله (**تكفر**) مبني للمجهول (**عني خطاياي**) يشمل ما يتعلق بحق الله وما يتعلق بحق العباد (**فقال له رسول الله ﷺ: نعم**) بفتح أوليه حرف جواب (**إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر**) أي على ملاقاة القِرْن وجراحات السيوف وطعن الرماح وغير ذلك من أتعاب الحرب (**محتسب**) أي مخلص لله تعالى، فإذا قاتل لمعصية أو لغنيمة أو لصيت فلا يحصل له ما ذكر في الخبر من الثواب

مُقبِلٌ غَيْرُ مُدْبِر إلا الدَّينَ فَإِنَّ جِبريلَ قال لِي ذلك». رواه مسلم.

٢١٨ - وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «أَتَدْرُون مَا المُفْلِسُ؟» قالوا: المُفْلِسُ فِيْنَا مَن لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ. فقال: «إِنَّ المُفْلِس مِنْ أُمَّتِي مَن يأْتي يَوْمَ الْقِيامةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وزَكَاةٍ،

ولا غيره (**مقبل غير مدبر**) أي على وجه الفرار، أما لو أدبر ليكرّ على العدو بعد أو ليأتي بالفئة فالظاهر حصول الثواب المذكور (**ثم قال رسول الله ﷺ**) مستدركًا للدين ومثله سائر حقوق العباد من عموم كلامه السابق (**كيف قلت؟**) أي أيها السائل (**قال**) أي السائل (**قلت: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم وأنت صابر**) جملة حالية حذف صاحبها وعاملها لدلالة وجودهما في الكلام السابق أي إن قتلت وأنت صابر (**محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين**) قال النووي: «فيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين»، قال القرطبي: لكن هذا كله إذا امتنع من أداء الحقوق مع تمكنه منه، وأما إذا لم يجد للخروج من ذلك سبيلًا فالمرجو من كرم الله تعالى إذا صدق في قصده وصحت توبته أن يرضى عنه خصومه كما قد جاء نصًا في حديث أبي سعيد الخدري المشهور في هذا (**قال لي ذلك جبريل**) قال النووي: «يحمل على أنه أوحى إليه به في الحال» (**رواه مسلم**) في كتاب الجهاد.

٢١٨ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أتدرون) أي أتعلمون من الدراية (**ما المفلس؟ قالوا**) بحسب ما يعرفونه فيه عرفًا (**المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع**) قال في «النهاية»: هو كل ما ينتفع به من عروض الدنيا قليلها وكثيرها (**فقال**) مشيرًا إلى أن هذا لانقطاع أمور الدنيا ونصبها لا ينبغي أن يعدّ حقيقة المفلس وقد يزول عنه لعارض من يسار ونحوه (**إن المفلس**) مفلس الدرجات العلى في الدار الأخرى (**من أمتي**) أي أمة الإجابة أي من المؤمنين (**من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة**) أي وغيرها من عمل البرّ

ويأْتي قدْ شَتَمَ هَذا وقذف هذا وَأَكَلَ مالَ هذا وسَفَكَ دَمَ هذا وَضَرَبَ هذا فيُعْطَى هذا مِن حسَنَاتِهِ وهذا مِن حَسَناتِهِ، فَإِن فَنِيَتْ حسناتُهُ قَبْلَ أَن يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فطُرِحت علَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ في النَّار». **رواه مسلم**.

٢١٩ - وعن أُمّ سَلَمَةَ رضي اللَّهُ عنها أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّمَا أَنَا بشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِليَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أن يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِن بَعْضٍ فأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ ما أَسْمعُ،

(**ويأتي**) عطف على يأتي الأوّل (**وقد شتم هذا**) أي سبه كما في «الصحاح» (**وقذف هذا**) أي رماه بالزنى مثلًا (**وأكل مال هذا**) أي بغير رضاه ومثله سائر الإتلافات بأيّ وجه كان، وخص الأكل لأنه أغلب وجوه إتلاف المال (**وسفك**) أي أهرق (**دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا**) أي أحد المجنيّ عليه (**من حسناته**) أي من ثوابها، ويحتمل أن يعطاها بنفسها ويجازى عليها حينئذٍ وهو مثل ما تقدم في الحديث السابق في الباب «إن كان له عمل صالح أخذ منه» (**ويعطى هذا**) أي الآخر بفتح الخاء (**من حسناته، فإن فنيت حسناته**) بأخذ الغرماء لها (**قبل أن يقضى ما عليه**) من التبعات (**أخذ**) بالبناء للمفعول كالمضارع قبله والماضيين بعد (**من خطاياهم**) أي ذنوبهم، وظاهر عمومه يشتمل ما كان متعلقًا بالخلق ويحتمل أن يخص ما يتعلق بالحق (**فطرحت عليه ثم طرح في النار**) قدر عمله السيء وما طرح عليه (**رواه مسلم**).

٢١٩ - (**وعن**) أم المؤمنين (**أم سلمة**) هند بنت أبي أمية المخزومي (**رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: إنما أنا بشر**) من الحصر الخاص الذي دلت عليه قرينة الحال، (**وإنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم أن**) قال الطيبي زائدة تشبيهًا للعمل بعسى أي لعله (**يكون ألحن**) أي أفصح أو أفطن (**بحجته من بعض**) فيزين كلامه بحيث أظنه صادقًا في دعواه (**فأقضي له على نحو ما أسمع**) قال الراغب ألحن بحجته أي ألسن

فَمَن قَضَيْتُ لَهُ بِحَقّ أَخِيهِ فَإِنَّما أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ». متفق عليه.

«ألحن» أي أعْلَمَ.

٢٢٠ - وعن ابنِ عُمَرَ رضي اللَّهُ عنهما قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ «لَن يَزَالَ الْمُؤْمِنُ في فُسْحَةٍ مِن دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا». رواه البخاري.

٢٢١ - وعن خَوْلَةَ

وأفصح وأبين كلامًا وأقدر على الحجة. قال العاقولي: وفي الحديث أنه يجوز عليه ﷺ في أمور الأحكام ما يجوز على غيره وأنه إنما يحكم بين الناس بالظاهر وهذا لطف من الله تعالى ليستنّ الناس به ويبقوا في ستر من الفضيحة العظمى إذ لو اطلع أحد على الغيب لم يحتج أحد إلى شاهد في دعواه ولظهر من كل مبطل ما قصده ونواه، وهذا إنما هو في الحكم المستند إلى الشهادة (**فمن قضيت له بحق أخيه**) لظاهر بيانه وحجته وهو يعلم أنه مبطل في نفس الأمر فلا يأخذه (**فإنما أقطع له**) أي أعين له بناء على ظاهر الأمر (**قطعة من النار**) أي فهو حرام يؤول به إليها كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [سورة النساء] أي جزاؤهم ذلك إن لم يعف الله عنهم (**متفق عليه. ألحن**) المذكور في الحديث (**أي أعلم**).

٢٢٠ - (**وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: لن يزال المؤمن في فسحة**) بضم الفاء وسكون السين وبالحاء المهملتين أي سعة (**من دينه**) ورجاء رحمة من ربه وإن ارتكب الكبائر (**ما لم يصب**) بضم أوله وكسر ثانيه أي يباشر (**دمًا حرامًا**) فإذا قتل نفسًا بغير حق ضاقت عليه المسالك ودخل في زمرة الآيسين من رحمة الله كما ورد في حديث أبي هريرة مرفوعًا «من أعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة لقي الله مكتوبًا بين عينيه: ءايس من رحمة الله» قيل: المراد بشطر الكلمة قول «أق» وهو من باب التغليظ (**رواه البخاري**).

٢٢١ - (**وعن خولة**) بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو ويقال لها

بِنْتِ ثامِرٍ الأَنْصارِيَّةِ وَهِيَ امْرأَةُ حمْزَةَ رضي اللَّهُ عنه وعنها قالت: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ رِجَالا يَتَخَوَّضونَ في مالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامةِ». رواه البخاري.

خويلة (**بنت ثامر**) بالمثلثة وكسر الميم (**الأنصارية وهي**) أم محمد (**امرأة حمزة**) بن عبد المطلب (**رضي الله عنه وعنها**) وفي نسخة «عنهما» بضمير التثنية وهي أخصر. قتل عنها حمزة يوم أحد فخلف عليها النعمان بن عجلان الأنصاري الذرقي (**بنت**) ثامر (**قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن رجالاً يتخوّضون**) أي يتصرفون (**في مال الله بغير حق**) أي يتصرفون في أموال المسلمين بالباطل. ففيه أن التصرف فيها لا يجوز بمجرد التشهي (**فلهم النار يوم القيامة**). قال الحافظ في «الفتح»: «هذا حكم مرتب على الوصف المناسب وهو الخوض في مال الله، ففيه إشعار بالغلبة» (**رواه البخاري**) ورواه الترمذي من حديث خولة بنت قيس وزاد أوله «إن هذا المال حلوة خضرة من أصابه بحقه بورك له فيه، وربّ متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة إلا النار» قال الترمذي: حسن صحيح.

تم المجلد الأول ويليه المجلد الثاني
وأوله باب تعظيم حرمات المسلمين
وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم

فهرس المواضيع

- المقدمة ٣
- ترجمة موجزة للنووي ٥
- صور المخطوطات ١٤
- مقدمة المؤلف ٢٠
- بابُ الإخلاص وإحضارِ النية في جميعِ الأعمالِ والأقوالِ والأحوالِ البارزةِ والخفيةِ ٣٤
- باب التوبة ٦٠
- باب الصبر ١٠٢
- باب الصدق ١٥٢
- باب المراقبة ١٦٠
- باب التقوى ١٨٣
- باب اليقين والتوكل ١٨٩
- باب في الاستقامة ٢٠٩
- باب في التفكر في عظيم مخلوقات الله تعالى وفناء الدنيا وأهوال الآخرة وسائر أمورها وتقصير النفس وتهذيبها وحملها على الاستقامة ٢١٤

- باب في المبادرة إلى الخيرات وحث من توجه لخير على الإقبال عليه بالجد من غير تردد ٢١٧
- باب في المجاهدة ٢٢٦
- باب في الحث على الازدياد من الخير في أواخر العمر ٢٥٠
- باب في بيان كثرة طرق الخير ٢٥٨
- باب في الاقتصاد في العبادة ٢٨٦
- باب في المحافظة على الأعمال ٣٠٧
- باب في الأمر بالمحافظة على السُّنَّة وءادابها ٣١٠
- باب في وجوب الانقياد لحكم الله تعالى وما يقوله من دُعي إلى ذلك وأُمِرَ بمعروف أو نُهِيَ عن منكر ٣٢٧
- باب في النهي عن البدع ومحدثات الأمور ٣٣١
- باب فيمن سنَّ سُنَّةً حَسَنةً أو سَيّئةً ٣٣٤
- باب في الدلالة على خير والدعاء إلى هدى أو ضلالة ٣٤١
- باب في التعاون على البر والتقوى ٣٤٦
- باب في النصيحة ٣٥١
- باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٥٥
- باب تغليظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهى عن منكر وخالف قولُه فعلَه ٣٧٤
- باب الأمر بأداء الأمانة ٣٧٧

- باب تحريم الظلم والأمر برد المظالم ٣٩٤
- فهرس المواضيع ٤١٨

قطوف الرياحين

في شَرح ريَاض الصَّالحِين

جمع
الدّكتُور كمال الحُوت

الجزء الثاني

شركة دار المشاريع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٢٧ - باب تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم

قال الله تعالى ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الحج]، **وقال تعالى** ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الحج]، **وقال تعالى** ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الحِجْر]،

باب تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم

(**باب تعظيم حرمات**) بضمتين جمع حرمة بضم فسكون، وهي ما لا يحلّ انتهاكه من أهل ومال (**المسلمين وبيان حقوقهم**) على إخوانهم المسلمين (**والشفقة**) معطوف على تعظيم (**عليهم ورحمتهم**).

(**قال الله تعالى** ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ ﴿٣٠﴾﴾) أحكامه وسائر ما لا يحل هتكه (﴿فَهُوَ ﴿٣٠﴾﴾) أي فالتعظيم (﴿خَيْرٌ ﴿٣٠﴾﴾) أي قربة وزيادة في الطاعة (﴿لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴿٣٠﴾﴾).

(**وقال تعالى** ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾) دين الله (﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾) أي فإن تعظيمها منه من أفعال ذوي القلوب لأنها منشأ التقوى والفجور والإمرة بهما.

(**وقال تعالى**) مخاطبًا لنبيه ﷺ (﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾) وتواضع لهم وارفق بهم.

وقال تعالى ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴿٣٢﴾﴾ [سورة المائدة].

٢٢٢ - وعنْ أَبي موسى رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«الْمُؤْمنُ لِلْمُؤْمن كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بعْضُهُ بَعْضًا». متفق عليه.**

٢٢٣ - وعنه رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَن مَرَّ في شَيءٍ مِن مَسَاجِدِنَا أَوْ أَسْوَاقِنَا**

(**وقال تعالى** ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾) أي بغير نفس توجب القصاص (﴿أَوْ﴾) بغير (﴿فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾) كالشرك وقطع الطريق. وثبت بالسنة رجم الزاني المحصن وقتل تارك الصلاة (﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾) من حيث إنه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه (﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾) أي تسبب لبقاء حياتها بعفو أو منع عن القتل أو استنقاذ من بعض أسباب الهلكة (﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴿٣٢﴾﴾) أي كأنه فعل ذلك بهم جميعًا والمطلوب منه تعظيم قتل النفس وإحياؤها في القلوب ترهيبًا من التعرض لها وترغيبًا في المجافاة لها.

٢٢٢ - (وعن أبي موسى) الأشعري **(رضي الله عنه قال: قال رسول الله** ﷺ: **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا)** قال القرطبي: هذا تمثيل يفيد الحض على معاونة المؤمن للمؤمن ونصرته وأن ذلك أمر متأكد لا بد منه، فإن البناء لا يتم ولا تحصل فائدته إلا بأن يكون بعضه يمسك بعضًا ويقويه. وكذا المؤمن لا يشتغل بأمر دنياه ودينه إلا بمعاونة أخيه ومعاضدته ومناصرته، وشبك يحتمل أن يكون النبي ﷺ وأن يكون الراوي بين أصابعه وذلك تقريب لوجه التشبيه وبيان للتداخل **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في الصلاة والأدب، ومسلم في الأدب من «صحيحيهما».

٢٢٣ - (وعنه رضي الله عنه) أي أبي موسى **(قال: قال رسول الله** ﷺ: **من مرّ في شيء من مساجدنا أو أسواقنا)** قال الحافظ ابن حجر: «هو تنويع من

ومَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ أَوْ لِيَقْبِضْ عَلَى نِصالِهَا بِكفّهِ أَن يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمينَ مِنْهَا بِشَيءٍ». متفق عليه.

٢٢٤ - وعنِ النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ رضي اللَّهُ عنهما قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ في تَوَادّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وَتعاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَداعَى لهُ سائِرُ الْجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى».

الشارع وليس شكًّا من الراوي» **(ومعه نبل)** والنبل بفتح النون وسكون الموحدة السهام العربية وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها **(فليمسك أو)** شك من الراوي **(ليقبض)** بكسر اللام للأمر أيضًا **(على نصالها)** بكسر النون وبالمهملة الحديدة التي في رأس السهم **(بكفه)** مخافة **(أن يصيب أحدًا من المسلمين منها)** أي بسبب النصال فمن تعليلية **(بشيء)** فيتأذى به **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، ومسلم في الأدب.

٢٢٤ - (وعن النعمان) بضم النون وسكون العين المهملة **(ابن بشير)** بفتح الموحدة وكسر الشين المعجمة وسكون التحتية **(رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: مثل)** بفتح أوليه، أي صفة **(المؤمنين)** وفي نسخة «المسلمين» أي الكاملين الإيمان **(في توادهم)** بتشديد الدال والأصل تواددهم فأدغم، والتوادد تفاعل من المودة وهي تقرب شخص من ءاخر بما يحب. **(وتراحمهم وتعاطفهم)** قال الحافظ ابن حجر: «قال ابن أبي جمرة: الذي يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف» اهـ **(مثل الجسد)** أي بالنسبة إلى جميع أعضائه، وجه الشبه فيه التوافق في التعب والراحة كما بينه بقوله **(إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد)** أي دعا باقيه بعضه إلى بعض إلى المشاركة في الألم، يقال تداعت الحيطان أي تساقطت أو كادت **(بالسهر والحمى)** وتداعيه بالسهر لأن الألم يمنع النوم، وأما الحمى فلأن فقد النوم يثيرها. والحمى بضم المهملة وتشديد الميم عرّفها حذاق الأطباء بأنها حرارة غريبة تشتعل في القلب فتنبثّ منه في جميع البدن فيشتعل اشتعالًا يضرّ بالأفعال الطبيعية. قال الحافظ ابن

متفقٌ عليه.

٢٢٥ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: «قَبَّلَ النَّبيُّ ﷺ الْحسنَ بنَ عَلِيٍّ رضي اللَّهُ عنهما وَعِنْدهُ الأَقْرعُ بْنُ حَابِسٍ، فقال الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرةً مِنَ الْولَدِ ما قَبَّلتُ مِنْهُمْ أَحدًا، فَنظرَ إِليْهِ رسولُ اللّه ﷺ فقال: «مَن لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ».

حجر: «قال ابن أبي جمرة: شبه النبي ﷺ الإيمان بالجسد وأهله بالأعضاء لأن الإيمان أصل وفروعه التكاليف، فإذا أخل المرء بشيء من التكاليف شان ذلك الإخلال الأصل، وكذلك الجسد أصل كالشجر وأعضاؤه كالأغصان، فإذا اشتكى عضو من الأعضاء اشتكت الأعضاء كلها كالشجرة إذا ضرب غصن من أغصانها اهتزت كلها بالتحرك والاضطراب» اهـ. قال القاضي عياض: وفي الحديث تعظيم حقوق المسلمين والحضّ على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضًا (**متفق عليه**).

٢٢٥ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل النبي ﷺ) سبطه وريحانته **(الحسن بن علي رضي الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس)** واسم الأقرع فراس شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحنينًا وحصار الطائف. قال الحافظ في «فتح الباري»: «وهو من المؤلفة وممن حسن إسلامه» **(فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد)** بفتحتين **(ما قبلت منهم أحدًا)** وذلك لما في أهل البادية من الغلظ والجفاء كما في الحديث «من بدا فقد جفا» **(فنظر إليه رسول الله ﷺ)** متعجبًا من تلك الغلظة الناشئ عنها عدم الشفقة على الأولاد الناشئ عنها عدم تقبيلهم وحملهم وشمهم **(فقال)** عقب نظره إليه **(من لا يرحم)** بالبناء للفاعل وحذف المفعول للتعميم أي من لا رحمة عنده **(لا يرحم)** بالبناء للمفعول أي لا يرحمه الله. قال الحافظ في «فتح الباري»: «هو بالرفع فيهما على الخبر». قال ابن أبي جمرة: يحتمل أن يكون من لا يرحم غيره بأيّ نوع من أنواع الإحسان لا يحصل له هذا الثواب كما قال تعالى ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الرحمٰن] وفي جواب النبي ﷺ للأقرع إشارة إلى أن

متفقٌ عليه.

٢٢٦ - وعن عائشةَ رضي اللَّهُ عنها قالت: قَدِم ناسٌ مِنَ الأَعْرابِ علَى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالوا: أَتُقبّلونَ صِبْيانَكُمْ؟ فقالوا: «نَعَمْ»، قالوا: لَكِنَّا واللَّهِ ما نُقَبّلُ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَأَمْلِكُ إِن كَانَ اللّهُ نَزعَ منكم الرَّحمَةَ». متفقٌ عليه.

٢٢٧ - وعن جَريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن لا يَرْحَمُ النَّاسَ

تقبيل الولد وغيره من الأهل والمحارم والأجانب إنما يكون للشفقة والرحمة، لا للشهوة واللذة، وكذا الضم والمعانقة والشم **(متفق عليه)** وروى أحمد والشيخان والترمذي عن جرير «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله».

٢٢٦ - (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم) بكسر الدال المهملة **(ناس)** اسم جنس وهو اسم جمع كرجال **(من الأعراب)** هم سكان البوادي **(على رسول الله ﷺ)** وفي رواية البخاري «جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ» **(فقالوا)** وقد رأوا المسلمين يقبلون صغارهم **(أتقبلون صبيانكم)** بكسر الصاد وضمها جمع صبي **(فقالوا)** أي المسلمون وفي نسخة «فقال أي النبي ﷺ **(نعم قالوا)** أي الأعراب **(لكنا والله ما نقبل)** من حذف المفعول للتعميم، أي صغارنا **(فقال رسول الله ﷺ: أوأملك)** بالهمزة للاستفهام الإنكاري وهو بفتح الواو العاطفة والتقدير تنزع الرحمة من قلبك وأملك أي أقدر أن أجعلها في قلبك، فمفعول أملك محذوف، وقوله **(إن كان الله نزع منكم)** أي من قلوبكم **(الرحمة)** أي لا أملك وضعها في قلوبكم لأن الله نزعها منكم **(متفق عليه)** وهذا لفظ مسلم.

٢٢٧ - (وعن جرير بن عبد الله) البجلي **(رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من لا يرحم الناس)** خصوا بالذكر اهتمامًا بهم وإلا

لا يَرحمْهُ اللّهُ». متفقٌ عليه.

٢٢٨ - وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إذا صلَّى أَحَدُكُم للنَّاسِ فَلْيُخَفّفْ فَإنَّ فِيهِمُ الضَّعيفَ والسَّقيمَ والكَبِيرَ، وَإذا صَلَّى أَحَدُكُم لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوّلْ مَا شَاءَ». متفقٌ عليه. وفي روايةٍ: «وَذا الحَاجَةِ».

فالرحمة مطلوبة لسائر المخلوقات حتى الدوابّ والبهائم. ففي كل كبد حرى رطبة أجر قال النووي: «هذا عام يتناول رحمة الأطفال وغيرهم» **(لا يرحمه الله)** قال العاقولي: الرحمة بمعنى التعطف والرقة، فهي من الخلق بالمعنى الحقيقي ومن الله بالمعنى الغائي وهو الرضى عنه وإيصال النعم إليه **(متفق عليه)**.

٢٢٨ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا صلى أحدكم) إمامًا **(للناس)** وفي رواية مسلم «إذا أمّ أحدكم» **(فليخفف)** بأن يقتصر على أواسط المفصل وصغاره، وفي التسبيح في الركوع والسجود على ثلاث مرات، ويأتي بكمال التشهد والصلاة على النبي ﷺ وهذا في إمام العامة أما إمام قوم محصورين لم يتعلق بعينهم حق، راضين بالتطويل في مسجد لا يطرقهم غيرهم فلا بأس به ومحل ذلك أيضًا في غير ما لم يرد فيه قراءة سورة معينة وإلا ك ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ۝٢﴾ [سورة السجدة] و﴿هَلۡ أَتَىٰ ۝١﴾ [سورة الإنسان] في صبح الجمعة، و﴿قٓۚ﴾ [سورة ق] و﴿ٱقۡتَرَبَتِ ۝١﴾ [سورة القمر] في العيد ونحو ذلك فيأتي به وإن لم يرض القوم اكتفاء بوروده من فعله ﷺ **(فإن فيهم الضعيف)** قال الحافظ: «أي ضعيف الخِلقة» **(والسقيم)** قال الحافظ: «أي من به مرض» **(والكبير)** أي في السن والجملة تعليل للأمر المذكور، **(وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء)** ولمسلم «فليصل كيف شاء» أي مخففًا أو مطولًا **(متفق عليه)** ورواه أبو داود والترمذي **(وفي رواية)** أي في «الصحيحين» وهي عند أبي داود أيضًا **(وذا الحاجة)** أي صاحب حاجة يريد قضاءها عقب الصلاة.

٢٢٩ - وعن عائشةَ رضي اللَّهُ عنها قالَتْ: «إنْ كان رسولُ اللَّهِ ﷺ لَيَدَعُ الْعَمَلَ وهُوَ يُحِبُّ أَن يَعْمَلَ بِهِ خَشْيةَ أَن يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فيُفْرَضَ علَيْهِمْ». متفقٌ عليه.

٢٣٠ - وعنْهَا رضي اللَّهُ عنها قالَتْ: نَهَاهُمُ النَّبيُّ ﷺ عَنِ الْوِصالِ رحْمةً لهُمْ، فقالوا: إِنَّكَ تُواصلُ، قال: «إِنّي لَسْتُ كَهَيئَتِكُمْ إِنّي يُطْعِمُنِي ربّي ويَسْقِينِي».

---

٢٢٩ - (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن) مخففة من الثقيلة أي إنه **(كان رسول الله ﷺ)** من كمال شفقته على أمته **(ليدع)** أي يترك **(العمل)** واللام هي الفارقة بين المخففة وإن النافية، وجملة **(وهو يحب أن يعمل به)** في محل الحال ومحبته للعمل لما فيه من التقرّب إلى الله عزّ وجلّ والتوسل إلى زيادة مراضيه، وقوله: **(خشية)** مفعول **(أن يعمل به الناس)** اتباعًا له إذا فعله وهم مقتدون به في سائر الأحوال **(فيفرض عليهم)** ومن ذلك ترك الخروج إلى قوم لصلاة الليل جماعة في الليلة الثالثة أو الرابعة من رمضان حتى طلع الفجر، فخرج عليهم وقال: «ما منعني إلا خشية أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها» قال النووي: «فيه بيان شفقته ﷺ ورأفته بأمته» **(متفق عليه)**.

٢٣٠ - (وعنها) أي عائشة **(قالت: نهاهم)** أي الصحابة **(النبي ﷺ عن الوصال)** وهو أن لا يتناول مفطرًا بين الصومين، والنهي فيه عند الشافعية للتحريم **(رحمة لهم)** علة للنهي ولا يمنع من كونه على وجه التحريم ويكون سبب التحريم الشفقة عليهم لئلا يتكلفوا ما يشق عليهم **(فقالوا: إنك تواصل)** أي وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر تفعل ذلك تقرّبًا إلى الله **(قال)** مبينًا لاختصاص قربة الوصال به **(إني لست كهيئتكم)** أي على صفتكم ومنزلتكم من الله أي إن له ﷺ من القرب من الله تعالى وعلوّ المنزلة عنده ما ليس لهم **(إنى يطعمني)** بضم أوله **(ربي ويسقيني)** يجوز فتح أوله وضمه من سقى وأسقى إلا أن تصح رواية

متفقٌ عليه.

مَعنَاهُ: يَجعَلُ فيَّ قُوَّةَ مَنْ أَكَلَ وَشَرِبَ.

٢٣١ - وعن أَبِي قَتادةَ الْحارِث بنِ رِبْعِيٍّ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنّي لأَقُومُ إِلَى الصَّلاةِ وَأُرِيدُ أَن أُطَوِّل فِيها فَأَسْمعُ بُكَاءَ الصَّبِيّ فَأَتَجَوَّزُ في صلاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمّهِ». رواه البخاري.

بأحدهما فيرجع إليها (**متفق عليه**) أخرجه مسلم في كتاب الصوم وكذا البخاري فيه (**معناه**) أي المعنى المراد من قوله يطعمني إلخ (**يجعل فيّ**) بتشديد الياء (**قوة من أكل وشرب**) أي يجعل فيّ القوة المذكورة ويفيض عليّ ما يسد مسد الطعام والشراب، والقوّة على أنواع الطاعات من غير ضعف في القوة ولا كلال في الإحساس.

٢٣١ - (**وعن أبي قتادة الحارث بن ربعي**) الأنصاري (**رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطول فيها**) جملة حالية من فاعل أقوم أو معطوفة على جملة لأقوم، وإرادته التطويل فيها لما يناله من قرة عينه بمناجاته ربه ولذيذ أنسه به كما قال: «وجعلت قرّة عيني في الصلاة» (**فأسمع بكاء الطفل**) قال في «الصحاح»: الطفل هو المولود، قال الحافظ ابن حجر: يطلق على الشخص قبل البلوغ أنه طفل وغلام (**فأتجوز**) أي أخفف (**في صلاتي**) بين مسلم في رواية له عن أنس محل التخفيف منها ولفظه «فيقرأ بالسورة القصيرة» (**كراهية**) بتخفيف الياء مصدر كره وهو مفعول له أي لكراهة (**أن أشق على أمه**) بدوامها في الصلاة لتطويلها مع بكاء ابنها، وذكر الأم خرج مخرج الغالب وإلا فمن في معناها ملحق بها، والتخفيف السابق في حديث أبي هريرة لحقّ المأمومين، وفي هذا لمصلحة غير المأمومين لكن بحيث يتعلق بمن يرجع إليه، قال الحافظ: «وفي الحديث شفقته ﷺ على أصحابه ومراعاة أحوال الكبير منهم والصغير» (**رواه البخاري**) في كتاب الصلاة.

٢٣٢ - وعن جُنْدُبِ بنِ عبدِ اللَّهِ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «من صَلَّى صلاةَ الصُّبحِ فَهُوَ في ذِمةِ اللَّهِ فَلا يَطْلُبَنَّكُمُ اللّهُ مِن ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ من يَطْلُبْهُ مِن ذِمَّتِهِ بِشَيءٍ يُدرِكْه ثُمَّ يَكُبَّهُ علَى وجْهِهِ في نَارِ جَهَنَّم» رواه مسلم.

٢٣٣ - وعن ابنِ عُمَرَ رضي اللَّهُ عنهما أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «المُسْلِمُ أَخُو المُسلِمِ لا يَظْلِمُه

---

٢٣٢ - (**وعن**) أبي عبد الله (**جندب**) بضم الجيم والمهملة وبفتحها (**ابن عبد الله**) بن سفيان البجلي العلقي (**رضي الله عنه**) له صحبة ليست بالقديمة (**قال: قال رسول الله ﷺ: من صلى صلاة الصبح**) أي جماعة كما في رواية أخرى لمسلم (**فهو في ذمة الله**) قال النووي: «أي ضمانه وأمانته ورعايته»، وكأنها خصت بذلك لأنها أول النهار الذي هو وقت ابتداء انتشار الناس في حوائجهم المحتاجين فيه وفي دوامه إلى أمن بعضهم من بعض لا لأفضليتها (**فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء**) أي الله قال الطيبي: ويجوز أن يعود إلى من (**فإنه**) أي الشأن (**من يطلبه**) أي الله (**من ذمته**) أي من عهده، بأن خفره فيه وتعرض لمن هو فيه ولو (**بشيء**) يسير (**يدركه**) إذ لا مهرب منه (**ثم**) بعد إدراكه (**يكبه**) بفتح حرف المضارعة وهو أحد الأفعال التي ثلاثيها متعدّ وإذا زيدت فيه الهمزة صار قاصرًا أي يلقيه (**على وجهه في نار جهنم**) والمعنى من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا تتعرضوا له بشيء يسير، فإنكم إن تعرضتم له يدرككم الله ولن تفوتوه فيكبكم في نار جهنم (**رواه مسلم**) في كتاب الصلاة.

٢٣٣ - (**وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: المسلم أخو المسلم**) قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحجرات] قال البيضاوي: أي من حيث إنهم منسوبون إلى أصل وهو الإيمان الموجب للحياة الأبدية اهـ. ورتب على هذه الأخوة المقتضية لمزيد الشفقة والتناصر والتعاون قوله (**لا يظلمه**) بأن ينقصه من ماله أو

ولا يُسْلِمُهُ، من كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللّهُ فِي حاجتِهِ، ومَن فَرَّج عن مُسْلِم كُرْبةً فرَّجَ اللّهُ عنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِن كُرَبِ يوْمِ الْقِيامَةِ، ومَن ستَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». متفق عليه.

٢٣٤ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِم، لا يخُونُهُ ولا يَكْذِبُهُ ولا يَخْذُلُهُ،

من حقه بغصب أو نحوه، ولا يسلمه إلى عدوّ متعد عليه عدوانًا بل ينصره ويدفع الظلم عنه ويدفعه عن الظلم كما سيأتي في حديث «انصر أخاك ظالمًا» أي بكفّه عن الظلم (**ولا يسلمه**) إلى عدوه ومنه نفسه التي هي أمارة بالسوء والشيطان كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ ﴿٦﴾﴾ [سورة فاطر] (**من كان في حاجة أخيه**) أي ما يحتاج إليه حالًا أو مآلًا (**كان الله في حاجته**) جزاء وفاقًا ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الرحمٰن] (**ومن فرج**) بتشديد الراء (**عن مسلم كربة**) بضم الكاف: الهم الذي يأخذ النفس (**فرج الله عنه بها**) أي بتلك المرة من التفريج (**كربة من كرب**) بضم ففتح جمع كربة كقربة وقرب (**يوم القيامة ومن ستر مسلمًا**) قال الحافظ: «أي رءاه على قبيح فلم يظهره للناس، والذي يظهر أن الستر محله في معصية قد انقضت والإنكار في معصية قد حصل التلبس بها فيجب الإنكار عليه» (**ستره الله يوم القيامة**) بأن لا يعاقبه على ما فرط منه لأنه تعالى حييّ كريم، وستر العورة من الحياء والكرم (**متفق عليه**).

٢٣٤ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**المسلم أخو المسلم**) كالتعليل للحكم المذكور لأن الأخوة مقتضية للشفقة داعية للمعروف والمنفعة (**لا يخونه**) من الخيانة ضد الأمانة (**ولا يكذبه**) يجوز أن يكون بفتح الياء أي يخبره خبرًا كاذبًا ومنه قوله تعالى ﴿كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة التوبة] ويجوز أن يقرأ بضم أوله وسكون ثانيه وتخفيف ثالثه أي لا يلقيه للمخبر بفتح الباء كاذبه أو بتشديد الثالث أي لا ينسبه إلى الكذب (**ولا يخذله**) بضم الذال

كُلُّ الْمُسْلِمِ علَى الْمُسْلِمِ حرامٌ عِرْضُهُ ومالُه ودمُهُ، التَّقْوىٰ هٰهنَا، بِحسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرّ أَن يحْقِر أَخاهُ المسلمَ». رواه الترمذيُّ وقال: حديث حسن.

٢٣٥ - وعنه رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَحاسدُوا

المعجمة أي لا يترك نصرته المشروعة سيما مع الاحتياج والاضطرار قال الله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة المائدة] فالخذلان محرم دنيويًّا كان كأن يقدر على نصرة مظلوم ودفع ظالمه عنه فلا يدفعه، أو دينيًّا كأن يقدر على نصحه عن نحو غيبة فيترك **(كل المسلم)** فيه ردّ على من زعم منع إضافة كل للمعرفة **(على المسلم حرام عرضه)** أي حسبه ومفاخره ومفاخر ءابائه بأن تنتهك بالسبّ والغيبة والبهت **(وماله)** بأن يغصب أو يخان فيه **(ودمه)** أي نفسه بأن يتعرض لها بقتل أو أطرافها وأدلة تحريم هذه الثلاثة مشهورة في الكتاب والسنة وإجماع الأمة إذا لم يعرض ما يبيحها شرعًا كالقتل قودًا وأخذ مال المرتد فيئًا وتوبيخ المسلم تعزيرًا ونحو ذلك **(التقوى هٰهنا)** أي في القلب **(بحسب)** بإسكان السين، والباء فيه مزيدة وهو مبتدأ أي كافي **(امرئ)** أي شخص **(من الشر)** في أخلاقه ومعاشه ومعاده **(أن يحقر أخاه المسلم)** قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرّة من كبر» وقد فسره في الحديث بقوله: «الكبر بطر الحق وغمط الناس» أي احتقارهم ومنه أن لا يبدأه بالسلام احتقارًا له ولا يرده عليه **(رواه الترمذي وقال حديث حسن)** وقال النووي في «الأذكار»: وما أعظم نفعه وأكثر فوائده اهـ.

٢٣٥ - (وعنه رضي الله عنه) أي عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: لا تحاسدوا)** أي لا يحسد بعضكم بعضًا، وأصله تتحاسدوا بتاءين حذفت إحداهما تخفيفًا. وقد أجمع على حرمة الحسد وقبحه، ونصوص الشرع الواردة بذلك كثيرة في الكتاب والسنة. وهو لغة وشرعًا: تمني

ولا تنَاجشُوا ولا تَباغَضُوا ولا تَدابرُوا ولا يبِعْ بعْضُكُمْ علَى بيْعِ بعْضٍ،

زوال نعمة المحسود[1]، ويخالف الغبطة فإنما هي تمني مثل تلك النعمة مع بقائها لصاحبها. والحسد أقسام فمنهم من يسعى بلسانه ويده في نقل نعمة المحسود لنفسه أو لغيره وهو أخبث أنواعه **(ولا تناجشوا)** أي لا ينجش بعضكم على بعض بأن يزيد في السلعة لا لرغبة فيها بل ليخدع غيره وهو حرام إجماعًا على العالم بالنهي سواء كان بمواطأة البائع أم لا لأنه غش وخداع وهما محرّمان ولأنه ترك للنصح الواجب، ويصح تفسير النجش هنا بما هو أعم من ذلك لأن النجش لغة إثارة الشيء بالمكر والحيلة والخداع فالمعنى لا تتخادعوا ولا يعامل بعضكم بعضًا بالمكر والاحتيال وإيصال الأذى إليه، قال تعالى ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة فاطر] فيدخل فيه على هذا جميع أنواع المعاملات بالغش ونحوه كتدليس عيب وكتمه وخلط جيد برديء **(ولا تباغضوا)** أي لا يبغض بعضكم بعضًا أي لا تتعاطوا أسباب البغض لأنه قهري كالحبّ لا قدرة للإنسان على اكتسابه ولا يملك التصرف فيه، وهو النفرة عن الشيء لمعنى فيه مستقبح وترادفه الكراهة، ثم هو بين اثنين إما من جانبيهما أو من جانب أحدهما، وعلى كل فهو لغير الله تعالى مذموم وهو محمل الحديث **(ولا تدابروا)** أي لا يدبر بعضكم عن بعض أي يعرض عما يجب له من حقوق الإسلام كالإعانة والنصر وعدم الهجران في الكلام أكثر من ثلاثة أيام إلا لعذر شرعي كرجاء صلاح أحدهما **(ولا يبع)** نهي تحريم عندنا **(بعضكم)** معشر المكلفين من المسلمين **(على بيع بعض)** فلا يجوز لأحد بغير إذن البائع أن يقول لمشتري سلعة في زمن الخيار افسخ هذا البيع وأنا أبيعك مثله بأرخص من ثمنه أو

---

(١) قال ابن حجر «الحسد تمني زوال نعمة المحسود وعودها إليك» قال في «المصباح المنير» «إذا كرهتها عنده وتمنيت زوالها عنه». والمقصود إذا عمل بمقتضى ذلك.

وكُونُوا عِبادَ اللّهِ إِخْوانًا. الْمُسْلِمُ أَخو الْمُسْلِم لا يَظلِمُه ولا يَخْذُلُه ولا يَحْقِرُهُ، التَّقْوى هٰهُنَا - ويُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثلَاثَ مرَّاتٍ -

---

أجود منه بثمنه وذلك لما فيه من الإيذاء الموجب للتنافر والبغض، ومثله الشراء بغير إذن المشتري بأن يقول ءاخر لبائع زمن الخيار افسخ البيع لأشتريه منك بأغلى **(وكونوا عباد الله)** أي يا عباد الله **(إخوانًا)** أي اكتسبوا ما تصيرون به إخوانًا مما سبق ذكره وغيره مما يدعو إلى الألفة ويمنع من النفرة: أي تعاونوا وتعاشروا معاملة الإخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير مع صفاء القلب والنصيحة بكل حال **(المسلم أخو المسلم)** أي لأنهما لجمع دين واحد لهما أشبها الأخوين المجتمعين في ولادة من صلب أو رحم أو منهما بل الأخوة الدينية أعظم من الأخوة الحقيقية لأن ثمرة هذه دنيوية وثمرة تلك أخروية **(لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره)** بفتح أوله وبالمهملة والقاف المكسورة أي لا يستصغر شأنه ويضع من قدره، فالاحتقار ناشئ عن الكبر فهو بذلك يحتقر الغير ويراه بعين النقص ولا يراه أهلًا لأن يقوم بحقه. وللإسلام حقوق ذكرت في غير هذا الحديث وجمعت في حديث «لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه» **(التقوى)** وهي اجتناب عذاب الله بفعل المأمور وترك المحظور **(هٰهنا ويشير)** بيده **(إلى صدره ثلاث مرات)** أي محل مادتها من الخوف الحاصل عليها القلب الذي هو عند الصدر. قال ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم» أي إن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوى، إنما تحصل بما يقع في القلب من عظيم خشية الله ومراقبته، فمن ثم كان نظر الله بمعنى مجازاته ومحاسبته على ما في القلب من خير وشرّ دون الصور الظاهرة إذ الاعتبار في ذلك كله بالقلب.

وفي الحديث دليل على أن العقل في القلب دون الرأس ووجه مناسبة هذا لما قبله الإعلام بأن كرم الخلق إنما هو التقوى فربّ حقير عند

بِحسْبِ امرئ مِنَ الشَّرّ أَن يَحْقِر أَخَاه الْمُسلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلى الْمُسلِمِ حرامٌ دمُهُ وَمالُهُ وعِرْضه». رواه مسلِم.

«النَّجَش»: أن يَزيد في ثمن سِلعة ينادى عليها في السوق ونحوِه ولا رغبةَ له في شرائها بل يقصدُ أن يغُرَّ غيره وهذا حرام. و«التدابر»: أن يُعْرِض عن الإنسان ويَهجُرَه ويجعلَه كالشيء الذي وراء الظهر والدُّبُر.

٢٣٦ - وعن أَنس رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قال: «لا يُؤْمِنُ أَحدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

الناس أعظم قدرًا عند الله من كثير من عظماء الدنيا (**بحسب امرئ من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**) وقدم هنا الدم أي النفس لأنها الأصل والمال لتعلق النفس به أتمّ لكونه قوامها فلم يظهر وجه تأخير العرض حينئذٍ، وحكمة تقديمه عليهما ثمة أن الابتلاء بالوقوع فيه أكثر منه فيهما، فابتدئ به اهتمامًا به زيادة في التحذير منه والبعد عنه (**رواه مسلم**).

(**النجش**) بسكون الجيم لغة، إثارة الشيء بالمكر والخديعة، وشرعًا (**أن يزيد في ثمن سلعة ينادى عليها في السوق ونحوه**) من مواطن البيع (**ولا رغبة له في شرائها بل يقصد أن يغرّ غيره**) أما إذا كان المال لنحو يتيم ورءاه يباع بأقل من ثمن المثل وقصد وصوله لثمن مثله الواجب فيه لا إضرار الغير فلا (**وهذا حرام**) مع العلم (**والتدابر أن يعرض**) أي الإنسان (**عن الإنسان**) احتقارًا له (**ويهجره**) فوق ثلاثة أيام (**ويجعله كالشيء الذي وراء الظهر والدبر**) في الاحتقار به وعدم الاهتمام بشأنه.

٢٣٦ - (وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا يؤمن أحدكم) أي إيمانًا كاملًا (**حتى يحبّ لأخيه**) أي المسلم فيجب على كل مسلم من حيث إنه مسلم أن لا يخص أحدًا منهم دون الآخر لأن إضافة المفرد تفيد العموم (**ما يحبّ لنفسه**) من الطاعات والمباحات أي

متفقٌ عليه.

٢٣٧ - وعنه رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فقَال رَجُلٌ: يَا رسولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَرأَيْتَ إِن كان ظالمًا كيف أنصُرُهُ؟ قال: «تَحْجُزُهُ - أو تمنَعُهُ - من الظلم فإنَّ ذلك نَصرُهُ». رواه البخاري.

ويبغض له مثل ما يبغضه لنفسه وسكت عنه مع كونه من كمال الإيمان اكتفاء بذكر ضده. قال العلماء في هذا الحديث من الفقه أن المؤمن مع المؤمن كالنفس الواحدة، فينبغي أن يحبّ لها ما يحبّ لنفسه من حيث إنها نفس واحدة كما في الحديث «المسلمون كالجسد الواحد» الحديث. ولا يخفى أن ذلك يؤدي إلى التعاضد والتناصر، وبه ينتظم شمل الإيمان وتتأيد شرائعه كما علم مما مر في الحديث قبله (**متفق عليه**).

٢٣٧ - (وعنه رضي اللَّه عنه) أي أنس **(قال: قال رسول الله ﷺ: انصر أخاك)** ولا تخذله **(ظالمًا)** كان لأنه مظلوم حقيقة كما سيأتي **(أو مظلومًا)** بأن تعدى عليه إنسان في نفسه أو ماله أو عرضه **(فقال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلومًا)** أي بدفع الظلم أو منعه منه **(أرأيت)** أخبرني **(إن كان)** أي أخي **(ظالمًا)** بالتعدي على الغير فيما ذكر **(كيف أنصره؟ قال: تحجزه)** بضم الجيم أي تجعل نفسك حاجزًا له **(أو)** شك من الراوي **(تمنعه من الظلم فإن ذلك)** أي المنع من الظلم **(نصره)** قال الحافظ ابن حجر: «قال ابن بطال: النصر عند العرب الإعانة وتفسيره لنصر الظالم بمنعه من الظلم من تسمية الشيء بما يؤول إليه وهو من وجيز البلاغة. قال البيهقي: معناه أن الظالم مظلوم في نفسه فيدخل فيه ردع المرء عن ظلمه لنفسه حسًا ومعنى فلو رأى إنسانًا يريد أن يَجُبَّ نفسه لظنه أن ذلك يزيل مفسدة طلبه للزنا مثلًا منعه من ذلك وكان ذلك نصرًا له واتحد في هذه الصورة الظالم والمظلوم» **(رواه البخاري)** وأحمد والترمذي.

٢٣٨ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «حقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خمْسٌ: ردُّ السَّلامِ، وَعِيَادةُ الْمريضِ، واتّبَاعُ الْجنَائِزِ، وإِجابةُ الدَّعوةِ، وتَشمِيتُ الْعاطِسِ». متفق عليه.

وفي روايةٍ لمسلم: «حَقُّ الْمُسْلِمِ على المسلم سِتٌّ: إِذا لَقِيتَهُ فسلّم عليْهِ، وإِذا دَعاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فانْصحْ لهُ، وإِذا عطَس

---

٢٣٨ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: حق المسلم) والظاهر أن المراد به هنا الأمر المطلوب على وجه التأكيد، ويؤيده قول الشيخ زكريا يعم وجوب العين والكفاية والندب أي فيفسر بالأمر المطلوب للمسلم **(على المسلم خمس رد السلام)** وهو واجب عينًا إذا كان المسلم عليه واحدًا وكفاية إذا كانوا جمعًا **(وعيادة المريض)** قال الجمهور هي مندوبة **(واتباع الجنائز)** أي تشييعها من محلها أو محل الصلاة فهو سنة متأكدة **(وإجابة الدعوة)** وهي واجبة في وليمة العرس بشروطها المقررة في الفقه وفي سائر الولائم وهي سنة متأكدة **(وتشميت)** بالمهملة وبالمعجمة **(العاطس)** أي الدعاء له بالخير والبركة من السمت أو الشوامت وهي القوائم، كأنه دعاء للعاطس بحسن السمت والهدى أو بالثبات على الطاعة. وهو بعد حمد العاطس سنة متأكدة عينًا إن لم يكن غيره وإلا فكفاية بأن يقول له رحمك الله **(متفق عليه)**.

(وفي رواية لمسلم) عن أبي هريرة أيضًا **(حق المسلم على المسلم ست)** أي ستّ خصال **(إذا لقيته فسلم عليه)** أي ابدأه به ندبًا عينيًّا إن كنت وحدك وإلا فعلى الكفاية **(وإذا دعاك فأجبه)** وجوبًا عينيًّا إذا دعاك إلى وليمة عرس وندبًا إذا دعاك إلى غير وليمة عرس ونحوها **(وإذا استنصحك)** أي طلب منك النصح وهو تحري ما به الصلاح من قول أو فعل **(فانصح له)** وجوبًا عليك بأن تذكر له ما به صلاحه وطلبه ليس شرطًا لوجوب بذله أو ندبه لأنه يجب تارة ويندب أخرى لمن طلب ومن لم يطلب فذكره إنما هو لإفادة أن تأكده بعد الطلب أكثر **(وإذا عطس)**

فحَمِدَ اللّهَ فَشَمّتْهُ، وإِذَا مرِضَ فَعُدهُ، وَإِذَا ماتَ فاتَّبِعْهُ».

٢٣٩ - وعن أَبي عُمارةَ الْبراءِ بنِ عازبٍ رضي اللَّهُ عنهما قال: أَمَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بسبْعٍ ونَهَانَا عَن سبْعٍ: أَمرنَا بِعِيادةِ الْمرِيضِ، وَاتّباعِ الْجَنازةِ، وتَشْمِيتِ الْعاطِسِ، وَإِبْرارِ الْمُقْسِمِ، ونَصْرِ المظْلُومِ، وَإِجابَةِ الدَّاعِي، وإِفْشاءِ السَّلامِ. وَنَهَانا

بفتح الطاء (**فحمد الله فشمته**) بخلاف ما إذا لم يحمد فإنه لا يستحق التشميت لتقصيره بترك الحمد على نعمة العطاس التي وصلت إليه «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب» ولأن العطاس حيث لا عارض من زكام ونحوه إنما ينشأ عن خفة البدن وخلوه عن الأخلاط المثقلة له عن الطاعة بخلاف التثاؤب فإنه ينشأ عن ضد ذلك (**وإذا مرض فعده**) ندبًا متأكدًا في أي يوم كان (**وإذا مات فاتبعه**) ندبًا كذلك من بيته إلى أن يفرغ من دفنه (**رواه مسلم**) ورواه البخاري في «الأدب المفرد».

٢٣٩ - (**وعن أبي عمارة**) بضم العين المهملة وبعد الألف راء (**البراء**) بتخفيف الموحدة والراء وبالمد (**ابن عازب**) الصحابي ابن الصحابي (**رضي الله عنهما قال أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المرضى**) ندبًا في سائر الأوقات فلا تكره إلا أن شقت على المريض (**واتباع الجنائز**) أي تشييعها والمكث إلى الفراغ من دفنها (**وتشميت العاطس**) إذا حمد الله تعالى والأمر في هذه الثلاث للندب (**وإبرار المقسم**) بنحو أقسمت عليك بالله أو نحو والله لتفعلن كذا فيسن له حيث لا مانع تخليصًا له عن ورطة الاستهتار بحقه في الأول وحنثه في الثاني (**ونصر المظلوم**) ولو ذميًا يمنع الظالم عن ظلمه وجوبًا على من قدر على ذلك بفعله أو قوله وهذا يرجع إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا واجب عينًا تارة وكفاية أخرى (**وإجابة الداعي**) وجوبًا تارة وندبًا أخرى (**وإفشاء السلام**) أي إشاعته وإذاعته بأن تقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف (**ونهانا**) أي معشر الرجال وكذا الخناثى

عَنْ خواتِيم أَوْ تَختُّم بِالذَّهبِ، وعن شُرْبٍ بِالْفِضَّةِ، وعَنِ المَياثِرِ الحُمْرِ، وَعَنِ الْقَسّيّ، وَعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ وَالإِسْتَبْرَقِ وَالدّيبَاجِ. متفق عليه.

وفي روايةٍ: «وإِنْشَادِ الضَّالَّةِ» في السَّبعِ الأُول.

«المياثر»: بياءٍ مثنَّاة مِن تَحْتُ قبل الألف وثاءٍ مثلثة بعدها وهي جمع مِيْثرة وهي شيء يُتَّخَذُ من حَريرٍ ويُحْشى قُطْنًا أَو غَيْرُه،

دون النساء (**عن خواتيم أو**) شك من الراوي (**تختم بالذهب**) فيحرم على غيرهن تحريمًا غليظًا لبسه كاستعمال سائر أنواع حلي الذهب إلا نحو أنف وسن وأنملة، ويحرم عليهن استعمال غير الحلي منه كالأواني وكذا الحلي إن خرج عن حيز الاعتدال إلى السرف كخلخال وزنه مائتا مثقال (**وعن شرب بالفضة**) والذهب أولى مع أنه صرح به في حديث ءاخر ومثل الشرب سائر الاستعمال وذكره كالأكل في حديث ءاخر مثال فيحرم استعمال واتخاذ إناء النقدين إلا لحاجة كأن لم يجد غير إنائهما فيجوز استعماله وكذا لو وصف له التكحل بمرود من الذهب لداء بعينه (**وعن**) استعمال (**المياثر الحمر**) بضمتين ويسكن الثاني تخفيفًا والتقييد بذلك باعتبار أنه الأغلب في مراكب الأعاجم رعونة وتزيينًا فهي من حرير أي نوع كان وبأي لون أو مما أكثره حرير وزنًا حرام ولو غير حمراء (**وعن**) استعمال (**القسي وعن لبس الحرير والإستبرق**) وما غلظ من الديباج وضده السندس فهو ما لان منه (**والديباج**) بفتح الدال وكسرها جمعه دبابيج ودبايج وهو عجمي معرب وعطفهما على الحرير من عطف الخاص على العام لأنهما من الحرير (**متفق عليه**).

(**وفي رواية**) لمسلم (**وإنشاد الضالة**) زادها أي الراوي (**في السبع الأول**) بضم ففتح يعني المأمور بها قال أهل اللغة: يقال نشدت الدابة إذا طلبتها (**المياثر بياء مثناة من تحت قبل الألف وثاء مثلثة**) مكسورة (**بعدها**) أي بعد الألف (**وهي جمع ميثرة**) وأصلها مؤثرة وقلبت الواو ياء لسكونها إثر كسرة (**وهي شيء يتخذ من حرير ويحشى قطنًا أو غيره**)

ويُجعَلُ في السَّرْجِ وكُور البعيرِ يَجْلِسُ عليه الرَّاكِبُ. و«القسّيُّ»: بفتح القاف وكسر السين المهملة المشدَّدةِ وهي ثيابٌ تُنْسَجُ مِن حريرٍ وكَتَّانٍ مُختَلِطَيْن. و«إنْشادُ الضَّالة»: تَعْريفُها.

٢٨ - باب ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة

قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴿١٩﴾﴾ [سورة النور].

تعميم للمحشو به ويلحق به في الحكم ما كان متخذًا من حرير وغيره والحرير أكثر وزنًا (**ويجعل في السرج**) ما يجعله على الفرس (**وكور البعير**) بضم الكاف أي رحله وجمعه أكوار ويجعل ذلك (**يجلس عليه الراكب**) فتحصل له الراحة (**والقسيّ بفتح القاف**) على الصحيح المشهور قال المصنف وبعض أهل الحديث يكسرها (**وكسر السين المهملة المشددة**) بعدها ياء النسبة (**وهي ثياب تنسج من حرير وكتان مختلطين**) قال أهل اللغة هي ثياب مضلعة بالحرير تعمل بالقس بفتح القاف وهو موضع من بلاد مصر وهي قرية على ساحل البحر قريبة من تنيس، قال النووي: وهذا القسي إن كان حريره أكثر من الكتان فالنهي عنه للتحريم وإلا فللكراهة التنزيهية (**وإنشاد الضالة**) في تلك الرواية (**تعريفها**).

٢٨ - باب ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة من خوف أن يتسلط على إيذاء الغير والتعرض لإضرارهم

(**قال الله تعالى** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ﴾) أي تفشو، يقال شاع الشيء شيوعًا وشيعًا وشيعانًا وشيوعة أي تفرق وظهر (﴿ٱلْفَٰحِشَةُ﴾) الفعل القبيح المفرط القبح (﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) قال القرطبي في المحصنين والمحصنات والمراد بهذا اللفظ العام عائشة وصفوان (﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾) والآية في العصبة الذين جاءوا بالإفك، (﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾) بالحد بالقذف (﴿وَٱلْءَاخِرَةِ ﴿١٩﴾﴾) بالنار لحق الله.

٢٤٠ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قال: «لا يَسْتُرُ عبْدٌ عبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلا سَتَرهُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ». رواه مسلم.

٢٤١ - وعنه رضي اللَّهُ عنه قال: سمِعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلا المُجَاهِرِينَ، وإِنَّ مِن المُجَاهرةِ أَن يَعْمَلَ الرَّجلُ باللَّيلِ

---

٢٤٠ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال: لا يستر عبد) أي إنسان ولو كان مكلفًا **(عبدًا)** أي من ذوي الهيئات غير معروف بالشر قال النووي: «وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفًا بالأذى والفساد، هذا في ستر معصية وقعت وانقضت وأما معصية رءاه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك، وأما جرح الرواة والشهود والأمناء على الصدقات والأوقاف والأيتام ونحوهم فيجب جرحهم عند الحاجة ولا يحل الستر عليهم إذا رأى منهم ما يقدح في أهليتهم وليس هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة وهذا مجمع عليه» **(في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة)** إما بأن يمحو ذنبه ولا يسأله عنه ابتداء أو يسأله عنه من غير أن يطلع عليه أحدًا من الخلق كما في حديث ابن عمر في ذلك في الصحيح ثم يعفو عنه **(رواه مسلم)**.

٢٤١ - (وعنه رضي الله عنه) أي أبي هريرة **(رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كل أمتي معافى)** اسم مفعول من المعافاة وهو من العفو مرفوع تقديرًا خبر كل، يعني كلهم سالمون عن ألسن الناس وأيديهم **(إلا المجاهرين)** قال في «فتح الباري»: «والمجاهر الذي أظهر معصيته وكشف ما ستر الله عليه فتحدث بها، والمجاهر في هذا الحديث يحتمل أن يكون من جاهر بكذا بمعنى جهر به ويحتمل أن يكون الذين يجاهر بعضهم بعضًا بالتحدث بالمعاصي» **(وإن من المجاهرة)** وفي رواية لمسلم الهجار، وللإسماعيلي الإهجار وهما بمعنى الفحش والخنا وكثرة الكلام **(أن يعمل الرجل)** وفي نسخة العبد **(بالليل**

عملاً ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللّهُ علَيْهِ فَيقُولُ: يَا فُلانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ ربُّهُ ويُصْبِحُ يكْشِفُ سِتْرَ اللّهِ عنه». متفق عليه.

٢٤٢ - وعنه رضي اللَّهُ عنه عنِ النبيّ ﷺ قال: «إِذَا زَنَتِ الأَمَةُ فَتَبَيَّنَ زِناهَا فَليَجْلِدْها الحَدَّ ولا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثمَّ إِن زَنَت فَلْيَجْلِدْها ولا يُثَرّبْ علَيْها، ثُمَّ إِن زَنَتِ الثَّالِثَةَ فَلْيَبِعْهَا ولَوْ بِحبْلٍ مِن شَعرٍ».

عملاً ثم يصبح) بالنصب (**وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان**) بالبناء على الضم لأنه كناية عن معين وهو الذي يحدثه العاصي عن معصيته (**عملت البارحة**) قال في «الفتح»: هو أقرب ليلة مضت من وقت القول وأصلها من برح إذا زال (**كذا وكذا**) قال في «النهاية» هي من ألفاظ الكنايات مثل كيت وكيت ومعناه مثل ذا، ويكنى بها أيضًا عن المجهول وما لا يراد التصريح به اهـ (**وقد بات يستره ربه**) جملة حالية من فاعل يقول (**ويصبح يكشف ستر الله**) الكائن (**عنه**) لأن المعاصي تذلّ فاعلها من إقامة الحد عليه إن كان فيها حد، ومن التعزير إن لم توجب حدًا، وإذا تمحض حق الله وهو أكرم الأكرمين، فكذا إذا ستره في الدنيا لم يفضحه في الآخرة والذي يجاهر بها يفوته جميع ذلك، والحديث مصرّح بذمّ من جاهر بالمعصية فيستلزم مدح من تستر (**متفق عليه**) وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط».

٢٤٢ - (**وعنه رضي اللَّهُ عنه**) أي أبي هريرة رضي الله عنه (**عن النبي** ﷺ: **إذا زنت الأمة**) أي الرقيقة (**فتبين زناها**) برؤيته لذلك أو إقرارها أو إقامة بينة الزنا (**فليجلدها**) بكسر لام الفعل (**الحد**) هو خمسون سوطًا والحد مفعول مطلق (**ولا يثرب عليها**) أي يوبخها ويقرعها بالذنب نحو يا زانية يا فاجرة لما فيه من الفحش (**ثم**) بعد الحد (**إن زنت**) مرة ثانية (**فليجلدها**) وفي رواية بزيادة: «الحد» (**ولا يثرّب عليها**) أي وإن تكرّر منها الذنب لاستيفاء مقتضاه بالحد (**ثم**) بعد الحد في الثانية (**إن زنت الثالثة**) المرة الثالثة (**فليبعها**) ندبًا عند الجمهور (**ولو بحبل من شعر**)

متفق عليه.

«التثريب»: التوبيخ.

٢٤٣ - وعنه رضي اللَّهُ عنه قال: أُتِيَ النبيُّ ﷺ برجلٍ قَدْ شرِب قال: «اضْرِبُوهُ» قال أَبُو هُرَيْرَةَ: فمِنَّا الضَّارِبُ بِيدِهِ والضَّارِبُ بِنَعْلِهِ والضَّارِبُ بِثوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَف قَال بعْضُ الْقَوْمِ: أَخْزاكَ اللّهُ، قال: «لا تقُولُوا هَكَذا لا تُعِينُوا عليه الشَّيْطَانَ». رواه البخاري.

مسارعة لمفارقة أرباب المعاصي وترك مخالطتهم، وهذا البيع المأمور به يلزم صاحبه أن يبين حالها للمشتري لأنه عيب والإخبار بالعيب واجب **(متفق عليه)** ورواه أبو داود والنسائي **(التثريب)** مصدر ثرب بالمثلثة **(التوبيخ)** أي والتقريع بالذنب.

٢٤٣ - (وعنه رضي اللَّهُ عنه) أي عن أبي هريرة **(رضي الله عنه قال: أتي)** بالبناء للمجهول **(النبي ﷺ برجل قد شرب)** أي مسكرًا **(قال: اضربوه)** أي حدًّا **(قال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده والضارب بنعله والضارب بثوبه)** ومنه كأحاديث أخر في معناه يؤخذ حصول حد الخمر بالجلد باليد وأطراف الثوب وقد نقل النووي إجماع العلماء على ذلك **(فلما انصرف قال بعض القوم أخزاك الله)** وما في معناه خزي الرجل أي بوزن علم، لحقه انكسار إما من نفسه وإما من غيره. فالذي يلحقه من نفسه هو الحياء المفرط ومصدره الخزاية، والذي من غيره يقال هو ضرب من الاستخفاف ومصدره الخزي **(قال: لا تقولوا هكذا)** أي مثل هذا الدعاء **(لا تعينوا عليه الشيطان)** جملة استئنافية لبيان حكمة النهي عن ذلك القول: أي ادعوا له بالتوفيق والنجاة من الخذلان ولا تكونوا بدعائكم عليه أعوانًا عليه للشيطان، قال الحافظ: «ووجه عونهم الشيطان بذلك أن الشيطان يريد بتزيينه له المعصية أن يحصل له الخزي فإذا دعوا عليه بالخزي فكأنهم قد حصّلوا مقصود الشيطان» **(رواه البخاري)**.

٢٩ - باب قضاء حوائج المسلمين

٢٤٤ - وعنِ ابنِ عُمَرَ رضي اللَّهُ عنهما أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لا يَظْلِمُه ولا يُسْلِمُهُ، مَن كانَ في حاجةِ أَخِيهِ كَانَ اللّهُ في حاجتِهِ، ومَن فرَّجَ عن مُسلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُربَةً مِن كُرَبِ يوْمِ الْقِيامةِ، ومن سَتَر مُسْلِمًا سترهُ اللّهُ يوْم الْقِيامَةِ». متفق عليه.

٢٤٥ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنهُ عنِ النبيّ ﷺ قالَ: «مَن نَفَّسَ عن مؤمنٍ

---

٢٩ - باب فضل قضاء حوائج المسلمين

٢٤٤ - (وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال) محرضًا على أسباب التآلف المطلوب من المؤمنين **(المسلم أخو المسلم)** لاجتماعهما في حياطة الإسلام كالأخوين المجتمعين في الأبوين أو في أحدهما **(لا يظلمه)** بنقص حقه **(ولا يسلمه)** بضم التحتية أي إلى من يظلمه ويهينه **(من كان)** أي وجد **(في حاجة أخيه)** أي في قضائها بالفعل أو التسبب **(كان الله في)** قضاء **(حاجته)** والمفرد المضاف للعموم فيعم الأخروية والدنيوية وذلك لأن من قضى حاجة أخيه طالبًا لمرضاة الله إنما قام بذلك لحق الله فجازاه الله بقضاء حاجته سيما عند ضرورته **(ومن فرج عن مسلم كربة)** بانتظار عليه أو تشفع عند ذي الدين أو نحو ذلك **(فرج الله عنه بها)** أي عوضها **(كربة)** والتنوين فيه للتعظيم لأنها كرب الساعة التي تذهل فيها كل مرضعة عما أرضعت **(من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلمًا)** لم يشتهر بالأذى والضرر على معصية رءاها منه فيما مضى **(ستره الله يوم القيامة. متفق عليه).**

٢٤٥ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من نفّس) أي أزال وفرج من تنفيس الخناق أي إرخاؤه حتى يأخذ له نفسًا **(عن مؤمن)**

كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيا نَفَّس اللّهُ عنْهُ كُرْبةً مِن كُرَبِ يَوْمِ الْقِيامَةِ، ومَن يسَّرَ علَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللّهُ علَيْهِ في الدُّنْيَا وَالآخِرةِ، وَمَن سَتَر مُسْلِمًا سَتَرهُ اللّهُ في الدُّنْيا والآخِرةِ، وَاللّهُ في عوْنِ الْعَبدِ ما كانَ الْعَبْدُ في عوْنِ أَخِيهِ، وَمَن سلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْما سَهَّلَ اللّهُ لَهُ به

أوثر لمزيد شرفه وحرمته فالثواب فيما يفعل معه من الإحسان ءاكد **(كربة)** هي ما أهمّ النفس وغم القلب لأن الكربة تقارب أن تزهق النفس كأنها لشدة غمها عطلت مجال التنفس منه وبه يعلم حكمة إيثار نفس على رديف أزال وفرج **(من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة)** أي شدائدها. وفي رواية للطبراني «نفس الله كربه يوم القيامة» ففيه عظيم فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو جاه أو نصح أو دلالة على خير أو إعانة بنفسه أو سفارته أو وساطته أو شفاعته أو دعائه له بظهر الغيب **(ومن يسر على معسر)** بإبراء أو هبة أو صدقة أو نظرة إلى ميسرة بنفسه أو وساطته **(يسر الله عليه)** أموره **(في الدنيا والآخرة)** فيه عظيم فضل التيسير على المعسر والأحاديث فيه كثيرة منها خبر مسلم «من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله[1] يوم لا ظلّ إلا ظله» **(ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد)** أي إعانته وتسديده **(ما كان العبد)** أي مدة دوام كون العبد **(في عون أخيه)** أي إعانة أخيه بقلبه أو بدنه أو ماله أو غيرها **(ومن سلك طريقًا)** فعيلًا من الطرق لأن الأرجل ونحوها تطرقه وتطلبه وتسعى فيه، ويصح أن يراد بها ما يشمل المعنوية كحفظه ومذاكرته ومطالعته وتفهمه وكل ما يتوصل به إليه **(يلتمس)** يطلب **(فيه)** أي في غايته أو سببه الحديث **(علمًا)** شرعيًّا أو ءالة قاصدًا بذلك وجه الله. والعلم الشرعي ما صدر عن الشرع أو توقف عليه العلم الصادر عن الشرع توقف وجود كعلم الكلام أو توقف كمال كعلم العربية **(سهل الله له به)**

---

(١) أي في ظل العرش.

طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، ومَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللّهِ تَعالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللّهِ وَيَتَدَارسُونَهُ بيْنَهُمْ إِلا نَزَلَتْ علَيْهِمُ السَّكِيْنةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمةُ وَحَفَّتْهُمُ الملائِكَةُ

أي بسلوكه الطريق المذكورة (**طريقًا إلى الجنة**) أي يرشد إلى طلب الهداية والطاعة الموصلة إلى الجنة وليس ذلك إلا بتسهيله تعالى وإلا فبدون لطفه لا ينفع علم ولا غيره أو بأنه يجازيه على طلبه وتحصيله بتسهيل دخول الجنة بأن لا يرى من مشاقّ الموقف ما يراه غيره وهذا أقرب لظاهر الحديث وهذا يؤذن بعظيم فضل السعي في طلب العلم ويلزم منه عظم فضل الاشتغال به، وأدلته أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر (**وما اجتمع قوم**) هو اسم جنس جمع يصدق بثلاثة فأكثر يستوي فيه الذكور والإناث (**في بيت من بيوت الله تعالى**) هو المسجد (**يتلون**) أي يقرؤون (**كتاب الله تعالى**) أي القرءان لتبادره إلى الأذهان وإضافته إلى الله تعالى لأنه منزل من عنده معجزة لنبيه ﷺ (**ويتدارسونه بينهم**) أي يقرأ هذا شيئًا ويقرأ الآخر عين ما قرأه صاحبه هذه المدارسة الفضلى التي وردت من فعله مع جبريل عليه السلام في حديث «كان جبريل يدارسه القرءان» (**إلا نزلت عليهم السكينة**) أي المذكورة في قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾﴾ [سورة الفتح] وهي فعيلة من السكون للمبالغة والمراد بها هنا الحالة التي يطمئن بها القلب، فلا يزعج لطارق دنيوي لعلمه بإحاطة قدرة الله لسائر الكائنات فيسكن القلب ويطمئن بموعود الأجر لقوّة رجائه بحصوله لما وفقه للاشتغال به عما سواه (**وغشيتهم**) عمتهم وأحاطت بهم من كل جهة (**الرحمة**) والمراد من الرحمة كما هو ظاهر غايتها من الإحسان والفضل والامتنان (**وحفتهم**) بتشديد الفاء (**الملائكة**) أي غشيتهم الملائكة وأل فيه للعهد ملائكة الرحمة والبركة إلى السماء الدنيا كما في رواية الصحيحين.

وحف بتشديد الفاء من باب طلب يتعدى إلى الثاني بحرف الجر قال تعالى ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الكهف] وقد يضمن معنى أحاط فيصل

وذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِندَه، ومَن بَطَّأَ بِهِ عَملُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِه نَسَبُهُ». رواه مسلم.

٣٠ - باب الشفاعة

إلى مفعوله الأول بالباء نحو ما جاء في حديث: «إن لله ملائكة سيارات» من قولهم: «حفوا بهم» **(وذكرهم الله فيمن عنده)** عندية مكانة وعلو رتبة لا علوّ مكان[1] تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا وهم الملائكة والأنبياء وذكره للذاكر ثم مباهاة به ورضى بفعله **(ومن بطأ)** بتشديد الطاء المهملة نقيض السرعة أي من قصر **(به عمله)** أي فقصر عن رتبة الكمال لفقد بعض شروط الصحة أو الكمال فيه **(لم يسرع به نسبه)** أي يلحقه برتب أصحاب الأعمال الكاملة لأن المسارعة إلى السعادة إنما هي بالأعمال لا بالأحساب **(رواه مسلم)**.

٣٠ - باب الشفاعة

قال الرازي: هي أن يستوهب أحد لأحد شيئًا ويطلب له حاجة، وأصلها من الشفع ضد الوتر كأن صاحب الحاجة كان فردًا فصار صاحب الشفع له شفعًا أي صار زوجًا اهـ. وفي النهاية: هي السؤال في التجاوز عن الذنب والجرائم اهـ.

---

(١) وقد أجمع المسلمون على أن الله تعالى موجود بلا مكان ولا جهة، وقد تضافرت الأدلة النقلية والعقلية على ذلك قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى] ومن كان في جهة ومكان كان مثله أشياء وأشياء وقال تعالى ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ [سورة الرعد] معناه الله خلق كل شيء من الأجسام اللطيفة كالهواء والروح على مقدار مخصوص وحجم معلوم وكذلك الأجسام الكثيفة كالإنسان والنبات والحجر على قدر مخصوص من الحجم والله الذي خلق كل هذا لا يجوز أن يكون مشبهًا لشيء من العالم فالله سبحانه وتعالى موجود بلا جهة ولا مكان ولا حجم له ولا شكل ولا هيئة ولا صورة. قال الإمام عليّ: «من زعم أن إلٰهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود». وقال الإمام الطحاوي عن الله: «لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات».

قال الله تعالى ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴿٨٥﴾﴾ [سورة النساء].

٢٤٦ - وعن أَبي موسى الأَشْعَرِيّ رضي اللَّهُ عنه قال: كان النبيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ طالِبُ حاجةٍ أَقْبَلَ عَلَى جُلسائِهِ فقال: «اشْفَعُوا تُؤجَرُوا ويَقْضِيَ اللّهُ عَلَى لِسانِ نَبِيّهِ ما أَحبَّ». وفي رواية: «مَا شَاءَ». متفق عليه.

(**قال الله تعالى**) علوّ مكانة وعظمة لا علوّ مكان (﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً ﴿٨٥﴾﴾) بأن جلب بها لمسلم نفعًا أو دفع عنه سوءًا ابتغاء لوجه الله تعالى، ومن ذلك الدعاء للمؤمن بظهر الغيب، ومن ثم ورد عنه ﷺ «من دعا لأخيه بظهر الغيب استجيب له وقال الملك ءامين ولك مثل ذلك» (﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴿٨٥﴾﴾) هو ثواب الشفاعة والتسبب إلى الخير.

٢٤٦ - (وعن أبي موسى) (الأشعريّ رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ) من مزيد عنايته بصحابته ودلالته على الخير لأمته (**إذا أتاه طالب حاجة**) دينية أو دنيوية (**أقبل على جلسائه**) جمع جليس كشريف وشرفاء (**فقال: اشفعوا تؤجروا**) أي إن تشفعوا تؤجروا أي يحصل لكم الأجر بشفاعتكم سواء أقضيت الحاجة أم لا، ففيه الحض على الخير بالفعل والتسبب إليه بكل وجه والشفاعة إلى الكبير في كشف كربه ومعونة الضعيف إذ ليس كل أحد يقدر على الوصول للرئيس والتمكن منه ليوضح له مراده ليعرف حاله على وجهه، ويستثنى ما لا تجوز الشفاعة فيه وذلك الحدود التي لله (**ويقضي الله على لسان نبيه ما أحبّ**) قال الحافظ ابن حجر: «أي يظهر الله على لسان رسوله بالوحي أو الإلهام ما قدَّره في علمه بأنه سيقع» (**متفق عليه**) رواه البخاري في كتاب الزكاة ومسلم في باب الأدب (**وفي رواية**) للبخاري (**ما شاء**) أي وهو اعتبار خصوص كونه جاريًا على لسان نبيه ﷺ ما أحبّ فالاختلاف بين الروايتين مبنى لا معنى، وإن كان بالنسبة إلى غيره المراد والمشيء أعمّ من المحبوب والمرضي، فجميع ما في الكون من الكفر والعصيان

٢٤٧ - وعنِ ابنِ عباسٍ رضي اللَّهُ عنهما في قِصَّةِ بَرِيرَةَ وزَوْجِها قال: قال لَهَا النَّبيُّ ﷺ: «لَوْ راجَعْتِيهِ؟» قَالَت: يا رَسُولَ اللّه تأْمُرُنِي قال: «إِنَّما أَشْفَعُ» قَالَتْ: لا حاجةَ لي فِيهِ. رواه البخاري.

٣١ - باب الإصلاح بين الناس

قال اللّه تعالى ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ

بمشيئة مولاه وإرادته وليس ذلك بمحبته ورضاه، قال تعالى ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ ﴿٧﴾﴾ [سورة الزمر].

٢٤٧ - (وعن) عبد الله **(بن عباس رضي الله عنهما)** من جملة حديثه **(في قصة بريرة)** مولاة عائشة أم المؤمنين وحديثها مشتمل على فوائد عديدة أفردت بالتأليف **(وزوجها)** مغيث بضم الميم وكسر الغين المعجمة ومغيث عبد أسود، أعتقت تحته بريرة فخيرها رسول الله ﷺ فاختارت نفسها وكان مغيث حين عتقها واختيارها عبدًا **(قال)** أي ابن عباس **(قال لها النبي ﷺ لو راجعتيه)** لو للتمني أو للشرط والجواب محذوف أي لكان أحسن أو لك فيه ثواب. وفيه معنى الأمر فلذا **(قالت يا رسول الله تأمرني)** بتقدير الهمزة قبله أي أتأمرني بمراجعته أي على سبيل الوجوب فيجب علي **(قال: إنما أشفع)** أي ءامرك استحبابًا **(قلت: لا حاجة)** أي لا غرض ولا صلاح **(لي فيه)** أي في ارتجاعه وفيه إيماء إلى عذرها في عدم قبول شفاعته ﷺ حيث قال: «وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحًا» وإنها فهمت من شفاعته في ذلك تخييرها، وإطلاق الشفاعة على التخيير مجاز بجامع عدم إيجاب كليهما **(رواه البخاري)**.

٣١ - باب الإصلاح بين الناس

إذا حصل بينهم خصام وشنآن لأن المؤمنين إخوان. والناس اسم جنس جمعي: قيل مأخوذ من الأنس ضد الوحدة ففيه قلب **(قال الله تعالى ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾)** أي الناس أي ما يتناجون به

إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة النِساء]، **وقال تعالى** ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة النِساء]، **وقال تعالى** ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ ﴿١﴾﴾ [سورة الأنفال]، **وقال تعالى** ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحُجُرَات].

٢٤٨ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يوْمٍ

ويتحدثون به (﴿إِلَّا﴾) نجوى (﴿مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ﴾) عمل برّ (﴿أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ ﴿١١٤﴾﴾) فالاستثناء متصل ويجوز أن يكون منقطعًا لكن نجوى من كان كذلك خير. قال الواحدي في تفسيره «الوسيط»: هذا مما حث عليه رسول الله ﷺ فقال لأبي أيوب الأنصاري: «ألا أدلك على صدقة هي خير لك من حمر النعم؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: تصلح بين الناس إذا فسدوا وتقرّب بينهم إذا تباعدوا».

(**وقال تعالى** ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ ﴿١٢٨﴾﴾) من الفرقة والنشوز والإعراض أي لما فيه من الالتئام المطلوب من الزوجين.

(**وقال تعالى** ﴿وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ ﴿١﴾﴾) أي حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع.

(**وقال تعالى** ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾) أي في الدين (﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ ﴿١٠﴾﴾) إذا تنازعا وقرىء إخوانكم بالفوقية.

٢٤٨ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كل) بالرفع مبتدأ خبره «عليه صدقة» **(سلامى)** بضم السين وتخفيف اللام هو العضو وجمعه سلاميات بفتح الميم وتخفيف الياء اهـ. قال النووي في «شرح مسلم»: «أصله عظام الأصابع وسائر الكف، ثم استعمل في جميع عظام البدن ومفاصله ففي مسلم أن رسول الله ﷺ: خلق الإنسان على ستين وثلثمائة مفصل» اهـ وقوله **(من الناس)** في محل الصفة لسلامى **(عليه)** أي على ذلك الجنس ونظيره حديث: «خير نساء ركبن الإبل وأحناه على زوج نساء قريش» **(صدقة كل يوم)** بالنصب على

تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بيْن الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ في دَابَّتِهِ فيَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ لهُ علَيْهَا مَتَاعَهُ صَدقَةٌ، والْكَلِمَةُ الطَّيّبةُ

الظرفية الزمانية (**تطلع**) بضم اللام كما مر (**فيه الشمس**) جملة صفة يوم وهو صفة توضيحية فيها بيان تجديد هذه الصدقات على الإنسان صبيحة كل يوم في مقابلة ما أنعم الله تعالى به عليه في خلق تلك السلاميات من باهر النعم ودوامها التي هي نعمة أخرى؛ ومما يزيد العبد تيقظًا لنعمة الدوام عليه أنه تعالى قادر على سلب نعمة الأعضاء عن عبده كل ءان وهو في ذلك عادل في حكمه، فعفوه عن ذلك إدامة نعمة العافية عليه صدقة توجب الشكر بدوامها فيتعين على العبد الشكر لهذه النعم بالصدقة بما يأتي في الحديث وغيره مقابلة لتلك النعم بقدر الطاقة مع ما ورد من أن الصدقة تدفع البلاء فبوجودها عن أعضائه يرجى اندفاع البلاء عنها، وظاهر قوله: «عليه صدقة كل يوم» وجوب الشكر بهذه الصدقة كل يوم، لكن في حديث «الصحيحين»: «فإن لم يفعل فليمسك عن الشر فإنه له صدقة» وهو يدل على أنه يكفيه أن لا يفعل شيئًا من الشرّ ويلزم من ذلك القيام بجميع الواجبات وترك جميع المحرمات وهذا هو الشكر الواجب وهو كاف في شكر هذه النعم وغيرها. أما الشكر المستحبّ فهو أن يزيد على ذلك بنوافل الطاعات كالأذكار (**يعدل**) أي يصلح (**بين الاثنين**) المتهاجرين أو المتخاصمين أو المتحاكمين بأن يحملهما لكونه حاكمًا أو محكمًا أو مصلحًا بالعدل والإنصاف والإحسان بالقول أو الفعل على الصلح الجائز (**صدقة**) عليها لوقايتهما مما يترتب على الخصام من قبيح الأقوال والأفعال (**ويعين الرجل في دابته فيحمله عليها**) نفسه أو غيره بإمساكها لذلك (**أو يرفع له عليها متاعه صدقة**) وهو كل ما ينتفع به من عرض الدنيا قليلًا كان أو كثيرًا (**والكلمة الطيبة**) وهي كل ذكر أو دعاء للنفس أو للغير، وسلام عليه وردّ وثناء بحق ونحو ذلك مما فيه سرور واجتماع القلوب وتآلفها. وكذا سائر ما فيه معاملة الناس بمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، ومنه

صدقَةٌ، وبِكُلّ خَطْوَةٍ يَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صدَقَةٌ». **متفق عليه**.

ومعنى «يَعْدِلُ بَيْنَهُمَا»: يُصْلِحُ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ.

٢٤٩ - وعن أُمّ كُلْثُوم بنتِ عُقْبَةَ بنِ أبي مُعَيطٍ رضي اللَّهُ عنها قالت: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ

قوله ﷺ: «ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» (**صدقة وبكل خطوة**) هو بفتح الخاء المعجمة للمرة الواحدة وضمها لما بين القدمين (**يمشيها إلى الصلاة**) وكذا إلى سائر الطاعات كطلب العلم وصلة الأرحام وزيارة الإخوان (**صدقة ويميط**) بضم أوله أي تزيل (**الأذى**) هو ما يؤذي المارّة من حجر أو شوك أو نحوهما (**عن الطريق**) مذكر ومؤنث (**صدقة**) قال الحافظ ابن حجر: «ومعنى كون الإماطة صدقة أنه تسبب إلى سلامة من يمر به من الأذى فكأنه تصدق عليه بذلك فحصل له أجر الصدقة» (**متفق عليه ومعنى يعدل بينهما**) كنى عن الاثنين المذكورين في الخبر بضميره (**يصلح بينهما بالعدل**).

٢٤٩ - (**وعن أم كلثوم**) بضم الكاف وسكون اللام وبالمثلثة ءاخره ميم (**بنت عقبة**) بضم المهملة وسكون القاف بعدها موحدة فهاء (**ابن أبي معيط**) بضم الميم وفتح المهملة الأولى أسلمت (**رضي الله عنها**) بمكة قبل أن يأخذ أي عقبة النساء في الهجرة إلى المدينة ثم هاجرت وبايعت فهي من المهاجرات المبايعات. قال عمر بن عبد العزيز: يقولون إنها مشت على قدمها من مكة إلى المدينة، فلما قدمت المدينة تزوّجها زيد ابن حارثة فقتل عنها يوم مؤتة فتزوّجها الزبير بن العوام فولدت له زينب ثم طلقها فتزوّجها عبد الرحمٰن بن عوف فولدت له إبراهيم وحميدًا ومحمدًا وإسماعيل، ومات عنها فتزوّجها عمرو بن العاص فمكثت عنده شهرًا وماتت، وهي أخت عثمان بن عفان لأمه (**قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس الكذاب**) أي إثم الكذب (**الذي يصلح بين الناس**)

فَينمي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا». متفقٌ عليه.

وفي روايةِ مسلم زيادة: «قالت: وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخّصُ في شَيءٍ مِمَّا يَقُولُهُ النَّاسُ إِلَا في ثَلاثٍ» تَعْنِي: الحَرْبَ، وَالإِصْلاَحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَديثَ المَرْأَةِ زَوْجَهَا.

أي يكذب للإصلاح بين المتباغضين لأن هذا الكذب يؤدي إلى الخير وهو قليل أيضًا (**فينمي خيرًا**) بفتح التحتية أي يبلغ خبرًا فيه خير يقال نمى الحديث إذا بلغه على وجه الإصلاح، ونماه بالتشديد إذا بلغه على وجه الإفساد (**أو**) شك من الراوي أي شك هل قال: «فينمي خيرًا» أو قال (**يقول خيرًا متفق عليه**) رواه البخاري في كتاب الصلح ومسلم في الأدب، وكذا رواه فيه أبو داود والترمذي في البرّ وقال: حسن صحيح، والنسائي في السير.

(**وفي رواية مسلم**) لهذا الحديث أي في بعض طرقه زيادة على الرواية المتفق عليها، (**قالت**) أي أم كلثوم (**ولم أسمعه**) أي النبيّ ﷺ (**يرخص**) بتشديد الخاء المعجمة وبعدها مهملة، من الترخيص، ضد الحظر (**في شيء مما يقوله الناس**) أي إنه كذب (**إلا في ثلاث**) أي من الخصال (**تعني**) أي أم كلثوم بتلك الثلاث (**الحرب**) كأن يقول لأعداء الدين مات كبيركم أو لنا جيش كبير يأتينا أو نحو ذلك مما فيه مصلحة عامة للمسلمين، فيجوز ارتكاب الكذب لعظم النفع (**والإصلاح بين الناس**) بأن يقول لزيد مثلًا رأيت عمرًا يعني عدوه يحبك ويثني عليك خيرًا مما لم يكن ليصلح بينهما ويذهب الشنآن (**وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها**) كأن يقول أحدهما للآخر لا أحد أحبّ إليّ - من نساء عصرك - منك، فهذا الكذب جائز لعظم المصلحة المترتب عليه[1] على محظور الإخبار بخلاف الواقع. وكذا يجوز الكذب لتخليص محترم، بل يجب على من سئل عن محترم قصد سائله عنه إهلاكه أن يخفيه ولو باليمين.

---

(١) المعنى أنه يجوز له هذا الكذب إذا خشي حصول محظور إن لم يفعل كنشوز زوجته.

٢٥٠ - وعن عائشةَ رضي اللَّهُ عنها قالت: سمِع رسولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيةً أَصْواتُهُمَا وإذا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ ويَسْتَرْفِقُهُ في شَيءٍ وَهُوَ يَقُولُ: واللّهِ لا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رسولُ اللّهِ ﷺ فقال: «أَيْنَ الْمُتَأَلّي عَلَى اللّهِ لا يَفْعَلُ المَعْرُوفَ؟» فقال: أَنَا يَا رسولَ اللّهِ، فَلَهُ أَيُّ ذلِكَ أَحَبَّ. متفقٌ عليه.

---

٢٥٠ - (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب) أفرد صوت المضاف مع تعدده في نفس الأمر لتعدد المضاف إليه لكونه لمح فيه كونه مصدرًا في الأصل. أو لاختلاط أصواتهم وعدم تمايزها فصارت كالصوت الواحد لإدراك حاسة السمع لها رفعة **(عالية)** بالجرّ على أنه صفة خصوم، وبالنصب على أنه حال من أصواتهما **(وإذا أحدهما يستوضع الآخر)** أي يطلب منه الوضيعة أي الحطيطة من الدين **(ويسترفقه)** أي يطلب منه الرفق **(في شيء)** قال الحافظ في «فتح الباري»: وقع في رواية ابن حبان بيان ذلك الشيء قال في أول الحديث «دخلت امرأة على النبي ﷺ فقالت: إني ابتعت أنا وابني من فلان تمرًا فأحصيناه لا والذي أكرمك بالحق ما أحصينا منه إلا ما نأكله في بطوننا أو نستطعمه مسكينًا وجئنا نستوضعه ما نقصنا» الحديث **(وهو)** أي الثاني **(يقول والله لا أفعل)** أي لا أضع شيئًا وفي رواية ابن حبان «فقال: ءالى أن لا يضع خيرًا ثلاث مرات» **(فخرج عليهما رسول الله ﷺ)** ليصلح بينهما **(فقال: أين المتألي)** بضم الميم وفتح الفوقية والهمزة وتشديد اللام أي الحالف المبالغ في اليمين **(على الله لا يفعل المعروف)** من الوضع والرفق بأخيه **(فقال: أنا يا رسول الله فله)** أي ذلك المذكور من الوضع والرفق **(أي ذلك أحبّ)** وفي رواية لابن حبان: «إن شئت وضعت ما نقصوا، وإن شئت من رأس المال فوضع ما نقصوا» قال الحافظ في «فتح الباري»: «وهذا يشعر بأن المراد بالوضع الحط، وبالرفع الاقتصار عليه وترك الزيادة» **(متفق عليه)** فأخرجه البخاري في كتاب الصلح ورواه مسلم في الشركة من البيوع قال

معنى «يسْتَوْضِعُهُ»: يَسْأَلُهُ أن يَضَعَ عَنْهُ بَعْضَ دَيْنِهِ. و«يسترفِقُهُ»: يسألُهُ الرِفْقَ. و«المُتَأَلّي»: الحَالِفُ.

٢٥١ - وعن أَبي العباسِ سَهْلِ بنِ سعدٍ السَّاعِدِيّ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بلَغهُ أَنَّ بَني عَمْرِو بنِ عوْفٍ كان بيْنَهُمْ شرٌّ، فَخَرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يُصْلِحُ بَيْنَهُمْ في أُنَاسٍ مَعَه، فَحُبِسَ رسولُ اللّهِ ﷺ وَحانَتِ الصَّلاةُ، فَجَاءَ بِلالٌ إِلَى أَبِي بكْرٍ رضي اللَّهُ عنهما فقال: يَا أَبَا بكْرٍ إِنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قَدْ حُبِسَ وَحانَتِ الصَّلاةُ فَهَل لكَ أَن

الحافظ: «في الحديث الحض على الرفق بالغريم والإحسان إليه بالوضع والزجر على الحلف على ترك فعل الخير، وفيه الصفح عما يجري بين المتخاصمين من اللغط ورفع الصوت عند الحاكم» (**معنى يستوضعه: يسأله أن يضع عنه بعض دينه، ويسترفقه: يسأله الرفق**) بكسر الراء ضد العنف وذلك بأن لا يزيد عليه ما نقص عليه (**والمتألي: الحالف**) تقدم في كلام الحافظ أنه الحالف المبالغ في اليمين وهو الذي تقتضيه الصيغة.

٢٥١ - (**وعن أبي العباس سهل بن سعد**) الأنصاري (**الساعدي**) (**رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني عمرو بن عوف**) أي ابن مالك بن الأوس، والأوس أحد قبيلتي الأنصار وهما الأوس والخزرج (**كان بينهم شرّ**) وعند البخاري في كتاب الصلح من طريق محمد بن جعفر عن أبي حازم «أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقالوا: «اذهب بنا نصلح بينهم» (**فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم في أناس من أصحابه**) وفي نسخة «معه» بدلًا من أصحابه سمى الطبراني منهم أُبيّ بن كعب وسهيل بن بيضاء. وللبخاري في الأحكام أن توجهه كان بعد أن صلى الظهر (**فحبس**) بضم المهملة الأولى وكسر الموحدة (**رسول الله ﷺ**) ليصلح بينهم (**وحانت الصلاة**) أي دخل حين الصلاة وهي صلاة العصر (**فجاء بلال إلى أبي بكر رضي الله عنهما فقال: يا أبا بكر إن رسول الله ﷺ قد حبس وحانت الصلاة فهل لك أن**

تَؤُمَّ النَّاسَ؟ قال: نَعَمْ إِن شِئْتَ، فَأَقَامَ بِلالٌ وَتقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَبَّرَ وكبَّرَ النَّاسُ، وجَاءَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يـمْشِي فِي الصُّفُوفِ حتَّى قامَ فِي الصَّفّ فَأَخَذَ النَّاسُ فِي التَّصْفِيقِ، وكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي اللَّهُ عنه لا يَلْتَفِتُ فِي صلاتِهِ، فَلَـمَّا أَكثَرَ النَّاسُ الْتَفَتَ فإِذَا رسولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَشَار إِلَـيْهِ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ يدَهُ فَحمِدَ اللّهَ وَرَجعَ الْقَهْقَرَى وَراءَهُ

تؤم الناس؟ قال: نعم إن شئت) عند أحمد وأبي داود وابن حبان أن ذلك كان بأمر النبي ﷺ ولفظه: «فقال لبلال: إن حضرت الصلاة ولم ءاتك فمر أبا بكر فليصل بالناس، فلما حضرت» الحديث **(فأقام بلال وتقدم أبو بكر فكبر)** قال الحافظ في «فتح الباري»: «وبهذا يجاب عن الفرق بين المقامين حيث امتنع أبو بكر هنا أن يستمرّ إمامًا، وحيث استمرّ في مرض موته ﷺ حين صلى خلفه الركعة الثانية من الصبح كما صرح به موسى بن عقبة في «المغازي»، وكأنه لما أن مضى معظم الصلاة حسن الاستمرار، ولما أن لم يمض منها إلا اليسير لم يستمر» **(وكبر الناس وجاء رسول الله ﷺ يمشي في الصفوف)** زاد البخاري في رواية: يشقها شقًا **(حتى قام في الصف)** أي الأول **(فأخذ الناس في التصفيق وكان أبو بكر رضي الله عنه)** لعلمه بالنهي عن الالتفات في الصلاة وأنه خلسة من الشيطان يختلسها من صلاة العبد كما جاء ذلك في الخبر المرفوع **(لا يلتفت في صلاته فلما أكثر الناس)** أي من التصفيق كما في رواية للبخاري «فلما رأى التصفيق لا يمسك عنه» **(التفت فإذا رسول الله ﷺ)** أي حاضر فالخبر محذوف **(فأشار إليه رسول الله ﷺ)** أي بالمكث في مقامه **(فرفع أبو بكر يده فحمد الله)** قال الحافظ: «ظاهره أنه تلفظ بالحمد ويقوّي ذلك ما عند الإمام أحمد عن أبي حازم: «يا أبا بكر لم رفعت يديك وما منعك أن تثبت حين أشرت إليك؟ قال: رفعت يديّ لأني حمدت الله على ما رأيت منك» **(ورجع القهقرى)** أي يمشي إلى خلفه، فقوله **(وراءه)** بالنصب على الحال تأكيد، وفعل ذلك لئلا

حَتَّى قَامَ في الصَّفّ، فَتَقدَّمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى للنَّاس، فَلَمَّا فرغ أَقْبَلَ عَلى النَّاسِ فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ما لَكُمْ حِين نَابَكُمْ شيءٌ في الصَّلاةِ أَخذْتُمْ في التَّصْفِيقِ إِنَّما التَّصْفِيقُ لِلنّساءِ. من نَابَهُ شيءٌ في صلاتِهِ فَلْيَقلْ: سُبْحَانَ الله فَإِنهُ لا يَسْمعُهُ أَحدٌ حِينَ يَقُولُ: سُبْحانَ اللّه إِلا الْتَفَتَ، يَا أَبا بَكْرٍ: ما مَنَعَك أَن تُصَلّي بِالنَّاس حِينَ أَشرتُ إِلَيْكَ؟» فقال أَبُو بكْرٍ: مَا كَان ينبَغِي لابْنِ أَبي قُحافَةَ أَن يُصلّي بَيْنَ يَدَيْ رسولِ اللَّهِ ﷺ. متفقٌ عليه.

يستدبر القبلة فتبطل صلاته وهو محمول على أنه لم تتوال منه حركات مبطلة (**حتى قام**) أي تأخر إلى موقف المأموم فقام (**في الصفّ**) ولم يقف منفردًا عنه لكراهته المفوتة لفضل الجماعة (**فتقدم رسول الله ﷺ فصلى**) إمامًا (**للناس فلما فرغ أقبل**) بوجهه (**على الناس فقال: يا أيها الناس ما لكم**) جملة مركبة من مبتدإ وخبر أي أيّ شيء لكم؟ (**حين نابكم**) أي أصابكم (**شيء في الصلاة**) هو في تلك القصة تنبيه الصديق على مجيء النبي ﷺ (**أخذتم**) أي شرعتم (**في التصفيق**) جملة حالية بتقدير قد وحين ظرف والمعنى أي شيء بكم وقد صفقتم حين أصابكم شيء في الصلاة (**إنما التصفيق للنساء**) وزاد الحميدي والتسبيح للرجال (**من نابه**) أي أصابه (**شيء في صلاته فليقل سبحان الله**) لينبه على أنه في الصلاة ويقصد به الذكر وحده أو مع إعلام (**فإنه**) أي المصلي (**لا يسمعه أحد حين يقول سبحان الله إلا التفت**) بالبناء للفاعل (**يا أبا بكر ما منعك**) من (**أن تصلي**) إمامًا (**بالناس حين أشرت إليك**) أي بملازمة ما شرعت فيه من إمامتك بالقوم (**فقال أبو بكر ما كان**) زائدة (**ينبغي**) أي لا يصح (**لابن أبي قحافة**) كنية أبيه (**أن يصلي**) إمامًا (**بين يدي رسول الله ﷺ**) أي ليس هذا من باب الأدب المأمور به العباد معه ﷺ. فسلك هو طريق الأدب والتواضع وفيه سؤال الرئيس عن سبب مخالفة أمره قبل الزجر عن ذلك، وفيه إكرام الكبير بمخاطبته بالكنية واعتماد ذكر الرجل لنفسه بما يشعر بالتواضع من جهة استعمال أبي بكر لفظ الغيبة مكان الحضور (**متفق عليه**)

معنى «حبس»: أمسكوه ليضيفوه.

٣٢ - باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء الخاملين

قال الله تعالى ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الكهف].

٢٥٢ - عن حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ رضي اللَّهُ عنه قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «أَلا

أخرجاه في كتاب الصلاة وأبو داود والنسائي في الصلاة (**معنى حبس**) في قوله «وحبس رسول الله ﷺ» وهو مبني للمفعول (**أمسكوه ليضيفوه**) بضم التحتية وكسر الضاد بعدها تحتية ساكنة، ففيه إضافة الرئيس إذا أوفد على القوم، وفيه مزيد تواضعه وجلوسه جبرًا لخواطرهم لحضور ضيافتهم.

٣٢ - باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء الخاملين

بفتحات جمع ضعيف أي فضل ضعفاء (**المسلمين و**) فضل (**الفقراء**) من الدنيا (**والخاملين**) الذكر فيها وإن لم يكونوا فقراء.

(**قال الله تعالى** ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾) احبسها وثبتها (﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾) أي في مجامع أوقاتهم أو في طرفي النهار (﴿يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾) أي رضا الله وطاعته (﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ ﴿٢٨﴾﴾) ولا يجاوزهم نظرك إلى غيرهم، وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا، وقرئ: «ولا تعد عينيك» ولا تعد من أعداه وعداه، والمراد نهي الرسول عليه الصلاة والسلام أن يزدري بفقراء المؤمنين ويغلق عينيه عن رثاثة زيهم طموحًا إلى طراوة زي الأغنياء.

٢٥٢ - (وعن حارثة) بالحاء المهملة وكسر الراء وبالمثلثة (**ابن وهب**) الخزاعي أخو عبد الله بن عمر بن الخطاب لأمه (**رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا**) حرف استفتاح لتنبيه السامع للكلام

أُخْبِرُكُم بِأَهْلِ الجنَّةِ كُلُّ ضَعيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ يُقْسِمُ علَى اللّهِ لأَبَرَّهُ. أَلا أُخْبِرُكُم بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عُتُلّ جَوّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ». متفقٌ عليه.

«العتل»: الغليظ الجافي. و«الجواظ» بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة: وهو الجَمُوع المَنُوع، وقيل الضخم المختال

الآتي بعده (**أخبركم بأهل الجنة**) قال ابن النحوي: أي بمعظمهم وكذا في القسم الأخير وليس المراد الاستيعاب، وسكت الراوي عن ذكر جوابهم للعلم بوقوعه أي قالوا: بلى فقال: هم (**كل ضعيف**) فهو خبر لمبتدإ محذوف والجملة بيان، ومعنى ضعيف: أي نفسه ضعيفة لتواضعه وضعف حاله في الدنيا (**متضعف**) قال النووي: «ضبطوه بفتح العين وكسرها والمشهور الفتح ولم يذكر الأكثرون غيره» ومعناه أن الناس يستضعفونه ويقهرونه.

(**لو يقسم على الله لأبرّه**) أي لأبرّ قسمه أي لو حلف يمينًا طمعًا في كرم الله بإبراره لأبره بحصول ذلك، ومن ذلك ما روي عن أنس بن النضر في أخته الربيع لما كسرت سنّ المرأة وأمر ﷺ بالقصاص فقال أنس: والله لا تكسر سنّ الربيَّع، فرضي أهل المرأة المجنيّ عليها بالأرش فقال ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرّ قسمه» (**ألا أخبركم بأهل النار**) أي بسماتهم وأفعالهم لتجتنبوها، هم (**كل عتل**) بضم المهملة والفوقية وتشديد اللام (**جواظ مستكبر**) أي متخلق به وهو كما في الحديث المرفوع «بطر الحق» أي دفعه وعدم الانقياد إليه «وغمط الناس» أي احتقارهم زاد في رواية بعد جواظ «جعظري» وهو بفتح الجيم والظاء المعجمة وسكون المهملة بينهما قيل الفظ الغليظ (**متفق عليه**) وأخرجه الترمذي في صفة الجنة (**العتل الغليظ**) العنيف وهذا قول الخطابي (**الجافي**) من الجفاء أي الجافي عن المواعظ (**والجواظ بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة: وهو الجموع المنوع**) هذا بعض تفسير له جاء مرفوعًا (**وقيل**) كما حكاه الخطابي (**الضخم**) في البدن أي كثير لحمه (**المختال**) افتعال من الخيلاء وهو

في مِشيته، وقيل القصير البطين.

٢٥٣ - وعن أَبي العباسِ سَهْلِ بنِ سعدٍ الساعِدِيّ رضي اللَّهُ عنه قال: مرَّ رجُلٌ على النبيّ ﷺ فقال لرجُل عِنْدهُ جالِس: «ما رَأْيُكَ في هذَا؟» فقال: رجُلٌ مِنْ أَشْرافِ النَّاسِ هذا وَاللّهِ حَرِيٌّ إِن خَطَب أَن يُنْكَحَ وَإِن شَفَع أَن يُشَفَّعَ. فَسَكَتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ثم مر رجل ءاخَرُ فقال له رسولُ الله ﷺ: «مَا رأْيُكَ في هذَا؟» فقال: يا رسولَ اللَّهِ هذا رجُلٌ مِن فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ هذَا حَرِيٌّ إِنْ خطَب أَن لا يُنْكَحَ وَإِن شَفَع أَن لا يُشَفَّعَ وَإِن قَالَ أن لا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ،

التكبر (**في مشيته**) بكسر الميم (**وقيل**) كما حكاه في «النهاية» (**القصير البطين**) بفتح أولهما وكسر ثانيهما أي القصير العظيم البطن لشرهه ونهمه فليس غرضه سوى ملء بطنه.

٢٥٣ - (**وعن أبي العباس**) كنية (**سهل**) وهو (**ابن سعد**) بن مالك (**الساعدي**) نسبة (**رضي الله عنه**) لجده ساعدة (**قال: مرّ رجل**) قال الحافظ: «لم أقف على اسمه» (**على النبي ﷺ فقال لرجل عنده جالس**) وفي البخاري «فقال ما تقولون» قال الشيخ زكريا: الخطاب لما حضره ﷺ وهو أبو ذرّ ومن تبعه (**ما رأيك في هذا**) من حيث التعظيم له باعتبار الأمور الدنيوية (**فقال رجل من أشراف الناس**) الذين ينظرون إلى الظواهر (**هذا**) أي المسؤول عنه (**والله حريّ إن خطب**) مولية (**أن ينكح**) بالبناء للمفعول وكذا المضارعة الآتية بعد أي يزوج (**وإن شفع**) في أمر (**أن يشفع**) أي لحسبه أو لشرف نسبه وظهور فخر دنياه (**فسكت رسول الله ﷺ، ثم مر رجل ءاخر**) زاد في رواية للبخاري «من فقراء المسلمين» واسمه جعيل بن سراقة الغفاري (**فقال له**) أي لذلك أي الذي عنده (**رسول الله ﷺ: ما رأيك في هذا، فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حريّ إن خطب**) مولية (**أن لا ينكح**) لفقره (**وإن شفع**) في أمر (**أن لا يشفع، وإن قال**) أي تكلم (**أن لا يسمع لقوله**)

فقال رسولُ اللّه ﷺ: «هذَا خَيْرٌ مِن مِلءِ الأَرْضِ مِثْلِ هذَا». متفقٌ عليه.

قوله: «حَرِيٌّ»: هو بفتح الحاء وكسر الراء وتشديد الياء أي: حقيق. وقوله: «شفع»: بفتح الفاء.

٢٥٤ - وعن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيّ رضي اللَّهُ عنه عن النَّبيّ ﷺ قال: «احْتجَّتِ الجنَّةُ والنَّارُ، فقالت النَّارُ: فِيَّ الجَبَّارُونَ والمُتَكَبّرُونَ، وقَالتِ الجَنَّةُ: فِيَّ ضُعفَاءُ النَّاسِ ومسَاكِينُهُمْ، فَقَضَى اللّهُ بَيْنَهُما:

ويجوز في الأفعال الواقعة جوابًا الجزم وهو الأفصح والرفع لكون فعل الشرط ماضيًا (**فقال رسول الله ﷺ: هذا**) أي الذي احتقرتموه لفقره (**خير**) عند الله (**من ملء الأرض**) أي مما يملأ بها (**مثل هذا**) الذي فضلتموه عليه (**متفق عليه**) وأخرجه ابن ماجه في الزهد (**قوله حريّ هو بفتح الحاء**) المهملة (**وكسر الراء وتشديد الياء: أي حقيق**) وبمعناه جدير وقمين وعسى (**وقوله شفع بفتح الفاء**) مضارعه يشفع بفتحها أيضًا.

٢٥٤ - (**وعن أبي سعيد**) سعد بن مالك بن سنان الأنصاري (**الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: احتجت**) بتشديد الجيم أي تخاصمت (**الجنة والنار**) قال الطيبي: والمقصود حكاية ما يقع بينهما مما اختص به كل منهما، قال النووي: هذا الحديث على ظاهره وإن الله تعالى جعل فيهما إدراكًا فتحاجا، ولا يلزم من هذا أن يكون التمييز فيهما دائمًا (**فقالت النار فيّ**) بتشديد الياء (**الجبارون**) أي الذين يقهرون الغير على مراداتهم على حسب أهويتهم (**والمتكبرون، وقالت الجنة فيّ**) بتشديد الياء أيضًا (**ضعفاء الناس**) أي المتواضعون منهم أو المستضعفون فيهم لفقرهم وعدم ثروتهم، وإنما عزّ الدنيا عند أهلها السكارى بحبها (**ومساكينهم**) أي والمحتاجون منهم الصابرون على الضرار من غير تضجر ولا تبرم من القضاء اكتفاء بتدبير المولى فيهم ورضاء بما قسم لهم (**فقضى الله بينهما**) أي أخبر عما أراده لهما مما سبقت به إرادته

إِنَّكِ الجنَّةُ رحْمتِي أَرْحَمُ بِكِ منْ أَشَاءُ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذَابي أُعذّب بِكِ مَنْ أَشَاءُ، ولِكِلَيكُمَا عَليَّ مِلؤُها». رواه مسلم.

٢٥٥ - وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيأْتِي الرَّجُلُ الْعظِيمُ السَّمِينُ يوْمَ الْقِيامةِ لا يَزِنُ عِنْد اللّهِ جنَاحَ بعُوضَةٍ».

قائلًا (**إنك الجنة**) في اللغة: عبارة عن البستان من النخيل والأعناب والمراد منها هنا مقابل النار (**رحمتي**) قال الطيبي: سماها رحمة لأن بها تظهر رحمة الله كما قال (**أرحم بك من أشاء**) وإلا فرحمة الله من صفاته التي لم يزل بها موصوفًا ليس لله صفة حادثة ولا اسم حادث فهو قديم بجميع أسمائه وصفاته جل وعلا اهـ (**وإنك النار عذابي أعذب بك من أشاء ولكليكما عليّ ملؤها**) فمن يدخل الجنة لا يخرج منها البتة وكذا من يدخل النار من الكفرة أما ذوو المعاصي من المؤمنين إذا دخلوها فلا بد من خروجهم منها ودخولهم الجنة بالوعد الذي لا يخلف قال تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [سورة الزلزلة] وقال ﷺ: «من مات وفي قلبه مثقال ذرّة من إيمان دخل الجنة» (**رواه مسلم**).

٢٥٥ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال) وفي نسخة «قال (**إنه ليأتي**) بفتح اللام وهي المؤذنة بالقسم المقدر قبلها المأتي به لتأكيد الأمر وتقويته (**الرجل العظيم**) قدرًا في الدنيا (**السمين يوم القيامة**) ظرف ليأتي (**لا يزن عند الله جناح بعوضة**) قال النووي: «أي لا يعدله في القدر والمنزلة أي لا قدر له» أي لا قدر له عنده، وتتمة الحديث في مسلم «اقرءوا إن شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا» قال النووي: «في الحديث ذم السمن[1]»، ففيه تنبيه على أنه ليس المدار في الرفعة عند الله والقرب من فضله وساحة جوده بالصور وإنما ذلك بما

---

(١) أي الحاصل من كثرة الأكل لا عن مرض.

متفقٌ عَلَيهِ.

٢٥٦ - وعنه رضي اللَّهُ عنه أَنَّ امْرأَةً سوْداءَ كَانَتْ تَقُمُّ المسْجِد أَوْ شَابًّا فَفَقَدَهَا أَوْ فَقَدَهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَ عَنْهَا أَوْ عنْهُ فقالوا: مات قال: «أَفَلا كُنْتُمْ ءاذَنْتُمُونِي» فَكأَنَّهُمْ صغَّرُوا أَمْرَهَا أَوْ أَمْرَهُ، فقال: «دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ» فدلُّوهُ فَصلَّى علَيها ثُمَّ قال: «إِنَّ هذِهِ الْقُبُورَ مملُوءَةٌ ظُلْمةً علَى أَهْلِهَا وإِنَّ اللّهَ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بصَلاتِي عَلَيْهِمْ». متفقٌ عليه.

يقرّ في القلوب من الأنوار الإلٰهية والتجليات الربانية أهَّلنا الله لذلك بفضله (**متفق عليه**) وأخرجه الطبراني في «الأوسط».

٢٥٦ - (**وعنه رضي اللَّهُ عنه**) عن أبي هريرة رضي الله عنه (**أن امرأة سوداء كانت تقمّ المسجد أو شابًا**) أي أسود. ورواه البيهقي بإسناد حسن من حديث ابن بريدة عن أبيه فسماها «أم محجن» وأفاد أن الذي أجاب النبي ﷺ عن سؤاله عنها أبو بكر الصديق (**ففقدها أو فقده**) أي المرأة أو النسمة ليعم كلًا منهما (**رسول الله ﷺ فسأل عنها، أو**) شك من الراوي مرتب على الشك قبله أي وقال (**عنه**) أي عن حال ذلك الإنسان ومفعول سأل محذوف أي سأل الناس (**فقالوا مات**) أي ذلك الشخص (**قال: أفلا كنتم ءاذنتموني**) أي أمسكتم عن الإعلام فما ءاذنتموني وفي نسخة زيادة «به» أي أعلمتموني بموته والمعطوف عليه مقدر بعد الهمزة (**فكأنهم صغروا**) بتشديد الغين (**أمرها، أو**) شك أي أو قال صغروا (**أمره**) أي أنه من الفقراء الخاملين الذي لا يؤبه بوفاة مثله فيدعى للصلاة عليها مثلك، وهذا يحتمل أن يكون من الصحابة وقالوا ذلك اعتذارًا أي إننا ءاثرنا راحتك وبقاءك في منزلك أن مثل ذلك الميت ليس من مشاهير الصحابة (**فقال: دلوني على قبره فدلوه فصلى عليها**) أي النسمة المتوفاة، هذا ما اتفقا عليه. زاد مسلم (**ثم قال**) أي النبي ﷺ (**إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها**) لعدم المنافذ التي يدخل منها الضوء إليها فلا ينيرها إلا الأعمال الصالحة أو الشفاعات المقبولة الراجحة (**وإن الله ينورها لهم**) أي يدخل النور لهم فيها (**بصلاتي عليهم**) بسبب صلاتي عليهم (**متفق عليه**).

قوله: «تَقُمُّ»: هو بفتح التاء وضم القاف، أي تَكْنُسُ، والقُمامة: الكُنَاسَة.

و«ءاذنتموني» بمدّ الهمزة أي أَعلَمتموني.

٢٥٧ - وعنه رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «رُبَّ أَشْعثَ مدْفُوعٍ بالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسمَ علَى اللّه لأَبَرَّهُ». رواه مسلم.

وفي الحديث فضل تنظيف المساجد والسؤال عن الخادم والصديق إذا غاب، وفيه المكافأة بالدعاء والترغيب في شهود جنائز أهل الخير، وندب الصلاة على الميت الحاضر عند قبره لمن لم يصل عليه **(قوله تقم هو بفتح التاء)** أي الفوقية إن كان المحدث عنه الجارية وإلا فبالتحتية **(وضم القاف أي تكنس)** قال الحافظ في الفتح: جاء في رواية «أنها كانت تلتقط الخرق والعيدان من المسجد» **(والقمامة الكناسة)** بضم أوليهما وهذه الصيغة لما لا يحتفل كالزبالة والنخالة **(وءاذنتموني بمد الهمزة)** أي **(أعلمتموني)** من الإيذان: الإعلام.

٢٥٧ - (وعنه رضي اللَّهُ عنه) أي أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: رب)** قال ابن هشام في «المغني»: ليس معناها التقليل دائمًا بل ترد للتكثير كثيرًا أو للتقليل قليلًا ومن الأول قوله تعالى ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢﴾ [سورة الحجر] وفي الحديث «يا رُبَّ كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة» اهـ **(أشعث)** قال النووي: «هو الملبد الشعر المغبر غير مدهون ولا مرجّل» **(مدفوع بالأبواب)** قال النووي: «أي لا قدر له عند الناس فهم يدفعونه عن أبوابهم ويطردونه عنهم احتقارًا له» **(لو أقسم على الله)** أي حلف يمينًا بحصول أمر طمعًا في كرم الله **(لأبره)** لأوجد ذلك إكرامًا له بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث في يمينه وهذا لعظم منزلته عند الله تعالى وإن كان حقيرًا عند الناس **(رواه مسلم)**.

٢٥٨ - وعن أُسامةَ رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قال: «قُمْتُ عَلَى بابِ الْجنَّةِ فكانَ عامَّةُ مَن دخَلَهَا الْمَسَاكِينُ وأَصْحابُ الجَدّ محْبُوسُونَ غيْرَ أَنَّ أَصْحابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وقُمْتُ علَى بابِ النَّارِ فَإِذَا عامَّةُ من دخلهَا النّساءُ». متفقٌ عليه.

و«الجدُّ» بفتح الجيم:

---

٢٥٨ - (وعن أسامة) هو ابن زيد حبّ رسول الله ﷺ وابن أخيه **(رضي الله عنه)** حال كونه راويًا **(عن النبي ﷺ قال: قمت على باب الجنة فكان عامة)** أي معظم **(من دخلها)** من الناس **(المساكين)** أي الضعفاء المستضعفين في الدنيا الصابرين على الضراء والشاكرين على السراء **(وأصحاب الجد)** قال الحافظ: «أي الغِنى» **(محبوسون)** قال ابن بطال: وإنما صار أصحاب الجد محبوسون لمنعهم حقوق الله الواجبة للفقراء في أموالهم فحبسوا للحساب لما منعوه، فأما من أدى حقوق الله في ماله فإنه لا يحبس عن الجنة إلا أنهم قليل إذ أكثر شأن أهل المال تضييع حقوق الله تعالى فيه لأنه محنة وفتنة ألا ترى إلى قوله: «وكان عامة من دخلها المساكين وهذا يدل على أن الذين يؤدون حقوق الله في المال ويسلمون من فتنه هم الأقلون اهـ. وقيل إنهم محبوسون لتسبقهم الفقراء بخمسمائة عام كما ورد ذلك في الحديث **(غير)** بالنصب وفي رواية «إلا» **(أن أصحاب النار)** أي المستحقون لها بكفر أو معاصي من أصحاب الجد **(قد أمر بهم إلى النار وقمت على باب النار)** فكشف لي عن أهلها **(فإذا عامة من دخلها النساء. متفق عليه)** وأخرجه أحمد والنسائي في عشرة النساء، قال النووي: وفي هذا تفضيل الفقر على الغنى. وتعقب بأنه ليس فيه أكثر من بيان أن الفقراء في الجنة أكثر من الأغنياء وليس فيه أن الفقر أدخلهم الجنة إنما دخلوها بصلاحهم مع الفقر فالفقير إذا لم يكن صالحًا لا فضل فيه. قال العلقمي: ظاهر الحديث التحريض على ترك التوسع من الدنيا، كما أن فيه تحريضًا على الأغنياء بأمر الدين لئلا يدخلوا النار اهـ **(والجد بفتح الجيم)** وتشديد

الحظُّ والغِنى.

وقوله: «مَحْبوسون» أي: لم يُؤذَن لَهُم بَعْدُ في دخول الجنَّةِ.

٢٥٩ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قال: «لَمْ يَتَكَلَّمْ في المَهْدِ إلا ثَلاثَةٌ: عِيسى ابْنُ مرْيَمَ، وصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلاً عَابِدًا فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً

الدال المهملة (**الحظ والغنى**) ويطلق على أبي الأب وعلى أبي الأم وعلى العظمة ومنه «تعالى جد ربنا» أما الجد بالكسر فالاجتهاد (**وقوله محبوسون: أي لم يؤذن لهم بعد في دخول الجنة**) إما لوقوفهم للحساب وإما ليسبقهم إليها صالحو الفقراء كما تقدم.

٢٥٩ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة**) قال الزركشي: أي من بني إسرائيل وإلا فقد تكلم في المهد جماعة غيرهم قال السيوطي في «التوضيح» فكملوا عشرة، وقد نظمها في أبيات وقد نظم ابن علان أسماءهم فقال: [المتقارب]

تكلم في المهد طه كذا ... خليل ويحيى وعيسى ومريم
وشاهد يوسف مبري جريج ... وطفل لدى النار لما تضرم
وطفل ابن ماشطة قد عدت ... لفرعون فيما مضى من أمم
وطفل عليه أتوا بالأمه ... يقولون تزني ولما تكلم
كذلك في عهد خير الورى ... مباركهم وبه يختتم

(**عيسى**) اسم عبراني (**ابن مريم**) إذ قال وهو في المهد كما أخبر الله عنه ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة مريم] الآية (**وصاحب جريج**) بجيمين مصغر (**وكان جريج رجلاً عابدًا**) وكان في أول أمره تاجرًا، وكان يزيد مرة وينقص أخرى فقال: ما في هذه التجارة خير لألتمسنّ تجارة في خير من هذه فبنى صومعة وترهب فيها كذا في رواية أحمد، فدل ذلك على أنه كان بعد عيسى ومن أتباعه، لأنهم الذين ابتدعوا الترهيب وحبس النفس في الصوامع (**فاتخذ صومعة**) قال الحافظ ابن حجر: «هي

فكانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصلي فَقَالَتْ: يا جُرَيْجُ فقال: يَا رَبّ أُمّي وَصَلاتِي، فأَقْبلَ علَى صلاتِهِ فَانْصرفَتْ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وهُو يُصَلّي فقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فقال: يَا رَبّ أُمّي وَصَلاتِي، فَأَقْبَلَ علَى صَلاتِهِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فقال: أَيْ رَبّ أُمّي وَصَلاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لا تُمِتْهُ حَتَّى ينْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ. فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرائِيلَ جُريْجًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمثَّلُ بِحُسْنِهَا،

البناء المرتفع المحدد أعلاه ووزنها فوعلة من صمعت إذا دققت لأنها دقيقة الرأس» (**فكان فيها**) يعبد الله مؤثرًا للخلوة والعزلة (**فأتته أمه وهو يصلي فقالت: يا جريج**) زاد في رواية أحمد «أشرف عليَّ أكلمْك أنا أمك» وفي حديث عمران بن حصين «وكانت أمه تأتيه فتناديه فيشرف عليها فتكلمه فأتته يومًا وهو في صلاته» (**فقال: يا**) وفي نسخة بدل يا «أي» بفتح الهمزة وسكون الياء لنداء القريب وهو تعالى أقرب من كل قريب بعلمه وكرمه (**ربّ أمي وصلاتي**) أي اجتمع علي إجابة أمي وإتمام صلاتي فوفقني لأفضلهما (**فأقبل على**) إتمام (**صلاته، فانصرفت**) ذلك اليوم (**فلما كان**) أي جريج في زمان (**من الغد**) اليوم الذي بعد ذلك اليوم الأول (**أتته**) أمه (**وهو يصلي فقالت: يا جريج، فقال: أي ربّ أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته**) في اليوم الثاني أيضًا (**فلما كان من الغد**) أي لليوم الثاني وهو الثالث (**أتته فقالت: يا جريج، فقال: أي**) وفي نسخة مصححة يا (**ربّ أمي وصلاتي فأقبل على صلاته**) قال الحافظ في «فتح الباري»: «وكل ذلك أي الكلام الوارد عنه في الصلاة محمول على أنه قاله في نفسه لا أنه نطق به» (**فقالت: اللهم لا تمته**) بضم الفوقية الأولى (**حتى ينظر إلى وجوه المومسات فتذاكر بنو إسرائيل جريجًا وعبادته وكانت امرأة بغيّ**) أي زانية، (**يتمثل بحسنها**) بضم التحتية وفتح الفوقية وتشديد المثلثة بعد الميم: أي يضرب بحسنها لكماله المثل

فَقَالَتْ: إِن شِئْتُمْ لأَفْتِنَنَّهُ، فتَعرَّضَتْ لَهُ فَلَمْ يلْتَفِتْ إِلَيْهَا فأَتتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صوْمعَتِهِ فَأَمْكنَتْهُ مِن نَفْسِهَا فَوقَع علَيْهَا فَحَملَتْ، فَلَمَّا وَلَدتْ قَالَتْ: هُوَ من جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فاسْتَنزَلُوه وهدَمُوا صوْمَعَتَهُ وجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فقال: ما شَأْنُكُمْ؟ فَقَالُوا: زنَيْتَ بِهذِهِ الْبغِيّ فَولَدتْ مِنْك، قال: أَيْنَ الصَّبيُّ؟ فَجاءوا بِهِ فقال: دَعُونِي حَتَّى أُصَلّي فصلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبيَّ فَطَعنَ فِي بطْنِهِ وقالَ: يا غُلامُ

(**فقالت: إن شئتم لأفتننه**) في رواية وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عند أحمد زيادة «فقالوا قد شئنا» (**فتعرضت له فلم يلتفت إليها**) لعلمه بما يترتب على النظر إلى حسان الصور من الضرر (**ف**) لما لم يفتتن ووعدتهم بذلك منه ولم تقدر عليه (**أتت راعيًا كان يأوي إلى صومعته**) أي صومعة جريج (**فأمكنته من نفسها**) لتحمل فتنسبه إلى جريج فتصدق نفسها فيما وعدت به من فتنته (**فوقع عليها**) أي جامعها (**فحملت فلما ولدت**) أي بعد انقضاء مدة حملها على العادة (**قالت: هو من جريج**) فيه حذف تقديره فسئلت ممن هو؟ فقالت من جريج (**فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه**) وفي رواية أبي رافع: «فقالوا: أي جريج انزل فأتى يقبل على صلاته فأخذوا في هدم صومعته (**فقال: ما شأنكم فقالوا: زنيت بهذه البغيّ فولدت**) بفتح اللام (**منك قال: أين الصبيّ، فجاءوا به**) أي أحضروه (**فقال: دعوني**) أي من السب والضرب (**حتى أصلي**) ففيه اللجأ إلى الصلاة عند الكرب. وفي الحديث «كان ﷺ إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة» رواه الطبراني في «تفسيره» (**فصلى**) ركعتين[1] كما في حديث عمران وعند وهب بن جرير فقام وصلى ودعا (**فلما انصرف**) أي من صلاته (**أتى الصبي فطعن في بطنه وقال: يا غلام**

---

(١) وفي هذا دليل على أنَّ عيسى كان يأمر أتباعه بالصلاة لله تعالى والتي فيها ركوع وسجود وهذا شأن كل أنبياء الله تعالى الذين كلهم دعوا إلى دين واحد هو الإسلام.

مَنْ أَبُوكَ؟ قال: فُلانٌ الرَّاعِي، فَأَقْبلُوا علَى جُرَيْجٍ يُقَبّلُونَهُ وَيَتَمسَّحُونَ بِهِ وقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِن ذَهَبٍ، قال: لَا، أَعِيدُوهَا مِن طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا. وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضعُ مِنْ أُمِّهِ فَمَرَّ رَجُلٌ

من أبوك؟ قال: فلان الراعي) في رواية أبي رافع «ثم مسح رأس الصبي فقال: من أبوك؟ قال: راعي الضأن» **(فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به)** عند وهب بن جرير «فوثبوا إلى جريج فجعلوا يقبلونه» وزاد «الأعرج» فأبرأ الله جريجًا وأعظم الناس أمر جريج **(وقالوا نبني لك صومعتك)** أي ما هدمناه منها كما في رواية أبي رافع **(من ذهب؟ قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا)** زاد في رواية أبي سلمة «فرجع إلى صومعته فقالوا: بالله مم ضحكت؟ فقال: ما ضحكت إلا من دعوة دعتها عليّ أمي» وفي الحديث إيثار إجابة الأم على صلاة التطوع. قال المصنف وغيره: إنما دعت عليه لأنه كان يمكنه تخفيف صلاته وإجابتها، لكن لعله خشي أن تدعوه إلى مفارقة صومعته والعود إلى الدنيا وتعلقاتها، ونظر فيه الحافظ في «الفتح» بما تقدم من أنها كانت تأتيه فيكلمها. والظاهر أنها كانت تشتاق إليه فتزوره وتقنع برؤيته وتكليمه. وفي الحديث أيضًا عظم برّ الوالدين وإجابة دعائهما ولو كان الولد معذورًا لكن يختلف الحال في ذلك بحسب المقاصد. وفيه الرفق بالتابع لأن أم جريج مع غضبها منه لم تدع عليه إلا بما دعت به خاصة. وفيه أن صاحب الصدق مع الله لا تضرّه الفتن. وفيه قوّة يقين جريج وصحة رجائه بنطق ما استنطقه، وفيه أن الله يجعل لأوليائه مخارج عند ابتلائهم وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم في بعض الأوقات تهذيبًا وزيادة في الثواب، وفيه إثبات كرامات الأولياء ووقوع الكرامة لهم باختيارهم وطلبهم، وفيه أن الوضوء لا يختص بهذه الأمة خلافًا لمن زعم ذلك وإنما الذي يختص بها الغرّة والتحجيل في الآخرة اهـ **(وبينا)** أصله بين فأشبعت الفتحة فتولدت الألف وكفت عن إضافته للمفرد وأضيف للجمل **(صبي يرضع من أمه فمر رجل)** في رواية خلاس

رَاكِبٌ عَلى دابَّةٍ فَارِهَةٍ وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ فَقالت أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَل ابْنِي مِثْلَ هذَا، فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فقال: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ» «وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ وَهِي تَقُولُ: حَسْبِيَ اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فقالت أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنظَرَ إِلَيْهَا فقال: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مَثْلَهَا،

عن أبي هريرة عند أحمد «فارس متكبر» (**راكب على دابة فارهة وشارة**) بفتح الراء (**حسنة**) أي منظر أبهى وملبس سنيّ (**فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي**) بفتح المثلثة وسكون الدال المهملة وتخفيف الياء قال في «الصحاح» يذكر ويؤنث وهي للمرأة والرجل أيضًا (**وأقبل إليه فنظر إليه**) أي معتبرًا لحاله بالسرّ الذي ألهمه الله إياه (**فقال: اللهم لا تجعلني مثله**) أي في الجبروت والتكبر وإن كان حسنًا في المنظر فلا مدار على حسن الصورة بل على نور الباطن وأنوار السريرة (**ثم أقبل على ثديه**) يرضعه (**فجعل يرتضع ومرّوا**) وفي باب بدء الخلق من البخاري ومرّ بالمبني للمجهول (**بجارية وهم يضربونها**) وعند البخاري بأمة قال الحافظ: وقع في رواية خلاس أنها كانت حبشية أو زنجية (**ويقولون: زنيت، سرقت**) بكسر التاء فيهما للواحدة المخاطبة (**وهي تقول حسبي الله**) أي بحسبي أي كافيّ (**و**) هو (**نعم الوكيل**) اكتفت بهذا الذكر عن تبرئتها لنفسها ونفي ما رموها به من الزنا والسرقة علمًا بأن من اعتمد على مولاه كفاه ما أهمه من أمر دنياه وأخراه قال تعالى ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ ﴿٣﴾﴾ [سورة الطلاق] (**فقالت أمه**) لقصر نظرها على الظاهر (**اللهم لا تجعل ابني مثلها**) أي في كونه حقيرًا يضرب لفعل السوء (**فترك**) الابن (**الرضاع ونظر إليها**) فألهمه الله أنها بريئة مما رميت به ومظلومة فيما يفعل بها (**فقال: اللهم اجعلني مثلها**) أي في البراءة من مزاولة المعاصي والوقوع فيها لا مثلها في الاتهام بما لم أفعل لأنه من باب تمني البلاء وهو منهيّ عنه كما في خبر «لا تمنوا لقاء العدوّ»

فَهُنالِكَ تَرَاجَعَا الحَدِيثَ فقالَت: مَرَّ رَجُلٌ حسَنُ الهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَل ابْنِي مِثْلَهُ فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الأَمَةِ وَهُم يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَل ابْنِي مِثْلَها فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ اجعَلْنِي مِثْلَهَا؟ قالَ: إِنَّ ذلِكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا فَقُلتُ: اللَّهُمَّ لا تجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ زَنَيْتِ وَلَمْ تَزْنِ وَسَرَقْتِ وَلَمْ تَسْرِقْ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا».

الحديث (**فهنالك**) أي في ذلك الحال (**تراجعا الحديث**) أي سألته عن سبب مخالفته لها (**فقالت**) مخاطبة له لما صدر منه من المعارضة والمخالفة لها (**مرّ رجل حسن الهيئة**) هو بمعنى قوله في الرواية السابقة راكب دابة فارهة وشارة حسنة (**فقلت اللهم اجعل ابني مثله**) حسن المنظر جميل الهيئة (**فقلت**) بفتح التاء ضمير المخاطب (**اللهم لا تجعلني مثله ومروا بهذه الأمة**) لعلها كانت بالقرب لم تبعد حال كلامها معه وإن كانت قد ذهبت. فالإتيان باسم الإشارة الموضوع للقريب لقرب القصة بالنسبة لما قبلها (**وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت فقلت: اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت: اللهم اجعلني مثلها**) فأجابها ببيان سبب ذلك (**قال إن ذلك الرجل كان جبارًا**) وكل عات وقلب لا تدخله الرحمة والقتال في غير حق والعظيم القوي الطويل جبار (**فقلت: اللهم لا تجعلني مثله**) في الجبروت فإنه سبب للقصم والهلاك في الدين (**وإن هذه**) أي الأمة الحاضرة أو التي في معنى الحاضرة لقرب قصتها (**يقولون**) أي لها (**زنيت و**) هي (**لم تزن و**) يقولون (**سرقت**) بكسر الفوقية فيه وفيما قبله (**ولم تسرق فقلت: اللهم اجعلني مثلها**) أي في السلامة من الذنب والبراءة من وَصْمته: قال الحافظ في «الفتح»: في الحديث أن نفوس أهل الدنيا تقف مع الخيال الظاهر فتعاف سوء الحال، بخلاف أهل التحقيق فوقوفهم مع الحقيقة في الباطن فلا يبالون بذلك مع حسن السريرة كما قال تعالى حكاية عن أصحاب قارون حيث

متفق عليه.

«المُومِسات»: بضم الميم الأولى وإسكان الواو وكسر الميم الثانية وبالسين المهملة: وهنَّ الزَّواني. والمومسة: الزانية. وقوله: «دابَّة فارهة»: بالفاء: أي حاذقة نفيسة. و«الشارةُ»: بالشين المعجمة وتخفيف الراء: وهي الجمال الظاهر في الهيئة والمَلْبَس. ومعنى «تراجعا الحديث» أي: حدثت الصبيَّ وحدَّثها، والله أعلم.

خرج عليهم قالوا ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ ٨٠﴾ [سورة القصص] وفيه أن البشر طبعوا على إيثار الأولاد على النفس بالخير لطلب المرأة الخير لابنها ودفع الشرّ عنه ولم تذكر نفسها (**متفق عليه**. **المومسات بضم الميم الأولى وإسكان الواو وكسر الميم الثانية وبالسين المهملة وهن الزواني**) ويجمع في التكسير على مواميس (**والمومسة الزانية**) وفي «الصحاح»: المومسة الفاجرة وهو أعم من قوله هنا الزانية إلا أن يكون مرادًا منه ذلك (**وقوله دابة**) بالجرّ على الحكاية (**فارهة بالفاء**) والراء والهاء وبعدها تاء التأنيث (**أي حاذقة نفيسة**) وفي «الصحاح» الفاره الحاذق بالشيء اهـ (**والشارة بالشين المعجمة وتخفيف الراء: وهي الجمال الظاهر في الهيئة والملبس**) زاد في «فتح الباري» حتى يتعجب منه وعليه فيقدر في الحديث مضاف أي وذو شارة حسنة (**ومعنى**) تراجعا الحديث أي تراجع الصبي وأمه (**حديث الصبي**) وحديثها الأنسب تقديم حديثها على حديثه وكان تأخيره لشرف الذكر (**والله أعلم**).

٣٣ - باب ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين والإحسان إليهم والشفقة عليهم والتواضع معهم وخفض الجناح لهم

قال الله تعالىٰ ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الحِجْر]،

---

٣٣ - باب ملاطفة اليتيم

هو صغير لا أب له (**والبنات**) أي بنات الإنسان نفسه ومثلهن فيما ذكر بنات غيره والتنصيص عليهن لأن بعض الناس يضجر منهن ويقسو عليهن والبنات جمع مؤنث سالم واحده بنت (**وسائر الضعفة**) من العبيد والإماء (**والمساكين**) أي المحتاجين فالمراد منه ما يشمل الفقراء قال الشافعي رضي الله عنه: الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا (**والمنكسرين**) أي لطارق حل بهم (**والإحسان إليهم**) ببذل الندى أو دفع الأذى أو كلمة طيبة: كأمر بمعروف أو نهي عن منكر أو دعاء لهم قال تعالى ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة البقرة] (**والشفقة**) أي الحنوّ (**عليهم**) والرحمة لهم، قال تعالى في وصف نبيه ﷺ: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الأحزاب] وعلامة ذلك النصح لهم وأن يحبّ لهم ما يحبّ لنفسه من وجوه الخير (**والتواضع**) قال الجنيد: هو خفض الجناح ولين الجانب (**معهم وخفض الجناح لهم**) هو عطف تفسيري إن عطف على التواضع وإن عطف على الملاطفة فمن عطف الخاص على العام، وخفض الجناح كناية عن التواضع قاله أبو حيان في «النهر».

(**قال الله تعالى**) مخاطبًا لنبيه ﷺ ومحرضًا له على مكارم الأخلاق ومحاسنها (﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾) أي ليّن جانبك لهم، مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحطّ.

وقال تعالىٰ ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الكهف]، **وقال تعالىٰ** ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الضحى]، **وقال تعالىٰ** ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣﴾﴾ [سورة الماعون].

(**وقال تعالى** ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾) أي احبسها (﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾) أي يعبدونه في سائر الأوقات فهما كناية عن الزمان الدائم ولا يراد بهما خصوص زمانهما، أو خص الزمان بالذكر لغلبة الشغل فيهما. فإذا لم يغفلوا فيهما مع ذلك فأن لا يغفلوا في غيرهما أولى (﴿يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾) أي لا تجاوزهم ناظرًا إلى غيرهم من ذوي الهيئات من رؤساء قريش (﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴿٢٨﴾﴾).

(**وقال تعالى** ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾﴾) قال أبو حيان: أي لا تحقره وكأنه تفسير باللازم إذ يلزم منها قهره على ماله وغيره. قال البيضاوي: أي لا تغلبه على ماله لضعفه. وقرىء: «فلا تكهر» أي لا تعبس في وجهه (﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ﴾) ظاهره المستعطي (﴿فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾﴾) أي لا تزجره لكن أعطه أو رده ردًّا جميلًا.

(**وقال تعالى** ﴿أَرَءَيۡتَ﴾) استفهام معناه التعجب (﴿ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾﴾) بالجزاء أو الإسلام «والذي» يحتمل الجنس والعهد، ويؤيد الثاني قوله: (﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾) أي يدفعه دفعًا عنيفًا وهو أبو جهل كان وصيًّا ليتيم فجاءه عريانًا يسأله من مال نفسه فدفعه. أو أبو سفيان نحر جزورًا فسأله يتيم لحمًا فقرعه بعصاه وقرئ يدع أي يتركه (﴿وَلَا يَحُضُّ﴾) أهله وغيرهم (﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣﴾﴾) أي لا يفعل ذلك بنفسه ولا يحرض عليه غيره لعدم اعتقاده بالجزاء.

٢٦٠ - وعن سعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ رضي اللَّهُ عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبيّ ﷺ ستَّةَ نفَرٍ، فقال المشركونَ للنَّبيّ ﷺ: «اطْرُدْ هؤُلاءِ لا يَجْتَرِئُونَ علينا»، وَكُنْتُ أَنَا وابْنُ مَسْعُودٍ ورجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ وبِلالٌ ورجلانِ لستُ أُسمّيهِما فَوقَعَ في نَفْسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ما شاءَ اللَّهُ أَن يقعَ فحدَّث نفْسَه فأَنزلَ اللّهُ تعالىٰ ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الأنعام]. رواه مسلم.

---

٢٦٠ - (وعن سعد بن أبي وقاص) مالك القرشي الزهري **(رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر)** أي مصاحبين له ﷺ أو بالعكس، والنفر بالتحريك عدة رجال من ثلاثة إلى عشرة **(فقال المشركون)** أي أشرافهم **(للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء)** أي الستة المذكورين وكان ذلك أنفة منهم من مجالستهم لاستصغارهم **(لا يجترئون)** أي لئلا يحصل منهم الجرأة **(علينا)** فنعير بذلك ثم بين النفر الستة بقوله **(وكنت أنا وابن مسعود)** الهذلي **(ورجل من هذيل)** لم أرَ من سماه من شرح صحيح مسلم **(وبلال)** مولى أبي بكر **(ورجلان لست أسميهما)** كأنه يعني أبا بكر وعليًّا رضي الله عنهما **(فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع)** يشير إلى أنه وقع في خاطره ﷺ ميل إلى إبعاد هؤلاء المسلمين عن حضور مجلس المشركين الذين كانوا أشرافًا في قومهم **(فحدّث نفسه)** أي بذلك **(فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴿٥٢﴾﴾)** فنهاه عما هم به من الطرد لا أنه وقع الطرد ووصف أولئك بأحسن أوصافهم، وأمره بأن يصبر نفسه معهم بقبوله ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الكهف] وقوله ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الأنعام] بطلب التوفيق والتيسير وبالعشي بطلب العفو عن التقصير وقوله ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الأنعام] أي يخلصون في عبادتهم وعملهم لله تعالى ويتوجهون إليه بذلك لا لغيره **(رواه مسلم)** في الفضائل من «صحيحه».

٢٦١ - وعن أبي هُبَيْرَةَ عَائِذِ بنِ عمْرو المُزَنِيّ وَهُوَ مِنْ أَهلِ بيْعةِ الرِضوانِ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ أبا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وصُهيبٍ وبِلالٍ في نفَرٍ فقالوا: ما أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عدُوّ اللّهِ مَأْخَذَهَا، فقال أَبُو بَكْرٍ رضي اللَّهُ عنه: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخ قُرَيْشٍ وَسَيّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فقال: «يا أبا بكرٍ لعلَّكَ أَغْضَبتَهُمْ؟ لَئِن كُنْتَ أَغضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ ربَّكَ؟ فأَتاهُمْ فقال: يا إِخْوتَاهُ

---

٢٦١ - (**وعن أبي هبيرة**) بضم الهاء (**عائذ**) بالعين المهملة (**ابن عمرو**) بن هلال (**المزني**) بضم الميم وفتح الزاي وبعدها نون نسبة إلى مزينة أم عثمان وأخيه أوس ابني عمرو (**وهو من أهل بيعة الرضوان**) أي من الذين بايعوا النبي ﷺ بالحديبية تحت الشجرة على أن لا يفرّوا. وفي رواية على الموت وكانوا ألفًا وأربعمائة» وفي رواية «وخمسمائة». وجمع بينهما بأن المائة المزيدة لعلهم أتباع أولئك، فأنزل الله تعالى ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الفتح] فسميت بيعة الرضوان لأنها سبب ذلك (**رضي الله عنه أن أبا سفيان**) صخر بن حرب بن أمية (**أتى على سلمان**) بسكون اللام وهو الفارسي في السنة الأولى من الهجرة (**وصهيب**) بن سنان الرومي (**وبلال**) مولى الصديق (**في نفر**) من نفر الصحابة قال النووي: «وهذا الإتيان لأبي سفيان كان وهو كافر في الهدنة بعد صلح الحديبية» (**فقالوا ما أخذت سيوف الله من عدو الله**) يعنون أبا سفيان (**مأخذها**) أي أنه لم تعمل فيه سيوف المسلمين (**فقال أبو بكر**) الصديق (**رضي الله عنه**) تألفًا لأبي سفيان ليسكن الإيمان في قلبه ويميل إلى المؤمنين وتوادهم (**أتقولون هذا**) أي القول، فهو مفعول مطلق (**لشيخ قريش وسيدهم**) فإنه كان عقيدهم في الحروب (**فأتى**) الصديق (**النبي ﷺ فأخبره**) بما وقع من أولئك ومنه في جوابهم (**فقال: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم**) أي زجرتهم أو أسأت إليهم فتسبب عن ذلك غضبهم (**لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك**) لأنهم أولياؤه (**فأتاهم فقال: يا إخوتاه**) يا فيه للنداء للاستغاثة

أَغْضبْتُكُمْ؟ قالوا: لا، يَغْفِرُ اللّهُ لكَ يا أُخيَّ. رواه مسلم.

قوله: «مأخذها» أي لم تستوفِ حقَّها منه.

وقوله: «يا أُخَيَّ» رُوِيَ بفتح الهمزة وكسر الخاءِ وتخفيف الياء، ورُوي بضمّ الهمزة وفتح الخاء وتشديد الياء.

٢٦٢ - وعن سَهْلِ بنِ سعدٍ السَّاعِدِيّ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا وكَافِلُ الْيَتِيمِ في الجَنَّةِ هكَذَا» وأَشَار بِالسَّبَّابَةِ

بهم، (**أغضبتكم**) أي بما قلته من جهة أبي سفيان (**قالوا: لا**) أي لم يحصل لنا من ذلك غضب وذلك لعلمهم بأن الصديق لم يحتقرهم ولا قصد إيذاءهم، إنما أراد تألفه ليكثر سواد المسلمين بإيمانه وإيمان تابعيه، وقولهم (**يغفر الله لك**) جملة دعائية مزيدة على الجواب. وفي «اللطف واللطائف» للثعالبي «أن الصديق رضي الله عنه رأى في يد بلال متاعًا فقال: أتبيعه؟ فقال: لا، يرحمك الله، فقال له الصديق: قل: لا ويرحمك الله، لئلا يشتبه الدعاء لي بالدعاء عليّ» (**يا أخي**) وفي تعبيرهم بهذا اللفظ إيماء إلى سبب عدم تأثرهم من كلامه وحملهم له على أحسن المحامل، لأن هذا شأن الإخوان وإن قل ذلك في الكثير من أبناء الوقت والزمان وبالله المستعان (**رواه مسلم**) في الفضائل من «صحيحه».

(**قوله مأخذها أي لم تستوف حقها منه**) تفسير لمجموع قولهم إن سيوف الله إلخ (**وقوله**) أي القائل من النفر (**يا أخي روي بفتح الهمزة وكسر الخاء**) المعجمة (**وتخفيف الياء، وروي بضم الهمزة وفتح الخاء وتشديد الياء**) على صيغة التصغير وهو تصغير تحبب.

٢٦٢ - (وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا) خبر، وقوله في الجنة في محل الحال (**وأشار**) لزيادة التبيين وإدخال المعاني في ذهن السامع لكونها بصورة المحسوس المدركة عادة (**بالسبابة**) قال الحافظ ابن حجر: «وفي رواية بالسباحة بحاء مهملة بدل الموحدة الثانية وهي التي تلي الإبهام،

وَالوُسْطَى وفَرَّجَ بَيْنَهُمَا. رواه البخاري.

و«كافل اليتيم»: القائم بأموره.

٢٦٣ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «كَافِلُ الْيَتيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ،

سميت بذلك لأنها يسبح بها في الصلاة ويشار بها في التشهد لذلك وهي السبابة أيضًا لأنها يسب بها الشيطان حينئذ» **(والوسطى)** قال ابن بطال: حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به فيكون رفيق النبي ﷺ في الجنة **(وفرج)** بتشديد الراء أي فرق **(بينهما)** أي بين السبابة والوسطى قال القرطبي معنى قوله: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين» أنه معه فيها وبحضرته غير أن كل واحد منهما على درجته فيها إذ لا يبلغ درجة الأنبياء غيرهم ولا يبلغ درجة نبينا أحد من الأنبياء وإلى هذا المعنى الإشارة بقرانه بين أصبعيه فيفهم من الجمع المعية والحضور ومن تفاوت ما بينهما اختصاص كل منهما بدرجة ومنزلة اهـ.

قال الحافظ العراقي: لعل الحكمة في تشبيه كافل اليتيم بالنبي ﷺ في دخول الجنة كونه ﷺ من شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلًا لهم ومعلمًا ومرشدًا وكذا كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه فيرشده ويعلمه ويحسن أدبه فظهرت مناسبة ذلك اهـ **(رواه البخاري)** وأخرجه أحمد **(وكافل اليتيم القائم بأموره)** دينًا ودنيًا وذلك بالنفقة والكسوة والتربية والتأديب وغير ذلك، قال النووي في «شرح مسلم» وهذه الفضيلة تحصل لمن كفل اليتيم من مال نفسه أو مال اليتيم بولاية شرعية.

٢٦٣ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كافل اليتيم) قال النووي: «أي القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك» **(له أو لغيره)** قال النووي: «فالذي له أن يكون قريبًا له كجده وأمه وجدته وأخيه وأخته وعمه وخاله وعمته وخالته وغيرهم

أَنَا وهُوَ كهَاتَيْنِ في الجَنَّةِ» وأَشَارَ الرَّاوي وهُو مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ بِالسَّبَّابةِ والْوُسْطى. رواه مسلم.

وقوله ﷺ: «الْيَتِيم لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ» معناهُ: قَرِيبُه أَو الأَجنَبِيُّ مِنْهُ، فَالْقرِيبُ مِثلُ أَن تَكْفُلَه أُمُّه أَوْ جَدُّه أو أَخُوهُ أَوْ غَيْرُهُمْ مِن قَرَابَتِهِ، واللّه أَعْلَمُ.

٢٦٤ - وعنه رضي اللَّهُ عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «لَيسَ المِسْكِينُ الذِي تَرُدُّهُ التَّمْرةُ وَالتَّمْرتَانِ ولا اللُّقْمةُ ولا اللُّقْمتانِ إِنما المِسْكِينُ الَّذِي يتَعَفَّفُ». متفقٌ عليه.

من أقاربه، والذي لغيره أن يكون أجنبيًّا» وقوله (**أنا**) مبتدأ ثان (**وهو**) معطوف عليه، وقوله (**كهاتين في الجنة وأشار الراوي وهو**) الإمام الجليل (**مالك بن أنس**) بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي أبو عبد الله الفقيه المدني إمام دار الهجرة رأس المتقين وكبير المتثبتين ومن أتباع التابعين مات سنة مائة وتسعة وسبعين وكان مولده سنة ثلاث وتسعين (**بالسبابة والوسطى، رواه مسلم وقوله ﷺ: اليتيم له أو لغيره معناه قريبه أو الأجنبي منه فالقريب مثل أن تكفله أمه أو جده أو أخوه أو غيرهم من قرابته**) أي غير الأب ليكون يتيمًا (**والله أعلم**).

٢٦٤ - (**وعنه رضي اللَّه عنه**) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (**قال: قال النبي ﷺ: ليس المسكين**) أي الكامل الممدوح من هذا النوع الأحق بالصدقة والأحوج إليها (**الذي**) يسأل و(**ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان**) عند سؤاله لأن المتردد يكون قادرًا على تحصيل قوته (**إنما المسكين**) أي أما المسكين الكامل (**الذي يتعفف**) أي يترك السؤال من الناس مع فقره وليس المراد نفي المسكنة عن الطوَّاف بل نفي كمالها (**متفق عليه**) فأخرجه البخاري في كتابي الزكاة والأطعمة وأخرجه مسلم في الزكاة.

وفي رواية في «الصحيحين»: «لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ على النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقمَةُ واللُّقْمَتان والتَّمرَةُ والتَّمرتان ولكِنَّ المِسكينَ الَّذي لا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيه ولا يُفْطَنُ بِهِ فيُتصدَّقَ عَلَيهِ ولا يَقُومُ فَيسْأَلَ النَّاسَ».

٢٦٥ - وعنه رَضيَ اللهُ عنهُ عن النبيّ ﷺ قال: «السَّاعي علَى الأَرْمَلةِ وَالمِسْكِينِ كَالمُجَاهِد في سبيل اللَّهِ» وأَحسَبُهُ قال:

(**وفي رواية في الصحيحين**) ورواه كذلك أحمد (**ليس المسكين الذي يطوف**) أي يدور (**على الناس**) سائلًا وجملة (**ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنًى يغنيه**) صفة زائدة على اليسار المنفي إذ لا يلزم من حصول اليسار للمرء أن يغنى به بحيث لا يحتاج إلى شيء ءاخر وكأنّ المعنى نفي اليسار المفيد بأنه يغنيه مع وجود أصل اليسار (**ولا يفطن**) بالبناء للمفعول أي لا يعلم (**به**) أي لاحتياجه لتعففه وعدم تعرضه وفي نسخة «له» (**فيتصدق عليه**) بالنصب فيه وفي يسأل لكونهما بعد الفاء في جوابي النفي (**ولا يقوم**) التعبير به للغالب (**فيسأل الناس**) قال الخطابي وغيره: إنما نفى ﷺ المسكنة عن السائل الطوّاف لأنه تأتيه الكفاية، وقد تأتيه الزكاة زيادة عليها فتزول خصائصه ويسقط اسم المسكنة عنه وإنما تدوم الحاجة والمسكنة فيمن لا يسأل ولا يعطف عليه فيعطى.

٢٦٥ - (**وعنه رضي اللَّه عنه**) أي أبي هريرة رضي الله عنه (**عن النبي ﷺ قال: الساعي على الأرملة**) هي كما قال الجوهري: التي لا زوج لها وقد أرملت المرأة إذا مات عنها زوجها، (**والمسكين**) أي المكتسب لهما ما يمونهما به (**كالمجاهد في سبيل الله**) وشبه به لأن القيام على المرأة بما يصلحها ويحفظها ويصونها لا يتصور الدوام عليه إلا مع الصبر العظيم ومجاهدة النفس والشيطان فإنهما يكسلان عن ذلك ويثقلانه ويفسدان النية فيه ولذا قل من يدوم على ذلك العمل وقلّ من يسلم منه فإذا حصل ذلك العمل حصلت منه الفوائد ككشف كرب الضعفاء وإبقاء رمقهم وسدّ خلتهم وصون حرمتهم (**وأحسبه قال**

«وَكَالْقَائِمِ الَّذي لا يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ الذي لا يُفْطِرُ». متفق عليه.

٢٦٦ - وعنه رضي اللَّهُ عنه عن النَّبيّ ﷺ قال: «شرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوليمةِ يُمْنَعُهَا مَن يأْتِيهَا ويُدْعَى إِلَيْهَا مَن يأْباها، ومَن لَمْ يُجِبِ الدَّعوةَ فَقَد عَصَى اللّهَ ورَسُولَهُ». رواه مسلم.

وفي رواية «في الصحيحين» عن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه من قوله: «بئسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ

وكالقائم) أي بالتهجد **(الذي)** كما في نسخة **(لا يفتر، وكالصائم الذي لا يفطر)** أي هو كالملازم للعبادة ليلًا ونهارًا في دوام الثواب واستمراره بدوام العمل الصالح **(متفق عليه)** ورواه الترمذي في البر.

٢٦٦ - **(وعنه رضي اللَّه عنه)** أي أبي هريرة **(عن النبي ﷺ قال: شر الطعام)** أفعل تفضيل حذفت همزته تخفيفًا وجاءت ثابتة في حديث عن أنس سئل عن الأكل قائمًا فقال: ذلك أشر **(طعام الوليمة)** قال في «الصحاح»: هي طعام العرس **(يمنعها)** بالبناء للمفعول **(من يأتيها)** للحاجة والفاقة وهم الفقراء والمساكين **(ويدعى إليها من يأباها)** قال النووي: «معناه الإخبار بما يقع من الناس بعده ﷺ من مراعاة الأغنياء في الولائم ونحوها وتخصيصهم بالدعوة وإيثارهم بطيب الطعام ورفع مجالسهم وتقديمهم وغير ذلك مما هو الغالب في الولائم» **(ومن لم يجب الدعوة)** بفتح الدال المهملة، قال ابن السيد في كتاب المثلث الدعوة بالفتح الدعاء إلى الله تعالى وكذا كل شيء دعوته وكذا الدعوة إلى الطعام، وبالكسر أن ينتسب الرجل إلى غير أبيه وغير أهله **(فقد عصى الله ورسوله)** والمراد منه الدعوة لوليمة النكاح فإن الإجابة إليها واجبة بالشروط المعروفة في كتب الفقه **(رواه مسلم)**.

(وفي رواية في الصحيحين عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه بئس) وهي كلمة لإنشاء الذم وفاعلها **(الطعام)** والمخصوص بالذم هو قوله **(طعام الوليمة)** والوليمة طعام العرس، فظاهر أن ما في الحديث مما أريد بما

يُدْعَى إِلَيْهَا الأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الفُقَراءُ».

٢٦٧ - وعن أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه عن النَّبيّ ﷺ قال: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جاءَ يَومَ القِيامةِ أَنَا وَهُوَ» وَضَمَّ أَصابِعَهُ. رواه مسلم.

«جاريتين»: أي بنتين.

٢٦٨ - وعن عائشةَ رضي اللَّهُ عنها قالت: دخَلتْ عليَّ امْرَأَةٌ ومعهَا ابْنَتَانِ لهَا تَسْأَلُ فَلَم تَجِدْ عِنْدِي شيئًا غَيْرَ تَمرةٍ واحِدةٍ

فيه مطلق الطعام المتخذ لأيّ سرور كان وبين سبب الذم على سبيل الاستئناف البياني بقوله **(يدعى)** بالبناء للمفعول **(إليها الأغنياء)** نائب الفاعل والظرف قبله لغو متعلق بالفعل **(ويترك الفقراء)** أي يمنعون. وفي الحديث أن القربة قد يقترن بها ما يخرجها عن ذلك، وفيه مراعاة الفقراء والتلطف بهم، وفيه النهي عن الركون إلى الأغنياء وتعظيمهم لغناهم.

٢٦٧ - (وعن أنس) بن مالك **(رضي الله عنه)** ناقلًا **(عن النبي ﷺ قال: من عال جاريتين)** قال النووي: «أي قام عليهما بالمؤنة والتربية ونحوهما» **(حتى تبلغا)** بالفوقية أي تصيرا بالغتين **(جاء يوم القيامة)** معي وبقربي **(أنا وهو)** أي مقرونان فالخبر محذوف وجوبًا **(وضم أصابعه)** مبينًا لذلك القرب المشار إليه بالمقدر **(رواه مسلم)** في كتاب الأدب ثم فسر المصنف **(الجاريتين)** المذكورتين في الخبر بقوله **(أي بنتين)** والأصل فيها الشابة لخفتها ثم توسعوا حتى سموا كل أمة جارية وإن كانت عجوزًا لا تقدر على السعي تسمية بما كانت عليه.

٢٦٨ - (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت) بتسكين التاء وهي الدلالة على تأنيث الفاعل وقوله **(عليّ)** بتشديد الياء متعلق به و**(امرأة)** فاعل **(ومعها ابنتان)** جملة حالية وقوله **(لها)** في محل الصفة وجملة **(تسأل)** مستأنفة استئنافًا بيانيًّا **(فلم تجد عندي شيئًا)** من مطلوبها **(غير تمرة واحدة)** أكدت مفهوم الواحدة الدال عليها التاء في تمرة دفعًا لتوهم

فَأَعطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قامتْ فَخَرَجَتْ فَدَخَلَ النَّبيُّ ﷺ علَيْنَا فَأَخْبرتُهُ فقال: «مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذهِ البَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ». متفق عليه.

٢٦٩ - وعن عائشةَ أيضًا رضي اللَّهُ عنها قالت: جَاءَتني مِسْكِينَةٌ تَحْمِل ابْنَتَينِ لها، فأَطْعَمْتُها ثلاثَ تمَراتٍ فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعَتْ إِلى فيها تَمْرَةً لتَأْكُلَها فَاسْتَطْعَمَتْها

أنها للتأنيث لا للواحدة (**فأعطيتها**) أي المرأة (**إياها**) أي التمرة. قال في «فتح الباري»: فيه مزيد حرص عائشة رضي الله عنها على الصدقة امتثالًا لوصية النبي ﷺ لها بقوله: «لا يرجع من عندك سائل ولو بشق تمرة» رواه البزار (**فقسمتها**) بتخفيف السين أي التمرة (**بين ابنتيها ولم تأكل منها**) أي التمرة (**ثم قامت**) أي منصرفة (**فخرجت فدخل النبي ﷺ علينا**) أي أهل المنزل (**فأخبرته فقال: من ابتلي**) قال النووي: «إنما سماه ابتلاء لأن الناس يكرهونهن في العادة، وقال الله تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة النحل]» (**من هذه البنات**) من فيه بيان لقوله (**بشيء**) وهو نائب الفاعل. قال القرطبي: يفيد بعمومه أن الستر من النار يحصل بالإحسان إلى واحدة من البنات (**فأحسن إليهن**) وإحسانه إليهن: صونهن والقيام بمصالحهن والنظر في أصلح الأحوال لهن، فمن فعل ذلك قاصدًا به وجه الله تعالى (**كنّ له سترًا**) أي سبب ستر (**من النار**) ولم يقل أستارًا لأن المراد الجنس المتناول للقليل والكثير (**متفق عليه**) ورواه الترمذي.

٢٦٩ - (و) روي (**عن عائشة أيضًا رضي الله عنها قالت: جاءتني مسكينة**) مأخوذ من السكون أي ذهاب الحركة والمسكين أيضًا الذليل وإن كان غنيًا والمرأة مسكينة (**تحمل ابنتين لها**) أي تسأل كما تقدم في الرواية قبلها (**فأطعمتها ثلاث تمرات**) بفتح الفوقية والميم جمع تمرة بسكونها كسجدة وسجدات (**فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها**) بحق القسمة (**فاستطعمها**) وفي نسخة فاستطعمتها

ابْنَتَاها فَشَقَّت التَّمْرَةَ الَّتي كَانَتْ تُريدُ أَن تأْكُلَهَا بيْنَهُمَا فأَعْجَبني شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذي صنعَتْ لرسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: «إِنَّ اللّهَ قد أَوجَبَ لَهَا بِهَا الجنَّةَ أَو أَعتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّار». رواه مسلم.

٢٧٠ - وعن أَبي شُرَيْح خُوَيْلِدِ ابْنِ عَمْرٍو الخُزَاعيّ رضي اللَّهُ عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ الْيَتِيمِ والمرأَةِ».

بإثبات التاء (**ابنتاها**) أي طلبتا منها أن تطعمهما إياها (**فشقت التمرة**) أي شقين (**التي كانت تريد أن تأكلها**) وقولها (**بينهما**) متعلق بمحذوف أي وقسمتها (**فأعجبني شأنها**) لما فيه من الإيثار على النفس بحظوظها ورحمة الصغار ومزيد الإحسان والرفق بالبنات طلبًا لوجه الله تعالى (**فذكرت الذي صنعت**) أي الأمر الذي وفي نسخة «التي» بتاء التأنيث أي الخصلة التي (**لرسول الله ﷺ فقال: إن الله قد أوجب لها**) أي للمرأة (**بها**) أي بهذه الفعلة (**الجنة**) بفضله لما عندها من الرحمة والشفقة وذلك سبب لحلول الرحمة قال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمٰن يوم القيامة» (**أو**) شك من الراوي (**أعتقها بها من النار**) لإعتاقها نفسها من الركون إلى الدنيا والغفلة عن جانب الله بالإيثار للصغار ورحمة لهم (**رواه مسلم**) في الأدب من صحيحه.

٢٧٠ - (وعن أبي شريح) بضم الشين المعجمة وفتح الراء (**خويلد**) بضم المعجمة وفتح الواو (**ابن عمرو**) بن صخر (**الخزاعي**) نسبة إلى خزاعة قبيلة (**رضي الله عنه**) خويلد هو قول الأكثر نزل المدينة وأسلم قبل الفتح، وتوفي بالمدينة سنة ثمان وستين (**قال قال النبي ﷺ: اللهم إني أحرّج**) بتشديد الراء تفعيل من الحرج وهو الإثم والصيغة للمبالغة (**حق الضعيفين**) أي ما يستحقانه بملك أو غيره كاختصاص (**اليتيم**) هو من بني ءادم من لا أب له وهو دون البلوغ (**والمرأة**) وإنما حرّج حقهما وبالغ في المنع منه لأنهما لا جاه لهما يلتجئان إليه ويحاجّ عنهما سوى

حديث حسن رواه النسائي بإسناد جيدٍ.

ومعنى «أُحَرّجُ»: أُلحِقُ الحَرَجَ وهو الإثمُ بمَن ضَيَّعَ حَقَّهُما، وَأُحَذّرُ من ذلك تَحْذيرًا بَليغًا، وَأَزْجُرُ عَنْهُ زَجْرًا أكيدًا.

٢٧١ - وعن مُصْعَبِ بنِ سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رضي اللَّهُ عنه قال: رأى سعْدٌ أَنَّ لَهُ فَضْلاً علَى مَن دُونهُ فقال النبيُّ ﷺ: «هَل تُرزَقُونَ وتُنْصرُونَ إلا بِضُعَفائِكُم». رواه البخاري

المولى سبحانه وتعالى (**حديث حسن**) هو مشارك للصحيح في اعتبار اتصال السند وعدالة الرواة وضبطهم وانتفاء الشذوذ والعلة القادحة (**رواه النسائي بإسناد جيد**) أراد من الإسناد الرواة (**ومعنى أحرج ألحق الحرج وهو الإثم بمن ضيع حقهما**) فالتفعيل فيه للنسبة نحو فسقت زيدًا أي نسبته إليه وقوله: (**وأحذر من ذلك تحذيرًا بليغًا وأزجر عنه زجرًا أكيدًا**) ليس مدلول قوله أحرّج وإنما أخذه المصنف من دلالة السياق عليه وأكيد بمعنى متأكد.

٢٧١ - (**وعن مصعب**) بضم أوله وسكون الصاد المهملة (**ابن سعد ابن أبي وقاص رضي اللَّه عنه**) بتشديد القاف وءاخره صاد مهملة وأبو وقاص هو مالك بن وهيب ومصعب هو التابعي المدني سمع أباه وعلي ابن أبي طالب وابن عمر. توفي سنة مائة وثلاث (**قال: رأى**) أي ظن وهي رواية النسائي (**سعد**) يعني أباه (**أن له فضلاً على من دونه**) زاد النسائي من أصحاب رسول الله ﷺ أي بسبب شجاعته أو نحو ذلك (**فقال النبي ﷺ: هل ترزقون وتنصرون**) ببنائهما للمفعول (**إلا بضعفائكم؟**) جمع ضعيف ويجمع على ضعاف أيضًا، وفي رواية النسائي «إنما نصر هذه الأمة بضعفتهم بدعواتهم وصلاتهم وإخلاصهم» قال المهلب: أراد ﷺ بذلك حض سعد على التواضع ونفي الزهو على غيره وترك احتقار المسلم في كل حالة. فإن كان القويّ يترجح بفضل شجاعته فإن الضعيف يترجح بفضل دعائه وإخلاصه (**رواه البخاري**) في

هَكَذا مُرسلاً فَإِنَّ مصعَبَ بْنَ سعدٍ تَابعيٌّ، ورواه الحافِظُ أَبو بكرٍ الْبَرْقَانيُّ في صحيحِه مُتَّصِلاً عن مصعب عن أبيه.

٢٧٢ - وعن أَبي الدَّرداءِ عُوَيمِرٍ رضي اللَّهُ عنه قال: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «ابغُونِي الضُّعفَاءَ، فَإِنَّمَا تُرْزقُون وتُنْصرونَ بضُعفائِكُمْ». رواه أبو داود بإسناد جيد.

كتاب الجهاد (**هكذا**) من طريق محمد بن طلحة بن مصرف عن أبيه عن مصعب (**مرسلاً**) لعدم إدراك مصعب لزمن القصة كما قال (**فإن مصعب بن سعد تابعي**) فحذف منه الصحابي (**ورواه الحافظ أبو بكر**) أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب (**البرقاني**) بفتح الموحدة والقاف نسبة إلى برقان: قرية بنواحي خوارزم (**في صحيحه متصلاً عن مصعب عن أبيه**).

٢٧٢ - (**وعن أبي الدرداء**) بفتح الدالين المهملتين وسكون الراء بينهما وبالمد كنيته (**عويمر**) بالمهملة تصغير عامر بن قيس الأنصاري (**رضي الله عنه**) تأخر إسلامه قليلًا، شهد ما بعد أحد من المشاهد توفي في خلافة عثمان سنة نيف وثلاثين، وقبره في مقبرة الشهداء يزار (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ابغوني**) بكسر همزة الوصل لأنه من فعل ثلاثي مكسور العين أي اطلبوا لي (**الضعفاء**) يعني صعاليك المسلمين أستعين بهم فإذا قلت: أبغني بهمزة القطع فمعناه أعني على الطلب. وطلبهم ليكتبهم في ديوان المجاهدين ويستعين بهم. ولحضورهم فوائد أشار إليها بقوله: (**فإنما ترزقون**) بالبناء للمفعول وحذف المفعول الثاني المتعدى إليه لتضمنه معنى إعطاء للتعميم أي ترزقون المطر والفيء وغيرهما مما تنتفعون به (**وتنصرون**) على أعدائكم (**بضعفائكم**) أي ببركة وجود صعاليك المسلمين فيكم ودعائهم لكم (**رواه أبو داود**) في كتاب الجهاد (**بإسناد جيد**) أي مقبول، رواه الترمذي وفي أحاديث الباب الانقطاع إلى الله سبحانه وإعانة الفقراء وإغاثة المنقطعين وعدم رؤية النفس وفضلها على أحد من العاملين والحذر من التعرض لإيذاء أحد من الضعفاء والمساكين.

٣٤ - باب الوصية بالنساء

قال الله تعالى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴿١٩﴾﴾ [سورة النساء]، **وقال تعالىٰ** ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [سورة النساء].

---

٣٤ - باب الوصية بالنساء

بكسر النون وبالمد، جمع لامرأة من غير لفظها، وتجمع على نسوة بكسر النون والمراد الوصية بالرفق بهن والإحسان إليهن لضعفهن واحتياجهن لمن يقوم بأمرهن.

(**قال الله تعالى**) شأنه عما لا يليق به (﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴿١٩﴾﴾) أمر يعم الأزواج والأولياء ولكن المتلبس في الأغلب بهذا الأمر الأزواج والمعاشرة المخالطة والممازجة.

(**وقال تعالى** ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ﴾) العدل التام على الإطلاق المستوي في الأقوال والأفعال والمحبة والجماع وغير ذلك (﴿بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾) «كان ﷺ يقسم بين نسائه ثم يقول: اللهم هذا فعلي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك» فأخبر عزّ وجلّ عن حال البشر أنهم بحكم الخلقة لا يملكون ميل قلوبهم إلى بعض الأزواج دون بعض (﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾) بأن يفعل فعلًا يقصد به التفضيل، وهو يقدر أن لا يفعله فهذا هو كل الميل وإن كان في أمر حقير (﴿فَتَذَرُوهَا﴾) أي الزوجة التي ميل عليها كل الميل (﴿كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾) لا هي أيم ولا هي ذات زوج (﴿وَإِن تُصْلِحُواْ﴾) ما أفسدتم بالميل التام (﴿وَتَتَّقُواْ﴾) بالعدل في القسم وترك خلافه (﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾) فيما مضى وبالاستمرار (﴿غَفُورًا﴾) لما عدا الشرك من المعاصي إن شاء ذلك (﴿رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾) مفيضًا للنعم على عباده.

٢٧٣ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتوْصُوا بِالنّساءِ فإِنَّ المرْأَةَ خُلِقَتْ مِن ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوجَ ما في الضّلَعِ أَعلاهُ فَإِن ذَهبتَ تُقيمُهُ كَسرْتَهُ وإِن تركتَهُ لم يزلْ أَعوجَ، فاستوصُوا بِالنّساء». متفق عليه.

وفي روايةٍ في «الصحيحين»: «المرْأَةُ كالضِلَعِ إِنْ أَقَمْتَهَا

---

٢٧٣ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: استوصوا بالنساء) أي تواصوا بهن والباء للتعدية، معناه اقبلوا وصيتي فيهن واعملوا بها وارفقوا بهن وأحسنوا عشرتهن وفي رواية زيادة «خيرًا» **(فإن المرأة خلقت)** بالبناء للمفعول أي أخرجت **(من ضلع)** بكسر المعجمة وفتح اللام، قال الحافظ في «الفتح»: «فيه إشارة إلى أن حواء خلقت من ضلع ءادم الأيسر» **(وإن أعوج ما)** أي شيء كما في رواية أخرى **(في الضلع أعلاه)** قال الحافظ: «فيه إشارة إلى أنها لا تقبل التقويم كما أن الضلع لا يقبله»، ولذا قال **(فإن ذهبت تقيمه)** أي أعلاه عن الاعوجاج الذي هو شأنه **(كسرته)** لعدم قابليته له **(وإن تركته)** غير ءاخذ في إقامته **(لم يزل أعوج)** لأنه وضعه وشأنه، وكذا المرأة إن أردت إقامتها على الجادة وعدم اعوجاجها أدى إلى الشقاق والفراق وهو كسرها وإن صبرت على سوء حالها وضعف معقولها ونحو ذلك من عوجها دام الأمر واستمرت العشرة، والفاء في قوله **(فاستوصوا بالنساء)** الفاء الفصيحة أي فاعرفوا ذلك فاستوصوا بهن خيرًا بالصبر على ما يقع منهن، فيه رمز إلى التقويم برفق بحيث لا يبالغ فيه فيكسر ولا يتركه فيستمر على عوجه وفي نسخة زيادة «خيرًا» **(متفق عليه)** ورواه النسائي في عشرة النساء.

(وفي رواية في الصحيحين) في هذا الحديث عن أبي هريرة **(المرأة)** اللام فيها للحقيقة **(كالضلع)** في الاعوجاج وعدم قابلية الإقامة **(إن أقمتها)** أي الضلع وهي مؤنثة، ويحتمل أن يكون ضمير المؤنث هنا

كسرتَهَا وإِنِ استَمتَعْتَ بِهَا اسْتَمتعْت بها وَفيها عَوَجٌ».

وفي روايةٍ لمسلم: «إِنَّ المرْأَةَ خُلِقتْ مِن ضِلَعٍ لَن تَسْتَقِيمَ لكَ علَى طريقةٍ، فإِن استَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمتَعْتَ بها وفِيها عَوَجٌ، وإِن ذهَبْتَ تُقِيمُها كسرتَهَا، وكَسْرُهَا طلاقُها».

قوله: «عَوَج»: هو بفتح العين والواو.

٢٧٤ - وعن عبدِ اللَّهِ بنِ زَمْعَةَ رضي اللَّهُ عنه أَنه سَمِعَ النبيَّ ﷺ يَخْطُبُ وذكَر النَّاقةَ

للمرأة، ويؤيده قوله بعد (**كسرتها**) لعدم قابليتها للإقامة ويحتمل أن المراد بكسرها طلاقها (**وإن استمتعت بها**) لقضاء الوطر وطلب الولد الصالح والإعفاف (**استمتعت بها**) وجملة (**وفيها عوج**) جملة اسمية حالية.

(**وفي رواية لمسلم**) في النكاح (**إن المرأة**) الإتيان بالمؤكد لاقتضاء المقام له (**خلقت من ضلع لن تستقيم لك**) أي تدوم (**على طريقة**) ترضاها، والجملة مستأنفة استئنافًا بيانيًا (**فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج، وإن ذهبت تقيمها**) إقامة تامة مرضية لك (**كسرتها**) لأنه خلاف شأنها (**وكسرها**) المدلول عليه بقوله كسرتها (**طلاقها. قوله**) في الحديث (**عوج بفتح العين**) المهملة (**والواو**) قال الفيومي في «المصباح»: العوج بفتحتين في الأجساد خلاف الاعتدال وهو مصدر من باب تعب.

٢٧٤ - (**وعن عبد الله بن زمعة**) بفتح الزاي وإسكان الميم، ابن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ القرشي الأسدي (**رضي الله عنه**) أمه قرينة بنت أمية بن المغير أخته أم سلمة أم المؤمنين كان من أشراف قريش، وكان يأذن على النبي ﷺ روى عنه أبو بكر بن عبد الرحمٰن وعروة بن الزبير، وقتل زمعة يوم بدر كافرًا، وقتل عبد الله مع عثمان يوم الدار، (**أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة**) التي كانت

والَّذي عقَرَها فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الشمس] انْبَعثَ لَها رجُلٌ عزِيزٌ عارِمٌ منِيعٌ في رَهْطِهِ»، ثُمَّ ذَكَرَ النّساءَ فَوَعَظَ فِيهِنَّ فقال: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ فيَجْلِدُ امْرأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ فَلَعلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ ءاخِرِ يومِهِ» ثُمَّ وَعَظَهُمْ في ضحِكِهِم مِن الضَّرْطَةِ وقال: «لِمَ يَضحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يفعلُ؟».

معجزة لسيدنا صالح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، (**والذي عقرها**) وهو قذار بضم القاف (**فقال رسول الله**) مبينًا لوصفه (﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾) أشقى قبيلة ثمود وهو أشقى الأولين (**انبعث لها**) أي للناقة (**رجل عزيز**) أي قليل المثل (**عارم**) بالمهملتين (**منيع**) أي قوي ذو منعة (**في رهطه**) يمنعونه من الضيم، (**ثم ذكر**) يعني النبي ﷺ في خطبته تلك (**النساء**) استطرادًا (**فوعظ فيهن**) فاستطرد إلى ما يقع من أزواجهن (**فقال يعمد**) بكسر الميم (**أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد**) بالنصب أي مثل ضربه في كونه مبرّحًا مؤذيًا.

وعند مسلم في رواية «ضرب الأمة» وللنسائي «كما يضرب العبد أو الأمة» (**فلعله يضاجعها**).

وفي رواية البخاري في النكاح «يجامعها» (**من ءاخر يومه**) وفي الحديث جواز تأديب الرقيق بالضرب الشديد، والإيماء إلى جواز ضرب النساء دون ذلك، وفي سياق الحديث استبعاد وقوع الأمرين من العاقل أن يبالغ في ضرب امرأته ثم يجامعها من بقية يومه أو ليلته فوقعت الإشارة إلى ذم ذلك وأنه إذا كان ولا بد فليكن التأديب بالضرب اليسير بحيث لا يحصل معه النفور التام (**ثم وعظهم**) ﷺ استطرادًا أي حذرهم (**في ضحكهم من الضرطة**) وذلك لأنه خلاف المروءة، ولما فيه من هتك الحرمة (**وقال**) في تقبيح ذلك (**لم**) بكسر اللام (**يضحك أحدكم مما يفعل**) وذلك لأن الضحك إنما يكون من الأمر العجيب والشأن الغريب يبدو أثره على البشرة فيكون التبسم فإن قوي وحصل معه الصوت كان الضحك، وإذا كان هذا الأمر معتادًا من كل إنسان فما

متفق عليه.

«والعارم»: بالعين المهملة والراءِ: هو الشّرّير المُفسِد. وقوله: «انبعثَ»، أي: قام بِسُرعَةٍ.

٢٧٥ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِن كَرِه مِنها خُلُقًا رضِي مِنْها ءاخَرَ» أَوْ قال: «غيْرَهُ». رواه مسلم.

قوله: «يَفْرَك»: هو بفتح الياء وإسكان الفاء وفتح الراءِ، ومعناه: يُبْغِضُ، يقال: فَرِكَتِ المرأةُ زَوْجَها وَفَرِكَهَا زَوْجُهَا بكسر الراءِ يَفْرَكُها بفتحها أَي: أَبْغَضَهَا، والله أعلم.

وجه الضحك من وقوع ذلك ممن وقع منه (**متفق عليه**) ورواه الترمذي في «التفسير» وقال: حسن صحيح (**والعارم بالعين المهملة والراء هو الشرير المفسد**) وفي «النهاية»، أي خبيث شرير وقد عرم بالضم والفتح والكسر (**وقوله**) في الحديث (**انبعث**) انفعل من البعث (**أي قام بسرعة**).

٢٧٥ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يفرك مؤمن مؤمنة**) نكرهما للتعميم أي لا تبغض المؤمنة على كل حالها به شأن المؤمن معها (**إن كره منها خلقًا**) بضم الخاء المعجمة كسوء الخلق مثلًا (**رضي منها**) خلقًا (**ءاخر**) كالعفاف (**أو**) شك من الراوي (**قال**) يعني النبي ﷺ (**غيره**) بدل قوله ءاخر. قال النووي «الصواب أنه نهي أي ينبغي أن لا يبغضها لأنه إن وجد فيها خلقًا يكره وجد فيها خلقًا مرضيًا» (**رواه مسلم**) في كتاب النكاح.

(**قوله: يفرك هو بفتح الياء**) التحتية (**وإسكان الفاء وفتح الراء**) فهو من باب فرح يفرح (**ومعناه يبغض**) بضم التحتية وكسر المعجمة مضارع من الإبغاض (**يقال: فركت المرأة زوجها وفركها زوجها بكسر الراء**) في الماضي (**يفركها بفتحها**) في المضارع (**أي أبغضها**) والمراد من الحديث أن شأن المؤمن أن لا يبغض المؤمنة بغضًا كليًا يحمله على فراقها أي ينبغي له أن يغفر سيئتها لحسنتها ويتغاضى عما يكره بما يحبّ (**والله أعلم**).

٢٧٦ - وعن عمرو بنِ الأَحوَصِ الجُشَمِيّ رضي اللَّهُ عنه أَنهُ سمِعَ النَّبيَّ ﷺ في حَجَّةِ الْوَدَاعِ يقُولُ بعد أَنْ حَمِدَ اللَّهَ تعالى وَأَثنى علَيْه وذكَّر ووعظَ ثُمَّ قال: «أَلَا واسْتَوْصوا بِالنّساءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوانٍ عِنْدَكُمْ ليْس تمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شيْئًا غيْرَ ذلِكَ إِلا أَن يأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبيِّنَةٍ، فإِن فعلْنَ فاهْجُرُوهُنَّ في المضَاجعِ واضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غيْرَ مُبرِّحٍ

---

٢٧٦ - (**وعن عمرو بن الأحوص**) بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة ابن جعفر بن كلاب (**الجشمي**) الكلابي (**رضي الله عنه**).

روي له عن رسول الله ﷺ حديثان (**أنه سمع النبي ﷺ في حجة الوداع**) بفتح الواو لأن النبي ﷺ ودّع الناس ولم يحج بعدها، (**يقول بعد أن حمد الله تعالى**) بالأوصاف الجميلة (**وأثنى عليه**) بتنزيهه عما لا يليق به (**وذكر**) بتخفيف الكاف: أي أتى بذكر الله تعالى من التكبير والتهليل، أو بتشديدها من التذكير بالله والتخويف من عقابه، ويؤيد هذا قوله (**ووعظ ثم**) أي بعد أن أطال في ذلك لاستدعاء المقام له (**قال**) مستطردًا للوصية بالنساء (**ألا**) بتخفيف اللام أداة استفتاح يؤتى بها أول الكلام إذا كان المقام يهتم به (**واستوصوا بالنساء خيرًا فإنما هن عوان**) جمع واحده عانية قال في «النهاية»: أي أسراء أو كالأسراء (**عندكم ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك**) المشار إليه محذوف مدلول عليه بباقي الكلام وهو الاستمتاع وحفظ الزوج في نفسها وماله (**إلا أن يأتين بفاحشة**) كبيرة كنشوز وسوء عشرة (**مبينة**) بكسر الياء اسم فاعل، لأنها تبين عدم انقيادها المفروض عليها، أو بفتحها اسم مفعول أي إن سوء حالها يدل على تلك الفاحشة ويبينها (**فإن فعلن**) ذلك أي النشوز بأن ظهرت مقدماته منها فعظوهن فإن لم ينزجرن به (**فاهجروهنّ في المضاجع**) في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف (**واضربوهنّ ضربًا غير مبرح**) بكسر الراء المشددة، ولا شائن بأن لا يجرحها ولا يكسر لها عظمًا ويجتنب الوجه والمهالك فيضربن مع الهجران عند تحقق النشوز والعصيان وهو ضرب تأديب وتعزير. قال الروياني في «البحر»: ويضربها بمنديل

فَإِنْ أَطعْنَكُمْ فَلا تبْغُوا عَلَيْهنَّ سبيلاً أَلا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسائِكُمْ حَقًّا، ولِنِسائِكُمْ عَلَيْكُمْ حقًّا فحَقُّكُمْ عَلَى نِسائِكُمْ أَلا يُوطِئنَ فُرُشَكُمْ من تَكْرَهُونَ، وَلا يَأْذَنَّ في بُيُوتِكُمْ لِمَن تكْرَهُونَ أَلا وحقُّهُنَّ علَيْكُمْ أَن تُحسِنُوا إِلَيْهِنَّ في كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ».

ملفوف أو بيده لا بسوط ولا عصا، وإباحة الضرب في هذه الحالة ولاية من الشرع للزوج لأخذ حقه. وإنما يجوز ضربها إن علم أو ظن أنه يصلحها فإن علم عدم إفادته لم يجز (**فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلًا**) بالتوبيخ والإيذاء؛ فالمعنى: فأزيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان فيهن كأن لم يكن، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له. وهذه الجملة مقتبسة من معنى قوله تعالى ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [سورة النساء] إلى قوله ﴿سَبِيلًا ۝٣٤﴾ (**ألا**) أداة استفتاح أتى بها للتنبيه على ما بعدها لأنه حكم ءاخر (**إن لكم على نسائكم حقًّا**) أمرًا واجبًا (**ولنسائكم عليكم حقًّا فحقكم على نسائكم ألا يوطئن فرشكم من تكرهون**).

قال النووي: «والمختار أن معناه لا يأذنّ لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم سواء كان المأذون له رجلًا أجنبيًا أو امرأة أو أحد من محارم الزوجة، فالنهي يتناول جميع ذلك». ولذا عقب بقوله (**ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون**) أي تكرهون دخوله لمنزلكم من أنثى وذكر وهذا حكم المسألة عند الفقهاء أنه لا يحلّ لها أن تأذن لرجل ولا امرأة لا محرم ولا غيره في دخول منزل الزوج إلا من علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه، لأن الأصل تحريم دخول منزل الإنسان حتى يوجد الإذن منه في ذلك أو ممن أذن له في الإذن في ذلك أو عرف رضاه به باطراد العرف بذلك ونحوه، ومتى حصل الشك في الرضا ولم يترجح شيء ولا وجدت قرينة لا يحلّ الدخول ولا الإذن، والله أعلم (**ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن**) بإعطائهن ذلك بحسب اللائق بأحوالكم يسارًا وإعسارًا. وفي الحديث وجوب نفقة الزوجة وكسوتها عند عدم نحو النشوز وهو واجب إجماعًا

رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

قوله ﷺ: «عَوان» أي أسيرات جمع عانيةٍ بالعين المهملة وهي الأسيرة، والعاني: الأسير. شَبَّه رسولُ الله ﷺ المرأة في دخولها تحت حكم الزوج بالأسير. والضرب المبرح: هو الشاق الشديد. وقوله ﷺ: «فلا تبغوا عليهن سبيلاً» أي: لا تطلبوا طريقًا تحتجون به عليهن وتؤذوهنَّ به. والله أعلم.

٢٧٧ - وعن مُعَاوِيَةَ بنِ حَيْدَة رضي اللَّهُ عنه قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ ما حَقُّ زَوْجَةِ أَحدِنَا عَلَيْهِ؟ قال: «أَن تُطْعمها إِذَا طعِمْتَ وتَكْسُوها إِذا اكْتَسَيتَ

(رواه الترمذي) في النكاح من جامعه (وقال: حديث حسن صحيح)، ورواه النسائي وابن ماجه (قوله ﷺ: عوان أي أسيرات جمع عانية بالعين المهملة وهي الأسيرة والعاني: الأسير) ومنه حديث «أطعموا الجائع وفكوا العاني» قال في «النهاية»: العاني: الأسير وكل من ذلّ واستكان وخضع، يقال عنا يعنو فهو عان (شبه رسول الله ﷺ المرأة في دخولها تحت حكم الزوج) ووجوب طاعتها له (بالأسير) فيكون قوله ﷺ: «فإنما هن عوان» من التشبيه البليغ على حد زيد أسد (والضرب المبرح) المنهيّ عنه (هو الشاق الشديد) قال في «المصباح»: برح به الضرب تبريحًا اشتد وعظم (وقوله ﷺ: فلا تبغوا عليهن سبيلاً أي لا تطلبوا طريقًا تحتجون به عليهن) بعد توبتهن ورجوعهن إلى الطاعة (وتؤذوهن به) أي ولا تؤذوهن به (والله أعلم).

٢٧٧ - (وعن معاوية) بالعين المهملة (ابن حيدة) بمهملة مفتوحة القشيري من أهل البصرة، غزا (رضي الله عنه) خراسان ومات بها، وهو جدّ بهز بن حكيم بن معاوية (قال: قلت يا رسول الله ما حقّ زوجة أحدنا عليه) أي ما واجبها عليه (قال: أن تطعمها) بضم الفوقية (إذا طعمت) بكسر العين أي أكلت (وتكسوها) بفتح التاء الفوقية والواو (إذا اكتسيت)

ولا تَضْربِ الوَجْهَ وَلا تُقَبِّحْ، ولا تَهْجُرْ إلا في البَيْتِ». حديثٌ حسنٌ رواه أَبو داود، وقال: معنى «لا تُقَبّح» أَي: لا تقُلْ قَبَّحَكِ اللَّهُ.

٢٧٨ - وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْمَلُ المُؤمِنِين إِيمَانًا أَحْسنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسائِهِم». رواه الترمذي وقال: حسنٌ صحيحٌ.

ومعنى كونه فرضًا عليه إذا كان لا يأكل زائدًا على فرض القوت، أما لو كان مترفها في المطعم والملبس فما زاد على الواجب لها فنفل منه وإحسان عليها (**ولا تضرب الوجه**) لأنه عضو لطيف والشين فيه شنيع (**ولا تقبح**) بتشديد الباء الموحدة المكسورة: أي لا تقل قبح الله وجهك أو لا تقل ما أقبح هذا الخلق (**ولا تهجر**) عند النشوز (**إلا في البيت**) فاترك مضاجعتها ولا تترك كلامها عند حاجتها (**حديث حسن رواه أبو داود**) والنسائي وابن ماجه (**وقال**) أي أبو داود (**معنى لا تقبح أي**) تفسير لمعنى الجملة (**لا تقل قبحك الله**) وهذا أحد احتمالين فيه.

٢٧٨ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أكمل المؤمنين**) أي من أكملهم (**إيمانًا**) منصوب على التمييز عن أفعل التفضيل وهو فاعله من حديث المعنى (**أحسنهم خلقًا**) بضم الخاء المعجمة واللام وسكونها، وتقدم أنه ملكة تبعث النفس على أفعال حميدة واكتساب شيم شريفة. وقال الحسن البصري: حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكفّ الأذى وطلاقة الوجه (**وخياركم خياركم لنسائهم**).

وفي رواية «خيركم خيركم لأهله» المراد من حديث الباب أن يعامل زوجته بطلاقة الوجه وكفّ الأذى والإحسان إليها والصبر على أذاها. قلت: ويحتمل أن الإضافة فيه للعهد والمعهود هو النبيّ ﷺ، والمراد أنا خيركم لأهلي، وقد كان ﷺ أحسن الناس لأهله وأصبرهم على اختلاف أحوالهم (**رواه الترمذي وقال: حسن صحيح**) وكذا رواه ابن حبان.

٢٧٩ - وعن إِيَاسِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبي ذُبابٍ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَضْرِبُوا إِماءَ الله» فجاء عُمرُ رضي اللَّهُ عنه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فَقَال: ذَئِرْنَ النّساءُ علَى أَزْوَاجِهِنَّ، فَرَخَّصَ في ضَرْبِهِنَّ فَأَطَاف بِآلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ نِساءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ طَافَ بآل مُحَمَّدٍ نساءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزوَاجَهُنَّ لَيسَ أُولَئِكَ بخياركُمْ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

قوله: «ذَئِرْنَ»: هو بِذَالٍ مُعْجَمَةٍ مَفْتوحَةٍ ثُمَّ هَمْزَةٍ مَكْسورَةٍ

---

٢٧٩ - (**وعن إياس**) بكسر الهمزة وتخفيف التحتية (**ابن عبد الله بن أبي ذباب**) بضم المعجمة وخفة الموحدة الأولى الدوسي أكثر (**رضي الله عنه**) سكن مكة، روي له عن رسول الله ﷺ هذا الحديث.

(**قال: قال رسول الله ﷺ: لا تضربوا إماء الله**) الإماء بكسر الهمزة وبالمد بوزن كتاب جمع أمة والمراد بإماء الله النساء أي لا تضربوهن ظاهره على كل حال (**ف**)لذا (**جاء عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: ذئرن النساء على أزواجهن**) لما سمعن المنع عن ضربهن مطلقًا (**فرخص في ضربهن**) من الرخصة وهي تغيير الحكم من صعوبة إلى سهولة لعذر مع قيام سبب حكم الأصل، وسبب المنع الرفق بهن وهو قائم حال إباحته للعذر وهو دوام الزوجية والقيام بحقوقها عند حقوقهن من ترك ذلك (**فأطاف بآل رسول الله ﷺ**) أي بأزواجه وسراريه، وليس المراد بالآل من تحرم عليهم الزكاة (**نساء كثير**) من صيغ جمع الكثرة (**يشكون أزواجهن**) أي ضربهم (**فقال رسول الله ﷺ: لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك**) أي الضاربون لأزواجهم (**بخياركم**) وذلك لأنه يؤذن بحرج الصدر وضيق النفس، ذلك خلاف حسن الخلق الذي هو من أوصاف الخيار.

(**رواه أبو داود**) في كتاب النكاح (**بإسناد صحيح**) ورواه النسائي وابن ماجه.

(**قوله**) في الحديث (**ذئرن هو بذال معجمة مفتوحة ثم همزة مكسورة**

ثُمَّ راءٍ ساكِنَةٍ ثُمَّ نونٍ أي: اجترَأْنَ. قوله: «أطاف»: أي: أحاطَ.

٢٨٠ - وعن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ رضي اللَّهُ عنه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «الدُّنْيا مَتاعٌ وَخَيْرُ مَتاعِ الدُّنيا المَرأةُ الصَّالحةُ» رواه مسلم.

٣٥ - باب حق الزوج على امرأته

قال الله تعالى ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾

ثم راء ساكنة ثم نون: أي اجترأن) عليهم ونشزن (قوله أطاف: أي أحاط) وهو متعد بالباء أيضًا، يقال أطاف بالشيء: أي أحاط به.

٢٨٠ - (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: الدنيا متاع) أي شيء يتمتع به حينًا كما قال تعالى ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة النساء] (وخير متاع الدنيا) أتى بالاسم الظاهر موضع الضمير لزيادة الإيضاح (المرأة الصالحة) قال القرطبي: فسرت في الحديث بقوله: «التي إذا نظر إليها سرّته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله» (رواه مسلم) في كتاب النكاح وأحمد والنسائي.

٣٥ - باب حق أي واجب الزوج على امرأته

أي ما يجب له عليها ويستحقه منها (قال الله تعالى ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾) يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية، وعلل ذلك بأمرين وهما قوله (﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾) أي بسبب تفضيله بالرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوّة في الأعمال والطاعات، ولذلك خصوا بالفتوّة والإمامة والولاية وإقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق. وبأمر كسبي هو قوله (﴿وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾) في نكاحهن كالمهر والنفقة. ثم

فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة النساء].

وأَمَّا الأَحادِيثُ فَمِنْهَا حَدِيثُ عَمْرِو بنِ الأَحْوَصِ السَّابِقُ في الْبَاب قَبْلَهُ.

٢٨١ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذا دعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلى فِرَاشِهِ فلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضْبانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الملائِكةُ حَتَّى تُصبحَ».

قسم الله النساء قسمين فقال (﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾) مطيعات لله قائمات بحقوق الأزواج (﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾) لمواجب الغيب: أي يحفظن في غيبة الأزواج ما يجب حفظه في النفس والمال، وقيل للأسرار (﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴿٣٤﴾﴾) أي بحفظ الله إياهن بالأمر على حفظ الغيب والحثّ عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له، أو بالذي حفظه الله لهنّ عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن.

(وأما الأحاديث) النبوية **(فمنها حديث عمرو بن الأحوص السابق)** بالرفع **(في الباب قبله)**.

٢٨١ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه) قال الحافظ ابن حجر: «قال ابن أبي جمرة: الظاهر أن الفراش كناية عن الجماع ويقويه قوله: «الولد للفراش» أي لمن يطأ في الفراش، والكناية عن الأشياء التي يستحى من التصريح بها كثيرة في الكتاب والسنة» **(فلم تأته)** من غير عذر بها **(فبات غضبان)** غير مصروف **(عليها لعنتها الملائكة)** ويستمرّ ذلك منهم إن استمرت على الامتناع **(حتى تصبح)** ويؤيد ما تقرّر أنه جاء في رواية «حتى ترجع» وظاهر عموم الحديث حرمة امتناعها من فراشها ولو حائضًا وهو كذلك لإمكان الاستمتاع بها بغير الجماع. وظاهر الخبر اختصاص اللعن بما إذا وقع منها ذلك ليلًا لقوله: «حتى تصبح» وكأن السرّ فيه تأكيد ذلك الشأن في الليل وقوّة الباعث عليه، ولا يلزم منه

متفقٌ عليه.

وفي روايةٍ لهما: «إذا بَاتَتِ المَرْأَةُ هاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الملائِكةُ حتَّى تُصبِحَ».

وفي روايةٍ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «والَّذي نَفسِي بِيَدِهِ مَا مِن رَجُلٍ يَدعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِها فَتَأْبَى علَيْهِ إِلا كَانَ الَّذي فِي السَّماءِ

جواز امتناعها منه نهارًا، ويؤخذ من قوله: «فبات غضبان»، أن اللعن عليها إنما يكون حينئذٍ لتحقق ثبوت معصيتها بخلاف ما إذا لم يغضب من ذلك إما لعذرها وإما لأنه ترك حقه من ذلك. قال المهلب: هذا الحديث يوجب أن منع الحق في البدن كان أو في المال مما يوجب سخط الله إلا أن يتغمد الله بالعفو، وحديث الباب ليس فيه إلا أن الملائكة يدعون على أهل المعصية ما داموا فيها وهل هم الحفظة أو غيرهم كل محتمل. وفيه دليل على قبول دعاء الملائكة لكونه ﷺ خوف به، وفيه الإرشاد إلى مساعدة الزوج ومرضاته، وفيه أن صبر الرجل على ترك الجماع أضعف من صبر المرأة، وفيه أن امتناعها من ذلك كبيرة **(متفق عليه)** ورواه أحمد وأبو داود والنسائي.

(وفي رواية لهما) أي للشيخين وهي عند أحمد أيضًا **(إذا باتت المرأة هاجرة)** أي تاركة **(فراش زوجها)** بغير مانع من مرض أو امتناع لتسلم صداق حال عقدت عليه **(لعنتها الملائكة حتى تصبح)** ما دامت كذلك فإذا تابت من الذنب وأقلعت وعادت إلى الطاعة وأجابت إلى الفراش أو كانت معذورة فلا.

(وفي رواية) لمسلم من حديث أبي هريرة أيضًا **(قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده)** أي بقدرته وفي تصرفه، وفيه القسم على الشيء لتأكيده وتقويته عند السامع، وهو كذلك مستحب وواقع في الأخبار كثيرًا **(ما)** نافية **(من)** مزيدة لتأكيد استغراق النفي **(رجل يدعو امرأته إلى فراشها)** أضيف الفراش إليها هنا وإليه أوّلًا لملابسة كل منها له **(فتأبى)** أي تمتنع **(عليه إلا كان الذي في السماء)** والمراد منه ساكنها وهم

سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا».

٢٨٢ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه أيضًا أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ أَن تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إلا بِإِذْنِهِ، وَلا تَأْذَن فِي بَيْتِهِ إلا بِإِذْنِهِ». متفقٌ عليه، وهذا لفظ البخاري.

٢٨٣ - وعن ابنِ عُمَرَ رضي اللَّهُ عنهما عن النبيّ ﷺ قال: «كُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُم مَسْئولٌ عن رعِيَّتِهِ، والأَمِيرُ

الملائكة لأنه يستحيل المكان والجهة عليه سبحانه وتعالى علوًّا كبيرًا **(ساخطًا عليها)** والسخط المراد منه بالنسبة إليه تعالى غايته مجازًا مرسلًا من إطلاق اللازم وإرادة الملزوم إما الانتقام فيكون صفة فعل، أو إرادته فيكون صفة ذات وظاهر أن ذلك إذا غضب منه الزوج **(حتى يرضى عنها)**.

٢٨٢ - **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: لا يحلّ)** أي لا يجوز **(لامرأة أن تصوم)** ولو فرضًا موسعًا لأن حق الزوج ناجز ووقت الفرض متسع، ومن ثم لو ضاق بأن نذرت صوم وقت معين قبل التزوج به أو بعده بإذنه أو ضاق الوقت بأن لم يبق من شعبان إلا قدر ما عليها من قضاء رمضان حل لها الصوم بغير إذنه **(وزوجها شاهد)** أي حاضر، وظاهر عمومه أنه لا فرق في ذلك بين حريتهما ورقهما وتخالفهما في ذلك **(إلا بإذنه)** وذلك لأنه قد يكون له إليها حاجة فيمنعه عن ذلك الصوم **(ولا تأذن في بيته)** لرجل محرم أو غيره ولا لامرأة كذلك **(إلا بإذنه)** صريحًا أو ما في معناه **(متفق عليه. وهذا لفظ البخاري)** ولفظ مسلم في كتاب الزكاة «لا تصم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه».

٢٨٣ - **(وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: كلكم راع)** أي حافظ مؤتمن ملتزم صلاح ما اؤتمن على حفظه فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه **(وكلكم مسؤول عن رعيته)** أي هل قام بما عليه من صلاحها وحفظها والقيام بمصلحتها أولا **(والأمير)** أي ذو الأمر

راعٍ والرَّجُلُ راعٍ على أَهلِ بَيْتِهِ، والمرأَةُ راعِيةٌ علَى بيْتِ زَوجِها وولَدِهِ، فَكُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُم مَسئولٌ عن رَعِيَّتِهِ». **متفقٌ عليه**.

٢٨٤ - وعن أَبي عليٍّ طَلْقِ بنِ عليٍّ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «إِذا دعا الرَّجلُ زَوْجتَهُ

فيشمل سائر الحكام، وفي رواية الإمام، وعليها فخص بالذكر لأنه الأشرف الأكمل وباقي الولاة مثله كما أفادته رواية الباب، والأمير **(راع)** على من تحت ولايته فعليه النظر في شأنهم وتسديد أمرهم ودفع المضرات عنهم **(والرجل راع على أهل بيته)** فيقوم بكفايتهم من سائر المؤن بحسب حاله يسارًا وإعسارًا، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويبين لهم ما يحتاجون إليه من أمر الشرائع **(والمرأة راعية على بيت زوجها)** فتقوم بحفظه عن السارق والهرة وسائر المتلفات، ولا تتصدق بما تعلم أنه لا يرضى به **(وولده)** فتقوم بحضانته وخدمته. قال الخطابي: اشتركوا يعني الأمير ومن بعده في الوصف بالراعي ومعناه مختلف، فرعاية الإمام الأعظم رعاية الشريعة بإقامة حدودها والعدل في الحكم، ورعاية الرجل أهله سياسته لأمرهم وإيصال حقوقهم، ورعاية المرأة تدبيرها لأمر البيت والأولاد والخدم والنصيحة للزوج **(فكلكم)** حتى من لا أمر له ولا زوجة وهو الإنسان في نفسه فإنه **(راع)** على جوارحه فيعمل المأمورات ويجتنب المنهيات فعلًا ونطقًا واعتقادًا، فجوارحه وقواه وحواسه رعاياه، ثم لا يلزم من كونه راعيًا أن لا يكون مرعيًا باعتبار ءاخر **(وكلكم مسئول عن رعيته)** هل قام بما يجب لها عليه أو لا؟ **(متفق عليه)** ورواه أحمد وأبو داود والترمذي.

٢٨٤ - (وعن أبي علي طلق) بفتح المهملة وسكون اللام **(ابن علي)** بفتح فكسر كذلك، ابن طلق بن عمرو، **(رضي الله عنه)** كان من الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من اليمامة فأسلموا، روي له عن رسول الله ﷺ أربعة عشر حديثًا وليس له في «الصحيحين» شيء **(أن رسول الله ﷺ قال: إذا دعا الرجل زوجته)** قال النووي: «وثبت إلحاق التاء في

لِحَاجتِهِ فَلْتَأْتِهِ وإِن كَانتْ علَى التَّنُّور». رواه الترمذي والنَّسائي، وقال الترمذي: حديث حسن.

٢٨٥ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قال: «لَوْ كُنْتُ ءامِرًا أَحدًا أَن يَسجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ المرْأَةَ أَن تَسْجُدَ لِزَوْجِها». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

٢٨٦ - وعن أُمّ سَلَمةَ رضي اللَّهُ عنها قالت: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّما امرأةٍ ماتَتْ وزوْجُهَا عنها راضٍ دخَلَتِ الجَنَّة». رواه الترمذي وقال:

أحاديث في الصحيح» (**لحاجته**) التي يستحقها عليها (**فلتأته**) فورًا (**وإن كانت على التنور**) بفتح الفوقية وتشديد النون: الذي يخبز فيه. والجمع تنانير (**رواه الترمذي**) في النكاح (و) رواه (**النسائي**) في باب عشرة النساء (**وقال الترمذي: حديث حسن**).

٢٨٥ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: قال: لو**) حرف يقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه (**كنت ءامرًا**) بمد الهمزة مضارع من الأمر، والجملة خبر كان، (**أحدًا**) أي من بني ءادم (**أن يسجد لأحد**) تعظيمًا له وأداء لحقه (**لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**) لما له عليها من عظيم الحق الواجب القيام به. (**رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح**) ورواه أحمد من حديث معاذ والحاكم في «المستدرك» من حديث بريدة.

٢٨٦ - (**وعن أم**) المؤمنين أم (**سلمة**) هند بنت أبي أمية سبقت ترجمتها (**رضي الله عنها**) في باب التوكل (**قالت: قال رسول الله ﷺ: أيما**) بتشديد التحتية وهي الشرطية وحاصلة للتأكيد، وأي مضافًا إلى (**امرأة ماتت**) أي فارقت الحياة مؤمنة (**وزوجها عنها راض دخلت الجنة**) ظاهره ابتداء مع الفائزين، وهو محتمل بأن يغفر الله سيئاتها ويرضى عنها الخصماء (**رواه الترمذي**) وابن ماجه والحاكم (**وقال**) أي الترمذي

حديث حسن.

٢٨٧ - وعن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رضي اللَّهُ عنه عن النَّبيّ ﷺ قال: «لا تُؤْذي امْرأَةٌ زَوْجَهَا في الدُّنْيا إلا قالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ الْعِينِ لا تُؤْذِيهِ قَاتلَكِ اللّهُ فإنَّما هُو عِنْدَكِ دخِيلٌ يُوشِكُ أَن يُفارِقَكِ إلينا». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(**حديث حسن**) ثم مفهوم الحديث أن من ماتت وهو عنها غير راض لا تدخل الجنة: أي مع الفائزين.

٢٨٧ - (**وعن معاذ بن جبل**) الأنصاري (**رضي الله عنه**) وقوله: (**عن النبي ﷺ**) متعلق بمحذوف دلّ عليه المقام حال من المجرور بعن: أي ناقلًا عن النبي ﷺ (**قال: لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا**) أي لا يقع منها معه ما من شأنه أن يتأذى به من غير مجوّز لذلك شرعًا، وإلا فطلب نحو النفقة ممن يتأذى بها لنحو بخله لا يدخل الزوجة في ذلك (**إلا قالت زوجته**) وفي نسخة «زوجه» بالإضافة إلى الهاء (**من الحور**) بضم الحاء المهملة وهن نساء أهل الجنة واحدتهن حوراء وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها (**العين**) بكسر العين المهملة أي نَجَل العيون وهو سعتها (**لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك**) في الدنيا (**دخيل**) أي ضيف ونزيل، وعبرت بذلك لأن مدة المقام بالدنيا وإن طالت فهي يسيرة بالنظر إلى الآخرة التي لا أمد لها، فعبرت بما يعبر به عن قصير الإقامة وهو الضيف (**يوشك**) بضم أوله وكسر الشين المعجمة مضارع أوشك.

وفي «المصباح» أوشك من أفعال المقاربة والمعنى: الدنوّ من الشيء. (**أن يفارقك**) منتقلًا (**إلينا**) أي فأحسني إليه، وفي تعبيرها بالدخيل إيماء إلى ذلك، ففي الحديث الشريف: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» (**رواه الترمذي**) ءاخر كتاب النكاح (**وقال: حديث حسن**) غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه اهـ، ورواه ابن ماجه في النكاح أيضًا.

٢٨٨ - وعن أُسامةَ بنِ زيدٍ رضي اللَّهُ عنهما عن النبيّ ﷺ قال: «ما تَرَكْتُ بعْدِي فِتْنَةً هِي أَضَرُّ عَلى الرّجال مِنَ النّسَاءِ». متفقٌ عليه.

٣٦ - باب النفقة على العيال

قال الله تعالىٰ ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ

---

٢٨٨ - (**وعن أسامة بن زيد**) بن حارثة الحب ابن الحب (**رضي الله عنهما**) الصحابي ابن الصحابي (**عن النبي ﷺ قال: ما تركت بعدي**) أي بعد وفاتي (**فتنة**) هي كما في «المصباح»: المحنة والابتلاء، والجمع فتن، (**هي أضرّ على الرجال من النساء**) قال الحافظ ابن حجر: «وفي الحديث أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن، ويشهد له قوله تعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴿١٤﴾﴾ [سورة ءال عمران] فجعلهن من حب الشهوات وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك. ومع نقص عقلهن يحملن الرجل على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين كشغله عن طلب أمور الدين وحمله على التهالك على طلب الدنيا، وذلك أشد الفساد. وقد أخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري في أثناء حديث واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» اهـ (**متفق عليه**) ورواه الترمذي في الاستئذان، والنسائي في عشرة النساء، وابن ماجه في الفتن.

٣٦ - باب النفقة

المراد بها سائر المؤن من كسوة ونفقة وسكن (**على العيال**) بكسر العين المهملة أي من يعولهم من زوجة وخادم. قال ابن النحوي: النفقة من الإنفاق وهو الإخراج، (**قال الله تعالى** ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾) أي الذي يولد له، يعني الوالد فإن الولد يولد له وينسب إليه في التعبير بما ذكر إشارة للمعنى المقتضي لوجوب النفقة عليه (﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾) أجرة لهن. واختلف في استئجار الأم، فجوزه الشافعي، ومنعه أبو حنيفة ما

بِٱلْمَعْرُوفِۚ ﴿٢٣٣﴾﴾ [سورة البقرة]،

وقال تعالىٰ ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ ﴿٧﴾﴾ [سورة الطلاق]، **وقال تعالىٰ** ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة سبإ].

٢٨٩ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «دينَارٌ أَنْفَقْتَهُ في سبيلِ اللَّهِ وَدينَارٌ أَنْفَقْتهُ في رقَبَةٍ [ودينَارٌ تَصَدَّقتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ][1] وَدِينَارٌ أَنْفقْتَهُ علَى أَهْلِكَ، أَعْظمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ علَى أَهْلِكَ».

دامت زوجة أو معتدة بنكاح (﴿بِٱلْمَعْرُوفِۚ ﴿٢٣٣﴾﴾) حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه.

(**وقال تعالى** ﴿لِيُنفِقْ ذُو﴾) أي صاحب (﴿سَعَةٍ﴾) بفتح السين (﴿مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ﴾) أي ضيق (﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾) فإنه تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وفيه تطييب لقلب المعسر، ولذا عقبه بوعده باليسر بقوله ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ [سورة الطلاق].

(**وقال تعالى** ﴿وَمَآ﴾) شرط أو بمعنى الذي مبتدأ (﴿أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ﴾) عمومه متناول لليسير والحقير (﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ ﴿٣٩﴾﴾) عوضًا إما عاجلًا أو ءاجلًا.

٢٨٩ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: دينار) مبتدأ وسوغ الابتداء به مع كونه نكرة إرادة التنويع **(أنفقته في سبيل الله)** أي في الجهاد بإعانة ذلك عليه، **(ودينار أنفقته في رقبة)** أي فعتقت به كأن بقي ذلك من النجم الذي على المكاتب وبه تحصل حريته **(ودينار تصدقت به على مسكين)** أي محتاج فيشمل الفقير أيضًا عمومه **(ودينار أنفقته على أهلك)** وفي نسخة عيالك أي من تعولهم **(أعظمها)** أي أكثرها **(أجرًا الذي أنفقته على أهلك)** لأن من تلزمه مؤنتهم يقع الإنفاق فيهم

---

(١) سقط ما بين عاقفتين من النسختين الخطيتين.

رواه مسلم.

٢٩٠ - وعن أَبي عبدِ اللَّهِ ويُقَالُ له: أَبو عبدِ الرَّحمٰنِ ثوبانَ بْنِ بُجْدُدٍ مَوْلَىٰ رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلى دابَّتِهِ في سبِيلِ اللَّهِ، ودِينَارٌ يُنْفِقُهُ علَى أَصحابه في سبِيلِ اللّهِ». رواه مسلم.

٢٩١ - وعن أُمّ سلَمَةَ رضي اللَّهُ عنها قالَتْ: قلتُ يا رسولَ اللّهِ هَلْ لي مِنْ أَجْرٍ في بني أَبي سلَمَةَ أَنْ أُنْفِقَ علَيهِمْ وَلَسْتُ بتَارِكَتِهِمْ

واجبًا، وهو أفضل من المندوب بأضعاف مضاعفة ومن لا تلزمه مؤنتهم يكون في الإنفاق عليهم صلة رحمهم، وثوابها أعظم مما ذكر بكثير (**رواه مسلم**).

٢٩٠ - (وعن أبي عبد الله ويقال له أبو عبد الرحمٰن ثوبان بن بجدد) بضم الموحدة والدال المهملة الأولى وسكون الجيم بينهما (**مولى رسول الله ﷺ**) قيل وجده مسبيًا فأمر به فعتق، وقيل شراه وعتقه تقدمت ترجمته في باب المجاهدة (**قال: قال رسول الله ﷺ: أفضل دينار ينفقه الرجل**) في سبيل الخير (**دينار ينفقه على عياله**) أي الذين يمونهم، وقدم هذا في الذكر اهتماها به لأنه أشرف الأنواع كما صرح به في الحديث قبله (**ودينار ينفقه على دابته**) التي يركبها أو يحمل عليها (**في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه**) الذين يركبون معه (**في سبيل الله**) الظاهر أن المراد به في هذين الجهاد ثم أفضل مبتدأ خبره دينار وما عطف عليه بتقدير تقديم العطف على الربط (**رواه مسلم**) في الزكاة والترمذي في البرّ وقال: حسن صحيح، والنسائي في عشرة النساء، وابن ماجه في الجهاد.

٢٩١ - (وعن) أم المؤمنين (**أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله هل**) يكتب (**لي من أجر**) أي ثواب أخروي (**في بني أبي سلمة**) تعني أولادها منه (**أن أنفق عليهم**) بدل من بني سلمة بدل اشتمال أي هل يكتب لي أجر في الإنفاق عليهم (**و**) الحال أني (**لست بتاركتهم**

هَكَذَا وهَكَذَا إِنَّما هُمْ بَنِيَّ؟ فقال: «نَعَمْ لَكِ أَجْرُ ما أَنْفَقْتِ علَيهِمْ». متفقٌ عليه.

٢٩٢ - وعن سَعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رضي اللَّهُ عنه في حدِيثِهِ الطَّوِيلِ الذِي قَدَّمْناهُ في أَوَّلِ الكِتَابِ في بَابِ النّيَّةِ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له: «وإِنَّكَ لَن تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجهَ اللّهِ إِلا أُجِرْتَ بها حتَّى ما تَجْعلُ في في امرأَتِكَ».

هكذا وهكذا) أي يتفرقون لطلب القوت يمينًا وشمالًا، بل أنا كافيتهم ذلك بحسب الطبع لأن شفقة الأمومة تحمل على تكلف القيام بما يحتاج إليه الأولاد، وقولها **(إنما هم بنيّ)** هو تعليل لما أفاده الاستفهام التعجبي من ترتب الثواب على الإنفاق عليهم المنسوب لشفقة الأمومة وشأن أعمال البرّ أن شَوْب غيرها بها يسقطها وهذا حالها وحالهم والشَوْب هو الغش والتخليط **(فقال: نعم)** أي لك أجر وسكت عن جوابها عن سبب التعجب المذكور علمًا منه أنها إذا أخبرت بترتب الثواب عليه إنما تأتي به لذلك لا غير، وحينئذٍ فلا شوب، ولما كان في قولها هل لي أجر إبهام، وكان لو اقتصر على قوله: نعم لأوهم أن لها ثوابًا زائدًا على قدر ما تنفقه عليهم دفعه بقوله **(لك أجر ما أنفقت عليهم)** قليلًا كان أو كثيرًا **(متفق عليه)**.

٢٩٢ - (وعن سعد بن أبي وقاص) مالك بن وهيب أحد العشرة **(رضي الله عنه في حديثه الطويل الذي قدمناه أول الكتاب في باب النية)** الذي فيه أن النبي ﷺ عاده عام حجة الوداع من وجع اشتد به **(أن رسول الله ﷺ قال له: وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله)** أي وطلب مرضاته، قال الحافظ: «أي ما عند الله من الثواب» **(إلا أجرت بها)** أي أجرك الله بسببها بالقصر أو ءاجرك بالمد **(حتى)** غاية للعموم المستفاد مما قبله باعتبار المصرف **(ما)** أي الذي أو شيئًا **(تجعل في في امرأتك)** أي فمها أفاد أن كل شيء قصد به وجه الله تعالى أثيب عليه فاعله.

متفقٌ عليه.

٢٩٣ - وعن أَبي مَسْعُودٍ الْبَدرِيّ رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قال: «إِذا أَنْفَقَ الرَّجُلُ علَى أَهْلِهِ يحتَسِبُها فَهُوَ لهُ صَدَقَةٌ». متفقٌ عليه.

٢٩٤ - وعن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «كفى بِالمَرْءِ إِثْمًا أَن يُضَيّعَ مَن يقُوتُ». حديث صحيحٌ رواه أَبو داود وغيرُه.

ورواه مسلمٌ في صحيحه بِمعنَاهُ

وأخذ منه أن المباحات إذا اقترن بها النية تنتقل إلى درجة الطاعات ويثاب عليها، فللوسائل حكم المقاصد (**متفق عليه**).

٢٩٣ - (**وعن أبي مسعود**) عقبة بن عمرو (**البدري**) نسبة لبدر لكونه سكنها لا أنه شهد وقعتها (**رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إذا أنفق الرجل**) المسلم (**على أهله**) الذين تلزمه مؤنتهم وغيرهم نفقة (**يحتسبها**) قال الحافظ: «المراد بالاحتساب القصد إلى طلب الأجر» (**فهو**) أي المنفق الدالّ عليه بقوله إذا أنفق (**له صدقة**) أي عظيمة الثواب لما فيها من أداء الواجب وصلة الرحم الوارد فيه من الثواب ما لا يحصيه إلا المتفضل به (**متفق عليه**).

٢٩٤ - (**وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كفى بالمرء إثمًا**) الأصل كفى المرء في عظم الإثم إثم تضييع من يقوت. قال ابن رسلان: أي لو لم يكن له من الإثم إلا هذا لكفاه لعظمه عند الله تعالى (**أن يضيع من يقوت**) يقال قاته يقوته إذا أعطاه قوته، والمراد أن يمنع من تلزمه نفقته من زوجة وولد ووالد ويعطي غيرهم ولو صدقة اهـ (**حديث صحيح رواه أبو داود**) في ءاخر كتاب الزكاة (**وغيره**) فرواه النسائي في عشرة النساء والبزار (**ورواه مسلم في صحيحه بمعناه**) وأوله عنده «أن ابن عمرو قال لقهرمانه: هل أعطيت الرقيق قوتهم؟ قال: لا، قال: قم فانطلق فأعطهم فإني سمعت رسول الله

قال: «كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمًا أن يَحبِس عَمَّن يملِكُ قُوتَهُ».

٢٩٥ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَا مِن يوْم يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إلا مَلَكَانِ يَنْزلانِ فَيقُولُ أَحدُهُما: اللَّهُمَّ أَعطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، ويَقولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعطِ مُمْسِكًا تَلَفًا». متفقٌ عليه.

٢٩٦ - وعنه عن النبيّ ﷺ قال: «اليَدُ الْعُليا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى

ﷺ (قال: كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته).

٢٩٥ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: ما) نافية (من) مزيدة لتأكيد النفي (يوم) وهو شرعًا من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وقوله: (يصبح العباد فيه) وصف توضيحي (إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا) وأبهم الخلف ليتناول المال والثواب وغيرهما. قال الحافظ: وإبهامه أولى، فكم من منفق مات قبل وقوع الخلف المالي له فيكون خلفه الثواب المعدّ له في الآخرة أو يدفع عنه من السوء ما يقابل ذلك (ويقول) الملك (الآخر: اللهمّ أعط) عبَّر بالعطية مشاكلة لما قبلها وإلا فهي لا تكون في التلف (ممسكًا تلفًا) يحتمل تلف ذلك المال بعينه والمراد به فوات أعمال البر بالتشاغل بغيرها. قال النووي: الإنفاق الممدوح ما كان في الطاعات ومكارم الأخلاق وعلى العيال والضيفان والتطوعات ونحو ذلك»، وقال القرطبي: هي تعم الواجبات والمندوبات، لكن الممسك عن المندوبات لا يستحق هذا الدعاء إلا أن يغلب عليه البخل المذموم بحيث لا تطيب نفسه بإخراج الحق الذي عليه ولو أخرجه اهـ (متفق عليه).

٢٩٦ - (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (عن النبي ﷺ قال: اليد العليا) قال أبو داود: قال الأكثر عن حماد بن زيد: هي المنفقة، قال الحافظ في «الفتح»: «فهذه الأحاديث متظافرة على أن اليد العليا هي المنفقة المعطية وأن السفلى - أي في قوله (خير من اليد السفلى) -

وابْدَأْ بمَن تَعُولُ، وخَيْرُ الصَّدقَةِ مَا كَانَ عَن ظَهْرِ غِنًى، ومَن يَسْتَعفِفْ يُعِفَّهُ اللّهُ، ومَن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللّهُ». رواه البخاري.

هي السائلة، وهذا هو المعتمد وهو قول الجمهور، ومحصل ما في الأحاديث المتقدمة أن أعلى الأيدي المنفقة ثم المتعففة عن الأخذ ثم الآخذة بغير سؤال وأسفل الأيدي السائلة والمانعة» اهـ **(وابدأ)** في العطاء **(بمن تعول)** لأنه إما واجب أو مندوب ففيه أداء حق أو صلة رحم **(وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى)** أي أفضلها ما وقع عن غنى وعدم احتياج إلى المتصدق به لنفسه أو لممونه. قال الخطابي: لفظ الظهر يزاد في مثل هذا إشباعًا للكلام والمعنى أفضلها ما أخرجه الإنسان من ماله بعد أن يستبقي منه قدر الكفاية لأهله وعياله ولذا قال أوَّلًا: «وابدأ بمن تعول». وقال النووي: «مذهبنا أن التصدق بجميع المال مستحب لمن لا دين عليه ولا عيال له لا يصبرون ويكون هو أيضًا ممن يصبر على الإضافة والفقر، فإن لم تجتمع هذه الشروط فهو مكروه. وأما ما يحتاج إليه ويؤدي الإيثار به إلى هلاك النفس والإضرار بها أو كشف العورة فلا يجوز الإيثار به، فإذا سقطت هذه الحقوق الواجبة صحّ الإيثار وكان أفضل بشرطه وبهذا يندفع التعارض بين الأخبار **(ومن يستعفف)** بفك الإدغام: أي عن السؤال **(يعفه**[1] **الله)** بضم التحتية والفاء اتباعًا لحركة الضمير أي يصيره عفيفًا أي بمال يغنيه به عن الحاجة أو بقناعة في نفسه **(ومن يستغن)** بما أعطيه ويقنع به **(يغنه الله)** عن الاحتياج لما فوقه فإن طعام الاثنين يكفي الثلاثة، والنفس معك إن أرسلتها استرسلت وإن فطمتها وقفت وانفطمت **(رواه البخاري)**.

---

(١) ويصح بفتح الفاء وتشديدها.

٣٧ - باب الإنفاق مما يحب ومن الجيد

قال الله تعالىٰ ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة ءال عمران]، **وقال تعالىٰ** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ ﴿٢٦٧﴾﴾ [سورة البقرة].

٢٩٧ - وعن أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه قال: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ رضي اللَّهُ عنه أَكْثَرَ الأَنْصارِ بِالمدِينَةِ مالا مِن نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوالِهِ إِلَيْهِ بَيْرَ حَاءُ،

باب طلب الإنفاق مما يحب

أي من محبوبه طبعًا فما مصدرية أو من الذي، أو من شيء يحبه، فما موصول اسمي أو نكرة موصوفة والعائد محذوف عليهما **(ومن الجيد)** عادة **(قال الله تعالى** ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ﴾) أي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير (﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿٩٢﴾﴾) أي من المال **(وقال تعالى** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾) من حلاله أو من خياره (﴿وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾) أي ومن طيبات ما أخرجنا لكم من الحبوب والتمر والمعادن (﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ﴾) ولا تقصدوا الردىء (﴿مِنۡهُ﴾) أي من المذكور أو مما أخرجنا، وتخصيصه بذلك لأن التفاوت فيه أكثر (﴿تُنفِقُونَ ﴿٢٦٧﴾﴾) قال بعضهم من تصدق بنفيس فاز بنفيس ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة المطففين].

٢٩٧ - (وعن أنس) بن مالك **(رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة)** زيد بن سهل **(رضي الله عنه أكثر الأنصار)** هم أولاد الأوس والخزرج وهو اسم إسلامي، سموا به لنصرهم النبي ﷺ بالمدينة **(مالا)** تمييز عن نسبة الأكثرية إليه **(من نخل)** بيان لمال **(وكان أحب أمواله إليه)** يجوز أن يكون مرفوعًا اسم كان وخبرها **(بير حاء)** ضبطها في «النهاية» فقال: يروى بفتح الباء وبكسرها وفتح الراء وضمها وبالمد والقصر فهذه ثمان

وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المسْجِدِ وكانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيشْرَبُ مِن ماءٍ فِيهَا طَيّبٍ. قَالَ أَنَسٌ: فلَمَّا نزَلَتْ هَذِهِ الآيةُ ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿٩٢﴾﴾ قام أَبُو طَلْحَةَ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تعَالَى يقولُ ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿٩٢﴾﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ مَالي إِلَيَّ بَيْرَ حَاءُ، وإِنَّهَا صَدقَةٌ لِلّهِ تَعَالَى أَرْجُو بِرَّهَا وذُخْرَهَا عِنَد اللَّهِ فَضَعْهَا يا رسولَ اللَّهِ حيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ:

لغات، واختلف في «حاء» هل هي اسم رجل أو امرأة أو مكان أضيفت إليه، أو هي كلمة زجر للإبل فكأن الإبل كانت ترعى هناك وتزجر بهذه اللفظة فأضيفت البير إلى اللفظ المذكور **(وكانت مستقبلة)** بكسر الموحدة **(المسجد)** النبوي **(وكان رسول الله ﷺ يدخلها)** أي الحديقة المذكورة **(ويشرب من ماء فيها طيب)** أي عذب. ففيه جواز دخول أهل الفضل للحوائط والبساتين والاستظلال بظلها والأكل من ثمرها والراحة والتنزّه، وقد يكون ذلك مستحسنًا ليترتب عليه الأجر إذا قصد به إجمام النفس من تعب العبادة وتنشيطها في الطاعة **(قال: أنس)** أعاد الراوي ذكره لطول الكلام وهذه عادة العرب في محاوراتها **(فلما نزلت هذه الآية)** وبينها بقوله **(لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة)** قاصدًا **(إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله تعالى يقول ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿٩٢﴾﴾)** وهذا من أبي طلحة من باب لازم فائدة الخبر **(وإن أحبّ مالي إليّ بير حاء وإنها)** لكونها أحبّ إليّ وقد وقف حصول البرّ على الإنفاق من المحبوب **(صدقة لله تعالى)** أي وقفا على المتصدق بها عليه، ويحتمل صدقة التمليك **(أرجو برّها)** أي خيرها **(وذخرها)** بضم الذال المعجمة وبالخاء الساكنة المعجمة هو ما يعد لوقت الحاجة إليه وهو يوم القيامة وسائر أوقات الشدائد، وفسره الشيخ زكريا بقوله أي أجرها **(عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله)** تفويض منه إليه في تعيين مصرفها لا في وقفيتها **(فقال رسول الله ﷺ:**

«بَخٍ ذلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ذلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَد سمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنّي أَرَى أَن تَجْعَلَهَا في الأَقْرَبِينَ» فقال أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يا رسولَ اللَّهِ، فَقَسَّمَهَا أَبُو طَلْحَةَ في أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمّهِ. متفقٌ عليه.

قولُهُ ﷺ: «مالٌ رَابِحٌ» رُوِي في «الصحيح»: «رَابِحٌ» و: «رَايِحٌ» بالباء الموحدةِ وبالياءِ المثناةِ أَيْ رَايِحٌ عَلَيْكَ نَفْعُهُ. و«بِيْر حاء»: حديقة نخلٍ، وروي بكسر الباءِ وفَتْحِها.

بخ) بفتح الموحدة وسكون المعجمة وقد تنون مع التثقيل والتخفيف بالكسر والرفع كلمة تقال لتفخيم الأمر والإعجاب به (**ذلك**) أي المتصدق به (**مال رابح**) بالمثناة التحتية بعد الألف أو بالموحدة بعدها قال الحافظ: في الحديث فضيلة لأبي طلحة لأن الآية تضمنت الحثّ على الإنفاق من المحبوب، فترقى هو إلى إنفاق أحبّ المحبوب، فصوب ﷺ رأيه، وشكر عن ربه فعله، وكنى عن ذلك بقوله: بخ إلخ.

(**وقد سمعت ما قلت**) إن كانت ما مصدرية فلا خلاف، وإن كانت موصولة فالعائد محذوف: أي قلته، ثم أمره أن يخص بها أهله بقوله (**وإني أرى**) من الرأي في الأمر (**أن تجعلها**) صدقة (**في الأقربين**) أي لك (**فقال أبو طلحة أفعل**) بضم اللام على أن الضمير المستتر فيه لأبي طلحة (**يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه**) من عطف الخاص على العام، فرده على أقاربه أُبي بن كعب وحسان بن ثابت وأخيه وابن أخيه شداد بن أوس ونبيط بن جابر فباع حسان حصته من معاوية بمائة ألف درهم (**متفق عليه**) رواه البخاري في الزكاة وفي الوصايا وفي الوكالة وفي «التفسير»، ورواه مسلم في الزكاة، ورواه النسائي في «التفسير» (**قوله** ﷺ: **مالٌ رابح روي**) مرويّ (**في الصحيح رابح ورايح بالباء الموحدة وبالياء المثناة**) وأما البخاري فرواه بالوجهين ثم معناه بالموحدة واضح من الربح أي ذو ربح. وأما بالتحتية فمعناه رايح عليك أجره وبمعناه قول المصنف (**أي رايح عليك نفعه. وبير حاء حديقة نخل**) وليس اسم بئر (**وروي بكسر الباء وفتحها**) أي مع فتح الراء

٣٨ - باب وجوب أمرِ أهله وأولاده المميِّزين وسائر من في رعيته بطاعة الله تعالى ونهيهم عن المخالفة وتأديبهم ومنعهم من ارتكاب منهيٍ عنه

قال الله تعالى ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [سورة طه]،

وضمها والمد والقصر، قال النووي: «في هذا الحديث من الفوائد: أن الصدقة على الأقارب أفضل من الأجانب إذا كانوا محتاجين».

٣٨ - باب وجوب أمر أهله

أي زوجته ومستولدته (**وأولاده المميزين**) المراد منهم ما يشمل بناته المميزات والتذكير للتغليب وشرف الذكور (**وسائر من في رعيته**) من العبيد والإماء (**بطاعة الله تعالى**) أي امتثال أمره ونهيه وهي غير العبادة والقربة، والعبادة ما تعبد به بشرط النية ومعرفة المعبود، والقربة: ما تقرّب به بشرط معرفة المتقرّب إليه، فالطاعة توجد بدونها في النظر المؤدي إلى معرفة الله، إذ معرفته إنما تحصل بتمام النظر، والقربة توجد بدون العبادة في القرب التي لا تحتاج إلى نية كالعتق والوقف (**ونهيهم عن المخالفة**) لأوامر الله تعالى (**وتأديبهم**) عند فعل ما لا ينبغي فعله مما لا حد فيه ولا تعزير (**ومنعهم من ارتكاب منهي عنه**) بالحيلولة بينهم وبينه وهذا واجب في المنهي عنه المحرم، مندوب في المنهي عنه المكروه، ومثله في ذلك التأديب فينبغي حمل الوجوب في الترجمة على ما يشمل الندب بأن يراد به الحق المتأكد.

(**قال الله تعالى** ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾) قال السيوطي في «الإكليل» فيه: أنه يجب على الإنسان أمر أهله من زوجة وعبد وأمة وسائر عياله بالتقوى والطاعة خصوصًا الصلاة.

وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ۝٦﴾ [سورة التحريم].

٢٩٨ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: أَخَذَ الحسنُ بنُ عليٍّ رضي اللَّهُ عنْهُما تَمْرةً مِن تَمرِ الصَّدقَةِ فَجعلَها في فِيهِ فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: «كَخْ كَخْ، ارْمِ بِهَا، أَما عَلِمْتَ أَنَّا لا نأْكُلُ الصَّدقَةَ؟». متفق عليه.

(**وقال تعالى** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾) بترك المعاصي وفعل الطاعات (﴿وَأَهۡلِيكُمۡ﴾) بالنصح والتأديب (﴿نَارٗا﴾) التنوين فيها للتعظيم، وبين عظمها بما وصفها به من قوله (﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ۝٦﴾).

٢٩٨ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن علي**) بن أبي طالب (**رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة**) وفي رواية معمر عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال: «كنا عند رسول الله ﷺ وهو يقسم تمرًا من تمر الصدقة والحسن في حجره» أخرجه أحمد (**فجعلها في فيه فقال رسول الله ﷺ**) زجرًا له ليطرحها (**كخ كخ ارم بها**) هذه من زيادة مسلم على البخاري، وفي رواية حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أحمد «فنظر إليه فإذا هو يلوك تمرة، فحرك خده وقال: ألقها يا بنيّ ألقها يا بنيّ» ويجمع بين هذين وبين قوله كخ كخ بأنه كلمه أولًا بهما، فلما تمادى قال: له كخ كخ إشارة إلى استقذاره ذلك، ويحتمل العكس بأن يكون أعلمه بذلك فلما تمادى نزعها من فيه (**أما علمت**) هذا لفظ مسلم، وفي رواية للبخاري «أما شعرت» وفي أخرى له في الجهاد «أما تعرف» (**أنا لا نأكل الصدقة**) قال النووي: «هذه اللفظة تقال في الشيء الواضح التحريم ونحوه وإن لم يكن المخاطب عالمًا به، وتقديره عجب كيف خفي عليك هذا مع ظهور تحريم الزكاة على النبي ﷺ وعلى ءاله وهم بنو هاشم وبنو المطلب»، وهذا أبلغ في الزجر من قوله لا تفعل (**متفق عليه**) أخرجه البخاري في الزكاة وفي الجهاد، ومسلم في الزكاة والنسائي في السير.

وفي روايةٍ: «أَنَا لا تَحِلُّ لنَا الصَّدقةُ». وقوله: «كَخْ» يقال بإسكان الخاء ويقال بكسرها مع التنوين وهي كلمةُ زجرٍ للصبي عن المستقذرات، وكان الحسن رضي اللَّهُ عنه صبيًّا.

٢٩٩ - وعن أَبي حفْصٍ عُمرَ بنِ أَبي سَلَمَةَ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الأَسدِ ربيبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: كُنْتُ غُلامًا في حِجْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فقال لي رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يا غُلامُ سمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيمينِكَ

(وفي رواية) هي لمسلم كما في «الفتح» (أنا لا تحلّ لنا الصدقة) وعند أحمد والطحاوي من حديث الحسن بن علي نفسه قال «كنت مع النبي ﷺ، فمرّ على جرين من تمر الصدقة» فأخذت منه تمرة فألقيتها في فيّ، فأخذها بلعابها فقال: إنّا ءال محمد لا تحل لنا الصدقة» وإسناده قوي (وقوله) في الحديث (كخ يقال بإسكان الخاء) المعجمة مثقلة ومخففة (ويقال بكسرها) منونة وغير منونة وهي بفتح الكاف في الجميع وكسرها (وهي كلمة زجر للصبيّ عن المستقذرات) وأشار البخاري في باب من تكلم بالفارسية إلى أنها عجمية معربة، والثانية تأكيد للأولى (وكان الحسن رضي الله عنه صبيًا) لأنه ولد بعد الهجرة بسنة.

٢٩٩ - (وعن أبي حفص) بفتح الحاء المهملة وسكون الفاء هو الأسد وهي كنية (عمر بن أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد ربيب رسول الله ﷺ) أي ولد زوجته أم سلمة، ولدته بالحبشة وأبواه مهاجران إليها في ءاخر السنة الثانية من هجرة رسول الله ﷺ، توفي سنة ثلاث وثمانين (قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ) بفتح المهملة: أي كنفه وحمايته، أو المراد به الحضن وهو ما بين الإبط إلى الكشح فيكون كقوله تعالى ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم ﴿٢٣﴾﴾ [سورة النساء] (وكانت يدي تطيش في) نواحي (الصحفة) هي إناء كالقصعة (فقال لي رسول الله ﷺ) معلمًا ومؤدبًا (يا غلام) بضم الميم (سم الله) أمر ندب اتفاقًا (وكل بيمينك)

وكُلْ مِمَّا يَلِيْكَ» فَما زَالَتْ تِلْكَ طِعْمتي بعْدُ. متفقٌ عليهِ.

و«تطيش»: تدور في نواحي الصحفة.

٣٠٠ - وعنِ ابنِ عمرَ رضي اللَّهُ عنهما قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: كُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئولٌ عَن رَعِيَّتِه، الإِمَامُ راعٍ ومَسْئولٌ عَن رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في أَهْلِهِ وَمَسْئولٌ عَن رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بيْتِ زَوْجِهَا ومسْئولةٌ عن رَعِيَّتِها، والخادِمُ راعٍ في مالِ سيّدِهِ ومسْئولٌ عَن رَعِيَّتِهِ، فكُلُّكُمْ راعٍ ومَسئولٌ عن رعِيتِهِ». متفقٌ عليه.

٣٠١ - وعنْ عمرِو بنِ شُعيْبٍ

ذهب الجمهور إلى أنه للندب أيضًا (**وكل مما يليك**) أي ندبًا على الأصح وقيل وجوبًا لما فيه من إلحاق الضرر بالغير ومزيد الشره، ومحل ذلك ما إذا لم يعلم رضا من يأكل معه وإلا فلا حرمة ولا كراهة لما ورد عن أنس من تتبعه ﷺ للدباء من حوالي القصعة وقول البعض إنه أكل وحده مردود بأن أنسًا أكل معه (**ف**) تسبب عن ذلك أنها (**ما زالت تلك طعمتي**) بكسر الطاء المهملة لبيان الهيئة أي صفة أكلي (**بعد**) بضم الدال أي بعد ذلك الأمر (**متفق عليه**) رواه البخاري ومسلم في الأطعمة، والنسائي في المحاربة واليوم والليلة، وابن ماجه في الأطعمة (**وتطيش تدور في نواحي الصحفة**).

٣٠٠ - (**وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها**) ذكرًا كان أو أنثى، رقيقًا أو حرًّا، متبرعًا أو مستأجرًا (**والخادم راع في مال سيده**) فيحفظه عن أسباب التلف ولا يخون فيه (**ومسئول عن رعيته، فكلكم راع ومسئول عن رعيته. متفق عليه**) وتقدم الكلام عليه في باب حق الزوج على امرأته.

٣٠١ - (**وعن عمرو بن شعيب**) بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن

عن أَبيه عن جدّهِ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مُرُوا أَوْلادَكُم بِالصَّلاةِ وهُمْ أَبْنَاءُ سبْعِ سِنينَ، واضْرِبُوهمْ علَيْهَا وَهُمْ أَبْناءُ عَشْرِ سِنينَ، وفرّقُوا بيْنَهُمْ في المضَاجعِ». حديثٌ حسن رواه أَبو داود بإِسنادٍ حسنٍ.

٣٠٢ - وعن أَبي ثُرَيَّةَ سَبْرَةَ بنِ مَعْبدٍ الجُهَنِيّ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلّمُوا الصَّبيَّ الصَّلاةَ

العاص. صدوق من صغار التابعين، مات سنة ثماني عشرة ومائة (**عن أبيه**) شعيب وهو صدوق ثبت سماعه من جده من كبار التابعين (**عن جده**) أي جد الأب وهو عبد الله بن عمرو (**رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: مروا أولادكم**) وجوبًا وسواء في ذلك الذكر والأنثى، وكذا يجب عليه أمر زوجته وخادمه (**بالصلاة**) أي وبما تتوقف عليه لأن الأمر بالشيء أمر بما لا يتم بدونه (**وهم أبناء سبع سنين**) أي تمامها أي وقد ميزوا كما هو الغالب بحيث صار الصبيّ يأكل وحده ويشرب وحده ويستنجي وحده (**واضربوهم عليها**) أي على أدائها إن امتنعوا منه ضربًا غير مبرّح ويتقي الوجه (**وهم أبناء عشر سنين**) وقد اختلف هل ذلك بعد تمامها أو بالدخول فيها، وإنما أمر بالضرب فيها لأنه حدّ يحتمل فيه الضرب غالبًا (**وفرقوا بينهم في المضاجع**) فلا يباشر المميز غيره في المضاجع (**حديث حسن رواه أبو داود بإسناد حسن**) ورواه الإمام أحمد والحاكم في «المستدرك».

٣٠٢ - (**وعن أبي ثرية**) بضم المثلثة وفتح الراء وبتشديد التحتية كنية (**سبرة**) بفتح المهملة الأولى وسكون الموحدة (**ابن معبد**) بفتح الميم الموحدة وسكون المهملة بينهما. (**الجهني رضي الله عنه**) ويكنى بأبي الربيع أيضًا. كان له دار بالمدينة توفي في خلافة معاوية (**قال: قال رسول الله ﷺ: علموا الصبي**) المراد به ما يشمل الصبية لأنه فعيل بمعنى فاعل، وفعيل إذا كان كذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث (**الصلاة**

لِسَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُ علَيْهَا ابْنَ عشْرِ سِنِينَ». حديث حسنٌ، رواه أَبو داود والترمِذي وقال: حديث حسن.

ولَفْظُ أَبي داوُد: «مرُوا الصَّبيَّ بِالصَّلاةِ إِذَا بلغَ سبْعَ سِنِينَ».

٣٩ - باب حق الجار والوصية به

قال الله تعالى ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ

لسبع سنين، واضربوه عليها) حال كونه **(ابن عشر سنين)** ويجب على الوليّ إذا ميز الصبيّ أن يعلمه ما يجب اعتقاده مما يجب ويجوز ويستحيل في حق الله تعالى وحق رسوله ﷺ وحق سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام وأن شرائعهم نسخت كلها بشريعة نبينا ﷺ التي لا تنسخ أبدًا، وأنه ﷺ محمد بن عبد الله النبي الرسول العربي ولد بمكة ومات بالمدينة ويعلمه أحكام الشرائع ليرسخ ذلك عنده، فالعلم في الصغر كالنقش في الحجر **(رواه)** أي هذا الخبر لا بخصوص هذا اللفظ لما يأتي من قوله: ولفظ أبي داود إلخ **(أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن)** كان الأولى تقديم ذكر الترمذي لأنه راوي اللفظ، وكأنه قدم أبا داود لعلوّ رتبة مرويه على مروي من بعده **(ولفظ أبي داود: مروا الصبيّ بالصلاة إذا بلغ سبع سنين)** ليتمرّن عليها ويعتادها فلا يتركها إذا بلغ إن شاء الله تعالى.

٣٩ - باب حق الجار

أي ما يستحقه **(والوصية)** من الشارع **(به)** وفي ذلك حصول الألف والتوادّ الذي به نظام المعاش والمعاد. وفي «المصباح»: الجار: المجاور في السكن والجمع جيران.

(قال الله تعالى ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾) أي وحدوه (﴿وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾) صنمًا أو غيره أو شيئًا من الشرك جليًا أو خفيًا (﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾) أي وأحسنوا بهما إحسانًا (﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾) أي وبصاحب القرابة

وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة النساء].

٣٠٣ - وعنِ ابنِ عُمَرَ وعائشةَ رضي اللَّهُ عنهم قالا: قال رسولُ اللّه ﷺ: «مَا زالَ جِبْرِيلُ عليهِ السَّلامُ يُوصِينِي بِالجارِ حتَّى ظَنَنتُ أَنَّهُ سيُوَرِّثُهُ». متفقٌ عليه.

٣٠٤ - وعن أَبي ذَرّ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرّ إِذا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَها وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ». رواه مسلم.

(﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾) الذي قرب جواره، وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين، وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيمًا لحفظه (﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾) البعيد أو الذي لا قرابة له (﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴿٣٦﴾﴾) الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فإنه صحبك وحصل بجنبك (﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٣٦﴾﴾) المسافر والضيف (﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴿٣٦﴾﴾) من العبيد والإماء.

٣٠٣ - (وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم قالا: قال رسول الله ﷺ ما زال جبريل عليه السلام) تقدم في باب المراقبة أنه اسم سرياني. قيل معناه عبد الرحمٰن، وقيل معناه عبد الله **(يوصيني بالجار)** أي بالاعتناء به والاحتفال بشأنه **(حتى)** من شدة ذلك **(ظننت أنه سيورثه)** فيكون سبب الإرث الجوار، كما كان سببه أول الإسلام التحالف والتعاهد حتى نسخ بآية المواريث **(متفق عليه)** واللفظ للبخاري ولفظ مسلم «ليورثنه» بالمضارع المؤكد بالنون.

٣٠٤ - (وعن أبي ذرّ) جندب بن جنادة **(رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا ذرّ إذا طبخت مرقة)** هو الماء الذي طبخ فيه اللحم ونحوه **(فأكثر ماءها)** ليكثر الائتدام بها فإن المراد بها إساغة الخبز وتليينه **(وتعاهد)** ندبًا **(جيرانك)** أي بالإحسان إليهم وفعل البرّ معهم **(رواه مسلم)** ففي الحديث الحض على مكارم الأخلاق والإرشاد لمحاسنها

وفي روايةٍ له عن أَبي ذرّ قال: إن خليلي ﷺ أَوْصَاني: «إِذا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءَه ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِن جِيرانِكَ فَأَصِبْهُم مِنْهَا بِمعْرُوفٍ».

٣٠٥ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه أَن النبيَّ ﷺ قال: «واللّهِ لا يُؤْمِنُ واللّهِ لا يُؤْمِنُ وَاللّهِ لا يُؤْمِنُ» قِيلَ: مَن يا رسولَ اللَّهِ؟

لما يترتب عليه من المحبة والألفة ولما يحصل به من المنفعة ودفع الحاجة والمفسدة فقد يتأذى الجار بقتار قدر جاره وعياله وصغار ولده ولا يقدر على التوصل لذلك، فتهيج من صغارهم الشهوة ويقوم على القائم بهم الألم والكلفة، وربما كان يتيمًا أو أرملة فتكون المشقة أعظم وتشتد منهم الحسرة والألم، وكل ذلك ليندفع بتشريكهم في شيء من الطبخ فلا أقبح من منع هذا اليسير المترتب عليه هذا الضرر الكبير.

(**وفي رواية له**) أي لمسلم (**عن أبي ذر قال: إن خليلي ﷺ**) لا ينافيه حديث: «لو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر» لأن الذي لم يكن اتخاذ النبي ﷺ غير ربه خليلًا، أما اتخاذ غيره إياه خليلًا فلا (**أوصاني إذا طبخت مرقًا**) أي ذا مرق من لحم وغيره (**فأكثر ماءه ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها**) أي المرقة المدلول عليها بالمرق (**بمعروف**) وفي قوله إيماء إلى أنه ينبغي أن يكون المرسل به إلى الجيران شيئًا به نفع في الائتدام، فإن لم يتيسر إلا القليل فليهده ولا يحتقره ففي الحديث «لا تحقرن من المعروف شيئًا» ويكون المهدى إليه مأمورًا بقبوله ذلك والمكافأة عليه ولو بالشكر، فإنه وإن كان قليلًا دليل على تعلق قلب المهدي بجاره.

٣٠٥ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن) فيه الحلف من غير استحلاف وتكراره لتأكيد الأمر وهو لذلك مستحبّ والمراد من الإيمان المنفي الإيمان الكامل لا أصله المخرج من النار المدخل في الجنة فذلك لا يزول بهذا (**قيل: من يا رسول الله**) هذا الذي نفى عنه الإيمان مرارًا

قال: «الَّذي لا يأْمنُ جارُهُ بَوَائِقَهُ». متفق عليه.

وفي روايةٍ لمسلمٍ: «لا يَدْخُلُ الجنَّةَ مَن لا يأْمَنُ جارُهُ بوَائِقَهُ».

«البوائق»: الغوائل والشُّرور.

٣٠٦ - وعنه رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا نِسَاءَ المُسْلِمَاتِ لا تَحْقِرَنَّ جارَةٌ لجارتِهَا وَلَو فِرْسِنَ شَاةٍ». متفقٌ عليه.

٣٠٧ - وعنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لا يَمْنَعْ جارٌ جارَهُ أَن يغْرِزَ خَشَبَةً في جِدارِهِ»، ثُمَّ يَقُولُ أَبو هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه:

(قال) هو (الذي لا يأمن جاره بوائقه) فالموصول خبر لمبتدإ محذوف (متفق عليه) الخبر أخرجه البخاري في الأدب.

(وفي رواية لمسلم) من حديث أبي هريرة رواها عنه في كتاب الإيمان قال: إن رسول الله ﷺ قال: (لا يدخل الجنة) أي مع الناجين، قال النووي: «هذا محمول على من يستحل الإيذاء مع علمه بتحريمه فهذا كافر لا يدخلها أصلًا، أو معناه: جزاؤه أن لا يدخلها وقت دخول الفائزين إذا فتحت أبوابها لهم بل قد يؤخَّر ثم قد يجازى وقد يُعفَى عنه فيدخلها أولًا» (من لا يأمن جاره) وفي نسخة «ولا يؤمن جاره» (بوائقه. البوائق: الغوائل) بالغين المعجمة (والشرور) واحدها بائقة قال في «شرح مسلم» وهو الغائلة والداهية.

٣٠٦ - (وعنه) أي عن أبي هريرة (رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يا نساء المسلمات) من إضافة الموصوف إلى صفته (لا تحقرنّ جارة) معروفًا (لجارتها ولو فرسن شاة. متفق عليه) وتقدم الكلام عليه في باب بيان كثرة طرق الخير.

٣٠٧ - (وعنه أن رسول الله ﷺ قال: لا يمنع) بالجزم على أنها ناهية، ولبعض رواة البخاري بالرفع: نفي بمعنى النهي (جار جاره) من (أن يغرز خشبة في جداره) أي لا يمنعه من ذلك في ملكه وإن تضرر هو بذلك كأن يحدث له بها ظلام في محله ونحو ذلك (ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه)

مَا لي أَرَاكُمْ عنْهَا معْرِضينَ واللّهِ لأَرمِينَّ بها بيْنَ أَكْتَافِكُمْ. متفقٌ عليه.

ورُوِي «خَشَبهُ» بالإِضَافَةِ والجمْع، و«خَشبَةً» بالتَّنْوِينِ عَلى الإِفْرَادِ.

وقوله: «ما لي أَرَاكُمْ عنْهَا مُعْرِضِينَ»: يعني عن هذِهِ السُّنَّةِ.

٣٠٨ - وعنه رضيَ اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَن كَانَ يُؤمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذي جَارَهُ، وَمَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيفَهُ،

بعد روايته الحديث (**ما لي أراكم عنها**) أي عن السنة، أو الخصلة أو المقالة (**معرضين والله لأرمين بها**) أي بهذه السنة (**بين أكتافكم**) بالفوقية جمع كتف: أي بينكم (**متفق عليه. وروي خشبهُ بالإضافة**) إلى هاء الضمير (**والجمع**) لخشبه بحذف هاء الوحدة (**وخشبة بالتنوين**) مع هاء الواحدة (**على الإفراد**) روي اللفظان في الموطأ والمعنى واحد لأن المراد الجنس وهذا متعين للجمع وإلا فالمعنى قد يختلف باعتبار أن أمر الخشبة الواحدة أخفّ في مسامحة الجار بخلاف الخشب الكثير (**وقوله ما لي أراكم عنها معرضين: يعني عن هذه السنة**) قال النووي: «جاء في رواية أبي داود: «فنكسوا رؤوسهم، فقال ما لي أراكم أعرضتم» ظاهر الحديث أنهم توقفوا عن العمل فلهذا: ما لي أراكم عنها معرضين، وهذا يدل على أنهم فهموا منه الندب لا الإيجاب، وإلا لما أطبقوا على الإعراض عنه» اهـ.

٣٠٨ - (**وعنه رضي اللَّهُ عنه أن رسول الله ﷺ قال: من كان يؤمن**) إيمانًا كاملًا (**بالله واليوم الآخر**) هو يوم القيامة الذي هو محل الجزاء على الأعمال حسنها وقبيحها، وسمي باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده (**فلا يؤذي جاره**) والأصل فهو لا يؤذي جاره: أي هذا شأنه، وإيذاء الجار حرام (**ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر**) إيمانًا كاملًا (**فليكرم ضيفه**) الغني والفقير بحسن البشر والمبادرة بما تيسر عنده من الطعام من

وَمَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ». متفقٌ عليه.

٣٠٩ - وعن أَبي شُرَيْحٍ الخُزاعِيّ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «من كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحسِنْ إِلى جارِهِ، ومن كَانَ يُؤمِنُ بِاللّهِ

غير كلفة ولا إضرار بأهله إلا أن يرضوا وهم بالغون عاقلون، والضيف لغة يشمل الواحد والجمع **(ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل)** اللام فيه وفي فليكرم للأمر ويجوز سكونها وكسرها حيث دخلت عليها الفاء والواو وثم بخلافها في ليسكت فإنها مكسورة لا غير **(خيرًا)** قال الشافعي: لكن بعد أن يتفكر فيما يريد أن يتكلم به، فإذا ظهر له أنه خير محقق لا يترتب عليه مفسدة ولا يجرّ إلى كلام محرم أو مكروه أتى به **(أو ليسكت)** قال النووي: «في الحديث أنه ينبغي للإنسان أن لا يتكلم إلا بخير فأما الكلام المباح الذي لا فائدة فيه فيمسك عنه مخافة من انجراره إلى حرام أو مكروه» وبفرض أنه لا يؤدي إليهما ففيه ضياع الوقت فيما لا يعني، وقد ورد «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، وهو من القواعد العظيمة لأنه بين فيه جميع أحكام اللسان الذي هو أكثر الجوارح فعلًا، وبهذا الاعتبار يصح أن يقال فيه إنه ثلث الإسلام.

٣٠٩ - (وعن أبي شريح) بضم الشين **(الخزاعي)** تقدمت ترجمته **(رضي الله عنه)** في باب ملاطفة اليتيم **(أن النبي ﷺ قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره)** ذكر حديث أبي هريرة قبل هذا لأن ما في ذلك من باب الدرء والتخلية، وما في هذا من باب جلب النفع والتحلية ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وأشار المصنف بالجمع بينهما إلى أن كمال الإيمان لا يحصل إلا بالجمع بين الأمرين فيكفّ عنه أذاه ويحسن إليه بما تصل إليه قدرته **(ومن كان يؤمن بالله**

واليوم الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيفَهُ، وَمن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ والْيوم الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيسْكُتْ». رواه مسلم بهذا اللفظ، وروى البخاري بعضه.

٣١٠ - وعن عائشةَ رضي اللَّهُ عنها قالت: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ إِنَّ لي جَارَيْنِ فَإِلى أَيّهما أُهْدِي؟ قال: «إِلى أَقْربِهما مِنْكِ بابًا». رواه البخاري.

٣١١ - وعن عبدِ اللّهِ بنِ عمرٍو رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ الأَصْحابِ عِندَ اللَّهِ تعالى خَيْرُهُمْ لِصاحِبِهِ، وخَيْرُ الجِيرانِ عِنْدَ اللَّهِ تعالى خيْرُهُمْ لجارِهِ». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت) ولعل حكمة الفصل بين الجمل في هذه الرواية الإيماء إلى أن مضمون كل منها مطلوب لذاته من غير اعتبار انضمام غيره إليه وإن كان أفضل ولذلك وصل بينهما في الروايات الأخر **(رواه مسلم)** في كتاب الإيمان من «صحيحه» **(بهذا اللفظ)** ورواه أحمد والترمذي. **(وروى البخاري بعضه)**.

٣١٠ - (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله إن لي جارين) أي وقد أمرت بإكرام الجار مطلقًا ولا أقدر على الإهداء إليهما معًا **(فإلى أيهما أهدي)** ليحصل لي بالدخول في جملة القائمين بإكرام الجار **(قال: إلى أقربهما منك بابًا)** لأنه المراد بالجار ذي القربى على أحد الأقوال، وقد قدم في الذكر على الجار الجنب اهتمامًا به واعتناء بشأنه، ففيه إيماء إلى تقديمه عند المضايقة وبابًا منصوب على التمييز **(رواه البخاري)**.

٣١١ - (وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: خير الأصحاب عند الله تعالى) أي أكثرهم عنده ثوابًا أو أكرمهم عنده منزلة قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحجرات] **(خيرهم لصاحبه)** في القيام بما ينفعه والدفع لما يؤذيه **(وخير الجيران)** ثوابًا أو منزلة **(عند الله تعالى خيرهم لجاره، رواه الترمذي وقال حديث حسن)** ورواه أحمد والحاكم.

٤٠ - باب بِر الوالِدَيْن وصلةِ الأرحام

قال الله تعالى ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة النِساء]، **وقال تعالى** ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ ﴿١﴾﴾ [سورة النِساء]، **وقال تعالى** ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴿٢١﴾﴾ **الآية** [سورة الرَّعد]،

---

٤٠ - باب بر الوالدين وصلة الأرحام

أي بيان ما ورد فيهما وما يحصل به ذلك.

(**قال الله تعالى** ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾) لا صنمًا ولا غيره (﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ ﴿٣٦﴾﴾) تقدم الكلام على الآية في الباب قبله.

(**وقال تعالى** ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾) بامتثال أوامره واجتناب منهياته أي اجعلوا ذلك وقاية لكم من عذابه (﴿ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾) بإدغام إحدى التاءين في السين وقرئ بالتخفيف على حذف إحداهما أي الذي يسأل بعضكم به بعضًا فيقول أحدكم أسألك بالله (﴿وَٱلْأَرْحَامَ ۚ ﴿١﴾﴾) أي واتقوا الأرحام، وقرأ حمزة ﴿وَٱلْأَرْحَامَ ۚ ﴿١﴾﴾ بالخفض عطفا على الضمير لقولهم أسألك بالله وبالرحم، قاله مجاهد.

(**وقال تعالى** ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾) والأكثرون على أن المراد به صلة الرحم (**الآية**) بالنصب على تقدير أتم الآية، أو بالرفع على تقدير الآية معلومة، وتمامها ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [سورة الرعد] أي إنهم مع وفائهم بعهد الله وميثاقه والقيام بما أمر الله به من صلة الرحم

وقال تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴿٨﴾﴾ [سورة العنكبوت]، **وقال تعالى** ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾

يخشون ربهم، والخشية خوف يشوبه تعظيم، وإنما يكون ذلك على علم ما يخشى به منه ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الرعد] قال إبراهيم النخعي: هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه شيء.

(**وقال تعالى** ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴿٨﴾﴾) أي برًّا بهما وعطفًا، ونزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه حمنة بنت أبي سفيان لما أسلم وكان بارًّا بأمه، فقالت أمه: ما هذا الدين والله لا ءاكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت، فمكثت كذلك أيامًا فجاءها سعد فقال: يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت ديني، فكلي إن شئت أو اتركي فلما أيست منه أكلت وشربت، فأنزل الله هذه الآية، وأمر بالبرّ بوالديه والإحسان إليهما وأن لا يطيعهما في الشرك.

(**وقال تعالى** ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾) أي أمر قاله ابن عباس (﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾) فيه وجوب عبادته والمنع من عبادة غيره، إذ هي نهاية التعظيم، ولا تليق إلا بالمنعم المتفضل، وليس ذلك لسواه وأن تحسنوا أو تفعلوا (﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾) أي برّا بهما وعطفًا عليهما وإحسانًا إليهما (﴿إِمَّا﴾) هما (﴿يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾) مفعول مقدم (﴿أَحَدُهُمَآ﴾) فاعل (﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾) معناه أن يبلغ الكبر أحدهما أو كلاهما عندك فيصير في الضعف والعجز كما كنت أنت عندهما كذلك أولًا (﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾) وهي كلمة تضجر وكراهة، وفي الآية تحريم إيذائهما بالقياس الأولوي (﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾) أي تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك، يقال: نهره وانتهره بمعنى، ووجه الجمع بينه وبين ما قبله مع أنه يدل على هذا أن ذاك للمنع من إظهار الضجر القليل والكثير، وهذا للمنع من إظهار المخالفة في القول على سبيل الرد (﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾) أي

وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الإسراء]، **وقال تعالى** ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة لقمان].

٣١٢ - وعن أَبي عبدِ الرحمٰنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّهُ عنه قال: سأَلتُ النَّبيَّ ﷺ: أَيُّ الْعمَلِ أَحبُّ إِلى اللّهِ تَعالى؟ قال: «الصّلاةُ على وقْتِهَا» قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟

حسنًا جميلًا لينًا كما يقتضيه حسن الأدب معهما (﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾) أي ألن لهما جناحك واخفضه لهما حتى لا تمتنع من شيء أحباه (﴿مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾) أي الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما إليك الآن كما كنت مفتقرًا إليهما قبل (﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾﴾) أي وادع الله أن يرحمهما رحمته الباقية، وأراد إذا كانا مسلمين أما الكافران فيدعو لهما بالهداية للإسلام فإذا هديا إليه رحما.

(**وقال تعالى** ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ ﴿١٤﴾﴾) أي شدة على شدة، وقيل إن المرأة إذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة، وذلك أن الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف (﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾) أي فطامه (﴿فِي عَامَيۡنِ﴾) أي سنتين (﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ ﴿١٤﴾﴾) قال ابن عيينة في هذه الآية: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات فقد شكر لهما.

٣١٢ - (وعن أبي عبد الرحمٰن عبد الله بن مسعود) بن غافل الهذلي **(رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله تعالى)** أي أكثر تقرّبًا إليه لكونه أفضل، وفي رواية مالك بن مغول «أيّ العمل أفضل» **(قال: الصلاة على وقتها)** وفي رواية لهما «لوقتها» وفي الحديث دليل على أن الصلاة أفضل عبادات البدن بعد الشهادتين، ويشهد له الخبر الصحيح «الصلاة خيرٌ موضوعٌ» أي خير عمل وضعه الله لعباده ليتقرّبوا به إليه **(قلت: ثم)** هي لتراخي الرتبة أي ثم بعد الصلاة **(أي)** قال الحافظ: قيل الصواب أنه غير منون لأنه موقوف عليه في الكلام،

قال: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قلتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قال «الجِهَادُ في سبِيلِ اللّهِ». متفقٌ عليه.

٣١٣ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَجْزِي ولَدٌ والِدًا إلا أَن يَجِدَهُ مملُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيَعْتِقَهُ». رواه مسلم.

٣١٤ - وعنه أَيضًا رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَن كانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ

والسائل منتظر الجواب، والتنوين لا يوقف عليه فتنوينه ووصله بما بعده خطأ فيوقف عليه وقفة لطيفة ثم يؤتى بما بعده (**قال برّ الوالدين**) قال ابن حجر : والظاهر أن المراد به إسداء الخير إليهما مما يلزمه، ويندب له مع إرضائهما بفعل ما يريدانه ما لم يكن إثمًا، وليس ضده العقوق بل قد يكون بينهما واسطة كما يفيده حدّ العقوق بأن يفعل بهما ما يؤذيهما به إيذاء ليس بالهين (**قلت: ثم أيّ؟ قال الجهاد في سبيل الله**) لإعلاء كلمة الله (**متفق عليه**).

٣١٣ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يجزي**) قال النووي: «بفتح أوله أي لا يكافئه بإحسانه وقضاء حقه إلا أن يعتقه» (**ولد والدًا**) وإن علا ذكرًا كان أو أنثى أي لا يقوم بمكافأته فيما له عليه بالإحسان وقضاء الحاجات (**إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه**) يحصل العتق في الأصل والفرع مطلقًا بمجرد الملك سواء المسلم والكافر والقريب والبعيد والوارث وغيره. واختلف فيما وراء عمود النسب. فقال الشافعي وأصحابه: لا يعتق غيرهما بالملك. وقال مالك: تعتق الإخوة. وقال أبو حنيفة: يعتق ذوو الأرحام المحرّمة، وتأول الجمهور الحديث المذكور على أنه لما تسبب في شرائه المتسبب عليه بالعتق أسند إليه (**رواه مسلم**) والبخاري في الأدب المفرد.

٣١٤ - (**وعنه أيضًا رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر**) أي إيمانًا كاملًا (**فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله**

والْيوْمِ الآخِرِ فَلْيصِل رَحِمَهُ، وَمَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيوْمِ الآخِرِ، فلْيقُلْ خيرًا أَوْ لِيَصمُتْ». متفقٌ عليه.

٣١٥ - وعنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللّهَ تَعَالى خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هذا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعةِ،

واليوم الآخر فليصل رحمه) قال القاضي عياض: لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة. ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام وبالسلام. ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة: فمنها واجب ومنها مستحب، ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعًا، ولو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لم يسم واصلًا **(ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت)** بضم الميم، أي ليسكت عما لم يظهر له فيه الخير **(متفق عليه)**.

٣١٥ - (وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى خلق الخلق) أي أوجدهم واخترعهم من كتم العدم بباهر قدرته **(حتى إذا فرغ منهم)** أي كمل خلقهم لا أنه تعالى كان مشتغلًا بهم[1] ثم فرغ من شغلهم تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، فليست أفعاله تعالى بمباشرة ولا مناولة ولا بآلة ولا محاولة، تعالى عما يتوهمه المتوهمون **(قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة)** قال النووي: قال القاضي عياض: الرحم التي توصل وتقطع وتبرّ إنما هي معنى من المعاني ليست بجسم وإنما هي قرابة ونسب تجمعه رحم والدة ويتصل بعضه ببعض وسمي ذلك الاتصال رحمًا، والمعنى لا يتأتى منه القيام ولا الكلام، فيكون ذكر

---

(١) قال تعالى (لا يشغله شأن عن شأن) فلا يقال هذا شغل الله بل يقال: فعل الله. وأما قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الرحمٰن] فمعناه أن الله يغير في خلقه كل يوم يرفع أناسًا ويضع ءاخرين ويشفي أناسًا ويسقم ءاخرين.

قال: نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَن وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَن قَطَعَكِ؟ قالت: بَلَى، قال فَذلِكَ لَكِ»، ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَءُوا إِن شِئتُمْ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة محمد]. **متفقٌ عليه.**

قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك، والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصلها وعظيم إثم قاطعها بعقوقهم، ولذا سمي العقوق قطعًا، والعق الشق كأنه قطع ذلك السبب المتصل» اهـ. قال النووي: «والعائذ المستعيذ، وهو المعتصم بالشيء الملتجئ إليه المستجير به» **(قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت)** أي الرحم لو كانت متكلمة أو الملائكة المتكلمة بذلك **(بلى)** أي رضيت به **(قال فذلك)** بكسر الكاف فيه وفي **(لك)** لأن المخاطب مؤنث **(ثم قال رسول الله ﷺ: اقرءوا إن شئتم)** أي ما يدل لذلك (﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾) أي فهل يتوقع منكم، ويجوز فتح السين وكسرها وبهما قرئ: (﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾) أمور الناس وتأمرتم عليهم (﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾) بأنواع العتو (﴿وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾) تشاجرًا على الولاية وتجاذبًا لها، أو رجوعًا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغادر والمقاتلة مع الأقارب. (﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾) إشارة إلى المذكورين (﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾) لإفسادهم وقطعهم أرحامهم (﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾) عن سماع الحق (﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾) فلا يهتدون إلى سبيله. قال القرطبي: وعليه فالرحم بمعنى القرابة أي قرابات الرجل من جهة طرفي ءابائه وإن علوا وأبنائه وإن نزلوا، وما يتصل بالطرفين من الإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات وما يتصل بهم من أولادهم برحم جامعة اهـ **(متفق عليه)** رواه البخاري في كتاب الأدب ومسلم في كتاب البرّ والصلة.

وفي روايةٍ للبخاري: فقال اللَّهُ تعالى «من وَصلَكِ وَصلْتُهُ ومن قَطَعكِ قطعتُهُ».

٣١٦ - وعنه قال: جَاءَ رجُلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قال: «أُمُّك» قال: ثُمَّ مَن؟ قال: «أُمُّكَ» قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أُمُّكَ» قال: ثُمَّ مَن؟ قال: «أَبُوكَ». متفقٌ عليه.

وفي روايةٍ: يا رسولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ الصُّحْبةِ؟ قال: «أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أَباكَ ثُمَّ أَدنَاكَ أَدنَاكَ».

«والصَّحابةُ» بمعنى: الصُّحبةِ. وقوله: «ثُمَّ أَباك» هكذا هو منصوب

(وفي رواية للبخاري) هي في كتاب الأدب أيضًا عن أبي هريرة (فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته) فالفرق بين اللفظين أن الأوّل إخبار عما يبدو في عالم الشهادة للواصل والقاطع، والثاني إخبار عما في الأزل أي قضيت أزلًا بوصل الواصل وقطع القاطع.

٣١٦ - (وعنه: جاء رجل) قيل: هو معاوية بن حيدة، وقد جاء في «سنن أبي داود» والترمذي عنه أنه قال: «يا رسول الله من أبرّ؟ قال: أمك» الحديث وفي ءاخره «ثم الأقرب فالأقرب» (إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحقّ الناس بحسن صحابتي) بفتح الصاد المهملة مصدر صحب (قال أمك) وذلك لضعفها وحاجتها (قال: ثم من؟) أي الأحق بعدها (قال) تأكيدًا للقيام بحق الأم (أمك، قال: ثم من؟) الأحق بعدها (قال) مبالغًا في تأكيد حق الأم (أمك، قال: ثم من؟) الأحق بعدها (قال أبوك. متفق عليه).

(وفي رواية) لمسلم (يا رسول الله: من أحقّ بحسن الصحبة؟ قال: أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم أدناك) ثم (أدناك والصحابة) المذكورة في الرواية أولًا (بمعنى الصحبة) المذكور في الرواية الثانية هي بضم الصاد (وقوله ثم أباك هكذا هو) في الرواية الثانية (منصوب

بفعلٍ محذوف أَي ثم بِرَّ أَباك، وفي رواية: «ثُمَّ أَبُوكَ» وهذا واضِح.

٣١٧ - وعنه عن النبيّ ﷺ قال: «رَغِمَ أَنْفُ ثُم رغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنفُ مَنْ أَدركَ أَبَويهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحدَهُمَا أَوْ كِليهِما فَلمْ يدخلِ الجَنَّةَ». رواه مسلم.

٣١٨ - وعنه أَنَّ رجلاً قال: يا رسولَ اللَّهِ

بفعل محذوف) جوازًا **(أي ثم برّ أباك)** وفيه عطف الجملة الطلبية على الجملة الخبرية، ويجوز تخريجه على أنه مرفوع بضمة على الألف على لغة القصر **(وفي رواية ثم أبوك وهو واضح)** أي إنه معطوف على الخبر للمبتدإ المحذوف.

٣١٧ - (وعنه: عن النبي ﷺ قال: رغم أنف) قال النووي: «معناه ذلّ وقيل كره وخزي» **(ثم)** للتراخي في الدعاء **(رغم أنف ثم رغم أنف من)** أي شخص مكلف **(أدرك أبويه)** أي حياتهما **(عند الكبر)** بكسر ففتح، قال: ومعناه على حذفها أن يدرك هو والديه عند كبرهما وإن كانا غنيين عنه بمالهما وعن خدمته لهما بمالهما من خادم اهـ. والتقييد به لأن الابتلاء بهما حينئذٍ أتمّ لمزيد حاجتهما لضعفهما، فكان القيام بحقهما حينئذٍ ءاكد كما قاما بحق الابن حين مزيد حاجته وافتقاره وإلا فوجدانهما ولو حال الشباب لهما مطلوب من الابن العناية بهما ومزيد برّهما، وقوله **(أحدهما أو كليهما)** أي أحدهما أو كليهما سواء فيما ذكر دفع لتوهم قصر المذمة على من قصّر في البر عند اجتماعهما دونه مع أحدها **(فلم يدخل الجنة)** عطف على أدرك، والعطف بالفاء فيه إشعار بحصول الجنة بالفضل الإلٰهي للبارّ بأبويه أو أحدهما عقب مفارقة الحياة، وذلك بعرض مقامه عليه وتبشيره بما يؤول إليه، قال النووي: «معناه أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة أو النفقة أو غير ذلك سبب لدخول الجنة، فمن قصّر في ذلك فاته دخول الجنة وأرغم الله أنفه» **(رواه مسلم)** في أواخر الكتاب.

٣١٨ - (وعنه أن رجلاً) لم أقف على من سماه **(قال: يا رسول الله**

إِنَّ لي قَرابَةً أَصِلُهُمْ ويَقْطَعُوني وَأُحسِنُ إِلَيْهِم وَيُسِيئُونَ إِليَّ وأَحْلُمُ عنهُمْ وَيَجْهَلُونَ علَيَّ، فقال: «لَئِن كُنْتَ كما قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ، ولا يَزَالُ معَكَ مِنَ اللّهِ ظهِيرٌ عَلَيْهِم ما دُمْتَ عَلى ذَلكَ». رواه مسلم.

و«تسفهم»: بضم التاء وكسر السين المهملة وتشديد الفاء. و«الملُّ»: بفتح الميم وتشديد اللام: وهو الرَّمادُ الحارُّ: أي كأَنَّما تُطْعِمُهُم الرَّماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم

إن لي قرابة) أي ذوي قرابة أي رحم ونسب، ويقال فيها قربى كما في «المصباح» **(أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم)** أي أسدي إليهم الإحسان **(ويسيئون إلي وأحلم)** بضم اللام **(عنهم ويجهلون عليّ)** ويجوز أن تكون الجمل المضارعية معطوفة على أقرانها وهو الأقرب **(فقال)** يعني النبي ﷺ **(لئن كنت كما قلت)** من إسداء الجميل أي وهم على ما ذكرت من مقابلته بضده **(فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك)** متعلق بظهير وكذا قوله **(من الله)** ويصح كونه في محل الحال لكونه في الأصل وصفًا لظهير قدّم عليه، وقوله **(ظهير)** أي معين اسم يزال، وقوله **(عليهم)** خبر ويجوز أن يكون صفة، وقوله: معك أو من الله الخبر، وقوله: **(ما دمت على ذلك)** أي مدة دوامك على ما ذكر، وفي الحديث أن ما ذكر من الخصال سبب لإعانة صاحبها وتأييده وتوفيقه وتسديده **(رواه مسلم. وتسفهم بضم التاء)** الفوقية **(وكسر السين المهملة وتشديد الفاء)** وفي «المصباح»: سف الدواء أكله غير ملتوت فأشار إلى أنه تناول الجامدات غير ملتوتات[1] **(والمل بفتح الميم وتشديد اللام: وهو الرماد الحار)** أي باعتبار المراد في الحديث وهذا معناه مطلقًا في أحد الأقوال؛ **(وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم)** أي الذنب نفسه أو من جزئه، والثاني: أنسب بقوله **(بما يلحق**

---

(١) لَتَّ السويق لتًّا بلَّه بشيءٍ من الماء وهو أخف من البسّ اهـ مصباح.

بما يلحق ءاكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المُحسِنِ إليهم، لكن ينالُهم إثمٌ عظيم بتقصيرهم في حقّه وإدخالهمُ الأذى عليه، واللَّهُ أعلم.

٣١٩ - وعن أَنسٍ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَنْ أَحبَّ أَن يُبْسَطَ له في رِزقِهِ ويُنْسَأَ لَهُ في أَثَرِهِ فَلْيصِل رحِمَهُ».

ءاكل الرماد الحار من الألم) بجامع التألم والتوجع، وهو على الأوّل من تشبيه معقول بمحسوس، وعلى الثاني من تشبيه محسوس بمحسوس **(ولا شيء)** بالفتح أي من التبعات **(على هذا المحسن إليهم)** في مقابلته لسيء أعمالهم بإحسانه وذكره من المصنف إطناب إذ لم يقع منه بذلك ما يقتضي اللوم بل زاد في الإحسان والاستدراك في قوله **(لكن ينالهم إثم عظيم)** دلّ على عظم تمثيله بما ذكر **(بتقصيرهم في حقه وإدخالهم الأذى)** بالقصر أي المكروه **(عليه)** لدفع ما قد يتوهم من نفي الملامة عنهم بقرينة نفيها عنه وإن كان الفرق كفلق الصبح **(والله أعلم)** وقال النووي في «شرح صحيح مسلم»: «وقيل معناه إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم، فهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسفّ المل، وقيل ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالمل يحرق أحشاءهم» اهـ.

٣١٩ - (وعن أنس) بن مالك **(رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من أحب)** وفي رواية: «من يسره» **(أن يبسط)** بالبناء للمفعول أي يوسع **(له في رزقه)** أي مرزوقه مصدر بمعنى المفعول، وهو ما به النفع للحيوان **(وينسأ)** بهمزة ءاخره أي يؤخر **(له في أثره)** بفتح الهمزة والمثلثة أي أجله، وسمي الأجل أثرًا لأنه يتبع العمر وأصله من أثر مشيه في الأرض فإن من مات لا يبقى له حركة فلا يبقى لقدمه في الأرض أثر **(فليصل رحمه)** قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الأعراف] والجمع

متفقٌ عليه.

ومعنى «يُنسَأَ له في أَثَرِهِ» أَي: يُؤَخَّرَ له في أَجَلِهِ وَعُمُرِهِ.

٣٢٠ - وعنه قال: كان أَبُو طَلْحَة أَكْثَرَ الأَنصارِ بِالمَدِينَةِ مَالا مِن نَخْلٍ وكان أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إليهِ بَيرَحَاءَ وكَانتْ مُسْتقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وكَان رسولُ اللّه ﷺ يَدْخُلُهَا ويَشْرَبُ مِن ماءٍ فيها طَيّبٍ، فلَمَّا نَزَلتْ هذِهِ الآيـةُ ﴿لَن نَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة ءال عمران] قَام أَبُو طلْحةَ إِلى

بينهما بحمل الزيادة في الحديث على حقيقتها وذلك بالنسبة للأجل المعلق المكتوب في اللوح المدفوع للملك، مثلًا كتب فيه: إن أطاع فلان فعمره كذا وإلا فعمره كذا، والله سبحانه وتعالى عالم بالواقع منهما والأجل المحتوم في الآية على ما في علم الله سبحانه الذي لا تغير فيه، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الرعد] فالحديث فيه ما أشارت إليه أول الآية من الأجل المعلق، وقوله ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ أشار به إلى العلم الإلٰهي الذي لا تغير فيه البتة ويعبر عنه بالقضاء المبرم وعن الأول بالقضاء المعلق (**متفق عليه**) ورواه أبو داود (**ومعنى ينسأ له في أثره: أي يؤخر له في أجله وعمره**) فقوله: يؤخر تفسير لقوله ينسأ، وقوله في أجله وعمره تفسير لقوله أثره كما علم مما تقدم.

٣٢٠ - (وعنه قال: كان أبو طلحة أكثر) بالمثلثة (**الأنصار بالمدينة مالا**) تمييز عن نسبة الأكثرية إليه (**من نخل**) بيان للمال (**وكان أحب أمواله**) يجوز الرفع والنصب (**إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد**) بكسر الموحدة أي مقابلته وراءه (**وكان رسول الله ﷺ يدخلها**) أي الحديقة المذكورة (**ويشرب من ماء فيها طيب**) يجوز رفع طيب فاعل الظرف لاعتماده على الموصوف وجره صفة لماء (**فلما نزلت هذه الآية ﴿لَن نَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿٩٢﴾﴾ قام أبو طلحة**) وسار قاصدًا (**إلى**

رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّهِ إِنَّ اللّهَ تَبَارَكَ وتعالى يقول ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ ﴿٩٢﴾﴾ وَإِنَّ أَحبَّ مالي إِليَّ بَيْرَ حَاءُ وإِنَّهَا صَدقَةٌ لِلّهِ تعالى أَرجُو بِرَّهَا وذُخْرَهَا عِند اللّه تعالى، فَضَعْهَا يا رسولَ اللَّهِ حيثُ أَراكَ اللّهُ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بخٍ[1]، ذلِكَ مالٌ رابحٌ ذلِكَ مالٌ رَابحٌ وقَد سَمِعتُ ما قُلتَ، وإِنّي أَرى أَن تَجْعَلَهَا في الأَقْرِبين» فقال أَبُو طَلْحةَ: أَفعلُ يا رسولَ اللَّهِ، فَقَسَمهَا أَبُو طَلْحة في أَقارِبِهِ وبني عمّهِ. متفقٌ عليه. وسَبق بَيَانُ أَلْفَاظِهِ في: بابِ [٣٧] الإِنْفَاقِ مِمَّا يُحِب.

٣٢١ - وعن عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ العاص رضي اللَّهُ عنه قال: أَقْبلَ

رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى) عما لا يليق به، وجملة (يقول) في محل الخبر (﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ ﴿٩٢﴾﴾ وإن أحبّ مالي إليّ بير حاء) يحتمل أن يكون ذلك لعظم نماء أرضها وعظم ثمرها وكثرته وأن يكون لمعنى ءاخر (وإنها) لكونها أحبّ إليّ (صدقة لله تعالى أرجو برّها وذخرها عند الله تعالى) أي أتصدق بها حال كوني أرجو برّها (فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ: بخ) لتفخيم فعله والثناء عليه (ذلك مال رابح ذلك مال رابح) بالموحدة وبالهمزة والتكرير للتأكيد لأن المقام يقتضي الإطناب (وقد سمعت ما قلت، وإني أرى) من الرأي والاجتهاد، ففيه دليل لجواز الاجتهاد منه ﷺ ووقوعه: (أن تجعلها في الأقربين، فقال أبو طلحة: أفعل) أي أصرفه لهم متبعًا لرأيك (يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. متفق عليه، وسبق بيان ألفاظه) وبيان من خرج الحديث زيادة على من ذكره المصنف (في باب الإنفاق مما يحب) بالمهملة والموحدة.

٣٢١ - (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: أقبل

---

(١) بخٍ بوزن بَلْ كلمةٌ تقال عند المدح والرضا بالشيء وتكرر للمبالغة فيقال بخْ بخْ فإن وَصَلْتَ خفضتَ ونونْتَ فقلتَ بخٍ بخٍ وربما شددت كالاسم فقيل بخٍّ.

رجُلٌ إِلى نَبيّ اللّه ﷺ فقال: أُبايِعُكَ على الهِجرةِ وَالجِهَادِ أَبتَغِي الأَجرَ مِنَ الله تعالى. قال: «فهَل مِن والِدَيْكَ أَحدٌ حَيٌّ؟» قال: نعمْ بل كِلاهُما، قال: «فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللّهِ تعالى؟» قال: نعمْ. قال «فَارجِعْ إِلى والِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبتهُما». متفقٌ عليه. وهذا لَفْظُ مسلِم.

وفي روايةٍ لهُما: جاءَ رجلٌ فاسْتأْذَنهُ في الجهَادِ فقال: «أَحيٌّ والِداكَ؟» قال: نَعَمْ، قال: «ففِيهما فَجاهِد».

رجل) قال الشيخ زكريا: هو جاهمة بن العباس بن مرداس أو معاوية ابن جاهمة. وقوله (**إلى نبي الله ﷺ**) متعلق بأقبل (**فقال: أبايعك على الهجرة**) أي مفارقة وطني وسكني المدينة. قال القرطبي: وهذا كان في زمن وجوب الهجرة (**والجهاد**) في سبيل الله (**أبتغي الأجر من الله تعالى**) مستأنفة استئنافًا بيانيًا لبيان سبب المبايعة الحامل عليها (**قال: فهل من والديك**) خبر مقدم (**أحد حيّ**) مبتدأ وجيء بأحد توطئة ليقوم به حي (**قال: نعم، بل**) انتقال دلّ عليه جوابه بنعم من حياة أحدهما إلى الإخبار بحياتهما معًا (**كلاهما**) كذا هو مرفوع مبتدأ محذوف الخبر أي حيان ويجوز كونه منصوبًا بتقدير وجدت كليهما (**قال: فتبتغي الأجر من الله تعالى؟**): أي أتفعل ذلك فتبتغي الأجر من الله تعالى (**قال: نعم، قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما**) أسقط الشارع عنه وجوب الهجرة تقديمًا لحق أبويه، لكن هذا إنما يصح ممن يسلم له دينه في موضعهما، أما لو خاف على دينه وجب عليه الفرار به وترك ءابائه وأبنائه كما فعل المهاجرون الذين هم من صفوة الله من العباد. (**متفق عليه، وهذا لفظ مسلم**).

(**وفي رواية لهما**) ورواها أبو داود (**جاء رجل**) أي إلى النبي ﷺ وهو ثابت في الصحيحين، والظاهر أنه اختصار من المصنف لدلالة ما قبله عليه أو في الكتاب (**فاستأذنه في الجهاد فقال: أحيّ والداك**) الوصف فيه مبتدأ لاعتماده على الاستفهام ووالداك فاعله سد مسد خبره (**قال: نعم**) أي هما حيان (**قال: ففيهما فجاهد**) وقوله: ففيهما متعلق بالأمر قدم

٣٢٢ - وعنه عن النَّبيّ ﷺ قال: لَيْسَ الْواصِلُ بِالمُكافِئِ وَلِكنَّ الواصِلَ الَّذِي إِذا قَطَعتْ رَحِمُهُ وصلَهَا». رواه البخاري.

وَ«قَطعتْ» بِفَتْح القافِ وَالطَّاءِ. وَ«رَحِمُهُ» مَرْفُوعٌ.

٣٢٣ - وعن عائشةَ رضي اللَّهُ عنها قالت: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّحِمُ

للاختصاص، والفاء الأولى جزاء لشرط محذوف والثانية جزائية لتضمن الكلام معنى الشرط أي إذا كان الأمر كما قلت فاخصص المجاهدة بخدمة الوالدين وقال ابن رسلان: المراد بالجهاد فيهما جهاد النفس في وصول البرّ إليهما بالتلطف بهما وحسن الصحبة والطاعة وغير ذلك، وتقدم أن الجهاد الأكبر جهاد النفس الأمارة بالسوء اهـ. قال النووي: «هذا كله دليل لعظم فضيلة برّهما، وأنه ءاكد من الجهاد، وفيه حجة لما قاله العلماء من أنه لا يجوز الجهاد إلا بإذنهما إذا كانا مسلمين أو بإذن المسلم منهما، فلو كانا مشركين لم يشترط إذنهما عند الشافعي ومن وافقه، هذا كله إذا لم يحضر الصفّ ويتعين للقتال وإلا فحينئذٍ يجوز بغير إذن» اهـ.

٣٢٢ - (وعنه عن النبيّ ﷺ قال: ليس الواصل) أي الكامل الوصل **(بالمكافئ)** وقال الطيبي: أي ليست حقيقة الواصل ومن يعتد بصلته الذي يكافئ صاحبه بمثل فعله ويعطيه نظير ما أعطاه. **(ولكن)** قال الطيبي: الرواية فيه بالتشديد ويجوز التخفيف **(الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها)** أي الذي إذا منع أعطى **(رواه البخاري)** وأحمد وأبو داود والنسائي **(وقطعت بفتح القاف والطاء)** والعين المهملتين **(ورحمه مرفوع)** على الفاعلية. فهم ثلاث درجات: مواصل ومكافئ وقاطع: فالواصل من يبدأ بالفضل، والمكافئ من لا يزيد في الإعطاء على ما يأخذ، والقاطع الذي يتفضل عليه ولا يتفضل. وكما تقع المكافأة بالصلة من الجانبين كذلك تقع بالمقاطعة من الجانبين فمن بدأ فواصل فإن جازى فمكافئ وإلا فقاطع اهـ.

٣٢٣ - (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: الرحم)

مُعَلَّقَةٌ بِالعَرشِ تَقُولُ: مَن وَصَلَني وَصَلَهُ اللّهُ وَمَن قَطَعَني قَطَعَهُ اللَّهُ». متفقٌ عليه.

٣٢٤ - وعن أُمّ المُؤْمِنِينَ مَيمُونَةَ بنْتِ الحارِثِ رضي اللَّهُ عنها أَنَّهَا أَعتَقَتْ وَلِيدةً وَلَم تَستَأْذِنِ النَّبيَّ ﷺ، فلَمَّا كانَ يومُهَا الَّذي يدور عَلَيْهَا فِيه قالت: أَشَعَرْتَ يا رسولَ اللَّهِ أَنّي أَعْتَقْتُ وَلِيدتي؟ قال: «أَوَ فَعلْتِ؟» قالت: نَعمْ. قال: «أَما إِنَّكِ لو أَعْطَيتِهَا أَخْوالَكِ كان أَعظَمَ لأَجرِكِ». متفقٌ عليه.

٣٢٥ - وعن أَسْماءَ بنْتِ أَبي بكْرٍ

بفتح الراء وكسر الحاء المهملة (**معلقة بالعرش**) الظاهر الحقيقة (**تقول**) استئناف بياني (**من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله متفق عليه**).

٣٢٤ - (**وعن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث**) الهلالية (**رضي الله عنها أنها أعتقت وليدة**) أي أمة (**ولم تستأذن النبيّ ﷺ**) فيؤخذ منه صحة تصرف الزوجة مطلقًا بغير إذن زوجها (**فلما كان يومها**) بالرفع وكان تامة (**الذي يدور عليها فيه قالت أشعرت**) بفتح العين أي أعلمت (**يا رسول الله أني أعتقت وليدتي**) بالإضافة للياء وفي نسخة «وليدة» (**قال: أو فعلت**) أي أعتقتها وفعلت فالواو عاطفة على مقدر بعد الهمزة (**قالت نعم، قال أما**) بتخفيف الميم أداة استفتاح (**إنك لو أعطيتها**) بكسر التاء (**أخوالك**) أي قرابتك من جهة الأم (**كان أعظم لأجرك**) لما فيه من الصدقة مع صلة الرحم، ويؤيده ما رواه الترمذي والنسائي وأحمد وصححه وابن حبان من حديث سلمان بن عامر الضبي مرفوعًا «الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذي الرحم صدقة وصلة» وقد وقع في رواية النسائي المذكورة «فقال: أفلا فديت بها بنت أخيك من رعاية الغنم» فتبين وجه الأولوية المذكورة وهو احتياج القريب إلى الخدمة، وليس في الحديث حجة على أن الصلة أفضل من العتق (**متفق عليه**).

٣٢٥ - (**وعن أسماء**) بالمهملة والألف الممدودة (**بنت أبي بكر**

الصّدّيقِ رضي اللَّهُ عنهما قالت: قَدِمتْ عليَّ أُمّي وهِي مُشرِكةٌ في عهْدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَفتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ قلتُ: قَدِمتْ علَيَّ أُمّي وَهِي رَاغبةٌ أَفأَصِلُ أُمّي؟ قال: «نَعم صِلي أُمَّكِ». متفق عليه.

وقولها: «راغبة» أي: طامعة عندي تسألني شيئًا، قيل: كانت أمها

الصديق رضي الله عنهما) اسم أمها قيلة بفتح القاف وسكون التحتية وكانت أسماء أسن من عائشة وهي أختها لأبيها، وكان عبد الله بن أبي بكر شقيقها، سماها رسول الله ﷺ ذات النطاقين لأنها صنعت للنبيّ ﷺ ولأبيها سفرة لما هاجرا، فلم تجد ما تشدها به فشقت نطاقها وشدت به السفرة فسماها النبيّ ﷺ ذات النطاقين. هاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير فولدته بعد الهجرة فكان أوّل مولود من المهاجرين ولد في الإسلام بعد الهجرة. توفيت بمكة في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابنها عبد الله بيسير ولم تبق بعد إنزاله من الخشبة إلا ليالي يسيرة **(قالت: قدمت)** بكسر الدال المهملة **(عليّ)** أي من مكة إلى المدينة **(أمي)** وتقدم ذكر اسمها **(وهي مشركة)** وأكثر الروايات أنها لم تسلم **(في عهد رسول الله ﷺ)** أي معاهدته مع المشركين وتأمينه لهم في الحديبية **(فاستفتيت رسول الله ﷺ)** هذا مجمل بينته بقولها **(قلت: قدمت عليّ أمي)** زاد بعض رواة الحديث «مع أبيها» **(وهي راغبة)** جملة حالية أي راغبة عن الإسلام وكارهة له، وقيل معناه طامعة فيما أعطيها حريصة عليه، **(أفأصل أمي)** أي أتصدق عليها فأصلها مع كفرها ولا يكون ذلك من موادة الكفار وموالاتهم **(قال: نعم)** وهو كاف عن قوله **(صلي أمك)** وأتى به تأكيدًا واهتمامًا، زاد البخاري في «الأدب»: «فأنزل الله عزّ وجل فيها ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴿٨﴾﴾ [سورة الممتحنة]» اهـ. وفي الحديث جواز صلة القريب المشرك **(متفق عليه)** ورواه البخاري في الهبة والجزية والأدب، ومسلم في الزكاة وأبو داود **(وقولها)** أي أسماء واصفة لأمها **(راغبة)** بالغين المعجمة والموحدة **(أي طامعة عندي تسألني شيئًا)** من الإحسان **(قيل كانت أمها**

من النسب وقيل من الرضاعة، والصحيح الأول.

٣٢٦ - وعن زينبَ الثقَفِيَّةِ امْرأَةِ عبدِ اللّهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّهُ عنه وعنها قالت: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ «تَصدَّقنَ يا مَعْشَرَ النّساءِ ولَو مِن حُلِيّكُنَّ» قالت: فَرجعتُ إلى عبدِ اللّهِ بنِ مسعودٍ فقلتُ: إِنَّك رجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ اليَدِ وَإِنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قد أَمرنَا بِالصدَقَةِ فأتِهِ فاسأَلْهُ

من النسب، وقيل من الرضاعة، والصحيح الأوّل) حكاية هذا الخلاف هنا مما فات شراح مسلم التنبيه عليه. قال الحافظ في «الفتح»: «أخرج ابن سعد وأبو داود الطيالسي والحاكم من حديث عبد الله بن الزبير قال: «قدمت قُتَيْلَة، بالقاف والمثناة مصغرة، على ابنتها أسماء بنت أبي بكر في الهدنة، وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية بهدايا زبيب وسمن وقَرَظ[1] فأبت أسماء أن تقبل هديتها أو تدخلها بيتها وأرسلت إلى عائشة سلي لي رسول الله ﷺ فقال لتدخلها» الحديث».

٣٢٦ - (وعن زينب الثقفية) منسوبة إلى ثقيف بوزن رغيف **(امرأة)** بهمزة وصل زوجة **(عبد الله بن مسعود)** الهذلي **(رضي الله عنه وعنها قالت: قال رسول الله ﷺ: تصدقن)** أمر لجماعة النسوة كما قال **(يا معشر النساء)** أي جماعة النساء **(ولو من حليكن)** قلت: يحتمل أن يكون مفردًا فيكون بفتح المهملة وسكون اللام، وأن يكون جمعًا فيكون بضم المهملة وكسر اللام وتشديد الياء وهو ما تتحلى به المرأة وتتزين به **(قالت: فرجعت)** بتاء المتكلم، ويحتمل أن يكون بتاء التأنيث فيكون فيه التفات على طريق السكاكي **(إلى عبد الله بن مسعود، فقلت: إنك رجل خفيف ذات)** زائدة للتأكيد **(اليد)** أي قليل المال، ولم تقله تعييرًا له ولا استخفافًا بحقه بل توطئة لقولها **(وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة)** أي أمر ندب **(فأته فاسأله)** هل يجزئ عني التصدق عليك وعلى أولادي فأصرفها عليكم أولا، وأفاد هذا قولها عاطفة بالفاء المفيدة لتفصيل

---

(١) القَرَظ: وهو حَب معروف يخرج في غُلُف كالعدس من شجر العضاه. المصباح المنير (ص/ ١٩٠).

فَإن كانَ ذلِك يُجْزِئ عنّي وَإلا صَرَفتُهَا إلى غَيرِكُمْ. فقال عبدُ اللّهِ: بَلِ ائتِيهِ أَنتِ، فانطَلَقْتُ فَإذا امْرأَةٌ مِن الأَنْصارِ بِبابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ حاجَتي حاجتُهَا، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد أُلقِيتْ علَيهِ المَهابةُ، فَخَرج علينا بِلالٌ فقُلنَا له: ائْتِ رسولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبِرهُ أَنَّ امْرأَتَيْنِ بِالبَابِ تَسأَلانِكَ: أَتُجزِئ الصَّدَقَةُ عنْهُمَا على أَزواجِهِما وَعلى أَيتَامٍ في حُجُورِهما؟ وَلا تُخْبِرهُ من نَحنُ، فَدَخل بِلالٌ على رسول اللهِ ﷺ فَسأَلَهُ

المسؤول (**فإن كان ذلك يجزئ**) أي يسقط الفرض (**عني**) إن قلنا إنها زكاة، أو يجزئ في الوقاية من النار لحصول الصدقة المأمور بها إن قلنا إنها تطوع، وجواب الشرط محذوف لدلالة المقام عليه أي دفعتها لكم (**وإلا صرفتها إلى غيركم**) قالت (**فقال عبد الله: بل ائتيه أنت**) لعل ذلك منه استحياء أو بيان أنها الأولى بالسؤال لأنه أمر يتعلق بها (**فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ**) أي واقفة به (**حاجتي حاجتها**) من التعبير البليغ (**وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة**) بفتح الميم مصدر ميمي أي الهيبة وهي الإجلال وكان فيه للاستمرار أي إنه مهاب موقر مع ما كان عليه من عظيم حسن الخلق وبديع التواضع حتى كان أصحابه في مجلسه يعتريهم من ذلك ما يصيرون به خاضعين خافضين رؤوسهم كأن على رؤوسهم الطير (**فخرج علينا بلال فقلنا له: ائت رسول الله ﷺ**) لا ينافي ذلك أنه ﷺ لم يكن له حاجب ولا بواب، لأن بلالًا لم يكن موقفًا لذلك وإنما صادف وقوفهما وجوده عند النبيّ ﷺ، فأخرجه إليهما ليسألهما عن حاجتهما (**فأخبره أن**) وفي نسخة «بأن» والباء زائدة في المفعول الثاني للتأكيد (**امرأتين**) واقفتان (**بالباب تسألانك أتجزئ**) وفي رواية بضم الياء والهمزة من الإجزاء بمعنى الإسقاط، وبفتح الياء وترك الهمزة ءاخره بمعنى يكفي (**الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما**) أي ولايتهما وتربيتهما (**ولا تخبره**) أي إذا لم يسألك عنا (**من نحن**) أي فإننا نستحيي من ذلك (**فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله،**

فقال لهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ الزَّيانِبِ؟» قال: امرأَةُ عبدِ اللّهِ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَهُمَا أَجْرانِ: أَجْرُ القَرابةِ وَأَجْرُ الصَّدقَةِ». متفقٌ عليه.

٣٢٧ - وعن أَبي سُفْيانَ صَخْرِ بنِ حَرْبٍ رضي اللَّهُ عنه في حدِيثِهِ الطَّويل في قِصَّةِ هِرَقْلَ أَنَّ هِرَقْلَ قالَ لأَبي سُفْيان: فَماذَا يأْمُرُكُم بِهِ؟ يَعْني النَّبِيَّ ﷺ قال: قلتُ: يقولُ: «اعْبُدُوا اللّه وَحدَهُ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا،

فقال له رسول الله ﷺ: أي الزيانب؟ قال: امرأة عبد الله فقال رسول الله ﷺ لهما) الذي في مسلم «لهما» بضمير التثنية وكذا فيما رأيت بإفراد الضمير وكأنه لتعيينها وحكم صاحبتها معلوم من ذكر حكمها لأن المادة واحدة، وحاصل الجواب أن ذلك يجزىء عنهما، ولهما عليه **(أجران: أجر القرابة)** في الأولاد أي أجر صلة الرحم التي تكفل الله لمن وصلها بأن يصله بما لا يقدر غيره سبحانه قدره **(وأجر الصدقة)** فيهم وفي الزوج. وفي الحديث «إن أحق الناس بصرف صدقة التطوّع والزكاة والنذر والكفارة والوقف والوصية وسائر وجوه البرّ الأقارب» وبه أخذ أئمتنا **(متفق عليه)** واللفظ لمسلم أخرجاه في الزكاة وأخرجه النسائي في عشرة النساء وابن ماجه في الزكاة.

٣٢٧ - (وعن أبي سفيان) بتثليث سينه المهملة والضم أشهر **(صخر ابن حرب)** بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي **(رضي الله عنه في حديثه الطويل)** المذكور في «صحيح البخاري» في كتاب بدء الوحي، وفي «صحيح مسلم» في أثناء كتاب الجهاد **(في قصة هرقل)** بمنع الصرف للعلمية والعجمة **(أن هرقل قال لأبي سفيان: فماذا)** أي فما الذي **(يأمركم به، يعني)** أي هرقل بمرجع الضمير المستتر في أمركم **(النبيّ ﷺ)** وهذه الجملة من كلام المصنف احتاج إليها، لأنه ذكر هذه القطعة المشتملة على ضمير لم يصرح بذكر مرجعه في باقي الخبر **(قال: قلت يقول اعبدوا الله وحده)** أي وحدوه **(ولا تشركوا به شيئًا)** بيان للتوحيد المأمور به وتنكير شيء للعموم، فيشمل الشرك الأكبر وهو

واتْرُكُوا ما يقُولُ ءاباؤُكُمْ»، ويأْمُرُنا بالصَّلاةِ والصّدْقِ والعَفَافِ والصّلَةِ. متفقٌ عليه.

٣٢٨ - وعن أَبي ذَرّ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُم ستَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيها القِيرَاطُ».

وفي روايةٍ: «ستفْتَحُونَ مِصرَ وهِي أَرْضٌ يُسَمَّى فِيها القِيراطُ، فاستَوْصُوا بِأَهْلِها خيْرًا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمةً ورحِمًا».

الكفر، والأصغر وهو الرياء، فالعبادة الكاملة ما قصد بها التقرّب لوجه الله سبحانه وتعالى دون ما سواه مطلقًا (**واتركوا ما يقول ءاباؤكم**) من الكفر (**ويأمرنا بالصلاة والصدق**) في الأقوال والأفعال (**والعفاف**) عن المحارم (**والصلة**) للأرحام (**متفق عليه**).

٣٢٨ - (وعن أبي ذرّ) جندب بن جنادة (**رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ**) هو من الإخبار بالمغيبات فهو من جملة الإعجاز، وقد وقع كما أخبر به النبيّ ﷺ ولله الحمد (**إنكم ستفتحون**) السين لتأكيد الوعد (**أرضًا يذكر**) بالبناء للمجهول (**فيها القيراط**) قال العلماء: القيراط جزء من الدينار والدرهم وغيرهما (**وفي رواية**) هي لمسلم أيضًا (**ستفتحون مصر**) بمنع الصرف للعلمية والتأنيث باعتبار إرادة البقعة؛ سميت باسم أول من سكنها وهو مصر بن بنصر بن سام بن نوح. وحدّها طولًا من برقة التي في جنوب البحر الرومي إلى أيلة، وعرضًا من مدينة أسوان وما سامتها من الصعيد الأعلى إلى رشيد وما حاذاها من مساقط النيل في البحر الرومي (**وهي أرض يسمى**) أي يذكر كثيرًا (**فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرًا**) يحتمل أن تكون معطوفة على جملة ستفتحون بناء على جواز عطف الإنشاء على الخبر، ويحتمل الاستئناف وتنكير خيرًا للتعميم والتكثير (**فإن**) الفاء فيه للسببية أي بسبب أن (**لهم ذمة**) أي ذمامًا أي حقًا وحرمة (**ورحمًا**).

وفي روايةٍ: «فإذا فَتَحتمُوها فَأَحسِنُوا إِلى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لهُم ذِمَّةً ورحِمًا» أَو قال «ذِمَّةً وصِهرًا». رواه مسلم.

قال العُلَماءُ: الرَّحِمُ الَّتي لهُمْ كَوْنُ هَاجَرَ أُمِّ إِسْماعِيلَ ﷺ مِنْهُم. و«الصِهْرُ»: كونُ مارِيةَ أُمِّ إِبراهِيمَ ابنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِنهم.

٣٢٩ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: لَمَّا نزلَتْ هذِهِ الآيَةُ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [سورة الشعراء] دعا رسولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا فاجْتَمعُوا فَعَمَّ وخَصَّ

(وفي رواية فإذا) أتى بها لأنها تستعمل في المحقق وقوعه بخلاف إن الشرطية (فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها) بأنواع الإحسان (فإن لهم ذمة ورحمًا، أو قال ذمة وصهرًا. رواه مسلم) في الفضائل، أو قال: يعني النبيّ ﷺ، وهو شك من الراوي (ذمة وصهرًا) بدل قوله «ورحمًا» قال في «المصباح»: قال الخليل الصهر أهل بيت المرأة.

(قال العلماء: الرحم التي لهم) أي في الحديث (كون هاجر) بفتح الجيم وتبدل الهاء همزة وهو ممنوع الصرف للعلمية والعجمة، أو والتأنيث المعنوي (أم إسماعيل) بن إبراهيم (صلى الله عليه) وعليه (وسلم منهم) أي من مصر لأنها أعطاها الجبار لسارة امرأة إبراهيم عليه السلام لما منعته يد القدرة عنها فأعطتها سارة إبراهيم فحملت منه إسماعيل (والصهر كون مارية أم إبراهيم ابن) سيدنا وسيد الخلق أجمعين (رسول الله ﷺ منهم) لأن المقوقس صاحب مصر لما كاتبه النبيّ ﷺ يدعوه إلى الإسلام لم يسلم، وأرسل بهدية إلى النبيّ ﷺ منها مارية وسيرين فحملت مارية بإبراهيم، وأعطى ﷺ سيرين لحسان بن ثابت الأنصاري.

٣٢٩ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية) المبينة بقوله (﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾) أي قرابتك الأدنين (دعا رسول الله ﷺ قريشًا) هم ولد النضر بن كنانة على الصحيح (فاجتمعوا فعم) أي دعاهم بما يعمهم (وخص) أي خصص بعضًا بالنداء وبين كيفية

فقال: «يا بني كَعْبِ بن لُؤَيّ أَنقِذُوا أَنْفُسَكُم مِنَ النَّارِ، يَا بني مُرَّةَ بنِ كعْبٍ أَنقِذُوا أَنفُسكُم مِن النَّار، يا بني عبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُم مِنَ النَّارِ، يا بَني هاشِم أَنقِذُوا أَنْفُسكُم مِنَ النَّارِ، يا بني عبْدِ المُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسكُم مِن النَّارِ، يَا فاطِمَةُ أَنْقِذي نفْسَكِ مِنَ النَّار، فَإِني لا أَمْلِكُ لَكُمْ منَ اللَّهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رحِمًا سأَبُلُّهَا بِبلالِها». رواه مسلم.

قوله ﷺ: «ببلالها»: هو بفتح الباء الثانية

التعميم والتخصيص بقوله (**فقال: يا بني كعب بن لؤي**) بحذف تنوين كعب لفظًا وألف ابن خطًا ومثله كل ابن وقع بين علمين ما لم يقع في ابتداء سطر (**أنقذوا أنفسكم**) أي خلصوها (**من النار**) المترتبة على الكفر والعصيان بالإيمان بالله تعالى وطاعته وأداء عبوديته (**يا بني عبد مناف**) بكسر دال عبد لأنه مركب إضافي ومناف محول عن منات اسم لصنم. قال السهيلي في «الروض الأنف»: كانت أمه قد أخدمته منات وكان صنمًا عظيمًا لهم وكان يسمى عبد منات، ثم نظر قصيّ فرءاه يوافق عبد مناف بن كنانة فحوله عبد مناف (**أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم**) لقب به لهشمه الثريد لقومه، واسمه عمرو (**أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب**) قاله المطلب جد الإمام الشافعي لما جاء به من المدينة مردفًا له على راحلته وعليه ثياب بذلة، فكان إذا سئل عنه يقول عبدي حتى ألبسه قال ابن أخي فغلب عليه ذلك، واسمه شيبة (**أنقذوا أنفسكم من النار**) وهذا ءاخر ما عمم فيه وقال مخصصًا (**يا فاطمة**) بالضم (**أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئًا**) قال النووي: «معناه لا تتكلوا على قرابتي فإني لا أقدر على دفع مكروه يريده الله تعالى بكم» (**غير**) استثناء منقطع، وترادفها في هذا المعنى والاستعمال بيد، ومنه حديث «نحن الآخرون السابقون بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا» والمعنى هنا لكن حصل (**أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها. رواه مسلم**) في كتاب الإيمان والنسائي في الوصايا (**قوله ﷺ: ببلالها هو بفتح الباء الثانية**) أي التي

وكسرها، و«البلال»: الماء، ومعنى الحديث: سَأَصِلُها، شَبَّهَ قَطيعتهَا بالحرارةِ تُطْفَأُ بالمَاءِ وهذه تُبَرَّدُ بالصِلَةِ.

٣٣٠ - وعن أَبي عبدِ اللَّهِ عمرِو بنِ العاصِ رضيَ الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ جِهارًا غيْرَ سِرّ يَقُولُ: «إِنَّ ءالَ أبي فُلانٍ لَيْسُوا بأَوْلِيائي إِنَّما ولِيّي اللّهُ وصالِحُ المؤْمِنِين، ولَكِن لَهُمْ رحِمٌ أَبُلُّها بِبِلالِها». متفق عليه.

هي أول الكلمة، أما الأولى الجارة فمكسورة لا غير (**وكسرها والبلال الماء**) وفي «المصباح»: وقيل البلال ما يبل به الحلق من ماء ولبن (**ومعنى الحديث سأصلها، شبه قطيعتها بالحرارة**) قوله (**تطفأ**) بالبناء للمجهول (**بالماء وهذه تبرد بالصلة**) قال النووي: ومنه حديث «بلوا الأرحام» أي صلوها، من البلل المذهب حرارتها فالتشبيه المضمر في النفس استعارة مكنية وإثبات البلال تخييل.

٣٣٠ - (**وعن أبي عبد الله عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ جهارًا**) منصوب على الحال أي حال كونه مجاهرًا بالقول (**غير سر**) قال الحافظ ابن حجر: «هذا تأكيد والمراد أنه لم يقل ذلك خفية بل جهر به وأشاعه (**يقول: إن ءال أبي فلان ليسوا بأوليائي**) هذا لفظ مسلم، والذي في البخاري «إن ءال أبي» قال الشيخ زكريا في «التحفة»: المراد بفلان أبو طالب أو أبو العاص بن أمية، والمراد من ءاله من لم يسلم منهم اهـ. ومعناه إني لست أخصّ قرابتي ولا فصيلتي الأدنين بولاية دون المسلمين وإنما رحمهم معي في الطالبية فسأبلها ببلالها أي أعطيها حقها فإن المنع عند العرب يبس والصلة بلّ (**إنما وليي**) أي ناصري والذي أتولاه في جميع الأمر (**الله وصالح المؤمنين**) كذا رأيته بحذف الواو من صالح على أنه مفرد مضاف اكتفى بعمومه، ويؤيده اية ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴿٤﴾﴾ [سورة التحريم] فالحديث على طبق الآية، فإنها دلت على حصر أوليائه فيمن ذكر (**ولكن**) استدراك لما قد يتوهم من عدم مواصلتهم بإثباتها بقوله (**لهم رحم أبلها ببلالها. متفق عليه**)

واللفظ للبخاري.

٣٣١ - وعن أَبي أَيُّوبَ خالدِ بنِ زيدٍ الأنصاريّ رضي اللَّهُ عنه أَن رجلًا قال: يا رسولَ اللَّهِ أَخْبِرْني بِعملٍ يُدْخِلُني الجنَّةَ [وَيُبَاعِدُني مِنَ النَّارِ][1]. فقال النبيُّ ﷺ: «تعبُدُ اللَّهَ ولا تُشْرِكُ بِهِ شيئًا وَتُقِيمُ الصَّلاةَ وتُؤتي الزَّكاةَ وتَصِلُ الرَّحِمَ». متفقٌ عليه.

٣٣٢ - وعن سَلْمانَ بنِ عامِرٍ رضي اللَّهُ عنه

رواه البخاري في الأدب ومسلم في الإيمان (**واللفظ للبخاري**) ورواه البزار.

٣٣١ - (**وعن أبي أيوب خالد بن زيد**) بن كليب بن ثعلبة بن عوف ابن غنم بن مالك بن النجار (**الأنصاري**) الخزرجي النجاريّ المدني الصحابي الجليل (**رضي الله عنه**) شهد العقبة وبدرًا وأحدًا والخندق وبيعة الرضوان وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ، ونزل عنده رسول الله ﷺ حين قدم المدينة مهاجرًا وأقام عنده أشهرًا حتى بنيت مساكنه ومسجده. توفي بأرض الروم غازيًا سنة خمسين وقبره بالقسطنطينية حرسها الله بمنه (**أن رجلًا**) قال الشيخ زكريا: هو أبو أيوب الراوي (**قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة**) برفع يدخلني على أنه صفة عمل وجواب الأمر محذوف أي يثبك الله (**فقال النبيّ ﷺ: تعبد الله ولا تشرك به شيئًا**) عطف على ما قبله مفيد لبيان العبادة المعتدّ بها، (**وتقيم الصلاة**) أي تأتي بها مستجمعة لأركانها وشرائطها وسننها (**وتؤتي**) أي تعطي (**الزكاة، وتصل الرحم**) وخص الرحم بالذكر لقربها من السائل أو نظرًا لحاله كأنه كان قاطعًا لها فأمر بصلتها لأنها المهمّ بالنسبة إليه (**متفق عليه**) رواه البخاري في الزكاة، ومسلم في الإيمان.

٣٣٢ - (**وعن سلمان بن عامر رضي الله عنه**) نزل البصرة وله بها دار

---

(١) سقط ما بين العاقفتين من النسختين الخطيتين.

عن النبيّ ﷺ قال: «إذا أَفْطَرَ أَحدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلى تَمْرٍ فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ، فَإِن لَمْ يجِدْ تَمْرًا فَالماءُ فَإِنَّهُ طَهُورٌ»، وقال: «الصَّدَقَةُ عَلى المِسكِينِ صدقَةٌ وعَلى ذي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وصِلَةٌ». حديثٌ حسنٌ رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

٣٣٣ - وعن ابن عمرَ رضي اللَّهُ عنهما قال: كَانَتْ تَحتي امْرأَةٌ وكُنْتُ أُحِبُّها وَكَان عُمرُ يكْرَهُهَا، فقال لي: طَلّقْها،

بقرب الجامع، روى عنه محمد وحفصة ولدا سيرين، روي له عن النبيّ ﷺ ثلاثة عشر حديثًا (**عن النبي ﷺ قال: إذا أفطر أحدكم**) أي أراد الفطر من صومه (**فليفطر على تمر**) اسم جنس جمعي فأقله ثلاثة، وهذا عند فقد الرطب وإلا فهو مقدم عليه كما جاء من فعله ﷺ ذلك (**فإنه**) أي التمر (**بركة**) لما فيه من حفظ البصر وجمع ما تفرّق منه بالصوم، ومن أنه إذا وصل المعدة فإن وجد فيها فضلة من بقايا الطعام أخرجها وإلا كان غذاء. (**فإن لم يجد تمرًا فالماء**) بالجر أي فليفطر عليه كما جاء كذلك في رواية عند رواة هذا الحديث (**فإنه طهور**) أي مزيل للخبائث المعنوية والحسية. والترتيب المذكور للاستحباب، فلو أفطر بالماء مع وجود التمر حصل أصل سنة الإفطار على الماء (**وقال**) أي النبيّ ﷺ عطف على قال الأول فهو من جملة ما رواه سلمان (**الصدقة على المسكين صدقة**) أي ثوابها ثواب صدقة واحدة (**وعلى ذي الرحم**) أي القرابة من الأب أو الأم وإن بعد (**ثنتان: صدقة وصلة**) أي فيها ثوابان جليلان ثواب الصدقة وثواب صلة الرحم (**حديث حسن**) هذا التحسين من المصنف وما يأتي بعد من الترمذي فلا تكرار (**رواه الترمذي وقال: حديث حسن**) وكذا رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والدارمي.

٣٣٣ - (**وعن ابن عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنهما قال: كانت تحتي امرأة**) لم أقف على من سماها (**وكنت أحبها وكان عمر يكرهها فقال لي: طلقها**) أمره بذلك لكراهته لها والظاهر أنها دينية، أو خشي

فَأَبَيْتُ، فَأَتى عَمرُ رضي اللَّهُ عنه النبيَّ ﷺ فَذَكر ذلكَ لَهُ، فقال النبيُّ ﷺ: «طَلِّقْهَا». رواه أَبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

٣٣٤ - وعن أَبي الدَّرْداءِ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رَجُلاً أَتَاهُ فقال: إِنَّ لي امْرأَةً وإِنَّ أُمّي تَأْمُرُني بِطَلاقِها؟ فقال: سَمِعْتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقولُ: «الْوالِدُ أَوْسطُ أَبْوابِ الجنَّةِ» فَإِن شِئْتَ فَأَضِع ذلِك الْبابَ أَوِ احفَظْهُ. رواه الترمذي وقال: حديثٌ صحيح.

٣٣٥ - وعنِ البَراءِ بنِ عازِبٍ رضي اللَّهُ عنهما عن النبيّ ﷺ قال:

أن تجره إلى ضرر في دينه (**فأبيت**) أي لما لها من الحبّ عندي (**فأتى عمر النبيّ ﷺ فذكر ذلك له**) أي إبائي وامتناعي من طلاقها بعد أمره به (**فقال النبيّ ﷺ**) من باب زيادة البر بالوالد (**طلقها**) والظاهر أنه طلقها لأنه لا يتخلف عن امتثال أمر النبيّ ﷺ وكأن السكوت على ذلك للعلم به من أحواله وكمال اتباعه المانع ذلك من خطور البال لمخالفة أمره ﷺ (**رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح**).

٣٣٤ - (**وعن أبي الدرداء**) عويمر (**رضي الله عنه أن رجلاً أتاه فقال: إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها**) أي وأنا لا أريد ذلك لمحبتها أو لسبب ءاخر (**فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الوالد**) يشمل الأبوين وإن علوا (**أوسط أبواب الجنة**) قال العراقي: والمعنى أن برّه مؤدّ إلى دخول الجنة من أوسط أبوابها (**فإن شئت فأضع ذلك الباب**) أي بعدم برّها وترك امتثال أمرها (**أو احفظه**) بذلك وإن لم يكن واجبًا البرّ بالطلاق لكنه برّ لهما وإجلال لأمرهما فامتثله، والحديث (**رواه الترمذي وقال: حديث صحيح**).

٣٣٥ - (**وعن البراء**) بالتخفيف والمد (**ابن عازب**) بالمهملة والزاي والموحدة (**رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قال**) في عمرة القضاء «لما خرج النبيّ ﷺ وتبعته بنت حمزة تنادي يا عم يا عم، فتناولها عليّ فأخذها بيده وقال لفاطمة دونك بنت عمك احمليها، فاختصم فيها عليّ

«الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ». رواه الترمذي: وقال حديثٌ صحيح.

وفي البابِ أَحاديثُ كثِيرةٌ في الصحيح مشهورة، منها حديث أَصحابِ الغارِ، وحديث جُرَيْجٍ وقَدْ سبَقَا، وأَحاديثُ مشهورة في الصحيح حَذَفتُهَا اخْتِصارًا، وَمِنْ أَهَمّهَا حديثُ عمْرِو بنِ عَبَسَة رضي اللَّهُ عنه الطَّويلُ المُشْتَمِلُ على جُمَلٍ كثيرة مِن قَوَاعِدِ الإِسْلام وءادابِهِ، وَسَأَذْكُرُهُ بِتَمَامِهِ إِن شَاءَ اللّه تعالى في بابِ الرَّجَاءِ، قالَ فيه: دَخَلْتُ عَلى النبيّ ﷺ بِمَكَّةَ يَعْني في أَوَّلِ النُّبُوَّةِ فقلتُ له: ما أَنتَ؟

وزيد وجعفر فقضى بها النبيّ ﷺ لخالتها وقال (**الخالة بمنزلة الأم**) الحديث. قال العلقمي: أي في هذا الحكم الخاص لأنها تقرب منها في الحنوّ والشفقة والاهتداء لما يصلح الولد فلا حجة فيه لمن قال: الخالة ترث. والمصنف أورده في الباب اعتبارًا بعموم لفظه في طلب أنواع البرّ وإسداء المعروف لها كما تسدى ذلك للأم يطلب البرّ لها (**رواه الترمذي وقال: حديث صحيح**) ورواه أبو داود (**وفي الباب**) أي البرّ والصلة (**أحاديث**) جمع حديث (**كثيرة في الصحيح**) أي للبخاري لأنه صار علمًا بالغلبة في لسان المحدثين عليه، ويحتمل أنه يريد في الصحيح من الحديث المقابل للحسن والضعيف (**مشهورة منها حديث أصحاب الغار وحديث جريج وقد سبقا وأحاديث مشهورة في الصحيح حذفتها اختصارًا**) وقد ذكر كثيرًا منها المنذري في «ترغيبه» (**ومن أهمها حديث عمرو بن عبسة**) بفتح المهملة والموحدة والسين المهملة (**رضي الله عنه الطويل**) صفة حديث (**المشتمل على جمل كثيرة**) بالمثلثة تأكيد لمدلول جمل وتنوينه (**من قواعد الإسلام**) أي أصوله وضوابطه الشاملة لكثير من جزئياته (**وءادابه**) جمع أدب وهو كالسنة في الطلب وإن تفاوت تأكيدًا (**وسأذكره بتمامه إن شاء الله تعالى في باب الرجاء، قال فيه: دخلت على النبيّ ﷺ بمكة**) وقوله (**يعني في أول النبوّة**) هذا مدرج لبيان زمن دخوله ووصوله (**فقلت له: ما أنت**) المسؤول عنه وصفه، فلذلك

قال: «نَبيٌّ» فقلتُ: وما نبيٌّ؟ قال: «أَرسلَني اللّهُ» فقلتُ: بِأَيّ شَيءٍ أَرْسَلَك؟ قال: «أَرسَلَني بِصِلةِ الأَرحامِ وكَسْرِ الأَوْثَانِ وأَن يُوحَّدَ اللَّهُ لا يُشرَكَ بِهِ شَيءٌ» وذكر تَمامَ الحديث.

٤١ - باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم

قال الله تعالى ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣﴾ [**سورة محمد**]،

أجابه ﷺ بقوله (**قال: نبي**) أي أنا نبي، ومراده به الرسول، فهو من إطلاق النبيّ بالمعنى الشامل للرسول كما يدل عليه قوله أرسلني الله (**فقلت: وما نبيّ؟**) أي ما حقيقة هذا اللفظ ومدلوله (**قال**) بيان لما يؤخذ منه ذلك (**أرسلني الله**) حذف المرسل لأجله للتعميم وليسأل عنه السائل فيصل إليه بعد الطلب فيكون أقرّ عنده (**فقلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصلة الأرحام**) أي بالأمر بها والحثّ عليها، وذلك داع لدوام الاتصال وترك التقاطع والانفصال (**وكسر الأوثان**) جمع وثن، قيل هي الأصنام، وقيل أعم أي إزالتها (**وأن يوحد**) بالبناء للمفعول (**الله**) حال كونه (**لا يشرك به شيء، وذكر**) عمرو (**تمام الحديث**) في باب الرجاء إن شاء الله تعالى.

٤١ - باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم

المراد من العقوق عقوق الوالدين أو أحدهما، وهو من الكبائر، مأخوذ من العق. وهو لغة القطع والمخالفة، وشرعًا ضابطه أن يفعل معه ما يتأذى به تأذيًا ليس بالهين.

(**قال الله تعالى** ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣﴾).

وقال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾ [سورة الرعد]، **وقال تعالى** ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [سورة الإسراء].

٣٣٦ - وعن أَبي بَكْرةَ نُفيْعِ بنِ الحارثِ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «ألا

(**وقال تعالى** ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾) أي ما عهده الله إليهم من التكاليف والأحكام (﴿مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾) أي ما أوثقوه به من الإقرار والقبول (﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾) بدل من الضمير المجرور، والمراد به الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان بجميع الأنبياء ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس (﴿وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾) بالظلم وتهييج الفتن (﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾) البعد من الله سبحانه (﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾) عذاب جهنم وتقدم الكلام في الباب قبله على قوله: (**وقال تعالى** ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾) والكاف في «كما» يحتمل أن تكون للتعليل كما في قوله تعالى ﴿كَمَا هَدَىٰكُمۡ ١٩٨﴾ [سورة البقرة] على أحد الأقوال. وحينئذٍ فيحتمل أن يكون لبيان سبب دعائك لهما، ويحتمل أن يكون للتنظير والمراد رحمة تامة بالغة كما بالغا جهدهما في تربيتي حال صغري وانقطاعي.

٣٣٦ - (وعن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا) حرف استفتاح وأتى بها ليتنبه المخاطب من غفلته ليتوجه لسماع ما يلقى إليه فيقرّ في قلبه ولذا إنما يؤتى بها فيما يهتم بأمره

أُنَبِّئُكُم بِأَكْبرِ الْكَبائِرِ؟» - ثلاثًا - قُلنا: بَلى يا رسول اللَّهِ قال: «الإِشْراكُ بِاللّهِ وعُقُوقُ الْوالِدَيْن» وكان مُتَّكِئًا فَجلَسَ فقال: «أَلا وقوْلُ الزّورِ وشهادةُ الزُّورِ» فَما زال يكَرّرُهَا حتَّى قُلنَا: ليْتهُ سكت. متفقٌ عليه.

(**أنبئكم بأكبر الكبائر - ثلاثًا -**) جمع كبيرة، قال النووي: «المراد من أكبر الكبائر». والصحيح بل الصواب أن من الذنوب صغائر وكبائر وأن للكبيرة حدًّا فالمختار أنها ما ورد فيه وعيد شديد في الكتاب أو في السنة وإن لم يكن فيه حد (**قلنا: بلى يا رسول الله**) فائدته مع عدم الاحتياج إليه الإشارة إلى عظيم الإذعان لرسالته وما ينشأ منها من بيان الشريعة (**قال: الإشراك بالله**) أي الكفر بأنواعه (**وعقوق الوالدين**) أو أحدهما، قال النووي: «قال الشيخ أبو عمر بن الصلاح رحمه الله في فتاويه: العقوق المحرَّم كل فعل يتأذى به الوالد أو نحوه تأذيًّا ليس بالهين مع كونه ليس من الأفعال الواجبة». فإن قلت: أكبر الكبائر لا يكون إلا واحدًا وهو الشرك فكيف تعدد هنا؟ وأيضًا فنحو القتل والزنا أكبر من العقوق فلم حذفا وذكر هو؟ قلت: ادعاء أن الأكبر لا يكون إلا واحدًا إنما هو إن أريد الحقيقة، أما إن أريد الأكبر النسبي فهو يكون متعددًا، ولا شك أن الأكبر بالنسبة إلى بقية الكبائر أمور أشار إليها وإلى أمثالها النبي ﷺ بقوله: «اتقوا السبع الموبقات» الحديث، وحينئذٍ فالأكبر هنا لتعدده في الجواب مراد به الأمر النسبي (**وكان متكئًا فجلس**) تنبيهًا على عظم إثم وقبح شهادة الزور، فيفيد تأكيد تحريمه وتعظيم قبحه (**فقال: ألا وقول الزور**) يحتمل كون الواو استئنافية لعظم قبح هذا الذنب ومزيد إثمه (**وشهادة الزور**) قال ابن دقيق العيد: يحتمل أن يكون من الخاص بعد العام، لكن ينبغي أن يحمل على التوكيد (**فما زال يكررها**) أي هذه الكلمة باعتبار المعنى اللغوي، أو الشهادة لأنها أقرب مذكور وقول الزور بمعناه (**حتى قلنا: ليته سكت**) أي شفقة عليه وكراهية لما يزعجه وخشية أن يجري على لسانه ما يوجب نزول البلاء عليهم. وفيه ما كانوا عليه من كثرة الأدب معه ﷺ والمحبة له والشفقة عليه (**متفق عليه**) رواه

٣٣٧ - وعن عبد اللّهِ بنِ عمرِو بنِ العاص رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قال: «الْكبائرُ: الإِشْراكُ بِاللّهِ وعقُوقُ الْوالِدَيْنِ وقَتْلُ النَّفْسِ والْيمِينُ الْغَموسُ». رواه البخاري.

«اليمين الغموس»: التي يحلفها كاذبًا عامِدًا، سميت غموسًا لأنها تغمس الحالف في الإثم.

٣٣٨ - وعنه رضيَ اللَّهُ عنهُ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مِنَ الْكبائِرِ شَتْمُ الرَّجلِ والِدَيْهِ» قالوا: يا رسولَ اللَّهِ وهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ والِديْهِ قال: «نَعمْ،

البخاري في مواضع من «صحيحه»، ورواه مسلم في الإيمان.

٣٣٧ - (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: الكبائر) أي منها والاقتصار عليها كأنه لاقتضاء المقام ذكرها لتقصير بعض الحاضرين في شأنها أو لكونها أعظم الكبائر إثمًا وأشدها جرمًا **(الإشراك)** أي الكفر **(بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس)** التي حرم الله قتلها عدوانًا **(واليمين الغموس)** بالغين المعجمة والسين **(رواه البخاري)** وأحمد والترمذي والنسائي.

(اليمين الغموس) المذكور في الخبر **(التي يحلفها)** أي الحالف، نظيره قوله تعالى ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ﴾ [سورة المائدة] أي العدل **(كاذبًا عامدًا)** حال من فاعل يحلف **(سميت غموسًا)** بفتح الغين **(لأنها تغمس الحالف في الإثم)** لأنه حلف كاذبًا على علم منه.

٣٣٨ - (وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال من الكبائر) أي بعضها ولا ينافي ما تقدم وما بعده أنه من أكبرها لأنه لا يخرج بذلك عن كونها بعضًا منها **(شتم الرجل)** أي المكلف ومثله المكلفة **(والديه)** بفتح الدال أي أمه وأباه ويلحق بهما في ذلك من له عليه ولادة من أصوله **(قالوا: يا رسول الله وهل يشتم)** بكسر التاء **(الرجل والديه)** استفهام استبعاد أن يصدر ذلك من ذي عقل ولب **(قال نعم)** أي يشتم

يَسُبُّ أَبا الرَّجُلِ فيَسُبُّ أَباه ويسُبُّ أُمَّهُ فَيسُبُّ أُمَّهُ». متفقٌ عليه.

وفي روايةٍ: «إِنَّ مِنْ أَكْبرِ الكبائِرِ أَن يَلْعَنَ الرَّجُلُ والِديْهِ» قِيل: يا رسولَ اللّهِ كيْفَ يلْعنُ الرجُلُ والِديْهِ؟ قال: «يسُبُّ أَبا الرَّجُل فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّه فيَسُبُّ أُمَّهُ».

٣٣٩ - وعن أَبي محمدٍ جُبيْرِ بنِ مُطْعِم رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لا يَدْخُلُ الجَنةَ قَاطِعٌ»، قال سفيان في روايته: يعني: قاطِعَ رحِم. متفقٌ عليه.

لكن بالتسبب فيه لا بالمباشرة (**يسبّ أبا الرجل فيسبّ**) أي المسبوب أبوه (**أباه**) أي أبا الساب (**ويسبّ أمه فيسبّ أمه. متفق عليه**). قال السيوطي في «المرقاة»: قال النووي: فيه تحريم الوسائل والذرائع.

(**وفي رواية**) أي لهما أيضًا عنه (**إن من أكبر الكبائر**) أي النسبية وهي كذلك متعددة كما تقدم، أما أكبر الكبائر فالشرك بالله (**أن يلعن الرجل والديه**) هذا إسناد مجازي لأنه سبب للعنهما كما بينه بقوله (**قيل: يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه**) وهو السبب في وجوده والقائم بمصالحه عند كمال ضعفه وحاجته (**قال: يسبّ أبا الرجل فيسبّ أباه، ويسبّ أمه فيسبّ أمه**) كأن حكمة تقديم الأب في الذكر أن الغالب عدم ذكر النساء حتى في مقام المدح.

٣٣٩ - (**وعن أبي محمد**) ويقال أبو عدي (**جبير**) بضم الجيم (**ابن مطعم**) بصيغة الفاعل من أطعم، القرشي النوفليّ (**رضي الله عنه**) أسلم عام خيبر، وقيل يوم فتح مكة، توفي بالمدينة سنة أربع وخمسين (**أن رسول الله ﷺ قال: لا يدخل الجنة قاطع**) أي مع الفائزين الناجين أو أبدًا إن كان مستحلًا للقطيعة مع علمه بتحريمها (**قال سفيان**) هو ابن عيينة (**في روايته**) لهذا الحديث (**يعني**) النبي ﷺ بقوله: «قاطع» المجمل المحتمل لمعان (**قاطع رحم**) وكأنه لعظم إثمه ومزيد الاعتناء به لا ينصرف هذا اللفظ إلا إليه ادّعاء (**متفق عليه**).

٣٤٠ - وعن أَبي عِيسى المُغِيرةِ بنِ شُعْبةَ رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قال: «إِنَّ اللّهَ حَرَّمَ علَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمهَاتِ ومنْعًا وهاتِ ووأْدَ البَنَاتِ، وكَرِهَ لكُمْ قِيلَ وقالَ وكثرةَ السؤَالِ وإِضَاعَةَ المالِ». متفقٌ عليه.

---

٣٤٠ - (وعن أبي عيسى) ويقال أبو عبد الله ويقال أبو محمد **(المغيرة)** بضم الميم **(ابن شعبة)** الثقفي الكوفي **(رضي الله عنه)** أسلم عام الخندق، ولاه عمر البصرة مدة ثم نقله عنها فولاه الكوفة فلم يزل عليها حتى قتل فأقره عثمان عليها ثم عزله، وشهد اليمامة وفتح الشام، وذهبت عينه يوم اليرموك، وشهد القادسية وفتح نهاوند، واستعمله معاوية على الكوفة فلم يزل عليها حتى توفي بها سنة خمسين وقيل إحدى وخمسين **(عن النبي ﷺ قال: إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات)** قال النووي: «وهو من الكبائر بإجماع العلماء» اقتصر عليهن مع تحريم عقوق الآباء أيضًا لأن الاستخفاف بهن أكثر لضعفهن وعجزهن بخلاف الآباء ولينبه على تقديم برّهن على برّ الأب في التلطف والخير ونحو ذلك **(ومنعًا)** لما يجب أداؤه من الحق **(وهات)** الاستكثار من حق الغير بغير حق: أي حرم عليكم طلب ما ليس لكم أخذه **(ووأد)** بسكون الهمزة: أي دفن **(البنات)** قال النووي: «أي دفنهن في حياتهن فيمتن تحت التراب وهو من الكبائر الموبقات» **(وكره لكم قيل وقال)** والمراد من الحديث الإشارة إلى كراهة كثرة الكلام لأنها تؤول إلى الخطأ وكرر المصدر مبالغة في الزجر **(وكثرة السؤال)** أي سؤال المال لنفسه من غير حاجة **(وإضاعة المال)** أي بإنفاقه في غير وجه المأذون فيه شرعًا سواء كانت دينية أو دنيوية، والمنع من إضاعته لأن الله تعالى جعله قيامًا لمصالح العباد وفي تبذيره تفويت لتلك المصالح إما في المبذر أو في حق الغير، ويستثنى كثرة الإنفاق في وجوه البرّ لتحصيل ثواب الآخرة ما لم يفوّت حقًا ءاخر أهم **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في الزكاة والاستقراض والأدب، ومسلم في الأحكام، قال الطيبي: وهذا الحديث

قوله «منعًا»: معناه منع ما وجب عليه. و«هات»: طلب ما ليس له. و«وأد البنات» دفنهن في الحياة. و«قيل وقال» معناه: الحديث بكل ما يسمعه فيقول: قيل كذا وقال فلان كذا مما لا يعلم صحته ولا يظنها، و«كفى بالمرء كَذِبًا أن يُحَدِثَ بكل ما سَمِع» و«إضاعة المال»: تبذيرُهُ وصرفُهُ في غير الوجوه المأذون فيها من مقاصد الآخرة والدنيا وتركُ حفظه مع إمكان الحفظ. و«كثرة السؤال»: الإلحاح فيما لا حاجة إليه.

أصل في معرفة حسن الخلق وهو يستتبع جميع الأخلاق الجميلة (**قوله منعًا**) أي بالتنوين (**معناه منع ما وجب عليه**) أي أداؤه (**وهات**) أي معناه في المشهور (**طلب ما ليس له**) أي أخذه (**وقيل وقال معناه الحديث**) اسم مصدر من التحديث (**بكل ما يسمعه**) من أقوال الناس (**فيقول قيل كذا**) مما قصد به بيان المحكي ولم يتعلق الغرض بتعيين من صدر عنه ذلك (**وقال فلان كذا**) مما تعلق الغرض فيه بهما معًا (**مما لا يعلم صحته ولا يظنها**) بيان لما يسمعه (**وكفى بالمرء**) الظاهر أن الباء مزيدة في المفعول للتأكيد، و(**كذبًا**) تمييز وليس مفعولًا ثانيًا لأن المتعدي إليهما كفى بمعنى وفي نحو قوله تعالى ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأحزاب] لا بمعنى حسب، بل قد يكون حينئذٍ لازمًا نحو ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الرعد] ومتعديًا لواحد كالحديث، وقوله (**أن يحدث**) فاعل كفى أي تحديثه (**بكل ما سمع**) من غير تثبت واحتياط وقدمت في حديث «كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته» (**وإضاعة المال تبذيره وصرفه في غير الوجوه المأذون فيها**) من إتلاف أو في معصية، وقوله: (**من مقاصد الآخرة والدنيا**) بيان للوجوه المأذون فيها (**وترك حفظه**) معطوف على تبذيره لأوّليته أو على صرفه لقربه، وإنما يكون ترك الحفظ إضاعة للمال إذا كان (**مع إمكان الحفظ**) أما إذا عمّ الحريق أو النهب وما تمكن من حفظه فضاع عليه بذلك فلا يدخل في الإضاعة (**وكثرة السؤال: الإلحاح**) فيه (**فيما لا حاجة إليه**) وظاهره أنه لا منع من

وفي الباب أَحادِيثُ سبقَتْ في البابِ قبلَه كَحَدِيثِ «وأَقْطعَ مَن قَطَعكِ»، وحديثِ «مَن قطَعني قَطَعَهُ اللّهُ».

٤٢ - باب فضل بِرّ أَصدقاء الأب والأم والأقارب والزوجة وسائر من يندب إكرامه

٣٤١ - عن ابنِ عمرَ رضي اللَّهُ عنهما أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أَبَرُّ البِرّ أَن يصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أَبِيهِ».

وعن عبدِ اللّهِ بنِ دِيْنَارٍ عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ

سؤال خال عن الإلحاح لما لا يحتاج إليه، والإلحاح بالمهملتين الإقبال على السؤال مواظبًا (**وفي الباب**) أي تحريم العقوق والقطيعة (**أحاديث سبقت في الباب**) المعقود (**قبله**) أي قبل الباب المذكور في قوله وفي الباب (**كحديث وأقطع**) بصيغة المتكلم (**من قطعك**) أي من قوله تعالى للرحم: «وأقطع من قطعك» (**وحديث من قطعني قطعه الله**).

٤٢ - باب فضل بِر أصدقاء الأب والأم والأقارب

جمع صديق وهو كما في «المصباح»: الصادق، وهو من الصداقة واشتقاقها من الصدق في الود والنصح (**والزوجة**) كذا في النسخ بالتاء وهي لغة ضعيفة والأفصح والزوجين بحذفها على أنه أولى ليعم كلًا منهما بالتصريح (**وسائر**) باقي أو جميع فيكون من عطف العام على الخاص للتعميم (**من يندب إكرامه**) من شيخ ومريد وملك عادل.

٣٤١ - (عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبيّ ﷺ قال: أبرّ البرّ) أي أكمله وأبلغه (**أن يصل الرجل**) ومثله المرأة (**ودّ أبيه**) بضم الواو وتشديد الدال المهملة: وهو الحب.

(**وعن عبد الله بن دينار**) مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب اتفقوا على توثيقه توفي سنة سبع وعشرين ومائة (**عن**) قصة (**عبد الله بن عمر**

رضي اللَّهُ عنهما أَنَّ رجُلاً مِنَ الأَعْرابِ لقِيهُ بِطرِيقِ مكَّةَ فَسلَّم عَلَيْهِ عبْدُ اللّه بْنُ عُمر وحملَهُ على حمارٍ كَانَ يرْكَبُهُ وأَعْطَاهُ عِمامةً كانتْ على رأْسِهِ، فقال ابنُ دِينَارٍ: فقُلنا لهُ: أَصْلَحكَ اللّهُ إنهُمُ الأَعْرابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِاليسِيرِ، فقال عبدُ اللّهِ بنُ عمر: إِنَّ أبا هذا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بنِ الخطاب رضي اللَّهُ عنه وإنّي سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إِنَّ أَبَرَّ البِرّ صِلةُ الوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ».

وفي روايةٍ عنِ ابنِ دِينارٍ عن ابن عُمَر أَنهُ كَانَ إِذا خرج إلى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمارٌ

رضي الله عنهما) هي **(أن رجلاً من الأعراب)** بفتح الهمزة أهل البدو من العرب، الواحد أعرابيّ **(لقيه)** الضمير المستتر يعود للرجل والبارز لابن عمر **(بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه)** للتروّح عليه إذا مل ركوب الراحلة **(وأعطاه عمامة كانت على رأسه)** أي حينئذٍ يشد بها رأسه في السفر **(فقال ابن دينار فقلنا له)** يحتمل أن يكون هو وباقي من مع ابن عمر وهو الظاهر من الضمير **(إنهم الأعراب وإنهم يرضون باليسير فقال عبد الله بن عمر: إن أبا هذا كان ودًا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه)** قال النووي: «أي صديقًا من أهل مودته وهي محبته»، عبر بقوله لعمر الخ دون قوله لوالدي إشارة إلى أن لبره مقتضيات الأوّل أنه ودّ أبيه. والثاني أنه ودّ شيخه. الثالث أنه ود رأس الصالحين، ودلالة لفظ عمر على هذين أظهر **(وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول إن أبرّ البر)** أي أبلغه **(صلة الولد أهل)** أي أصحاب **(ودّ أبيه)** أي حبه وإن لم يكونا أقربا للفرع ولا للأصل فإن برهم برّ ذي الود لهم من الأبوين.

(وفي رواية) أخرى **(عن ابن دينار عن)** قصة **(ابن عمر أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار)** هو الذكر من الحيوان الناهق والأنثى أتان وحمارة نادر والجمع حمير وحمر بضمتين وأحمرة كذا في «المصباح»

يتَرَوَّحُ عليْهِ إِذا ملَّ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ وعِمامةٌ يشُدُّ بها رأْسَهُ، فَبيْنَا هُو يوْمًا على ذلِكَ الحِمَارِ إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرابيٌّ فقال: أَلَسْتَ ابنَ فُلانِ بْنِ فُلانٍ؟ قال: بلَى. فأَعْطَاهُ الحِمارَ فقال: ارْكَبْ هذا، والعِمامةَ قال اشْدُدْ بِهَا رأْسَكَ، فقال لَهُ بَعْضُ أَصْحابِهِ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ أَعْطَيْتَ هذَا الأَعرابيَّ حِمارًا كنْتَ تَروَّحُ عليْهِ وعِمامَةً كُنْتَ تشُدُّ بِهَا رأْسَكَ؟ فقال: إِنّي سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَبَرّ البِرّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْد أَن يُولّيَ»

(**يتروح**) بتشديد الواو أي يستريح (**عليه إذا مل**) أي إذا سئم وضجر (**ركوب الراحلة**) أي المركب من الإبل ذكرًا كان أو أنثى (**وعمامة يشد بها رأسه، فبينا**) الألف فيه للإشباع كافة لبين عن الإضافة فالجملة بعده مستأنفة، ومثلها بينما (**هو يومًا على ذلك الحمار إذ مر به أعرابيّ فقال**) يعني ابن عمر (**ألست ابن فلان بن فلان**) استفهام تقريري وفلان كناية عن اسم يسمى به المحدث عنه خاص غالب، ويستعمل من غير أل في غير الآدمي (**قال بلى، فأعطاه الحمار فقال: اركب هذا والعمامة**) ف(**قال اشدد**) بضم الدال (**بها رأسك، فقال له بعض أصحابه**) منهم ابن دينار كما دلت عليه الرواية السابقة، وقد يبهم الراوي نفسه لغرض (**غفر الله لك**) فيه تنبيه على أدب العتاب أن يقدم الدعاء للمخاطب ثم يعاتب، وهذا أخذ من قوله تعالى ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة التوبة] (**أعطيت**) يحتمل أن يكون بتقديره همزة الاستفهام الإنكاري، أي أعطيت (**هذا الأعرابي حمارًا كنت تروّح**) بتشديد الواو والرفع وحذفت من أوله إحدى التاءين تخفيفًا أي تتروح (**عليه وعمامة كنت تشد بها رأسك، فقال**) دفعًا لإنكار ما أنكروه عليه مما حاصله وضع الشيء في غير موضعه ببيان الحامل على ذلك (**إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من أبرّ البر صلة الرجل أهل ودّ أبيه بعد أن يولي**) بضم التحتية وتشديد اللام المكسورة أي بعد أن يموت. قال النووي: «في الحديث فضل صلة أصدقاء الأب والإحسان إليهم وإكرامهم وهو متضمن لبر

وإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صدِيقًا لِعُمرَ رضي اللَّهُ عنه. روى هذِهِ الرّواياتِ كُلَّهَا مسلم.

٣٤٢ - وعن أَبي أُسَيْدٍ - بضم الهمزة وفتح السين - مالِكِ بنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيّ رضي اللَّهُ عنه قال: بيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رسولِ اللّهِ ﷺ إِذ جاءَهُ رجُلٌ مِن بني سَلِمةَ فقالَ: يا رسولَ اللّهِ هَلْ بقي مِن برّ أَبويَّ شَيءٌ أَبَرُّهُما بِهِ بعدَ مَوْتِهِما؟ فقال: «نَعَمْ، الصَّلاةُ علَيْهِمَا والاسْتِغْفَارُ لَهُما وإِنْفاذُ عَهْدِهِمَا مِن بعْدِهِما وصِلةُ الرَّحِمِ التي لا تُوصلُ إِلا بِهِمَا وإِكرَامُ صَدِيقِهما». رواه أَبو داود.

الأب وإكرامه لكونه بسببه» (**وإن أباه**) أي أبا المعطى (**كان صديقًا لعمر رضي الله عنه**) أي فلذا وصلته (**روى هذه الروايات كلها مسلم**).

٣٤٢ - (وعن أبي أسيد بضم الهمزة وفتح السين) المهملة وسكون التحتية بعدها دال مهملة (**مالك بن ربيعة الساعدي**) نسبة لجده ساعدة وهو مشهور بكنيته، شهد (**رضي الله عنه**) بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ (**قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة**) لم أقف على من سماه (**فقال: يا رسول الله هل بقي من برّ أبويّ**) المأمور أنا به (**شيء أبرّهما به**) أي لأبرهما به (**بعد موتهما فقال: نعم، الصلاة عليهما**) أي الدعاء لهما كما يدل عليه قوله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الإسراء] (**والاستغفار**) من عطف الخاص على العام اهتمامًا أي وتدعو بالمغفرة (**لهما، وإنفاذ**) بالذال المعجمة (**عهدهما**) أي من وصية وصدقة وغير ذلك (**من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما**) ولفظ البيهقي «وصلة رحمهما التي لا رحم لك إلا من قبلهما، فقال: ما أكثر هذا وأطيبه يا رسول الله، قال: ما عمل به فإنه يصل إليهما» قال العاقولي: وفي الحديث تنبيه على اغتنام فضيلة الصلة وأنها طاعة لا يكون إدراكها إلا من جهتهما (**وإكرام صديقهما**) وبمعناه حديث ابن عمر في الباب (**رواه أبو داود**) في الأدب.

٣٤٣ - وعن عائشةَ رضي اللَّهُ عنها قالت: ما غِرْتُ على أَحَدٍ مِن نِسَاءِ النبيّ ﷺ مَا غِرْتُ على خديجةَ رضي اللَّهُ عنها، ومَا رَأَيْتُهَا قَطُّ وَلكن كَانَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا وَرُبَّما ذَبحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعثُهَا في صدائِقِ خدِيجةَ، فَرُبَّما قلتُ لَهُ: كَأَن لَمْ يكُن في الدُّنْيا امرأةٌ إِلا خديجةُ فيقولُ: «إِنَّها كَانتْ وكَانَتْ

---

٣٤٣ - (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت) بكسر الغين في «المصباح»: غار الرجل على امرأته غضب فيها، والمرأة على زوجها تغار **(على أحد من نساء النبيّ ﷺ)** يعني ضرائرها أمهات المؤمنين رضي الله عنهن **(ما غرت على خديجة رضي الله عنها)** وذلك لما رأت لها عنده ﷺ من مزيد المكانة الدالّ عليه إكثار ذكرها والتنويه بشكرها بعد فقدها، وكانت عائشة أحبّ سائر زوجاته الموجودات معها إليه ﷺ، وبينت هذا المعنى بقولها **(وما رأيتها قط)** ظاهره لم يقع نظرها عليها وذلك لتقدم وفاتها على تمييز السيدة عائشة، فإنه كان سنها عند عهده بها ﷺ بها ستّ سنين، ويعضد هذا قولها عند الشيخين «ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين» قال المصنف: أي قبل بنائه بها، أما العقد بها فكان موتها قبله بنحو سنة ونصف **(ولكن)** أي وجه الغيرة أنه ﷺ **(كان يكثر ذكرها)** أي وفيه دليل المحبة، قال ﷺ: «من أحب شيئًا أكثر من ذكره» **(وربما ذبح الشاة ثم يقطعها)** يحتمل كون الإسناد فيها حقيقة، وذلك من مزيد تواضعه وكمال فضله، فقد كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويكون في مهنة أهله **(أعضاء)** جمع عضو بكسر أوّله وضمه وهو كل لحم وافر بعظمه **(ثم يبعثها في صدائق)** جمع صديقة كصحيفة أي في ذوات صداقة **(خديجة)** يفعل ذلك حفظًا لعهدها وزيادة في برّها **(فربما)** يحتمل التقليل والتكثير، والأول أقرب **(قلت له: كأن)** بتخفيف النون أي كأنه **(لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة)** أي فذلك المقتضي لمزيد الوداد **(فيقول: إنها كانت وكانت)** أي يثني عليها بأفعالها وفعالها قال الحافظ ابن حجر: «أي كانت فاضلة وكانت عاقلة ونحو ذلك»

وكان لي مِنْهَا ولَدٌ». **متفقٌ عليه**.

وفي روايةٍ: «**وإِن كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدِي في خَلائِلِهَا مِنْهَا مَا يَسَعُهُنَّ**».

وفي روايةٍ: **كَانَ إِذَا ذَبحَ الشَّاةَ يَقُولُ**: «**أَرْسِلُوا بِها إِلى أَصْدِقَاءِ خَدِيجةَ**».

وفي روايةٍ قالت: **اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَديجَةَ عَلى رسولِ اللَّهِ ﷺ**

وجاء في حديث ءاخر «أن عائشة قالت: أوليس قد أبدلك الله خيرًا منها؟ فقال: لا والله، ءامنت بي حين كفر بي قومي ونصرتني حين خذلني قومي وأعطتني مالها حين منعني قومي» أو كما قال (**وكان لي منها ولد**) وجميع ولده ﷺ منها إلا إبراهيم فمن مارية، وإنما كنيت عائشة بابن أختها عبد الله بن الزبير (**متفق عليه**) أخرجاه في فضائل خديجة، وأخرجه فيه الترمذي وقال حسن صحيح، وأخرجه فيه وفي الوفاة النسائي.

(**وفي رواية**) هي فيهما إلى قوله خلائلها (**وإن**) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف: أي وإنه (**كان ليذبح الشاة**) اللام هي الفارقة بين إن المخففة والنافية (**فيهدي في خلائلها**) قال الحافظ ابن حجر: «جمع خليلة أي صديقة» (**منها ما يسعهن**) أي يكفيهن.

(**وفي رواية**) لمسلم قالت (**كان إذا ذبح الشاة يقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة**) أي أصحاب صداقتها. (**وفي رواية قالت**) عن عائشة رواها البخاري في فضل خديجة ومسلم في الفضائل.

(**استأذنت**) طلبت الإذن (**هالة**) بتخفيف اللام (**بنت خويلد**) بن أسد بن عبد العزى بن قصي (**أخت**) أم المؤمنين (**خديجة**) رضي الله عنها. وهالة هذه أم العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت سيدنا رسول الله ﷺ، وليس لخديجة أخت غيرها اسمها هالة (**على رسول الله** ﷺ) متعلق

فَعرفَ اسْتِئْذَانَ خديجةَ فَارْتَاح لِذَلِكَ فقالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خوَيْلِدٍ».

قوْلُهَا: «فَارتَاحَ» هو بِالحاءِ، وفي «الجمْعِ بين الصحيحين» لِلْحُمَيْدِي: «فَارْتَاعَ» بِالعينِ ومعناه: اهْتَمَّ بِهِ.

٣٤٤ - وعن أَنَسِ بنِ مالكٍ رضي اللَّهُ عنه قال: خَرجْتُ معَ جريرِ بنِ عبدِ اللّهِ الْبَجَليّ رضي اللَّهُ عنه في سَفَرٍ، فَكَانَ يَخْدُمُني فقلتُ لَهُ: لا تَفْعلْ، فقال: إِنّي قَدْ رأَيْتُ الأنصارَ تَصْنَعُ برسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا ءالَيْتُ

باستأذنت (**فعرف استئذان خديجة**) أي تذكر عند استئذانها خديجة وكانت نغمتها تشبه نغمة خديجة؛ وأصل هذا أن من أحبّ محبوبًا أحبّ محبوباته وما يتعلق به ويشبهه.

(**فارتاح لذلك**) افتعال من الراحة أي حصلت له راحة نفسانية بسماع صوت هالة لتذكره عهد خديجة (**فقال: اللهم هالة بنت خويلد**) وهذه الأخبار فيها فضل خديجة، والصحيح أنها أفضل أمهات المؤمنين لما لها من السوابق الجليلة والأيادي الجميلة، أما عائشة فهي أكثر علمًا وأفضل مما عداها من باقي الأمهات بلا خلاف (**قولها فارتاح هو بالحاء**) المهملة (**وفي الجمع بين الصحيحين للحميدي**) أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بالتصغير نسبة لجده الأعلى حميد الأندلسي القرطبي (**فارتاع بالعين**) أي المهملة (**ومعناه اهتم به**) أي باستئذانها فرحًا وسرورًا لمكانها من خديجة.

٣٤٤ - (**وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرجت مع جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه في سفر فكان يخدمني**) وهو أسن مني (**فقلت له: لا تفعل**) أي لسنك المقتضي لتوقيرك (**فقال**) مبينًا لسبب تواضعه لأنس مع صغر سنه عنه (**إني قد رأيت الأنصار**) علم بالغلبة على أولاد الأوس والخزرج (**تصنع برسول الله** ﷺ) أي معه (**شيئًا**) عظيمًا لا تقوم العبارة بتفصيله، فلذا أجمل في مقاله (**ءاليت**) بالمد أي أقسمت

ألاَّ أَصْحَبَ أَحدًا مِنْهُمْ إلا خَدمْتُهُ. متفقٌ عليه.

٤٣ - باب إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ وبيان فضلهم

قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأحزاب]، **وقال تعالى** ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الحج].

من الأَلِيَّة وهي اليمين (**أن لا أصحب أحدًا منهم**) وإن كان أصغر مني (**إلا خدمته**) إكرامًا للنبيّ ﷺ وإحسانًا للمنتسب إلى خدمته والمحسن إليه ﷺ. قال النووي: ففي الحديث دليل إكرام المحسن والمنتسب إليه وإن كان أصغر منه، وفيه تواضع جرير وفضيلته وإكرامه للنبيّ ﷺ وإحسانه إلى من انتسب إلى من أحسن إليه ﷺ (**متفق عليه**).

٤٣ - باب إكرام ءال بيت رسول الله ﷺ

المراد منهم ءاله الذين يحرم عليهم الصدقات كالزكاة، وهم عند إمامنا الشافعي رضي الله عنه مؤمنو ومؤمنات بني هاشم والمطلب أي المنتمون لذلك من جانب الآباء، أما المنتمون من جانب الأمهات فليسوا من ءاله في منع الزكاة والصدقة الواجبة منهم، أما في الإكرام للقرابة بالمصطفى فهم كذلك لأن القرابة والنسبة إلى ذلك الجناب الشريف مشتركة بين الجميع وزوجاته. وفي الآية دليل على أن أزواجه من أهل بيته فالمراد من أهل بيته المنتسبون إليه بنسب، وزوجاته (**وبيان فضلهم**) أي بذكر ما جاء فيه.

(**قال الله تعالى** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾) الذنب المدنس لعرضكم، والرجس كل مستقذر والمراد به هنا الإثم (﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾) نصب على النداء والمدح (﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾) عن المعاصي (﴿تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾) من الرجس.

(**وقال تعالى** ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾).

٣٤٥ - وعن يَزِيْدَ بنِ حَيَّانَ قال: انْطلَقْتُ أَنا وحُصيْنُ بْنُ سَبْرةَ وعمْر ابنُ مُسْلِم إِلى زَيْدِ بْنِ أَرقمَ رضي اللَّهُ عنه فلَمَّا جَلسْنا إِلَيهِ قال له حُصيْنٌ: لَقَد لَقِيتَ يَا زيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، رأَيْتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ وسمِعْتَ حَدِيثَهُ وغَزَوْتَ مَعَهُ وَصَلَّيتَ خَلْفَهُ، لَقَدْ لَقِيتَ يا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، حَدِّثْنَا يا زَيْدُ ما سمِعْتَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ، قال: يا ابْنَ أَخِي

---

٣٤٥ - (**وعن يزيد**) بفتح التحتية أوله وبعد الزاي تحتية ساكنة ءاخره دال مهملة (**ابن حيان**) بفتح المهملة وتشديد التحتية ءاخره نون هو التيمي الكوفي (**قال: انطلقت أنا وحصين**) بضم المهملة الأولى وفتح الثانية وسكون التحتية ءاخره نون (**ابن سبرة**) بفتح المهملة وسكون الموحدة (**وعمر بن مسلم**) بصيغة الفاعل من الإسلام (**إلى**) أبي عمرو (**زيد بن أرقم**) بالقاف الأنصاري الخزرجي (**رضي الله عنه**) غزا مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة واستصغره يوم أحد، وكان يتيمًا في حجر عبد الله ابن رواحة وسار معه في غزوة مؤتة نزل الكوفة وتوفي بها سنة ست وخمسين (**فلما جلسنا**) منتهين (**إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا**) هذا إجمال لأنواعه بين أشرفها بقوله (**رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه**) أي من فيه والحديث رواية هو ما أضيف إلى النبيّ ﷺ أو من دونه ولو من التابعين قولًا أو فعلًا (**وغزوت معه**) أي جاهدت في سبيل الله، وفيه شرف العمل مع الصلحاء (**وصليت خلفه**) أي معه جماعة (**لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا**) وهذا تذكير منه لنعمة الله عليه وتحريض على أداء شكرها قدر طاقته وأن لا يغفل عنه، وهو محمول على أنهم أمنوا الفتنة عليه لما علموه عنده من كمال الإيمان ومزيد العرفان المانعين من الافتتان، وقوله: (**حدثنا يا زيد**) فيه طلب العلو في الإسناد وأخذ العلم من أهله وفيما ذكر قبله تقديم الوسائل إلى المطالب، وفيه ما ذكره المحدثون من استحباب الثناء على المحدث بالأوصاف اللائقة به والدعاء له قبل طلب التحديث منه (**ما سمعت**) أي بما سمعت (**من رسول الله ﷺ**) أي شفاهًا (**قال: يا ابن أخي**) خاطبه

واللّهِ لَقَدْ كَبِرتْ سِنّي وقَدُم عهْدي ونسِيتُ بعْضَ الَّذي كنتُ أَعِي مِن رسولِ اللّه ﷺ، فَمَا حدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوا وَمَا لا فَلا تُكَلّفُونِيهِ، ثُمَّ قال: قام رسولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعى خُمًّا بَيْنَ مكَّةَ وَالمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنى علَيْه ووعَظَ وَذَكَّرَ ثُمَّ قالَ: «أَمَّا بعْدُ: أَلا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ

بذلك لصغره بالنسبة إليه (**والله لقد كبرت**) بكسر الموحدة (**سني**) أي لقد كبرت (**ونسيت بعض الذي كنت أعي**) أي أحفظ (**من رسول الله** ﷺ) متعلق بأعي وفيه أن الكبر مظنة النسيان وضعف القوة الحافظة، وهو كذلك (**فما حدثتكم**) العائد محذوف أي حدثتكموه (**فاقبلوا**) أي فاقبلوه والضمير لربط الجملة بالمبتدإ وكأنه حذفه فيهما تخفيفًا (**وما لا فلا تكلفونيه**) ويؤيده أن الدميري في «الديباجة» حمله على الإكثار فقال: كره الإكثار من التحديث كثير من السلف مخافة ما فيه من الزلل، روي عن عمر قال: «أقلوا الحديث عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم» وكان مالك يقول: وأنا أيضًا أقلّ الحديث عن رسول الله ﷺ اهـ (**ثم قال**) محدثًا لنا (**قام رسول الله** ﷺ **يومًا فينا خطيبًا بماء**) أي عنده (**يدعى**) أي الوادي الذي فيه الماء (**خمًا**) بضم المعجمة وتشديد الميم كما سمي بدر باسم البئر التي به وقال النووي في شرح مسلم: خم اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة عندها غدير مشهور يضاف إلى الغيضة فيقال غدير خم اهـ. وقوله (**بين مكة والمدينة**) حال من ثاني مفعولي يدعى (**فحمد الله**) أي وصفه بنعوت الكمال (**وأثنى عليه**) بتنزيهه عن سائر ما لا يليق به (**ووعظ**) أي أمر بالطاعة ووصى بها، ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة سبإ] أي ءامركم وأوصيكم (**وذكر**) بتشديد الكاف أي ذكرهم ما قد غفلوا عنه بمزاولة الأهل والعيال من التوجه للخدمة وأداء حق العبودية (**ثم قال: أما بعد**) وهي للانتقال من أسلوب كالثناء على الله سبحانه هنا إلى أسلوب ءاخر أي مما ذكر بعدها (**ألا أيها الناس**) بحذف حرف النداء إيجازًا تنبهوا (**فإنما أنا بشر**) والقصر فيه لردّ ما قد يتوهمه قاصر عند

يُوشِكُ أَن يَأْتِيَ رسولُ ربي فَأُجِيبَ، وأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهما كِتابُ اللّهِ فِيهِ الهُدى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا به» فَحثَّ على كِتَابِ اللَّهِ ورغَّبَ فِيهِ. ثمَّ قَالَ: «وأَهْلُ بَيْتي، أُذكّرُكُمُ اللَّهَ في أَهْلِ بيْتي، أُذَكِرُكمُ اللَّهَ في أَهْلِ بَيْتِي» فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ، أَلَيْس

ظهور الخوارق على يده صلوات الله وسلامه عليه من كونه إلٰهًا أو كونه ملكًا، لا لقصر صفاته على ذلك (**يوشك**) بضم التحتية وكسر الشين المعجمة مضارع أوشك من أفعال المقاربة أي يقرب (**أن يأتي رسول ربي**) في تأويل مصدر اسم يوشك أي يقرب إتيان رسول ربي يعني ملك الموت داعيًا إلى النقلة إلى الله سبحانه مخيرًا بينها وبين البقاء في الدنيا فإنه لا يموت النبي حتى يخير بينهما (**فأجيب**) بالنصب عطفًا على يأتي (**وأنا تارك فيكم ثقلين**) بفتح المثلثة والقاف. قال النووي: قال العلماء: سميا ثقلين لعظمهما وكبر شأنهما (**أولهما كتاب الله**) يعني القرءان (**فيه الهدى**) ولم يقيد الهدى بالمتقين كما في ءاية البقرة إيماء إلى عموم هدايته أي دلالته لكل مسلم وكافر كما قال في الآية الأخرى ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ ﴿١٨٥﴾﴾ [سورة البقرة] (**والنور**) أي الإشراق والإضاءة (**فخذوا بكتاب الله**) الباء فيه مزيدة للتأكيد نبه عليه في «المصباح»، فقال أخذ الخطام وأخذ بالخطام على الزيادة أمسكه (**واستمسكوا به**) اطلبوا من أنفسكم الإمساك به، شبه تمسك الخلق به بالتمسك بالحبل الوثيق في الاعتصام وعدم الانفصام (**فحث**) بتشديد المثلثة أي حرض (**على كتاب الله**) أي على الأخذ به والتمسك بحبله (**ورغب**) بتشديد المعجمة أي زاد العباد رغبة (**فيه ثم قال: وأهل بيتي**) بالرفع أي وثاني المتروك فيكم المدعى حرمته أهل بيتي (**أذكركم الله**) بتشديد الكاف من التذكير، وهو الوعظ أي ءامركم بطاعة الله وبالقيام (**في أهل بيتي**) ثم كرر ذلك ثانيًا تأكيدًا فقال: (**أذكركم الله في أهل بيتي**) وفيه تأكيد الوصاية بهم وطلب العناية بشأنهم (**فقال له حصين**) في «الشفاء» «فقلنا له» (**ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس**)

نِساؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيتِهِ؟ قالَ: نِساؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلكِنْ أَهْلُ بيْتِهِ مَنْ حُرِم الصَّدقَةَ بعْدَهُ، قَال: ومَنْ هُم؟ قالَ: «هُمْ ءالُ علِيٍّ، وءالُ عَقِيلٍ، وءالُ جَعْفَر، وَءالُ عبَّاسٍ، قَالَ: كُلُّ هؤُلاءِ حُرِمَ الصَّدقَةَ؟ قَال: نعَمْ. رواه مسلم.

وفي روايةٍ: «أَلا وَإِنّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحدُهما كِتَابُ اللّهِ وَهُو حبْلُ اللَّهِ، منِ اتَّبَعه كَانَ عَلى الهُدى، ومَن تَرَكَهُ كانَ على ضَلالَةٍ».

استفهام تقريري وهو حمل المخاطب على الإقرار بمضمونه أي أما تقر بمضمون قولنا أليس **(نساؤه من أهل بيته قال: نساؤه من أهل بيته)** أعاده بلفظه ليحصل كمال المناسبة بين السؤال والجواب وخير الجواب ما كان من لفظ السؤال فنساؤه داخلات في ذلك ولا يدخلن فيمن حرم عليهم الصدقة اهـ **(ولكن أهل بيته)** أي المرادون عند الإطلاق كما في الآية والخبر **(من حرم)** عليهم **(الصدقة)** أي الواجبة **(بعده)** قال: **(ومن هم؟)** أي الذين تحرم عليهم الصدقة **(قال: هم ءال عليّ وءال عقيل وءال جعفر)** أولاد أبي طالب **(وءال عباس)** وبقي عليه باقي أولاد بني هاشم من ءال حمزة وأولاد أبي لهب، وكون ءاله مؤمني بني هاشم فقط قول الحنفية وهو أحد قولي الإمام مالك، والثاني وهو مذهب إمامنا الشافعي أنهم مؤمنو بني هاشم والمطلب، ويدل له قوله ﷺ: «نحن وبنو المطلب كشيء واحد» **(قال)** أي حصين **(كل هؤلاء حرم الصدقة)** بالنصب أي منع الصدقة أي الواجبة من زكاة ونذر وكفارة **(قال نعم. رواه مسلم)** في الفضائل، ورواه النسائي في المناقب.

(وفي رواية) هي لمسلم **(ألا)** أداة استفتاح يؤتى بها لتنبيه السامع لما بعدها اهتمامًا أي ألا أنبهك **(وإني تارك فيكم ثقلين)** وفي نسخة «الثقلين» **(أحدهما كتاب الله وهو حبل الله)** قال: النووي: «قيل المراد بحبل الله عهده، وقيل السبب الموصل إلى رضاه ورحمته» **(من اتبعه)** مؤتمرًا بأوامره منتهيًا عن نواهيه **(كان على الهدى)** الذي هو ضد الضلالة **(ومن تركه)** فأعرض عن أمره ونهيه **(كان على ضلالة)**.

٣٤٦ - وعَنِ ابنِ عُمرَ رضي اللَّهُ عنهما عن أَبي بَكْرٍ الصّدّيقِ رضي اللَّهُ عنه مَوْقُوفًا عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ: ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ في أَهْلِ بيتِهِ. رواه البخاري.

معنى «ارقبوا»: راعوه واحترموه وأكرموه.

٤٤ - باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم ورفع مجالسهم وإظهار مَزِيَّتِهِم

---

٣٤٦ - (**وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه موقوفًا عليه**) الموقوف: ما أضيف إلى الصحابيّ من قول أو فعل (**أنه قال: ارقبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته**) قال الحافظ ابن حجر: «المراقبة للشيء المحافظة عليه، يقول احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم» (**رواه البخاري. معنى ارقبوا**) أي مع المفعول كما يدل عليه ذكر الضمير في الأفعال المفسر بها وهي (**راعوه**) قال في النهاية: المراعاة الملاحظة (**واحترموه وأكرموه**) أي افعلوا ذلك معه بمراقبة أهل بيته وتعظيمهم ووادهم وحبهم والدخول في عقد ولائهم مع ولاء سائر من أمرت الشريعة بموالاته من الصحابة الأكرمين والعلماء العاملين والأولياء الكاملين أحيانا الله وأماتنا على محبتهم، وحشرنا في زمرتهم بمنه ءامين.

٤٤ - باب توقير العلماء

بالقاف من الوقار وهو التبجيل أي تعظيم العلماء أي بالعلوم الشرعية وءالاتها المطلوبة والمراد علماء السنة والجماعة لما ورد من الوعيد في تعظيم ذي البدعة (**والكبار**) بكسر الكاف: أي في السن وإن لم يكونوا أهل علم (**وأهل الفضل**) من الكرم والمروءة والشجاعة وغيرها من خصال الكمال التي بها تتفاضل الرجال (**وتقديمهم على غيرهم**) ممن لم يكونوا كذلك وظاهر تعبيره أنهم عند اجتماعهم يرتبون بترتيبهم في الذكر، فيقدم ذو العلم على ذي السن، وهو على من بعده (**ورفع مجالسهم**) وإن

قال الله تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴿٩﴾﴾ [سورة الزُّمَر].

٣٤٧ - وعن أَبي مَسْعُودٍ عُقبةَ بنِ عمرٍو البدريّ الأنصاريّ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكتَابِ اللّهِ، فَإِن كَانُوا في الْقِراءَةِ سَواءً فَأَعْلَمُهُم بِالسُّنَّةِ، فَإِن كَانُوا في السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِن كانُوا في الهِجْرَةِ سوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِنًّا،

كانوا هم ينبغي لهم أن لا يطلبوا رفعها تواضعًا واتباعًا لحديث «كان ﷺ يجلس حيث ينتهي به المجلس» **(وإظهار مزيتهم)** أداءً لحق ذي الحق.

(قال الله تعالى ﴿قُلْ هَلْ﴾) استفهام إنكاري ما (﴿يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾) أي قام بهم العلم المطلوب تعلمه (﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴿٩﴾﴾) أي لم يقم بهم ذلك فالفعل فيه في الموضعين منزل منزلة اللازم. قال البيضاوي: الآية نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم.

٣٤٧ - (وعن أبي مسعود عقبة) بالقاف **(ابن عمرو البدري)** نسب إليها لكونه سكنها **(الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يؤم القوم أقرؤهم)** أي أكثرهم قراءة **(لكتاب الله)** جملة خبرية لفظًا طلبية معنى أي ليؤمهم، ويدل عليه حديث «إذا كنتم ثلاثة فليؤمكم أكبركم» **(فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة)** قال القرطبي: تأول أصحاب الحديث بأن الأقرأ في الصدر الأول هو الأفقه لأنهم كانوا يتفقهون مع القراءة فلا يوجد قارئ إلا وهو فقيه، قال وكان من عرفهم تسمية الفقهاء بالقراء وقال القرطبي: السنة هي أحاديث السنن عن النبي ﷺ وقوله فإن كانوا في القراءة سواء هذا فيما كان أول الإسلام عند عدم التفقه كان المقدم الأقرأ **(فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة)** إلى النبي ﷺ، أو إلى دار الإسلام ويراعى ذلك في أولادهم وفيه فضل الهجرة، والأولى وإن انقطعت ففضيلتها باقية **(فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنًا)** قال النووي: «معناه إذا استويا في الفقه والقراءة والهجرة

ولا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ في سُلْطَانِهِ، وَلا يَقْعُدُ في بيْتِهِ على تَكْرِمتِهِ إلا بإِذْنِهِ». رواه مسلم.

وفي روايةٍ لَهُ: «فَأَقْدمهُمْ سِلْمًا» بَدل «سِنًّا»: أَي إِسْلامًا.

وفي رواية: «يَؤُمُّ الْقوْمَ أَقْرؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ وأَقْدمُهُمْ قِراءَةً، فَإِن كَانَتْ قِراءَتُهمْ سَواءً فَليَؤُمَّهُم أَقْدمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِن كَانوا في الهِجْرَةِ سوَاءً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا».

والمراد بسلطانه: محل ولايته والموضع الذي يختص به.

ورجح أحدهما بتقدم إسلامه أو بكبر سنه قدّم لأنها فضيلة يرجع بها» قوله (**ولا يؤمن الرجل الرجل**) مثلًا (**في سلطانه**) قال النووي: «معناه أن صاحب البيت والمجلس وإمام المسجد أحق من غيره» (**ولا يقعد في بيته على تكرمته**) في «القاموس» هي الوسادة (**إلا بإذنه**) وجه المنع من هذا ما فيه من التصرف في حق الغير بغير إذن، وإذا منع من التكرمة بغير الإذن مع التساهل فيها والتخفيف فيها، فالمنع من باقي حقوق الغير بغير إذنه أولى (**رواه مسلم**).

(**وفي رواية له: فأقدمهم سلمًا**) بكسر السين وسكون اللام (**بدل سنًا**) وفسر السلم بقوله (**أي إسلامًا**) قلت: لعله مأخوذ من السلم بمعنى الصلح لما فيه من الاستسلام لاستسلام المسلم وانقياده لأحكام مولاه.

(**وفي رواية**) هي لمسلم قال: قال رسول الله ﷺ (**يؤمّ القوم أقرؤهم لكتاب الله**) أي أرسخهم قدمًا في ذلك (**و**) يقدم من الأقرأ (**وأقدمهم قراءة**) وإن اختلفوا في تقدم الهجرة وتأخرها (**فإن كانت قراءتهم سواء فليؤمهم أقدمهم هجرة**) منصوب على التمييز (**فإن كانوا في الهجرة سواء**) أي وفي الأقرئية (**فليؤمهم أكبرهم سنًا**) لأنه أقرب إلى التوجه إلى المولى وأكثر عروضًا عن الدنيا وتوجهًا إلى الدار الآخرة. (**والمراد بسلطانه محل ولايته**) من بلد إذا كان أميرًا (**والموضع الذي يختص به**) من مسجد إن كان إمامًا راتبًا فيه أو بيته وأهله مطلقًا، فأمير البلد

و«تكرمته» بفتح التاء وكسر الراء: وهي ما ينفرد به من فراشٍ وسريرٍ ونحوهما.

٣٤٨ - وعنه قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسحُ منَاكِبَنا في الصَّلاةِ وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا وَلا تخْتلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِني مِنكُمْ أُولُو الأَحلامِ والنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهم ثُمَّ الذينَ يَلُونَهُم». رواه مسلم.

وقوله ﷺ: «لِيَلني» هو بتخفيف النون وليس قبلها ياءٌ،

وصاحب المنزل وإمام المسجد أحق بالإمامة من الغير وإن كان الغير أفقه وأقرأ (**وتكرمته بفتح التاء**) الفوقية وسكون الكاف (**وكسر الراء: وهي ما ينفرد به**) أي عن أهل منزله كرامة له (**من فراش وسرير ونحوهما**) وقال الشيخ زكريا في «شرح الأعلام»: وقيل مائدته.

٣٤٨ - (**وعنه قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة**) قال النووي: «أي يسوي مناكبنا في الصفوف ويعدلنا فيها» (**ويقول استووا ولا تختلفوا**) بأن يتقدم منكب بعضكم على منكب بعض. يؤخذ منه أن الإمام إذا سوّى الصفوف باليد يسن له أن يقول ما ذكر، وجمعه ﷺ بين الفعل والقول كما هنا (**فتختلف**) بالنصب لأنه جواب النهي (**قلوبكم**) أي أهويتها وإرادتها (**ليلني**) أي ليقرب مني في الصلاة (**منكم أولو الأحلام**) جمع حلم بالكسر كأنه من الحلم، وهو الأناة والتثبت في الأمر، وذلك من شعار العقلاء، وقال النووي: «أولو الأحلام هم العقلاء، وقيل البالغون» (**والنهى**) بضم النون: العقلاء (**ثم الذين يلونهم**) كالصبيان سواء المراهقون وغيرهم فهم في درجة واحدة (**ثم الذين يلونهم**) وهم الخناثى (**رواه مسلم**) وأبو داود، وفيه كما قال النووي تقديم الأفضل فالأفضل إلى الإمام لأنه أولى بالإكرام، ولا يختص هذا التقديم بالصلاة بل السنة تقديم أهل الفضل في كل مجمع إلى إمام وكبير المجلس كمجالس العلم والقضاء والذكر والتدريس والإفتاء واستماع الحديث ونحوها.

(**وقوله ﷺ: ليلني هو بتخفيف النون**) أي هي للوقاية (**وليس قبلها ياء**)

وروي بتشديد النُّون مع ياءٍ قبلها. و «النُّهَى»: العُقول. و«أولو الأحلام» هُمُ البَالِغون، وقيلَ: أهْل الحِلم والفضل.

٣٤٩ - وعن عبدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لِيلِني مِنْكُمْ أُولُو الأَحلام وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذينَ يلُونَهُمْ (ثَلاثًا)، وإِيَّاكُم وهَيْشَاتِ الأَسْواقِ». رواه مسلم.

٣٥٠ - وعن أَبي يحْيى وَقِيلَ: أَبي مُحمَّدٍ سَهْلِ بن أَبي حَثْمَةَ - بفتح الحاءِ المهملة وإِسكان الثاءِ المثلثةِ - الأَنصاريّ رضي اللَّهُ عنه

أي قد حذفت للجازم (**وروي بتشديد النون مع ياء قبلها**) كذا جعلها هنا رواية، وعبارته في شرح مسلم، ويجوز إثبات الياء مع تشديد النون على التوكيد اهـ (**والنهى العقول**) سكت عن كون النهى جمعًا أو مفردًا (**وأولو الأحلام هم البالغون**) اقتصر عليه ليكون العطف على أصله في المغايرة (**وقيل أهل الحلم**) أي الأناة والتثبت في الأمر (**والفضل**) أي العلم وعليه فيكون عطف أولي النهى عليه من عطف العام على الخاص.

٣٤٩ - (وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثلاثًا) أي كرّر ذلك ثلاث مرات، والتكرار باعتبار صفوف المأمومين، فالأولون البالغون والثانون الصبيان والثالثون الخناثى (**وإياكم**) أي احذروا أنفسكم (**وهيشات**) بفتح الهاء وسكون التحتية والشين المعجمة (**الأسواق**) أي اختلاطها والمنازعة والخصومات وارتفاع الأصوات واللغط والفتن التي فيها (**رواه مسلم**).

٣٥٠ - (وعن أبي يحيى، وقيل أبي محمد: سهل) بفتح المهملة وسكون الهاء (**ابن أبي حثمة بفتح الحاء المهملة وإسكان الثاء المثلثة**) واسم أبي حثمة عبد الله بن ساعدة (**الأنصاري**) الخزرجي الأوسي الحارثي (**رضي الله عنه**) وهو مدني، توفي النبيّ ﷺ وهو ابن ثمان سنين

قال: انْطَلَق عبْدُ اللّهِ بنُ سهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ بنُ مَسْعُودٍ إلى خَيْبَرَ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صُلْحٌ فَتَفَرَّقَا، فَأَتَى مُحَيصةُ إلى عبدِ اللّهِ بنِ سهلٍ وهو يَتَشَحَّطُ في دمِهِ قَتِيلاً فَدَفَنَهُ ثُمَّ قَدِمَ المدِينَةَ فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرحْمٰنِ بْنُ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ وَحُوَيّصةُ ابْنَا مسْعُودٍ إلى النَّبِي ﷺ، فَذَهَب عَبْدُ الرَّحْمٰنِ يَتَكَلَّمُ فقال: «كَبِّرْ كَبِّرْ» وَهُوَ أَحْدَثُ القَوْم فَسَكَتَ، فَتَكَلَّمَا فقال:

(**قال: انطلق عبد الله بن سهل**) الأنصاري الحارثي (**ومحيصة**) بتشديد التحتية وتخفيفها لغتان مشهورتان فيه (**ابن مسعود**) الأنصاري (**إلى خيبر**) البلدة المعروفة (**وهي يومئذٍ صلح**) أي مع النبيّ ﷺ أي بعد فتحها وإقرار أهلها عليها صلحًا (**فتفرقا**) لحوائجهما (**فأتى محيصة إلى عبد الله بن سهل وهو يتشحط**) أي يتخبط ويضطرب (**في دمه قتيلاً**) حال من فاعل يتشحط (**فدفنه ثم قدم**) بكسر الدال (**المدينة**) علم بالغلبة على دار هجرته ﷺ مأخوذة من دان إذا أطاع وهي محل الدين في الحديث «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» (**فانطلق عبد الرحمٰن بن سهل**) أخو المقتول (**ومحيصة وحويصة**) بتشديد الياء على المشهور فيهما كما تقدم (**ابنا مسعود**) ابنا ابن عم أبي المقتول (**إلى النبي ﷺ فذهب عبد الرحمٰن**) قال الشيخ زكريا في «شرح الأعلام» وفي رواية «محيصة» (**يتكلم**) فيجوز أن يكون كل منهما ذهب يتكلم وكان حويصة أكبر منهما والجملة في محل الحال (**فقال**) النبي ﷺ للمتكلم (**كبر كبر**) بتشديد الموحدة: أي راع الكبر بضم الكاف قال المصنف: معناه يريد الكبر في السن اهـ (**وهو**) أي عبد الرحمٰن (**أحدث القوم**) سنًا وأسن منه محيصة وأسن منهما حويصة (**فسكت فتكلما**) بأن يذكر الأصغر الأكبر ما نسيه. قال النووي: «واعلم أن حقيقة الدعوى إنما هي لأخيه عبد الرحمٰن لا حق فيها لابني عمه، وإنما أمر ﷺ أن يتكلم الأكبر وهو حويصة لأنه لم يكن المراد بكلامه حقيقة الدعوى بل سماع صورة القصة وكيف جرت، فإذا أراد حقيقة الدعوى تكلم صاحبها» (**فقال**:

«أَتَحلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ؟» وَذَكَر تَمامَ الحدِيث. متفقٌ عليه.

وقوله ﷺ: «كبِّر كبِّر»: معناه: يتكلَّم الأكبر.

٣٥١ - وعن جابرٍ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَجْمَعُ بيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِن قَتْلَى أُحُدٍ يَعْني في القَبْرِ، ثُمَّ يقُولُ: «أَيُّهُما أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرءانِ؟» فَإِذَا أُشِيرَ إِلى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ في اللَّحْد. رواه البخاري.

٣٥٢ - وعن ابنِ عمرَ رضي اللَّهُ عنهما أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أَرَاني في المَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ

أتحلفون) أي خمسين يمينًا كما جاء في رواية (**وتستحقون قاتلكم**) أي يثبت حقكم عليه (**وذكر تمام الحديث**) مما لا يتعلق به غرض الترجمة وهو تقديم أهل الفضل والسن (**متفق عليه**) أخرجه البخاري في خمسة أماكن من «صحيحه».

(**وقوله ﷺ: كبر كبر**) بالتكرير للتأكيد (**معناه يتكلم**) أي ليتكلم (**الأكبر**) أي في السن.

٣٥١ - (**وعن جابر رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ كان**) للحاجة من كثرة القتلى وقلة العمال (**يجمع بين الرجلين من قتلى أحد**) بضمتين الجبل المعروف بالمدينة، وكانت غزوته سنة أربع من الهجرة على قول الأكثر. وقوله: (**يعني في القبر**) بيان للمجموع فيه، وخرج به الكفن فكان كل يفرد بكفنه (**ثم يقول: أيهما أكثر أخذًا**) أي حفظًا (**للقرءان، فإذا أشير**) أي بكثرة الأخذ (**إلى أحدهما**) أي الرجلين (**قدمه في اللحد**) إلى جهة القبلة من غيره ولو أسن منه تعظيمًا له أو تشريفًا لما خص به من أكثرية الأخذ للقرءان (**رواه البخاري**) في الجنائز وفي المغازي.

٣٥٢ - (**وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال أراني**) قال الحافظ في «الفتح»: «بفتح الهمزة من الرؤية ووهم من ضمها» (**في المنام**) مصدر ميمي أي النوم، والظرف في محل الحال، وجملة (**أتسوك**) بتشديد الواو في محل المفعول الثاني (**بسواك**) الباء فيه

فَجَاءَني رَجُلانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ، فَنَاوَلْتُ السِوَاكَ الأَصغَرَ فقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعتُهُ إِلى الأَكْبَرِ مِنْهُمَا». رواه مسلم مُسْنَدًا، والبخاري تعلِيقًا.

٣٥٣ - وعن أَبي موسى رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ إِجلالِ اللّهِ تعالى إِكْرَامَ ذِي الشَّيبةِ المُسْلِم، وَحَامِلِ الْقُرءانِ غَيْرِ الْغَالي فِيهِ

للاستعانة (**فجاءني رجلان**) في المنام (**أحدهما أكبر من الآخر، فناولت السواك الأصغر**) لعلة أو لمعنى رءاه ﷺ فيه من علم أو نحوه (**فقيل لي كبر**) بتشديد الموحدة قال الحافظ: «قائل ذلك جبريل عليه السلام كما في رواية ابن المبارك» (**فدفعته إلى الأكبر منهما**) قال ابن بطال: فيه تقديم ذي السن في السواك، ويلتحق به الطعام والشراب والمشي والكلام (**رواه مسلم**) في الرؤيا وفي ءاخر الكتاب (**مسندًا**) عن نصر بن علي عن أبيه عن صخر بن جويرية عن رافع عن ابن عمر (**ورواه البخاري تعليقًا**) بصيغة الجزم.

٣٥٣ - (وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن من إجلال الله) أي من تعظيمه وتبجيله (**إكرام ذي**) أي صاحب (**الشيبة المسلم**) الذي شاب شعره أي ابيضّ ونفذ عمره في الإسلام والإيمان فتعظيمه وتقديمه في الصلاة بشرطه على غيره وفي المجامع والمجالس وفي القبر وغيره والرفق به والشفقة عليه من كمال تعظيم الله لحرمته عند مولاه سبحانه (**وحامل القرءان**) أي قارئه، سمي حاملًا لما تحمل في حفظه من الدرس والمشقة في تفهمه والعمل بأحكامه وتدبره فهو كحامل لمشاق كثيرة تزيد على الأحمال الثقيلة (**غير**) بالنصب على الاستثناء وبالجر على الوصفية (**الغالي**) بالمعجمة (**فيه**) المتجاوز الحد في التشدد والعمل به وتتبع ما خفي منه واشتبه عليه من معانيه، والكشف عن دقيق علله التي لا يصلح فيها عقله بما يبتدعه في الدين ليضلّ ويضلّ غيره

والجَافي عنْهُ، وإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المُقْسِطِ». حديثٌ حسنٌ رواه أَبو داود.

٣٥٤ - وعنْ عَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ عن أَبيهِ عن جده رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَن لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا». حديثٌ صحيحٌ رواه أَبو داود والترمذي، وقال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وفي رواية أَبي داود: «حَقَّ كَبِيرِنَا».

ويجاوز حدود قراءته ومخارج حروفه ومده **(والجافي عنه)** أي التارك له البعيد عن تلاوته والعمل بما فيه فإن هذا من الجفاء وهو البعد عن الشيء . والغلوّ: التشديد في الدين ومجاوزة الحد، والتجافي: البعد عنه. **(وإكرام ذي)** أي صاحب **(السلطان)** أي الملك والتسلط **(المقسط)** بضم الميم أي العادل في حكمه بين رعيته **(حديث حسن رواه أبو داود)** في الأدب من سننه.

٣٥٤ - (وعن عمرو بن شعيب عن أبيه) شعيب **(عن جده)** أي جد أبيه أي إن أباه رواه عن جده وهو عبد الله بن عمرو **(رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ليس منا)** أي من أهل سنتنا وهدينا وطريقتنا **(من لم يرحم صغيرنا)** أي الصغير من المسلمين بأن يشفق عليه ويرحمه ويحسن إليه ويلاعبه **(ويعرف شرف كبيرنا)** أي بما يستحقه من التعظيم والإجلال والتبجيل وتوضحه رواية أحمد «ليس من أمتي من لم يجلّ كبيرنا» ولأحمد والترمذي وابن حبان في صحيحه «ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر» **(حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي)** في أبواب البر **(وقال الترمذي: حديث حسن صحيح)** الذي في «الجامع» وقال: حسن صحيح **(وفي رواية أبي داود: حق كبيرنا)** أي عبر بحق بدل شرف.

٣٥٥ - وعن مَيْمُونِ بن أَبي شَبِيبٍ أَنَّ عَائشَةَ رضي اللَّهُ عنها مَرَّ بِها سَائِلٌ فَأَعْطَتْهُ كِسْرَةً، ومَرَّ بِهَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ وهَيْئَةٌ فَأَقْعَدتْهُ فَأَكَل فَقِيلَ لهَا في ذلكَ؟ فقالت: قال رسول الله ﷺ: «أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ». رواه أَبو داود، لكِن قال: مَيْمُونُ لَمْ يُدْرِك عائِشَةَ.

وَقَدْ ذَكَرَهُ مُسْلمٌ في أَوَّلِ صَحِيحهِ تَعلِيقًا فقال: «وَذُكِرَ عَنْ عائِشَةَ رضي اللَّهُ عنها

---

٣٥٥ - (**وعن ميمون**) بفتح الميم الأولى وسكون التحتية (**ابن أبي شبيب**) بفتح المعجمة وكسر الموحدة بوزن حبيب وهو الربعي أبو نصر الكوفي. قال الحافظ في «التقريب»: صدوق كثير الإرسال من الثالثة، مات سنة ثلاث وثمانين في وقعة الجماجم (**أن عائشة رضي الله عنها مرّ بها سائل**) أي متعرض بالسؤال لطلب الإحسان (**فأعطته كسرة**) بكسر الكاف وسكون المهملة وهي هنا القطعة المكسورة من الخبز والجمع كسر كسدرة وسدر (**ومرّ بها رجل عليه ثياب وهيئة**) هي في اللغة الحالة الظاهرة، والمراد هنا حالة حسنة (**فأقعدته فأكل**) ولفظ أبي نعيم في «الحلية» «فمرّ رجل غنيّ ذو هيئة فقالت ادعوه، فنزل فأكل ومضى، وجاء سائل فأمرت له بكسرة فأكل فقالت: إن هذا الغنيّ لم يحمل بنا إلا ما صنعناه به وإن هذا السائل سأل فأمرت له بما يرضاه وإن رسول الله ﷺ أمرنا أن ننزل الناس منازلهم» (**فقيل لها في ذلك فقالت: قال رسول الله ﷺ: أنزلوا الناس منازلهم**) هو حض على مراعاة مقادير الناس ومراتبهم ومناصبهم وتفضيل بعضهم على بعض في المجالس وفي القيام والمخاطبة والمكاتبة وغير ذلك من الحقوق قال العلماء: في الحديث أن العالم إذا فعل شيئًا يخفى أمره وسئل عن ذلك يستدل بالحديث النبوي إذ هو من أقوى الحجج الشرعية وهو أبلغ من ذكر الحكم بلا دليل (**رواه أبو داود**) في الأدب من سننه (**لكن قال**) أبو داود (**ميمون لم يدرك عائشة**) أي فالحديث منقطع (**وقد ذكره مسلم في أول صحيحه تعليقًا**) وهو في مسلم قليل جدًا (**فقال: وذكر**) بالبناء للمفعول (**عن عائشة رضي الله عنها**) قال

قالت: أَمرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أَن نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»، وَذَكَرَهُ الحاكِمُ أَبُو عبدِ اللّهِ في كِتابِهِ «مَعرفَة عُلُومِ الحَديث» وقال: هو حديثٌ صحيح.

٣٥٦ - وعنِ ابنِ عباسٍ رضي اللَّهُ عنهما قال: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ فَنَزَلَ عَلى ابْن أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنيهِمْ عُمَرُ رضي اللَّهُ عنه، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا،

النووي: هو بالنظر إلى أن لفظه ليس جازمًا لا يقتضي حكمه بصحته **(قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل)** بضم النون الأولى وسكون الثانية مضارع أنزل وفي رواية بضم الأولى وفتح الثانية وتشديد الزاي وهي المشهورة **(الناس منازلهم وذكره الحاكم أبو عبد الله)** بن الربيع بفتح الموحدة وتشديد التحتية **(في كتابه معرفة علوم الحديث)** في النوع السادس عشر **(قال: وهو حديث صحيح)** وعبارته «صحت الرواية عن عائشة رضي الله عنها» وهذا الحديث مما أدب به النبيّ ﷺ أمته في إيفاء الناس حقوقهم من تعظيم العلماء وإكرام ذي الشيبة وإجلال الكبير وما أشبهه.

٣٥٦ - (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة) بضم العين وفتح التحتية الأولى وسكون الثانية بعدها نون فهاء **(ابن حصن)** بكسر المهملة الأولى أسلم بعد الفتح وقيل قبله **(فنزل على ابن أخيه الحر)** بضم المهملة وتشديد الراء **(ابن قيس)** والحرّ صحابي أحد الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك **(وكان)** أي الحر **(من النفر)** بفتح النون والفاء وهو كما في المصباح جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة **(الذين يدنيهم)** بضم التحتية الأولى أي يقربهم **(عمر رضي الله عنه)** منه لعلمهم وعملهم **(وكان القراء أصحاب مجلس عمر)** المقدمين فيه **(و)** أصحاب **(مشاورته)** مصدر شاورته في الأمر، قال في «المصباح»: شاورته في كذا واستشرته فيه راجعته لأرى رأيه فيه؛ فأشار علي بكذا أي أراني ما عنده من المصلحة **(كهولا كانوا أو شبانا)** وهو

فقال عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هذَا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِن لِي عَلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ فلما دَخَل قال: هِيْ يا ابْنَ الخَطَّابِ فَوَاللّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلا تَحْكُمُ فِينَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ رضي اللَّهُ عنه حَتَّى هَمَّ أَن يُوقِعَ بِهِ، فقال لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ إِنَّ اللّه تعالى قال لِنَبِيّهِ ﷺ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف] **وإن هذا مِنَ الجاهِلِينَ. واللّهِ**

بضم الشين المعجمة وتشديد الموحدة الأولى جمع شاب كفارس وفرسان والشباب قبل الكهولة، وفيه تقديم أولي الفضل على من عداهم وإن كانوا دونهم في السن أو في النسب والحسب (**فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي: لك وجه**) أي تقدم (**عند هذا الأمير**) يعني عمر (**فاستأذن لي عليه**) أي اسأل لي منه الإذن في الدخول عليه قال الحافظ ابن حجر: «أي في خلوة وإلا فعمر كان لا يحتجب إلا وقت خلوته وراحته» (**فاستأذن فأذن له عمر فلما دخل**) معطوف على مقدر أي دخل؛ فلما دخل (**قال: هي**) بكسر الهاء وسكون التحتية كلمة تهديد، (**يا ابن الخطاب**) بفتح المعجمة وتشديد المهملة (**فوالله ما تعطينا الجزل**) أي ما يجزل لنا من العطاء (**ولا تحكم فينا بالعدل**) هو خلاف الجور (**فغضب عمر رضي الله عنه**) لما نسبه إليه من الجور (**حتى هم**) بتشديد الميم أي أراد (**أن يوقع**) بضم التحتية (**به**) أي من العقوبة أو شيئًا من الإيقاع وذلك لجفائه وسوء أدبه معه (**فقال له الحرّ: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾**) أي وقوله ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴿١٩٩﴾﴾ أي لا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد، وقوله ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴿١٩٩﴾﴾ أي بالمعروف المستحسن من الأفعال، وقوله ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ أي فلا تمارهم ولا تكافئهم في مثل أفعالهم، وهذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق ءامرة للرسول باستجماعها (**وإن هذا من الجاهلين**) أي المأمور بالإعراض عنهم (**والله**) وفي نسخة «ووالله» الواو الأولى عاطفة على فقال له الحر والثانية

ما جاوزَهَا عُمرُ رضيَ اللَّهُ عنهُ حِينَ تَلاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ الله تعالى. رواه البخاري.

٣٥٧ - وعن أَبي سعيدٍ سَمُرةَ بنِ جُنْدُبٍ رضي اللَّهُ عنه قال: لَقَدْ كنْتُ عَلى عهْدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ غُلامًا فَكُنْتُ أَحفَظُ عنْهُ فَمَا يَمْنَعُني مِنَ القَوْلِ إِلا أَنَّ هَـٰهُنَا رِجالاً هُمْ أَسنُّ مِنّي. متفقٌ عليه.

٣٥٨ - وعن أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنّهِ إِلا قَيَّضَ اللّهُ لَهُ مَن يُكْرِمُهُ عِنْد سِنّه».

للقسم (**ما جاوزها عمر رضي الله عنه**) أي بالمخالفة لها (**حين تلاها عليه**) قال الحافظ ابن حجر: «ما عمل بغير ما دلت عليه بل عمل بمقتضاها» ووقف عندها فأعرض عن مكافأة جهله (**وكان وقافًا**) بتشديد القاف (**عند**) أوامر (**كتاب الله تعالى**) يعني القرءان كناية عن امتثالها والقيام بأداء ما أمر بأدائه وترك ما نهي عنه (**رواه البخاري**) في كتاب التفسير والاعتصام من صحيحه.

٣٥٧ - (وعن أبي سعيد سمرة) بفتح السين وضم الميم (**ابن جندب**) بضم الجيم والدال المهملة وفي نسخة بفتح الدال بينهما نون ساكنة الفزاري الصحابي (**رضي الله عنه**) توفي أبوه وهو صغير فقدمت به أمه المدينة فتزوّجها أنصاري وكان في حجره حتى كبر (**قال: لقد كنت على عهد**) أي زمن حياة (**رسول الله ﷺ غلامًا**) تقدم ما يؤخذ منه أن سنه كانت عند وفاة النبيّ ﷺ نيفا وعشرين سنة، فالمراد من الغلام الصغير في السن (**فكنت أحفظ عنه**) معطوف على كنت الأوّل (**فما يمنعني من القول**) أي من التحديث (**إلا أن هٰهنا رجالاً هم أسنّ مني متفق عليه**).

٣٥٨ - (وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما أكرم شاب) بتشديد الموحدة (**شيخًا**) أي داخلًا في سن الشيخوخة وهو ما بعد الخمسين (**لسنه**) أي لأجل كبره (**إلا قيض**) بتشديد التحتية والضاد المعجمة أي قدر (**الله من يكرمه عند سنه**) أي كبره، ففيه إيماء إلى وعد

رواه الترمذي وقال غريب.

٤٥ - باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم وزيارة المواضع الفاضلة

قال الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ

من أكرم شيخًا لسنه لله تعالى بأن يطول عمر المكرم حتى يبلغ ذلك السن ويقدر الله له من يقوم بكرامته فيدان بما دان به (**رواه الترمذي وقال: غريب**).

٤٥ - باب زيارة أهل الخير

أي قصدهم تشوّقًا إليهم. والمراد من أهل الخير حزب الله المنقطعون إليه اللائذون به الحائزون لشرف العلم والعمل به مع الإخلاص فيه، ومن تشبه بقوم فهو منهم، وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم أماتنا الله على محبتهم وحشرنا كذلك في زمرتهم (**ومجالستهم**) أي ليحفظ نفسه ذلك الزمن عن المخالفة لمولاه فإن ذلك أقل ثمرات مجالستهم، ويراعي في ذلك الأدب ويحفظ نفسه من الخواطر بين يدي أهل الله تعالى (**وصحبتهم**) أي المصاحبة معهم (**ومحبتهم**) أي تعاطي ما يوصل إليها (**وطلب زيارتهم والدعاء منهم**) واستحباب طلبه لزيارتهم له لتعود بركتهم على منزله ومن به وطلبه لدعائهم له لأنه أقرب إلى الإجابة وأرجى إلى الحصول (**وزيارة**) أي وزيارته (**المواضع الفاضلة**) وفضلها بكونها مساجد أو بكونها مأثورات عن النبيّ ﷺ أو عن أحد من الصحابة أو عن متعبدات الأولياء الصالحين فالمكان بالمكين.

(**قال تعالى** ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾) أي واذكر إذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون بن أفراثيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام، فإنه كان يخدمه ويتبعه ولذا سمي فتاه وقيل لعبده (﴿لَآ أَبْرَحُ﴾) لا أزال أسير

حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾ **إلى قوله تعالى** ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الكهف]،

(﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾) من حيث إنها تستدعي ذا غاية عليه، ومجمع البحرين ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق، وعد لقاء الخضر فيه (﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾﴾) أي أسير زمنًا طويلًا؛ والمعنى: حتى يقع إما بلوغ المجمع أو مضي الحقب وهو الدهر، وكان الخضر في أيام أفرندون وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى (﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا﴾) أي مجمع البحرين (﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾) أي نسي[1] موسى أن يطلبه ويتعرف حاله ويوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر، وكان الحوت مشويًا فوثب في ذلك المكان في البحر معجزة لموسى أو الخضر وكان ذلك العلامة من الله تعالى لموسى على مكان الخضر (﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ﴿٦١﴾﴾) فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكًا وسربًا مفعول ثان وفي البحر حال منه أو من السبيل (﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾) مجمع البحرين (﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾) أي ما نتغذى به (﴿لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ﴾) أي أرأيت ما دهاني إذ أوينا (﴿إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ﴾) يعني التي وعد عندها موسى بلقاء الخضر (﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ﴾) أي فقدته أو نسيت ذكره بما رأيت منه (﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ﴾) وهو اعتذار عن نسيانه لشغل الشيطان له بوسواسه (﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴿٦٣﴾﴾) سبيلًا عجبًا أي واتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبًا (﴿قَالَ ذَٰلِكَ﴾) أي أمر الحوت (﴿مَا كُنَّا نَبۡغِۚ﴾) نطلب لأنه أمارة المطلوب (﴿فَٱرۡتَدَّا﴾) فرجعا (﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾) في الطريق التي ذهبا منها (﴿قَصَصٗا ﴿٦٤﴾﴾) يقصان قصصًا أي يتبعان ءاثارهما اتباعًا أو مقتصين حتى أتيا الصخرة (﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ﴾) الجمهور أنه الخضر واسمه بليا بن ملكان (﴿ءَاتَيۡنَٰهُ﴾)

(١) قال ابن حجر: المراد أن الفتى نسي أن يخبر موسى بقصة الحوت ونسي موسى أن يستخبره عن شأن الحوت.

وقال تعالى ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الكهف].

٣٥٩ - وعن أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه قال: قال أَبو بكرٍ لِعمرَ رضي اللَّهُ عنهما بعْدَ وَفَاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ: انْطَلِقْ بِنَا إِلى أُمّ أَيْمنَ رضي اللَّهُ عنها نَزُورُهَا

بالمد أعطيناه (﴿رَحْمَةً﴾) هي الوحي والنبوة (﴿مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾) مما يختص بنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا (﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ ﴿٦٦﴾﴾) في هذا دليل لزيارة أهل الخير في أماكنهم ومصاحبتهم ومجالستهم والتواضع معهم.

(**وقال تعالى** ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴿٢٨﴾﴾).

٣٥٩ - (وعن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما بعد) ظرف للقول **(وفاة رسول الله ﷺ انطلق بنا إلى أم أيمن)** مولاة رسول الله ﷺ **(رضي الله عنها)** صارت إليه بالإرث من أبيه قاله بعض، وقال القرطبي: كانت لأمه ءامنة فورثها عنها، وفي «فتح الباري» في أواخر كتاب الهبة قال ابن شهاب: كان من شأن أم أيمن أنها كانت وصيفة[1] لعبد الله بن عبد المطلب وكانت من الحبشة فلما ولدت ءامنة رسول الله ﷺ بعد ما توفي أبوه كانت أم أيمن تحضنه حتى كبر فأعتقها ﷺ ثم أنكحها زيد بن حارثة، وتوفيت بعده ﷺ بخمسة أشهر واسمها بركة بنت ثعلبة وهي أم أسامة بن زيد تزوجها زيد بن حارثة بعد عبيد الحبشي فولدت له أسامة يقال لها مولاة رسول الله ﷺ وخادمه، هاجرت في حرّ شديد من مكة إلى المدينة وليس معها أحد، فبينا هي كذلك إذ سمعت حفيفًا فوق رأسها فالتفتت فإذا دلو أدلي لها من السماء فشربت منها فلم تظمأ بعدها أبدًا، وكانت تتعمد الصوم في خيار القيظ لتعطش فلا تعطش **(نزورها)**

---

(١) الوصيفة: الجارية (مختار الصحاح، ص/ ٣٠٢).

كَما كَان رسولُ اللَّهِ ﷺ يزُورُهَا، فلَمَّا انْتَهَيا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ أَما تَعْلَمِينَ أَنَّ ما عِنْدَ اللّهِ خيرٌ لِرسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فقالت: إِنّي لا أَبْكِي أني لا أَعْلَمُ أَنَّ ما عِنْدَ اللَّهِ تعالى خَيْرٌ لرسولِ اللَّهِ ﷺ، ولكِنْ أَبْكِي أَنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّماءِ فَهَيَّجتْهُما على البُكَاءِ فَجعلا يَبْكِيانِ معهَا. رواه مسلم.

جملة مستأنفة (**كما كان رسول الله ﷺ يزورها**) كرامة لها وكان يقول أم أيمن أمي، وكان ﷺ يكرمها ويبرّها مبرّة الأم ويكثر زيارتها، وقال النووي: «في هذه الجملة زيارة الصالحين وفضلها وزيارة الصالح لمن هو دونه، وزيارة الإنسان لمن كان صديقه يزوره ولأهل ود صديقه، وزيارة جماعة من الرجال للمرأة الصالحة وسماع كلامها واستصحاب العالم والكبير صاحبًا له في العيادة والزيارة ونحوهما» (**فلما انتهيا إليها بكت**) تذكرًا لعهد المصطفى ﷺ وزيارتها برؤيتها لكثرة ملازمتها له وعدم مفارقتها له في الغالب (**فقالا لها ما يبكيك أما**) استفهام تقريري (**تعلمين أن ما**) أي الذي (**عند الله**) مما أعد لنبيه مما لا تستطيع العبارة الإعراب عن أدناه فضلًا عن أقصاه (**خير لرسول الله ﷺ**) قال تعالى ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ [سورة الضحى] (**قالت: إني لا أبكي أني**) أي لأني (**لا أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ**) أي لا أبكي لجهلي بأخيرية ما عند الله له وأنا أعلم ذلك كما جاء عنها عند ابن ماجه قالت: «إني لأعلم أن ما عند الله خير لرسوله» (**ولكن أبكي أن**) أي لأن (**الوحي قد انقطع من السماء**) أي لانقطاع الوحي من السماء عن الأرض بموته ﷺ وانقطاع الوحي سبب اختلاف مذاهب الناس ووقوع التنازع والفتن وحصول المصائب والمحن، ولذا نجم بعده النفاق وفشا الارتداد والشقاق (**فهيجتهما**) بتشديد التحتية (**على البكاء**) أي أثارتهما عليه بذكرها ما يدعو إليه (**فجعلا**) من أفعال الشروع أي فشرعا (**يبكيان معها**) قال المصنف: فيه البكاء حزنًا على فراق الصالحين والأصحاب وإن كانوا قد انتقلوا إلى أفضل مما كانوا عليه (**رواه مسلم**) في باب فضل أم أيمن ورواه ابن ماجه.

٣٦٠ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه عن النَّبيّ ﷺ «انَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ في قَريَةٍ أُخْرَى، فَأَرصَدَ اللَّهُ تعالى على مَدْرَجَتِهِ ملَكًا، فَلَمَّا أَتَى علَيْهِ قال: أَيْن تُريدُ؟ قال: أُرِيدُ أَخًا لي في هذِهِ الْقَرْيةِ. قال: هَل لَكَ علَيْهِ مِن نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قال: لا غَيْرَ أَنّي أَحْبَبْتُهُ في اللّهِ، قال: فَإِنّي رسولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بأَنَّ اللَّهَ قَد أَحبَّكَ كَما أَحبَبْتَهُ فِيهِ». رواه مسلم.

يقال: أرصده لكذا: إذا وكله بحفظه. و«المَدرَجة»: بفتح الميم والراء: الطريقُ. ومعنى «تَرُبُّهَا» تقوم بها وتَسعى في صلاحها.

---

٣٦٠ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن رجلاً زار أخًا له) أي في الدين، وقوله: **(في قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجته)** أي في طريقه **(ملكًا فلما أتى)** أي مر الرجل **(عليه قال)** ظاهره أن الملك خاطبه وشافهه **(أين تريد)** واستفهم عنه مع إطلاع الله له على ذلك **(قال أريد أخًا لي)** كائنًا **(في هذه القرية قال: هل لك عليه من نعمة)** أي عطية وإحسان **(تربها)** عليه بضم الراء والموحدة المشددة قال النووي: «أي تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك» **(قال لا)** أي لا نعمة لي أربها بزيارته. قال القرطبي: أي لم أزره لغرض من أغراض الدنيا اهـ. قوله **(غير)** أي لكن **(أني أحببته في الله)** في تعليلية ومنه حديث «عذبت امرأة في هرّة حبستها» الحديث **(قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)** الكاف في كما في محل المفعول المطلق **(رواه مسلم)** قال النووي: «قال العلماء: محبة الله عبده هي رحمته له ورضاه عنه وإرادته له الخير». وفي الحديث ما يدل على عظم فضل الحب في الله والتزاور فيه وأنه من أعظم الأعمال وأفضل القرب إذا تجرد عن هوى النفس، قال ﷺ: «من أحبّ وأبغض لله وأعطى لله ومنع فقد استكمل الإيمان» **(يقال أرصده لكذا: إذا وكله بحفظه)** فمعنى أرصد الله على مدرجته ملكًا أي جعله يرتقبه وينتظره ليبشره. **(والمدرجة بفتح الميم والراء)** وسكون الدال المهملة بينهما وبعد الراء جيم ثم هاء **(الطريق ومعنى تربها تقوم بها وتسعى في صلاحها)** أي فيتعاهده بسبب ذلك.

٣٦١ - وعنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن عَادَ مَريضًا أَو زَارَ أَخًا في اللَّهِ نَادَاه مُنَادٍ: بِأَن طِبْتَ وطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ منْزِلا». رواه الترمذي وقال: حسنٌ، وفي بعض النسخ: حَسَنٌ غريبٌ.

٣٦٢ - وعن أَبي موسى الأَشْعَرِيّ رضيَ اللّهُ عنه أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إِنَّما مثَلُ الجلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الْكِير، فَحامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَن يُحذِيَكَ وَإِمَّا أَن تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَن تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً،

---

٣٦١ - (وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عاد مريضًا أو زار أخًا في الله) مخلصًا في ذلك سبحانه (ناداه مناد) أي من الملائكة (طبت) أي انشرحت بما لك عند الله تعالى من جزيل الأجر في ذلك، أو طهرت من الذنوب بغفرانه لك بذلك (وطاب ممشاك) أي عظم ثوابه (وتبوأت من الجنة منزلاً») أي اتخذت منها دارًا تنزله (رواه الترمذي، وقال: حسن، وفي بعض النسخ) حديث (حسن غريب).

٣٦٢ - (وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: إنما) أداة حصر على الراجح (مثل) بفتحتين الشأن العجيب والأمر الغريب، ويقال بكسر فسكون، أي نظير (الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك) أعم من أن يكون صاحبه أو غيره (ونافخ الكير) وهو بكسر الكاف وسكون التحتية معروف وحقيقته البناء الذي يركب عليه الزق، والزق: هو الذي ينفخ فيه فأطلق على الزق اسم الكير مجازًا لمجاورته له (فحامل المسك إما أن يحذيك) بضم التحتية أوله وسكون الحاء المهملة وبالذال المعجمة: أي يعطيك وزنا ومعنى (وإما أن تبتاع) أي تطلب البيع (منه) وفيه جواز بيع المسك والحكم بطهارته لأنه ﷺ مدحه ورغَّب فيه (وإما أن تجد) من الوجدان بكسر الواو (ريحًا طيبة) أي فجليس الأخيار إما أن يعطى بمجالستهم من الفيوض الإلٰهية أنواع

وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَن يُحرِقَ ثِيابَكَ وَإِمَّا أَن تَجِدَ ريحًا مُنْتِنَةً». متفقٌ عليه.

يُحذيك: يعطيك.

٣٦٣ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه عن النَّبيّ ﷺ قال: «تُنْكَحُ المَرأَةُ لأربع: لِمالِهَا وَلِحَسَبِهَا

الهبات حباء وعطاء وإما أن يكتسب من المجالس خيرًا وءادابًا يكتسبها عنه، ويأخذها منه وإما أن يكتسب حسن الثناء بمخاللته ومخالطته **(ونافخ الكير)** هو بكسر الكاف وسكون التحتية **(إما أن يحرق ثيابك)** بناره إن وصلت إليها **(وإما أن تجد)** منه **(ريحًا منتنة)** بضم الميم وكسر المثناة الفوقية أي قبيحة متغيرة، أي فجليس الصاحب السيء إما أن يحترق بشؤم معاصيه، قال تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأنفال] وقال تعالى ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴿١١٣﴾﴾ [سورة هود] وإما أن يدنس ثناءه بمصاحبته، وقد ورد «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» قال الحافظ ابن حجر: «وفي الحديث النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيها» **(متفق عليه يحذيك: يعطيك)** وزنًا ومعنًى.

٣٦٣ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: تنكح) بالبناء للمفعول أي تتزوج **(المرأة لأربع)** أي من الخصال **(لمالها ولحسبها)** بفتح المهملتين وبالباء الموحدة: أي نسبها بأن تكون طيبة الأصل، وفي «المصباح»: الحسب ما يعد من المآثر. قال: وقوله عليه الصلاة والسلام: «تنكح المرأة لحسبها» أَحوجَ أهل العلم إلى معرفة الحسب لأنه مما يعتبر في مهر المثل، فالحسب الفعال له ولآبائه، مأخوذ من الحساب وهو عد المناقب لأنهم كانوا إذا تفاخروا حسب كل واحد مناقبه ومناقب ءابائه.

وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِها، فَاظْفَر بِذَاتِ الدّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ». متفقٌ عليه.

ومعناه أن الناس يقصدون في العادة من المرأة هذه الخصال الأربع، فاحرص أنت على ذات الدين واظفر بها واحرص على صحبتها.

٣٦٤ - وعنِ ابنِ عباسٍ رضي اللَّهُ عنهما قال: قال النَّبيُّ ﷺ لجبْريلَ ﷺ: «مَا يَمْنَعُكَ أَن تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟» فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ

(**ولجمالها**) هو كما قال سيبويه رقة الحسن (**ولدينها**) وأعاد الجارّ في المتعاطفات إيماء إلى أن كل واحد منها مما يقصد على انفراده واستقلاله (**فاظفر**) أيها المسترشد (**بذات الدين**) أي بصاحبته وهو أبلغ من صاحبته لأنها كناية (**تربت يداك**) أي افتقرت وأسند إلى اليدين لأن التصرف يقع بهما غالبًا، ولم ترد العرب بهذه الكلمة وأمثالها معناها الأصلي من الدعاء، بل إيقاظ المخاطب للمذكور بعده وحثّ وتحريض عليه ليعتنى به (**متفق عليه**) روياه في النكاح ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه كلهم عن أبي هريرة (**ومعناه أن الناس يقصدون**) بكسر المهملة الأولى (**في العادة من**) نكاح (**المرأة هذه الخصال الأربع فاحرص أنت**) تفسير لقوله اظفر بضميره المستكن فيه (**على ذات الدين**) وعطف قوله (**واظفر بها واحرص على صحبتها**) إطنابا للتأكيد.

٣٦٤ - (**وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ لجبريل: ما يمنعك أن تزورنا**) زيارة (**أكثر مما تزورنا**) قال الحافظ في «الفتح»: روى الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال: «احتبس جبريل عن النبيّ ﷺ» وروى عبد بن حميد عن عكرمة قال: «أبطأ جبريل في النزول أربعين يومًا، فقال له: يا جبريل ما نزلت حتى اشتقت إليك، فقال: أنا كنت إليك أشوق ولكني مأمور، فأوحى الله إلى جبريل قل له ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ ﴿٦٤﴾﴾» (**فنزلت**) أُنثَ باعتبار أنها كلمات (﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ ﴿٦٤﴾﴾) قال البيضاوي: التنزل على مهل لأنه مطاوع نزل، والمعنى: وما نتنزّل وقتًا غب وقت إلا

إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة مريم]. **رواه البخاري.**

٣٦٥ - وعنْ أَبي سعيدٍ الخُدْرِيّ رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قال: «لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِنًا ولا يَأْكُلْ طعَامَكَ إلا تَقِيٌّ». رواه أَبو داود والترمذي بإِسْنَادٍ لا بأْس بِهِ.

٣٦٦ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «الرَّجُلُ عَلى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدكُم مَن يُخَالِلُ». رواه أَبو داود، والترمذي بإِسنادٍ صحيح قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ.

بأمر الله على ما تقتضيه حكمته (﴿إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴿٦٤﴾﴾) قال الحافظ في «الفتح»: الأمر هنا بمعنى الإذن (﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴿٦٤﴾﴾) والمراد ما أمامنا وما خلفنا من الأزمنة والأمكنة، فلا ننتقل من شيء إلى شيء إلا بأمره ومشيئته (**رواه البخاري**) في التفسير، وكذا رواه الترمذي.

٣٦٥ - (**وعن أبي سعيد**) سعد بن مالك بن سنان (**الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا تصاحب إلا مؤمنًا**) فيه نهي عن موالاة الكفار ومودتهم ومصاحبتهم، قال تعالى ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة المجادلة] الآية (**ولا يأكل طعامك إلا تقي**) فيه الأمر بملازمة الأتقياء ودوام مخالطتهم وترك الفجار، وإنما حذر من مصاحبة من ليس بتقي وزجر عن مخالطته ومؤاكلته لأن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب (**رواه أبو داود**) في الأدب من سننه (**والترمذي**) في الزهد من «جامعه» (**بإسناد لا بأس به**).

٣٦٦ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: الرجل على دين خليله**) ويروى «المرء بخليله» والخليل الصديق (**فلينظر أحدكم من يخالل**) أي فلينظر أحدكم بعين بصيرته إلى أمور من يريد صداقته وأحواله، فمن رءاه ورضي دينه صادقه ومن سخط دينه فليتنبه (**رواه أبو داود**) في أبواب الأدب من السنن (**والترمذي بإسناد صحيح، قال الترمذي: حديث حسن**).

٣٦٧ - وعن أَبي موسى الأَشْعَرِيّ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «المَرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». متفقٌ عليه.

وفي رواية قال: قِيلَ لِلنَّبيّ ﷺ: الرَّجُلُ يحِبُّ الْقَوْمَ وَلـمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قال: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ».

٣٦٨ - وعن أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ أَعرابيًّا قال لرسولِ اللَّهِ ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَعْدَدْتَ لهَا؟»

---

٣٦٧ - (وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: **المرء**) بفتح الميم وسكون الراء أي الشخص (**مع من أحب**) وكونه معه لا يستلزم مساواته له في منزلته وعلوّ مرتبته لأن ذلك متفاوت بتفاوت الأعمال الصالحة والمتاجر الرابحة. قال الحافظ في «الفتح»: «المعية تحصل بمجرد الاجتماع في شيء ما ولا تلزم في جميع الأشياء، فإذا اتفق أن الجميع دخلوا الجنة صدقت المعية وإن تفاوتت الدرجات» اهـ (**متفق عليه**) ورواه أحمد والشيخان والنسائي من حديث أنس.

(**وفي رواية**) للبخاري في أبواب الأدب عن أبي موسى الأشعري (**قال: قيل للنبيّ ﷺ الرجل**) أل فيه للجنس (**يحبّ القوم**) أي من أهل الصلاح (**ولما يلحق بهم**) قال أهل العربية: لمّا تنفي الماضي المستمر فدل عل نفيه في الماضي وفي الحال بخلاف لم فإنها للنفي في الزمن الماضي مطلقًا (**قال: المرء مع من أحبّ**) هو عامّ فمن أحب رسول الله ﷺ أو أحدًا من المؤمنين كان معه في الجنة بحسن النية لأنها الأصل والعمل تابع لها ولا يلزم من كونه معهم كونه في منزلتهم، ولا أن يجزى مثل جزائهم من كل وجه.

٣٦٨ - (**وعن أنس رضي الله عنه أن أعرابيًا**) هو يختص بسكان البوادي من العرب وغيرهم أما العرب فأولاد إسماعيل عليه السلام (**قال لرسول الله ﷺ: متى الساعة**) أي القيامة، وعبر عنها بذلك لأنها تظهر في أدنى لحظة (**قال**) له (**رسول الله ﷺ: ما أعددت لها**) أي حتى تسأل

قال: حُبُّ اللّهِ ورسولِهِ قال: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». متفقٌ عليه، وهذا لفظ مسلم.

وفي روايةٍ لهما: مَا أَعْدَدْتُ مِن كَثِيرِ صَوْمٍ وَلا صَلاةٍ وَلا صَدَقَةٍ، وَلَكِن أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

٣٦٩ - وعن ابنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّهُ عنه قال: جاءَ رَجُلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّهِ كَيْفَ تَقُولُ في رَجُلٍ أَحبَّ قَوْمًا وَلَمْ يلْحَقْ بِهِمْ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «المَرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». متفقٌ عليه.

٣٧٠ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه عن النَّبيّ ﷺ قال: «النَّاسُ مَعادِنُ

عنها إذ هي زمن الجزاء ويوم الدين (قال: حبّ الله و) حبّ (رسوله) والمراد من حبّ الإنسان لله ورسوله طاعتهما والانقياد لأحكامهما (قال: أنت مع من أحببت) واللفظ عام لكون كل محبّ مع محبوبه من خير أو شرّ، ومعية الله مع الإنسان بالنصر والإعانة والتوفيق (متفق عليه) أخرجه البخاري في أبواب الأدب (وهذا لفظ مسلم) في أبواب البر والصلة.

(وفي رواية لهما) أي عن أنس أيضًا قال (ما أعددت من) صلة لتأكيد النفي واستغراقه (كثير) بالمثلثة (صوم ولا) كثير (صلاة ولا) كثير (صدقة) يحتمل أن يكون بعض النوافل إلا أنها غير كثيرة وفي العبارة توجيه (ولكن) لي أعظم الذخائر هو أني (أحبّ الله ورسوله) قال ﷺ: «فأنت مع من أحببت».

٣٦٩ - (وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل) هو أبو ذرّ (إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحبّ قومًا ولم يلحق بهم) عند ابن حبان: ولا يستطيع أن يعمل بعملهم (فقال رسول الله ﷺ: المرء مع من أحبّ. متفق عليه) أخرجاه في الأبواب المذكورة.

٣٧٠ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: الناس) أي باعتبار الأفراد (معادن) قال الحافظ ابن حجر: «أي أصولًا مختلفة»

كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيارُهُمْ فِي الإِسْلامِ إِذَا فَقُهُوا، والأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ». رواه مسلم.

وروى البخاريُّ قوله: «الأَرْوَاحُ» من روايةِ عائشةَ رضي اللَّهُ عنها.

٣٧١ - وعنْ أُسَيْرِ بنِ عمْرٍو ويُقَالُ ابْنُ جابِرٍ وهو بضم الهمزة وفتح

للخير والشر بحسب ما جعلهم الله مستعدين له. والمعادن جمع معدن بكسر الدال لأنه موضع العَدْن أي الإقامة اللازمة (**كمعادن الذهب والفضة**) وجه الشبه اشتمال المعدن على الجواهر المختلفة نفاسة وخسة وكل معدن يخرج منه ما في أصله، وكذا كل إنسان يظهر منه ما في أصله من خسة أو شرف (**خيارهم في الجاهلية**) أي أشرافهم فيها وهي ما قبل الإسلام سموا به لكثرة جهالاتهم (**خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**) بضم القاف وكسرها أي علموا، ومعناه صار الفقه سجيتهم أي فقد وصل بما حازه في شرف الإسلام والفقه فيه إلى ما كان عنده من الشرف والكرم والسماحة ونحوها في الجاهلية (**والأرواح جنود مجندة**) معطوف على جملة «الناس معادن»، قال النووي: «قال العلماء معناه جموع مجتمعة وأنواع مختلفة» (**ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**) قال السيوطي: قال الخطابي: قوله الأرواح إلخ يحتمل أن يكون إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشرّ، فالخيِّر يحن إلى شكله والشرير إلى نظيره، فتعارف الأرواح بحسب الباع التي جبلت عليها من خير أو شر، فإذا اتفقت تعارفت وإن اختلفت تناكرت. قال ابن الجوزي: يستفاد من الحديث أن الإنسان إذا وجد من نفسه نفرة عن ذي فضل وصلاح، فينبغي أن يبحث عن المقتضي لذلك ليسعى في إزالته فيتخلص من الوصف المذموم وكذا عكسه (**رواه مسلم**) بجملته (**وروى البخاري قوله الأرواح من رواية عائشة رضي الله عنها**) أي فهذا اللفظ لهما لكن من طريقين.

٣٧١ - (وعن أُسير بن عمرو ويقال ابن جابر، وهو بضم الهمزة وفتح

السين المهملة، قال: كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي اللَّهُ عنه إِذا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدادُ أَهْلِ الْيمنِ سأَلَهُمْ: أَفيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حتَّى أَتى عَلى أُوَيْسٍ رضي اللَّهُ عنه فقال: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عامِرٍ؟ قال: نَعَمْ، قال: مِن مُرَادٍ ثُمَّ مِن قَرَنٍ؟ قال: نعَمْ، قال: فَكَانَ بِكَ برَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلا مَوْضِعَ دِرْهَم؟ قال: نَعَمْ، قال: لَكَ والِدَةٌ؟ قال: نَعَمْ، قال: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «يَأْتي علَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ معَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِن مُرَادٍ ثُمَّ مِن قَرَنٍ، كَانَ بِهِ برصٌ فَبرَأَ مِنْهُ إِلا مَوْضعَ دِرْهَم، لَهُ وَالِدَةٌ هُو بها بَرٌّ لَوْ أَقْسمَ على الله لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ»

السين المهملة) توفي النبيّ ﷺ وهو ابن عشر سنين **(قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن)** قال النووي: «هم الجماعة الغزاة الذين يمدون جيوش الإسلام في الغزو، واحدهم مدد» **(سألهم: أفيكم أويس بن عامر)** كذا رواه مسلم وهو المشهور **(حتى أتى على أويس رضي الله عنه)** وهو تصغير أوس **(فقال: أنت أويس بن عامر)** بتقدير همزة الاستفهام وحذفت تخفيفًا بدليل قوله **(قال: نعم)** وكذا الهمزة مقدرة بعده في أول كل سؤال **(قال: من مراد)** اسم قبيلة **(ثم من قرن)** بفتح القاف والراء وبالنون من مراد **(قال نعم قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم)** أبقِيَ ليُذكر مكان به من هذا الداء، ثم عُوفيَ فيبعثه ذلك على الزيادة في الشكر **(قال: نعم، قال لك والدة؟ قال نعم)** ظاهره أنها كانت موجودة ذلك الحين **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يأتي عليكم أويس بن عامر، مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم)** سيأتي في الرواية الآتية «إلا موضع الدينار أو الدرهم» بالشك **(له والدة هو بها بر)** بفتح الباء الموحدة أي بالغ في البرّ والإحسان إليها **(لو أقسم على الله)** أي أقسم عليه بحصول أمر **(لأبرّه)** الله بحصول ذلك المقسم على حصوله **(فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل)** لا يفهم من هذا أفضليته على عمر، ولا

فَاسْتَغْفِرْ لي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فقال له عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قال: الْكُوفَةَ، قال: أَلا أَكْتُبُ لَكَ إِلى عَامِلِها؟ قال: أَكُونُ في غَبْراءِ النَّاسِ أَحبُّ إِلَيَّ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ المُقْبِلِ حَجَّ رجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَوافَقَ عُمرَ فَسَأَلَهُ عنْ أُوَيْسٍ قال: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ قَلِيلَ المتَاعِ، قال: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «يأْتي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِن مُرادٍ ثُمَّ مِن قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ والِدَةٌ هُو بِهَا بَرٌّ لوْ أَقْسَمَ عَلى الله لأَبَرَّهُ،

أن عمر غير مغفور له للإجماع على أن عمر أفضل منه، إنما مضمون ذلك الإخبار بأن أويسًا ممن يستجاب له الدعاء، وإرشاد عمر إلى الازدياد من الخير واغتنام دعاء من ترجى إجابته ثم سأله عمر ذلك بقوله **(فاستغفر لي فاستغفر له)** ففيه طلب الدعاء من الصالحين وإن كان الطالب أفضل **(فقال له عمر: أين تريد؟ فقال: الكوفة)** هي البلدة المعروفة بالعراق وسميت بذلك لاستدارة بنائها **(قال ألا)** بتخفيف اللام أداة استفتاح **(أكتب لك إلى عاملها)** أي ليقوم من بيت مال المسلمين منها بكفايتك **(قال: أكون)** أي كوني **(في غبراء الناس أحبّ إلي)** فالأصل أن أكون فحذف أن فارتفع الفعل أو أطلق وأريد منه المصدر فهو نظير قولهم: «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» بوجهيه المذكورين **(فلما كان من العام المقبل)** بضم الميم وكسر الموحدة اسم فاعل، وهو بالنسبة لعام ملاقاة عمر له **(حج رجل من أشرافهم)** أي أشراف أهل الكوفة والمراد بشرفه ظهوره وغناؤه **(فوافق عمر فسأله عن أويس قال: تركته رثّ البيت)** أي رثّ متاعه، وهو المتاع الدون أو الخلق البالي **(قليل المتاع)** قال في «المصباح»: المتاع في اللغة كل ما ينتفع به كالطعام والبرّ وأثاث البيت، وأصل المتاع ما يتبلغ به من ذلك وتقليله من المتاع زهد في الدنيا وإعراض عنها **(قال)** أي عمر **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: يأتي علكيم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها برّ لو أقسم على الله لأبرّه،**

فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ»، فَأَتَى أُوَيْسًا فقال اسْتَغْفِرْ لي قال: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفرٍ صالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لي، قال: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قال: نَعَمْ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ فَانْطَلَقَ عَلى وجهِهِ. رواه مسلم.

وفي روايةٍ لمسلم أَيْضًا عن أُسَيْر بنِ جابرٍ: «أَنَّ أَهلَ الكُوفَةِ وفَدُوا إلى عُمَرَ رضي اللّهُ عنهُ وفِيهِم رَجُلٌ مِمَّن كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ، فقال عُمَرُ: هَلْ هٰهنا أَحَدٌ مِنَ القَرَنِيّينَ؟ فَجاءَ ذلكَ الرَّجُلُ،

فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل) وهو من جملة معجزاته ﷺ، لما فيه من الإخبار عن الأمر قبل وقوعه وذكره باسمه وصفته وعلامته واجتماعه بعمر، فكان كما أخبر عنه، وفيما فعل عمر رضي الله عنه تبليغ الشريعة ونشر السنة والإقرار بالفضل لأهله، والثناء على من لا يخشى عليه عجب بذلك ليقينه وكمال إيمانه **(فأتى)** أي ذلك الرجل **(أويسًا فقال استغفر لي، قال)** أي أويس **(أنت أحدث عهدًا بسفر صالح)** أي أقرب وأشار إلى فضل السفر الصالح وأن القادم منه أرجى لإجابة دعائه فلذا سأل منه أويس الدعاء بقوله: «فاستغفر لي» وقد ورد «إذا لقيت الحاج فمره فليستغفر لك» **(فقال)** أي الرجل **(استغفر لي، قال: أنت أحدث عهدًا بسفر صالح فاستغفر لي)** وكأن الرجل طلب من أويس ثالثًا الدعاء ففطن أنه عرف بمقامه **(قال: لقيت عمر)** بتقدير همزة الاستفهام **(قال نعم، فاستغفر له)** لأنه علم أنه أعلمه بعلي مقامه وأنه لما علم ذلك لا يتركه حتى يدعو له ودعا له بطلب المغفرة لورود ذلك في حديث عمر **(ففطن)** بكسر الطاء المهملة **(له الناس)** وأقبلوا عليه **(فانطلق على وجهه)** خارجًا **(رواه مسلم)**.

(وفي رواية لمسلم أيضًا عن أسير بن جابر) زيادة في الحديث **(أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر رضي الله عنه، وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس)** واحتقار أويس لرثاثته وقلة متاعه زهدًا في الدنيا وإطراحًا لها وإعراضًا عن زهراتها، والسخرياء: الاستهزاء **(فقال عمر: هل هٰهنا أحد من القرنيين)** بفتح القاف والراء نسبة لقرن بطن من مراد كما تقدم **(فجاء ذلك الرجل**

فقالَ عُمَرُ: إِنَّ رسُولَ اللّهِ ﷺ قد قال: «إِنَّ رَجُلاً يَأْتِيكُم مِنَ اليَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ لا يَدَعُ بِاليمَنِ غَيْرَ أُمّ لَهُ قَد كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدعَا اللّهَ تعالى فَأَذْهَبَهُ إِلا مَوضِعَ الدّينارِ أَوِ الدّرْهَم، فَمن لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

وفي روايةٍ له عَن عمرَ رضي اللَّهُ عنه قال: إِنّي سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إِنَّ خَيرَ التَّابِعِينَ رجُلٌ يُقَال لَه أُوَيْسٌ وَلَه وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُروه فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

قوله: «غبراء الناس» بفتح الغين المعجمة وإسكان الباء وبالمد وهم فُقَراؤهم وصعاليكُهُم وَمَن لا تُعْرَفُ عَيْنُه مِن أَخلاطِهِم.

فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد قال: إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس، لا يدع) أي يترك (باليمن غير أم له) وهذا مما زادت به هذه الرواية على ما قبلها (قد كان به بياض) هو الذي عبر عنه في الرواية السابقة بقوله برص (فدعا الله تعالى فأذهبه إلا موضع الدينار، أو) شك من الراوي (الدرهم) والشك في ذلك عند مسلم (فمن لقيه منكم فليستغفر لكم) أي فليطلب منه ذلك كما قال في الرواية الآتية «فمروه فليستغفر لكم».

(وفي رواية له) أي لمسلم (عن عمر رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة، وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم) قال النووي في شرح صحيح مسلم: «وهذا الحديث صريح في أنه خير التابعين، وقد يقال قال أحمد وغيره: أفضل التابعين سعيد بن المسيب. والجواب أن مرادهم أن سعيدًا أفضل في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونحوها لا في الخير عند الله تعالى» اهـ.

(قوله غبراء الناس بفتح الغين المعجمة وإسكان الباء) الموحدة (وبالمد) قال القرطبي: هذه الرواية الجيدة فيه (وهم فقراؤهم وصعاليكهم ومن لا تعرف عينه من أخلاطهم) قال القرطبي: والغبراء الأرض يقال

و«الأمداد» جمع مَدَدٍ وهم الأعوان والنَّاصرون الذين كانوا يُمِدُّون المسلمين في الجهاد.

٣٧٢ - وعن عمرَ بنِ الخطاب رضي اللَّهُ عنه قال: اسْتَأْذَنْتُ النَّبيَّ ﷺ في العُمْرَةِ فَأَذِنَ وقال: «لا تَنْسَنَا يا أُخَيَّ مِن دُعَائِكَ»،

«الفقراء بنو الغبراء» كأن الفقر ألصقهم بها ويعني به بقايا الناس ومتأخريهم، وهم ضعفاء الناس لأن وجوه الناس يتقدمون للأمور ويصحبون بها ويتقاضون فيها، ويبقى الضعفاء لا يلتفت إليهم ولا يؤبه بهم، فأراد أويس أن يكون خاملًا بحيث لا يلتفت إليه طالبًا للسلامة وظافرًا بالغنيمة اهـ. والصعاليك جمع صعلوك بضم الصاد المهملة الفقير، وقوله من لا يعرف عينه أي لخموله وعدم ظهوره **(والأمداد جمع مدد)** بفتح أوّليه **(وهم الأعوان والناصرون الذين كانوا يمدون)** من الإمداد أي اتصال المدد **(المسلمين في الجهاد)** وقضية ترتيب المتن تقديم بيان الأمداد على ما قبله لأنه كذلك فيه.

فائدة: قال القرطبي: كان أويس من أولياء الله المخلصين المخففين الذين لا يؤبه بهم، ولولا أن رسول الله ﷺ أخبر عنه ووصفه بوصفه ونعته بنعته وعلامته لما عرفه أحد، وكان موجودًا في حياة النبي ﷺ وءامن به وصدقه ولم يلقه ولا كاتبه، فلم يعدّ من الصحابة، وقد أخبر النبيّ ﷺ أنه من التابعين حيث قال: «إنه خير التابعين».

٣٧٢ - (وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة) فيه استئذان التلميذ لأستاذه، والمريد لشيخه في مهماته إذا كان مع من ذكر في أمر جامع بهم يجمعهم طاعة الله ليكون على ذهنه إذا تفقده **(فأذن)** في ذلك ودعا لي بالمغفرة **(وقال: لا تنسنا يا أخيّ)** بفتح الياء المشددة وكسرها قراءتان وظاهر أنهما على ضم الهمزة والتصغير **(من دعائك)** فيه دليل على استحباب طلب المقيم من المسافر ووصيته له بالدعاء في مواطن الخير ولو كان المقيم أفضل من المسافر وإن كان يعرف أنه يدعو له فلا بأس أن يذكره بالدعاء له لا سيما إن

فقال كَلِمَةً مَا يسُرُّني أَنَّ لي بِهَا الدُّنْيَا.

وفي روايةٍ قال: «أَشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ في دُعَائِكَ». حديثٌ صحيحٌ رواه أَبو داود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٣٧٣ - وعن ابن عُمرَ رضي اللَّهُ عنهما قال: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَزُورُ قُبَاءً رَاكِبًا وَمَاشِيًا فَيُصلّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. متفقٌ عليه.

كان سفره عبادة كحج أو عمرة أو غزو فتتأكد الوصية كما تقدم، وفي الحديث: «يغفر للحاجّ ولمن استغفر له الحاجّ» والعمرة في معنى الحج، وهذا الحديث يؤيده.

وقال عمر: **(فقال)** أي رسول الله ﷺ **(كلمة)** أراد بها معناها اللغوي، وهو الجمل المفيدة **(ما يسرّني أن لي بها)** أي ابدلها فالباء فيه بمعنى البدل **(الدنيا)** وما فيها، قال ابن رسلان: فيه فضل الدعاء بظهر الغيب واستحبابه للحاج إذا حضر في الأماكن التي يستجاب فيها الدعاء لنفسه ولإخوانه في الله تعالى بأعيانهم، ومن سأله الدعاء ووعده فيتعين ويتأكد عليه الدعاء له اهـ.

(وفي رواية) هي لأبي داود فـ **(قال)** في حديثه **(أشركنا)** بفتح الهمزة أي اجعلنا شركاء معك **(يا أخي)** بالوجهين **(في)** صالح **(دعائك حديث صحيح. رواه أبو داود)** في باب الدعوات ءاخر كتاب الصلاة **(والترمذي)** في الدعوات من جامعه **(وقال: حديث حسن صحيح)**.

٣٧٣ - (وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبيّ ﷺ يزور قباء) بضم القاف وتخفيف الباء وبالمد وهو مذكر منون مصروف قال السمهودي هو قرية حوالي المدينة **(راكبًا وماشيًا)** أي تارة وتارة **(فيصلي فيه)** أي في مسجده **(ركعتين. متفق عليه)** وقد ورد في فضل الصلاة في مسجد قباء أحاديث كثيرة منها ما رواه الترمذي عن أسد بن ظهير الأنصاري عن النبي ﷺ قال: «الصلاة في مسجد قباء كعمرة».

وفي روايةٍ: كان النَّبيُّ ﷺ يَأْتي مَسْجِدَ قُبَاءٍ كلَّ سبتٍ رَاكبًا وَمَاشِيًا وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَفْعَلُهُ.

٤٦ - باب فضل الحب في الله تعالى والحث عليه وإعلام الرجل من يحبه أنه يحبه وماذا يقول له إذا أعلمه

قال الله تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الفتح]

(وفي رواية) هي للبخاري والنسائي من حديث ابن عمر (كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت) وعند ابن حبان في صحيحه «كل يوم سبت» (راكبًا وماشيًا) أي للصلاة فيه (وكان ابن عمر يفعله) ففيه استحباب زيارته ومثله سائر الأماكن المأثورة في الحرم المكي وغيره.

٤٦ - باب فضل الحب

وهو كما في «القاموس»: الود كالحباب والحب بكسرها (في الله تعالى) أي لأجله لا لغرض ءاخر ففي تعليلية (والحث) بتشديد المثلثة أي التحريض (عليه، وإعلام) عطف على فضل وهو (الرجل من يحبه أنه يحبه وماذا يقول) أي المحبوب (له) أي للرجل المعلم (إذا أعلمه).

(قال الله تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾) معطوف عليه وخبرهما (﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾) وأشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم، والمعنى: أنهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله تعالى ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة المائدة] (﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾) لأنهم مشتغلون بالصلاة أكثر أوقاتهم (﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ﴾) الثواب والرضى (﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾) يريد السمة التي تحدث من سامه إذا علمه (﴿ذَٰلِكَ﴾) إشارة إلى الوصف المذكور (﴿مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ﴾) صفتهم العجيبة الشأن المذكورة فيها (﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾) عطف عليه أي ذلك مثلهم في الكتابين. ثم التوراة

إلى ءاخِرِ السورة، وقال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴿٩﴾﴾ [سورة الحشر].

٣٧٤ - وعن أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قال: «ثَلاثٌ مَن كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَن يَكُونَ اللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِواهُما،

والإنجيل اسمان أعجميان (﴿كَزَرْعٍ﴾) ومثلهم في الإنجيل مبتدأ وكزرع خبره (﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾) أي فراخه، يقال اشتطأ الزرع: إذا فرخ (﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾) فقواه من المؤازرة بمعنى المعاونة (﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾) فصار من الرقة إلى الغلظ (﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾) فاستقام على قصبه جمع ساق (﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾) بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره، وهو مثل ضربه الله للصحابة قلوا في بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم بحيث أعجب الناس (﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾) علة لتشبيههم بالزرع في زكاته واستحكامه، أو لقوله (﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾) فإن الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك، ومنهم للبيان. ولما قال المصنف (**إلى ءاخر السورة**) تكلمنا على خاتمتها بجملتها.

(**وقال تعالى** ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾) عطف على المهاجرين، والمراد بهم الأنصار فإنهم لزموا المدينة والإيمان وتمكنوا فيهما (﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾) أي من قبل هجرة المهاجرين (﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴿٩﴾﴾) ولا يثقل عليهم.

٣٧٤ - (وعن أنس رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: ثلاث) أي من خصال أو ثلاث خصال أو خصال ثلاث **(من كنّ)** أي وجدن فهي تامة، و**(فيه)** ظرف لغو متعلق به **(وجد)** من الوجدان بكسر الواو في المصدر **(بهن حلاوة الإيمان)** قال النووي: «معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضا الله عزّ وجلّ ورسوله وإيثار ذلك على عرض الدنيا، ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك معصيته وكذلك محبة الرسول ﷺ» اهـ **(أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما)** قال

وأَن يُحِبَّ المَرءَ لا يُحِبُّهُ إلا لِلّهِ، وَأَن يَكْرَه أَن يَعُودَ في الكُفْر بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَن يُقْذَفَ في النَّارِ». متفقٌ عليه.

٣٧٥ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قال: «سبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ:

البيضاوي: المراد بالحبّ هنا الحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه وإن كان على خلاف هوى النفس، فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص ءاجل، والعقل يقتضي رجحان جانب ذلك تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعًا له ويلتذ بذلك التذاذًا عقليًا، إذ الالتذاذ العقلي إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك، وعبر الشارع عن هذه الحالة بالحلاوة لأنها أظهر اللذائذ المحسوسة، قال المصنف: إنما قال مما سواهما ولم يقل ممن ليعم من يعقل ومن لا يعقل، وفيه دليل على أنه لا بأس بهذه التثنية، وأما قوله للذي خطب فقال: ومن يعصهما، فقال: «بئس خطيب القوم أنت» فليس من هذا، لأن المراد في الخطب الإيضاح، وأما هنا فالمراد الإيجاز في اللفظ ليحفظ (**وأن يحبّ المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه**) الإنقاذ أعم من العصمة منه ابتداء بأن يولد على الفطرة ويستمرّ، أو بالإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان كما وقع لكثير من الصحابة (**كما يكره أن يقذف في النار**) الكاف في محل المفعول المطلق واستدل به على فضل من أكره على الكفر فصبر وترك التقية حتى قتل. قال الحافظ ابن حجر: «وأخرجه البخاري في الأدب في فضل الحب في الله بلفظ «وحتى أن يقذف في النار أحبّ إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله تعالى منه» (**متفق عليه**) ورواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه قال النووي: هو حديث عظيم من أصول الدين.

٣٧٥ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: سبعة) أي سبعة أنفس فلذا صح الابتداء به (**يظلهم الله في ظله**) المراد في ظلّ

إِمامٌ عادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، ورَجُلانِ تَحَابَّا في اللّهِ اجْتَمَعَا علَيْه وتَفَرَّقَا عَلَيْه، ورجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنصِبٍ وَجَمَالٍ فقال: إِنّي أَخافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ

عرشه ويدل عليه حديث سلمان «سبعة يظلهم الله في ظل عرشه» فذكر الحديث **(يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل)** اسم فاعل من العدل والمراد به صاحب الولاية العظمى ويلحق به من ولي شيئًا من أمر المسلمين فيعدل فيه وأحسن ما فسر به العادل أنه الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه بغير إفراط ولا تفريط **(وشاب)** بتشديد الموحدة اسم فاعل **(نشأ في عبادة الله عز وجل)** زاد ابن زيد في روايته «حتى توفي على ذلك» وعند سلمان «أفنى شبابه ونشاطه في عبادة الله» وفيه إيماء إلى فضل من لم يزاول المعصية أصلًا على من أقلع وتاب منها **(ورجل قلبه معلق في المساجد)** ظاهره أنه من التعليق كأنه شبه بالشيء المعلق في المسجد كالقنديل مثلًا إشارة إلى طول الملازمة بقلبه وإن كان جسده خارجًا عنه **(ورجلان تحابا)** قال الحافظ ابن حجر: «أي اشتركا في جنس المحبة وأحب كل منهما الآخر حقيقة لا ظاهرًا فقط»، و«في» في قوله: **(في الله)** تعليلية **(اجتمعا عليه)** هذا لفظ مسلم ولفظ البخاري «اجتمعا على ذلك» والمشار إليه ومرجع الضمير هو الحب المدلول عليه بقوله تحابا **(وتفرقا عليه)** قال الحافظ: «المراد أنهما داما على المحبة ولم يقطعاها لعارض دنيوي سواء اجتمعا حقيقة أم لا حتى فرق بينهما الموت» **(ورجل دعته امرأة ذات منصب)** أي أصل وشرف **(وجمال)** وصفها بالأوصاف التي جرت العادة بمزيد الرغبة لمن تحصل فيه، وقل من يجتمع فيها ذلك من النساء والظاهر أنها دعته إلى الفاحشة والصبر عن الموصوفة بما ذكر من أكبر المراتب لكثرة الرغبة في مثلها **(فقال: إني أخاف الله)** والظاهر أنه يقول بلسانه ليزجرها وتعتبر بقلبها **(ورجل تصدّق)** بلفظ الماضي **(بصدقة)** نكّرها ليشمل كل ما تصدق به من قليل

فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ تعالَى خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ». متفقٌ عليه.

٣٧٦ - وعنه رضيَ اللهُ عنهُ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تعالى يقولُ يوْمَ الْقِيَامةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلالي الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ في ظِلّي يَومَ لا ظِلَّ إِلا ظِلّي». رواه مسلم.

وكثير **(فأخفاها حتى لا تعلم)** بضم الميم وفتحها **(شماله ما تنفق يمينه)** والقصد من الحديث الحثّ على المبالغة في إخفاء الصدقة **(ورجل ذكر الله تعالى)** بلسانه من الذكر **(خاليًا)** أي عن الخلق لأنه حينئذٍ يكون أبعد من الرياء. أو المراد خاليًا عن الالتفات إلى غير الله ولو كان في ملأ **(ففاضت عيناه)** أي فاضت الدموع منهما **(متفق عليه)** ورواه أحمد والنسائي كلهم من حديث أبي هريرة.

٣٧٦ - (وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى يقول) فيه رد على من يكره أن يؤتى بالمضارع في القول المحكي عنه تعالى لأن كلامه قديم أزلي[1]. والجواب أن الإتيان به للدلالة على أنه مستمر أبدي **(يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي)** والسؤال عنهم مع علمه بمكانهم وغيره من أحوالهم لينادي بفضلهم في ذلك الموقف ويصرح به وعظمته واللام فيه للتعليل: أي تحابوا لجلاله وعظمته لا لغرض سوى ذلك من دنيا أو نحوها **(اليوم أظلهم في ظلي)** قال النووي: «المراد ظل العرش، قال القاضي: ظاهره أنه في ظله من الحرّ والشمس ووهج الموقف وأنفاس الخلق» **(يوم لا ظل إلا ظلي)** أي لا يكون في ذلك اليوم من له ظل مجازًا كما في الدنيا **(رواه مسلم)** وأحمد، وهو من الأحاديث القدسية، والفرق بين الحديث القدسي والقرءان من وجوه انتفاء

---

(١) كلام الله تعالى الذي هو صفته كلام واحد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغة وليس له نهاية قال الإمام أبو حنيفة في الفقه الأكبر: والله يتكلم لا كما نحن نتكلم بالآلة والحرف والله يتكلم بلا ءالة ولا حرف اهـ والآلة مخارج الحروف كاللسان والشفتين والحلق. والمقصود بهذا في هذا الحديث ونحوه أن ملكًا يقول مبلغًا بأمر الله: ان الله تعالى يقول.

٣٧٧ - وعنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلى شَيءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوه تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُم». رواه مسلم.

٣٧٨ - وعنه رضي اللَّه عنه عن النبيّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلاً زَار أَخًا لَهُ في قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرصَدَ اللّهُ عَلى مَدْرَجتِهِ مَلَكًا»، وذكر الحديث إلى قوله: «إِنَّ اللَّهَ قَد أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ». رواه مسلم. وقد سبق في الباب قبله.

الإعجاز، وجواز روايته بالمعنى، وعدم تعلق الثواب بقراءة ألفاظه[1]، وجواز مسه وحمله مع الحدث وقراءته مع الجنابة وغير ذلك.

٣٧٧ - (وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده) أقسم لتأكيد الأمر وتحقيقه والقسم يندب لذلك **(لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا)** أي إيمانًا كاملًا **(حتى تحابوا)** بحذف إحدى التاءين تخفيفًا وتشديد الموحدة **(أولا أدلكم)** أي أتتركوا التحاب أولا أدلكم **(على شيء إذا فعلتموه تحاببتم)** فالاستفهام وارد على الهيئة المجموعية **(أفشوا)** بقطع الهمزة المفتوحة **(السلام بينكم)** فيه الحث على إفشاء السلام وبذله للمسلم «من عرفت ومن لم تعرف» والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل **(رواه مسلم)** في كتاب الإيمان من صحيحه، ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

٣٧٨ - (وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أن رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكًا وذكر) أي أبو هريرة **(الحديث)** المذكور في الباب قبله **(إلى قوله: إن الله قد)** للتحقيق **(أحبك)** أي أراد بك خيرًا **(كما أحببته فيه. رواه مسلم وقد سبق في الباب قبله).**

---

(١) أي على وجه التلاوة المجردة فإن القرءان يتعبّد بتلاوته.

٣٧٩ - وعنِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ رضي اللَّهُ عنهما عن النبيّ ﷺ أَنه قال في الأَنْصَارِ: «لا يُحِبُّهُمْ إِلا مُؤْمِنٌ وَلا يُبْغِضُهُمْ إِلا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ». متفقٌ عليه.

٣٨٠ - وعن مُعَاذٍ رضي اللَّهُ عنه قال: سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: المُتَحَابُّونَ في جَلالي لَهُم مَنَابِرُ مِن نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ».

---

٣٧٩ - (**وعن البراء**) بتخفيف الراء والمد (**ابن عازب**) صحابي ابن صحابي، ولذا نبه عليه بقوله: (**رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: في**) حق (**الأنصار**) هم أولاد الأوس والخزرج سموا به لنصرتهم الإسلام ومبالغتهم فيها (**لا يحبهم إلا مؤمن**) لأن لهم في الإسلام الأيادي الجميلة من النصر والسعي في إظهاره وإيواء المسلمين وقيامهم في مهمات دين الإسلام حق القيام وحبهم النبي ﷺ وحبه إياهم وبذلهم أنفسهم وأموالهم بين يديه وقتالهم ومعاداتهم سائر الناس إيثارًا للإسلام (**ولا يبغضهم**) مع ذلك (**إلا منافق**) ومحل ذلك ان أبغضهم من الحيثية المذكورة أما إذا كان بغضه لأحد منهم لخصام أو لأمر اقتضاه معه بخصوصه فلا (**من أحبهم**) أي لله تعالى (**أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**) كما يدين الفتى يدان (**متفق عليه**).

٣٨٠ - (**وعن معاذ**) بضم الميم وبالعين والذال المعجمة ابن جبل (**رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عزّ وجلّ: المتحابون**) بتشديد الموحدة (**في جلالي لهم منابر من نور**) يجلسون عليها، وفي حديث الطبراني عن أبي أيوب مرفوعًا: «المتحابون في الله على كراسيّ من ياقوت حول العرش» والمنابر جمع منبر بكسر فسكون ففتح، من النبر وهو العلو (**يغبطهم النبيون والشهداء**) الغبطة تمني مثل ما للغير من الخير من غير زواله عن صاحبه، فدل هذا الحديث القدسي على أن لهؤلاء العباد منازل شريفة عظيمة في الآخرة، ولا يلزم من

رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٣٨١ - وعن أَبي إدريسَ الخَوْلانيّ رَحمَهُ الله قال: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ فَإِذَا فَتًى بَرَّاقُ الثَّنَايَا وَإِذَا النَّاسُ معهُ، فَإِذَا اخْتَلَفُوا في شَيءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ وَصَدَرُوا عَن رَأْيِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ هَجَّرْتُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَني بِالتَّهْجِيرِ ووَجَدْتُهُ يُصَلّي، فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صلاتَهُ ثُمَّ جِئْتُهُ مِن قِبَلِ وجْهِهِ فَسَلَّمْتُ علَيْهِ ثُمَّ قُلْتُ: وَاللّهِ إِنّي لأُحِبُّكَ، فَقَال: ءاللّهِ؟

تمني الأنبياء أن يكون أولئك أفضل من الأنبياء، لأنه قد يكون لك مائة فرس من العتاق ثم ترى لأخيك فرسًا فتشتهي أن تشتريه منه أو تشتري مثله وهذا من هذا القبيل (**رواه الترمذي**) في الزهد من جامعه (**وقال: حديث حسن صحيح**).

٣٨١ - (**وعن أبي إدريس**) اسمه عايذ الله بتحتية ومعجمة، ابن عبد الله (**الخولاني**) ولد أبو إدريس (**رحمه الله**) عام حنين وهو من كبار التابعين، توفي سنة ثمانين. قال سعيد بن عبد العزيز: كان عالم الشام بعد أبي الدرداء (**قال دخلت مسجد دمشق**) بكسر الدال المهملة وفتح الميم أعظم بلاد الشام (**فإذا فتى براق**) بتشديد الراء (**الثنايا**) أي أبيض الثغر حسنه، وقيل معناه كثير التبسم (**وإذا الناس معه**) أتباع له لكونه صحابيًا عالمًا فقيهًا (**فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا عن رأيه، فسألت عنه فقيل هو معاذ بن جبل**) هو الأنصاري الذي قال في حقه ﷺ: «أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ» (**فلما كان**) أي حصل (**من الغد هجرت**) أي إلى المسجد (**فوجدته قد سبقني بالتهجير**) لمسارعته إلى طريق البر واهتمامه به (**ووجدته يصلي**) نافلة (**فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جئته من قبل وجهه**) فيه تنبيه على أن الأدب لمن ورد على مشغول بالله تعالى أن لا يشغله ويلهيه عما هو فيه، وفيه أن الأدب قصد الإنسان من قبل وجهه كما يستحب الدخول إلى البيت من باب السلام لأنه من جهة وجه البيت (**فسلمت عليه ثم قلت: والله إني لأحبك**) القسم للتأكيد (**فقال ءالله**)

فَقُلْتُ: أللّهِ، فقال: ءاللّه؟ فَقُلْتُ: أللّهِ، فَأَخَذَني بِحَبْوَةِ رِدَائي فَجَبذَني إِلَيهِ فَقَالَ: أَبْشِرْ فَإِنّي سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «قال اللَّهُ تَبَارَكَ وَتعالى وَجَبَتْ مَحَبَّتي لِلْمُتَحابّينَ فيَّ، والمُتَجالِسينَ فيَّ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فيَّ، وَالمُتَبَاذِلِينَ فيَّ». حديث صحيح رواه مالِك في «المُوَطَّإِ» بِإسنادِهِ الصَّحيحِ.

قوله: «هجَّرت»: أي: بكَّرت وهو بتشديد الجيم. قوله: «ءالله فقلت: أالله» الأوَّل بهمزةٍ ممدودةٍ للاستفهام، والثاني بِلا مدّ.

بهمزة الاستفهام الممدودة المعوض بها عن حرف القسم فلذا وجب جر ما بعدها (**وقال**) أبو إدريس (**أالله**) ضبطه المصنف بالهمزة المقصورة وهو مجرور لنيابة الهمزة مناب حرف القسم (**فقال**) أي تأكيدًا للقسم (**ءالله، فقلت أالله، فأخذني بحبوة ردائي**) يحتمل أن تكون الإضافة بيانية، ويحتمل أن تكون بمعنى اللام والحبوة من الاحتباء (**فجبذني إليه**) قال في «النهاية»: الجبذ لغة في الجذب (**فقال أبشر**) بقطع الهمزة وكسر الشين، وتكون البشرى في الخبر السار واستعمالها في الشرّ قليل للتهكم وحذف المبشر به لدلالة الحديث عليه وهو قوله (**فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تبارك وتعالى وجبت محبتي**) من الوجوب وهو الثبوت: أي ذلك كائن لا محالة (**للمتحابين فيّ**) أي من أجلي لا لعرض ولا لغرض (**والمتجالسين فيّ والمتزاورين فيّ**) تفاعل من الزيارة (**والمتباذلين فيّ**) تفاعل من البذل. قال الباجي: أي الذين يبذلون أنفسهم في مرضاتي من الإنفاق وغير ذلك مما أمروا به (**حديث صحيح رواه مالك في الموطأ بإسناده الصحيح**) وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» وصححه (**قوله هجرت**) أي (**بكرت**) ومنه حديث «لو يعلم الناس ما في التهجير لاستبقوا إليه» (**وهو بتشديد الجيم قوله ءالله، فقلت أالله، الأول بهمزة ممدودة للاستفهام، والثاني بلا مد**) وفي «شرح الجامع الصغير»: المغاربة كما قال أبو حيان يعبرون عن هذه الهمزة بهمزة الاستفهام، والمراد الصورة لا معنى الاستفهام.

٣٨٢ - عن أَبي كَريمةَ المِقْدَام بن مَعْدِيْ كَربَ رضي اللَّهُ عنه عن النَّبيّ ﷺ قال: «إِذا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ». رواه أَبو داود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح.

٣٨٣ - وعن مُعَاذٍ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وقال: «يَا مُعَاذُ واللّهِ إِنّي لأُحِبُّكَ، فقالَ أُوصِيكَ يَا مُعاذُ لا تَدَعنَّ في دُبُرِ كُلّ صلاةٍ تَقُولُ: اللَّهُم أَعِنّي على ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ

---

٣٨٢ - (وعن أبي كريمة) بوزن حليمة، وقيل أبو يحيى **(المقدام)** بكسر الميم وسكون القاف وبالدال المهملة **(ابن معدي كرب)** بكسر الدال وفتحها وسكون الباء تخفيفًا، ويجوز في كرب لغات مع الصرف وإضافة الأول إليه مصروفًا وممنوعًا، وأصل معنى معدي كرب في لغة قحطان أو حِمْير وجه الفلاح، وفي لغة غيرهم معنى معدي يكرب: يا من جاوز الحد **(رضي الله عنه)** وهو أحد الوفد الذين قدموا على النبيّ ﷺ من كندة بالشام، توفي سنة سبع وثمانين وهو ابن إحدى وتسعين سنة **(عن النبيّ ﷺ: إذا أحبّ الرجل أخاه)** في الله لله تعالى **(فليخبره)** ندبًا **(أنه يحبه)** على تقدير الجار. وحكمته أنه سبب لمزيد الحبّ وتأكده **(رواه أبو داود والترمذي وقال)** الترمذي: **(حديث حسن صحيح)** ورواه أحمد بسند صحيح والبخاري في «الأدب المفرد».

٣٨٣ - (وعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده) تأنيسًا وتلطفًا معه **(وقال: يا معاذ والله)** أتى به للتأكيد المطلوب لأجله القسم **(إني لأحبك فقال أوصيك يا معاذ)** وهذا الحديث أوفى شاهد على فضل معاذ وكمال استقامته واهتمامه بأمور ديانته حيث حصل له هذا المقام الأسنى من المصطفى **(لا تدعن)** أي لا تتركن **(في دبر)** بضم المهملة والموحدة أي عقب **(كل صلاة)** أي مفروضة **(تقول)** أي أن تقول **(اللهم أعني)** بقطع الهمزة **(على ذكرك)** الشامل للقرءان وسائر الأذكار **(وشكرك)** أي شكر نعمتك الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية التي لا

وحُسنِ عِبَادَتِك». حديثٌ صحيحٌ، رواه أَبو داود، والنَّسائي بإِسناد صحيح.

٣٨٤ - وعن أَنسٍ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رَجُلاً كَانَ عِنْدَ النَّبيّ ﷺ فَمَرَّ رجُلٌ فَقال: يا رسولَ اللّهِ إِنّي لأُحِبُّ هَذا، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «أَأَعْلمتَهُ؟» قَالَ: لا، قَالَ: «أَعْلِمْهُ» فَلَحِقَهُ فَقَالَ: إِنّي أُحِبُّكَ في اللَّهِ، فقالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ. رواه أَبو داود.

٤٧ - باب علاماتِ حب الله تعالى العبد والحثِ على التخلق بها والسعي في تحصيلها

يمكن إحصاؤها (**وحسن عبادتك**) أي بالقيام بشرائطها وأركانها وسننها من خضوع وخشوع وإخلاص واستغراق وتوجه تام (**حديث صحيح، رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح**) وأخرج الحديث أيضًا أحمد.

٣٨٤ - (**وعن أنس رضي الله عنه**) قال (**إن رجلاً كان عند النبي ﷺ، فمرّ رجل**) وهو عند النبي ﷺ (**فقال: يا رسول الله إني لأحب هذا**) كان الداعي إلى التأكيد التردد الناشئ مما يدل عليه حاله (**فقال له النبي ﷺ: أأعلمته**) وفي نسخة «أعلمته» بتقدير همزة الاستفهام قبله (**قال لا، قال أعلمه**) أي ندبًا (**فلحقه فقال: إني أحبك في الله**) أي لله تعالى (**فقال**) أي ذلك المعلم (**أحبك الذي أحببتني له**) عدل إليه عن الإتيان بالاسم الجامع إعلامًا بسبب حبه تعالى لذلك وإيماء إليه (**رواه أبو داود**) وفي نسخة زيادة: «بإسناد صحيح».

٤٧ - باب علامات حب الله تعالى العبدَ

بالنصب مفعول المصدر (**والحث**) عطف على علامات والتحريض (**على التخلق بها**) أي بتلك الخصال للمحبوب (**والسعي في تحصيلها**) ليستدل به بوجودها على وجوده فإن شأن العلامة الاطراد.

قال الله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [سورة ءال عمران]، **وقال تعالى** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ

(**قال الله تعالى** ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾) أي تدَّعون محبته، نزلت لما قالت اليهود ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [سورة المائدة] أي إن كنتم كذلك فاتبعوني، فعلامة حبه تعالى العبد توفيقه لاتباع المصطفى ﷺ قولًا وفعلًا، وقوله (﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾) جواب الشرط المقدر أي إن تتبعوني يحببكم الله (﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ﴾) ولا يخفى ما في هذه الآية من الوعد للمتبعين بالمحبة من المولى وغفران الذنب، وزاد هنا خاتمة الآية أي قوله (﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾) وهو كالدليل لما تضمنه قوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ﴾.

(**وقال تعالى** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾) بالكفر (﴿عَن دِينِهِۦ﴾) قال البيضاوي: وهذا من الكائنات التي أخبر الله عنها قبل وقوعها، وقد ارتد، من العرب في ءاخر عهد رسول الله ﷺ بنو مدلج وبنو حنيفة وبنو أسد، فقتل العنسي رئيس بني مدلج الذي تنبأ ليلة قبض النبي ﷺ، قتله فيروز، وأخبر به النبي فسرّ به المسلمون وأتى الخبر بذلك أواخر ربيع. ومسيلمة رئيس بني حنيفة وادعى النبوة، قتله وحشي قاتل حمزة، وبنو أسد قوم طليحة بن خالد تنبأ فبعث إليه النبي ﷺ خالد ابن الوليد ففرّ إلى الشام، ثم أسلم وحسن إسلامه. وقد ارتد في عهد الصديق سبع: فزارة قوم عيينة بن حصن، وغطفان قوم قرة بن سلمة، وبنو سليم قوم الفجاجة بن عبد ياليل، وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة، وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة، وكندة قوم الأشعث بن قيس، وبنو بكر بن وائل قوم الحطم، وكفى الله أمرهم على يده، وفي إمرة عمر غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصر وسار إلى الشام (﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾) قيل هم أهل اليمن لما روي أنه عليه الصلاة والسلام أشار إلى أبي موسى وقال: «هم قوم هذا» (﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾)

أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة المائدة].

٣٨٥ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تعالى قال: مَن عادَى لي وليًّا فَقَد ءاذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وما تَقَرَّب إِليَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، ومَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ

عاطفين عليهم متذللين، جمع ذليل (﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾) أي شداد متغلبين عليهم، من عزّه إذا غلبه، وقرئ بالنصب على الحال (﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾) صفة أخرى لقوم أو حال من الضمير في أعزة (﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾) عطف على يجاهدون، بمعنى أنهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دين الله (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي ما تقدم من الأوصاف (﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾) يمنحه ويوفق له (﴿مَن يَشَآءُ ۚ﴾) من خلقه (﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾) كثير الفضل (﴿عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾) بمن هو أهله.

٣٨٥ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال من عادى لي وليًا) من الولي بسكون اللام وهو القرب والدنوّ فهو القريب من الله لتقربه إليه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه **(فقد ءاذنته)** قال الحافظ ابن حجر: «بالمد أي أعلمته» **(بالحرب)** أي إني محارب له عنه أي مهلكه يأخذه على غرة، وهذا وعيد شديد لمعاندته ومعاداته من أحبّ الله تعالى **(وما تقرب إليّ عبدي)** إضافته إضافة تشريف **(بشيء)** أي بأداء شيء **(أحبّ إلي مما افترضت عليه)** أي من أداء ما افترضته عليه عينًا كان أو كفاية، وإنما كان أحبّ إليه من النفل لأنه أكمل من حيث إن الأمر به جازم متضمن للثواب على فعله والعقاب على تركه بخلافه **(وما يزال عبدي يتقرّب إليّ)** بعد أداء فرائضه **(بـ)** أداء **(النوافل)** من صلاة وصيام وحج وصدقة **(حتى أحبه، فإذا أحببته)** ورضيت عليه وأردت به الخير **(كنت سمعه)** أي حافظ سمعه

الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِها وَرِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بِها، وإِن سأَلَني أَعْطَيْتُهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَني لأُعِيذَنَّهُ» رواه البخاري.

معنى «ءاذنته»: أعلمته بأني محارِبٌ له. وقوله تعالى: «استعاذني» روي بالباء وروي بالنون.

٣٨٦ - وعنه عنِ النَّبيّ ﷺ قال: «إِذا أَحَبَّ اللَّهُ تعالى العَبْدَ نَادَى جِبْريلَ:

وهو القوة المرتبة في العصب المفروشة على سطح باطن الصماخ يدرك بها الأصوات بتموج الهواء وقوله (**الذي يسمع به**) أي حافظه عن أن يسمع به ما لا يحل سماعه من غيبة ونميمة وما في معناهما (**وبصره الذي يبصر به**) هو قوّة مرتبة من العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان وتفترقان إلى العينين يدرك بها الألوان ونحوها، أي حفظه عما يحرم النظر إليه من الصور المحرمة (**ويده التي يبطش بها**) فلا يبطش إلا فيما يحل (**ورجله التي يمشي بها**) فلا يمشي إلا فيما يحل. وحاصل ذلك حفظ جوارحه وأعضائه حتى يقلع عن الشهوات ويستغرق في الطاعات فلا يسمع ولا يبصر إلا ما ورد به الشرع وكذا اليد والرجل (**وإن سألني أعطيته**) أي أعطيته سؤاله (**ولئن استعاذني لأعيذنه رواه البخاري**) منفردًا به عن باقي الكتب الستة، ورواه ابن حبان في «صحيحه» (**معنى ءاذنته**) بالمد (**أي أعلمته بأني محارب له**).

(**وقوله استعاذني روي بالباء**) أي استعاذ مستعيذًا بحولي وقوّتي في الحفظ من كل مؤذ (**وروي بالنون**).

فائدة: قال السخاوي: «روينا في الزهد للبيهقي من طريق عثمان الحيري أنه سأل عن معنى هذا الخبر، فقال: كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع وبصره في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي» اهـ.

٣٨٦ - (وعنه عن النبي ﷺ) قال تعالى (**إذا أحب الله العبد**) بأن أراد له الخير والهداية والإنعام عليه والرحمة (**نادى جبريل**) الظاهر أنه نداء

إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادي جبريلُ في أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوْضَعُ له القَبُولُ في الأَرْضِ». متفقٌ عليه.

بالكلام النفسي[1] المنزه عن الصوت وغيره من سمات الحدوث، وجبريل اسم عبراني للملك المعظم ومعناه بالعربية عبد الرحمٰن وهو أمين الوحي **(إن الله يحبّ[2] فلانًا)** يحتمل أن يكون بفتح الهمزة مفعول نادى، ويحتمل كسرها بإضمار قول، ويؤيد هذا ما يجيء في الرواية الآتية «فدعا جبريل فقال: إني أحبّ فلانًا» وعبر بالمضارع إيماء إلى دوام ذلك الفضل لذلك المحبوب واستمراره **(فأحببه)** بفك الإدغام **(فيحبه جبريل)** قال المصنف: محبته محتملة أن يراد استغفاره وثناؤه عليه ودعاؤه له وأن يراد بها ظاهرها المعروف من الخلق وهو ميل القلب إلى المحبوب وشوقه إلى لقائه، وسبب حبه إياه كونه مطيعًا لمولاه محبوبًا له **(فينادي جبريل)** بالبناء للفاعل ويشهد له قوله في الرواية الثانية «ثم ينادي في السماء فيقول» **(في أهل السماء)** أي في الملائكة الساكنين بها **(إن الله يحب فلانًا)** نداؤه بذلك تنويه به وتشريك له في الملأ الأعلى وليحصل من المنزلة المنيفة على الحظ العظيم **(فأحبوه)** الفاء فيه للتفريع **(فيحبه أهل السماء)** الفاء عاطفة على جملة ينادي **(ثم يوضع له القبول في الأرض)** المراد بالقبول الحب في قلوب أهل الدين والخير[3] له والرضا به واستطابة ذكره في حال غيبته **(متفق عليه)**.

---

(١) المعنى أن الله تعالى يُسمع جبريل كلامه الذاتي الأزلي الأبديّ الذي ليس ككلام أحد من العالمين فيفهم منه جبريل الأوامر والنواهي وجبريل وحده من بين الملائكة الذي يسمع كلام الله وهو يبلغ الأنبياء ويبلغ الملائكة.

(٢) أي يكرمه فالله لا تجوز عليه المحبة التي يتصف بها الخلق لأنه منزه عن مشابهة الخلق.

(٣) فلا عبرة بالغوغاء والفسقة ونحوهم فإنهم قد يبغضون العبد الصالح لمآرب في نفوسهم وهواهم، إنما العبرة بالصالحين فهؤلاء يجدون في قلوبهم محبة العبد الصالح.

وفي رواية لمسلم: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللّهَ تعالى إِذا أَحبَّ عبْدًا دَعا جِبْريلَ فقَال: إِنّي أُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبَّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْريلُ، ثُمَّ يُنَادِي في السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأَرْضِ، وإِذا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعا جِبْريلَ فَيقولُ: إِنّي أُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضْهُ فَيُبْغِضُهُ جِبْريلُ، ثُمَّ يُنَادِي في أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللّهَ يُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضُوهُ، ثُمَّ تُوضَعُ له البَغْضَاءُ في الأَرْض».

٣٨٧ - وعن عائشةَ رضي اللَّهُ عنها أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَثَ رَجُلاً عَلى سرِيَّةٍ

(وفي رواية لمسلم قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى إذا أحبّ عبدًا) يحتمل كون التنوين فيه للتعظيم وعظمته بإضافته إلى مولاه وتأهيله لخدمته والقيام بعبوديته (دعا جبريل فقال: إني أحبّ فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل ثم ينادي) أي جبريل (في) أهل (السماء فيقول: إن الله يحبّ فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدًا) التنوين فيه للتحقير والمراد من البغض المسند إليه تعالى غايته من إرادة الخذلان والإعراض والإبعاد (دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانًا فأبغضه، فيبغضه جبريل) الإبغاض بالنسبة إليه وإلى الملائكة محتمل للحقيقة أي الكراهية القلبية والنفرة النفسية وللمعنى المجازي أي دعاؤهم عليه بالطرد وأنواع المقت (ثم ينادي في أهل السماء: إن الله أبغض فلانًا فأبغضوه) الفعل في جميع ما ذكر من الإبغاض من باب الإفعال من البغض. (ثم توضع له البغضاء) بالمد هي شدة البغض (في الأرض) وحديث الباب رواه النسائي.

٣٨٧ - (وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية) بفتح أوله وتشديد التحتية وجمعها سرايا وسريات كعطية وعطايا وعطيات وهي قطعة من الجيش تخرج ثم تعود إليه وهي من مائة إلى

فَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحابِهِ في صلاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [سورة الإخلاص] **فَلَمَّا رَجَعُوا، ذُكِرَ ذلكَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: «سَلُوهُ لأيّ شَيءٍ يَصْنَعُ ذلكَ؟» فَسَأَلوهُ، فَقَال: لأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَـٰنِ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِها، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ تعالى يُحِبُّهُ» متفقٌ عليه.**

خمسمائة **(فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم)** لكونه إمامهم **(فيختم بقل هو الله أحد)** قال الحافظ ابن حجر: «قال ابن دقيق العبد: هذا يدل على أنه كان يقرأ بغيرها، ففيه دليل جواز الجمع بين سورتين غير الفاتحة في ركعة واحدة» **(فلما رجعوا)** أي عادوا من السرية **(ذكر ذلك)** أي ما ذكر من ختمه بسورة الإخلاص **(لرسول الله ﷺ فقال: سلوه)** أصله اسألوه **(لأي شيء يصنع ذلك)** أي ليرتب جزاءه على حسب نيته وقصده، ففيه إيماء إلى أن الأعمال بمقاصدها **(فسألوه فقال لأنها صفة الرحمٰن)** فقد اشتملت على ما يجب له سبحانه من التوحيد وما يجوز في حقه من توجيه الخلق حوائجهم إليه وقصدهم إياه في سائر أمورهم وما يستحيل في حقه من كونه مولدًا من شيء أو يتولد منه شيء، تعالى عما لا يليق به مما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا **(فأنا أحبّ أن أقرأ بها)** أي محبة للدالّ على صفته تعالى **(فقال رسول الله ﷺ)** لمن أخبره عنه بمراده أو لغيره من بعض الحاضرين **(أخبروه)** على وجه البشارة **(أن الله تعالى يحبه[1])** فيه دليل على جواز تخصيص بعض القرءان بميل النفس والاستكثار منه ولا يعدّ ذلك هجرانًا للبعض **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في التوحيد، ومسلم في الصلاة.

---

(١) أي يكرمه على ذلك.

٤٨ - باب التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين

قال الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الأحزاب]، **وقال تعالى** ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الضحى].

وأَما الأَحاديث فكثيرة منها حديث أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه في الباب الذي قبل هذا: «مَن عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَد ءاذَنْتُهُ بِالحَربِ». ومنها حديث سعد بن أَبي وقاص رضي اللَّهُ عنه السابق في «باب ملاطفة اليَتيمِ».

---

٤٨ - باب التحذير من إيذاء الصالحين

وهو القائم بما عليه من حق الله سبحانه أو لأحد من عباده **(والضعفة)** جمع ضعيف **(والمساكين)** المراد منه ما يشمل الفقراء والمراد التحذير من إيذاء من لا ناصر له إلا الحق سبحانه من صالح ومسكين وضعيف لا يؤبه به ولا يقام للتعرض، وظاهره أن الكلام في الإيذاء بغير حق.

(قال الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾) بغير جناية استحقوا بها (﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾) ظاهرًا قيل إنها نزلت في المنافقين يؤذون عليًّا رضي الله عنه وقيل في أهل الإفك.

(وقال تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ **وأما الأحاديث)** المرفوعة في ذلك **(فكثيرة)**.

(منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الباب الذي قبل هذا) وقوله: **(من عادى لي وليًّا فقد ءاذنته بالحرب)** بيان للحديث.

(ومنها حديث سعد بن أبي وقاص) بتشديد القاف وبالصاد المهملة ءاخره. أحد العشرة **(رضي الله عنه السابق في باب ملاطفة اليتيم)** ومنها

وقوله ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَئِن كُنْتَ أَغْضَبْتَهُم لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ».

٣٨٨ - وعن جُنْدُبِ بنِ عبدِ الله رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ في ذِمَّةِ اللّهِ، فَلا يَطْلُبَنَّكُمُ اللّهُ مِن ذِمَّتِهِ بِشَيءٍ، فَإِنَّهُ مَن يَطْلُبْهُ مِن ذِمَّتِهِ بِشَيءٍ يُدْرِكْهُ ثُمَّ يَكُبَّهُ علَى وَجْهِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ». رواه مسلم.

(**قوله ﷺ: يا أبا بكر لئن كنت أغضبتهم**) أي بلالًا وسلمان وصهيبًا (**لقد أغضبت ربك**[1]) ولا يخفى ما في هذه الجملة المؤكدة بالقسم من مزيد الاهتمام بشأن أولئك.

٣٨٨ - (وعن جندب) بضم الجيم والدال المهملة وسكون النون بينهما ءاخره موحدة (**ابن عبد الله**) سكن جندب (**رضي الله عنه**) سكن الكوفة ثم تحوّل عنها إلى البصرة.

(**قال: قال رسول الله ﷺ من صلى صلاة الصبح**) أي جماعة كما في رواية أخرى لمسلم (**فهو في ذمة الله**) بكسر الذال المعجمة وتشديد الميم قيل ضمانه وقيل أمانه وكأنها إنما خصت بذلك لأنها أول النهار الذي هو وقت انتشار الناس في حوائجهم المحتاجين فيه وفي دوامه إلى أمن بعضهم من بعض (**فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء**) أي لا تتعرضوا له بغير حق (**فإنه**) تعليل للنهي (**من يطلبه**) أي الله تعالى (**من ذمته**) أي من أجل خيانته لأمانته (**بشيء يدركه**) إذ لا مهرب ولا مفرّ منه تعالى (**ثم**) بعد إدراكه (**يكبه**) بضم الكاف أي يلقيه (**على وجهه في نار جهنم**) فيه غاية التحذير عن التعرض لمن صلى الصبح المستلزم ذلك لصلاة بقية الخمس، وأن في التعرض له بسوء غاية الإهانة والعذاب (**رواه مسلم**) ورواه الترمذي.

---

(١) غضب الله ليس انفعالا كغضب الخلق إنما معناه إرادته الانتقام ورضاه ليس انفعالا إنما معناه إرادته الإنعام.

٤٩ - باب إجراء أحكام الناس على الظاهر وسرائرهم إلى الله تعالى

قال الله تعالى ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ ۝٥﴾ [سورة التوبة].

٣٨٩ - وعن ابنِ عمرَ رضي اللَّهُ عنهما أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لا إِلٰهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللّهِ، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ،

---

٤٩ - باب إجراء أحكام الناس على ظواهرهم وسرائرهم

بالرفع مبتدأ خبره مقدر تقديره موكولة أو مفوضة (**إلى الله تعالى**).

(**قال الله تعالى** ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ ۝٥﴾) فدعوهم لا تعرضوا لهم بشيء من القتل والحصر، قال السيوطي في «الإكليل»: «لم يكتف في تخلية السبيل بالتوبة من الشرك حتى يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة».

٣٨٩ - (وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: أمرت) والمفهوم منه أن الله تعالى هو الذي أمر كما يفهم من قول الصحابي: «أمرنا» أن الآمر له هو النبي ﷺ (**أن أقاتل الناس**) أي أن أقاتلهم لأن الأمر يتعدى إلى ثاني مفعوليه بحرف النداء وحذفه كثير شائع (**حتى يشهدوا أن**) أي أنه (**لا إله**) أي لا مستغنى بذاته عما سواه ومفتقر إليه كل ما عداه موجود (**إلا الله، و**) يشهدوا (**أن محمدًا رسول الله**) وفي رواية «حتى يقولوا لا إلٰه إلا الله» اكتفاء بها عن أختها مع إرادتها كما في ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ ۝٨١﴾ [سورة النحل] أي والبرد أي حتى يؤمنوا بأنه تعالى واحد لا شريك له وأن محمدًا رسول الله (**ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**) بشروطهما وأركانهما على وفق الأمر الإلٰهي،

فَإِذَا فَعَلُوا ذلِكَ عَصَمُوا مِنّي دِماءَهُمْ وَأَمْوالهُمْ إِلا بِحَقّ الإِسْلامِ، وحِسابُهُمْ عَلى اللَّهِ تعالى». متفقٌ عليه.

٣٩٠ - وعن أَبي عبدِ الله طَارِقِ بنِ أَشْيَم رضي اللَّهُ عنه قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَن قال لا إِلهَ إِلا اللّهُ وَكَفَرَ بِما يُعْبَدُ مِن دُونِ اللّهِ حَرُمَ مالُهُ وَدَمُهُ وَحِسابُهُ على اللَّهِ». رواه مسلم.

وعطفهما على ما قبلهما تنزيلًا لهما منزلته في كون فعلهما غاية للقتال وللأمر به إيذانًا بأنهما أعظم العبادات البدنية والمالية (**فإذا فعلوا ذلك**) غلب فيه الفعل على القول (**عصموا**) أي منعوا وحقنوا (**مني دماءهم**) جمع دم وأصله دمو (**وأموالهم إلا بحق الإسلام**) أي لا تهدر دماؤهم ولا تستباح أموالهم بسبب من الأسباب إلا بحقه كفعل الواجبات وترك المنهيات فإنها واجبة بحقه وقد التزمها المسلمون بإسلامهم (**وحسابهم على الله**) أي إليه (**تعالى**) ما يخفون وما يسترون من عقائدهم لا ما يظهرون بل يعاملون بما يقتضيه. وحاصله تفويض أمر بواطنهم إليه سبحانه لأنه الذي يتولى خبايا أسرارهم وخفايا ضمائرهم من إيمان وكفر ونفاق، وأما الرسول ﷺ فإنما أمر أن يحكم بظواهر أفعالهم وأقوالهم (**متفق عليه**) ورواه الأربعة عن أبي هريرة وهو متواتر.

٣٩٠ - (**وعن أبي عبد الله طارق**) بالمهملة والراء والقاف (**ابن أشيم**) بالشين المعجمة والتحتية بوزن أحمد، ابن مسعود والأشجعي الكوفي (**رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قال لا إله إلا الله**) أي مع قرينتها، وهي محمد رسول الله (**وكفر بما يعبد من دون الله**) أي أيّ معبود كان (**حرم ماله ودمه**) بضم راء الفعل ورفع الاسمين بعده، وقوله (**وحسابه على الله**) جملة مستأنفة مسوقة لبيان تعلق أحكام الشريعة بالظاهر دون ما يخفيه ويسره ذو العقيدة الفاسدة أو يخفيه ذو الأعمال القبيحة فيفوض أمر ذلك إلى المولى سبحانه وفي نسخة زيادة «تعالى» (**رواه مسلم**) منفردًا به عن باقي الكتب الستة.

٣٩١ - وعن أَبي مَعْبَدٍ المِقْدَادِ بنِ الأَسْوَدِ رضي اللَّهُ عنه قال: قلت لِرسُولِ اللّهِ ﷺ: أَرَأَيتَ إِن لَقيتُ رَجُلاً مِنَ الكُفَّارِ فَاقْتَتَلْنَا فَضَرَبَ إِحدَى يَدَيَّ بِالسَّيفِ فَقَطَعهَا ثُمَّ لاذَ مِنّي بِشَجَرَةٍ فقال: أَسْلَمْتُ لِلّهِ، أَأَقْتُلُهُ يا رسولَ اللَّهِ بَعْدَ أَن قَالها؟ فَقَالَ: «لا تَقْتُلْهُ» فَقُلتُ: يا رسُولَ اللّهِ قَطَع إِحْدَى يَدَيَّ ثُمَّ قال ذلِكَ بَعْدَمَا قَطَعَهَا؟ فقال: «لا تَقْتُلْهُ، فَإِن قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَن تَقْتُلَهُ وإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَن يَقُولَ كَلِمَتَهُ التي قال». متفقٌ عليه.

ومعنى «إنَّه بمنزِلَتِكَ» أي معصومُ الدم محكومٌ بإسلامِهِ. ومعنى

---

٣٩١ - (وعن أبي معبد) بفتح الميم **(المقداد بن الأسود رضي الله عنه)** هو المقداد بن عمرو شهد مع رسول الله ﷺ سائر المشاهد، ولم يثبت أنه شهد بدرًا توفي بالجرف على عشرة أميال من المدينة، ومناقبه كثيرة **(قال: قلت لرسول الله ﷺ: أرأيت)** بفتح التاء أي أخبرني **(إن لقيت)** بتاء المتكلم **(رجلاً من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يدي)** بتشديد الياء ويدي مثنى الياء الأولى علامة الجر والثانية مضاف إليه **(بالسيف فقطعها ثم لاذ مني بشجرة)** أي التجأ وقال النووي: «اعتصم مني»، وبين ما تجوز عنه بقوله **(فقال أسلمت لله)** أي دخلت في الإسلام وتدينت به **(أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها)** أي وأحمل ذلك منه على الخشية لا على الحقيقة **(فقال: لا تقتله)** لجريان الأحكام الشرعية على مقتضى الظاهر **(فقلت: يا رسول الله قطع إحدى يدي ثم قال ذلك)** متعوذًا به من القتل **(بعدما قطعها فقال: لا تقتله)** ثم قال مبينًا حكمه إن قتل القائل الكلمة المذكورة **(فإن قتلته)** أي بعد نطقه بذلك **(فإنه)** بعد الإتيان بكلمة الشهادة **(بمنزلتك)** من عصمة الدم والحكم بإسلامه **(قبل أن تقتله وإنك بمنزلته)** في إهدار الدم **(قبل أن يقول كلمته التي قال)** أي فتصير غير معصوم الدم ولا يحرم القتل بعد قتلك له **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في المغازي **(ومعنى إنه بمنزلتك أي معصوم الدم محكوم بإسلامه، ومعنى**

«إنك بمنزلته» أي مُباحُ الدَّمِ بالقِصاص لِوَرَثَتِهِ لا أَنَّهُ بمنزلته في الكفر، والله أعلم.

٣٩٢ - وعن أُسامةَ بنِ زَيْدٍ رضي اللَّهُ عنهما قال: بعثَنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ إِلى الحُرَقَةِ مِن جُهَيْنَةَ، فَصَبَّحْنا الْقَوْمَ عَلى مِياهِهِمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِيناهُ قال: لا إِلهَ إِلا اللّهُ، فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصارِيُّ وَطَعَنْتُهُ بِرُمحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بلَغَ ذلِكَ النَّبيَّ ﷺ فقال لي: «يا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَما قَالَ: لا إِلهَ إِلا اللّهُ؟ قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَقَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لا إِلهَ إِلا اللّهُ؟» فَما زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمنَّيْتُ أَنّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذلِكَ الْيَوْمِ.

إنك بمنزلته: أي مباح الدم بالقصاص لورثته، لا أنه بمنزلته في الكفر، والله أعلم).

٣٩٢ - (وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة) بضم المهملة وتخفيف الراء وبالقاف موضع معروف (من) بلد (جهينة فصبحنا القوم) أي أتيناهم صباحًا (على مياههم) جمع ماء (ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلًا منهم) الواو عاطفة على محذوف يدل عليه رواية أبي داود عن أسامة قال «فنذروا بنا فهربوا فأدركنا رجلًا منهم» (فلما غشيناه) بكسر الشين المعجمة أي قربنا منه (قال: لا إله إلا الله فكف) بتشديد الفاء أي أمسك (عنه الأنصاري) لإتيانه بكلمة التوحيد (وطعنته برمحي حتى قتلته) عند أبي داود «وضربناه حتى قتلناه» (فلما قدمنا) بكسر الدال أي المدينة (بلغ ذلك النبي ﷺ فقال لي) منكرًا ما فعلته وموبخًا عليه (يا أسامة أقتلته بعدما قال) أي بعد قوله (لا إله إلا الله) أي وهي العاصمة لدم قائلها (قلت: يا رسول الله إنما كان متعوذًا) منصوب على الحالية، أي وإنما عاذ وأراد حقن دمه بالتلفظ بها لا الإسلام حقيقة (فما زال يكرّرها) أي هذه الجملة (علي) منكرًا وموبخًا (حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم) معناه لم يكن تقدم إسلامي

متفقٌ عليه.

وفي روايةٍ فَقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقَالَ: لا إِلهَ إِلا اللّهُ وَقَتَلْتَهُ؟ قلتُ: يا رسولَ اللّهِ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السّلاحِ، قال: «أَفَلا شَقَقْتَ عَن قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لا؟» فَمَا زَالَ يُكَرّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنّي أَسْلَمْتُ يَوْمئِذٍ.

«الحرقَةُ» بضم الحاء المهملة وفتح الراءِ بطن مِن جُهَيْنَةَ القَبيلةِ المعروفَةِ. وقوله: «مُتَعَوّذًا» أي: مُعْتَصِمًا بها مِن القَتلِ لا مُعتَقِدًا لها.

بل ابتدأته الآن ليمحو عني ما تقدم. وفي حاشية الكشاف تمنى إسلامًا خاليًا عن الإثم لا عدم الإسلام فلا إشكال اهـ **(متفق عليه)** رواه البخاري في المغازي وفي الديات ومسلم في الإيمان، ورواه أبو داود في الجهاد.

(وفي رواية) هي عند مسلم **(فقال رسول الله ﷺ: أقال لا إله إلا الله وقتلته؟)** مدخول همزة الإنكار قوله وقتلته أي أقتلته مع قوله ذلك **(قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفًا من السلاح)** أي لا إيمانًا حقيقيًّا **(قال أفلا شققت)** أي اعتقدت ذلك وجزمت به فلا شققت **(عن قلبه)** لتعلم أنه كذلك أولًا تعي أن الإيمان الحقيقي خفي، محله القلب لا يطلع عليه إلا الربّ. والأحكام إنما تناط بالظواهر **(حتى تعلم أقالها)** أي قلبه وتكلم بها في نفسه **(أم لا)** قال النووي: «معناه أنك إنما كُلفت بالعمل بالظاهر وهو ما ينطق به اللسان وأما القلب فليس من طريق إلى معرفة ما فيه» **(فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذٍ الحرقة بضم الحاء المهملة وفتح الراء)** الخفيفة وبالقاف كذلك **(بطن من جهينة القبيلة المعروفة)**.

(وقوله متعوذًا) بصيغة الفاعل **(أي معتصمًا بها من القتل لا معتقدًا لها)** فتوهم أسامة أن الرفع للقتل المانع منه الإيمان الحقيقي ولم يتحققه فيه والحال أن المانع منه الإسلام ولو ظاهرًا.

٣٩٣ - وعن جُنْدُبِ بنِ عبدِ الله رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بعثَ بعْثًا مِنَ المُسْلِمِينَ إِلى قَوْمٍ مِنَ المُشْرِكينَ وَأَنَّهُمُ الْتَقَوْا، فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكِينَ إِذا شاءَ أَن يَقْصِدَ إِلى رَجلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَأَنَّ رَجُلاً مِنَ المُسْلِمينَ قَصَدَ غَفلَتَهُ، وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَلمَّا رَفَعَ عليه السَّيْفَ قال: لا إِلٰه إِلا اللّهُ، فقَتَلَهُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلى رسول الله ﷺ فَسَأَلَهُ وأَخْبَرَهُ حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَر الرَّجُلِ كَيْفَ صنَعَ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ، فقال: «لِمَ قَتَلْتَهُ؟» فَقَالَ: يا

---

٣٩٣ - (وعن جندب بن عبد الله) البجلي **(رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث بعثًا)** بفتح الموحدة وسكون المهملة وبالمثلثة، أي جيشًا **(من المسلمين)** في محل الصفة **(إلى قوم من المشركين)** هم الحرقة وكان الأمير على السرية إليهم عبد الله بن غالب الليثي وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد نهيل بن مرداس بعد أن قال لا إلٰه إلا الله **(وأنهم)** أي البعض **(التقوا)** لما تقدم من شراد الكفار لما أنذروا بالمسلمين **(فكان رجل من المشركين إذا شاء)** أي أراد **(أن يقصد)** بكسر الصاد المهملة **(إلى رجل من المسلمين قصد له)** عداه أولًا «بإلى» وثانيًا بـ «اللام» وذلك من وجوه استعمالاته، وثالثها تعديه بنفسه كما فيما بعده. أي إنه لمعرفته بالحرب كان إذا طلب إنسانًا بعينه قصده ولا نهاية لجرأته **(فقتله وأن رجلًا من المسلمين قصد غفلته)** أي طلبها **(وكنا نتحدث أنه أسامة بن زيد)** بن حارثة الحب ابن الحب **(فلما رفع عليه السيف قال)** أي قبل وصوله إليه **(لا إلٰه إلا الله)** أي مع قرينتها، وهي محمد رسول الله لأنه لا يتم الإيمان إلا بهما، فاقتصر على كلمة التوحيد اكتفاء بدلالتها عليها **(فقتله فجاء البشير)** أي المبشر **(إلى رسول الله ﷺ فسأله)** أي عما وقع في الجيش من الأمور ليبين حكم ما فعل منها مما لم يتقدم فيه منه بيان **(وأخبره)** متدرجًا من أمر إلى ءاخر **(حتى أخبره خبر الرجل)** أي أسامة **(كيف صنع فدعاه فسأله فقال: لم قتلته)** أي ما الباعث لك **(فقال: يا**

رسولَ اللّهِ أَوْجَعَ في المُسْلِمِينَ، وَقَتلَ فُلانًا وفلانًا - وسَمَّى له نَفَرًا - وإنّي حَمَلتُ علَيْهِ فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قال: لا إله إلا اللّهُ. قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقَتَلْتَهُ؟» قال: نَعمْ، قال: «فَكيْفَ تَصْنَعُ بلا إله إلا اللّهُ إذا جاءَت يوْمَ القِيامَةِ؟» قالَ يا رسولَ اللّهِ اسْتَغْفِرْ لِي. قال: كيفَ تَصْنَعُ بِلا إله إلا اللّهُ إذا جاءَتْ يَوْمَ القِيامَةِ؟» فَجَعلَ لا يَزيدُ عَلى أَن يقُولَ: «كيفَ تَصْنَعُ بِلا إِلهَ إِلا اللّهُ إذا جاءَتْ يَوْمَ القِيامَةِ» رواه مسلم.

٣٩٤ - وعن عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبَةَ بنِ مسعودٍ قال: سمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي اللَّهُ عنه يقولُ: «إِنَّ ناسًا

رسول الله أوجع) أي أوقع الوجع والنكاية (**في المسلمين**) وحذف الوجع به تفهيمًا ولتذهب النفس فيه كل ممكن وبين بعضه بقوله (**وقتل فلانًا وفلانًا وسمى له نفرًا**) بفتح النون والفاء، ولا يقال فيما زاد على العشرة نفر (**وإني حملت**) بفتح أوليه أي جهدت (**عليه**) قال (**فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله** ﷺ: **أقتلته**) أي مع قولها (**قال: نعم، قال فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟**) أي من يشفع لك ومن يحاج عنك ويجادل إذا جيء بكلمة التوحيد (**قال: يا رسول الله استغفر لي**) أي هذا الذي وقعت فيه (**قال**) محذرًا من الوقوع في مثله وموبخًا منه المرة بعد المرة تأكيدًا (**كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة فجعل**) أي رسول الله ﷺ (**لا يزيد على أن يقول كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة**) ولا يلتفت لقول أسامة استغفر لي وذلك لاهتمامه بالأمر واعتنائه به (**رواه مسلم**) في كتاب الإيمان من «صحيحه».

٣٩٤ - (**وعن عبد الله بن عتبة**) بضم العين المهملة وسكون الفوقية بعدها موحدة ثم هاء (**ابن مسعود**) الهذلي فهو ابن أخي عبد الله بن مسعود من أبناء المهاجرين له رواية (**قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول إن ناسًا**) أصله أناس على الصحيح فحذف فاؤه

كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وإِنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ وإِنَّما نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِما ظَهَر لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لنا خَيْرًا، أَمِنَّاهُ وقرَّبناه، ولَيْس لَنا مِن سَرِيرَتِهِ شيءٌ، اللّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سرِيرَتِهِ، وَمن أَظْهَر لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ وَلَم نُصَدّقْهُ وإِن قال إِنَّ سَرِيرَتَه حَسنَةٌ».
رواه البخاري.

٥٠ - باب الخوف

تخفيفًا (**كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ**) أي عصره وزمنه (**وإن الوحي قد انقطع**) قال الحافظ ابن حجر: «أي بعد وفاة النبي ﷺ» (**وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرًا**) إيمانًا وعدالة (**أمناه**) قال الحافظ ابن حجر: «أي صيرناه عندنا أمينًا». وفي رواية: «ومن يظهر منكم خيرًا ظننا به خيرًا وأحببناه» (**وقربناه وليس لنا**) أي لا تعلق لنا (**من سريرته**) أي ما أسرّه وأخفاه (**شيء**) اسم ليس (**الله يحاسبه**) جملة مستأنفة (**ومن أظهر لنا سوءًا**) في رواية الكشميهني شرًّا (**لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة**) قال الحافظ ابن حجر وفي رواية لأبي فراس «ومن يظهر لنا شرًا ظننا به شرًا وأبغضناه عليه، سرائركم فيما بينكم وبين ربكم» قال المهلب: «هذا إخبار من عمر عما كان الناس عليه في عهد رسول الله ﷺ وعما صار بعده» (**رواه البخاري**) في أوائل الشهادات من «صحيحه».

٥٠ - باب الخوف

أي من الله عز وجل، قال الشيخ زكريا في «شرح الرسالة»: هو فزع القلب من مكروه يناله أو من محبوب يفوته. وسببه تفكر العبد في المخلوقات كتفكره في تقصيره وإهماله وقلة مراقبته لما يرد عليه، وتفكره فيما ذكره الله عز وجل في كتابه من إهلاك من خالفه وما أعدّ له في الآخرة، وقد يعبر عن الخوف بالفزع والروع والرهبة والخيفة والخشية.

قال الله تعالى ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة البقرة]، **وقال تعالى** ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [سورة البروج]، **وقال تعالى** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ﴿١٠٤﴾ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ

(**قال الله تعالى** ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾) أي خافون خوفًا معه تحرز فيما تأتون وتذرون.

(**وقال تعالى** ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾): البطش هو الأخذ بعنف وشدة بالمأخوذ بحسب إرادته تعالى.

(**وقال تعالى** ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾) أي ومثل ذلك الأخذ للأمم الماضين (﴿أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ﴾) أي أهلها وقرئ «إذ» لأن المعنى على المضي (﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌۚ﴾) حال من القرى وهي في الحقيقة لأهلها، وفائدتها الإشعار بأنهم أخذوا لظلمهم وإنذار كل ظالم ظلم نفسه أو غيره من وخامة العاقبة (﴿إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾) وجيع غير مرجوّ الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير (﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾) أي ما أنزل بالأمم الهالكة أو فيما قصه الله من قصصهم (﴿لَأٓيَةٗ﴾) لعبرة (﴿لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾) يعتبر بها عظة لعلمه بأن ما حاق بهم أنموذج مما أعد للمجرمين في الآخرة أو ينزجر به عن موجبه لعلمه بأنها من إلٰه مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء (﴿ذَٰلِكَ﴾) إشارة إلى يوم القيامة وعذاب الآخرة دلّ عليه (﴿يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾) أي يجمع له الناس (﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴿١٠٣﴾﴾) أي مشهود فيه أهل السمٰوات والأرض (﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾) أي اليوم (﴿إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ﴿١٠٤﴾﴾) إلا لانتهاء مدة معدودة متناهية (﴿يَوۡمَ يَأۡتِ﴾) أي الجزاء أو اليوم كقوله ﴿حَتَّىٰٓ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الحج] على أن يوم بمعنى حين (﴿لَا تَكَلَّمُ﴾) أي لا تتكلم (﴿نَفۡسٌ﴾) بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة (﴿إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾) أي بإذن الله كقوله ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿٣٨﴾﴾

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة هود]، **وقال تعالى** ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة ءال عمران]، **وقال تعالى** ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة عبس]، **وقال تعالى** ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾

[سورة النبإ] وهذا في موقف، وقوله ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة المرسلات] في موقف ءاخر أو المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الأعذار الباطلة (﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ﴾) وجبت له النار بمقتضى الوعيد (﴿وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾) منهم وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لأهل الموقف (﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾) الزفير إخراج النفس والشهيق رده واستعمالها في أول النهيق وءاخره، والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم فالمراد تشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمير.

(**وقال تعالى** ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴿٢٨﴾﴾) أي يغضب عليكم من فعل ما حضر وملابسة ما منع.

(**وقال تعالى** ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾) أي زوجته (﴿وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾) بدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب ثم بالصاحبة والولد لأنهما أقرب (﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾) أي يشغله عن شأن غيره أي اشتغل كل بنفسه يفرّ حذرًا من تبعاتهم فيقول الأخ لم تواسني بمالك. والأبوان قصرت في برنا والصاحبة أطعمتني الحرام وفعلت، والولد لم تعلمني ولم ترشدني[1].

(**وقال تعالى** ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾) هائل علل أمرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوّروها

---

(١) أما إذا كانوا صالحين فلا يفرّ بعضهم من بعض.

يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [سورة الحج]، **وقال تعالى** ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الرحمٰن] **الآيات. وقال تعالى** ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾

بعقولهم ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على أنفسهم ويتقوها بملازمة التقوى (﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾) تصوير لهولها أي تُذهلها الزلزلة، والذهول الذهاب عن الأمر بدهشة والمقصود الدلالة على أن هولها بحيث إذا دهشت التي ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه (﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾) أي جنينها، قال المصنف وتقديره تنتهي به الأهوال والشدائد إلى أنه لو تصورت الحوامل هناك لوضعت حملهن، كما تقول العرب أصابنا أمر يشيب فيه الولد، يريدون شدته اهـ (﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾) كأنهم سكارى (﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾) حقيقة (﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾) فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم وأذهب تمييزهم.

(**وقال تعالى** ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾) موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين (﴿جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾) جنة لعقيدته وأخرى لعمله، وفيه أن هذه (**الآيات**) من ءايات الوعد المثيرة للرجاء لا من ءايات الوعيد الباعثة للخوف وكأن المصنف عقَّب الآيات الأول بها إيماء إلى أنه ينبغي أن يكون للمؤمن خوف يمنعه من العصيان ورجاء يبعثه على الطاعة وعمل البرّ، وختم بما هو من قبيل الأول لمناسبته بالباب فقال (**وقال تعالى** ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾) أي يسأل بعض أهل الجنة بعضًا عن أحواله وأعماله (﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾) خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته (﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾) بالرحمة والتوفيق (﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾) عذاب النار

إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الطُّور].

والآيات في الباب كثيرة جدًّا معلوماتٌ، والغرضُ الإشارةُ إلى بعضها وقد حَصَلَ. وأَما الأَحاديثُ فكثيرةٌ جدًّا، فنذكُرُ مِنْها طَرَفًا وباللّه التَّوفيقُ.

٣٩٥ - وعنِ ابنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّهُ عنه قال: حدثنا رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو الصَّادِقُ المصدوقُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعينَ يَوْمًا [نُطْفَةً]، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلِكَ

النافذة في المسامّ نفوذ السموم (﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾) أي من قبل ذلك في الدنيا (﴿نَدْعُوهُ﴾) نعبده أو نسأله الوقاية (﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾) المحسن، وقرئ بفتح الهمزة أي لأنه (﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾) الكثير الرحمة **(والآيات)** الواردة **(في الباب)** أي في باب الخوف **(كثيرة جدًّا معلومات)** بكسر الجيم أي قطعًا **(والغرض)** أي المطلوب **(الإشارة إلى بعضها)** تبركًا وتشرفًا **(وقد حصل)**.

(وأما الأحاديث) المرفوعة **(فكثيرة جدًا فنذكر منها طرفًا)** أي جانبًا **(وبالله)** لا بغيره **(التوفيق)** وهو لغة جعل الأسباب موافقة للمسببات. وشرعًا خلق قدرة الطاعة في العبد.

٣٩٥ - (وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق) في أقواله وأفعاله وأحواله **(المصدوق)** فيما يأتيه من الوحي **(إن أحدكم)** أي الواحد منكم **(يجمع)** بالبناء للمفعول أي يقدر **(خلقه)** أي ما يخلق منه **(في بطن أمه)** صفة خلق أو حال منه أي مادة خلقه الحاصلة أو حاصلة **(أربعين يومًا نطفة)** وهي الماء القليل، والمراد هنا المنيّ لأنه ينطف أي يسيل، ومعنى جمعه فيها مكثه أربعين ليلة منتشرًا ولا ينتقل عن كونه منيًا قبل الأربعين **(ثم يكون)** أي يصير خلقه **(علقة)** قال الحافظ: «هي الدم الجامد الغليظ» لأنها إذ ذاك تعلق بالرحم **(مثل ذلك)** بالنصب صفة علقة، وذلك إشارة إلى خلقه أي علقة

ثم يكون مُضْغَةً مثلَ ذلك، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كلِماتٍ: بِكَتْبِ رِزقِهِ وَأَجَلِهِ وَعمَلِه وَشَقيٌّ أَوْ سَعِيدٌ. فَوَالَّذي لا إِلهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بعَمَل أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِراعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلَهَا، وَإِنَّ أَحدكُمْ

مماثلة لخلقه في أنهما يكونان أربعين يومًا **(ثم يكون)** أي يصير خلقه **(مضغة)** قال الحافظ: «هي قطعة اللحم سمّيت بذلك لأنها قدر ما يمضغ» **(مثل ذلك)** أي أربعين يومًا، وفيها يصورها الله تعالى ويجعل الأعضاء والسمع والبصر وغيرهما ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴿٦﴾﴾ [سورة ءال عمران] **(ثم)** إذا تمت وصار ابن مائة وعشرين يومًا **(يرسل)** بالبناء للمفعول أي يرسل الله في الطور الرابع **(الملك)** قال الحافظ: «أي الموكل بالرحم» **(فينفخ فيه)** أي فينفخ الملك في ذلك المخلوق **(الروح)** بعد كمال الجسم وخلقه؛ وفيه دليل على حدوث الروح، والنفخ والنفث يستعملان بمعنًى **(ويؤمر)** أي ذلك الملك عطف على ينفخ **(بأربع كلمات)** أي يؤمر بكتابة الأحكام المقدّرة له **(بكتب رزقه)** ما ينتفع به حلالا كان أو حرامًا مأكولًا أو غيره **(وأجله)** أي مدة عمره **(وعمله)** من صلاح وضده **(وشقي أو سعيد)** خبر لمبتدإ تقديره هو، وعدل إليه عن شقاوته وسعادته بحكاية صورة المكتوب **(فوالذي)** الفاء فصيحة وهي العاطفة على مقدر، وقيل الواقعة جوابًا لشرط مقدر، أي فإذا كانت السعادة والشقاوة مكتوبين فوالذي **(لا إله غيره)** أكده بالقسم لتأكيد أمر القضاء **(إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى)** أي إلى أن ينتهي إلى أمد **(ما يكون)** ما نافية ويكون مرفوع إجراء لحتى وما بعدها مجرى الحكاية الحالية **(بينه وبينها)** أي الجنة **(إلا ذراع)** أراد به التمثيل للقرب من موته ودخوله عقبه الجنة **(فيسبق)** أورد الفاء لتدل على حصول السبق بلا مهلة وعداه بعلى في قوله **(عليه الكتاب)** لتضمنه معنى يغلب أي يغلب عليه ما كتب عليه قبل النفخ من الشقوة **(فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها)** بفصل القضاء السابق المحتوم لشقوته **(وإن أحدكم**

لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا». متفقٌ عليه.

٣٩٦ - وعنه رضيَ اللهُ عنهُ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا». رواه مسلم.

٣٩٧ - وعنِ النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ رضي اللَّهُ عنهما قال: سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ

ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون) أي إلى أن لا يبقى **(بينه وبينها إلا ذراع فسيبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة)** من الإنابة والاستغفار وعمل الأبرار **(فيدخلها)** فالخاتمة نسخت السابقة، ففي الحديث إيماء إلى عدم الاغترار بصور الأعمال والركون إليها بل بالخاتمة، وقد جاء في بعض روايات الحديث زيادة «وإنما الأعمال بالخواتيم» فلا يقطع لأحد معين بدخول الجنة إلا من أخبر ﷺ أنه من أهلها، فعليك أن لا تتكل على عمل ولا تعجب به واسأل الله حسن الخاتمة واستعذ به من سوئها وفيه إثبات القدر وهو مذهب أهل الحق وأن جميع ما في الكون بقضاء وقدر من نفع أو ضرر **(متفق عليه)** وكذا رواه أصحاب السنن الأربعة.

٣٩٦ - **(وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى بجهنم)** قال النووي: اختلف أهل العربية هل جهنم اسم عربي أم عجمي؟ وقال الأكثرون: هي عجمية معرّبة وامتنع صرفها للعلمية والعجمة **(يومئذٍ)** أي يوم إذ يقوم العباد للحساب **(لها سبعون ألف زمام)** والزمام لغة ما يجعل في أنف البعير يشد عليه المقود فيحتمل أن يكون ذلك على حقيقته **(مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها رواه مسلم)** في باب الجنة والنار.

٣٩٧ - **(وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أهون أهل النار)** أي الكفار لأنهم أهلها الملازمون لها الخالدون أبدًا، أما العصاة من مؤمني الأمة المحمدية الذين سبق في العلم الأزلي

عَذَابًا يَوْمَ الْقِيامَة لَرَجُلٌ يُوضَعُ في أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، مَا يَرى أَنَّ أَحدًا أَشَدُّ مِنْه عَذَابًا وإِنَّه لأَهْوَنُهُمْ عذابًا». متفق عليه.

٣٩٨ - وعن سمُرةَ بنِ جُنْدُبٍ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ نَبيَّ اللَّهِ ﷺ قال: «مِنْهُم مَن تَأْخُذهُ النَّارُ إِلى كَعْبَيهِ، ومِنْهُم مَن تأْخُذُهُ إِلى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُم من تَأْخُذُهُ إِلى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُم من تَأْخُذُه إِلى تَرْقُوَتِهِ» رواه مسلم.

«الحُجْزَة»: مَعْقِدُ الإزارِ تحتَ السُّرةِ. و «التَّرْقُوَةُ»: بفتح التاء وضم القاف:

تعذيبهم بها فليسوا أهلها لخروجهم ودخولهم الجنة (**عذابًا يوم القيامة لرجل**) قال الحافظ ابن حجر: «هو أبو طالب وقد وقع في حديث ابن عباس عند مسلم التصريح بذلك» (**يوضع في أخمص**) بفتح الهمزة (**قدميه**) أي المتجافي من الرجل عن الأرض (**جمرتان يغلي**) والغليان معروف وهو شدة اضطراب الماء ونحوها على النار لشدة إيقادها (**منهما دماغه**) بكسر الدال المهملة معروف (**ما يرى**) بفتح التحتية أي يعتقد (**أن أحدًا أشد منه عذابًا**) لقوّة ما يلقاه منه (**وإنه لأهونهم عذابًا. متفق عليه**) رواه البخاري في الرقاق ومسلم في صفة النار.

٣٩٨ - (**وعن سمرة**) بفتح المهملة وضم الميم (**ابن جندب**) بضم الجيم والدال المهملة وبفتحها والنون ساكنة بينهما (**رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: منهم**) أي من أهل النار (**من تأخذه النار إلى كعبيه**) وهو العظم الناتىء عند مفصل الساق من القدم (**ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه**) وهو مجمع عظم الساق والفخذ (**ومنهم من تأخذه إلى حجزته**) بضم الحاء المهملة وإسكان الجيم وبالزاي (**ومنهم من تأخذه إلى ترقوته**) أي وباقي الجسد الذي لم يأخذه العذاب يغلي بما أخذه منه العذاب (**رواه مسلم**) في صفة النار (**الحجزة معقد الإزار**) والسراويل كما في «شرح مسلم» له (**تحت السرّة**) المراد ما يحاذي ذلك المحل من جنبيه (**والترقوة بفتح التاء**) المثناة الفوقية (**وضم القاف**) وسكون الراء وفتح الواو، تفعلة

هي العظم الذي عند ثُغْرَةِ النَّحْرِ، وللإنسان ترقوتان في جانبي النَّحر.

٣٩٩ - وعنِ ابنِ عُمَرَ رضي اللَّهُ عنهما أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العالمين حَتَّى يغيبَ أَحدُهُمْ في رَشْحِهِ إِلى أَنْصافِ أُذُنَيه». متفقٌ عليه.

«والرشح»: العَرَقُ.

٤٠٠ - وعن أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه قال: خَطَبَ رَسولُ الله ﷺ خُطْبَةً ما سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ

وجمعها تراقي (**هي العظم الذي عند ثغرة النحر**) الثغرة بضم المثلثة التي في وسطه قال في «شرح مسلم»: الترقوة بين ثغرة النحر والعاتق (**وللإنسان ترقوتان في جانبي النحر**) قال في «المصباح»: قال بعضهم: ولا تكون الترقوة لشيء من الحيوان إلا للإنسان خاصة.

٣٩٩ - (**وعن ابن عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: يقوم الناس**) أي من قبورهم (**لرب العالمين**) أي لأمره وجزائه (**حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**) قال النووي: «سبب كثره العرق تراكم الأهوال ودنو الشمس من رءوسهم وزحمة بعضهم بعضًا»، فيكون الناس في ذلك العرق على قدر أعمالهم، فمنهم من يلجمه ويصير له كاللجام ويمنعه من الكلام ويصل لأذنه، ومنهم دون ذلك حتى إنه يكون للبعض إلى كعبه.

(**متفق عليه**) والسياق لمسلم (**والرشح**) بفتح الراء وسكون الشين المعجمة وبالحاء المهملة (**العرق**) بفتح أوليه المهملتين.

٤٠٠ - (**وعن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ**) أي وعظ، وسميت خطبة لأنهم كانوا يلقونها عند الخطب والمهام (**خطبة، ما سمعت مثلها قط**) لكمال بلاغتها، وقط بفتح القاف وضم الطاء المهملة المشددة في اللغة الفصحى ظرف لاستغراق ما مضى من الزمان

فقال: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ولبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» فَغَطَّى أَصْحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وجُوهَهُمْ وَلهُمْ خَنينٌ. متفقٌ عليه.

وفي رواية: بَلَغَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَصْحابِهِ شيءٌ فَخَطَبَ فقال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الجنَّةُ وَالنَّارُ فَلَمْ أَرَ كَاليَوْم في الخَيْرِ وَالشَّرّ، ولَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعلَمُ لَضحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيتُمْ كَثِيرًا» فَما أَتَى عَلى أَصْحَابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ،

نحو ما فعلته قط (**فقال**) أي من جملتها، أو يحتمل أن يكون ذلك هو المقول كله (**لو تعلمون ما أعلم**) أي من أهوال الآخرة وما أعدّ في الجنة من نعيم وفي النار من العذاب الأليم (**لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**) الخطاب للمؤمنين، لكن خرج هذا الحديث في مقام ترجيح الخوف على الرجاء، قال الكازروني: ففي الحديث الحثّ على البكاء والتحذير من إكثار الضحك (**فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم**) فيه استحباب تغطية الوجه عند البكاء وقد ورد الأمر به حال العطاس وكأنه ستر لما يعرض حينئذٍ في بشرة الوجه (**ولهم خنين**) وهو تردد في البكاء بصوت أغن (**متفق عليه**) أخرجه البخاري في التفسير واللفظ له ومسلم في فضائل النبي ﷺ بنحوه (**وفي رواية**) هي لمسلم (**بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء فخطب فقال: عرضت عليّ الجنة والنار**) قال القاضي عياض: قال العلماء يحتمل أنه رءاهما رؤية عين كشف الله تعالى عنهما وأزال الحجاب بينه وبينهما وفيه أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان اليوم وهو مذهب أهل السنة خلافًا للمعتزلة (**فلم أر كاليوم في الخير والشر**) قال النووي: «معنى الحديث لم أر خيرًا أكثر مما رأيته اليوم في الجنة، ولا شرًّا أكثر مما رأيته في النار» (**ولو تعلمون ما أعلم**) مما رأيته اليوم (**لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**) أي لحصل من الإشفاق البليغ ما يقلّ ضحككم ويكثر بكاءكم. وفيه دليل على أنه لا كراهية في استعمال «لو» في مثل هذا (**فما أتى**) أي جاء (**على أصحاب النبيّ ﷺ يوم أشد منه**) في إزعاجهم بالموعظة

غَطَّوْا رُءوسهُمْ وَلهُمْ خَنِينٌ.

«الخَنينُ» بالخَاءِ المُعجمَة هُوَ البُكاءُ مع غُنَّةٍ وانتشاقِ الصَّوتِ مِنَ الأنفِ.

٤٠١ - وعنِ المِقْدَادِ رضيَ اللّهُ عنه قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يومَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ حتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامرٍ الرَّاوِي عن المِقْدَاد: فَوَاللّهِ مَا أَدرِي ما يَعْني بِالمِيلِ أَمَسَافَةَ الأَرضِ أَم المِيلَ الَّذي تُكْتَحَلُ بِهِ العيْنُ «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلى قَدرِ أَعْمالِهِمْ في العَرَقِ، فَمِنْهُم مَن يَكُونُ إِلى كعْبَيْهِ، وَمِنْهُم مَن يَكُونُ إِلى رُكْبَتَيْهِ، ومِنْهُم من يَكون إِلى حَقْوَيهِ،

وتأثرهم بها (**غطوا**) بتشديد الطاء المهملة أي ستروا (**رءوسهم**) بالغطاء (**ولهم خنين**) جملة حالية (**الخنين بالخاء المعجمة**) المفتوحة (**هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت**) وفي «شرح مسلم»: ومعناه بالمعجمة صوت وهو نوع من البكاء دون الانتحاب (**من الأنف**) كالحنين بالمهملة.

٤٠١ - (**وعن المقداد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تدنى**) بالبناء للمفعول وحذف الفاعل للعلم بأنه الله تعالى (**الشمس يوم القيامة من الخلق**) أل فيه للجنس أي من المخلوقين (**حتى تكون**) تصير (**منهم كمقدار**) أي مثل مقدار (**ميل**) وذلك تشديد في الهول والكرب (**قال سليم**) بضم المهملة وفتح اللام وتخفيف التحتية (**ابن عامر الراوي عن المقداد**) فهو تابعي يروي عن أبي الدرداء وعوف بن مالك (**فوالله ما أدري ما يعني**) أي النبي ﷺ (**بالميل أمسافة الأرض**) أي أراد المسافة التي هي عند العرب مقدار مدّ البصر من الأرض (**أم**) أراد (**الميل الذي تكتحل به العين فيكون على قدر أعمالهم في العرق**) أي اختلافهم في مكان العرق منهم بحسب اختلافهم في العمل صلاحًا وفسادًا ثم فصله كذلك زيادة في البيان فقال (**فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه**) قال

ومِنْهُم مَن يُلْجِمُهُ العَرَقُ إِلجامًا» وَأَشَارَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بِيدِهِ إلى فيه. رواه مسلم.

٤٠٢ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضيَ الله عنه أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ في الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِراعًا ويُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ ءاذَانَهُمْ». متفقٌ عليه.

ومعنى «يَذْهَبُ في الأرضِ»: ينزل ويغوص.

٤٠٣ - وعنه قال: كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إِذ سمِعَ وَجْبَةً فقال: «هَلْ تَدْرُونَ ما هذا؟» قُلْنَا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

النووي: «بفتح الحاء المهملة وكسرها وهما معقد الإزار، والمراد هنا ما يحاذي ذلك الموضع من جنبيه» **(ومنه من يلجمه العرق إلجامًا)** أي يصل إلى فيه وأذنيه فيكون له بمنزلة اللجام من الحيوانات كما قال الراوي **(وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه. رواه مسلم)**.

٤٠٢ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يعرق) بفتح التحتية والراء **(الناس)** من شدة كرب يوم القيامة وأهوالها **(يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا ويلجمهم)** بضم التحتية من ألجمه الماء إذا بلغ فاه **(حتى يبلغ ءاذانهم)** وهذا لبعض الناس لتفاوت الناس في ذلك كما تقدم في الحديث قبله، واستثنى من ذلك الأنبياء والشهداء ومن شاء الله له من المؤمنين والمؤمنات، ثم أشد الناس عرقًا الكافر، ثم أصحاب الكبائر ثم من بعدهم **(متفق عليه)** رواه البخاري في الرقاق ومسلم في باب صفة الجنة والنار **(ومعنى يذهب في الأرض: أي ينزل فيها ويغوص)**.

٤٠٣ - (وعنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة) قال النووي: «هي السقطة» **(فقال: هل تدرون ما هذا)** أي المسموع، وظاهره أنهم سمعوها أيضًا كرامة، ولا مانع فقد سمعوا حنين الجذع وتسبيح الحصا في يده وغير ذلك **(قلنا: الله ورسوله أعلم)** فيه بيان أن الأدب إذا

قال: هذا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ في النَّارِ مِنْ سَبْعِينَ خَريفًا فَهُوَ يَهْوِي في النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلى قعْرِهَا، فَسَمِعْتُمْ وجْبَتَهَا». رواه مسلم.

٤٠٤ - وعنْ عَدِيّ بنِ حاتِمٍ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما مِنْكُم مِنْ أَحَدٍ إِلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ،

سئل الإنسان عما لا علم له به أن يكل العلم فيه إلى الله سبحانه ولا يتكلم فيما لا علم له به، وليس من التكلم بلا علم ما يستنبطه أهل العلم ويستخرجونه بما عندهم من جودة الذهن وحسن الفكر، بل هو من التكلم بالعلم، قال تعالى ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة النساء] **(قال هذا حجر)** أي صوت حجر **(رمي)** بالبناء للمفعول **(به في النار من سبعين خريفًا)** أي عامًا والمقام يقتضي حمله على حقيقته **(فهو يهوي)** بكسر الواو: أي ينزل **(في النار الآن)** اسم للزمان الحال وهو ظرف خبر مقدم لقوله **(حين انتهى إلى قعرها)** وتقديره الآن حين انتهى بها إلى قعر النار **(فسمعتم وجبتها)** بفتح الواو وسكون الجيم ومعناه الاضطراب: أي صوت اضطراب النار من نزول الحجر إليها **(رواه مسلم)** في باب صفة الجنة والنار.

٤٠٤ - (وعن عديّ) بفتح العين المهملة وكسر الدال المهملة وتشديد التحتية **(ابن حاتم)** بالمهملة فالفوقية **(رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما منكم من أحد)** من مزيدة في الفاعل لتأكيد العموم فيه لوقوعه بعد النفي **(إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان[1])** قال الحافظ ابن حجر: «الترجمان المعبّر عن لغة بلغة»، والمراد هنا أنه تعالى يكلمه بلا

---

(١) المعنى أن الله تعالى في يوم القيامة يزيل عن أسماع العباد الحجاب المعنوي المانع من سماع كلامه الذاتي الأزلي الأبدي الموجود دائمًا فيسمع كل العباد كلام الله فيفهمون منه السؤال ألم أعطك كذا لم فعلتَ كذا ونحوه. ويدل على هذا قوله تعالى ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الأنعام] فلو كان كلامه تعالى بحرف وصوت ولغة لكان أبطأ الحاسبين ولم يكن أسرعهم. وقال تعالى عن نفسه: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة البقرة].

فَيَنْظُرُ أَيْمنَ مِنْهُ فَلا يَرَى إِلا ما قَدَّمَ، وينْظُرُ أَشْأَم مِنْهُ فَلا يَرى إِلا ما قَدَّمَ، وَينْظُرُ بيْنَ يَدَيْهِ فَلا يَرَى إِلا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجهِهِ، فاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ». متفقٌ عليه.

٤٠٥ - وعن أَبي ذَرّ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنّي أَرى ما لا تَرَونَ أَطَّتِ السَّماءُ وحُقَّ لَهَا أَن تَئِطَّ، مَا فيهَا موْضِعُ أَربَع أَصَابعَ إِلا وَمَلَكٌ واضعٌ جَبْهَتَهُ ساجِدًا لله تعالى، واللّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا

واسطة (**فينظر أيمن منه**) أي جانبًا أيمن منه (**فلا يرى**) أي يبصر (**إلا ما قدم**) من صالح العمل (**وينظر أشأم منه**) قال الحافظ ابن حجر: «والمراد بهما اليمين والشمال» (**فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء**) بكسر الفوقية وبالمد أي قبالة (**وجهه، فاتقوا النار**) أي اجعلوا صالح العمل وقاية بينكم وبينها (**ولو**) كان (**بشق**) بكسر الشين المعجمة أي نصف (**تمرة متفق عليه**).

٤٠٥ - (**وعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إني أرى**) أي أبصر أو أعلم (**ما لا ترون**) أي تبصرون أو تعلمون (**أطت السماء وحق**) بضم الحاء المهملة وتشديد القاف أي ويحق (**لها أن تئطّ**) أي لما فيها من أعمال البرّ وعمالها كما قال (**ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك**) حال من فاعل الظرف أعني موضعًا أي وفيه ملك (**واضع**) بالتنوين ويجوز تركه (**جبهته ساجدًا لله تعالى**) واستدل به على فضل السماء على الأرض، وهو المختار عند أصحابنا الشافعية فهي محل الطاعة ولم يقع عليها عصيان (**والله**) أتى به تأكيدًا لما بعده (**لو تعلمون ما أعلم**) من عظم جلال الله تعالى وشدة انتقامه (**لضحكتم قليلًا**) خوفًا من سطوة المولى سبحانه (**ولبكيتم كثيرًا**) كذلك، وفي قوله قليلًا أولًا وكثيرًا ثانيًا إيماء إلى أن المطلوب من العبد أن لا ينتهي به الخوف إلى اليأس والقنوط بل يكون عنده بعض الرجاء فيعمل معه البر ويكون عنده

وما تلَذَّذتُم بِالنّساءِ عَلى الفُرُشِ وَلَخَرجْتُمْ إِلى الصُّعُداتِ تَجْأَرُون إِلى الله تعالى». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

«وأَطَّت»: بفتح الهمزة وتشديد الطاء. و«تئط»: بفتح التاء وبعدها همزة مكسورة، والأطيطُ: صوتُ الرَّحلِ والقَتَبِ وشَبهِهما، ومعناه: أن كثرة من في السماءِ مِن الملائكةِ العابِدينَ قَد أَثْقَلَتْها حتَّى أَطَّت. و«الصُعُدات» بضم الصَّادِ والعَيْن: الطُّرُقاتُ. ومعنى: «تجأرون»: تَسْتَغيثون.

٤٠٦ - وعن أَبي بَرْزَةَ براء ثم زاي نَضْلةَ بنِ عُبَيْدٍ الأَسْلَمِيّ رضي اللَّهُ عنه

من الخوف ما ينزجر به عن المخالفة (**وما تلذذتم بالنساء على الفرش**) أي لشدة ما كان يحصل لكم من الوجل (**ولخرجتم إلى الصعدات**) أي الطرقات (**تجأرون**) بسكون الجيم وبعدها همزة مفتوحة أي ترفعون أصواتكم بالاستغاثة (**إلى الله تعالى. رواه الترمذي وقال حديث حسن وأطت بفتح الهمزة وتشديد الطاء**) المهملة (**وتئطّ بفتح التاء**) أي الفوقية (**وبعدها همزة مكسورة**) مكتوبة بصورة الياء على القاعدة (**والأطيط**) بفتح الهمزة وكسر الطاء الأولى (**صوت الرحل**) بالحاء المهملة هو ما يشد على البعير ويوضع عليه الحمل ويسمى بالكور (**والقتب وشبههما**) من ذي الصوت (**ومعناه**) أي معنى هذا الكلام (**أن كثرة من في السماء من الملائكة العابدين قد أثقلها حتى أطت**) أي حصل الصوت منها كما يحصل من الرحل إذا ركب عليه، أجرى المصنف الكلام على ظاهره (**والصعدات ضم الصاد والعين**) وبالدال المهملة (**الطرقات**) بضم أوليه جمع طريق (**ومعنى تجأرون تستغيثون**) مضارع من الاستغاثة بالمثلثة سؤال للغوث.

٤٠٦ - (**وعن أبي برزة**) بموحدة ثم (**براء ثم زاي**) ثم هاء (**نضلة**) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة (**ابن عبيد**) بضم المهملة (**الأسلمي**) من ولد أسلم بن أقصى بن حارثة (**رضي الله عنه**) وأبو برزة كنية انفرد

قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَزُولُ قَدَما عبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَن عَمَلِهِ فيما فَعَلَ، وعَن مالِهِ منْ أَينَ اكْتَسَبهُ وَفِيمَا أَنفَقَهُ، وَعَن جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلاهُ». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

٤٠٧ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قرأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ [سورة الزلزلة] قال: «أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟» قالوا: اللّهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «فإِنَّ أَخْبَارَها أَن تَشْهَدَ عَلى كُلّ عبْدٍ وأَمةٍ بِمَا عَمِل عَلى ظَهْرِهَا، تَقُولُ: عَمِلَ كَذَا وكَذَا يَوْمَ كَذَا وكَذَا،

بها لا يعرف في الصحابة من يكنى بها غيره أسلم أبو برزة قديمًا وشهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة.

(**قال: قال رسول الله ﷺ: لا تزول قدما عبد**) أي من موقفه للحساب إلى جنة أو نار (**حتى يسأل**) بالبناء للمفعول (**عن عمره**) بضم أوليه ويسكن ثانيه تخفيفًا أي حياته وبقائه في الدنيا (**فيما أفناه**) في طاعة أم معصية، فما استفهامية فيه وفيما بعده (**وعن عمله فيما فعل**) فيه لوجه الله تعالى خالصًا فيثاب عليه، أو رياء وسمعة فيعاقب عليه إن شاء الله تعالى (**وعن ماله من أين اكتسبه**) أمن حلال ذلك أو حرام (**وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه**) في طاعة مولاه أم في سواه، ويستثنى من ذلك الأنبياء (**رواه الترمذي**) في أبواب الزهد من «جامعه» (**وقال: حديث حسن صحيح**).

٤٠٧ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ ثم قال أتدرون ما أخبارها؟) المحدثة بها (**قالوا: الله ورسوله أعلم**) أي عالم (**قال: فإن أخبارها أن تشهد**) بلسان كما هو الظاهر ولا مانع منه لأنه ممكن وهو أبلغ في إلزام الحجة (**على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها**) الظاهر أن العموم فيه مخصوص بغير ذي الأعمال المكفرة، وقوله (**تقول عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا**) تفصيل للشهادة وبيان لكيفيتها وكذا كناية عن مقدار

فهَذِهِ أَخْبَارُهَا». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

٤٠٨ - وعن أَبي سعيدٍ الخُدْريّ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وصاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخَ» فَكَأَنَّ ذلِكَ ثَقُلَ عَلى أَصْحَابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالَ لَهُمْ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

«القرنُ»: هُوَ الصُّورُ الذي قال الله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الكهف] كذَا فسَّره رسولُ اللَّهِ ﷺ.

الشيء وعدته، وتكون كناية عن الأشياء فتقول فعلت كذا وقلت كذا (**فهذه أخبارها**) بفتح الهمزة جمع خبر (**رواه الترمذي**) في الزهد والتفسير من «جامعه» (**وقال حديث حسن**) ورواه النسائي في التفسير.

٤٠٨ - (**وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله** ﷺ: **كيف أنعم**) بفتح العين من النعمة بفتح النون وهي المسرة والفرح. أي كيف أتسع في الدنيا وألتذ بها (**وصاحب القرن**) أي الصور يعني الملك الموكل به وهو إسرافيل (**قد التقم القرن**) أي وضع فاه عليه (**واستمع**) أي أصغى (**الإذن**) يحتمل أن يكون مفعولا به أي يستمعه وينتظره (**متى يؤمر بالنفخ**) أي بنفخ الصور (**فينفخ**) أي عقب الأمر فحينئذٍ يصعق من في السمٰوات والأرض أي يموت (**فكأن ذلك**) أي المذكور من قرب الساعة، وهي إنما تقوم على الأشرار (**ثقل**) بفتح المثلثة وضم القاف أي عظم (**على أصحاب رسول الله** ﷺ **فقال**) أي النبيّ ﷺ (**لهم: قولوا حسبنا**) أي محسبنا وكافينا (**الله ونعم الوكيل**) أي الموكول إليه الأمر (**رواه الترمذي**) في أبواب الزهد من «جامعه» (**وقال: حديث حسن**) ورواه النسائي في التفسير من طريق عن أبي هريرة بنحوه (**القرن**) بفتح القاف وسكون الراء مضاف لمعرفة (**هو الصور**) بضم الصاد المهملة وسكون الواو وبالراء (**الذي قال الله تعالى**) أي فيه (﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴿٩٩﴾﴾، **كذا فسره رسول الله** ﷺ) رواه أحمد والترمذي وأبو

٤٠٩ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللّهِ غالِيةٌ، أَلا إِنَّ سِلْعةَ اللّهِ الجَنَّةُ». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

و«أدلج» بإِسْكان الدَّال ومعناه سَارَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيلِ، والمُرادُ: التَّشميرُ في الطَّاعةِ. والله أعلم.

٤١٠ - وعن عائشةَ رضي اللَّهُ عنها قالت: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامةِ حُفَاةً

داود والحاكم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قال: «الصور قرن ينفخ فيه».

٤٠٩ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ من خاف) أي خاف البيات **(أدلج)** أي هرب في أوّل الليل **(ومن أدلج بلغ المنزل)** الذي يأمن فيه البيات. أي من خاف الله فليهرب من المعاصي إلى طاعته تعالى **(ألا)** أداة استفتاح **(إن سلعة الله)** بكسر السين المهملة وجمعها سلع فهي كسدرة وسدر. والسلعة المتاع **(غالية)** بالمعجمة أي رفيعة القيمة **(ألا إن سلعة الله)** هي **(الجنة)** وهي عزيزة لا يليق بثمنها إلا بذل النفس والمال **(رواه الترمذي)** في باب الزهد **(وقال: حديث حسن وأدلج بإسكان الدال)** المهملة وبالجيم معناه **(سار من أول الليل)** وهو أنسب بالحديث لكونه أدل على مزيد الاهتمام والاعتناء وأمكن في القصد للبعد عن العدو **(والمراد التشمير في طاعة الله)** أي إنه تمثيل لذلك كما سبق وإلا فلا مسافة حسية تقطعها بسيرك ليلًا إنما هي المجاهدات المورثة بالفضل الإلٰهي للمشاهدات.

٤١٠ - (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الناس) عامّ مخصوص فقد جاء في صحيح مسلم «أول من يكسى[1] يوم القيامة إبراهيم عليه السلام» الحديث **(يوم القيامة حفاة)**

---

(١) أي ثوب خاص من حُلل الجنة، وإلا فإن كل الأنبياء وكل الصالحين يحشرون كاسين=

عُراةً غُرْلا» قُلتُ: يا رسولَ اللَّهِ النّسَاءُ وَالرّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلى بعضٍ؟ قال: «يا عَائِشَةُ الأَمرُ أَشَدُّ من أَن يُهِمَّهُمْ ذلكَ».

وفي روايةٍ: «الأَمرُ أَهَمُّ أَن يَنظُرَ بَعضُهُمْ إِلى بَعْضٍ». متفق عليه.

«غرلا»: بضمّ الغين المعجمة، أي: غيرَ مختونين.

بضم أوله المهمل وبالفاء جمع حاف وهو الذي لا حذاء في رجله ولا خف **(عراة)** جمع عار وهو الذي لا ثوب ببدنه **(غرلا)** قال النووي: «معناه غير مختونين جمع أغرل وهو الذي لم يختن وبقيت معه غرته وهي قلفته وهي الجلدة التي تقطع في الختان، والمقصود أنهم يحشرون كما خلقوا لا شيء معهم ولا يفقد منهم شيء حتى الغرلة تكون معهم» **(قلت: يا رسول الله النساء والرجال جميعًا)** أي الحشر حال كونهم مجموعين، وقولها **(ينظر بعضهم إلى بعض)** يحتمل أن يكون حالًا من ذلك **(قال يا عائشة الأمر)** أي هول الأمر وشدته **(أشد من أن يهمهم)** بفتح التحتية وضم الهاء أو بضم التحتية وكسرها. قال في «المصباح»: يقال أهمني الأمر بالألف أقلقني **(ذلك)** أي النفوس إنما تنظر لذلك عند الاستراحة وهم في هول يذهل به الخليل عن خليله[1].

(وفي رواية) هي «للصحيحين» أيضًا **(الأمر أهم)** وفي نسخة «أشد» **(من أن ينظر بعضهم إلى بعض متفق عليه)** أخرجه البخاري في الرقاق ومسلم في أبواب صفة الجنة والنار.

(غرلاً بضم الغين المعجمة) وسكون الراء **(أي غير مختونين)** في «المصباح» الغرلة مثل القلفة وزنًا ومعنًى.

= طاعمين راكبين كما ورد في حديث رواه الترمذي.

(١) هذا في غير الأنبياء والأولياء الصالحين فإن الله تعالى يقول ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة يونس].

٥١ - باب الرجاء

قال الله تعالى ﴿۞قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الزُّمَر]، **وقال تعالى** ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة سَبَإ]،

---

٥١ - باب الرجاء

بفتح الراء وبالمد هو ضد الخوف، وعرف بأنه تأمل الخير وقرب وقوعه. ويطلق على الخوف ومنه قوله تعالى ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [سورة نوح] وقال الراغب في «مفرداته»: قيل ما لكم لا تخافون؟ وفي «الرسالة القشيرية»: الرجاء تعليق القلب بمحبوب في المستقبل، والفرق بينه وبين التمني أن التمني يصاحبه الكسل ولا يسلك صاحبه طريق الجد وضده صاحب الرجاء.

(**قال الله تعالى** ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ﴾) إضافتهم إليه إضافة تشريف وتكريم ليذهب عنهم ما عداهم من خشية المعصية وبعد المخالفة، وتخصيصهم بالمؤمنين على ما هو عرف القرءان (﴿ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾) أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعصية (﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾) لا تفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعصية (﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾) لا تيأسوا من مغفرته أوّلًا وتفضله ثانيًا (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾) عفوا وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر، ويدل على إطلاقه فيما عدا الشرك قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة النساء] الآية والتعليل بقوله (﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾) للمبالغة وإفادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة.

(**وقال تعالى** ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾): أي هل يجازى بمثل ما فعلنا بهم إلا البليغ في الكفران أو الكفر.

وقال تعالى ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة طـٰه]، **وقال تعالى** ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴿١٥٦﴾﴾ [سورة الأعراف].

٤١١ - وعن عُبَادَةَ بنِ الصامِتِ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «من شَهِدَ أَن لا إِلٰهَ إِلا اللّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وأَنَّ مُحمَّدًا عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وأَنَّ عِيسى عَبْدُ اللّهِ وَرَسُولُهُ، وكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ

(**وقال تعالى**) مخبرًا عن موسى وهارون (﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ﴾) وهو عبارة عن الألم مع الإماتة (﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾) وفيه إيماء إلى سلامة من أمن من ذلك، ولا ينافيه ما ورد من تعذيب قوم من أهل التوحيد لأنه ليس لإهانتهم بل لتطهيرهم لما حصل لهم من دنس المخالفة حتى يتأهلوا لدخول الجنة والحلول بها. جعلنا الله من أهل الجنة بمحض الفضل والمنة.

(**وقال تعالى** ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴿١٥٦﴾﴾) المؤمن والكافر. قال البيضاوي: وهذا في الدنيا وأما في الآخرة قوله ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [سورة الأعراف] الآية.

٤١١ - (وعن عبادة بن الصامت) الأنصاري الخزرجي **(رضي الله عنه)** في باب الأمر بالمعروف **(قال: قال رسول الله ﷺ: من شهد)** أي علم **(أن لا إلـٰه)** أي لا معبود بحق **(إلا الله)** بالرفع **(وحده)** أي منفردًا بالألوهية **(لا شريك له)** في ذلك ولا في شيء من أوصافه ولا من أفعاله بل كل ما في الوجود خلق الله وحده، والمراد من صدّق بمضمون ذلك وأذعن له بجَنانه ونطق به بلسانه **(و)** شهد **(أن محمدًا عبده)** هو أشرف أوصافه فلذا ذكره به في الكتاب في أشرف المواطن كمقام الإسراء وإنزال الكتاب عليه ولذا قدمه على قوله **(ورسوله وأن عيسى عبد الله)** خصه بالذكر ردًا على النصارى في إنكارهم ذلك، وقولهم إنه ابن الله، تعالى الله عن ذلك **(ورسوله)** إلى بني إسرائيل **(وكلمته ألقاها إلى مريم)** سمي به لأنه وجد بأمره تعالى دون أب وأضيف إلى الله تعالى تعظيمًا

وَرُوحٌ مِنْهُ، والجَنَّةَ والنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللّهُ الجنةَ عَلى ما كانَ مِنَ العملِ» متفقٌ عليه. وفي روايةٍ لمسلم: «مَن شَهِدَ أَن لا إِلٰهَ إِلا اللّهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّهِ حَرَّمَ اللّهُ علَيهِ النَّارَ».

٤١٢ - وعن أَبي ذَرّ رضي اللّهُ عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «يقولُ اللّهُ عزَّ وجلَّ: مَن جاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها أَوْ أَزيدُ،

(**وروح منه**[1]) وفي «تفسير البيضاوي» أي ذي روح صدر منه وقال الحافظ ابن حجر: «أي أن الله مكوِّنه وموجده بقدرته» (**والجنة والنار**) بالنصب عطفًا على ما قبله أي وشهد أنهما (**حق**) أي ثابتان موجودان (**أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**) أي على أي عمل كان سيئًا أو حسنًا (**متفق عليه**) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء، ومسلم في الإيمان.

(**وفي رواية لمسلم**) أي عن عبادة بن الصامت أيضًا رواه الإمام أحمد والترمذي (**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**) ويلزم من شهادته برسالته ﷺ شهادته برسالته بسائر الأنبياء لأن النبي ﷺ جاء بذلك (**حرم الله عليه النار**) أي الخلود فيها.

٤١٢ - (**وعن أبي ذرّ**) الغفاري (**رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: يقول الله عزّ وجل**) فيه دليل على عدم كراهة استعمال المضارع فيه، لأن المراد به الدلالة على دوام ذلك وعدم انقطاعه خلافًا لمن كرهه من السلف لما يدل عليه من التجدد والحدوث، وأوصاف الله تعالى قديمة أزلية، والحديث من الأحاديث القدسية (**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**) أي عشر حسنات أمثالها فضلًا من الله؛ أي جزاؤها مكررًا عشر لا أنه يكرّر نفس الحسنة كذلك (**أو أزيد**) وأو فيه يحتمل أن تكون بمعنى بل أي بل أزيد من ذلك قال البيضاوي: وهذا أي العشر أقل ما وعد من الأضعاف، وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب،

---

(١) هذه إضافة ملك وتشريف لا إضافة جزئية وملابسة.

ومَن جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُها أَوْ أَغْفِرُ. وَمَن تَقَرَّبَ مِنّي شِبرًا تَقَرَّبتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، ومن تَقَرَّبَ مِنّي ذرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ باعًا، وَمَنْ أَتاني يَمشي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَن لَقِيَني بِقُرابِ الأَرْضِ خَطيئَةً لا يُشْرِكُ بِي شَيئًا لَقِيتُهُ بِمثْلِها مغْفِرَةً». رواه مسلم.

معنى الحديث:

ولذا قيل المراد بالعشرة الكثرة دون العدد (**ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها**) قضية العدل (**أو أغفر**) فضلًا وإحسانًا (**ومن تقرب مني**) أي من فضلي ورحمتي (**شبرًا**) بالمبالغة في المجاهدة وأداء واجب الألوهية (**تقربت منه**) أي بفضلي وتوفيقي (**ذراعًا ومن تقرب مني**) بذلك (**ذراعًا**) وهو دون ما قبله (**تقربت منه باعًا**) ففيه أن الجزاء على قدر العمل وبحسبه، والباع والبوع بضم الموحدة وفتحها طول ذراعي الإنسان وعضده وعرض صدره قال الباجي وهو قدر أربعة أذرع (**ومن أتاني يمشي**) وأسرع نحو طاعتي (**أتيته هرولة**)[1] أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى مزيد مشي في وصوله لمراده، والهرولة[2] بفتح الهاء وسكون الراء وهي إسراع في المشي دون الخبب (**ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة**) تمييز لقراب الأرض أي بما يقارب ملأها من الخطايا لو كان جسمًا وجرمًا وقوله (**لا يشرك بي شيئًا**) جملة في محل الحال من فاعل لقي (**لقيته بمثلها مغفرة، رواه مسلم**) في كتاب الدعوات ورواه ابن ماجه في فضائل التسبيح.

(**معنى الحديث**) أن قوله تعالى فيه «من تقرّب مني شبرًا» إلى قوله

---

(١) الهرولة المعروفة في الخلق لا تجوز على الله لأن الله تعالى لا يوصف بالحركة ولا بالسكون لأن الحركة هي انتقال الجِرم من مكان إلى ءاخر والسكون ثبوت الجرم في مكان والله تعالى ليس كمثله شيء فليس حجمًا ولا يوصف بصفات الحجم كالحركة والسكون والكون في مكان أو جهة وكالجلوس والاستقرار وغير ذلك من صفات الأحجام. ومعنى أتيته هرولة جازيته أكثر من سعيه وهذا من عظيم فضل الله على المؤمنين.

(٢) أي لغة وليس معنى ما ورد في هذا الحديث.

مَن تَقَرَّبَ إِليَّ بطاعَتي تَقَرَّبْتُ إليهِ بِرَحْمَتي، وَإِن زَادَ زِدْتُ، فَإِنْ أَتاني يَمشي وَأَسْرَعَ في طاعَتي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً أَي: صَبَبْتُ عليه الرَّحمةَ وَسَبَقْتُهُ بِها ولم أُحوِجْهُ إلى المشي الكثيرِ في الوصولِ إلى المقصودِ. و«قُراب الأَرضِ» بِضَمّ القافِ وَيُقال بكسرها، والضَّمُّ أَصَحُّ وَأَشْهَر، ومعناه: ما يقارب مِلأها. والله أعلم.

٤١٣ - وعن جابرٍ رضي اللّهُ عنه قال: جاءَ أَعْرَابيٌّ إِلى النبيّ ﷺ فقال: يا رَسُولَ اللّهِ ما المُوجِبَتانِ؟ فَقَالَ: «مَن مَات لا يُشرِكُ بِاللّهِ شيئًا

«أتيته هرولة» ليس على ظاهره لاستحالته على الباقي لما فيه من اعتوار الحركة وغيرها عليه تعالى عن ذلك بل معناه (**من تقرب إلي بطاعتي تقربت إليه برحمتي، وإن زاد زدت**) فظاهره أن قوله وإن زاد زدت تفسير للمراد من قوله ومن تقرب مني ذراعًا (**فإن أتاني**) أي أقبل على طاعتي (**يمشي**) أي يجد ويجتهد (**وأسرع في طاعتي**) حسب طاقته فيها ولم يقدم عليها علائقه (**أتيته هرولة: أي صببت عليه الرحمة**) صبًّا (**وسبقته بها، ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود**) قال القرطبي: هذه الجمل أمثال ضربت لمن عمل من الطاعات وقصد به التقرب إلى الله تعالى تدل على أنه تعالى لا يضيع أجر محسن وإن قل عمله بل يقبله ويثيبه مضاعفًا، ولا يفهم من الحديث الخطا بنقل الأقدام إلا من ساوى الحمر في الأفهام اهـ (**وقراب الأرض بضم القاف، ويقال**) فيما نقله القاضي عياض وغيره (**بكسرها**) مصدر قارب الأمر إذا داناه (**والضم أصح وأشهر ومعناه: ما يقارب ملأها**) بكسر الميم (**والله أعلم**).

٤١٣ - (**وعن جابر رضي الله عنه قال: جاء أعرابي**) واحد الأعراب وهم سكان البادية من العرب (**إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: ما الموجبتان؟**) قال النووي: «معناه الخصلة الموجبة للجنة والخصلة الموجبة للنار» (**فقال**) أي النبي ﷺ (**من مات لا يشرك بالله شيئًا**) أي من الشرك الجلي أو من المعبودات أي وحد الله تعالى وأفرده بالعبودية

دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن ماتَ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ». رواه مسلم.

٤١٤ - وَعن أَنَسٍ رضي اللّهُ عنه أَنَّ النَّبيَّ ﷺ وَمُعاذٌ رديفُهُ عَلى الرَّحْلِ قالَ: «يا مُعاذُ» قال: لبَّيْكَ رسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ، قالَ: «يا مُعَاذُ» قالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ. قالَ: «يَا مُعاذُ» قال: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثلاثًا، قالَ: «ما مِن عَبْدٍ يَشْهَدُ أَن لا إِلـه إِلا اللّهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صِدْقًا مِن قَلْبِهِ

(**دخل الجنة**) قال النووي: هذا مما أجمع عليه المسلمون (**ومن مات يشرك به**) شيئًا من الشرك الجليّ أو من المعبودات (**دخل النار**) وخلد فيها ولم يخرج منها أبدًا لا فرق بين كتابي وعابد وثن وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره، ولا بين من خالف ملة الإسلام ولا من انتسب إليها، ثم حكم بكفره بجحده ما يكفر بجحده أو غير ذلك. أما الشرك الخفي من الرياء والسمعة فلا يقتضي أن يؤبد في النار إذا مات صاحبها على الإيمان (**رواه مسلم**) في كتاب الإيمان.

٤١٤ - (**وعن أنس رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ، ومعاذ**) بالرفع وهو مبتدأ خبره قوله (**رديفه**) قال الحافظ ابن حجر: «أي راكب خلف رسول الله ﷺ» وقوله (**على الرحل**) وقال الحافظ: «أكثر ما يستعمل للبعير لكن معاذ كان في تلك الحالة رديفه ﷺ على حمار» (**قال يا معاذ؟ قال لبيك رسول الله**) قال الحافظ: «معناه هنا الإجابة»، وقيل أنا مقيم على طاعتك (**وسعديك**) قال الحافظ: «السعد المساعدة» أي ساعدت طاعتك مساعدة لك بعد مساعدة فهما مثنيان مرادًا منهما التكثير (**قال: يا معاذ، قال لبيك رسول الله وسعديك، قال يا معاذ، قال لبيك رسول الله وسعديك ثلاثًا**) وتكرير نداء معاذ لتأكيد الاهتمام بما يخبره به وليكمل تنبه معاذ فيما يسمعه، وثبت في الصحيح أنه ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا لهذا المعنى قاله النووي (**قال ما من**) مزيدة لتأكيد عموم النفي (**عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله صدقًا**) حال أي حال كونه صادقًا في ذلك (**من قلبه**) وهذا القيد لإخراج شهادة

إلا حَرَّمَهُ اللَّهُ على النَّارِ» قال: يَا رَسُولَ اللّهِ أَفَلاَ أُخْبِرُ بها الناسَ فَيَسْتَبْشِروا؟ قال: «إِذًا يَتَّكِلُوا» فَأَخْبَرَ بها مُعَاذٌ عِنْد مَوْتِهِ تَأَثُّمًا. متفقٌ عليه.

قوله: «تأثُّمًا»: أي خوفًا مِن الإثم في كتم هذا العلم.

٤١٥ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ - أَوْ أَبي سعِيدٍ الخُدْرِيّ - رضيَ اللّهُ عنهما، شَك الرَّاوي وَلا يَضُرُّ الشَّكُّ في عَينِ الصَّحابيّ لأَنهم كُلَّهُمْ عُدُولٌ،

اللسان إذا لم يطابقها الجنان كالمنافقين (**إلا حرّمه الله على النار**) قال الحافظ: «المراد تحريم خلوده فيها لا أصل دخولها»، فلا ينافي تعذيب بعضهم (**قال**) أي معاذ (**يا رسول الله أفلا أخبر بها الناس**) إدخالًا للسرور عليهم وحثًا على صدق الإيمان وتحريضًا على الإخلاص (**فيستبشروا، قال إذًا يتكلوا**) أي يتركوا الأعمال ويتكلوا على ذلك فيفوتهم بذلك عالي المنازل في العقبى (**فأخبر بها معاذ**) أي بالبشارة المدلول عليها بقوله: يستبشرون (**عند موته تأثمًا**) مفعول له أي خروجًا من إثم كتم ما للناس إليه حاجة من الشريعة، وقد جاء الوعيد الشديد في الكتم قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة البقرة] الآية. (**متفق عليه**) أخرجاه في الإيمان.

(**قوله تأثمًا أي خوفًا من الإثم**) الكائن أو كائنًا (**في كتم هذا العلم**) أي كتم هذا القدر منه.

٤١٥ - (وعن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما) وقوله (**شك الراوي**) أي هو الأعمش كما في «صحيح مسلم» بيان لأن أو للتردد والشك في عين الراوي منهما (**ولا يضرّ الشك في عين الصحابي لأنهم كلهم عدول**)[1] وقد قال علماء الأثر إذا قال الراوي: حدثني فلان

---

(١) أي في الرواية فلا يكذبون على الرسول.

قال: لـمَّا كانَ يَومُ غزْوَةِ تَبُوكَ أَصابَ الناسَ مَجَاعةٌ، فَقالوا: يا رَسُولَ اللّهِ لَوْ أَذِنْتَ لَنا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنا فَأَكلْنَا وَادَّهَنّا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «افْعَلُوا» فَجَاءَ عُمَرُ رضي اللّهُ عنهُ، فقالَ: يا رَسُولَ اللّهِ إِن فَعَلْتَ قَلَّ الظّهْرُ، ولَكِنِ ادْعُهُمْ بفَضْلِ أَزْوادِهِمْ ثُمَّ ادْعُ اللّهَ لهُمْ عَلَيْها بِالبَرَكَةِ لَعَلَّ اللّهَ أَن يَجْعَلَ في ذلكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «نَعَمْ» فَدَعَا بِنِطْعٍ

أو فلان وهما ثقتان احتج به بلا خلاف لأن المقصود الرواية عن ثقة سمي وقد حصل. **(قال: لما كان يوم)** قال النووي: «المراد باليوم هنا الوقت والزمان لا اليوم الذي هو ما بين طلوع الفجر وغروب الشمس» **(غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة)** قال النووي: «وهو الجوع الشديد» **(فقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا)** أي في نحر دوابنا المأكولة كما يدل عليه ما بعده، ولو فيه للتمني فلا جواب لها **(فنحرنا نواضحنا)** قال النووي: «أي الإبل التي يستقى عليها الماء» **(فأكلنا)** لحومها **(وادهنا)** قال النووي: «ليس مقصوده هنا ما هو المعروف من الادهان وإنما معناه اتخذنا دهنا من شحومها» وقولهم «لو أذنت لنا» هذا من أحسن ءاداب خطاب الكبار والسؤال منهم، وفيه أنه لا ينبغي للعسكر أن يضيعوا دوابهم التي يستعينون بها في القتال بدون إذن الإمام ولا يأذن لهم إلا إذا رأى مصلحة أو خاف مفسدة ظاهرة» **(فقال رسول الله ﷺ: افعلوا)** وذلك مراعاة لمصلحتهم وتقديم الأهم فالأهم وارتكاب أخفّ الضررين دفعًا لأشدهما **(فجاء عمر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله إن فعلت قل الظهر)** أي الدوابّ سميت بذلك لكونها يركب على ظهورها **(ولكن)** استدراك عن معنى الكلام السابق **(ادعهم بفضل أزوادهم)** أي بالباقي من أزوادهم، وزاد المسافر طعامه المتخذ لسفره **(ثم ادع الله لهم عليها بالبركة)** أتى بثم إشارة إلى تراخي اجتماعه وانضمامه عن أمرهم بذلك الذي عندهم يكون الدعاء **(لعل الله أن يجعل في ذلك)** بركة **(فقال رسول الله ﷺ: نعم)** وعد منه ﷺ بفعل ذلك لتصويبه له **(قال: فدعا بنطع)** فيه أربع

فبَسَطَهُ ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، فَجعلَ الرَّجُلُ يجيءُ بِكَفّ ذُرَةٍ ويجيءُ الآخَرُ بِكَفّ تَمْرٍ ويجيءُ الآخَرُ بِكِسرَةٍ حَتى اجْتَمَعَ عَلى النِطْعِ مِن ذَلِكَ شَيءٌ يَسِيرٌ، فَدَعَا رسُولُ اللّهِ ﷺ بِالبَرَكَةِ ثُمَّ قالَ: «خُذُوا في أَوْعِيَتِكُمْ»، فَأَخَذُوا في أَوْعِيَتِهِمْ حتى ما تركوا في العَسكَرِ وِعاءً إلا مَلَؤوهُ، وَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعوا وَفَضَلَ فَضْلَةٌ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَشْهدُ أَن لا إِلَهَ إلا اللّهُ وأَنّي رَسُولُ اللّهِ، لا يَلْقَى اللّهَ بِهما عَبْدٌ غَيْرَ شاكٍ فَيُحْجبَ عَنِ الجَنَّةِ» رواهُ مسلم.

لغات مشهورة أشهرها كسر النون مع فتح الطاء هو المتخذ من الأديم **(فبسطه)** أي نشره **(ثم دعا بفضل)** أي بقية **(أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف)** أي بمثله **(ذرة)** بتخفيف الراء نوع من الحبوب معروف قال **(ويجيء الآخر)** بفتح الخاء المعجمة أي غير من قبله **(بكف تمر)** بفتح المثناة الفوقية **(ويجيء الآخر بكسرة)** بكسر الكاف القطعة المكسورة من الشيء ومنه كسرة الخبز **(حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير)** حتى فيه غاية لمقدر أي جمعوا حتى اجتمع **(فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ثم قال: خذوا في أوعيتكم)** أي واجعلوه والأوعية جمع وعاء وهو ما يوعى فيه الشيء أي يجمع **(فأخذوا في أوعيتهم حتى)** عاطفة على عموم الآنية **(ما تركوا في العسكر)** وهو الجيش **(وعاء إلا ملؤوه وأكلوا)** أي بعد ملء الأواعي **(حتى شبعوا وفضل فضلة فقال رسول الله ﷺ: أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)** فيه بيان كيفية إتيانه بشهادته لنفسه بالرسالة وجاء أنه أذّن فقال «وأشهد أن محمدًا رسول الله» قال: وفيه أنه ﷺ كان يجب عليه الإيمان برسالته ونبوته **(لا يلقى الله بهما عبد)** بعد موته **(غير شاك)** يجوز رفعه صفة لعبد، ونصبه حالا منه والمراد به إخراج المنافقين ممن قال ذلك بلسانه غير موقن بمضمونه بجنانه **(فيحجب)** بالنصب أي فيمنع **(عن الجنة)** بل لا بد من دخولها إما ابتداء مع الناجين، أو بعد إخراج من النار **(رواه مسلم)** في كتاب الإيمان.

٤١٦ - وَعَنْ عِتْبَانَ بنِ مالكٍ رضي اللَّهُ عنه وهو مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا قالَ: كُنْتُ أُصلّي لِقَوْمي بني سالم وَكَانَ يَحُولُ بَيْني وَبَيْنَهُم وادٍ إذا جاءَتِ الأَمْطارُ فَيَشُقُّ عَليَّ اجْتِيَازُهُ قِبلَ مَسْجِدِهِمْ، فَجِئْتُ رَسُولَ الله ﷺ فقلتُ له: إنّي أَنْكَرْتُ بَصَري وَإِنَّ الوَادِيَ الَّذي بيْني وَبَيْنَ قَوْمي يسِيلُ إذا جَاءَتِ الأَمْطارُ فَيَشُقُّ عَليَّ اجتِيازُهُ، فَوَدِدْتُ أَنَّكَ تَأْتي فَتُصَلّي في بَيْتي مَكانًا أَتَّخذُهُ مُصَلًّى، فقال رَسُولُ الله ﷺ: «سأَفْعَلُ»، فَغدا عليَّ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وأَبُو بَكْرٍ رضيَ اللّهُ عنه

---

٤١٦ - (**وعن عتبان بن مالك**) الأنصاري الخزرجي السالمي (**رضي الله عنه وهو ممن شهد بدرًا**) مات في خلافة معاوية وكان قائمًا بديّات قومه إلى أن مات رضي الله عنه (**قال: كنت أصلي لقومي بني سالم**) أي لأجلهم، والمراد أنه يؤمهم (**وكان يحول بيني وبينهم واد إذا جاءت الأمطار**) أي يحول السيل الكائن فيه عند مجيء الأمطار (**فيشق علي اجتيازه**) أي الجواز فيه والمرور به (**قبل**) بكسر القاف وفتح الموحدة أي جهة (**مسجدهم، فجئت رسول الله ﷺ فقلت له: إني أنكرت بصري**) قال الحافظ ابن حجر: «وهو ظاهر في أنه لم يكن بلغ العمى إذ ذاك» وعند مسلم من طريق ءاخر «أصابني في بصري بعض العمى» (**وإن الوادي الذي بيني وبين قومي يسيل**) إسناد السيل إلى الوادي إسناد مجازي من إسناد ما للحال إلى المحل (**إذا جاءت الأمطار فيشق**) بضم الشين المعجمة أي يصعب (**عليّ اجتيازه فوددت**) قال الحافظ ابن حجر: «أي تمنيت» (**أنك تأتي فتصلي**) هو بإسكان الياء ويجوز النصب لوقوع الفاء بعد التمني (**مكانًا**) ظرف وقوله (**أتخذه مصلى**) صفة لمكان وعند البخاري فأتخذه، ويجوز فيه ما جاز في يصلي من الرفع والنصب (**فقال رسول الله ﷺ: سأفعل**) في البخاري بزيادة إن شاء الله (**فغدا علي رسول الله ﷺ**) وعند الطبراني في بعض طرقه أن السؤال وقع يوم الجمعة وأن الوصول إليه كان يوم السبت (**وأبو بكر رضي الله عنه**) وللطبراني في طريق ءاخر

بَعْدَما اشْتَدَّ النَّهارُ، واسْتَأْذَنَ رَسُولُ الله ﷺ فَأَذِنتُ لهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حتى قالَ: «أَينَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلّيَ مِن بَيْتِكَ؟» فَأَشَرْتُ لَهُ إِلى المَكَانِ الَّذي أُحِبُّ أَن يُصَلّي فيه، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ فَكَبَّرَ وَصَفَفْنا وَراءَهُ فَصَلَّى ركعَتَينِ ثُمَّ سَلَّمَ وَسَلَّمْنا حِينَ سَلَّمَ، فَحَبَسْتُهُ علَى خَزيرةٍ تُصْنَعُ لَهُ، فَسَمِعَ أَهْلُ الدَّارِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ في بَيْتِي، فَثَابَ رِجَالٌ منهمْ حتَّى كَثُرَ الرّجالُ في البَيْتِ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا فَعَلَ مَالِكٌ لا أَرَاهُ،

«فجاءني في نفر من أصحابه» وجاء في رواية «ومعه أبو بكر وعمر» ويحتمل الجمع بأن أبا بكر صحبه وحده ابتداء ثم عند الدخول اجتمع عمر وغيره فدخلوا معه (**بعدما اشتد النهار**) أي علا وارتفعت شمسه (**واستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له، فلم يجلس حتى قال: أين تحب أن أصلي من بيتك**[1]؟) أي إنه لم يجلس حتى صلى (**فأشرت له إلى المكان الذي أحبّ**) أي أريد (**أن يصلي فيه فقام رسول الله ﷺ**) أي شرع في الصلاة (**فكبر وصففنا**) المفعول محذوف أي أنفسنا (**وراءه فصلى ركعتين ثم سلم وسلمنا حين سلم**) فيه صحة الجماعة في النافلة المطلقة وإن كانت لا تشرع فيها (**فحبسته**) عند البخاري فحبسناه قال الحافظ ابن حجر: «أي منعناه من الرجوع» (**على خزيرة**) قال الحافظ ابن حجر: «نوع من الأطعمة» (**تصنع له**) في محل الصفة لما قبله (**فسمع أهل الدار**) أي المحلة لقوله ﷺ: «خير دور الأنصار دار بني النجار أي محلتهم » والمراد أهلها (**أن رسول الله ﷺ في بيتي، فثاب رجال منهم**) قال الحافظ ابن حجر: «أي اجتمعوا بعد أن تفرقوا» (**حتى كثر الرجال في البيت فقال رجل منهم ما فعل مالك لا أراه**) أي ابن الدخيشن أو الدخشن بالدال والخاء والشين المعجمتين والنون، شك فيه الراوي عند

---

(١) في هذا الحديث دليل على استحباب طلب فعل صالح من عبد صالح كالصلاة في البيت للتبرك بمكان صلاته وفي إجابة النبيّ له دلالة واضحة على تقريره عليه السلام لذلك واستحسانه خلافًا لما ادعته مشبهة العصر من تحريم التبرك بآثار الصالحين وأماكن عبادتهم حتى ان بعضهم رمى المسلمين الفاعلين لذلك بالشرك والعياذ بالله.

فَقَالَ رَجُلٌ: ذلكَ مُنافِقٌ لا يُحِبُّ اللّهَ ورَسُولَهُ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لا تَقُلْ ذَلِكَ، أَلا تَراهُ قالَ: لا إِلهَ إِلا اللّهُ يَبْتَغي بِذَلِكَ وَجْهَ اللّهِ». فقال: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، أَمَّا نَحْنُ فَوَاللّهِ ما نَرَى وُدَّهُ، وَلا حَديثَهُ إِلا إِلى المُنَافِقينَ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَإِنَّ اللّهَ تعالَى قَدْ حَرَّمَ على النَّارِ مَن قالَ لا إِلهَ إِلا اللّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللّهِ». متفقٌ عليه.

و«عِتْبان» بكسر العين المهملة وإِسكان التاء المُثَنَّاةِ فوقُ وبعدها باءٌ موحَّدةٌ.

البخاري هل هو مصغر أو مكبر **(فقال رجل)** قيل هو عتبان **(ذلك منافق لا يحب الله ورسوله)** تقدم أن محبة العبد لله وللرسول المراد منها انقياده لأحكامهما والدخول بالرضا تحت طاعتهما **(فقال رسول الله ﷺ لا تقل ذلك)** أي إنه منافق **(ألا تراه)** أي ما تعلمه **(قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)** فيه شهادة منه ﷺ بالإيمان له، قال الحافظ العسقلاني: «وفي مغازي ابن إسحاق «أن النبي ﷺ بعث مالكًا ومعن بن عدي فحرقا مسجد الضرار» فدل على أنه بريء من النفاق، أو كان قد أقلع عن ذلك، أو النفاق الذي اتهم به نفاق العمل ليس نفاق الكفر، وإنما أنكر عليه الصحابة لتوده للمنافقين ولعل له عذرًا في ذلك كما وقع لحاطب» **(فقال: الله ورسوله أعلم، أمّا)** بتشديد الميم أداة متضمنة لمعنى الشرط **(نحن فوالله لا نرى)** أي نعلم **(وده ولا حديثه إلا إلى المنافقين فقال رسول الله ﷺ: فإن الله تعالى قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله)** محمد رسول الله وقوله **(يبتغي بذلك)** أي القول **(وجه الله)** لإخراج من نافق بها لحقن دمه وحفظ ماله فلا يكون كذلك، والمراد من تحريمها على المؤمن الحقيقي تحريم خلوده فيها كما تقدم **(متفق عليه)** رواه البخاري في مواضع من «صحيحه» وهذا سياقه في بعضها، ورواه مسلم في كتاب الإيمان بنحوه.

(وعتبان بكسر العين المهملة وإسكان التاء المثناة فوق بعدها باء موحدة

و«الخزيرة» بالخاء المُعجَمَة والزاي: هي دقيقٌ يُطْبَخُ بشحمٍ. وقوله: «ثابَ رِجالٌ» بالثَّاء المثلَّثةِ، أي جاءوا واجتمعوا.

٤١٧ - وعنْ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رضي اللّهُ عنه قال: قُدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ بِسَبْيٍ، فإذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى إذا وَجَدتْ صبيًّا في السبْيِ أَخَذَتهُ فَأَلْزَقَتْهُ بِبَطْنِها فَأَرْضَعَتْهُ، فقال رَسُولُ الله ﷺ: «أَتَرَونَ هَذِهِ المَرْأَةَ طارِحَةً وَلَدَهَا في النَّارِ؟» قُلْنا: لا وَاللّهِ. فَقَالَ: «لَلَّهُ أَرْحمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِولَدِها». متفقٌ عليه.

والخزيرة بالخاء المعجمة) المفتوحة **(والزاي)** المكسورة **(هي دقيق يطبخ بشحم)** قال أهل اللغة: أن تطحن الحنطة قليلًا ثم يلقى فيها شحم أو غيره اهـ **(وقوله ثاب رجال بالثاء المثلثة)**. وءاخره باء موحدة **(أي جاءوا واجتمعوا)** تقدم بسطه.

٤١٧ - **(وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم)** بالبناء للمفعول **(على رسول الله ﷺ بسبي)** أي المسبي **(فإذا)** فجائية **(امرأة)** مبتدأ وقوله **(من السبي)** في محل الصفة له والخبر جملة **(تسعى)** هذه رواية البخاري بالسين ورواية مسلم «تبتغي» من الابتغاء وهو الطلب **(إذا)** ظرفية مضمنة معنى الشرط أي كل وقت **(وجدت صبيًا في السبي أخذته فألزقته ببطنها)** رحمة له **(فأرضعته)** لذلك **(فقال رسول الله ﷺ: أترون)** بفتح الفوقية أي أتعتقدون أو يكون بضمها «أي أتظنون» **(هذه المرأة)** مفعول أول على الأول وثان على الثاني، والمرأة نعت، واسم الإشارة بدل أو عطف بيان عليه **(طارحة)** حال على الوجه الثاني و**(ولدها)** مفعول طارحة و**(في النار)** متعلق بطارحة **(قلنا لا)** أي لا نرى ذلك وأكد عدم اعتقاد ذلك بالقسم فقال **(والله فقال)** أي النبي ﷺ **(لله أرحم بعباده)** قال الحافظ ابن حجر: «كأن المراد بالعباد هنا من مات على الإسلام» **(من هذه بولدها. متفق عليه)** أخرجه البخاري في الأدب ومسلم في التوبة.

٤١٨ - **وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللّهُ عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «لَـمَّا خَلَقَ اللّهُ الخَلْقَ كَتَبَ في كِتَابٍ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمتي تَغْلِبُ غَضَبي».**

وفي روايةٍ: «غَلَبَتْ غَضَبي»، وفي روايةٍ: «سَبَقَتْ غضَبي». متفقٌ عليه.

٤١٩ - **وعنه رضيَ اللهُ عنهُ قال: سمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «جَعَلَ اللّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وتِسْعينَ وَأَنْزَلَ في الأَرْضِ جُزْءًا واحِدًا، فَمِن ذَلِكَ الجُزْءِ**

---

٤١٨ - **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لما خلق الله الخلق كتب)** قال الحافظ ابن حجر: «أي أمر القلم أن يكتب» **(في كتاب)** أي من صحف الملائكة وإلا فأقضية الله قديمة أزلية **(فهو عنده فوق العرش)** ظرفان في محل الحال حذف عاملهما أي أعنيه حال كونه عنده عندية شرف ومكانة فوق العرش **(إن رحمتي تغلب غضبي. وفي رواية)** أي لهما **(سبقت غضبي)** قال النووي: «قال العلماء: غضب الله ورضاه يرجعان إلى معنى الإرادة، فإرادته الإثابة للمطيع، ومنفعة العبد تسمى رضًا ورحمة، وإرادته عقاب العاصي وخذلانه تسمى غضبًا وإرادته سبحانه صفة له قديمة يريد به جميع المرادات، قالوا: والمراد بالسبق والغلبة هذا كثرة الرحمة وشمولها كما يقال غلب على فلان الكرم والشجاعة إذا كثر منه» اهـ **(متفق عليه)** رواه البخاري في الرقاق، ومسلم في التوبة.

٤١٩ - **(وعنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين)** جزءًا، في رواية «وأنه أخر عنده تسعة وتسعين رحمة» **(وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا)** وفي رواية «وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة» **(فمن ذلك الجزء)** من يحتمل أن تكون تعليلية وأن تكون بمعنى الباء أو الابتداء أو التبعيض

يَتَراحمُ الخَلائِقُ حَتى تَرْفَعَ الدَّابةُ حافِرَها عَن وَلَدِها خَشْيَةَ أَن تُصِيبَهُ».

وفي روايةٍ: «إِنَّ لِلّهِ تَعَالى مِائَةَ رَحمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً واحِدةً بَيْنَ الجِنّ والإِنْسِ وَالبَهَائم وَالهَوامّ، فَبِهَا يَتَعاطَفُون وَبها يَتَراحَمُونَ وَبها تَعْطِفُ الوَحْشُ عَلى وَلَدِها، وَأَخَّرَ اللّهُ تعالى تِسعًا وتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بها عِبَادهُ يَومَ القِيَامَةِ». متفقٌ عليه.

ورواهُ مسلمٌ أيضًا من

(يتراحم الخلائق) في رواية «فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها» **(حتى ترفع الدابة حافرها)** هو للفرس وللحمار بمنزل الظلف من البقر والخف من الجمل **(عن ولدها خشية)** مفعول له **(أن تصيبه)** وخص ذو الحافر بالذكر، قال ابن أبي جمرة: لأنه أشد الحيوان المألوف الذي يرى المخاطبون حركته مع ولده، ولما في الفرس من الخفة والسرعة في التنقل ومع ذلك تتجنب أن يصل الضرر منها إلى ولدها **(وفي رواية)** أي لهما من حديث أبي هريرة كما يقتضيه قول المصنف بعد «متفق عليه» **(إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم)** جمع بهيمة قال البيضاوي: والبهيمة كل حي لا يميز، قال الراغب: البهيمة ما لا نطق له من الحيوان ثم خص في التعارف بما عدا السباع والطير، ثم استعملت في الأزواج الثمانية إذا كان فيها الإبل وسمي بذلك لإبهامه الأمر وكتمه **(والهوام)** بتشديد الميم جمع هامة وهي الحشرات **(فبها)** أي بتلك الرحمة **(يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش)** بفتح الواو، وهو ما لا يستأنس من دواب البر **(على ولدها، وأخر الله تعالى تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة)** ففيه إيماء إلى مزيد الكرم وتقوية الرجاء في فضل المولى سبحانه **(متفق عليه)** أخرجه البخاري بالرواية الأولى في الأدب، ومسلم بروايته في التوبة.

(ورواه مسلم) في باب التوبة **(أيضًا)** انفرد بها البخاري وغيره **(من**

روايةِ سَلْمَانَ الفَارسيّ رضي اللّهُ عنه قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ للّهِ تعالى مِائَةَ رَحْمَةٍ فَمِنْهَا رَحمَةٌ يَتَراحَمُ بها الخَلْقُ بَيْنَهُمْ، وَتِسْعٌ وَتِسْعُونَ لِيَوْمِ القِيامَةِ».

وفي روايةٍ: «إِنَّ اللّهَ تعالى خَلَقَ يومَ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ والأَرضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحمَةٍ طِبَاقُ مَا بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْها في الأَرضِ رَحمَةً فَبِها تَعْطِفُ الوَالِدَةُ عَلى وَلَدِهَا وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُها على بَعْضٍ، فَإِذا كانَ يَوْمُ القِيامةِ أَكمَلَها بهذِهِ الرَّحمَةِ».

رواية سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **إن لله تعالى**) دون غيره (**مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم**) أي يرحم (**بها الخلق بينهم، وتسع**) وفي نسخة مصححة من مسلم «وتسعة» بالتاء ءاخره (**وتسعون ليوم القيامة**) يحتمل أن تكون الواو عاطفة ويكون تسع مبتدأ خبره محذوف تقديره منها (**وفي رواية**) هي لمسلم في باب التوبة أيضًا (**إن الله تعالى خلق يوم خلق السمٰوات والأرض مائة رحمة**) أي مائة نوع من الإنعام والإفضال كما تقدم الإيماء عليه في كلام البدر (**كل رحمة طباق**) بكسر الطاء أي غشاء (**ما بين السماء والأرض**) أي ما يملأ ذلك لو كان جسمًا من كبره وعظمه (**فجعل منها في الأرض رحمة فبها**) أي بسببها (**تعطف**) بكسر الطاء (**الوالدة على ولدها**) قال في «المصباح»: عطفت الناقة على ولدها عطفًا من باب ضرب حنت عليه ودرّ لبنها اهـ (**والوحش والطير بعضها**) مبتدأ وقوله (**على بعض**) أي يعطف (**فإذا كان**) أي وجد (**يوم القيامة**) وأتى بإذا الشرطية لتحقق الأمر (**أكملها**) أي التسعة والتسعين المدخرة عنده (**بهذه الرحمة**) قال النووي: هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين، قال العلماء، لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار، الإسلام والقرءان والصلاة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما أنعم الله به عليه فكيف الظن بمائة رحمة في الدار الآخرة وهي دار القرار ودار الجزاء.

٤٢٠ - وعنه رَضيَ اللهُ عنهُ عنِ النَّبيّ ﷺ فِيما يَحكِي عَن ربِّهِ تَعَالى قال: «أَذنَب عبْدٌ ذَنبًا فقالَ: اللَّهُمَّ اغفِرْ لي ذَنبي، فقال تَبَارَكَ وتعالى أَذنَبَ عبدي ذنبًا عَلِمَ أَنَّ لَهُ ربًّا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَيأْخُذُ بِالذَّنبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذنَبَ فقال: أَيْ ربِّ اغفِرْ لي ذنبي، فقال تباركَ وتعالى عبدي أَذنَبَ ذَنبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغفِرُ الذَّنبَ ويَأْخُذُ بالذنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذنَبَ فقال: أَيْ رَبّ اغْفِر لي ذَنبي، فقال تَبَارَكَ وتعالى أَذنَبَ عَبدي ذنبًا فعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يغْفِرُ الذَّنبَ وَيأْخُذُ بِالذَّنبِ، قَد غَفَرتُ لِعبدي فَليَفعَلْ ما شاء». متفقٌ عليه.

---

٤٢٠ - (وعنه رضي الله عنه) أي عن أبي هريرة **(عن النبيّ ﷺ فيما يحكي عن ربه قال: إذا أذنب)** أي أثم **(عبد ذنبًا فقال اللهم اغفر لي ذنبي)** في الإتيان بالفاء إيذان بوجوب المبادرة إلى التوبة عقب المخالفة **(فقال تبارك وتعالى أذنب عبدي)** إضافة تشريف، هذا من كمال الكرم ومزيد الفضل أنه من فضله عليه بعفوه عنه أضافه إليه إضافة تشريف وتكريم **(ذنبًا علم أن له ربًّا يغفر الذنوب)** جميعًا أي الكثيرة فما بالك بالذنب الواحد **(ثم عاد)** أي بعد التوبة منه إليه أو إلى ذنب ءاخر **(فأذنب فقال أي)** بفتح الهمزة المقصورة وسكون الياء حرف نداء **(ربّ)** بكسر الموحدة الدالة على الياء المضاف إليها المحذوفة **(اغفر لي ذنبي، فقال الله تبارك وتعالى عبدي أذنب ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب)** أي إن شاء **(ويأخذ)** أي يعاقب **(بالذنب)** وأتى به مظهرًا تقبيحًا له وتنبيهًا على داعي الأخذ وهو المخالفة **(ثم عاد فأذنب)** ذنبًا **(فقال: أي ربّ اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدي)** أي لتوبته الصحيحة المشير إليها «قوله: اللهم اغفر لي» **(فليفعل ما شاء)** أي من الذنب المعقب بالتوبة الصحيحة، ففيه أن التوبة الصحيحة لا يضرّ فيها نقص بالذنب ثانيًا بل مضت على صحتها ويتوب من المعصية الثانية وهكذا **(متفق عليه)** والسياق لمسلم

وقوله تعالى «فلْيَفْعَل ما شَاءَ» أَي: مَا دَامَ يَفْعَلُ هكَذا يُذْنِبُ وَيَتوبُ أَغْفِرُ لهُ، فإِنَّ التَّوبَةَ تَهدِمُ ما قَبلها.

٤٢١ - وعنه رَضيَ اللهُ عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «والَّذي نَفْسي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبوا لَذَهَب اللّهُ بِكُمْ وَجَاءَ بقَومٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ تعالى فيَغْفِرُ لَهُمْ». رواه مسلم.

٤٢٢ - وعنْ أَبي أَيُّوبَ رضي اللَّهُ عنه قال: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «لَوْلا أَنَّكُمْ تُذنِبُونَ لَخَلَقَ اللّهُ خَلْقًا يُذنِبونَ فَيستَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ». رواه مسلم.

أخرجه في التوبة وأخرجه البخاري بنحوه في التوحيد (**وقوله تعالى فليفعل ما شاء أي ما دام يفعل هكذا**) أي مدة دوامه يفعل ذلك (**يذنب ويتوب**) أي فلا يتوهم منه إباحة المخالفة واكتساب الآثام (**أغفر له**) وبين حكمة ذلك بقوله (**فإن التوبة**) الصحيحة الجامعة لشروطها ومعتبراتها (**تهدم**) بكسر الدال المهملة أي تسقط (**ما قبلها**) أي من الذنب.

٤٢١ - (**وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده**) أي بقدرته، والقسم أتى به لتأكيد المقام وتقويته عند السامع (**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى**) أي عقب الذنب فورًا (**فيغفر لهم. رواه مسلم**).

٤٢٢ - (**وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه**) قال حين حضرته الوفاة كنت كتمت عنكم شيئًا سمعته من رسول الله ﷺ (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم. رواه مسلم**) وأحمد والترمذي ورواه مسلم أيضًا بلفظ «لو أنكم لم يكن لكم ذنوب يغفرها الله لكم لجاء الله بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم» قال ابن ملك: ليس هذا تحريضًا للناس على الذنوب بل كان صدوره لتسلية الصحابة وإزالة شدة الخوف عن صدورهم.

٤٢٣ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: كُنَّا قُعُودًا مَع رَسُولِ الله ﷺ معَنَا أَبُو بكْرٍ وَعُمَرُ في نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ مِن بَيْن أَظْهُرِنَا، فَأَبطأَ عَلَيْنَا وَخَشِينا أَن يُقْتَطَعَ دُونَنا فَفَزِعنا فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَن فَزِعَ، فَخَرجتُ أَبْتَغِي رَسُولَ الله ﷺ حَتَّى أَتَيْتُ حائطًا لِلأَنْصَارِ - وَذَكَرَ الحديثَ بطُولِه إلى قوله: فقال رَسُولُ الله ﷺ: «اذْهَبْ فَمَن لَقِيتَ وَرَاءَ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُسْتَيقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشّرهُ بِالجَنَّةِ».

---

٤٢٣ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا قعودًا) بضم أوله جمع قاعد **(مع رسول الله ﷺ، معنا)** بفتح العين من مع، فيها على الظرفية ويجوز تسكينها **(أبو بكر وعمر في نفر)** بفتح أوليه جمع الرجال من الثلاثة إلى التسعة **(فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا)** أي من بيننا **(فأبطأ علينا)** أي تأخر مجيئه عنا **(وخشينا أن يقتطع)** بالبناء للمفعول، أي يؤخذ **(دوننا ففزعنا)** بكسر الزاي، الفزع يأتي بمعنى الروع ويأتي بمعنى الهبوب للشيء والاهتمام به وبمعنى الإغاثة. أي ذعرنا باحتباسه ﷺ عنا، ألا تراه كيف قال: وخشينا أن يقتطع دوننا **(فقمنا فكنت أول من فزع)** أي خاف **(فخرجت أبتغي)** أطلب **(رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطًا للأنصار)** والحائط البستان وجمعه حوائط. قال المصنف: سمي حائطًا لأنه لا سقف له **(وذكر الحديث بطوله)** أي مما لا يتعلق غرض الترجمة به فلذلك حذفه، ويؤخذ منه كما تقدم التنبيه عليه جواز تقطيع الحديث إذا كان لا تعلق للمأتي به بالمحذوف بأن لا يكون غاية ولا استثناء ولا نحو ذلك **(إلى قوله فقال رسول الله ﷺ)** مخاطبًا لأبي هريرة **(اذهب فمن لقيت)** بكسر القاف **(وراء هذا الحائط)** أي البستان **(يشهد أن لا إله إلا الله)** أي مع قرينتها التي لا يعتد بها إلا معها، وهي: محمد رسول الله كما تقدم نظيره **(مستيقنًا بها قلبه)** أي موقنًا بها قلبه والسين فيها للمبالغة لأن كثرة المبنى تدل على زيادة المعنى غالبًا، وخرج بها المنافق **(فبشره بالجنة)** إما ابتداء إن مات عقب الإسلام قبل التلبس بكبيرة أو بعد الإسلام بمدة ولم يفعل معصية أو فعلها وكانت صغائر وله

رواه مسلم.

٤٢٤ - وعنْ عبدِ الله بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ النبيَّ ﷺ تَلا قَولَ اللّهِ عَزَّ وجلَّ في إبراهيمَ ﷺ ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ ﴿٣٦﴾﴾ الآية [سورة إبراهيم]، **وقال عيسى ﷺ ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾** [سورة المائدة]، **فَرَفَعَ يَدَيْه وقال: «اللَّهمَّ أُمَّتِي أُمَّتي» وَبَكَى، فقال اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ: «يا جبريلُ اذْهَبْ إِلى مُحَمَّدٍ،**

حسنات لم تغلب عليها المعاصي أو كانت كبائر فتاب منها، أو بعد إدخال النار مدة إن مات على صغائر زائدة على حسناته أو على كبيرة ولم يتب منها، ويجوز أن يتفضل الله عليه فيدخله الجنة ابتداء، قال تعالى ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة النساء] قال النووي: «معناه أخبرهم أن من كانت هذه صفته فهو من أهل الجنة، وفي هذا دلالة ظاهرة لمذهب أهل الحق أنه لا ينفع اعتقاد التوحيد دون النطق ولا النطق دون الاعتقاد بل لا بد من الجمع بينهما» (**رواه مسلم**).

٤٢٤ - (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ تلا) أي قرأ (**قول الله عز وجل في**) قصة (**إبراهيم ﷺ ﴿رَبِّ﴾**) أي يا رب بكسر الموحدة (**﴿إِنَّهُنَّ﴾**) يعني الأصنام (**﴿أَضْلَلْنَ﴾**) أي أوقعن في الضلال (**﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ﴾**) وإسناد الإضلال إليهن باعتبار السببية كقوله ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الأنعام] (**﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾**) على ديني (**﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ﴾ الآية** [سورة إبراهيم]) أي بعضي لا ينفك عني في أمر الدين (**وقال عيسى ﷺ ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ﴾**) أحقاء بالتعذيب لأنك المالك المتصرف (**﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾**) أي للمؤمنين منهم (**﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾** [سورة المائدة]) تلخيصه إن تعذب فعدل وإن تغفر ففضل (**فرفع ﷺ يديه وقال: اللهم أمتي أمتي**) أي ارحمهم أو نحو ذلك (**وبكى**) خضوعًا لله وتذللًا له (**فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد**)

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ ما يُبْكيكَ؟» فَأَتَاهُ جبريلُ فَأَخبَرَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِمَا قال، وَهُو أَعْلَمُ، فقال اللّهُ تعالى «يا جِبريلُ اذهبْ إِلى مُحمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرضِيكَ في أُمَّتِكَ وَلا نَسُوءُكَ». رواه مسلم.

٤٢٥ - وعن مُعاذِ بنِ جَبَلٍ رضي اللَّهُ عنه قال: كنتُ رِدْفَ النبيّ ﷺ على حِمارٍ فقال: «يَا معاذُ هَل تَدري مَا حَقُّ اللّه عَلى عِبَادِهِ ومَا حَقُّ الْعِباد عَلى اللّه؟

وقوله (**وربك أعلم**) جملة معترضة أتى بها لدفع توهم أن الاستفهام منه تعالى على حقيقته، وهو استكشاف ما يجهله المستفهم بل علمه تعالى محيط بجميع المعلومات قبل وجودها فيه وفيه وبعد انقضائها وقوله (**فسله ما يبكيك**) معطوف على جملة اذهب (**فأتاه جبريل**) إظهارًا لشرف المصطفى ﷺ وأنه بالمحل الأعلى عند مولاه فيسترضى ويكرم بما يرضيه (**فأخبره رسول الله ﷺ بما قال**) أي من قوله أمتي أمتي (**وهو**) أي الله (**أعلم**) أي بما قال نبيه ﷺ (**فقال الله تعالى يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك**) هو موافق لقوله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ [سورة الضحى] (**ولا نسوءك**) أي لا نخزيك (**رواه مسلم**) قال النووي: «في الحديث فوائد: منها بيان كمال شفقته ﷺ على أمته واعتنائه بمصالحهم واهتمامه بأمرهم، ومنها البشارة العظيمة لهذه الأمة، زادها الله شرفًا بقوله: سنرضيك في أمتك، وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة، ومنها بيان عظم منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى».

٤٢٥ - (وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت ردف) بكسر الراء وسكون الدال المهملة، والرديف: هو الراكب خلف الراكب (**النبي ﷺ على حمار**) جاء في رواية أخرى لمسلم «على حمار يقال له عفير» بضم المهملة وفتح الفاء وسكون التحتية (**فقال يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده، وما حق العباد على الله**) قال صاحب «التحرير»: اعلم أن الحق كل موجود متحقق أو ما سيوجد لا محالة، والله سبحانه هو الحق

قلتُ: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «فَإِنَّ حَقَّ اللّهِ عَلى العِبَاد أَن يَعْبُدُوه وَلا يُشرِكوا بِهِ شَيئًا، وَحقَّ العِبادِ عَلى اللّهِ ألاَّ يُعَذّبَ مَن لا يشرِكُ بِهِ شَيئًا، فقلتُ: يا رسولَ اللّهِ أَفَلا أُبَشّرُ النَّاسَ؟ قال: لا تُبَشّرْهُم فَيَتَّكِلوا». متفقٌ عليه.

٤٢٦ - وعنِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ رضي اللَّهُ عنهما عنِ النَّبيّ ﷺ قال: «المُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ في القَبرِ يَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ، فذلك قولُهُ تعالى ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة إبراهيم]. متفقٌ عليه.

الموجود الأزلي الباقي الأبدي، والموت والجنة والنار حق أي أنها واقعة لا محالة، فحق الله على العباد ما يستحقه عليهم وحقهم عليه معناه محقق لا محالة اهـ (قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد) أي واجبه الثابت عليهم (أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا) من المعبودات (وحق العباد) بالنصب عطفًا على ما قبله ويجوز الرفع على الابتداء والواو عاطفة للجملة أو مستأنفة (على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا فقلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس) أي أسكت عن نشر ذلك فلا أبشر الناس (قال: لا تبشرهم فيتكلوا) رجح ﷺ مصلحة ترك التبليغ لما فيه من الحثّ على الإكثار من صالح العمل على التبليغ لما قد يؤدي إليه من التعطيل (متفق عليه) رواه البخاري في التوحيد ومسلم في الإيمان.

٤٢٦ - (وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن النبيّ ﷺ قال: المسلم) الحقيقي (إذا سئل في القبر) على وجه الامتحان وحذف السائل للعلم به، وهما الملكان الموكلان بذلك منكر ونكير والمسؤول عنه للعلم به أي سئل عن ربه ونبيه (يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله تعالى ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴿٢٧﴾﴾) أي الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم (متفق عليه)

٤٢٧ - وعنْ أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه عن رَسُول الله ﷺ، قال: «إِنَّ الكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطعِمَ بِهَا طُعمَةً مِنَ الدُّنيَا، وَأَمَّا المُؤمِنُ فَإِنَّ اللّهَ تعالى يَدَّخِرُ لَهُ حَسَناتِه في الآخِرةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا في الدُّنيا عَلى طَاعَتِهِ».

وفي روايةٍ: «إِنَّ اللّهَ لا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطى بِهَا في الدُّنيَا وَيُجْزَى بِهَا في الآخِرَة، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ

رواه البخاري في التفسير ومسلم في صفة النار ورواه النسائي في الجنائز.

٤٢٧ - (وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: إن الكافر) بأي نوع من أنواع الكفر **(إذا عمل حسنة)** أي طاعة لا تتوقف على نية كإعتاق وتصدق وإطعام محتاج، أما المتوقفة عليه كالصيام والصلاة فلا تصح منه لفقد شرط النية المتوقفة عليه من الإسلام، وإنما حكم بصحة غسل الكتابية من نحو الحيض فحلت لحليلها للضرورة ولذا تجب إعادته إذا أسلمت **(أطعم)** بالبناء للمجهول **(بها طعمة)** بضم الطاء وسكون العين المهملتين، وهو الرزق وجمعه طعم كغرفة وغرف **(من الدنيا)** في محل الصفة لطعمة فيكون ذلك حظه من عمله الذي جاء به، قال النووي: «أجمع العلماء على أن الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة» **(وأما المؤمن)** ظاهره وإن كان فاسقًا، ويحتمل تخصيصه بكامل الإيمان **(فإن الله تعالى يدخر له حسناته في الآخرة)** أي ثوابها إلى الآخرة وقد يجزى بها مع ذلك في الدنيا أيضًا كما قال **(ويعقبه)** بضم التحتية أي يعطيه من ذلك **(رزقًا في الدنيا على طاعته)** ولا مانع من جزائه بها فيهما، وقد ورد الشرع به فيجب اعتقاده، قاله المصنف.

(وفي رواية) هي لمسلم أيضًا **(إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة)** قال النووي: «أي لا يترك مجازاته بشيء من حسناته، والظلم يطلق بمعنى النقص، وحقيقة الظلم محالة في حقه تعالى» **(يعطى)** بالبناء للمفعول **(بها في الدنيا)** أحد الظرفين نائب الفاعل والآخر في محل الحال **(ويجزى بها)** أي ثوابًا مع ذلك **(في الآخرة وأما الكافر فيطعم)** بالبناء

بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بها لِلّهِ تعالى في الدُّنيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلى الآخِرَة لَمْ يَكُن لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا». رواه مسلم.

٤٢٨ - وعن جابرٍ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهَرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ». رواه مسلم.

و«الْغَمْرُ»: الْكَثيرُ.

٤٢٩ - وعنِ ابنِ عباسٍ رضي اللَّهُ عنهما قال: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ

للمفعول أي يرزق (**بحسنات ما عمل بها لله تعالى في الدنيا**) وفيه تنبيه على أن جزاء الكافر على عمله بالحسنة الدنيوية إنما هي فيما إذا كان العمل الصالح لله لا لرياء أو سمعة، وفيه إيماء إلى إحباطهما ثواب العمل (**حتى إذا أفضى**) قال النووي: «أي صار إليها» (**إلى الآخرة**) أي وقد مات على كفره (**لم يكن له حسنة يجزى بها رواه مسلم**) في ءاخر أبواب صفة الجنة والنار.

٤٢٨ - (**وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: مثل**) بفتح أوله وثانيه المثلث (**الصلوات الخمس كمثل**) الكاف زائدة (**نهر**) بسكون الهاء ويجوز فتحها وهما لغتان في كل ما كان هكذا وعينه حرف حلق كشعر ونحر (**جار**) جاء في رواية عند أحمد بزيادة «عذب» قال في «النهاية»: الماء العذب هو الطيب الذي لا ملوحة فيه (**غمر**) بفتح الغين المعجمة وسكون الميم أي يغمر من دخله ويغالبه (**على باب أحدكم**) قال النووي: «إشارة إلى سهولته وقرب تناوله» (**يغتسل منه كل يوم خمس مرات**) زاد في رواية أحمد فما يبقي ذلك من الدنس، وما فيه استفهامية والدنس الوسخ أي كما أن الغسل المكرر كذلك يذهب الدنس الحسي كذلك الصلوات الخمس مذهبة للدنس المعنوي (**رواه مسلم**) في كتاب الصلاة والإمام أحمد في «مسنده» (**والغمر: الكثير**) كما في النهاية.

٤٢٩ - (**وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ**

يقول: «مَا مِن رَجُلٍ مسلِم يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلى جَنَازَتِهِ أَربَعُونَ رَجُلًا لا يُشرِكُونَ بِاللّهِ شَيئًا إِلا شَفَّعَهُمُ اللّهُ فيه». رواه مسلم.

٤٣٠ - وعنِ ابنِ مَسْعُودٍ رضي اللّهُ عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ في قُبَّةٍ نَحوًا مِنْ أَرْبَعِينَ، فقال: «أَتَرضَونَ أَن تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟» قُلنَا: نَعَمْ، قال: «أَترضَونَ أَن تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قال: «وَالَّذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنّي لأَرجُو أَن تَكُونُوا نِصفَ أَهْلِ الجَنَّة،

يقول: ما من) زائدة لتأكيد العموم المستفاد من (رجل مسلم) لكونه نكرة في سياق النفي، وذكره لشرفه وإلا فالمرأة كذلك في ذلك (يموت فيقوم) بالرفع عطفًا على يموت (على جنازته أربعون رجلًا) أي يصلون عليه (لا يشركون بالله شيئًا) من الإشراك (إلا شفعهم الله فيه) أي بأن يغفر له (رواه مسلم) في الجنائز.

٤٣٠ - (وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في قبة) بضم القاف وتشديد الموحدة من الخيام بيت صغير مستدير وهو من بيوت العرب قاله في «النهاية» (نحوًا من أربعين فقال: أترضون أن تكونوا ربع) بضم أوليه وكذا ثلث (أهل الجنة؟ قلنا نعم، قال) أي بعد أن أخبر بثبوت ذلك (أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا نعم، قال: والذي نفس محمد بيده) أتى بالقسم وباسمه ﷺ مظهرًا تأكيدًا للأمر وتفخيمًا له (إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة) قال العلماء: كل رجاء جاء عن الله تعالى أو عن النبي ﷺ فهو كائن البتة. قال المصنف: والحكمة في قوله: «ربع أهل الجنة ثم ثلث أهل الجنة ثم الشطر» ولم يقل أولًا شطر أهل الجنة أن ذلك أوقع في نفوسهم وأبلغ في إكرامهم، فإن إعطاء الإنسان مرة بعد أخرى دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته، وأن ذلك فيه تكرير البشارة مرة بعد أخرى، وفيه حملهم على تجديد شكره تعالى وحمده على كثرة نعمه. قال النووي:

وَذلِكَ أَنَّ الجَنَّةَ لا يَدخُلُهَا إلا نَفسٌ مُسلِمَةٌ، وَمَا أَنتُمْ في أَهْلِ الشّركِ إلا كَالشَّعْرةِ البَيضَاءِ في جِلدِ الثَّورِ الأسوَدِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوداءِ في جِلدِ الثَّورِ الأحمَرِ». متفقٌ عليه.

٤٣١ - وعنْ أَبي موسى الأَشْعَرِيّ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيامَةِ دَفَعَ اللّهُ إِلى كُلّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَو نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ: هَذَا فَكَاكُكَ مِنَ النَّارِ»[1].

«وقد ثبت في الحديث الآخر «إن أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الأمة منها ثمانون صفًا» فهذا دليل على أنهم يكونون ثلثي أهل الجنة»، ولا يشكل ذلك على حديث الباب بل يكون ﷺ أخبر بما في حديث الباب أولًا ثم زاده الله في العطاء فأخبر به بعد (**وذلك**) أي التبشير المشار إليه (**أن الجنة**) أي لأن الجنة (**لا يدخلها إلا نفس مسلمة**)، هذا نص صريح في أن من مات على الكفر لا يدخل الجنة أصلًا وهذا النص على عمومه بإجماع المسلمين (**وما أنتم في أهل الشرك**) في سائر الأمم ومنهم يأجوج ومأجوج (**إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو**) شك من الراوي (**كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر**) يعني الأبيض (**متفق عليه**) أخرجه البخاري في الرقاق، ومسلم في الإيمان ورواه الترمذي وابن ماجه.

٤٣١ - (**وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان**) أي وجد (**يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا فيقول**) أي عزّ وجل (**هذا فكاكك من النار**) وعند مسلم في الحديث الذي ذكرناه عنه «هذا فداؤك من النار» قال المصنف: الفكاك بفتح الفاء وكسرها.

---

(١) هذا الحديث من الأحاديث الأربعة التي ضعفها بعض الحفاظ حين قدم مسلم صحيحه إليهم ومنها حديث: إن أبي وأباك في النار.

وفي روايةٍ عنه رَضيَ اللهُ عنهُ عنِ النَّبيّ ﷺ قال: «يَجيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثالِ الجِبَالِ يَغفِرُهَا اللّهُ لهُم». رواه مسلم.

قوله: «دَفَعَ اللَّهُ إِلى كُلّ مُسْلِم يهودِيًّا أَوْ نَصْرَانيًّا فَيَقُولُ: هَذا فكَاكُكَ مِنَ النَّارِ» معْنَاهُ ما جَاءَ في حديث أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه: «لِكُلّ أَحَدٍ مَنزِلٌ في الجَنَّة ومَنزِلٌ في النَّارِ، فالمُؤْمِنُ إِذا دَخَلَ الجَنَّةَ خَلَفَهُ الكَافِرُ في النَّارِ»، لأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لذلكَ بكُفْرِهِ. وَمَعنى «فكَاكُكَ»: أَنَّكَ كُنْتَ مُعَرَّضًا لِدُخُولِ النَّارِ وَهَذا فَكَاكُكَ لأَنَّ اللَّهَ تعالى قَدَّرَ لِلنَّارِ عدَدًا يَمْلَؤهَا فإذا دَخَلَهَا الكُفَّارُ بِذُنُوبِهِمْ وكُفْرِهِم صَاروا في مَعنى الفكَاك لِلمُسلِمِينَ. والله أعلم.

٤٣٢ - وعنِ ابنِ عُمَرَ رضيَ الله عنهما قال: سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ

(وفي رواية) هي لمسلم أيضًا (عنه رضي الله عنه) أي عن أبي موسى (عن النبي ﷺ قال: يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب) أي عظيمة كما يؤخذ من قوله (أمثال الجبال يغفرها الله لهم رواه مسلم. قوله دفع الله إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا فيقول: هذا فكاكك من النار) ليس هو على ظاهره من وضع أعمال المؤمنين على الكافرين لأن الله تعالى يقول ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة الأنعام] لكن (معناه ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: لكل أحد) أي سواء كان مسلمًا أو كافرًا (منزل من الجنة ومنزل من النار، فالمؤمن إذا دخل الجنة) أي منزله فيها (خلفه الكافر في النار، لأنه مستحق لذلك) أي دخول النار (بكفره، ومعنى فكاكك) من النار (أنك كنت معرّضًا لدخول النار) أي لو كنت خذلت (وهذا فكاكك) أي بمنزلته صورة (لأن الله تعالى قدر للنار عددًا يملؤها، فإذا دخلها الكفار بذنوبهم وكفرهم صاروا في معنى الفكاك للمسلمين) من حيث إن بهم تم عدد أهل النار فأمنها المسلمون.

٤٣٢ - (وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ

يقول: «يُدْنَى المُؤْمِنُ يومَ القِيَامَةِ مِن رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حتَّى يَضَعَ عليه كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ فيقولُ: أَتَعرفُ ذنبَ كَذَا؟ أَتَعرفُ ذَنبَ كَذَا؟ فيقول: أي رَبِّ أَعْرِفُ، قال: فَإِنِّي قَد سَتَرتُهَا عليك في الدُّنيا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليومَ، فَيُعطَى صَحِيفَةَ حسَنَاته». متفقٌ عليه.

«كَنَفُهُ»: سَتْرُهُ وَرَحْمَتُهُ.

٤٣٣ - وعن ابنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رجُلًا أَصَابَ مِنِ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبيَّ ﷺ فأخبرَه فأَنزلَ اللَّهُ تعالى ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ

يقول يدنى) بالبناء للمفعول: أي يقرب (**المؤمن يوم القيامة من ربه عزَّ وجلَّ**) قرب مكانة لا قرب مكان قال النووي: «المراد بالدنوّ هنا دنو كرامة وإحسان لا دنو مسافة، والله تعالى منزه عن المسافة وقربها» (**حتى يضع عليه كنفه**) بفتح الكاف والنون أي ستره (**فيقرره بذنوبه**) ويسترها عن سائر أهل المحشر (**فيقول: ألا تعرف ذنب كذا**) تقدم أنه من ألفاظ الكنايات، ويكنى به عن المجهول وما لا يراد التصريح به (**فيقول: أي رب أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا**) بأن لم يطلع عليها أحد من الناس (**وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة**) أي كتاب (**حسناته. متفق عليه**) أخرجه البخاري في الرقاق ومسلم في صفة الجنة والنار (**كنفه**) بفتح أوليه كما تقدم (**ستره ورحمته**) قال النووي: «ستره وعفوه» اهـ. فالرحمة هنا مجاز عن الإحسان.

٤٣٣ - (**وعن**) عبد الله (**بن مسعود رضي الله عنه أن رجلًا أصاب من امرأة قبلة**) أخرج قصته الترمذي ومن معه عنه قال «أتته امرأة وزوجها قد بعثه ﷺ في بعث فقالت له بعني تمرًا بدراهم، قال وأعجبتني فقلت لها: إن في البيت تمرًا أطيب من هذا، فانطلق بها معه فغمزها وقبلها ثم فزع حتى قالت له اتق الله، فخرج فلقي أبا بكر فقال: تب ولا تعد، ثم أتى النبي ﷺ» الحديث (**فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله تعالى ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾**) كذا هو بحذف الواو في الصحيحين والتلاوة بإثباتها

طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة هود]، **فقال الرَّجلُ: أَلي هذا يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «لجَمِيع أُمَّتي كُلّهِمْ». متفقٌ عليه.**

٤٣٤ - وعنْ أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه قال: جَاءَ رجلٌ إِلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللّهِ أَصَبْتُ حدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، وَحَضَرتِ الصَّلاةُ فَصَلَّى مَعَ رسول الله ﷺ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلاةَ قال: يا رسولَ اللّهِ إِنّي أَصَبْتُ حدًّا فَأَقِمْ فِيَّ كتَابَ اللّهِ، قال: «هَلْ حَضَرتَ مَعَنَا الصَّلاةَ؟» قال: نعم، قال: «قد غُفِرَ لَكَ». متفقٌ عليه.

وقوله: «أَصَبْتُ حدًّا» معناه: مَعْصِيَةً توجِبُ التَّعْزير وليس

(﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾) أي غدوة وعشية (﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾) أي ساعات منه قريبة من النهار، فإنه من أزلف إذا قربه وهو جمع زلفة قال المصنف: ويدخل في صلوات طرفي النهار الصبح والظهر والعصر وفي زلفا من الليل المغرب والعشاء (﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴿١١٤﴾﴾) يكفرنها، وفي الحديث «إن الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر» (**فقال الرجل: ألي هذا يا رسول الله**) يعني خاص بي أي أن صلاتي تذهب معصيتي (**قال لجميع أمتي كلهم**) والمكفر بالحسنات صغائر الذنوب المتعلقة بحق الله تعالى كما قاله المصنف (**متفق عليه**) أخرجه البخاري في التفسير ومسلم في التوبة.

٤٣٤ - (وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل) قال الشيخ زكريا هو أبو اليسر (**إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أصبت حدًّا**) أي مقتضيه والمراد من الحد ما فيه التعزير أو توهم أن فيه حدًّا مخصوصًا (**فأقمه عليّ وحضرت الصلاة فصلى مع رسول الله ﷺ، فلما قضى الصلاة**) أي أتمها معه ﷺ (**قال يا رسول الله إني أصبت حدًّا فأقم فيّ كتاب الله قال: هل حضرت معنا الصلاة؟ قال نعم، قال قد غفر لك**) قال النووي: «هذا الحد معناه معصية من المعاصي الموجبة للتعزير وهي هنا من الصغائر لأنها كفرتها الصلاة» (**قوله أصبت حدًّا معناه معصية توجب التعزير وليس**

المُرادُ الحدَّ الشَّرعِيَّ الحقيقيَّ كَحَدّ الزّنا والخمر وغَيْرِهما، فَإِنَّ هذه الحُدودَ لا تسقُطُ بالصَّلاةِ ولا يجوزُ للإمام تركُها.

٤٣٥ - وعنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللّهَ لَيَرْضَى عنِ الْعَبْدِ أَن يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عليها أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَليها». رواه مسلم.

الأكلة: بفتح الهمزة وهي المرَّة الواحدة من الأكل كالغدوة والعشوة، والله أعلم.

٤٣٦ - وعن أَبي موسى الأَشْعَرِيّ رضي اللَّهُ عنه عنِ النَّبيّ ﷺ، قال: «إِنَّ اللَّهَ تعالى يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيلِ ليَتُوبَ مُسِيءُ النَّهارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ حتى تَطْلُعَ الشمسُ مِن مَغْرِبها».

المراد الحد الشرعي الحقيقي كحدّ الزنا والخمر وغيرهما فإن هذه الحدود لا تسقط بالصلاة) أي بعد تعينها كما يعلم من الوجه الآتي **(ولا يجوز للإمام تركها)** قال النووي: «وهذا هو الصحيح في تفسير هذا الحديث» **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في المحاربين ومسلم في التوبة.

٤٣٥ - **(وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله ليرضى)** المراد منه في حقه تعالى غايته من القبول أو إرادته **(عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها)** يعني يرضى لأحد هذين الفعلين أيًا كان وليس هو بشك من الراوي وفي الحديث حصول أصل سنة الحمد بأي لفظ اشتق من مادة «ح م د» بل بما يدل على الثناء على الله تعالى **(رواه مسلم)** في باب الحمد **(الأكلة بفتح الهمزة: وهي المرة الواحدة من الأكل كالغدوة والعشوة)** وبضمها اسم للقمة.

٤٣٦ - **(وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن الله تعالى يبسط)** بضم السين **(يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل)** قال النووي: «بسط اليد استعارة في قبول التوبة» **(حتى تطلع الشمس من مغربها)** ولا يختص به قبولها بوقت،

رواه مسلم.

٤٣٧ - وعن أَبي نَجيْح عَمرِو بنِ عَبَسَةَ - بفتح العين والباء - السُّلَمِيّ رضيَ اللّهُ عنه قالَ: كنتُ وَأَنَا في الجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلى ضَلالَةٍ وأَنَّهُمْ لَيْسُوا على شيءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلى رَاحِلَتي فَقَدِمتُ عَلَيهِ فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَءاءُ عليه قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخلْتُ عَلَيهِ بِمَكَّةَ، فقلتُ له: ما أَنتَ؟

وبسط اليد استعارة في قبول التوبة، قال المازري: المراد به قبول التوبة، وإنما ورد لفظ بسط اليد لأن العرب إذا رضي أحدهم الشيء بسط يده لقبوله وإذا كرهه قبضها عنه، فخوطبوا بأمر يفهمونه وهو مجاز فإن اليد بمعنى الجارحة محال عليه تعالى (**رواه مسلم**) في باب التوبة وكذا أحمد.

٤٣٧ - (وعن أبي نجيح عمرو بن عبسة بفتح العين) المهملة **(والباء)** الموحدة ثم سين مهملة على وزن عدسة **(السلمي)** الصحابي الصالح، أسلم عمرو **(رضي الله عنه)** رابع أربعة، وحديث هجرته هو الحديث المذكور وقدم المدينة بعد الخندق فسكنها ثم نزل الشام، سكن حمص وتوفي بها اهـ **(قال كنت وأنا في الجاهلية)** سموا به لكثرة جهالاتهم **(أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء)** ينفعهم عند الله تعالى **(وهم يعبدون الأوثان)** جمع وثن قيل هو والصنم بمعنى **(فسمعت برجل بمكة)** الباء الثانية ظرفية **(يخبر أخبارًا)** بفتح الهمزة أي أخبارًا عجيبة الشأن عظيمة الموقع فالتنوين فيه للتعظيم **(فقعدت على راحلتي)** أي ركبت عليها مسافرًا **(فقدمت)** بكسر الدال **(عليه فإذا رسول الله ﷺ مستخفيًا)** أي مستترًا من الكفار الأشرار **(جرءاء)** قال النووي: «بضم الجيم جمع جرىء من الجرأة وهي الإقدام والتسلط» وقوله **(عليه قومه فتلطفت)** أي ترفقت في الأمر مع قرشي **(حتى دخلت عليه بمكة فقلت له: ما أنت؟**

قال: «أَنَا نَبيٌّ» فقلتُ: وما نبيٌّ؟ قال: «أَرْسَلَني اللّهُ»، فقلتُ: بأَيّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قال: «أَرْسَلَني بِصِلَةِ الأَرْحامِ وكسْرِ الأَوْثانِ، وَأَن يُوَحَّدَ اللّهُ لا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ» قلت: فَمن مَعَكَ عَلى هَذا؟ قال: «حُرٌّ وَعَبْدٌ»، ومعهُ يَوْمَئِذٍ أَبو بكرٍ وبِلالٌ رضي اللَّهُ عنهما، فقلتُ: إِنّي مُتَّبِعُكَ، قال: إِنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ ذلك يَومَكَ هَذا، أَلا تَرَى حَالي وحالَ النَّاس؟ وَلكِن ارْجِعْ إِلى أَهْلِكَ فَإِذا سمِعْتَ بي قد ظَهَرتُ فَأْتِني» قال: فَذَهَبْتُ إِلى أَهْلي وَقَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المَدينَةَ

قال أنا نبي) وكذا قال النووي: «قال ما ولم يقل من أنت لأنه سأله عن صفته لا عن ذاته، والصفات مما لا يعقل» اهـ **(فقلت وما نبي؟)** أي ما حقيقة النبي المميزة له عن سواه **(قال أرسلني الله)** أي أرسل الله إياي **(قلت: بأي شيء أرسلك؟)** لما عمم النبيّ ﷺ بحذف معمول أرسل استفهمه عمرو عنه وسأل بيانه **(قال أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله)** بالمضارع المبني للمفعول وكذا في قوله **(لا يشرك)** بالرفع ونائب فاعله شيء من قوله **(به شيء)** قال النووي: «هذا فيه دلالة ظاهرة على الحث على صلة الأرحام» **(قلت: فمن معك على هذا؟ قال: حر وعبد ومعه يومئذٍ)** المراد باليوم فيه مطلق الحين أي حينئذٍ **(أبو بكر وبلال رضي الله عنهما)** وكان الاقتصار عليهما مع تقدم إسلام خديجة على إسلامهما إذ هي أول الناس إسلامًا **(فقلت: إني متبعك)** أي على إظهار الإسلام هنا وإقامتي معك **(قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالي وحال الناس)** أي في هذا الزمن الحاضر وذلك لضعف شوكة الإسلام فيخاف عليك من أذى كفار قريش **(ولكن ارجع إلى أهلك)** قال القاضي عياض: ليس معناه أنه رده دون إسلام وإنما رده عن صحبته واتباعه لأنه كان في أوّل الإسلام وقبل قوته فخاف عليه لغربته أن تهلكه قريش أو تفتنه اهـ. **(فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني)** فيه معجزة للنبي هي إعلامه بأنه سيظهر فكان كما أخبر **(قال: فذهبت)** أي رجعت **(إلى أهلي وقدم)** بكسر الدال **(رسول الله ﷺ المدينة)** منصوب

وكنتُ في أَهْلي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الأَخبارَ وَأَسْأَلُ النَّاسَ حينَ قَدِمَ المدينةَ، حَتَّى قَدِمَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ المدينةِ، فقلتُ: ما فَعَلَ هذا الرَّجُلُ الذي قَدِم المدينةَ؟ فقالوا: النَّاسُ إِليهِ سِراعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُه قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذلِكَ، فَقَدِمْتُ المدينةَ فَدَخَلْتُ عليهِ فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ أَتَعرِفُني؟ قال: «نعم أَنتَ الَّذي لَقيتَني بِمكةَ»؟ قال: فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ أَخْبِرني عمَّا عَلَّمَكَ اللّهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخبِرني عَنِ الصَّلاةِ؟ قال: «صَلِّ صَلاةَ الصُّبحِ ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حتى تَرتَفِعَ، فَإِنَّها تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ

على التوسع كدخلت المسجد **(وكنت في أهلي)** أي مقيمًا فيهم **(فجعلت)** من أفعال الشروع **(أتخبر الأخبار)** أي أتكلف الوقوف عليها وأعاني ذلك **(وأسأل الناس حين قدم المدينة)** أي وقت قدومه لها **(حتى قدم نفر من أهل المدينة)** غاية لتخبره وسؤاله ومعنى قوله من أهل المدينة أي المقيمين بها القاطنين فيها **(فقلت ما فعل هذا الرجل؟ الذي قدم المدينة فقالوا: الناس إليه سراع)** بكسر السين أي مسرعين **(وقد أراد قومه قتله)** بأنواع من المكر والخديعة **(فلم يستطيعوا ذلك)** بل رد الله كيدهم في نحرهم وحفظ نبيه ﷺ من ذلك **(فقدمت المدينة)** أي امتثالًا لقوله «فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني» **(فدخلت عليه فقلت يا رسول الله أتعرفني؟ قال: نعم أنت الذي لقيتني بمكة)** وسؤاله لطول مدة غيبته **(قال: فقلت: يا رسول الله أخبرني عما علمك الله)** أي علمكه ومعناه أخبرني عن حكمه وصفته وبينه لي وقوله **(وأجهله أخبرني عن الصلاة)** أي النافلة **(قال: صلّ الصبح ثم اقصر)** بضم الصاد أي اقعد **(عن الصلاة)** أي النفل المطلق الذي لا سبب له أو له سبب متأخر **(حتى تطلع الشمس حتى ترتفع)** قال النووي: «فيه أن النهي عن الصلاة بعد الصبح لا يزول بنفس الطلوع بل لا بد من الارتفاع» والمراد ارتفاعها كرمح في رأي العين **(فإنها)** أي الشمس **(تطلع)** بضم اللام **(حين تطلع)**

بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الكُفَّارُ، ثُمَّ صَلّ فَإِنَّ الصَّلاةَ مشهودةٌ محضورةٌ حتى يستَقِلَّ الظّلُّ بالرُّمحِ، ثُمَّ اقْصُرْ عن الصَّلاةِ فَإِنَّهُ حينئذٍ تُسْجَرُ جَهنَّمُ، فإذا أَقبلَ الفَيءُ فصَلّ فإِنَّ الصَّلاةَ مَشهودةٌ محضورةٌ حتى تُصَلّيَ العصرَ، ثم اقْصُرْ عن الصلاةِ حتى تَغْرُبَ الشمسُ فإنها تَغرُبُ بين قَرنيْ شيطانٍ، وحينئذٍ يَسْجُدُ لها الكُفَّارُ»

أي وقت طلوعها (**بين قرني شيطان**) وقرناه: ناحيتا رأسه، قال النووي: وسمي شيطانًا لتمرده وعتوه وكل مارد عات شيطان أي فالمصلي حينئذٍ كالساجد للشيطان (**وحينئذٍ يسجد لها الكفار**) أي وحين تطلع بين قرنيه (**ثم صل**) أي ما شئت من النفل (**فإن الصلاة مشهودة محضورة**) أي يحضرها الملائكة فهي أقرب إلى القبول وحصول الرحمة (**حتى يستقل**) من القلة لا من الإقلال الذي هو الارتفاع وهو غاية لقوله صلّ (**الظل بالرمح**) المغروس بالأرض أي حتى يستقل الرمح بالظل أي يبلغ ظله أدنى غاية النقص والرمح كناية عن الشاخص والتقدير حتى يقل الظل الملصق بالشاخص أي ينتهي إلى غاية قلته (**ثم اقصر عن الصلاة فإنه حينئذٍ تسجر**) أي تهيج بالوقود (**جهنم**) وتسجر (**فإذا أقبل الفيء**) أي إلى جهة المشرق، والفيء مختص بما بعد الزوال، وأما الظل فيقع على ما قبل الزوال وبعده (**فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر**) قال المصنف: فيه دليل على أن النهي لا يدخل بدخول وقت العصر ولا بصلاة غير الإنسان وإنما يكره لكل بصلاته حتى لو أخرها عن أول الوقت لم يكره التنفل اهـ. ومراده أخرها عن أول الوقت لما تقرّر أنها من الاصفرار يكره لمن صلى ولغيره (**ثم اقصر عن الصلاة**) أي النافلة التي لا سبب لها أو لها سبب متأخر (**حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذٍ يسجد لها الكفار**) هذه حكمة النهي فيه نوع تشبه بالكفار في عبادتهم للشمس حينئذٍ وقد نهينا عن التشبه بهم وإنما حرمت النافلة من بعد صلاتي الصبح والعصر قبل طلوعها وغروبها مع انتفاء الحكمة أو العلة لأن ما قارب الشيء أعطي حكمه كما حرمت مباشرة

قال: فقلت: يا نَبِيَّ اللَّهِ فالوُضوءُ حدّثني عنه فقال: «ما مِنْكُمْ رجُلٌ يُقَرِبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ ويسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إلا خَرَّتْ خطايَا وجههِ وفيهِ وخياشِيمِهِ، ثم إذا غَسَلَ وجهَهُ كما أَمَرَ اللّهُ إلا خرّت خطايا وجههِ مِنْ أَطرافِ لِحْيَتِهِ مع الماءِ، ثم يغسِل يديهِ إلى المِرفَقَينِ إلا خرّت خطايا

ما بين سرة الحائض وركبتها، وأيضًا فعباد الشمس ربما تهيئوا لتعظيمها من أول ذينك الوقتين فيرصدونها إلى أن تظهر فيخروا لها سجدًا، فلو أبيح التنفل حينئذٍ لكان فيه تشبه بهم أو إيهامه أو التسبب إليه (**قال: فقلت يا نبي الله فالوضوء حدثني عنه**) أي من حيث الفضيلة بدليل الجواب (**فقال: ما منكم رجل يقرب وضوءه**) في شرح مسلم للنووي: هو بضم الياء وفتح القاف وكسر الراء المشددة أي يدنيه، والوضوء هنا فتح الواو وهو الماء الذي يتوضأ به (**فيتمضمض**) سكت عما يسن قبلها من نحو التسمية لعله لعلمه أنه يعلم ذلك أو لأن الغرض ذكر ما فيه ثواب عظيم من أعمال الوضوء لا سيما ما اختلف في وجوبه كالمضمضة (**ويستنشق**) الواو بمعنى ثم (**فينتثر**) أي يجذب الماء بخياشيمه ثم يدفعه ليزيل ما في أنفه من الأذى (**إلا خرت خطايا وجهه، وفيه**) أي سقطت صغائر خطاياه ثم يحتمل أن يراد خطايا جميع وجهه وإن لم يطهر إلا بعضه لأنه أقذر ما فيه فخرت خطاياه (**وخياشيمه**) بيان لذلك البعض المبهم، والخياشيم جمع خيشوم وهو أقصى الأنف (**ثم إذا غسل وجهه كما أمر الله**) أي بقوله عزّ وجل ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ۝٦﴾ [سورة المائدة] وفائدة قوله كما أمره الله الإيماء إلى وجوب الترتيب في الوضوء عند من يوجبه كإمامنا الشافعي (**إلا خرت خطايا وجهه**) إن قلت: الوجه لا يتصور منه خطايا في العادة إلا باعتبار منافذه وقد غفرت خطايا منفذين فلم يبق إلا خطايا البصر قلت: يحتمل أن يراد هنا بعضه الباقي وهو العينان (**من أطراف لحيته**) عبر بها للغالب وإلا فمن لا لحية له كالأمرد والمرأة كذلك (**مع الماء ثم**) في العطف بها دلالة لوجوب الترتيب (**يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا**

يديه من أَنامِلِهِ مع الماءِ، ثم يَمْسحُ رَأْسَهُ إِلا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ من أطرافِ شَعْرِهِ مع الماءِ، ثم يَغْسِل قَدَمَيْهِ إِلى الكَعْبَيْنِ إِلا خرَّتْ خطايا رِجْلَيه من أَنامِلِهِ مع الماءِ، فإِن هو قامَ فصلَّى فحمِدَ اللَّهَ تعالى وأَثْنَى عليهِ وَمجَّدَهُ بالذي هو له أَهلٌ وفَرَّغَ قلبَه للّهِ تعالى إِلا انصَرَفَ من خطيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يومَ ولَدَتْهُ أُمُّهُ».

فحدّثَ عَمرُو بنُ عَبَسَةَ بهذا الحديثِ أَبَا أُمامَة صاحِبَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال له أَبو أُمَامَة: يا عَمْرَو بنَ عبَسَةَ انظُر ما تقولُ في مقامٍ واحِدٍ يُعطى هذا الرَّجُلُ؟ فقال عَمْرٌو:

يديه من) أطراف **(أناملِه مع الماء ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء)** ذكره للغالب أيضًا **(ثم يغسل قدميه إلى الكعبين)** فيه دليل لمذهب العلماء كافة أن الواجب غسل الرجلين **(إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء فإن)** شرطية **(هو)** أي المتوضئ الدال عليه سياق الكلام وسياقه ورافعه فعل الشرط محذوف تفسيره **(قام)** ولحذفه برز ضميره المستكن فيه **(فصلى فحمد الله تعالى)** أي أثنى عليه بالصفات الثبوتية **(وأثنى عليه)** بالتنزيه عما لا يليق به **(ومجده)** بتشديد الجيم أي وصفه **(بالذي هو)** سبحانه **(له أهل)** من أوصاف المجد **(وفرغ قلبه لله تعالى)** هو بتشديد الراء للمبالغة في تنظيف القلب وتنزيهه من دنس التعلق بغير المولى سبحانه والركون إلى سواه، ومن سائر الشواغل والخواطر لله تعالى دون غيره **(إلا انصرف)** خارجًا **(من خطيئته)** أي صغائره فيصير متطهرًا منها **(كهيئته)** أي طهارته من كل خطيئة **(يوم ولدته أمه فحدث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحب رسول الله ﷺ)** وأبو أمامة كنيته واسمه صدي بضم المهملة الأولى وفتح الثانية وتشديد التحتية ابن عجلان **(فقال له أبو أمامة يا عمرو)** يجوز ضمه وفتحه لوصفه بقوله **(ابن عبسة)** المتعين فيه النصب لكونه مضافًا **(انظر)** بضم الظاء: أي تفكر وتأمل **(ما تقول في مقام)** بفتح الميم: أي مكان **(واحد يعطى هذا)** الثواب العظيم **(الرجل؟ فقال عمرو:**

يا أَبَا أُمامة لقد كبِرَتْ سِنّي ورَقَّ عَظمي وَاقْتَرَبَ أَجَلي وما بي حَاجَةٌ أَنْ أَكذِبَ على الله تعالى ولا على رَسُولِهِ ﷺ لو لم أَسْمَعْهُ مِن رسول اللَّهِ ﷺ إلا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَينِ أَو ثلاثًا حَتَّى عَدَّ سبعَ مَرَّاتٍ ما حَدَّثتُ به أَبَدًا، ولكنّي سمِعتُهُ أَكثرَ من ذلك». **رواه مسلم**.

قوله: «جُرءاءُ عليهِ قومه»: هو بجيم مضمومة وبالمدّ على وزن علماءَ، أي: جاسرون مستطيلون غير هائبين. هذه الرواية المشهورةُ، ورواه الحُمَيْدِيُّ وغيره: «حِراء عليه» بكسر الحاء المهملة،

يا أبا أمامة لقد كبرت) بكسر الباء الموحدة أي تقدمت **(سني)** أي عمري. **(ورق عظمي)** أي نحف ونحل **(واقترب أجلي)** أي قرب والإتيان بالتاء مبالغة في ذلك **(وما بي حاجة)** أي داعية **(أن أكذب على الله تعالى ولا على رسوله ﷺ)** أي فيّ أو إلى أن أكذب **(لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثًا)** منصوبات على الظرفية **(حتى عدّ سبع مرّات)** أي بأن قال أو أربعًا إلى أن قال أو سبع مرات **(ما حدثت به أبدًا ولكني سمعته أكثر من ذلك)** قال النووي: ومعلوم أن من سمع مرة واحدة جاز له الرواية، بل تجب عليه إذا تعين لها وجوابه أن معناه لو لم أتحققه وأجزم به لما حدثت به **(رواه مسلم)** قبيل باب صلاة الخوف وبعضه عند النسائي وابن ماجه.

(قوله جرءاء عليه قومه، هو بجيم مضمومة وبالمد على وزن علماء) لأن واحده جرىء فهو كعليم وعلماء وشريف وشرفاء **(أي جاسرون مستطيلون)** من الاستطالة لكن في «شرح مسلم» من الجرأة وهي الإقدام والتسلط وقضيته أن يكون جاسرون متسلطون **(غير هائبين)** أي له لعدم معرفتهم بعظيم قدره لعمي بصائرهم عن مشاهدة أنواره:

(هذه الرواية المشهورة ورواية الحميدي) أي في الجمع بين الصحيحين **(وغيره حراء عليه بكسر الحاء المهملة)** أما الراء المهملة والمد ففيهما

وقال معناه: غِضابٌ ذَوُو غَمّ وهَمّ، قد عيل صبرهم به حتى أثَّر في أجسامهم من قولهم: حرى جسمه يحرى إذا نقص من ألم أو غمّ ونحوه، والصحيح أنه بالجيم. قوله ﷺ: «بين قرني شيطانٍ» أي: ناحيتي رأسه، والمراد التمثيل، معناه: أنه حينئذٍ يتحرك الشيطان وشيعته ويتسلطون. وقوله: «يقرب وضوءه» معناه: يحضر الماء الذي يتوضَّأ به. وقوله: «إلا خرَّت خطاياه» هو بالخاء المعجمة أي: سقطَت، ورواه بعضهم «جرت» بالجيم، والصحيح بالخاء، وهو رواية الجمهور. وقوله: «فَيَنْتَثِرُ» أي: يستخرج ما في أنفه من أذى، والنَّثرة: طرف الأنف.

معًا (**وقال معناه: غضاب**) بكسر الغين المعجمة (**ذوو غم**) هو الحزن على فوات أمر (**وهم**) هو الخوف من أمر يترقب وقوعه (**قد عيل صبرهم به**) أي غلبهم صبرك عنه (**حتى أثر**) أي الصبر (**في أجسامهم**) مأخوذ (**من قولهم حرى جسمه يحري**) قال في «شرح مسلم»: كضرب يضرب (**إذا نقص من ألم أو غم ونحوه. والصحيح أنه**) أي قوله جرءاء لا حرى جسمه يحري كما قد يتوهم من قربه (**بالجيم قوله ﷺ بين قرني شيطان أي ناحيتي رأسه**) كما تقدم (**والمراد**) منه (**التمثيل**) وبينه بقوله (**معناه**) أي المراد منه في الحديث (**أنه حينئذ يتحرك الشيطان وشيعته ويتسلطون وقوله يقرب وضوءه: معناه يحضر الماء الذي يتوضأ به**) ويطلق الوضوء لغة على الماء المغسول به أعضاء الوضوء بضم الواو. وعلى الباقي في الإناء بعد تمام الوضوء (**وقوله إلا خرت خطاياه هو بالخاء المعجمة أي سقطت، ورواه بعضهم**) هو ابن أبي جعفر أحد رواة مسلم (**جرت**) أي (**بالجيم**) وتخفيف الراء معناه على هذا ظاهر (**والصحيح بالخاء**) أي المعجمة (**وهو رواية الجمهور وقوله فينتثر: أي يستخرج ما في أنفه من أذى**) بعد أن يجذب الماء بالنفس إلى الخيشوم والانتثار افتعال من النثرة (**والنثرة بفتح النون وسكون المثلثة طرف الأنف**).

٤٣٨ - وعنْ أَبي موسى الأَشعَري رضي اللَّهُ عنه عنِ النَّبيّ ﷺ قال: «إِذا أَرادَ اللّهُ رحمةَ أُمَّةٍ قَبضَ نبِيَّهَا قَبلَها، فجعلَهُ لها فَرَطًا وسلَفًا بين يَدَيها، وإِذا أَراد هَلَكةَ أُمَّةٍ عذَّبها ونبيُّها حَيٌّ فَأَهْلَكَهَا وهوَ ينظُرُ، فَأَقَرَّ عينَهُ بِهَلاكِها حين كذَّبوهُ وعصَوْا أَمرَهُ». رواه مسلم.

٥٢ - باب فضل الرجاء

---

٤٣٨ - (وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إذا أراد الله رحمة أمة) أي الإحسان إليهم واللطف بهم (قبض) بفتح الموحدة أي توفى (نبيها قبلها) ليكون صبرهم على المصاب به واحتسابهم ذلك زيادة في أجورهم قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [سورة البقرة] الآية. وقال ﷺ: «من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته فيّ» أو كما قال، دل مجموع الحديث والآية على أن المؤمن إذا صبر على مصيبته على فقد المصطفى ﷺ واحتسب ذلك عند مولاه أجر، كما أن الإنسان إذا ذكر مصابه بمن تقدم له من القرابة فاحتسب عند ذلك يؤجر (فجعله لها فرطًا) الفرط بفتح الفاء والراء، والفارط الذي يتقدم الورّاد يصلح لهم الحياض والدلاء ونحوهما من أمور الاستقاء أي إنه المهيئ لمصالحها في عقباها من مزيد رحمته (وسلفًا) قال في «النهاية» قيل هو من سلف المال كأنه قد أسلفه وجعله ثمنًا للأجر والثواب الذي يجازى به على الصبر عليه، وقوله (بين يديها) أي كائنتين بين يدي الأمة (وإذا أراد هلكة) بفتح حروفه أي وإذا أراد هلاك (أمة عذبها ونبيها حي) والمراد منه الرسول لأنه الذي له أمة (فأهلكها وهو) أي نبيها (ينظر) هلاكها والجملة الاسمية حالية (فأقر) أي الله تعالى (عينه) أي عين نبيه لتلك الأمة (بهلاكها حين كذبوه وعصوا أمره) أي وقت تكذيبهم له وعصيانهم أمره (رواه مسلم) في باب فضائل النبيّ ﷺ.

٥٢ - باب فضل الرجاء

أي ما جاء فيه من الكتاب والسنة.

قال الله تعالى إخبارًا عن العبدِ الصَّالح: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة غافر].

٤٣٩ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه عن رسولِ اللّهِ ﷺ أَنَّهُ قال: «قال اللّهُ عَزَّ وجلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنّ عَبْدي بي، وأَنا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُني، وَاللّهِ لَلّهُ أَفْرَحُ بتَوْبةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بالْفَلاةِ، [وَمَن تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقرَّبْتُ إِلَيْه ذِرَاعًا] وَمَن تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِراعًا تقَرَّبْتُ إِليه بَاعًا، وإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشي أَقبَلتُ إِلَيه أُهَرْوِلُ[1]». متفقٌ عليه،

(قال الله تعالى إخبارًا) أي مخبرًا **(عن العبد الصالح)** هو مؤمن ءال فرعون (﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴿٤٤﴾﴾) أي أسلمه إلى الله تعالى ليعصمني من كل سوء (﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾) فيجزيهم (﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ﴿٤٥﴾﴾) شدائد مكرهم.

٤٣٩ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي) قال ابن الجوزي أي في الرجاء وأمل العفو، وقيل بمعنى اليقين، والمعنى أنا عند يقينه بي وعلمه بأن مصيره إليّ وحسابه عليّ وأن ما قضيت له به من خير أو شر فلا مرد له لديّ **(وأنا معه)** أي بالرحمة والتوفيق والإعانة والنصر **(حيث يذكرني)** بين الملأ أو في الخلاء **(والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته)** الذي هو في غاية الاحتياج إليها والاضطرار **(بالفلاة)** هي الأرض التي لا ماء فيها وجمعها فلا، قال العلماء: فرح الله هو رضاه، والمراد هنا أن الله يرضى توبة عبده أشد مما يرضى واجد ضالته بالفلاة فعبر عن الرضى بالفرح تأكيدًا لمعنى الرضى في نفس السامع ومبالغة في تقريره **(ومن تقرّب إليّ)** قال النووي: «معناه من تقرب إليّ بطاعتي تقربت إليه برحمتي والتوفيق والإعانة وإن زاد زدت» **(ذراعًا تقربت منه باعًا وإذا أقبل إليّ يمشي أقبلت إليه أهرول. متفق عليه)** رواه البخاري في باب الرجاء

---

(١) الهرولة بالمعنى الذي يضاف إلى البشر وفيه الحركة المعروفة لا تجوز على الله. إنما=

وهذا لفظ إِحدى رِوايات مسلم. وتقدَّم شرحُهُ في الباب قبله. وروي في «الصحيحين»: «وأَنا معه حينَ يَذْكُرُني» بالنون، وفي هذه الرواية «حَيْثُ» بالثاءِ وكلاهما صحيح.

٤٤٠ - وعن جابرٍ رضي اللّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ قبْلَ موْتِهِ بثلاثةِ أَيَّام يقولُ: «لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُم إِلا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ باللّهِ عزَّ وجلَّ». رواه مسلم.

ومسلم في باب التوبة (**وهذا لفظ إحدى روايات مسلم وتقدم شرحه في الباب قبله**) والمراد بتقربه تعالى من العامل إسباغ فضله عليه زيادة على قدر عمله (**وروي في الصحيحين**) أي في رواية أخرى (**وأنا معه حين يذكرني بالنون**) فيكون منصوبًا على الظرفية الزمانية (**و**) روي (**في هذه الرواية حيث بالثاء**) أي المثلثة (**وكلاهما**) أي المرويين (**صحيح**).

٤٤٠ - (وعن جابر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قبل موته) أي قبل موت النبيّ ﷺ (**بثلاثة أيام**) كما صرح به في مسلم (**يقول: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عزّ وجل رواه مسلم**) قال النووي: وفي رواية «وهو يحسن الظن بالله» قال العلماء: هذا تحذير من القنوط وحث على الرجاء عند الخاتمة، وقد سبق «أنا عند ظن عبدي بي» قال العلماء: معنى إحسان الظن بالله أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، قالوا وفي حال الصحة يكون خائفًا راجيًا وإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح والحرص على إكثار الطاعة وصالح العمل وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذه الحال فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له، ويؤيده حديث «يبعث كل عبد على ما مات عليه» قال العلماء: معناه يبعث على الحال التي مات عليها.

= معناه أن العبد الذي يقبل على الطاعة الله يثيبه أكثر من سعيه.

٤٤١ - وعنْ أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه قال: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «قال اللَّهُ تعالى يَا ابْنَ ءادَمَ، إِنَّكَ مَا دَعوْتَني وَرَجَوْتَني غَفَرْتُ لَكَ عَلى ما كَانَ مِنكَ ولا أُبَالي، يَا ابنَ ءادمَ لَوْ بَلَغَت ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّماءِ ثم اسْتَغْفَرْتَني غَفَرتُ لَكَ، يَا ابْنَ ءادمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَني بِقُرابِ الأَرْضِ خطايا ثُمَّ لَقِيْتَني لا تُشْرِكُ بي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

«عَنَانُ السماءِ» بفتح العين،

---

٤٤١ - (وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى يا ابن ءادم) نداء لم يرد به واحد معين، وءادم عربي مشتق من أديم الأرض أي وجهها (إنك ما دعوتني ورجوتني) أي مدة دعائك إياي نفعًا وصلاحًا (غفرت لك على ما كان منك) أي محوت ما كان من الذنوب منك كذنب الكفر بالإيمان وغيره بالاستغفار (ولا أبالي) بما كان منك منها عظم أو لا، وذلك لحسن رجاء العبد والله عند حسن ظن عبده به (يا ابن ءادم لو بلغت ذنوبك عنان السماء) أي ما يملأ ما بينها وبين الأرض لو كان جسمًا (ثم استغفرتني) أي سألتني غفران ذلك (غفرت لك) إياها وذلك لأنه تعالى كريم يقيل العثرات ويغفر الزلات وهذا مثال بالغ في الكثرة جيء به تنبيهًا على أن كرمه وفضله ورحمته لا تتناهى وأنها أكثر وأوسع مما ذكر (يا ابن ءادم إنك لو أتيتني بقراب الأرض) أي ما يقارب ملأها (خطايا) جمع خطيئة (ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا) أي من الشرك أو من المعبودات (لأتيتك بقرابها مغفرة) أي لغفرتها لك وذلك لأن الإيمان به تعالى شرط في العفو عن الذنب غير الشرك لأنه أصل يبنى عليه قبول الطاعة والعفو عن المعصية، بخلاف الشرك إذ لا أصل معه يبنى عليه العفو عنه ولا بد أن يضم إلى الإيمان بالله تعالى الإيمان بنبيه محمد ﷺ وبما جاء به هذا، والمراد من «أتيتك» غايته من المغفرة، والحديث من الأحاديث القدسية (رواه الترمذي وقال حديث حسن عنان السماء بفتح العين) المهملة وبنونين

قيل: هو مَا عنَّ لَكَ منها أَي ظَهَرَ إِذَا رَفَعْتَ رَأْسَكَ، وقيلَ: هو السَّحَابُ. و«قُرابُ الأَرض» بضم القاف، وقيلَ: بكسرِها، والضم أَصح وأَشهر، وهو: ما يقارِبُ مِلأَهَا.

٥٣ - باب الجمع بين الخوف والرجاء

اعْلَمْ أَنَّ المُخْتَارَ لِلعَبْدِ في حَالِ صِحَّتهِ أَن يَكُونَ خائفًا راجيًا، وَيكونَ خَوْفُهُ ورجاؤُه سواءً، وفي حالِ المَرضِ يَتَمحَّضُ الرَّجاءُ، وقواعِدُ الشَّرْعِ مِن نُصُوصِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ وَغَيْرِ ذلكَ مُتظاهِرةٌ على ذلك.

خفيفتين (**قيل هو ما عنَّ**) بتشديد النون (**لك منها أي ظهر إذا رفعت رأسك، وقيل هو السحاب وقراب الأرض بضم القاف وقيل بكسرها والضم أصح وأشهر، وهو ما يقارب ملأها**).

باب الجمع بين الخوف من الله تعالى والرجاء لفضله وإحسانه

(**اعلم أن المختار للعبد**) أي المكلف حرًا كان أو رقيقًا ذكرًا كان أو غيره (**في حال صحته**) أي سلامته من المرض (**أن يكون خائفًا راجيًا**) ليزجره الخوف عن المخالفة ويبعثه الرجاء على اكتساب العمل الصالح (**ويكون خوفه ورجاؤه سواء**) لأن الغالب في القرءان ذكر الترغيب والترهيب مقترنين (**وفي حال المرض يتمحض الرجاء**) لما تقدم في حديث «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله» (**وقواعد الشرع**) جمع قاعدة وهي قانون كلي يتعرف منه أحكام جزئياته، والشرع ما شرعه الله من الأحكام للعباد مما ينتظم به أمر معاشهم ومعادهم، وتسمى القاعدة قانونًا وضابطًا وأصلًا (**من نصوص الكتاب**) أي القرءان (**والسنة**) وهو ما أضيف إليه ﷺ من قول أو صفة أو فعل أو تقرير (**وغير ذلك**) كالإجماع (**متظاهرة على ذلك**) أي المذكور.

قال الله تعالى ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف]، **وقال تعالى** ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة يوسف]، **وقال تعالى** ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة ءال عمران]، **وقال تعالى** ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٦٧﴾﴾ [سورة الأعراف]، **وقال تعالى** ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الانفطار]، **وقال تعالى** ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾﴾ [سورة القارعة]، **والآيات في هذا**

(**قال تعالى** ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ﴾) قال البيضاوي: ومكر الله استعارة لاستدراج العبد وأخذه من حيث لا يحتسب (﴿إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾) أي الذين خسروا بالكفر وتركوا النظر والاعتبار.

(**وقال تعالى** ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ﴾) أي يقنط (﴿مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾) أي من رحمته التي يحيي به العباد (﴿إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾) بالله وصفاته فإن العارف لا يقنط من رحمته تعالى في شيء من الأحوال.

(**وقال تعالى** ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ﴾) وهو يوم القيامة تبيض وجوه المحقين سرورًا ونورًا (﴿وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ ﴿١٠٦﴾﴾) هي وجوه المبطلين تسودّ خزاية ودحورًا.

(**وقال تعالى** ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِۖ﴾) لمن عصاه (﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ ﴿١٦٧﴾﴾) لأهل طاعته (﴿رَّحِيمٞ ﴿١٦٧﴾﴾) بهم.

(**وقال تعالى** ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ﴾) المؤمنين الصادقين (﴿لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾﴾) جنة (﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ﴾) الكفار (﴿لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾﴾) نار محرقة. (**وقال تعالى** ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾﴾) بأن رجحت حسناته على سيئاته (﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾﴾) في الجنة أي ذات رضى يرضاها أي مرضية له (﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾﴾) بأن رجحت سيئاته على حسناته (﴿فَأُمُّهُۥ﴾) مسكنه (﴿هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾﴾) نسأل الله العافية (**والآيات في هذا**

المعنى كثيرة فَيَجْتَمِعُ الخَوفُ والرجاءُ في ءايَتَيْنِ مُقْتَرِنَتيْنِ أو ءايات أَو ءاية.

٤٤٢ - وعنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللّهُ عنه أَنَّ رسُولَ اللّهِ ﷺ قال: «لَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ ما عِنْدَ اللّهِ مِنَ العُقُوبَةِ ما طَمِعَ بجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكافِرُ مَا عِنْدَ اللّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جنَّتِهِ أَحَدٌ». رواه مسلم.

٤٤٣ - وعنْ أَبي سَعيدٍ الخُدرِيّ رضي اللّهُ عَنه أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «إِذا وُضِعتِ الجَنَازَةُ واحْتمَلَهَا الرّجالُ عَلى أَعنَاقِهِم، فَإِن كانَتْ صالِحَةً قالَتْ: قَدّمُوني قَدّمُوني، وَإِن كَانَتْ غَيرَ صالِحةٍ قالَتْ: يا ويْلَها

المعنى) أي الجمع بين الرجاء والخوف (كثيرة، فيجتمع الخوف والرجاء في ءايتين مقترنتين) كآية ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ (أو ءايات) وذلك كثير في التنزيل (أو ءاية).

٤٤٢ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد) وذلك لما يشهده من جلال الحق سبحانه ويخشاه من انتقامه وهو العدل في جميع ذلك (ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط) من القنوط بالضم وهو الإياس من رحمة الله ما يئس (من جنته أحد) بل كان يرجوها لما يعلمه من كثرة الرحمة وسعتها (رواه مسلم).

٤٤٣ - (وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: إذا وضعت الجنازة) أي بين يدي الرجال ليحملوها (واحتملها الرجال على أعناقهم) قيد إذ لا يتولى حمل الجنازة ولو امرأة إلا الرجال إن وجدوا لضعف النساء غالبًا فيكره لهن حملها (فإن كانت صالحة) والصلاح هو امتثال الأوامر واجتناب النواهي (قالت: قدموني قدموني) اشتياقًا إلى ما أعدّه الله لها من نعيم القبر ونضارته (وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها) وهي كلمة جزع وتحسر والمعنى يا حسرته

أَيْنَ تَذْهَبُونَ بها؟ يَسْمَعُ صَوتَها كُلُّ شيْءٍ إلا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ». رواهُ البخاري.

٤٤٤ - وعن ابنِ مَسْعُودٍ رضي اللّهُ عنه قالَ: قالَ رسُولُ اللّهِ ﷺ: «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلى أَحَدِكُم مِن شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذلك». رواه البخاري.

٥٤ - باب فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقًا إليه

وندامته هذا وقتك فاحضريني. والويل الهلاك (**أين تذهبون بها يسمع**) الظاهر أنه بمعنى يستمع (**صوتها كل شيء إلا الإنسان**) وحكمة استثنائه قوله (**ولو سمعه صعق**) قال الحافظ ابن حجر: «أي لغشي عليه من شدة ما يسمعه أي يصيح بصوت منكر لو سمعه الإنسان لغشي عليه» (**رواه البخاري**) في الجنائز.

٤٤٤ - (**وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله**) بكسر الشين أحد سيور النعل التي تكون في وجهها، ويطلق على كل سير وقى به القدم (**والنار مثل ذلك**) أي في الأقربية فينبغي للمرء أن لا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه ولا في قليل من الشر أن يجتنبه فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها ولا السيئة التي يسخط الله عليه بها وقال ابن الجوزي: معنى الحديث أن تحصيل الجنة سهل بتصحيح القصد وفعل الطاعة والنار كذلك بموافقة الهوى وفعل المعصية اهـ (**رواه البخاري**) ورواه أحمد أيضًا.

٥٤ - باب فضل البكاء من خشية الله تعالى

الخشية: الخوف المقرون بإجلال، وذلك للعلماء بالله كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [سورة فاطر] أماتنا الله على محبتهم (**وشوقًا إليه**) وأشار النووي بالترجمة إلى أن الداعي للبكاء إما أن يكون خشية لما علم العارف من عظم جلال مولاه، وإما شوقًا لما كشف له مما تقصر العبارة عن بيان أدناه، فضلًا عن أقصاه.

قال الله تعالى ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [سورة الإسراء]، **وقال تعالى** ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة النجم].

٤٤٥ - وعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّهُ عنه قالَ: قال لي النَّبيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عليَّ القُرءانَ» قلتُ: يا رسُولَ اللّهِ أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قالَ: «إِني أُحِبُّ أَنْ أَسمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، فقرَأْتُ عليه سورَةَ النّساءِ حتى جِئْتُ إِلى هذِهِ الآيةِ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [سورة النساء]، قال: «حَسْبُكَ

(**قال الله تعالى**) مبينًا حال من اطلع على الكتب السابقة وعرف حقيقة المصطفى وما أنزل عليه في تلك الكتب (﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾) أي لما أثر فيهم من مواعظ القرءان حال كونهم باكين من خشية الله تعالى، وذكر الذقن لأنه أول ما يلقى الأرض من وجه الساجد (﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾) أي سماع القرءان (﴿خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾) كما يزيدهم علمًا ويقينًا بالله تعالى (**وقال تعالى** ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ﴾) يعني القرءان (﴿تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾﴾) إنكارًا (﴿وَتَضْحَكُونَ﴾) استهزاء (﴿وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾﴾) تحزنًا على كشف ما فرطتم.

٤٤٥ - (وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اقرأ عليّ القرءان فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك؟) أي أأقرأ عليك (**وعليك**) أي لا على غيرك (**أنزل**) فهم ابن مسعود أنه أمر بالقراءة ليتلذذ بقراءته، لا ليختبر ضبطه فلذا سأل متعجبًا وإلا فلا مقام للتعجب (**قال: إني أحبّ أن أسمعه من غيري**) لكونه أبلغ في التفهيم والتدبير لأن القلب حينئذٍ يخلص لتعقل المعاني والقارئ مشغول بضبط الألفاظ وأدائها حقها ولأنه اعتاد سماعه من جبريل والعادة محبوبة بالطبع، ولهذا كان عرض القرءان على الغير سنة (**فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت**) أي وصلت (**إلى هذه الآية**) وعطف عليها عطف بيان قوله (﴿فَكَيْفَ﴾) أي فكيف حال الكفار (﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾) يشهد عليها بعملها وهو نبيها (﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾) أي الأشخاص المعينين من الكفرة (﴿شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾) (**قال حسبك**) أي

الآنَ» فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْناهُ تَذْرِفانِ». متفقٌ عليه.

٤٤٦ - وعنْ أَنَسٍ رضيَ اللّهُ عنه قال: خَطَبَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ خُطْبةً ما سَمِعْتُ مِثْلَها قَطُّ، فقالَ: «لَوْ تعْلمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كثيرًا» قال: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وُجُوهَهُمْ ولهُمْ خَنِينٌ. متفقٌ عليه، وَسَبقَ بيَانُهُ في بابِ الخَوْفِ.

٤٤٧ - وعنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللّهُ عنه قالَ: قَالَ رسُولُ اللّهِ ﷺ: «لا

يكفيك ذلك (**الآن فالتفت إليه**) أي لأنظر الداعي إلى الأمر بالكف عن القراءة بعد الأمر بها (**فإذا عيناه تذرفان**) بذال معجمة ساكنة وكسر الراء أي تسيل دموعهما. قال ابن النحوي: وبكاؤه عند هذه الآية لأنه لا بد من أداء الشهادة، والحكم على المشهود عليه إنما يكون بقول الشاهد، فلما كان ﷺ هو الشاهد وهو السامع بكى على المفرطين منهم. ويؤخذ من قوله «حسبك الآن» جواز أمر الغير بقطع القراءة للمصلحة (**متفق عليه**) أخرجه البخاري في التفسير، ومسلم في كتاب فضائل القرءان وأخرجه الترمذي والنسائي في التفسير.

٤٤٦ - (**وعن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة**) بضم الخاء المعجمة في الوعظ وجمعها خطب (**ما سمعت مثلها قط**) من كمال البلاغة ومزيد التذكير والتنبيه على ما يحتاج إليه (**فقال: لو تعلمون ما أعلم**) قال النووي: «أي لو علمتم ما علمت مما رأيته اليوم وقبل اليوم لأشفقتم إشفاقًا بليغًا» و(**لضحكتم قليلاً**) لما تشهدون من مظهر الرحمة المنبثة من فضله في الأكوان، ففيه إيماء إلى أن الكمال عدم غلبة الخوف بحيث يؤدي إلى الانقطاع عن الرجاء (**ولبكيتم كثيرًا قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين**) قال النووي: «معناه صوت البكاء وهو نوع من البكاء دون الانتحاب» (**متفق عليه وسبق بيانه**) مع شرحه (**في باب الخوف**).

٤٤٧ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا**

يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ في الضَّرعِ، وَلا يَجْتَمعُ غُبَارٌ في سَبِيلِ اللّهِ ودُخَانُ جَهَنَّمَ». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٤٤٨ - وعنه قالَ: قالَ رسُولُ اللّهِ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللّهُ في ظِلّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: إمامٌ عادِلٌ، وشابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللّهِ تَعالى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بالمَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا في اللّهِ اجتَمَعا عَلَيْهِ وتَفَرَّقا عَلَيْهِ، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمالٍ، فَقَالَ:

يلج النار رجل بكى من خشية الله) أي لخشية الله الداعية إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهي **(حتى يعود اللبن في الضرع)** أي يدخل من مسامه إليه أي وذلك محال عادة فتعلق ولوج الخائف الوجل من الله تعالى العارف بجلاله القائم بما تقتضيه الخشية من امتثال الأوامر واجتناب النواهي بعود اللبن إلى الضرع، أما من لم يقم بقضية الخشية مما ذكر ومات على غير الشرك من المعاصي فأمره إلى مولاه إن شاء أدخله الجنة مع الفائزين وعفا عنه ما جناه، وإن شاء حبسه بالنار قدر ما سبق في علمه ثم أدخله الجنة لإيمانه بمحض فضله **(ولا يجتمع غبار في سبيل الله)** المراد جهاد أعداء الدين لوجه الله تعالى **(ودخان جهنم)** ظاهره أن الجهاد في سبيل الله مقتض لسلامة المجاهد من العذاب بالوعد الذي لا يخلف فيحمل على ما إذا مات فيه أو بعده ولم يقترف موبقًا يصده عن ذلك **(رواه الترمذي)** في كتاب الجهاد **(وقال: حديث حسن صحيح)**.

٤٤٨ - (وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: سبعة يظلهم الله في ظله[1] يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال) بكسر الصاد **(فقال)** أي بقلبه لنفسه

---

(١) أي في ظل العرش ففي يوم القيامة لا ظل إلا ظل العرش.

إنّي أَخافُ اللّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخفاها حتَّى لا تَعْلَمَ شِمالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُه، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللّهَ خالِيًا فَفاضَتْ عَيْناهُ». متفقٌ عليه.

٤٤٩ - وعَنْ عبدِ اللّهِ بنِ الشِّخِّيْرِ رضيَ اللّهُ عنه قال: أَتَيْتُ رسُولَ اللّهِ ﷺ وهُوَ يُصلّي ولِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ مِنَ البُكَاءِ. حديث صحيح رواه أَبو داود والتّرمذي في الشَّمائلِ بإِسنادٍ صحيح.

٤٥٠ - وعن أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ لأُبَيّ ابنِ كَعْبٍ رضي اللّهُ عنه: «إِنَّ اللّهَ عَزَّ وجَلَّ أَمَرَني أَنْ

لينزجر عن العصيان، ويحتمل أن يكون بلسانه لينزجر طالبه منه ولا مانع أن يأتي بهما نظير (**إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**) خشية من الله تعالى (**متفق عليه**).

٤٤٩ - (وعن عبد الله بن الشخير) بشين وخاء معجمتين مكسورتين، والخاء مشددة وءاخره راء الصحابي هو عبد الله بن الشخير (**رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه**) أي صدره وداخله وجوف كل شيء داخله، والجوف البطن وما انطبقت عليه الكتفان والأضلاع (**أزيز**) بفتح الألف وكسر الزاي الأولى صوت البكاء أو غليانه في الجوف، وفيه أن الصوت الغير المشتمل على الحروف لا يضر في الصلاة (**كأزيز المرجل**) بكسر فسكون ففتح وهو قدر من نحاس أو حجر (**من البكاء**) أي من أجله، وذلك ناشئ عن عظيم الرهبة والخوف والإجلال لله سبحانه (**حديث صحيح**) فيه دليل على جواز تصحيح الحديث وتحسينه وتضعيفه لمن تمكن منه وفيه أهلية ذلك (**رواه أبو داود**) في كتاب الصلاة من سننه (**والترمذي في «الشمائل»**) في باب البكاء (**بإسناد صحيح**) والنسائي في الصلاة بنحوه.

٤٥٠ - (وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبيّ بن كعب) الأنصاري سيد القراء (**رضي الله عنه إن الله عز وجل أمرني أن**

أَقْرَأَ علَـيْكَ ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۝١﴾ [سورة البَيِّنَة]، **قَالَ: وَسَمَّـاني؟ قالَ: «نَعَمْ»، فَبَكى. متفقٌ عليه.**

وفي روايةٍ: «فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكي».

٤٥١ - وعنه قالَ: قال أَبو بَكْرٍ لعمرَ رضيَ اللّهُ عنهما بعدَ وفاةِ النبي ﷺ: انْطَلِقْ بِنا إلى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُها كما كَانَ رسُولُ اللّهِ ﷺ يزُورُها، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْها بَكَتْ، فقَالا لها: ما يُبْكِيكِ؟ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ ما عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ،

أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۝١﴾ أي السورة بكمالها **(قال)** أي أبيّ للنبي ﷺ **(وسماني)** الواو عاطفة على مقدر أي أمرك بذلك وسماني لك يؤخذ منه الاستثبات، ويوضح ذلك لفظ البخاري «هل نص عليّ باسمي أو قال اقرأ على واحد من أصحابك فاخترتني أنت» **(قال نعم)** أي سماك لي. **(فبكى)** إما فرحًا وسرورًا بذلك أو خشوعًا وخوفًا من التقصير في شكر تلك النعمة أو استحقارًا لنفسه وخشية وتعجبًا وهذا شأن الصالحين إذا فرحوا بشيء خلطوه بالخشية **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في فضائل أبيّ وفي التفسير، ومسلم في كتاب فضائل القرءان من كتاب الصلاة من صحيحه.

(وفي رواية) أي لمسلم في الكتاب المذكور من صحيحه **(فجعل أبيّ يبكي)** وهذه أبلغ من الأولى للإتيان بالجملة المضارعية الدالة على التجدد والحدوث.

٤٥١ - (وعنه) أي أنس **(قال: قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة النبي ﷺ)** أي وانتظام أمر الخلافة **(انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها)** جملة مستأنفة لبيان المقصود بالانطلاق إليها وقوله **(كما كان رسول الله ﷺ يزورها)** فيه إيماء إلى الاقتداء به ﷺ في كل أفعاله مما لم يقم الدليل على تخصيصه ﷺ به **(فلما انتهينا إليها بكت)** لتذكرها برؤيتهما النبيّ ﷺ لملازمتهما له وعدم مفارقتهما إياه في الغالب **(فقالا لها: ما يبكيك)** بضم التحتية **(أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ)** أي

قالَت: إني لا أَبْكِي أنّي لا أَعْلَمُ أَنَّ ما عِنْد اللّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ ولكِن أَبْكِي أَنَّ الوَحْي قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّماءِ، فَهَيَّجَتْهُما عَلى البُكاءِ، فَجَعَلا يَبْكِيانِ مَعَها. رواهُ مسلم، وقد سبق في باب زيارَةِ أَهل الخير.

٤٥٢ - وعنِ ابنِ عُمَرَ رضي اللّهُ عنهما قال: لـمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللّه ﷺ وَجَعُهُ قيلَ لَهُ في الصَّلاةِ، فقال: «مُرُوا أَبا بَكْرٍ فَلْيُصَلّ بالنَّاس» فقالتْ عائشةُ رضي اللّهُ عنها: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقيقٌ إِذا قَرَأَ غَلَبَهُ البُكاءُ، فقالَ: «مُرُوهُ فَلْيُصَلّ».

مما في الدنيا للتعميم وإيماء إلى أن ما عند الله لا يليق أن تقابل به الدنيا لفنائها وانقطاعها (**قالت: إني لا أبكي أني لا أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله** ﷺ) أي لا أبكي لعدم علم ذلك (**ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء فهيجتهما**) أي حملتهما (**على البكاء فجعلا يبكيان معها**) ففيه البكاء على فقد الأخيار، وأن ذلك لا يعارض لتسليم الأقدار (**رواه مسلم، وقد سبق**) مع شرحه (**في باب زيارة أهل الخير**).

٤٥٢ - (وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما اشتد) بالشين المعجمة أي قوي وعظم (**برسول الله** ﷺ **وجعه**) وذلك لتضاعف أجره وإعلاء أمره كما يدل عليه حديث «أشد الناس بلاء الأنبياء» الحديث (**قيل له في الصلاة**) أي من يقيمها للقوم ويؤم بهم فيها (**فقال مروا**) بضم الميم (**أبا بكر**) أي الصديق (**فليصل بالناس**) وأخذ منه أفضلية الصديق على باقي الصحابة الذين هم أفضل من جميع الأمة وأنه الخليفة من بعده، ولذا قال عمر رضي الله عنه: «رجل اختاره النبيّ ﷺ لديننا ألا نرضاه لدنيانا» (**فقالت عائشة رضي الله عنها**) لتصرف ذلك عن أبيها خوفًا من تطير الناس به إن مات ﷺ (**إن أبا بكر رجل رقيق**) أي رقيق قلبه (**إذا قرأ**) أي القرءان (**غلبه البكاء**) أي فلا يتمكن من إظهار القراءة المأمور بها الإمام، وليس مرادها أن ذلك يقع منه بسببه ظهور حرفين لأنه مبطل للصلاة إن لم يكن عن غلبة بحيث لا يمكن دفعه ولو كان كذلك لما أمر به ثانيًا بقوله (**قال مروه فليصل**).

وفي روايةٍ عن عائشةَ قالَتْ: قلتُ: إِنَّ أَبا بَكْرٍ إِذا قامَ مَقامَكَ لـمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ. متفقٌ عليه.

٤٥٣ - وعنْ إِبراهيمَ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ عوْفٍ أَنَّ عبدَ الرَّحمٰنِ ابنَ عَوْفٍ رَضيَ اللّهُ عنهُ أُتيَ بطَعامٍ وكانَ صائمًا فقالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ ابنُ عُمَيرٍ رضي اللّهُ عنه وهُوَ خَيْرٌ مِنّي، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ ما يُكَفَّنُ فيهِ إِلا بُرْدَةٌ إِنْ غُطّيَ بها رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاهُ، وإِنْ غُطّيَ رِجْلاهُ بَدَا رأْسُهُ،

(**وفي رواية**) أي لهما (**عن عائشة**) أي من سندها (**قالت**) أي للنبيّ ﷺ لما أمر أن يؤم الناس أبو بكر (**قلت: إن أبا بكر إذا قام مقامك**) أي إمامًا بالناس، والمقام بفتح الميم اسم مكان من القيام (**لم يسمع الناس من البكاء**) أي بسببه (**متفق عليه**) أخرجاه في كتاب الصلاة واللفظ للبخاري، ورواه النسائي في عشرة النساء من سننه.

٤٥٣ - (وعن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف) الزهري مات سنة خمس وقيل سنة ست وتسعين (**أن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه**) القرشي الزهري أحد العشرة أسلم قديمًا، ومناقبه شهيرة، مات سنة اثنتين وثلاثين، وقيل غير ذلك.

(**أتى**) بالفوقية مبني للمجهول خبر أن أي إنه جيء إليه (**بطعام وكان صائمًا**) جملة في محل الحال وأتى بها لبيان كماله أنه مع توافر الداعي لتناول الطعام تركه لما صرفه عنه مما يخاف منه أن يكون مؤخرًا له عن الدرجات العلا (**فقال قتل**) بالبناء للمجهول (**مصعب**) بضم الميم وسكون الصاد (**ابن عمير**) بضم العين المهملة وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم ومن السابقين إلى الإسلام، وكان قتله يوم أحد قتله عبد الله بن قتيبة وهو يظنه النبي ﷺ (**رضي الله عنه وهو خير مني**) هذا من تواضعه وكمال فضله وإلا فأفضل الصحابة العشرة الذين منهم ابن عوف (**فلم يوجد له ما يكفن فيه**) الفعلان مبنيان للمجهول (**إلا بردة**) بضم الموحدة وبالرفع بدل من ما، ويجوز نصبه على الاستثناء أي ستر (**إن غطي بها رأسه بدت رجلاه، وإن غطى رجلاه بدا رأسه**

ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيا ما بُسِطَ - أَوْ قالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنيا مَا أُعْطِينَا - قَد خَشِينَا أَن تَكُونَ حَسَنَاتُنا عُجّلَتْ لَنا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكي حَتَّى تَرَكَ الطَّعامَ. رواهُ البخاري.

٤٥٤ - وعنْ أَبي أُمامة صُدَيّ بنِ عَجْلانَ الباهليّ رضيَ الله عنه عنِ النَّبيّ ﷺ قال: «لَيسَ شيءٌ أَحَبَّ إِلى اللّهِ تعالى من قَطْرَتَينِ وأَثَرَيْنِ: قَطْرَةُ دُمُوعٍ من خَشيَةِ اللّهِ، وَقَطرَةِ دَمٍ تُهَرَاقُ في سَبِيلِ اللّهِ

ثم بسط لنا في الدنيا ما بسط) قال الحافظ ابن حجر: «يشير إلى ما فتح لهم من الفتوح والغنائم وحصل لهم من الأموال» **(أو)** شك من الراوي في أنه قال ما بسط أو **(قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا)** وقوله **(قد خشينا أن تكون حسناتنا)** أي أعمالنا الصالحة الحسنة **(عجلت لنا)** أي عجل لنا جزاؤها فلا نقدم على ثواب مدخر جملة مستأنفة استئنافًا بيانيًا وهذا منه من مزيد خوفه من الله تعالى وشدة خشيته له **(ثم جعل يبكي)** خوفًا من ذلك وأن يكون صفر اليدين من صالح الأعمال في المآل، وجعل هنا من أفعال الشروع، وقوله **(حتى ترك الطعام)** غاية لبكائه **(رواه البخاري)** في الجنائز وفي المغازي من «صحيحه».

٤٥٤ - (وعن أبي أمامة) بضم الهمزة **(صدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه)** صدي بضم المهملة **(عن النبيّ ﷺ قال: ليس شيء أحبّ)** بالنصب خبر ليس، أي ليس شيء أكثر محبوبية **(إلى الله تعالى)** أي ليس شيء أكثر ثوابًا عنده وأعظم مكانة من فضله **(من قطرتين)** بفتح القاف وهي كما في «المصباح» النقطة **(وأثرين)** بفتح الهمزة والثاء المثلثة هي ما بقي من الشيء دلالة عليه **(قطرة دموع)** أي قطراتها وأفردت لإضافتها إلى الجمع ثقة بذهن السامع **(من خشية الله)** أي ناشئة منها وهي تكون من المعرفة الناشئة من العلم والعمل به.

(وقطرة دم) قال العاقولي: إفراد الدم يدل على أن إهراقه أفضل من الدموع **(تهراق)** بضم الفوقية وقوله **(في سبيل الله)** أي في الجهاد للكفار

تَعَالى. وَأَمَّا الأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ في سَبِيلِ اللّهِ تعالى، وَأَثَرٌ في فَرِيضَةٍ من فَرَائِضِ اللَّهِ تعالى». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

وفي الباب أَحاديثُ كثيرةٌ منها: حديث العِرْباضِ بنِ سَارِيَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: وعَظَنَا رسُولُ اللّهِ ﷺ مَوْعِظَةً [وَجِلَتْ منها القُلُوبُ] وذَرَفت منْهَا العُيُونُ. وقد سبق في باب النهي عن البدع.

٥٥ - باب فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر

لإعلاء كلمة الله (**وأما الأثران فأثر في سبيل الله تعالى**) أي ما يبقى بعد الاندمال من ضربة سيف أو طعنة رمح (**وأثر في فريضة الله تعالى**) وذلك لبلل في أعضاء الوضوء وأثر السجود (**رواه الترمذي**) في كتاب الجهاد من «جامعه» (**وقال: حديث حسن**).

(**وفي الباب**) أي «باب البكاء من خشية الله» (**أحاديث كثيرة**) وصف توكيدي (**منها حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت**) أي دمعت (**منها العيون، وقد سبق في باب النهي عن البدع**) وتقدم ثمة شرحه.

٥٥ - باب فضل الزهد في الدنيا

الزهد في اللغة: ترك الميل إلى الشيء، وفي الاصطلاح هو بغض الدنيا والإعراض عنها. وقيل هو ترك راحة الدنيا طلبًا لراحة الآخرة (**والحثّ**) بالمثلثة المشددة، أي التحريض (**على التقلل منها**) عبر بباب التفعيل المؤذن بالتكلف لما أن ذلك خلاف داعي الطبع البشري قال تعالى ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ [سورة الأعلى] وقال تعالى ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الفجر] أي فيتكلف الاستقلال منها وإن كان ذلك خلاف طبعه ليسلم من تبعات ذلك (**وفضل الفقر**) أي غير المذموم، وهو الفقر مما زاد على الكفاية والحاجة.

قالَ اللّٰهُ تعالى ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة يُونُس]، **وقال تعالى** ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ

(**قال الله تعالى** ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾) أي صفتها العجيبة الشأن في سرعة نقصها وذهاب نعيمها بعد إقبالها واغترار الناس بها (﴿كَمَآءٍ﴾) أي كمطر (﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾) أي بسببه (﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾) واشتبك بعضه ببعض (﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾) من البر والشعير وغيرهما (﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾) من الكلأ (﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾) بهجتها من النبات (﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾) بالزهر وأصله تزينت أبدلت التاء زايًا وأدغمت (﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾) متمكنون من تحصيل ثمارها (﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾) عذابنا (﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا﴾) أي زرعها (﴿حَصِيدًا﴾) كالمحصود بالمناجل (﴿كَأَن﴾) مخففة أي كأنها (﴿لَّمْ تَغْنَ﴾) لم تكن (﴿بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ﴾) نبين (﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾) فإنهم المنتفعون بها. قال البيضاوي الممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجأةً وذهابه حطامًا بعد ما كان غضًا والتف وزين الأرض حتى طمع فيه أهله وظنوا أنه قد سلم من الجوائح.

(**وقال تعالى**) علوًا معنويًا أي تنزه عما لا يليق به (﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾) أي اذكر لقومك ما تشبه الحياة في زهرتها وسرعة زوالها أو صفتها الغريبة، وقوله (﴿كَمَآءٍ﴾) خبر محذوف أو هو كماء (﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾) فالتف بسببه وخالط بعضه بعضًا من كثرته وتكاثفه أو تجمع في النبات حتى روي ورف (﴿فَأَصْبَحَ﴾) أي صار النبات (﴿هَشِيمًا﴾) مهشومًا مكسورًا (﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ﴾) تفرقه والمشبه به كما في الذي قبله الحالة المتفرقة في الجملة وهي حال النبات المنبت

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الكهف]، **وقال تعالى** ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ

بالماء يكون أخضر براقًا ثم هشيمًا تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن (﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾) من الأشياء (﴿مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾) قادرًا (﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾) أي يتزين بها الإنسان في الدنيا وتفنى عنه عما قريب (﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾) هي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. زاد بعضهم: ولا حول ولا قوّة إلا بالله، كما ورد تفسيرها بذلك في الأخبار. وقال البيضاوي: هي أعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها أبد الآباد (﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ﴿٤٦﴾﴾) من المال والبنين عندية مكانة وشرف (﴿ثَوَابًا ﴿٤٦﴾﴾) عائدة (﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾) أي ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله تعالى لأن صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان يأمل بها في الدنيا.

(**وقال تعالى** ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ﴾) وقال البيضاوي: بيّن سبحانه وتعالى أن الدنيا أمور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال، لأنها لعب يتعب الناس فيه أنفسهم جدًا إتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون أنفسهم عما يهمهم منها، وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة، وتفاخر بالأنساب وتكاثر بالعدد والعدد، وهذا في الاشتغال بالدنيا. أما الطاعات وما يعين عليها فليست منها، ثم قرر حال الدنيا وشأنها بقوله (﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ﴾) وهو تمثيل للدنيا في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات أنبته الغيث فاستوى وأعجب منه الحراث أو الكافرون بالله لأنهم أشد إعجابًا بزينة الدنيا، ولأن المؤمن إذا رأى معجبًا انتقل فكره إلى قدرة صانعه فأعجب بها، والكافر لا يتخطى فكره عما أحس به

وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الحديد]، **وقال تعالى** ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [سورة ءال عمران]،

فيستغرق فيه إعجابًا، ثم هاج: أي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطامًا فتاتًا يضمحل بالرياح (﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾) أي لمن انهمك في الدنيا، تنفيرًا عن الانهماك في الدنيا وحثا على ما يوجب الكرامة في العقبى، ثم أكده بقوله (﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾) لمن لم ينهمك في الدنيا أي ليس في الآخرة الآتية القريبة إلا أحد هذين (﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾) أي لمن أقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها» وهذا الحديث ثابت في الصحيح.

(**وقال تعالى** ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾) أي ما تشتهيه النفس وتدعو إليه من لعب ولهو وزينة وتكاثر، زينها الله ابتلاء، أو الشيطان (﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾) أي الأموال الكثيرة (﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾) المجتمعة والقناطير جمع قنطار أو جمع قنطرة. (﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾) قال في لباب التفاسير: سمي الذهب ذهبًا لسرعة ذهابه في الإنفاق والزكاة، والفضة فضة لأنها تفرق بضرب الدراهم، وتفرق بالإنفاق، والفض التفريق اهـ (﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾) المعلمة من السومة وهي العلامة (﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾) جمع نعم بفتح أوليه وهي الإبل والبقر والغنم، سميت به لعظم الانتفاع بها (﴿وَٱلْحَرْثِ﴾) أي الزرع (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي ما ذكر (﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾) أي ما يتمتع به فيها وهو فان مضمحلّ لا يقابل ما ادخره في الآخرة وقد عم ذلك بقوله (﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾) أي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عند الله تعالى من اللذات الحقيقية الأبدية بالشهوات المخدجة الفانية.

وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾ [سورة فاطر]، **وقال تعالى** ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥﴾ [سورة التكاثر]، **وقال تعالى** ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝٦٤﴾ [سورة العنكبوت]. **والآيات في الباب كثيرة مشهورة.**

(**وقال تعالى** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾) لا خلف فيه. قال أبو حيان في «النهر»: شامل لجميع ما وعد به من ثواب وعقاب وغير ذلك (﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾) فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها (﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾) قال مالك عن زيد بن أرقم: هو الشيطان: أي بأن يمنيكم المغفرة مع الإصرار على المعصية، فإنها وإن أمكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادًا على دفع الطبيعة.

(**وقال تعالى** ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾) أي أشغلكم (﴿ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾) بالأموال والأقوال (﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾) إلى أن متم وقبرتم مضيعين أعماركم في طلب الدنيا عما هو أهم لكم وهو السعي لأخراكم، فزيارة المقابر عبارة عن الموت (﴿كَلَّا﴾) ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغي له أن لا يكون جميع همته ومعظم سعيه للدنيا فإن عاقبة ذلك وبال وحسرة (﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾) خطأ رأيكم إذا عاينتم ما وراءكم وهو إنذار ليخافوا وينتهوا عن غفلتهم (﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾) تكرير للتوكيد (﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥﴾) أي لو تعلمون ما بين أيديكم على الأمر اليقين (**وقال تعالى** ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾) قال في «النهر»: الإشارة بهذه ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها (﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾) أي كما يلهى ويلعب به الصبيان ويجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين (﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾) أي لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها، والحيوان مصدر حي سمي به ذو الحياة مبالغة (﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝٦٤﴾) لم يؤثروا عليها الدنيا (**والآيات في الباب كثيرة مشهورة**

وأَمَّا الأَحاديثُ فأَكثرُ مِنْ أَن تُحْصَرَ فَنُنَبّهُ بطَرَفٍ مِنها على ما سواه.

٤٥٥ - عنْ عمرِو بنِ عوفٍ الأَنْصاريّ رضيَ اللّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ بَعَثَ أَبا عُبيدةَ بنَ الجرَّاحِ رضي اللَّهُ عنه إِلى البَحْرَيْن يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا فَقَدمَ بِمالٍ منَ البحْرَينِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بقُدوم أَبي عُبَيْدةَ فَوافَوْا صَلاةَ الفَجْرِ مَعَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ رَءاهُمْ ثُمَّ قال: «أَظُنُّكُم سَمِعتُم أَنَّ أَبا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بشَيءٍ

وأما الأحاديث) في الباب **(فأكثر من أن تحصر)** لكمال كثرتها **(فننبه)** النون فيه للعظمة تحدثًا بنعمة الله تعالى عليه بالعلم والتأهيل له **(بطرف)** بفتح أوّليه أي بقطعة وجانب **(منها على ما سواه)**.

٤٥٥ - (عن عمرو) ويقال فيه عمير بالتصغير **(ابن عوف الأنصاري)** المعروف عند أهل المغازي أنه من المهاجرين، وهو موافق لقوله هنا: وهو حليف لبني عامر بن لؤي لأنه يشعر بكونه من أهل مكة **(رضي الله عنه)** شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ **(أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة)** قيل اسمه عامر بن عبد الله **(بن الجراح)** أحد العشرة المبشرة بالجنة **(رضي الله عنه)** وعنهم **(إلى البحرين)** أي البلدة المشهورة بالعراق وهي بين البصرة وهجر **(يأتي بجزيتها)** أي بجزية أهلها وكان غالب أهلها إذ ذاك مجوسًا **(فقدم بمال من البحرين)** كان قدر المال مائة ألف وأنه أوّل خراج حمل إلى النبيّ ﷺ **(فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة)** أي بالمال **(فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ)** قال الحافظ: يؤخذ منه أنهم كانوا لا يجتمعون الجميع في كل الصلوات إلا لأمر يطرأ وكانوا يصلون في مساجدهم إذ كان لكل قبيلة مسجد يجتمعون فيه **(فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف)** أي ذاهبًا إلى مقصده **(فتعرضوا له)** أي قصدوا له **(فتبسم رسول الله ﷺ حين رءاهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء**

مِنَ الْبَحْرَيْنِ» فقالوا: أَجَل يا رسولَ اللَّهِ، فقال: «أَبْشِرُوا وَأَمّلُوا ما يَسُرُّكُمْ، فواللَّهِ ما الفقْرَ أَخْشَى عَلَيكُمْ وَلكنّي أَخْشى أَن تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُم كما بُسِطَتْ عَلى مَن كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ». متفقٌ عليه.

٤٥٦ - وعنْ أَبي سعيدٍ الخُدريّ رَضيَ اللّهُ عنه قالَ: جَلَسَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عَلى المِنْبَرِ وَجلَسْنَا حَوْلَهُ فقال: «إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُم بَعْدِي مَا يُفْتَحُ

من **البحرين فقالوا: أجل**) هو في المعنى مثل نعم لكن نعم يحسن أن تقال جواب الاستفهام، وأجل أحسن من نعم في التصديق (**يا رسول الله**) وأتوا به تلذذًا بالخطاب (**فقال أبشروا**) أمر معناه الإخبار بحصول المقصود (**وأملوا**) بفتح الهمزة وتشديد الميم (**ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم**) وتقدم المفعول اهتمامًا بنفي خشية الفقر عليهم عكس الآباء مع أولادهم (**ولكني أخشى أن تبسط**) أي توسع (**الدنيا عليكم**) هو ما فتحه الله عليهم من الدنيا بعده حتى إن أحدهم لا يجد للمال موضعًا يحطه فيه (**كما بسطت على من كان قبلكم**) أي من الأمم (**فتنافسوها كما تنافسوها**) قال الحافظ ابن حجر: «المنافسة هي الرغبة في الشيء ومحبة الانفراد به والمغالبة عليه» (**فتهلككم**) أي في الدين (**كما أهلكتهم**) في ذلك وإسناد الإهلاك إليها مجاز عقلي من باب الإسناد إلى السبب إذ التنافس فيها سبب قد يجر لفساد الدين وهلاكه، وقال الحافظ: «قال ابن بطال: فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشرّ فتنتها» (**متفق عليه**) رواه البخاري واللفظ له في الجزية، ورواه مسلم في ءاخر «صحيحه» في باب تحريم الظلم السابق، ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه أيضًا.

٤٥٦ - (**وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر**) بكسر الميم (**وجلسنا حوله**) لسماع أقواله وتلقي مواعظه (**فقال إن مما أخاف عليكم بعدي**) أي بعد موتي (**ما يفتح**) بالبناء

عَلَيْكُم مِن زَهْرَةِ الدُّنيَا وَزِينتِهَا». متفقٌ عليه.

٤٥٧ - وعنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللّهَ تعالى مُسْتَخْلِفُكُم فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا واتَّقُوا النّساءَ». رواه مسلم.

٤٥٨ - وعنْ أَنَسٍ رضيَ الله عنه أَنَّ النبيَّ ﷺ، قال: «اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إِلا عَيْشُ الآخِرَةِ».

للمفعول (**عليكم من زهرة الدنيا**) أي زينتها وبهجتها فلا يطمئن إلى زخرفها ولا يتأنس بها قلت: وعليه فعطف قوله (**وزينتها**) على الزهرة من عطف الخاص على العام وخشيته ﷺ من ذلك لئلا يتعلق حبه بالقلب ويأخذ بهجته بالبصر فيوقع في الأسباب المؤدية إلى فساد الدين مما تقدم في الحديث قبله (**متفق عليه**) رواه البخاري في الصلاة وفي الجهاد وفي الزكاة وغيرها، ومسلم والنسائي في الجهاد.

٤٥٧ - (**وعنه**) أي أبي سعيد الخدري (**أن رسول الله ﷺ قال: إن الدنيا حلوة خَضِرة**) بفتح المعجمة الأولى وكسر الثانية، أي جامعة بين الوصفين المحبوبين للبصر والذوق فهي كالفاكهة التي راق منظرها وحلا مذاقها (**وإن الله مستخلفكم فيها**) بكسر اللام أي بمنزلة الخلفاء عنه في التصرف فيها أي فلا تتصرفوا بما لم يأذن لكم به (**فينظر كيف تعملون**) فيجازيكم على ما يبدو منكم من حسن وضده في عالم الشهادة الذي ظهر كما سبق في علم الغيب الأزلي (**فاتقوا الدنيا**) قال النووي: «معناه تجنبوا الافتتان بها وبالنساء» (**واتقوا النساء**) أي احذروهن أن يحملكم الافتتان بهن على ترك ما طلب منكم من التكاليف أو أن يخدعنكم بكيدهن فتقعوا في شيء من أغراضهن الممنوع منها شرعًا (**رواه مسلم**) في ءاخر الدعوات، ورواه النسائي أيضًا في عشرة النساء.

٤٥٨ - (**وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:**) في أشد أحواله لما رأى تعب أصحابه لحفر الخندق (**اللهم**) أي يا الله (**لا عيش**) الحياة الدائمة (**إلا عيش الآخرة**) فلا يحزن الإنسان لما يصيبه في هذه الدار

متفقٌ عليه.

٤٥٩ - وعنهُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «يَتْبَعُ المَيّتَ ثَلاثٌ: أَهْلُهُ وَمالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ». متفقٌ عليه.

٤٦٠ - وعنه قال: قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ في النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ:

فإنه منقض وأجره باق دائم، وقاله في أسرّ الأحوال أيضًا لما رأى كثرة المؤمنين في يوم عرفة في حجة الوداع لبيك إن العيش عيش الآخرة أي شأن العاقل أن لا يفرح بما يسرّه من الدنيا لانقضائها وأن يكون اهتمامه بما يفرح به في ءاخرته لأن حياتها الدائمة الأبدية (**متفق عليه**).

٤٥٩ - (**وعنه**) أي عن أنس (**عن رسول الله ﷺ قال: يتبع الميت**) من منزله إلى مدفنه قال الحافظ ابن حجر: «هذا يقع في الغالب وربّ ميت لا يتبعه إلا عمله فقط» (**ثلاث**) من الأشياء وحذف التاء منه لحذف المعدود (**أهله وماله**) أي الذي كان ماله قبل موته أي بعضه كعبيده وما يصحب مع أهله للنفقة على مؤن دفنه (**وعمله**) أي جميع ما عمله في الدنيا (**فيرجع اثنان ويبقى واحد**) ذكره مجملًا ثم مفصلًا ليكون أوقع في النفس وأقر فيها فقال (**يرجع أهله**) بعد دفنه (**وماله**) كذلك (**ويبقى عمله**) معه مرتهنًا هو به. قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة المدثر] اللهم وفقنا لمرضاتك بمنك وكرمك (**متفق عليه**) أخرجه البخاري في الرقاق، ومسلم في الزهد.

٤٦٠ - (**وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى**) بالبناء للمفعول (**بأنعم أهل الدنيا**) أي بأكثرهم نعمة فيها من لذات الدنيا وزهراتها (**من أهل النار يوم القيامة**) أي بعد فصل القضاء والحكم بين العباد (**فيصبغ في النار صبغة**) قال الحافظ ابن حجر: «أي يُغمس غمسة» ولعل التنوين فيه للتقليل (**ثم**) لعل الإتيان بها إيماء إلى أنه يهان بإهماله كذلك مدة (**يقال**)

يا ابْنَ ءادَمَ هَلْ رَأَيْتَ خيرًا قَطُّ؟ هَلْ مرَّ بِكَ نَعيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا واللّهِ يا رَبِّ، وَيُؤْتَى بأَشَدّ النَّاسِ بُؤْسًا في الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يا ابْنَ ءادَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيقولُ: لا وَاللّهِ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ». رواه مسلم.

٤٦١ - وعن المُسْتَوْرِدِ بنِ شدَّادٍ رَضِيَ الله عنه قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: ما الدُّنْيَا في الآخِرَةِ

له بعدها تبكيتًا (**هل مر بك نعيم قط**) ظرف للزمان الماضي (**فيقول**) عقب السؤال بلا تراخ كما تؤذن به الفاء (**لا والله**) وكأن ذلك منه لغلبة العذاب عليه حتى يذهل عما مضى له في الدنيا من النعيم فيقول ذلك، وإلا فالآخرة لا يقع فيها الكذب من أحد وقوله (**يا رب**) أتى به للتعطف والترحم (**ويؤتى بأشد الناس بؤسًا**) بالهمز أي شدة (**في الدنيا**) يحتمل أن يكون ظرفًا مستقرًا صفة لبؤس وقوله (**من أهل الجنة**) وهو المؤمن ولو عاصيًا (**فيصبغ**) أي يغمس (**صبغة في الجنة**) وسمى ما ذكر صبغة لظهور أثره عليهم ظهور أثر المصبوغ (**فيقال له**) أي عقب إذاقته لأول ما يلقاه من النعيم الذي هو جزء يسير مما أعد له من النعيم كما تؤذن الفاء، والمبادرة بذلك للتشريف (**يا ابن ءادم هل رأيت**) أي وجدت (**بؤسًا**) أي شدة (**قط هل مرّ بك شدة قط فيقول لا والله ما مر بي بؤس**) أي شدة (**قط ولا رأيت شدة قط**) لأن المقام للإطناب شكرًا لما أبيح من تلك المنة التي يقصر عن بيان أدناها البيان (**رواه مسلم**) في التوبة من صحيحه.

٤٦١ - (**وعن المستورد**) هو بضم الميم وسكون السين المهملة وفتح الفوقية وكسر الراء ءاخره دال مهملة (**ابن شداد**) بفتح المعجمة وتشديد المهملة الأولى، القرشي الفهري (**رضي الله عنه**) وأمه دعد بنت جابر قال ابن الجوزي روي له عن النبيّ ﷺ سبعة أحاديث (**قال: قال رسول الله ﷺ: ما الدنيا**) أي ما مثلها أو نعيمها أو زمانها (**في الآخرة**) أي في

إلا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحدُكُمْ إِصْبَعَهُ في الْيَمّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ». رواه مسلم.

٤٦٢ - وعن جابرٍ رضيَ اللّهُ عنهُ أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ مَرَّ بِالسوقِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَيْهِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قال: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هذَا لَهُ بِدِرْهم؟» فَقالوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قال: «تُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟

جانبها أو بالنظر إليها (**إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه**) قال في «المصباح»: فيه عشر لغات.

(**في اليم**) بفتح التحتية وتشديد الميم البحر (**فلينظر**) أي أحدكم (**بم**) أصله بما حذفت الألف أي بأي شيء (**يرجع**) أي بما يرجع أحدكم أصبعه يعني نسبة ما ذكر من نعيم الدنيا وزمانها إلى نعيم الآخرة ليس إلا مثل نسبة الماء اللاصق بأصبع أحدكم إذا غمسها في اليم أي البحر (**رواه مسلم**) في صفة الدنيا والآخرة من «صحيحه».

٤٦٢ - (وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرّ بالسوق) داخلًا من بعض طرق العالية سميت بذلك لسوق الناس بضائعهم إليها أو لأنهم يقومون فيها على سوقهم أو لتصاكك السوق فيها من الازدحام (**والناس كنفتيه**) قال الحافظ ابن حجر: «وفي بعض النسخ كنفيه معنى الأول جانبيه والثاني جانبه» (**فمر بجدي**) هو الذكر من أولاد المعز والأنثى عناق (**أسك**) أي صغير الأذن من السك بفتحتين وهو صغيرها (**ميت فتناوله**) فيه دليل على أن لمس النجس إذا لم تكن رطوبة من أحد الجانبين لا ينجس (**فأخذ بأذنه**) بضمتين (**ثم قال أيكم يحب أن هذا له بدرهم**) قال العاقولي: هو استفهام إرشاد وتنبيه ليلقوا السمع لما يوجهه إليهم من الخطاب الخطير في ضمن التمثيل بهذا المعنى الحقير (**فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء**) أي من الأشياء التي هي أقل من الدرهم فضلًا عنه (**وما نصنع به**) وهو نجس لموته قد انقطعت الأطماع بذلك عن الانتفاع به (**قال**) تأكيدًا للمقام (**تحبون**) أي أتحبون (**أنه لكم**) أي من

قَالُوا: وَاللّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا أَنَّهُ أَسَكُّ فكَيْفَ وَهو مَيّتٌ، فقال: «فَواللّهِ لَلدُّنْيَا أَهْونُ عَلى اللّهِ مِنْ هذا عَلَيْكُمْ». رواه مسلم.

قوله: «كَنَفَتَيْهِ» أي: عن جانبيه. و«الأسكّ»: الصغير الأُذُن.

٤٦٣ - وعن أَبي ذَرّ رَضِيَ اللّه عنه قال: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبيّ ﷺ في حَرَّةٍ بالمدينةِ فَاسْتَقْبلَنَا أُحُدٌ فقال: «يا أَبَا ذَرّ». قلتُ: لَبَّيْكَ يا رسولَ اللَّهِ. فقال: «مَا يَسُرُّني أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هذا ذَهبًا

غير شيء (**قالوا: والله لو كان حيًا كان عيبًا**) أي معيبًا أو ذا عيب ويجوز إبقاؤه على ظاهره من غير تأويل ولا تقدير ويكون في الجملة مبالغة أنه لكمال قيام العيب به ولصوقه صار كأنه عيب قوله (**أنه أسك**) تفسير لعيب (**فكيف وهو ميت**) لا ينتفع به (**فقال والله للدنيا**) بفتح اللام صدّر بها جملة جواب القسم المركبة من مبتدإ وهو الدنيا وخبر وهو قوله (**أهون على الله من هذا عليكم**) وأهون أفعل من الهون بضم الهاء وسكون الواو قال في «المصباح» هان يهون هونًا بالضم وهوانًا ذل وحقر (**رواه مسلم**) في الزهد من «صحيحه» (**قوله كنفتيه: أي عن جانبيه**) تقدم في «المصباح»: الكنف الجانب وكان التأنيث باعتبار معنى الجهة (**والأسك الصغير الأذن**).

٤٦٣ - (**وعن أبي ذر**) جندب بن جنادة (**رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي** ﷺ) فيه كمال تواضعه ﷺ مع أصحابه وعدم ترفعه على أحد منهم (**في حرة**) بفتح الحاء المهملة وتشديد الراء هي أرض ذات حجارة سود والجمع حرار بكسر أوله (**بالمدينة**) علم بالغلبة على دار هجرته ﷺ (**فاستقبلنا أحد**) بضمتين الجبل المعروف بالمدينة (**فقال يا أبا ذر**) فيه تكنية العالم تلميذه وتابعه تأنيسًا وتكريمًا، وهو من كمال فضله وحسن خلقه ﷺ (**قلت لبيك يا رسول الله**) فيه الجواب زيادة في الأدب (**قال: ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا**) والإتيان به للتعظيم كقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ۝٢﴾ [سورة البقرة] وقوله (**ذهبًا**) تمييز لمثل، وجاء في

تمْضِي علَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدي مِنْهُ دِينَارٌ إِلا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ إِلا أَنْ أَقُولَ بِهِ في عِبَاد الله هكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» عن يَمِينِهِ وعن شماله ومن خلفه، ثم سار فقال: «إِنَّ الأَكثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَومَ القيامةِ إِلا مَن قَالَ هكذا وهكذا وهكذا» عن يمينهِ وعن شمالِه ومِنْ خَلفه «وَقَليلٌ مَا هُم».

رواية البخاري في باب الاستئذان من صحيحه «فلما أبصر أحدًا قال: ما أحب أن يحول لي ذهبًا» **(تمضي عليَّ ثالثة)** أي ليلة ثالثة وإنما قيد بالثلاث لأنه لا يتهيأ تفريق قدر أحد من الذهب في أقل منها غالبًا **(وعندي منه دينار)** جملة حالية **(إلا شيء)** ووقع في رواية غير أبي ذر «وعندي منه دينار أو نصف دينار» **(أرصده لدين)** أي أعده وأحفظه وهذا الإرصاد أعم من أن يكون لصاحب دين غائب حتى يحضر أو لأجل وفاء دين مؤجل حتى يحل فيوفى **(إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه)** هو استثناء بعد استثناء فيفيد الإثبات فيؤخذ منه أن نفي محبة المال مقيدة بعدم الإنفاق فيلزم محبة وجوده مع الإنفاق فما دام الإنفاق في سبيل الله موجودًا لا يكره وجود المال، وإذا انتفى الإنفاق ثبتت كراهية وجود المال ولا يلزم من ذلك كراهية حصول شيء ءاخر ولو قدر أحد، أو أكبر مع استمرار الإنفاق **(ثم سار فقال إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة)** قال الحافظ ابن حجر: «والمراد الإكثار من المال والإقلال من ثواب الآخرة، وهذا في حق من كان مكثرًا ولم يتصف بما دل عليه الاستثناء بعده من الإنفاق» بقوله **(إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه)** في رواية عند أحمد «إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا فحثى عن يمينه ومن بين يديه وعن يساره» فاشتملت الروايتان على الجهات الأربع وإن كان كل اقتصر على ثلاث منها وقد جمعها عبد العزيز بن رفيع في روايته ولفظه «إلا من أعطاه الله خيرًا» أي مالا فنفح بنون وفاء ومهملة أي أعطى كثيرًا بلا تكلف يمينًا وشمالا وبين يديه ووراءه **(وقليل ما هم)** ما صلة مزيدة لتأكيد القلة، والتقدير وهم قليل ففيه التحريض

ثم قال لي: «مَكَانَكَ لا تَبْرَحْ حَتَّى ءاتيَكَ». ثم انْطَلَقَ في سَوَادِ اللَّيْلِ حتى تَوَارَى، فسمِعْتُ صَوْتًا قَدِ ارْتَفَعَ، فَتَخَوَّفْتُ أَن يَكُونَ أَحَدٌ عَرَضَ للنَّبيّ ﷺ فَأَرَدْتُ أَنْ ءاتِيَهُ فَذَكَرْتُ قوله: «لا تَبْرَحْ حَتَّى ءاتيَكَ» فلم أَبْرَحْ حَتَّى أَتَاني، فَقُلْتُ: لقد سَمِعْتُ صَوتًا تَخَوَّفْتُ منه، فَذَكَرْتُ له، فقال: «وَهَلْ سَمِعْتَهُ؟» قلتُ: نَعَم، قال: «ذَاكَ جِبريلُ أَتاني فقال: مَن مات مِنْ أُمتِكَ لا يُشرِكُ باللّهِ شَيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ»

على الإنفاق لأصحاب الأموال ليندرج في القليل الذي هو الجليل والله الموفق (**ثم قال لي مكانك**) بالنصب أي الزمه وقوله (**لا تبرح**) تأكيد له (**حتى ءاتيك**) غاية للزوم المكان المذكور (**ثم انطلق في سواد الليل حتى توارى**) فيه إشعار بأن القمر كان قد غاب حتى توارى أي غاب شخصه (**فسمعت صوتًا قد ارتفع**) في رواية لغطًا وهو اختلاط الأصوات (**فتخوفت أن يكون**) أي من أن يكون (**أحد عرض**) أي تعرض بسوء (**للنبي ﷺ فأردت أن ءاتيه**) أي أتوجه إليه (**فذكرت قوله لا تبرح حتى ءاتيك فلم أبرح حتى أتاني**) في رواية «فانتظرته حتى جاء»، وفي الحديث الوقوف عند أمره ﷺ ولزوم طاعته قال الحافظ ابن حجر: «وفيه جواز امتثال أمر الكبير والوقوف عنده أولى من ارتكاب ما يخالفه بالرأي ولو كان فيما يقتضيه الرأي توهم دفع مفسدة حتى يتحقق ذلك فيكون دفع المفسدة أولى» اهـ (**فقلت**) جاء في رواية للبخاري زيادة يا رسول الله (**لقد سمعت صوتًا تخوفت منه**) اللام هي المؤذنة بالقسم المقدر الداعي إليه تأكيد مقام الإخبار (**فذكرت له**) المفعول محذوف أي ما سمعت (**فقال: وهل سمعته**) أي وهل سمعت صوتًا؟ وظاهر أن الاستفهام للتثبت والتقرير لتقدم إخباره بالسماع فجوز أن يكون التبس عليه صوت نحو ريح حينئذٍ بصوت متكلم فقال ذلك لذلك (**قلت نعم**) أي من غير تردد (**قال ذاك**) أي الذي كنت أخاطبه (**جبريل**) أو ذلك الصوت الذي سمعته صوت جبريل (**أتاني فقال: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا**) أي من الشرك الجلي (**دخل الجنة**) المراد إما ابتداء أو بعد المجازاة

قلتُ: وَإِن زَنَى وَإِن سَرَقَ؟ قال: «وَإِن زَنَى وَإِن سَرَقَ». متفقٌ عليه، وهذا لفظ البخاري.

٤٦٤ - وعنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه عن رسولِ اللّهِ ﷺ قال: «لو كان لي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا لَسَرَّني أَلاَّ تَمُرَّ عليَّ ثَلاثُ لَيالٍ وَعِنْدِي منه شَيءٌ إلا شيءٌ أُرْصِدُه لِدَينٍ». متفقٌ عليه.

على المعصية (**قلت وإن زنى وإن سرق**) حرف الاستفهام مقدر أول هذا الكلام ولا بد من تقديره (**قال: وإن زنى وإن سرق**) أي يدخلها وإن زنى وإن سرق، إن وصلية والواو الداخلة عليها قيل عاطفة على مقدر، واقتصر على ذكر هذين لأن أحدهما متعلق بحق الله سبحانه والآخر بحق العباد فكأنه يقول إن من مات على التوحيد دخلها وإن تلبس بمعصية متعلقة بحق الله تعالى أو بحق عباده (**متفق عليه، وهذا لفظ البخاري**) في الرقاق من «صحيحه».

٤٦٤ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: لو كان لي**) أي وجد فهي تامة فاعلها (**مثل أحد**) والظرف حال منه (**ذهبًا**) تمييز مثل (**لسرني ألا تمر عليّ ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيء**) بالرفع مستثنى من شيء ورفع لكونه مستثنى من كلام منزل منزلة المنفي، وهو أنه في حيز جواب لو إذ هو في تقدير النفي (**أرصده**) في محل الصفة للمستثنى أي أعده (**لدين**) أي لأدائه عند مجيء الدائن، أو عند حلول أجل الدين كما تقدمت الإشارة لذلك. وفي الحديث الحث على الإنفاق في وجوه الخير والحض على ذلك في الحياة وفي الصحة وترجيحه على إنفاقه عند الموت وأنه ﷺ كان في أعلى درجات الزهد في الدنيا بحيث إنه لا يحب أن يبقى بيده شيء منها وفيه تقديم وفاء الدين على صدقة التطوع وفيه الحث على وفاء الدين وأداء الأمانة وجواز استعمال لو عند تمني الخير، وتخصيص الحديث الوارد بالنهي عن استعمال ما يكون في أمر غير محمود شرعًا وفيه غير ذلك (**متفق عليه**) أخرجه البخاري.

٤٦٥ - وعنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «انْظُرُوا إِلى مَنْ هُوَ أَسفَلَ مِنْكُمْ وَلا تَنْظُرُوا إِلى مَنْ هُوَ فَوقَكُم فهُوَ أَجْدرُ أَن لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ». متفقٌ عليه، وهذا لفظ مسلم.

وفي روايةِ البخاري: «إِذا نَظَر أَحَدُكُمْ إِلى مَن فُضّلَ عليهِ في المالِ وَالخَلْقِ

---

٤٦٥ - **(وعنه)** أي أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: انظروا إلى من)** الأقرب أنه موصول **(هو أسفل منكم)** بالنصب على أنه ظرف مستقر صلة للموصول أو صفة له، والمراد أسفل في أمور الدنيا أما في أمور الدين فينظر الإنسان لمن هو أعلى منه فيها جدًّا أو استقامة ليدأب كذلك **(ولا تنظروا إلى من)** أي الذي **(هو فوقكم)** أي في ذلك على سبيل استعظام ما ناله واستكثاره **(فهو)** أي قصر النظر عمن فوقه أو هو مع ما قبله **(أجدر)** أي أحق **(أن لا تزدروا)** أي بأن لا تحقروا وتستصغروا **(نعمة الله عليكم)** قال ابن جرير وغيره: هذا الحديث جامع لأنواع الخير، وذلك لأن الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا طلبت نفسه من ذلك واستصغر ما عنده من نعمة الله وحرص على الازدياد ليلحق من فضل عليه فيها أو يقاربه، هذا هو الموجود في غالب الناس قال بعض السلف: صاحبت الأغنياء فكنت لا أزال في حزن أرى دارًا واسعة ودابة فارهة ولا عندي شيء من ذلك فصحبت الفقراء فاسترحت، وأما إذا نظر في الدنيا إلى من هو دونه ظهر له نعمة الله عليه فشكرها وتواضع وفعل ما فيه الخير وكذا إذا نظر إلى من هو فوقه في الدين ظهر له تقصيره فيما أتى به فحمله ذلك على الخضوع لمولاه **(متفق عليه)** أي في الجملة، وإلا فالحديث المذكور رواه مسلم في الزهد من «صحيحه» **(وهذا لفظ مسلم)**.

(وفي رواية البخاري إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه) بضم الفاء وبالمعجمة مبني للمجهول **(في المال والخلق)** بفتح الخاء المعجمة أي الصورة المدركة بحاسة البصر. قال الحافظ ابن حجر: «ويحتمل أن

فَلْيَنْظُرْ إِلى مَنْ هوَ أَسْفَلَ مِنْهُ».

٤٦٦ - وعنه رَضيَ اللهُ عنه عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «تَعِسَ عبْدُ الدّينَارِ وَالدّرْهَمِ وَالقطيفَةِ وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رضي وَإِن لَمْ يُعطَ لَمْ يَرْضَ». رواه البخاري.

٤٦٧ - وعنه قال: «لقَدْ رَأَيْتُ سبعِين منْ أَهْلِ الصُّفَّةِ ما منْهُم رَجُلٌ عليه رِداءٌ،

يدخل في ذلك الأولاد والأتباع وكل ما يتعلق بزينة الحياة الدنيا» (**فلينظر إلى من هو أسفل منه**) أي في ذلك، في هذا الحديث دواء كل داء لأن الشخص إذا نظر إلى من هو فوقه لم يأمن من أن يؤثر فيه الحسد، ودواؤه أن ينظر إلى من هو أسفل منه ليكون ذلك باعثًا له على الشكر.

٤٦٦ - (**وعنه**) أي عن أبي هريرة (**رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال**: **تعس**) بكسر العين المهملة، ويجوز الفتح أي خر لوجهه، والمراد هنا هلك (**عبد الدينار والدرهم والقطيفة**) بالقاف والطاء المهملة هي الثوب الذي له خمل (**والخميصة**) كساء مربع أي عبد كل مما ذكر وقد جاء التصريح بالمضاف مع كل في رواية للبخاري بلفظ «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة» أي طالب ما ذكر الحريص على جمعه القائم على حفظه فكأنه لذلك خادمه وعبده، خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا كالأسير الذي لا يجد مخلصًا، ولم يقل مالك ولا جامع الدنيا لأن المذموم من الملك والجمع الزيادة على الحاجة (**إن أعطي**) بالبناء للمفعول مما ذكر (**رضي وإن لم يعط لم يرض**) هذان الشرطان وجوابهما مسوقان لبيان سبب شدة حرصه على ذلك (**رواه البخاري**) في الرقاق من «صحيحه».

٤٦٧ - (**وعنه: قال لقد رأيت**) أي أبصرت (**سبعين من أهل الصفة**) يشعر بأنهم كانوا أكثر من سبعين، وهؤلاء الذين رءاهم غير السبعين الذين استشهدوا ببئر معونة، وكانوا من أهل الصفة أيضًا لكونهم استشهدوا قبل إسلامه (**ما منهم رجل عليه رداء**) ما يستر أعالي البدن

إِمَّا إِزَارٌ وإِمَّا كِسَاءٌ قَدْ ربطُوا في أَعْنَاقِهِمْ، فَمنْهَا مَا يبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْن ومنْهَا ما يبلغُ الكَعْبينِ، فَيَجْمَعُهُ بيدِه كراهِيَةَ أَن تُرَى عوْرَتُه». رواه البخاري.

٤٦٨ - وعنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الدُّنْيا سِجْنُ المؤْمِنِ وجنَّةُ الكَافِرِ». رواه مسلم.

٤٦٩ - وعن ابنِ عُمَرَ رضِي الله عنهما قال: أَخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبَيَّ

فقط وقوله (**إما إزار وإما كساء**) أي إما إزار وهو ما يستر أسافل البدن فقط. وإما كساء وهو بالمد معروف وقوله (**قد ربطوا في أعناقهم**) جملة في محل الصفة لكساء (**فمنها**) أي الأكسية المدلول عليها بقوله: وإما كساء (**ما يبلغ نصف الساقين**) لقصره (**ومنها ما يبلغ الكعبين**) لطوله، والكعب العظم الناتئ عند مفصل الساق والقدم سمي به لنتوئه (**فيجمعه**) أي ما ذكر من الكساء بقسميه (**بيده**) ليستر العورة (**كراهية**) مفعول له (**أن ترى**) بالواو أي تظهر وفي نسخة «تبدو» (**عورته**) من صغر الكساء وقصره واقتصارهم على ذلك زهدًا في زهرات الدنيا وإقبالًا على العبادة وعمارة الدار الآخرة (**رواه البخاري**) في المساجد من «صحيحه». قال أبو نعيم: الظاهر من أحوالهم والشاهد من أخبارهم غلبة الفقر عليهم وإيثار القلة واختيارهم لها فلم يجتمع لهم ثوبان ولا حضرهم من الطعام لونان اهـ.

٤٦٨ - (**وعنه**) أي أبي هريرة (**قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن**) أي بالنسبة لما أعد له من النعيم (**وجنة الكافر**) أي بالنسبة لما أعد له من العذاب، أو يقال المؤمن ممنوع من شهواتها المحرمة فكأنه في السجن، والكافر عكسه فهي كالجنة له.

وفي الحديث تحريض للمؤمن على الإعراض عنها وعدم النظر لها نظر محبة لأن ذلك شأن السجن (**رواه مسلم**) في أواخر صحيحه.

٤٦٩ - (**وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبيّ**)

فقال: «كُن في الدُّنْيا كأَنَّكَ غريبٌ أَوْ عَابِرُ سبيلٍ». وَكَانَ ابنُ عُمَرَ رضي اللَّهُ عنهما يقول: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّباحَ وإِذَا أَصبحتَ فَلا تَنْتَظِرِ المَساءَ، وخُذ من صِحَّتِك لمرضِكَ ومِن حياتِك لِموتِكَ. رواه البخاري.

قالوا في شرحِ هذا الحديث معناه: لا تَركَن

بتشديد التحتية والمنكب بوزن مسجد مجتمع رأس العضد والكتف لأنه يعتمد عليه وأخذه ﷺ بمنكبيه ليقبل بقلبه على ما يلقيه إليه **(فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)** زاد الترمذي «وعد نفسك من أهل القبور» **(وكان ابن عمر رضي الله عنهما)** راوي الخبر **(يقول)** أي عقب روايته له **(إذا أمسيت)** أي دخلت في المساء وهو لغة من الزوال إلى نصف الليل **(فلا تنتظر)** أي بأعمال المساء **(الصباح وإذا أصبحت)** أي دخلت في الصباح فالفعلان تامان، والصباح من نصف الليل إلى الزوال كما ذكره السيوطي **(فلا تنتظر)** أي بأعمال النهار **(المساء)** وذلك أن لكل منهما عملًا يخصه فإذا أخر عنه فات ولم يستدرك كماله وإن شرع قضاؤه فطلبت المبادرة بعمل كل وقت في وقته، أو المراد إذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالبقاء إلى الصباح وكذا عكسه بل انتظر الموت كل وقت واجعله نصب عينيك **(وخذ من صحتك)** أي أعمالًا صالحة تستعين في تحصيلها بها مبتدأة منها منتهية أو مدخرة **(لمرضك)** أي لمدته التي تشتغل عنها في المرض أي فلا تغفل عنها في زمن تمكنت فيه منها، وهو زمن الصحة لئلا تغبن في صفقتك **(و)** خذ **(من حياتك لموتك)** أي من زمن صحتك مدة حياتك فيكون تأكيدًا لما قبله واهتمامًا به وزيادة تحريض عليه، وبالجملة فرأس مال المؤمن صحته وحياته وأيام حياته زمن تجارته فلا ينبغي له أن يفرط فيها مع التمكن منها ليحصل له من ربح التجارة ونفعها ما يدوم نفعه عليه عند حاجته إليه لنحو مرض **(رواه البخاري)** في الرقاق من صحيحه **(قالوا)** أي شراح الحديث المدلول عليهم بالسياق **(معناه)** أي معنى الحديث من حيث الجملة **(لا تركن)**

إِلى الدُّنْيا ولا تَتَّخِذْهَا وَطَنًا، ولا تُحدّثْ نَفْسكَ بِطُولِ الْبَقَاءِ فِيهَا وَلا بالاعْتِنَاءِ بِهَا، ولا تَتَعَلَّقْ مِنْهَا بِما لا يَتَعلَّقُ بِه الْغَرِيبُ في غَيْرِ وطَنِهِ، ولا تَشْتَغِلْ فِيهَا بِما لا يَشْتغِلُ بِهِ الْغَرِيبُ الَّذِي يُرِيدُ الذَّهاب إِلى أَهْلِهِ. وَباللّهِ التَّوْفيقُ.

٤٧٠ - وعن أَبي الْعبَّاسِ سَهْلِ بنِ سعْدٍ السَّاعدِيّ رضي اللّهُ عنهُ قال: جاءَ رجُلٌ إِلى النبيّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ دُلَّني عَلى عمَلٍ إِذا عَمِلْتُهُ

بفتح الكاف وبضمها لأنه جاء من بابي علم ونصر أي لا تمل وتسكن **(إلى الدنيا)** وتطمئن بها **(ولا تتخذها وطنًا)** يحتمل أن يكون من عطف الجزء على الكل اهتمامًا وذلك لأن السكون إليها والطمأنينة بها إنما يكون مع توطنها. وقوله **(ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها)** راجع لقوله أو عابر سبيل لأن شأن من دخل بلدًا في أثناء سفره ألا يحدث نفسه بالمقام بها ولا بالاعتناء بتلك البلد لأن المرء لا يعتني بحسب طبعه إلا بما يعود نفعه عليه من وطنه، وقوله **(ولا تتعلق منها)** أي بشيء منها **(بما)** أي بالذي **(لا يتعلق به الغريب في غير وطنه)** مما لا تدعو إليه ضرورته من زاد ومركوب، فكذا شأن الحازم ألا يتعلق في سفره إلى مولاه بشيء من الدنيا إلا براحلته التي يتوصل بها إلى مرضاة ربه وهي نفسه فيشتغل بما يتوصل به إلى أن يؤديها حقها ويكفيها عن الغير **(ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب)** أي العود **(إلى أهله)** فإن شأنه ألا يستكثر من المتاع لأن ذلك يتعبه في مقصده ويثقله عن مطلبه بخلاف من أضرب عن العود فذلك لا يحتفل بأمر السفر، فالحازم لا يتخذ من الدنيا ما يثقله في سفره إلى مولاه.

٤٧٠ - (وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ) أي جاء ساعيًا إليه **(فقال: يا رسول الله دلني)** سؤال من الدلالة أي نبهني **(على عمل)** التنوين فيه للتعظيم وعظمه إنما هو بحسب ثمرته كما يومئ إليه قوله **(إذا عملته)** أي مريدًا به وجه الله

أَحبَّني اللّهُ وَأَحبَّني النَّاسُ، فقال: «ازْهَدْ في الدُّنيا يُحِبَّكَ اللّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحبَّكَ النَّاسُ». حديثٌ حسنٌ، رواه ابنُ مَاجَه وغيرُه بأَسانيد حسنةٍ.

٤٧١ - وعن النُّعْمَانِ بنِ بَشيرٍ رضيَ اللّهُ عنهما قالَ: ذَكَر عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب رضي اللَّهُ عنه ما أَصابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا

(**أحبني الله**) بإرادة الثواب (**وأحبني الناس**) أي مالوا إليّ ميلًا طبيعيًا (**فقال: ازهد في الدنيا**) أي أعرض عما لا تدعو إليه الضرورة مما زاد عنها من المباح احتقارًا له وإرباء بنفسك عنها بغضًا له، فحبّ الدنيا رأس كل خطيئة، والزهد عزوب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها لأجل الآخرة خوفًا من النار وطمعًا في الجنة أو ترفعًا عن الالتفات إلى ما سوى الله تعالى (**يحبك الله**) وفيه إيماء إلى شرف الزهد لعظم ثمرته التي هي محبة المولى، ثم المراد من كون حبها مذمومًا حبها كذلك إيثارًا لشهوة نفس ونحوها لأنه يشتغل عن الحق سبحانه، أما حبها لفعل الخير وإعانة محتاج وإغاثة ملهوف وإطعام بائس فعبادة بشهادة قوله ﷺ: «نعم المال الصالح مع الرجل الصالح، يصل به رحمًا ويصنع به معروفًا» (**وازهد فيما عند الناس**) من نحو مال وجاه بإعراضك عنه ورفضك إياه (**يحبك الناس**) أي بسبب ذلك، ومتى نازعتهم في ذلك بغضوك ونازعوك إياه فإنهم بطباعهم يتهافتون عليه تهافت الذباب على النتن (**حديث حسن رواه ابن ماجه**) في سننه (**وغيره بأسانيد حسنة**).

٤٧١ - (**وعن النعمان**) بضم النون وسكون المهملة (**ابن بشير**) بفتح الموحدة وكسر المعجمة الأنصاري الخزرجي (**رضي الله عنهما**) له ولأبويه صحبة (**قال: ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أصاب الناس**) أي حازوه وحصلوه (**من الدنيا**) أي المال والخول[1] والجاه

---

(١) الخدم.

فقال: «لَقَدْ رَأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوي ما يَجِدُ دَقَلًا يمْلأُ بِهِ بطْنَهُ». رواه مسلم.

«الدَّقَلُ» بفتح الدال المهملة والقاف: رديءُ التَّمرِ.

٤٧٢ - وعن عائشةَ رضي اللَّهُ عنها قالت: تُوُفِّيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا في بيْتِي مِن شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إلا شَطْرُ شَعِيرٍ في رَفٍّ لي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَال علَيَّ،

وغير ذلك من الأعراض المخدجة[1] (**فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل**) مضارع ظل التي هي لاتصاف اسمها بخبرها نهارًا (**اليوم**) ظرف لقوله (**يلتوي**) وقوله (**ما يجد دقلا يملأ به بطنه**) جملة مستأنفة استئنافًا بيانيًا بسبب التوائه طول يومه (**رواه مسلم الدقل بفتح الدال المهملة والقاف**) ءاخره لام (**رديء**) بالهمز فعيل من الرداءة (**التمر**) قال في «الصحاح»: أردأ التمر.

٤٧٢ - (**وعن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد**) بفتح الكاف وكسر الموحدة: أي حيوان وعبرت به لأنه من الأجزاء الرئيسة في البدن (**إلا شطر شعير**) لا يخفى ما اشتمل عليه هذا الخبر من مزيد إعراضه ﷺ عن الدنيا بالمرة وعدم النظر إليها، لأنه إذا كان هذا حالها وهي أحب أمهات المؤمنين إليه ﷺ وقد دانت له الأرض شرقًا وغربًا وجيء بثمراتها فضة وذهبًا ولم يوجد عندها إلا ما ذكر ففيه أعظم دليل على مزيد إعراضه ﷺ عنها (**في رفّ**) قال الحافظ ابن حجر: «قال الجوهري: الرف شبه الطاق في الحائط، وقال عياض: الرف خشب يرتفع عن الأرض في البيت يوضع فيه ما يراد حفظه. قلت: «الأول أقرب للمراد»، وقولها (**لي فأكلت منه حتى طال عليّ**) غاية لمحذوف أي وداومت على الأكل منه حتى طال علي

---

(١) الناقصة.

فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ. متفقٌ عليه.

قوله «شطر شعير»: أي شيءٍ من شعير، كذا فسَّره الترمذي.

٤٧٣ - وعنْ عَمرِو بنِ الحارِث أَخِي جُوَيْرِيَةَ بنْتِ الحَارثِ أُمّ المُؤْمنينَ رضي اللَّهُ عنهما قال: «مَا تَرَكَ

(فكلته) بكسر الكاف **(ففني)** أي ففرغ قال النووي: إنما فني عند كيله عقوبة لأن كيله مضاد للتسليم ومتضمن للتدبير وتكلف للإحاطة بأسرار الله تعالى. وقال الحافظ في «الفتح»: أجيب بأن الكيل عند المبايعة محبوب من أجل تعلق حق المتبايعين ولذا يندب، وأما الكيل عند الإنفاق فالباعث عليه الشحّ فلذا كره. ويستفاد منه أن من رزق شيئًا أو أكرم بكرامة أو لطف به في أمر فالمتعين عليه موالاة الشكر وتنزيه المنة لله تعالى ولا يحدث في تلك الحالة تغييرًا اهـ. **(متفق عليه)** رواه البخاري في الخمس، وفي الرقاق من صحيحه، ورواه مسلم في ءاخر «صحيحه»، ورواه ابن ماجه في الأطعمة.

(قوله شطر شعير: أي شيء) قليل **(من شعير كذا فسره الترمذي)** والشطر يطلق على النصف وعلى ما يقاربه وعلى الجهة وليست مرادة هنا، قال الحافظ: الذي يظهر أنه ﷺ كان يؤثر بما عنده ففي الصحيحين «أنه ﷺ كان إذا جاءه ما فتح الله عليه من خيبر أو غيرها من تمر وغيره يدخر قوت أهله سنة ثم يجعل ما بقي في سبيل الله، ثم كان مع ذلك إذا طرأ عليه طارئ ونزل به ضيف يشير على أهله بإيثارهم فربما أدى ذلك إلى نفاد ما عنده أو معظمه» وقد روى البيهقي عن عائشة قالت: «ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية ولو شئنا لشبعنا ولكنه كان يؤثر على نفسه» اهـ.

٤٧٣ - (وعن عمرو بن الحارث أخي جويرية) بضم الجيم **(بنت الحارث أم المؤمنين)** في الاحترام ووجوب الإكرام **(رضي الله عنهما)** قال الحافظ في «التقريب»: هو صحابي قليل الحديث **(قال: ما ترك**

رسولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَمًا وَلا دِينَارًا وَلا عَبْدًا وَلا أَمَةً وَلا شَيْئًا إِلا بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ الَّتي كَانَ يَرْكَبُهَا وَسِلاحَهُ وَأَرْضًا جَعَلَهَا لابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً». رواه البخاري.

٤٧٤ - وعنْ خَبَّابِ بنِ الأَرَتّ رضي اللَّهُ عنه قال: هَاجَرْنَا مَعَ رسول الله ﷺ نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللّهِ تعالى، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلى اللّهِ، فَمِنَّا مَن مَاتَ لَمْ يَأْكُلْ منْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ

رسول الله ﷺ عند موته درهمًا ولا دينارًا ولا عبدًا ولا أمة) أي باقيين على الرق: قال الحافظ ابن حجر: «وفيه دلالة على أن من ذكر من رقيق النبي ﷺ في جميع الأخبار كان إما مات وإما أعتقه» **(ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها)** اسمها الدلدل وليس له بغلة غيرها **(وسلاحه)** وبيان ما خلفه ﷺ من السلاح والكراع مذكور في كتب السير **(وأرضًا جعلها)** أي الثلاث المذكورة **(لابن السبيل صدقة)** أي لم يترك مالا غير ما ذكر مما جعله صدقة على المسلمين **(رواه البخاري)** في مواضع من «صحيحه» ورواه الترمذي في «الشمائل» والنسائي.

٤٧٤ - (وعن خباب بن الأرت) بفتح الهمزة والراء وتشديد المثناة الفوقية **(رضي الله عنه قال: هاجرنا)** أي فارقنا أوطاننا لنصرة الدين الحنيفي **(مع رسول الله ﷺ)** وكان ذلك منهم من مكة إلى المدينة، وكونهم معه ليس المراد مصاحبتهم له في السفر لأنه لم يصحبه ﷺ في الهجرة إلا الصديق وعامر بن فهيرة بل المراد المعية في مفارقة الوطن إلى وطن ءاخر لنصرة الدين، وقوله **(نلتمس)** أي نطلب بهجرتنا **(وجه)** أي ذات **(الله تعالى فوقع)** وجاء في رواية للبخاري في المغازي فوجب **(أجرنا)** أي إثابتنا وجزاؤنا **(على الله فمنا)** أي فبعض المهاجرين **(من مات)** حال كونه **(لم يأكل)** أي لم يصب، وعبر عنها بالأكل لأنه المقصود من إصابة المال **(من أجره شيئًا)** قال الحافظ ابن حجر: «وهذا كناية عن الغنائم التي تناولها من أدرك زمن الفتوح» **(منهم مصعب)** بضم الميم بصيغة المفعول **(ابن عمير)** بصيغة التصغير العبدري يجتمع مع النبي

رضي اللَّهُ عنه، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ نَمِرَةً، فَكُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلاهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رسولُ اللّهِ ﷺ أَن نُغَطّيَ رَأْسَهُ وَنَجْعَلَ عَلى رِجْليهِ شَيْئًا مِنَ الإِذْخِرِ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدُبُهَا. متفقٌ عليه.

«النَّمِرَة»: كِسَاءٌ مُلَوَّنٌ من صوفٍ. وقوله: «أَيْنَعَت» أي: نَضِجَت وَأَدْرَكَتْ. وقوله: «يَهْدِبُهَا» هو بفتح الياء وضم الدال وكسرِها، لُغَتان،

ﷺ في قصي يكنى أبا عبد الله من السابقين إلى الإسلام وإلى الهجرة. قال البراء: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرءان القرءان أخرجه البخاري **(رضي الله عنه قتل يوم أحد)** بضم أوليه وقعة مشهورة كانت سنة أربع من الهجرة على الصحيح، وكان قتل مصعب بها شهيدًا وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ يومئذٍ **(وترك نمرة)** بفتح النون وكسر الميم ثم راء، وهي إزار من صوف مخطط أو بردة **(فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت)** أي ظهرت **(رجلاه، وإذا غطينا رجليه)** أي بالنمرة المذكورة **(بدا رأسه)** هذه الجملة مسوقة لبيان مزيد صغرها ففيها مزيد تقلله من الدنيا **(فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطى)** بالتحتية مبني للمفعول مرفوعه قوله **(رأسه)** وذلك لشرفه على باقي الأعضاء **(ونجعل على رجليه شيئًا من الإذخر)** قال الحافظ ابن حجر: «هو نبت معروف عند أهل مكة طيب الريح» **(ومنا)** أي وبعضهم **(من أينعت)** بفتح الهمزة والنون وسكون التحتية بينهما **(له ثمرته)** والفاء في قوله **(فهو يهدبها)** تفريعية ومدخولها معطوف على جملة الصلة **(متفق عليه)** رواه البخاري في الجنائز والهجرة من صحيحه، ومسلم في الجنائز، ورواه أبو داود في الوصايا، والترمذي في المناقب وقال: حسن «صحيح»، والنسائي في الجنائز **(النمرة كساء ملوّن)** أي ذو ألوان وخطوط **(من صوف وقوله أينعت أي نضجت)** من النضج وهو الاستواء **(وأدركت)** أي زمن القطف **(وقوله يهدبها هو بفتح الياء وضم الدال)** التحتية وسكون الهاء **(وكسرها لغتان**

أي: يَقْطِفُها وَيَجْتَنيها، وهذه استعارةٌ لِما فُتِحَ عليهم مِن الدنيا وتمكَّنوا فيها.

٤٧٥ - وعن سَهْلِ بنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيّ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ». رواه الترمذي وقال: حديث صحيح.

٤٧٦ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «أَلا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعونٌ مَا فيها

أي يقطفها) بكسر المهملة **(ويجتنيها وهذه استعارة لما فتح عليهم من الدنيا وتمكنوا فيها)** أي جملة قوله أينعت إلخ استعارة تمثيلية. شبه حالهم في تمكنهم من الدنيا التي فتح عليهم بها وتمكنوا منها بتمكن ذي الثمرة النضيجة من قطفها واجتنائها.

٤٧٥ - **(وعن سهل بن سعد)** الأنصاري **(الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح)** بفتح الجيم **(بعوضة)** فعول من البعض وهو القطع، غلب على هذا النوع من الحيوان المضروب به المثل في الحقارة وجناحها في غايتها ومنتهاها. **(ما سقى كافرًا منها شربة ماء)** لهوانه عليه وسقوطه. قال العاقولي: أي لو كان لها عنده تعالى أدنى قدر ما تمتع فيها كافر أدنى تمتع. ويكفيك حديث الباب في هوانها عند الله وصغرها وحقرها وذمها وبغضها وبغض أهلها والمحبين لها، وليس من الدنيا ما يوجد فيها من الأنبياء والصديقين والعلماء العاملين والطاعة الموصلة لمرضاة رب العالمين **(رواه الترمذي)** في الزهد **(وقال حديث صحيح)** غريب من هذا الوجه.

٤٧٦ - **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا إن الدنيا ملعونة)** أي مبغوضة ساقطة فعبر عنه لأن من لازم المبغوض الساقط الإبعاد **(ملعون ما فيها)** أي من الأموال الدنيوية المخدّجة الفانية من شهوات وغيرها أي الاشتغال بذلك مبعد عن الحق

إلا ذِكْرَ اللّهِ ومَا وَالاهُ، وَعالِمًا وَمُتَعلِّمًا. رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

٤٧٧ - وعنْ عَبْدِ اللّهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ فَتَرْغَبُوا في الدُّنْيا». رواه الترْمِذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

٤٧٨ - وعنْ عبدِ اللّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ رضيَ اللّهُ عنه قال: مَرَّ عَلَيْنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ وَنحنُ نعالِجُ خُصًّا لَنَا فقال:

فقد جاء «حبّ الدنيا رأس كل خطيئة» (**إلا ذكر الله**[1] **وما والاه**[2]) والمعنى الدنيا ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما قاربه من الطاعة الموصلة لمرضاته (**وعالمًا ومتعلمًا رواه الترمذي**) في الزهد من «جامعه»، ورواه ابن ماجه في المشكاة (**وقال**) أي الترمذي (**حديث حسن**) والجمع بين ذلك بحمل الأحاديث الواردة في إباحة لعن الدنيا على ما يبعد منها عن الله تعالى ويشغل عنه، وحمل الوارد بالمنع على ما قرّب إلى الله تعالى أو أعان على عبادته سبحانه.

٤٧٧ - (وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: لا تتخذوا الضيعة) بالضاد المعجمة العقار، وفي «النهاية»: ضيعة الرجل ما يكون منه معاشه كالصنعة والتجارة والزراعة وغير ذلك، والمراد لا تتوغلوا في اتخاذ الضيعة فترغبوا عن صلاح ءاخرتكم كما قال (**فترغبوا في الدنيا**) أي في صلاحها وتشتغلوا به عن صلاح دار القرار (**رواه الترمذي وقال: حديث حسن**) ورواه أحمد والحاكم.

٤٧٨ - (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: مر علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خصًا لنا) بضم الخاء المعجمة وتشديد الصاد المهملة قال في «النهاية»: هو بيت يعمل من خشب وقصب (**فقال:**

---

(١) إلا طاعة الله.

(٢) أي وما أعان على طاعة الله كالمال الصالح الذي يُنْفَق في سبيل الله.

«ما هذا؟» فَقُلْنَا: قَد وَهَى فَنَحْنُ نُصْلِحُه، فقال: «ما أَرَى الأَمْرَ إلا أَعجَلَ مِن ذلكَ». رواه أَبو داود، والترمذي بإِسناد البخاري ومسلم، قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٤٧٩ - وعن كَعْبِ بن عِيَاضٍ رضي اللَّهُ عنه قال: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «إِنَّ لِكُلّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمّتي المَالُ». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٤٨٠ - وعنْ أَبي عَمْرٍو، ويقالُ: أَبو عبدِ اللّهِ ويقال: أَبو لَيْلى عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ

ما هذا) أي المعالج **(فقلنا: قد وهى)** بفتحتين أي ضعف وهم بالسقوط **(فنحن نصلحه)** بإدعامه بما يذهب به ويدوم به قوامه **(فقال ما أرى الأمر)** أي الأجل **(إلا أعجل)** أي أسرع **(من ذلك)** أي الإصلاح المذكور، إيماء بأن الاشتغال بالبناء بعيد من شأنهم مع توقع الأجل ساعة فساعة ولحظة فلحظة **(رواه أبو داود والترمذي بإسناد البخاري ومسلم)** أي برجال رويا عنهم، فهو على شرطهما **(قال الترمذي: حسن صحيح)**.

٤٧٩ - **(وعن كعب بن عياض)** بكسر المهملة وتخفيف التحتية ءاخره ضاد معجمة، الأشعري معدود في الشاميين روى عنه جابر بن عبد الله **(رضي الله عنه)** خرّج عنه الترمذي والنسائي **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن لكل أمة فتنة)** بكسر الفاء أي ما يمتحنون ويختبرون **(وفتنة أمتي)** ما تمتحن به في دنياها **(المال)** كما قال ﷺ: «إن هذا المال حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون» **(رواه الترمذي)** في الزهد من «جامعه» **(وقال)** أي الترمذي **(حديث حسن صحيح)**.

٤٨٠ - **(وعن أبي عمرو)** بفتح العين كني باسم أحد أولاده **(ويقال)** بالبناء للمجهول أي ويقال في كنيته **(أبو عبد الله)** قال في «أسد الغابة»: يكنى أبا عبد الله ويقال أبو عمرو اهـ **(ويقال أبو ليلى عثمان بن عفان)** ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي

رَضيَ الله عنه أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَيْسَ لابْنِ ءادَمَ حَقٌّ في سِوى هَذِهِ الخِصَالِ: بَيْتٌ يَسْكُنُهُ، وَثَوْبٌ يُوَارِي عَوْرَتَهُ، وَجِلْفُ الخُبزِ، وَالمَاءِ». رواه الترمذي وقال: حديث صحيح.

قال الترمذي: «سمعتُ أَبَا داوُدَ سُلَيْمَانَ

المكي ثم المدني أمير المؤمنين (**رضي الله عنه**) دعاه أبو بكر إلى الإسلام وأسلم وهاجر الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة فهاجر بزوجته رقية بنت النبي ﷺ إلى الحبشة الهجرتين الأولى والثانية، ويقال لعثمان، ذو النورين لأنه تزوج بنتي رسول الله ﷺ إحداهما بعد الأخرى، ولد في السنة السادسة بعد الفيل، وقتل شهيدًا يوم الجمعة لثمان عشرة خلون من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وهو ابن تسعين سنة وهو رضي الله عنه أحد السابقين إلى الإسلام كما تقدم وأحد العشرة المبشرة بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى، بويع بالخلافة غرة محرم سنة أربع وعشرين وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا ليال ودفن بالبقيع ليلًا وأخفي قبره ذلك الوقت ثم أظهر (**أن النبيّ ﷺ قال: ليس لابن ءادم حق**) قال العاقولي: أراد بالحق ما يستحقه الإنسان لاحتياجه إليه في كنه من الحرّ والبرد وستر بدنه وسد جوعته وهذا هو المراد الحقيقي من المال (**في سوى هذه الخصال**) والمراد هنا ما يحصل للرجل ويسعى في تحصيله (**بيت يسكنه وثوب يواري**) أي يستر (**عورته**) يجوز أن يراد من العورة ما يجب ستره في نحو الصلاة، فلا يدخل فيه ستر ما عدا ما بين السرّة والركبة من الرجل والأمة وأن يراد به ما يجب ستره في الرجال عن النساء الأجانب فيشمل ذلك ولعل الثاني أقرب سيما إن كان تركه مخلًا بالمروءة فلا يكون لبسه من حظوظ النفس بل من حقوقها، ويؤيده أنهم أوجبوا على المعتمد في كفن الميت ساتر جميع بدنه لا العورة فقط وأصل العورة الخلل (**وجلف**) بكسر الجيم وسكون اللام، وهي الكسرة من الخبز (**الخبز والماء رواه الترمذي وقال: حديث صحيح قال الترمذي: وسمعت أبا داود سليمان**) بصيغة التصغير

ابنَ سَلْم البَلْخِيَّ يقولُ: سَمِعْتُ النَّضْرَ بْنَ شُمَيْلٍ يقولُ: الجِلفُ: الخُبزُ لَيْس مَعَهُ إِدَامٌ. وقَالَ غَيرُهُ: هُوَ غَلِيظُ الخُبزِ. وقَالَ الهرويُّ: المُرَادُ بِهِ هُنَا وِعَاءُ الخُبزِ كالجُوَالِقِ وَالخُرْجِ»، والله أَعلم.

٤٨١ - وعنْ عبدِ اللّهِ بنِ الشِّخِّيرِ بكسر الشينِ والخاءِ المشددةِ المعجمتينِ رضيَ الله عنه أَنَّهُ قالَ: أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [سورة التكاثر] قال: «يَقُولُ ابنُ ءادم: مَالي مَالي،

(**ابن سلم**) وفي نسخة «أسلم» بفتح الهمزة فسكون المهملة (**البلخي**) بفتح الموحدة فسكون اللام بعدها معجمة نسبة إلى بلخ بلد معروف (**يقول سمعت النضر**) بإعجام الضاد (**ابن شميل**) بضم المعجمة وفتح الميم وسكون التحتية. والنضر هو الإمام الكبير الشأن في علوم العربية (**يقول: الجلف**) أي بكسر فسكون اسم مفرد (**الخبز ليس معه إدام. وقال غيره: هو غليظ الخبز**) أي وإن كان معه إدام وهذا الغير هو الليث (**وقال الهروي المراد به هنا وعاء الخبز كالجوالق**) بضم الجيم (**والخرج**) بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وبالجيم قال في «المصباح»: وعاء معروف عربي صحيح والجمع خرجة نحو عنبة اهـ المراد به التحريض على الزهد وأخذ الوعاء لنحو الخبز إنما يكون عادة عند نحو ادخار واهتمام به وذلك خلاف المقصود والله أعلم. وكأن من حمل الحديث عليه يمنع كون ذلك عادة عند الادخار بل يكون لنحو ما يحفظ لوقت ءاخر من اليوم مثلًا (**والله أعلم**).

٤٨١ - (**وعن عبد الله بن الشخير بكسر الشين والخاء المشددة المعجمتين رضي الله عنه أنه قال**) بفتح الهمز مبتدأ خبره الظرف قبله أي وعنه قوله (**أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾**) أي السورة المسماة بما ذكر لكونه صدرها (**قال**) أي النبيّ ﷺ بعد إتمامها كما عند النسائي حتى ختمها (**يقول ابن ءادم مالي مالي**) أي مالي هو الذي أعتني

وَهَل لَكَ يَا ابنَ ءادمَ مِن مالِكَ إلا ما أَكلتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ». رواه مسلم.

٤٨٢ - وعنْ عبدِ الله بنِ مُغَفَّلٍ رضيَ الله عنه قال: قال رَجُلٌ للنَّبيّ ﷺ: يا رسولَ اللّهِ واللّهِ إنّي لأُحِبُّكَ، فقال: «انْظُرْ ماذا تَقُولُ؟» قال: وَاللّهِ إنّي لأُحِبُّكَ، فَقَالَ: «انْظُرْ مَاذَا تَقُولُ» قَالَ: وَاللهِ إنّي لَأُحِبُّكَ

به وأهتم، فالتكرار لفظًا للتعظيم والاهتمام (**وهل لك**) المعطوف عليه مخاطب مقدر أي أتقول ذلك (**يا ابن ءادم**) وتهتم بأمره وهل لك من دنياك التي اهتممت بأمرها واحتفلت بشأنها والاستفهام فيه للإنكار أي ما لك منها على الحقيقة (**إلا ما أكلت فأفنيت**) فوصل نفع ذلك إلى أجزاء البدن واستقام به أمرها (**أو لبست**) بكسر الموحدة (**فأبليت**) من الإبلاء إخلاق الجديد (**أو تصدقت**) على محتاج قاصدًا وجه الله تعالى (**فأمضيت**) قال في «المصباح»: أمضيت الأمر أنفذته اهـ. والمراد أمضيت التصدق ونجزته فأبقيت ثوابه مدخرًا لك عند المولى. وملخصه: ما لك من دنياك إلا ما انتفعت به في دنياك بأن أكلت أو لبست أو أخرت بأن تصدقت وما عدا ذلك من باقي المال فإنما أنت فيه بمنزلة الخادم الخازن لغيره ففيه تحريض على الزهد عن جمع الدنيا وتحريض على الاقتصار على ما تدعو إليه ضرورة الحياة وادخار ما عداه عند الله (**رواه مسلم**) في «صحيحه»، ورواه الترمذي.

٤٨٢ - (**وعن عبد الله بن مغفل**) بصيغة اسم المفعول (**رضي الله عنه**) وكان عبد الله من أهل بيعة الرضوان قال: إني لممن رفع أغصان الشجرة عن رسول الله ﷺ، سكن المدينة ثم تحول إلى البصرة وابتنى بها دارًا قرب الجامع قال الحسن: ما نزل البصرة أشرف منه (**قال: قال رجل للنبي ﷺ**) اللام فيه للتبليغ (**يا رسول الله والله إني لأحبك فقال: انظر ماذا تقول**) يريد منه الاستكشاف عن حقيقة قوله (**قال: والله إني لأحبك**) مؤكدًا

ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فقال: «إن كُنْتَ تُحبُّني فَأَعِدَّ لِلفقْرِ تِجفافًا، فإنَّ الفَقْرَ أَسْرَعُ إِلى من يُحِبُّني مِنَ السَّيْلِ إِلى مُنْتَهَاهُ». رواه الترمذِي وقال: حديث حسن.

بالقسم والتكرير (**ثلاث مرات**) وهو ظرف لقال (**فقال: إن كنت تحبني**) أتى بإن الدالة على عدم الجزم مع تأكيد المتكلم بالمؤكدات السابقة تحريضًا على الصبر على نتائج دعواه كقول الوالد لابنه: إن كنت ولدي فأطعني (**فأعد**) بتشديد الدال أمر من الإعداد أي فهيء (**للفقر تجفافًا**) المعنى أن يرفض الدنيا ويزهد فيها ويستتر عن استنمائها بمثل التجفاف كما يستتر بالترس في الحرب عن ءاثار السلاح التي هي ءالة الجراح (**فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه**) أي من مكان وصول السيل إلى الجبل، أو أعلى الوادي إلى منتهاه من أسفل الجبل أو ءاخر الوادي، وإنما كان كذلك لأن الناس على دين ملوكهم. ولما كان ﷺ أزهد الناس في الدنيا بشهادة حديث ملك الجبال إن شئت جعل الله لك الأخشبين ذهبًا فأبى» وحديث «عرض عليه ربه أن يجعل له بطحاء مكة ذهبًا فقال: لا يا رب ولكني أجوع يومًا وأشبع[1] يومًا، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك» كان المحب التابع له أسرع إلى اتصافه بما هو متصف به من السيل كما قال لقوة الرغبة وصدق المحبة، لكن هذا مقام عال شريف لا يقدر عليه إلا الأفراد، فلذا قال له انظر ماذا تقول: أي إنك قد ادعيت أمرًا عظيمًا يستدعي الصبر على أمر عظيم قال تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [سورة ءال عمران] (**رواه الترمذي وقال حديث حسن**).

---

(١) الشبع نوعان شبع ليقوم به البدن فهذا ليس مذمومًا وهذا المقصود بهذا الحديث، وشبع فوق الكفاية فهذا خلاف السنة ولا خير فيه قال ﷺ: «**بحسب ابنِ ءادم لقيماتٌ يقمن صلبه**» رواه الترمذي.

التجفاف: بكسر التاء المثناة فوق وإسكان الجيم وبالفاء المكرَّرة، وهو شيءٌ يُلبَسُهُ الفرسُ ليُتَّقَى به الأذى، وقد يَلْبَسُه الإنسان.

٤٨٣ - وعن كَعبِ بنِ مالكٍ رضيَ الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعانِ أُرْسِلا في غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لهَا مِن حِرصِ المَرْءِ على المالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

٤٨٤ - وعنْ عبدِ الله بنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّهُ عنه قال: نَامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ على حَصيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ في جَنْبِهِ،

(**التجفاف بكسر التاء المثناة فوق وإسكان الجيم وبالفاء المكررة، وهي**) أنث الضمير باعتبار المعنى فإنها في معنى السترة (**شيء يلبسه**) بالبناء للمجهول من ألبس ومفعوله الثاني الضمير (**الفرس**) ويجوز أن يقرأ بفتح التحتية وبالموحدة مبنيًا للفاعل من لبس بكسر الموحدة (**ليتقي به الأذى**) أي أن يصيبه من السلاح شيء من الجراح (**وقد يلبسه الإنسان**) شبه الفقر بالسهم الصائب والسيف القاطع والرمح النافذ، وشبه صبره عليه بالتجفاف الذي يلبسه الإنسان أو يلبسه فرسه ليقيه ذلك.

٤٨٣ - (وعن كعب بن مالك) الأنصاري (**رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما**) نافية حجازية (**ذئبان جائعان أرسلا**) بالبناء للمجهول (**في غنم بأفسد لها**) أي بأكثر فسادًا للغنم وأنث ضميرها لاعتبار الجنسية فيها (**من**) فساد (**حرص المرء على المال والشرف**) أي الجاه معطوف على المال واللام في قوله (**لدينه**) لام البيان كهي في قوله تعالى ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴿٢٣٣﴾﴾ [سورة البقرة] كأنه قيل لمن؟ قال لمن أراد. وكذا هنا كأنه قيل بأفسد لأي شيء فقيل لدينه (**رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح**).

٤٨٤ - (وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام) أي استيقظ واستوى جالسًا (**وقد أثر**) أي الحصير (**في جنبه**) فإن بدنه الشريف كان ألين من الحرير. وفي الحديث عن أنس

قُلْنَا: يا رَسُولَ الله لو اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فقال: «مَا لي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا في الدُّنْيَا إِلا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

٤٨٥ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يَدْخُلُ الفُقَراءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

«ولا مسست خزًا ولا حريرًا ولا ديباجًا ألين من كف رسول الله ﷺ» وإذا كان هذا شأن كفه وهو يزاول الأعمال، فكيف بباقي بدنه الشريف ﷺ **(قلنا يا رسول الله)** أي الحاضرون الذين منهم ابن مسعود **(لو اتخذنا لك وطاء[1])** بكسر الواو وبالمد بوزن كتاب **(فقال ما لي وللدنيا)** يجوز أن تكون «ما» نافية أي ليس لي ألفة ومحبة لي وللدنيا حتى أرغب فيها **(ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظلّ تحت شجرة ثم راح وتركها)** وذلك لأن الدنيا ليست دار قرار ولا منزل استقرار إنما هي دار عبور يقطعها السائر إلى ميادين الآخرة، فالإنسان فيها بمثابة المسافر النازل في أثناء سفره تحت شجرة يطلب ظلالها من حرّ الشمس ثم إذا ذهبت الشمس وإذا جلس تحت الشجرة منها راح عن الشجرة أي سار بعد الزوال وتركها، ففيه أتم إرشاد إلى ترك الاهتمام بعمارة الدنيا والاشتغال بتحصيلها وحث وحض على الاعتناء بعمارة منزل العبد من الدار الآخرة وتحصينه، وبالله التوفيق **(رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح)**.

٤٨٥ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام) لحبس الأغنياء تلك المدة في الموقف حتى يحاسبوا عما خولوه[2] من الغنى من أين اكتسبوه وفيم أذهبوه **(رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح)**.

---

(١) هو المهاد الوطيء.

(٢) والخَوَل ما أعطى الله سبحانه وتعالى الإنسان من النعم.

٤٨٦ - وعنِ ابنِ عَبَّاسٍ وعِمْرَانَ بنِ الحُصَيْنِ رضيَ الله عنهم عنِ النَّبيّ ﷺ قال: «اطَّلَعْتُ في الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهلِهَا الفُقَراءَ، وَاطَّلَعْتُ في النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النّسَاءَ». متفقٌ عليه من رواية ابن عباس. ورواه البخاري أَيْضًا من روايةِ عِمْرَان بنِ الحُصَينِ.

٤٨٧ - وعنْ أُسامةَ بنِ زيدٍ رضيَ الله عنهما عنِ النبيّ ﷺ قال: «قُمْتُ عَلى بَابِ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةَ مَن دَخَلَهَا المَساكينُ وَأَصحَابُ الجَدّ محبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصحَابَ النَّارِ قَد أُمِرَ بِهم إِلى النَّارِ». متفقٌ عليه.

---

٤٨٦ - (**وعن ابن عباس وعمران**) بكسر العين المهملة (**ابن حصين**) بضم المهملة وقوله (**رضي الله عنهم**) لأنهما صحابيان ابنا صحابيين (**عن النبي ﷺ قال: اطلعت**) بتشديد الطاء المهملة أي أشرفت (**في الجنة**) يحتمل أن يكون ذلك فيه وفيما بعده ليلة الإسراء. والله أعلم (**فرأيت**) أي علمت (**أكثر أهلها الفقراء**) قال ابن بطال: لا يوجب فضل الفقير على الغني وإنما معناه الفقراء في الجنة أكثر من الأغنياء فأخبر عن ذلك، وليس الفقر أدخلهم الجنة إنما دخلوا بصلاحهم معه، فالفقير إذا لم يكن صالحًا لا يفضل (**واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**) فيه التحريض لهن على المحافظة على أمر الدين ليسلمن من النار (**متفق عليه من رواية ابن عباس**) رواه البخاري في النكاح ورواه مسلم في الدعوات من صحيحه.

٤٨٧ - (**وعن أسامة**) بضم الهمزة (**ابن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: قمت على باب الجنة**) أي لأنظر أهلها (**فكان عامة من دخلها المساكين**) جمع مسكين، والمراد به ما يشمل الفقير أي المحتاج (**وأصحاب الجد محبوسون**) قال الحافظ ابن حجر: «أي ممنوعون من دخول الجنة مع الفقراء من أجل المحاسبة على المال» (**غير**) بالنصب على الاستثناء (**أن أصحاب النار**) أي منهم (**قد أمر بهم إلى النار**) والمعنى لكن أصحاب النار منكم غير محبوسين وهم الكفار (**قد أمر بهم إلى النار**) أي لا يوقفون في العرصات بل يؤمرون بدخول النار (**متفق عليه**.

وَ«الجَدُّ» الحَظُّ والغِنَى. وقد سبق بيان هذا الحديثِ في باب فضلِ الضَّعَفَة.

٤٨٨ - وعنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه عنِ النَّبيّ ﷺ قال: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللّهَ بَاطِلُ». متفقٌ عليه.

والجد) بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة (**الحظ والغنى. وقد سبق بيان هذا الحديث)** بزيادة في ءاخره «وقمت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء» (**في باب فضل الضعفة**).

٤٨٨ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: أصدق كلمة)** أي أكثر جملة مفيدة مطابقة للواقع وجملة (**قالها شاعر)** في محل الصفة لكلمة احترز بها عن قول الله سبحانه وأقوال أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فتلك أصدق، والمراد بالتفضيل ما عدا ذلك (**كلمة)** بفتح الكاف وكسر اللام لغة أهل الحجاز (**لبيد)** بفتح اللام وفد على رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه وكان من فحول شعراء الجاهلية وكان من المعمَّرين مات أول خلافة معاوية ولم يقل شعرًا بعد إسلامه وكان يقول أبدلني الله به القرءان.

(**ألا)** أداة استفتاح (**كل شيء ما خلا الله)** أي وصفاته وإنما لم يذكرها لأنها معلومة من ذكر الذات كما هو مقرر عند الأشاعرة أنها ليست غيرًا أي يجوز انفكاكها كما أنها ليست عينًا أي باعتبار المعلوم لكونها غير قابلة الانفكاك (**باطل)** والبيت المذكور في معنى قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ[1] ﴿٨٨﴾﴾ [سورة القصص] ولو عد هذا البيت من موافقات لبيد للقرءان لم يبعد.

---

(١) قال البخاري: «إلا مُلكَه» أي سلطانه. وفيه إبطال قول مشبهة العصر بنفي التأويلِ التفصيليّ عن السلف فإن البخاري قال هذا في صحيحه ونقل عن سفيان الثوري أنه قال: إلا ما أريد به وجهه فأوّل الآية تأويلًا تفصيليًّا. وقال البخاري: ضحك الله رضاه وهذا تأويل تفصيلي. وقال الإمام أحمد في قوله تعالى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر] إنما تأتي قدرته.

٥٦ - باب فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفوس وترك الشهوات

قال الله تعالى ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠﴾ [سورة مريم]،

---

٥٦ - باب فضل الجوع وخشونة العيش

بضم أوليه المعجمين مصدر خشن خشنة وخشونة بخلاف نعم (**العيش**) والمراد ترك الترفه والاقتصار على الجلف لأنه حق النفس وما فوقه حظها (**والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها**) كالمفروش والمسكون والمنكوح (**من حظوظ النفوس**) يصح كونه بيانًا للغير، إذ قليل المأكول والمشروب مما تقوم به البنية، والملبوس مما يستر البدن حق النفس لا حظها، ويصح كونه بيانًا للجميع بأن يراد من القليل ما زاد على ما يحتاج إليه في ذلك من الترفهات والتنعمات (**وترك الشهوات**) أي مشتهى النفس وإن كان من قليل ما ذكر.

(**قال الله تعالى** ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾) أي الذين أثنى عليهم في الآيات السابقة من الأنبياء والذين منّ الله عليهم بتوفيقه (﴿خَلۡفٌ﴾) أي عقب سوء، يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون (﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾) تركوها أو أخروها عن وقتها (﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾) كشرب الخمر (﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩﴾) شرًّا أو جزاء غي كقوله ﴿يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨﴾ [سورة الفرقان] أو غيًا من طريق الجنة، والإتيان بحرف التنفيس لتأكيد الوعيد (﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾) يدل على أن الآية في الكفرة (﴿وَعَمِلَ﴾) عملًا (﴿صَٰلِحٗا﴾) ليزكو به إيمانه ويزداد إيقانه فالإيمان بزيادة الطاعة (﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠﴾) من الظلم، أو لا ينقصون شيئًا من جزاء أعمالهم.

وقال تعالى ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة القصص]، **وقال تعالى** ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [سورة التكاثر]،

(**وقال تعالى** ﴿فَخَرَجَ﴾) أي قارون (﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ﴾) كما قيل إنه خرج على بغلة شهباء عليه الأرجوان وهو بضم الهمزة والجيم وسكون الراء بينهما شجر على قضبان حمر يوصف به الثور الأحمر وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة ءالاف على زيه، وقوله في زينته أي متزينًا بها (﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾) على ما هو عادة الناس من الرغبة (﴿يَٰلَيْتَ﴾) المنادى محذوف أي يقول ليت (﴿لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾) تمنوا مثله (﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ﴾) والحظ: النصيب (﴿عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾) من الدنيا (﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾) النافع، وهو العلم بأحوال الآخرة وما أعد الله فيها لصالحي عباده المتقين للمتمنين ذلك (﴿وَيْلَكُمْ﴾) دعاء بالهلاك استعمال للزجر عما لا يرتضى (﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾) في الآخرة (﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾) مما أوتي قارون بل من الدنيا وما فيها، وترك المصنف ذكر باقي الآية وهو قوله (﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾) أي الكلمة التي تكلم بها العلماء أو الثواب (﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾) على الطاعات وعن المعاصي.

(**وقال تعالى** ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾) أي الذي ألهاكم والخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله وفي «التفسير الصغير» للكواشي: النعيم هو الصحة والأمن. أو هي والفراغ. قال ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» معناه أنهم مقصرون في شكرهما لا يقومون بواجبهما ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون.

وقال تعالى ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة الإسراء]. **والآياتُ في الباب كثيرة مَعْلُومَةٌ.**

٤٨٩ - وعنْ عائشةَ رضي اللَّهُ عنها قالت: «ما شَبِعَ ءالُ مُحمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ». متفقٌ عليه.

وفي روايةٍ: «مَا شَبِعَ ءالُ مُحمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ المَدِينَةَ مِن طَعامِ البُرّ ثَلاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا حَتَّى قُبِض».

(**وقال تعالى** ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾) مقصورًا عليها همه (﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾) قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والإرادة، لأنه لا يجد كل متمنّ متمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه (﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾) مطرودًا من رحمة الله تعالى (**والآيات**) القرءانية (**في الباب**) أي فيما تضمنه من المطالب (**كثيرة معلومة**).

٤٨٩ - (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبع ءال محمد ﷺ) المراد منهم هنا أهل بيته من أزواجه وخدمه الذين كان يمونهم (**من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض**) أي توفي ﷺ، وهذا لإعراضه عن الدنيا وزهده فيها، ولم يضطره مولاه سبحانه لذلك، بل عرض عليه جبال مكة وبطحاءها تسير معه ذهبًا أينما سار فاختار ذلك إعلامًا بحقارة الدنيا وأنها ليست بحيث ينظر إليها ﷺ تحريضًا لأمته على الزهد فيها والإعراض عما زاد على الحاجة (**متفق عليه**).

(**وفي رواية**) هي للبخاري في كتاب الأطعمة والرقاق من «صحيحه»، ولمسلم في أواخر الكتاب، ورواها النسائي وابن ماجه (**ما شبع ءال محمد ﷺ منذ**) بضم الذال: أي من حين (**قدم المدينة**) قال الحافظ ابن حجر: «يخرج ما كانوا فيه قبل الهجرة» (**من طعام البر**) هو القمح (**ثلاث ليال**) أي بأيامها (**تباعًا**) بكسر المثناة الفوقية أي متتابعة يخرج المتفرقة (**حتى قبض**) أشار إلى استمراره على ذلك مدة إقامته بالمدينة وهي عشر سنين.

٤٩٠ - وعنْ عُرْوَةَ عَنْ عائشةَ رضي اللَّهُ عنها أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: وَاللّهِ يَا ابْنَ أُخْتِي إِن كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلى الهِلالِ ثُمَّ الهِلال ثم الهلال ثَلاثَةَ أَهِلَّةٍ في شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَ في أَبْيَاتِ رسولِ اللّه ﷺ نَارٌ. قُلْتُ: يَا خَالَةُ فَمَا كَانَ يُعَيّشُكُمْ؟ قالتِ: الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلا أَنَّهُ قَد كَانَ لرسولِ الله ﷺ جِيرانٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائحُ فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلى رسولِ الله ﷺ مِنْ أَلبانها فَيَسْقِينَا.

---

٤٩٠ - (**وعن عروة**) بضم المهملة الأولى وسكون الثانية ابن الزبير (**عن**) خالته (**عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول والله يا ابن أختي إن**) بكسر الهمزة وسكون النون أي إنا (**كنا**) واللام في (**لننظر**) هي الفارقة بينها وبين إن النافية (**إلى الهلال**) قال في «المصباح»: الأكثر أنه القمر في حالة مخصوصة، ويسمى القمر لليلتين من أول الشهر هلالًا، وفي ليلة ستّ وعشرين وسبع وعشرين أيضًا هلالًا، وما بين ذلك يسمى قمرًا (**ثم**) أتت بها لبعد ما بين كل من الهلالين (**الهلال ثم الهلال**) بالجر فيهما عطفًا على ما قبلهما، وقولها (**ثلاثة أهلة في شهرين**) قال الحافظ ابن حجر: «المراد بالهلال الثالث هلال الشهر الثالث، وهو يرى عند انقضاء الشهرين وبرؤيته يدخل أول الشهر الثالث» (**قلت: يا خالة فما كان يعيشكم**) بضم التحتية وفي بعض نسخ البخاري ما يغنيكم (**قالت الأسودان التمر والماء**) والسواد للتمر دون الماء، فنعتا بنعت واحد تغليبًا وإذا اقترن الشيئان سميا باسم أشهرهما. وقد يقع للخفة والشرف كالعمرين لأبي بكر وعمر، والقمرين للشمس والقمر (**إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار**) والجيران: جمع جار وهو المجاور في السكن (**وكانت لهم منائح**) جمع منيحة بنون وحاء مهملة اسم من المنحة بكسر الميم وهي الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلًا يشرب لبنها ثم يردها إذا انقطع لبنها (**فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا**) في «شرح الشفاء»: إن قلت: كتم هذا الخبر مما يدل عليه صحيح الأثر لما فيه من إيهام الشكوى وإفشاء ما يستحب ستره من

متفقٌ عليه.

٤٩١ - وعنْ سعيدٍ المَقْبُريّ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه أَنه مَرَّ بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فَدَعَوْهُ فَأَبَى أَن يَأْكُلَ وقال: خَرج رسولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الدُّنيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ. رواه البخاري.

«مَصْلِيَّةٌ»: بفتح الميم: أَيْ مشْوِيَّةٌ.

٤٩٢ - وعنْ أَنسٍ رضي اللَّهُ عنه قال: «لَمْ يَأْكُلِ النَّبيُّ ﷺ عَلى خُوَانٍ

العبادات قلت: هو من مثلها على طريق الإرشاد إذ لا يليق كتم أفعال المشرع لأنه علم الهدى وإمام الاقتداء اهـ **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في الهبة ومسلم في ءاخر الكتاب.

٤٩١ - **(وعن سعيد)** بن أبي سعيد كيسان **(المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه)** أي عن قصته **(أنه مرّ بقوم بين أيديهم شاة مصلية، فدعوه فأبى أن يأكل)** ورأى أنه من الترفهات وشأن المحب أن يتبع ءاثار محبوبه ويأتم بها فلذا امتنع **(وقال)** موضحًا لسبب إبائه **(خرج رسول الله ﷺ من الدنيا)** أي توفي **(ولم يشبع من خبز الشعير)** لا ينافي ما سيأتي في حديث أبي الهيثم، فلما أن شبعوا لأن الشبع ثَمَّ لم يكن من خبز الشعير بل كان من التمر واللحم، أو لأن المنفي الشبع التام الذي لا يبقى معه مساغ لتناول غيره كما هو شأن الشره المهتم ببطنه، والمثبت أصل الشبع أو المنفي الشبع لحظّ نفسه، والمثبت أنه يشبع لحظّ غيره كأن ينزل به ضيف فيشبع لأكله مؤانسة له أو ينزل ضيفًا بغيره فيشبع ليقرّ عين ربّ المنزل بذلك ويكرمه به لا لحاجته ﷺ إلى الطعام **(رواه البخاري)** في الأطعمة من «صحيحه» **(مصلية بفتح الميم)** اسم مفعول من صليت اللحم أصليه: أي شويته **(أي مشوية)**.

٤٩٢ - **(وعن أنس)** بن مالك **(رضي الله عنه قال: لم يأكل النبي ﷺ على خوان)** بضم الخاء المعجمة وكسرها وهي المائدة ما لم يكن عليها

حَتَّى مَات، وَما أَكَلَ خُبْزًا مرَقَّقًا حَتَّى مَاتَ». رواه البخاري.

وفي روايةٍ له: «وَلا رَأَى شَاةً سَمِيطًا بِعَيْنِهِ قطُّ».

٤٩٣ - وعنِ النُّعمانِ بنِ بَشِيرٍ رضي اللَّهُ عنهما قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ وما يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ ما يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ». رواه مسلم.

الدقل: تمر رديء.

طعام، وهو معرّب يعتاد بعض المتكبرين والمترفهين الأكل عليه احترازًا من خفض رؤوسهم فهي بدعة لكنها جائزة (**حتى مات وما أكل خبزًا مرققًا**) أي محسنًا ملينًا كخبز الحُوّارى في «النهاية» المرقق هو الأرغفة الواسعة الرقيقة، وظاهر قوله (**حتى مات**) أنه لم يأكل ذلك قبل البعثة ولا بعدها سواء خبز له أو لغيره، ويؤيده رواية البخاري عن أنس الآتية بعده (**رواه البخاري**) في الأطعمة ورواه مسلم أيضًا.

(**وفي رواية له**) أي للبخاري في الرقاق من «صحيحه» عن أنس قال: «فما أعلم النبي ﷺ رأى رغيفًا مرققًا حتى لحق بالله» (**ولا رأى شاة سميطًا بعينه قط**) السميط: هو ما أزيل شعره بماء سخن وشوي بجلده، وإنما يفعل ذلك بصغير السن وهو من فعل المترفهين. وقط بفتح القاف وتشديد الطاء المهملة، ظرف لما مضى من الزمان أي لم يره في شيء من أزمنته ﷺ.

٤٩٣ - (**وعن النعمان**) بضم النون وسكون المهملة (**ابن بشير رضي الله عنهما قال: لقد**) قال أبو حيان: هي لام الابتداء مفيدة لمعنى التوكيد (**رأيت نبيكم ﷺ**) الظاهر أن الرؤية فيه بصرية وجملة (**وما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه**) في محل الحال، وإضافة النبيّ إلى المخاطبين ليحثهم على الاقتداء به والإعراض عن الدنيا ما أمكن (**رواه مسلم**) في ءاخر «صحيحه»، ورواه الترمذي في الزهد من «جامعه» (**الدقل**) بفتح الدال المهملة والقاف (**تمر رديء**) وفي «النهاية» هو رديء التمر ويابسه. وفي «المصباح» الدقل أردأ التمر.

٤٩٤ - وعن سهلِ بنِ سعدٍ رضي اللّهُ عنه قال: ما رَأَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ النَّقِيَّ مِنْ حِينَ ابْتعَثَهُ اللّهُ تعالى حتَّى قَبَضَهُ اللّهُ، فَقيلَ لَهُ: هَلْ كانَ لَكُمْ في عهْدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مَناخلُ؟ قال: ما رَأَى رسولُ اللّهِ ﷺ مُنْخُلاً مِن حِينَ ابْتعَثَهُ اللّهُ تَعالى حتَّى قَبَضَهُ اللّهُ، فَقِيلَ لهُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ الشَّعِيرَ غيرَ منْخُولٍ؟ قال: كُنَّا نَطْحَنُهُ ونَنْفُخُهُ فَيَطيرُ ما طارَ وما بَقِيَ ثَرَّيْناهُ. رواه البخاري.

قوله: «النَّقيّ» هو بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء وهو الخبز الحُوَّارى، وهو: الدَّرْمَكُ.

---

٤٩٤ - (وعن سهل بن سعد) الساعدي **(رضي الله عنه قال: ما رأى رسول الله ﷺ النقي)** قال الحافظ ابن حجر: «أي خبز الدقيق الحواري وهو النظيف الأبيض» ونفي رؤيته مبالغة في نفي أكله **(من حين ابتعثه الله)** أي نبأه وبعثه **(حتى قبضه الله)** أي توفاه سبحانه ونقله إلى دار كرامته **(فقيل له هل كان لكم في عهد)** أي زمن **(رسول الله ﷺ مناخل)** جمع منخل بضم أوله وثالثه المعجم وسكون النون بينهما **(قال: ما رأى رسول الله ﷺ منخلاً من حين)** بالفتح على الأفصح لإضافته الجملة **(ابتعثه الله تعالى)** وقال بعض المحققين: أظنه احترز بهذا عما قبل البعثة لكونه ﷺ سافر تلك المدة إلى الشام تاجرًا **(حتى قبضه)** بفتح الموحدة أي توفاه **(الله إليه فقيل له)** لم أقف على تعيين القائل **(كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول)** بالنصب على الحال ووجه التعجب من ذلك كثرة نخالته فربما نشب في الحلق **(قال: كنا نطحنه وننفخه)** أي المطحون **(فيطير ما طار)** من نخالته **(وما بقي)** بكسر القاف: أي فضل من النخالة في الدقيق بعد نفخه **(ثريناه. رواه البخاري قوله النقي هو بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء وهو الخبز الحوّارى)** بضم المهملة وتشديد الواو وبالراء ثم ألف من الحور: البياض فهو الخبز الأبيض كما قال **(وهو الدرمك)** بفتح الدال وسكون المهملة. قال في «الصحاح»: هو

قوله: «ثَرَّيناهُ» هو بثاءٍ مُثَلَّثةٍ ثم راءٍ مُشَدَّدةٍ ثم ياءٍ مُثَنَّاةٍ مِن تحت ثمَّ نون، أي: بلَلْناهُ وعَجَنَّاهُ.

٤٩٥ - وعنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللّهُ عنه قال: خَرَجَ رسُولُ اللّهِ ﷺ ذاتَ يَوْم أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذا هُوَ بأَبي بكْرٍ وعُمَرَ رضيَ اللّهُ عنهما فقال: «ما أَخْرَجَكُما مِن بُيُوتِكُما هذِهِ السَّاعَةَ؟» قالا: الجُوعُ يا رَسولَ اللّهِ. قالَ: «وَأَنا والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَخْرَجَني الَّذِي أَخْرَجَكُما، قُومُوا» فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ في بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ المَرْأَةُ قالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلاً.

دقيق الحواري اهـ (**قوله ثريناه هو بثاء مثلثة ثم راء مشددة**) مفتوحتين (**ثم ياء مثناة من تحت**) ساكنة (**ثم نون**) الأوضح ثم بالنون لأن ما ذكره يوهم أنها نون النسوة (**أي بللناه**) بفتح أوليه (**وعجناه**) أي فيلين ما يبقى من نخالته فلا ينشب في الحلق.

٤٩٥ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما**) أي ففاجأ خروجه رؤيتهما، وهو مبتدأ والظرف بعده خبر (**فقال، ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟**) أي التي لم تجر العادة بالخروج فيها لأنها ليست وقت صلاة ولا ما يجتمع له من كسوف أو نحوه من الحوادث (**قالا: الجوع يا رسول الله**) أي أخرجنا (**قال**) ﷺ (**وأنا**) الواو فيه للاستئناف (**والذي نفسي بيده**) أي بقدرته فيه ندب القسم لتأكيد الأمر عند السامع والحلف من غير استحلاف (**لأخرجني الذي أخرجكما**) وعند الترمذي في «شمائله» «وأنا وجدت بعض ذلك» أي الجوع. (**قوموا فقاموا**) أي على الفور كما تؤذن الفاء وانصرفوا (**معه فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته**) أي ففاجأ مجيئهم فقدانه من البيت (**فلما رأته**) أي أبصرته (**المرأة**) أي مقبلًا وجمع امرأة نساء ونسوة من غير لفظها (**قالت مرحبًا**) أي وجدت منزلًا رحبًا أي واسعًا فانزل (**وأهلا**) أي وصادفت أهلًا

فقال لها رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «أَيْنَ فُلانٌ؟» قالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا الماءَ، إِذْ جاءَ الأَنْصارِيُّ، فَنَظَرَ إِلى رَسُولِ الله ﷺ وصَاحِبَيْهِ ثُمَّ قالَ: الحَمْدُ للّه ما أَحدٌ اليَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيافًا مِنّي. فانْطَلَقَ فَجَاءَهُم بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وتَمْرٌ ورُطَبٌ فقالَ: كُلُوا، وَأَخَذَ المُدْيَةَ فَقالَ لَهُ رسُولُ اللّهِ ﷺ: «إِيَّاكَ وَالحَلُوبَ»، فَذَبَحَ لهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِن ذلكَ العِذْقِ

فأنس (**فقال لها رسول الله ﷺ: أين فلان؟ قالت: ذهب يستعذب لنا الماء**) يؤخذ منه أن استعذاب الماء لا ينافي شأن الصحابة من الإعراض عن زهرات الدنيا ومستلذاتها (**إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه**) أي وقع النظر إليهم عقب مجيئه وهذا يحتمل أن يكون اتفاقًا (**ثم قال**) أي بعد أن رحب وأظهر كمال الفرح الكامن فيه الكائن عنده بحلول المصطفى في منزله وأتى بما يدل على ذلك (**الحمد لله**) أي هذه نعمة، وقوله (**ما أحد اليوم أكرم أضيافًا مني**) وفيه دليل كمال فضيلته وبلاغته وعظم معرفته لأنه أتى بكلام بديع مختصر في هذا الموطن (**فانطلق**) أي من محل رؤيته من حائطه عقب قول ما ذكر (**فجاءهم بعذق**) العذق الغصن من النخل (**فيه بسر**) هو المتلون من ثمر النخل. قال الجوهري: البسر أوله طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر (**وتمر**) وهو اليابس بإجماع أهل اللغة لأنه يترك على النخل بعد إرطابه حتى يجف أو يقارب ثم يقطع ويترك في الشمس حتى ييبس (**ورطب**) بضم ففتح قال في «المصباح»: الرطب تمر النخل إذا أدرج ونضج قبل أن يجف والجمع رطاب مثل كلبة وكلاب (**فقال: كلوا وأخذ المدية**) بسكون الدال المهملة (**فقال له رسول الله ﷺ: «إياك والحلوب**) وإنما نهى عن ذبحها شفقة على أهله بانتفاعهم بلبنها مع حصول المقصود بغيرها فهو نهي إرشاد لا كراهة في مخالفته لزيادة إكرام الضيف وإن أسقط حقه (**فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق**) أتى بمن التبعيضية إشعارًا بالإعراض عن الدنيا مع تمام الداعية ومزيد

وشَرِبُوا. فَلَمَّا أَن شَبِعُوا وَرَوُوا قال رسولُ اللّهِ ﷺ لأَبي بكْرٍ وعُمَرَ رضيَ اللّهُ عنهما: «وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هذَا النَّعِيمِ يَوْمَ القِيامَةِ، أَخْرَجَكُم مِن بُيُوتِكُمُ الجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هذا النعيمُ». رواهُ مسلم.

قولها: «يستعذب»: أي يطلب الماء العذب وهو الطيب. و«العذق»: بكسر العين وإسكان الذال المعجمة: وهو الكِباسةُ، وهي الغُصنُ. و«المُدْيَةُ» بضم الميم وكَسْرِها: هي السّكينُ. و«الحلوبُ»: ذات اللبن. والسؤالُ عن هذا النعيم

الحاجة (**وشربوا**) أي من الماء العذب (**فلما أن شبعوا ورووا**) بضم الواو (**قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: والذي نفسي بيده**) أي قبض روحي بقدرته (**لتسألن**) بضم التاء والفعل مبني للمجهول ونائب الفاعل واو الجماعة فحذف لالتقاء الساكنين (**عن هذا النعيم يوم القيامة**) ثم قال مبينًا وجه السؤال المذكور على وجه الاستئناف البياني (**أخرجكم من بيوتكم**) بضم الموحدة (**الجوع**) ونسبة الإخراج إليه مجاز عقلي من الإسناد إلى السبب، وإلا فالمخرج لهم من منازلهم هو الله تعالى (**ثم لم ترجعوا**) بالبناء للفاعل (**حتى أصابكم هذا النعيم**) وهو الطعام والشراب (**رواه مسلم**) في أواخر «صحيحه».

(**قولها: يستعذب أي يطلب الماء العذب**) فالسين فيه للطلب، وفي «الصحاح» استعذب لنا الماء استقى لنا ماء عذبًا واستعذب الماء سقاه عذبًا اهـ. وإنما ذهب لطلب الماء العذب لأن أكثر مياه المدينة حينئذ كانت مالحة (**وهو**) أي الماء العذب (**الطيب**) أي ما يستطاب من الماء (**والعذق بكسر العين**) المهملة (**وإسكان الذال المعجمة وهو الكباسة**) هي بالكسر عنقود النخل (**وهي**) أي الكباسة (**الغصن**) أي من أغصان النخل (**والمدية بضم الميم**) بوزن غرفة وجمعها غرف (**وكسرها هي السكين**) (**والحلوب**) بفتح الحاء المهملة وضم اللام (**ذات اللبن والسؤال عن هذا النعيم**)

سُؤالُ تَعديد النِعَم لا سُؤالُ تَوبيخ وتعذيب، واللَّهُ أعلم. وهذا الأنصاريُّ الذي أَتَوْهُ هو أبو الهيثمِ بنُ التَّيِّهان، كذا جاء مُبَيَّنًا في رواية الترمذي وغيره.

٤٩٦ - وعنْ خالِد بنِ عُمَيرٍ العَدَويّ قال: خَطَبَنا عُتْبَةُ بنُ غَزْوانَ وكان أَمِيرًا عَلى البَصْرَةِ، فَحمِدَ اللّهَ تَعالى وأَثْنى عَلَيْهِ ثُمَّ قالَ: أَما بعْدُ،

المؤكد بالقسم واللام وذلك لاستبعادهم له فإنه من حاجة جافة، لا من شهوة وحظ نفس (**سؤال تعداد النعم**) والامتنان بها وإظهار الكرامة بإساغتها (**لا سؤال توبيخ**) وفي «المصباح» وبخته توبيخًا: لمته على سوء فعله وعنفته وعتبت عليه كلها بمعنى (**وتعذيب**) أي يتسبب عن كفرانها وعدم شكرها لأن ذلك غير كائن للصاحبين فيما تناولاه حينئذ. وإنما ذكر المصطفى ﷺ ذلك إرشادًا للآكلين والشاربين في حفظ أنفسهم في الشبع عن الغفلة باشتغال أحدهم بحظ نفسه ونعمتها عن تذكر الآخرة (**وهذا الأنصاري الذي أتوه هو أبو الهيثم**) بهاء مفتوحة وسكون التحتية وفتح المثلثة كنية مالك (**ابن التيهان**) بفتح الفوقية وتشديد التحتية (**كذا جاء مبينًا في رواية الترمذي**) من حديث أبي هريرة نفسه (**وغيره**) كابن ماجه.

٤٩٦ - (وعن خالد بن عمير) بضم العين وفتح الميم والراء (**العدوي**) بفتح المهملتين وهي نسبة إلى عدي بفتح فكسر، وخالد هذا بصري. قال الحافظ العسقلاني في «التقريب»: مقبول من كبار التابعين (**قال خطبنا عتبة**) بضم المهملة وسكون الفوقية بعدها موحدة فهاء تأنيث (**ابن غزوان**) بفتح الغين المعجمة وسكون الزاي قال الحاكم قال الواقدي: كان عتبة طوالًا جميلًا قديم الإسلام هاجر إلى الحبشة وكان من الرماة المذكورين (**وكان أميرًا على البصرة**) بتثليث الموحدة كما حكاه الأزهري وأفصحهن الفتح وهو المشهور، بناها عتبة بن غزوان في خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنها الناس سنة ثماني عشرة (**فحمد الله تعالى**) أي أثنى عليه (**وأثنى عليه**) بسلب ما لا يليق به سبحانه عنه (**ثم قال أما بعد**) أتى بها اقتداء به ﷺ فقد كان يأتي بها في خطبه

فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ ءاذَنَتْ بِصُرْم ووَلتْ حَذَّاءَ وَلَمْ يَبْقَ منْها إِلا صُبابَةٌ كَصُبابَةِ الإِناءِ يَتَصَابُّها صاحِبُّها، وإِنكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْها إِلى دارٍ لا زَوَالَ لهَا، فانْتقلُوا بخَيْرِ ما بِحَضْرَتِكُم فَإِنَّهُ قَد ذُكِرَ لَنا أَنَّ الحَجَرَ يُلْقَى مِن شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيها سَبْعِينَ عامًا لا يُدْرِكُ لهَا قَعْرًا، واللّهِ لَتُمْلأَنَّ أَفَعَجِبْتُمْ؟

(**فإن الدنيا قد ءاذنت بصرم**) لتحول أحوالها الدال على حدوثها، وكل ما ثبت حدوثه وجب قبوله للعدم (**وولت حذاء**) أي منقطعة، ومنه قال للقطاة حذاء أي منقطعة الذنب قصيرته، وهذا مثل فكأنه قال: إن الدنيا قد انقطعت مسرعة (**ولم يبق منها إلا صبابة**) لأنه ﷺ قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بإصبعيه الوسطى والمسبحة (**كصبابة الإناء يتصابها صاحبها وإنكم منتقلون منها**) إذ هي دار ارتحال وانتقال (**إلى دار لا زوال لها**) ولا ارتحال عنها (**فانتقلوا**) أي من الدنيا (**بخير ما بحضرتكم**) أي بكسب صالح الأعمال وادخار الحسنات عند المولى سبحانه، جعل الخير المتمكن منه في الحياة كالحاضر المحتاج إليه في المآل، فصاحب الحزم يدخر منه حاجته لينتفع به عند احتياجه إليه (**فإنه قد ذكر لنا**) ببناء ذكر للمجهول، وحذف الفاعل للعلم به أنه المصطفى ﷺ (**أن الحجر يلقى من**) ابتدائية (**شفير جهنم**) أي حرفها. وشفير كل شيء حرفه أيضًا كالبئر والنهر (**فيهوي**) بكسر الواو أي ينزل (**فيها سبعين**) أي في قدر سبعين (**عامًا لا يدرك**) بالبناء للفاعل أي لا يصل والإسناد فيه مجازي والحقيقي لا يوصله الله (**لها قعرًا**) بفتح القاف وسكون العين وهو كما في «المصباح» أسفل الشيء وجمعه قعور اهـ (**والله لتملأن**) بالبناء للمجهول للعلم بالفاعل سبحانه أي وإذا كان كذلك وتمتلئ عن ءاخرها فاحذروا من مخالفته سبحانه لئلا توبقكم المخالفة وتوقعكم فيها المعصية، ولما كان ما ذكره أمرًا عظيمًا جدًّا قال على وجه التقرير (**أفعجبتم**) أي من هذا الأمر الدال على عظم قدرة الله سبحانه وكمال جلاله وقوة انتقامه، ولما حصل عند الحاضرين من مزيد

ولَقَدْ ذُكِرَ لَنا أَنَّ ما بَيْنَ مِصْراعَيْنِ مِن مَصاريعِ الجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ عامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْها يَوْمٌ وهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِحام، وَلَقَدْ رأَيْتُني سابعَ سبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ما لَنا طَعامٌ إلا وَرَقُ الشَّجَرِ حتى قَرِحَتْ أَشْداقُنا، فالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُها بَيْني وَبَيْنَ سَعْدِ بنِ مالكٍ،

الرهبة وعظيم الخوف مما سمعوه حتى كادوا أن يظنوا عموم العذاب لجميعهم، أراد رفع ذلك عنهم وإدخالهم في ميدان الرجاء إعلامًا بسعة رحمة الله تعالى وكمال فضله، فأكد ذلك بالقسم المقدر الدال عليه اللام في قوله (**ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين**) بكسر الميم تثنية مصراع، ومصراع الباب ما بين عضادتيه وهو ما يسده الغلق وفي «المصباح»: المصراع من الباب الشطر وهما مصراعان (**من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما**) برفع مسيرة خبر أن، وإذا كان هذا سعة الباب وأبوابها ثمانية وبين كل بابين خمسمائة عام كما تقدم في حديث: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام» فما بالك بسعة باطنها ويكفيك في ذلك قوله تعالى ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة ءال عمران] والعادة جارية أن الطول أزيد من العرض (**وليأتين عليها**) أي الجنة (**يوم**) هو وقت دخولها (**وهو**) أي المصراع أن محله من الباب (**كظيظ من الزحام**) وذلك يدل على كثرة الداخلين بعموم الرحمة ومزيد الفضل والزحام بكسر الزاي مصدر زاحمه أي دافعه (**ولقد رأيتني سابع سبعة**) حال أي واحدًا من سبعة (**مع رسول الله ﷺ**) حال من فاعل رأى، وقوله (**ما لنا طعام إلا ورق الشجر**) يحتمل أن تكون في محل الحال من فاعل رأى، وقوله (**حتى قرحت أشداقنا**) غاية لمقدر أي فأكلناه إلى أن قرحت جوانب أشداقنا جمع شدق بكسر الشين المعجمة كحمل وأحمال (**فالتقطت بردة**) أي عثرت عليها من غير قصد وطلب، وهي شملة مخططة وقيل: كساء أسود مربع، والبرد بغير تاء نوع من ثياب اليمن (**فشققتها بيني وبين سعد بن مالك**) هو ابن أبي وقاص أحد

فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِها وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصفِها، فَما أَصْبَحَ اليَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إلا أَصْبَحَ أَميرًا عَلى مِصرٍ مِن الأَمْصارِ، وإِني أَعُوذُ باللّهِ أَنْ أَكُونَ في نَفْسي عَظِيمًا وعِنْدَ اللّهِ صَغِيرًا. رواهُ مسلم.

قوله: «ءاذنَتْ»: هُوَ بِمَدّ الألِفِ، أي أَعْلَمَت. وقوله: «بِصُرْم»: بضم الصَّاد، أي: بانقطاعها وفنائها. وقوله: «وولَّت حَذَّاءَ» هو بحاءٍ مهملةٍ مفتوحةٍ ثمَّ ذال معجمة مشدَّدة ثمَّ ألف ممدودة، أي: سريعةً. و«الصبابة» بضم الصَّاد المهملة: وهي البقيَّة اليسيرةُ.

العشرة المبشرين بالجنة (**فاتزرت**) بتشديد الفوقية (**بنصفها واتزر سعد بنصفها**) ثم مبادرته بشقها عقب التقاطها كما تؤذن به الفاء إما لعلمه برضا صاحبها وإما بإعراضه عنها لسقوطها وتمزقها أو لمعرفته بمالكها فإنه يرضى بذلك (**فما أصبح**) أي صار (**اليوم منا أحد**) اسم أصبح (**إلا أصبح أميرًا على مصر من الأمصار**) أشار به إلى اتساع الحال عليهم بعد ضيقه أولا (**وإني أعوذ**) أي أعتصم (**بالله**) من (**أن أكون في نفسي عظيمًا**) بأن يوهمني ذلك الشيطان والنفس (**وعند الله صغيرًا**) لا يقبل علي بالفضل والإحسان، ولا ينصب لعملي وزن إذا نصب الميزان، قال ﷺ: «يجاء يوم القيامة بالرجل العظيم لا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرءوا إن شئتم ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة الكهف] «أو كما قال (**رواه مسلم**) أواخر «صحيحه» ورواه الترمذي في «جامعه».

(**قوله: ءاذنت هو بمد الألف**) أي وبالذال المعجمة (**أي أعلمت وقوله: بصرم بضم الصاد**) أي المهملة وسكون الراء (**أي بانقطاعها وفنائها**) الأولى بانقطاع لأن المفسر غير مضاف إليها وإن كان الكلام فيها.

(**وقوله: وولت حذاء**) و(**هو بحاء مهملة مفتوحة ثم ذال معجمة مشددة ثم ألف ممدودة: أي سريعة**) هذا تفسير للحذاء لا لمجموع المحكي كما قد توهمه عبارته، ولو قال: أي أدبرت سريعة أو قال حذاء أي سريعة لسلم من ذلك الإبهام (**والصبابة بضم الصاد المهملة**) وبموحدتين خفيفتين بينهما ألف (**وهي البقية اليسيرة**) كذا في الأصول بإثبات الواو على أن

وقوله: «يتصابُّها» هو بتشديد الباء قبل الهاء، أي: يجمعها. و«الكظيظ»: الكثير الممتلئ. وقوله: «قَرِحَت» هو بفتح القاف وكسر الراء، أي صار فيها قروحٌ.

٤٩٧ - وعنْ أَبي موسى الأَشْعَرِيّ رضي اللّهُ عنه قال: أَخْرَجَتْ لَنا عائِشَةُ رضيَ اللّهُ عنها كِساءً وَإِزارًا غَلِيظًا قالَتْ: قُبِضَ رسُولُ اللّهِ ﷺ في هَذَيْنِ. متفقٌ عليه.

الخبر الظرف السابق على الجملة وهي معطوفة عليه، ثم قوله: البقية غير مقيدة بشيء هو ما قاله غيره ومنهم القرطبي والدميري.

(**وقوله يتصابها**) بفتح التحتية والفوقية (**هو بتشديد الموحدة**) من باب التفاعل فأدغمت الموحدة في مثلها (**قبل الهاء أي يجمعها والكظيظ**) بفتح الكاف وكسر الظاء المعجمة الأولى وسكون التحتية بينهما (**الكثير**) بالمثلثة (**الممتلئ**) في «النهاية» حديث عتبة في باب الجنة «وليأتين عليه يوم وهو كظيظ» أي ممتلئ، والكظيظ الزحام.

(**وقوله: قرحت هو بفتح القاف وكسر الراء**) وبالحاء المهملة (**أي صار فيها قروح**) بضمتين جمع قرح بفتح القاف وضمها، وفي «مفردات الراغب»: القرح الأثر من الجراحة من شيء يصيبه من خارج، والقرح أثرها من داخل كالبثرة ونحوها.

٤٩٧ - (**وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: أخرجت لنا عائشة كساء**) بكسر الكاف (**وإزارًا**) بكسر الهمزة اسم لما يستر أسافل البدن (**غليظًا**) أي ثخينًا، وإخراجها ذلك لتبين إعراضه ﷺ عن الدنيا إلى مفارقته لها وتهييجًا للمقتدين به المتبعين سبيله على ذلك ولذا (**قالت: قبض رسول الله ﷺ في هذين**) زاد مسلم في رواية له: «الثوبين» (**متفق عليه**) رواه البخاري في الخمس وفي اللباس، ومسلم في اللباس، ورواه أبو دواد والترمذي وقال: حسن صحيح، والنسائي.

٤٩٨ - وعن سَعدِ بنِ أَبي وَقَّاصٍ رضيَ اللّهُ عنه قال: إِنّي لأَوَّلُ العَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ في سَبِيلِ اللّهِ، وَلَقَدْ كُنا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ما لَنَا طَعَامٌ إِلا وَرَقُ الحُبْلَةِ وَهذا السَّمُرُ، حَتى إِنْ كانَ أَحَدُنا لَيَضَعُ كما تَضَعُ الشاةُ ما لَهُ خِلْطٌ. متفقٌ عليه.

«الحُبْلة»: بضم الحاء المهملة وإسكان الباء المُوَحَّدة وهي والسَّمُرُ نوعانِ معروفانِ مِنَ شجر الباديةِ.

٤٩٩ - وعنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ

---

٤٩٨ - (وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: إني لأول العرب) ممن **(رمى بسهم في سبيل الله)** وذلك في بعث حمزة وعبيدة بن الحارث وهي ثاني سرية في الإسلام **(ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الحبلة وهذا السمر حتى)** غاية لكون طعامهم ذلك **(إن)** مخففة من الثقيلة **(كان أحدنا ليضع)** كناية عن الغائط **(كما تضع الشاة)** أي من البعر ليبسه وعدم ألفة المعدة له وهذا كان سنة ثمان في غزوة الخبط وأميرهم أبو عبيدة **(ما له خلط)** بكسر الخاء المعجمة أي لا يختلط بعضه ببعض من شدة جفافه ويبسه، وهذا باعتبار ما كانوا عليه من الضيق أول الإسلام وامتحانًا ليظهر صدق ثباتهم. قال النووي: «وفي هذا بيان ما كانوا عليه من الزهد في الدنيا والتقلل منها والصبر في طاعة الله تعالى على المشاق الشديدة» **(متفق عليه)** رواه البخاري في فضل سعد في الأطعمة، وفي «الرقائق» ومسلم في أواخر كتابه **(الحبلة بضم الحاء المهملة وإسكان الباء الموحدة، وهي والسمر)** قال في «المصباح»: شجر الطلح وهو نوع من العضاه الواحد سمرة اهـ **(نوعان معروفان من شجر البادية)** وقال ابن الأعرابي: ثمرة السمر شبه اللوبيا.

٤٩٩ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم اجعل رزق) بكسر الراء مصدر بمعنى المفعول أي من ينتفعون به

ءالِ مُحَمَّدٍ قُوتًا». متفقٌ عليه.

قال أَهْلُ اللغَة والْغَرِيبِ: معْنَى «قُوتًا» أَيْ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ.

٥٠٠ - وعنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: وَاللّهِ الذي لا إِلَه إِلا هُوَ، إِن كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِن كُنْتُ لأَشُدُّ الحَجَرَ عَلى بَطْني مِنَ الجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلى طَرِيقِهِمُ الذي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ بيَ النَّبيُّ ﷺ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَءاني وَعَرَفَ مَا في وَجْهي وَمَا في نَفْسِي

مأكلًا ومشربًا وملبسًا (**ءال محمد**) قال الثعالبي في «تفسير الجواهر الحسان»: وعندي أن المراد بآل محمد هنا متبعوه ﷺ (**قوتًا. متفق عليه**) أي بالمعنى وإلا فاللفظ لمسلم في إحدى رواياته. (**قال أهل اللغة**) هم الحاكون لمعاني المفردات عن العرب (**والغريب**) هم المتكلمون على مفردات الكتاب والسنة (**معنى قوتًا: أي ما يسد الرمق**) في «المصباح» القوت ما يؤكل ليمسك الرمق.

٥٠٠ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله إلا هو**) أتى به لتأكيد ما بعده في ذهن سامعه (**إن**) مخففة إني (**كنت لأعتمد بكبدي**) بفتح الكاف (**على الأرض**) قال الحافظ ابن حجر: «أي ألصق بطني بالأرض» (**من الجوع**) وكأنه كان يستفيد بذلك ما يستفيده من شَدّهِ الحجر على بطنه (**وإني كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع**) كعادة العرب وأهل الرياضة أو أهل المدينة كانوا يفعلون ذلك إذا خلت أجوافهم لئلا تسترخي أمعاؤهم فتثقل عليهم الحركة وبربط الحجر تشتد البطن والظهر فتسهل عليهم الحركة حينئذ (**ولقد قعدت يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه**) أي إلى مطالبهم، وذلك لئلا يفوتوه قال الحافظ ابن حجر: «الضمير للنبي ﷺ وبعض أصحابه ممن كان طريق منازلهم إلى المسجد متحدة» (**فمرّ بي النبيّ ﷺ**) وهذا الخبر وأمثاله يدل عليه، إذ لو كان حاله ﷺ بخلاف ذلك لما بلغ حال أصحابه في الفقر إلى ما ذكر في الخبر لما علم من كمال كرمه وإيثاره على نفسه ﷺ (**فتبسم حين رءاني وعرف ما في وجهي وما في نفسي**) قال الحافظ ابن حجر:

ثُمَّ قال: «أَبا هِرّ» قلتُ: لَبَّيْكَ يا رسولَ اللَّهِ، قال: «الحَقْ» وَمَضَى فَاتَّبَعْتُهُ فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ له فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَنًا في قَدَحٍ فقال: «مِنْ أَيْنَ هذَا اللَّبَنُ؟» قالوا: أَهْداهُ لَكَ فُلانٌ - أَوْ فُلانَةٌ - قال: «أَبا هِرّ» قلتُ: لَبَّيْكَ يا رسولَ اللّهِ، قال: «الحَقْ إِلى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لي» قال: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلامِ لا يَأْوُونَ عَلى أَهْلٍ وَلا مَالٍ وَلا عَلى أَحَدٍ،

«استدل أبو هريرة بتبسمه ﷺ على أنه عرف ما به، لأن التبسم تارة يكون لما يعجب وتارة يكون لإيناس من تبسم إليه ولم تكن تلك الحالة معجبة فقوي الحمل على الثاني» (**ثم قال يا أبا هر**) بتشديد الراء، وقال الحافظ: «وهو من رد الاسم المؤنث إلى المذكر والمصغر إلى المكبر، فإن كنيته في الأصل أبو هريرة تصغير هرة مؤنثًا، وأبو هرّ مذكر مكبر» (**قلت: لبيك يا رسول الله**) أي إجابة بعد إجابة (**قال الحق**) بهمزة وصل وفتح الحاء المهملة أي اتبع (**ومضى**) أي إلى سبيل بيته (**فاتبعته**) بتشديد الفوقية (**فدخل**) زاد علي بن مسهر إلى أهله (**فاستأذن**) قال في «الفتح»: بهمزة بعد التاء وفي رواية ابن مسهر: فاستأذنت بضمير المتكلم (**فأذن له**) يحتمل أن يقرأ بالبناء للفاعل أي النبيّ ﷺ وأن يقرأ بالبناء للمفعول ما لم تكن رواية فيوقف عندها (**فدخل فوجد لبنًا في قدح فقال: من أين هذا اللبن؟**) وفي رواية ابن مسهر من أين لكم (**قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة**) كذا بالشك وقال الحافظ: «ولم أقف على اسم من أهداه» (**قال: أبا هرّ قلت: لبيك يا رسول الله**) بإثبات حرف النداء (**قال: الحق إلى أهل الصفة**) ضمن الحق معنى انطلق فلذا عداه بإلى (**فادعهم لي، قال**) أي أبو هريرة وسقط من رواية روح ولا بد منها فإن قوله (**وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد**) إلى ءاخر ما يأتي من بيان شأنهم من كلام أبي هريرة شرح به حال أهل الصفة والسبب الداعي لدعائهم، وأنه ﷺ كان يخصهم بالصدقة ويشركهم فيما يأتيه من الهدية. ووقع في رواية يونس ما يشعر بأن أبا هريرة كان

[وَكَانَ] إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذلكَ فَقُلْتُ: وَمَا هذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ؟ كُنْتُ أَحَقُّ أَنْ أُصِيب مِنْ هذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذا جَاءُوا أَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَن يَبْلُغَنِي مِنْ هذَا اللَّبَنِ وَلَمْ يَكُن مِن طَاعَةِ اللّهِ وَطَاعَةِ رسوله ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ

منهم، وقد عدّه فيهم السخاوي في مؤلفه في أهل الصفة. والصفة بناء في مؤخر المسجد منزل فقراء المهاجرين مما لا مال له ولا معارف بالمدينة (**وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول**) وفي رواية روح ولم يصب (**منها شيئًا**) أي لنفسه وزاد روح ولم يشركهم فيها لحرمة الصدقة عليه لعلو مقامه (**وإذا أتته هدية أرسل إليهم**) أي ببعضها كما يدل عليه قوله: (**وأصاب منها وأشركهم فيها**) وهذه الجملة الأخيرة كالإطناب فيها إيماء إلى أنه يجعل لهم منها حظًا وافرًا، وأما هو في نصيبه منها فلا يستكثر إيثارًا (**فساءني**) بالمد أي أحزنني (**ذلك**) أي قوله: ادعهم لي لمزيد ضرورتي وشدة فاقتي ظن أن ذلك اللبن لا يزيد عن حاجته كما هو مقتضى العادة فيه فلذا قال (**فقلت وما هذا اللبن**) والواو عاطفة على محذوف والإشارة للتحقير (**في أهل الصفة؟**) وهم عدد كثير، وفي رواية: «وأين يقع هذا اللبن في أهل الصفة؟» (**كنت أحق**) أي أولى به (**أن أصيب**) أي أولى منهم إصابة (**من هذا اللبن شربة أتقوى بها**) أي أصير ذا قوة من ضعف الجوع بسببها (**فإذا جاءوا**) قال الحافظ في «الفتح» كذا فيه بالإفراد: أي من أمرني بطلبه، والأكثر جاءوا بصيغة الجمع اهـ (**أمرني**) أي النبي ﷺ (**فكنت أنا أعطيهم**) وكأنه عرف ذلك بالعادة لأنه كان يلازم النبي ﷺ ويخدمه (**وما عسى أن يبلغني**) قال الحافظ: «أي يصل إليّ بعد أن يكتفوا منه» (**من هذا اللبن**) بعد أن يكتفوا منه (**ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد**) أي محيد وذلك لأن شكر المنعم سبحانه واجب شرعًا وطاعة الرسول ﷺ طاعة له سبحانه، قال تعالى ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة النساء] (**فأتيتهم**)

فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا وَاسْتَأْذَنوا فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ قال: «يا أَبا هِرّ» قلتُ: لَبَّيْكَ يا رسولَ اللّهِ، قال: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ» قال: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ثُمَّ يَرُدُّ علَيَّ الْقَدَحَ فَأُعْطِيهِ الآخَر فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَأُعْطِيهِ الآخَر فَيَشْرَبُ حتَّى يَرْوَى ثُمَّ يَرُدُّ عَليَّ القَدَحَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلى النَّبِيّ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ على يَدِهِ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فقال: «أَبا هِرّ» قلتُ: لَبَّيْكَ يا رسولَ اللَّهِ، قال: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ»

أي عقب الأمر لي بدعوتهم وإن كان على خلاف هواي (**فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا**) أي سألوا الإذن في الدخول (**فأذن لهم**) بالبناء للفاعل أي النبي ﷺ، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الأحزاب] (**فأخذوا مجالسهم**) أي فقعد كل منهم في المجلس اللائق به (**من البيت**) أي بيت النبي ﷺ (**قال: يا أبا هرّ: قلت لبيك يا رسول الله، قال: خذ**) أي قدح اللبن المدلول (**فأعطهم، فأخذت القدح فجعلت**) أي شرعت (**أعطيه الرجل**) والإتيان به حكاية للحال الماضية إشارة لكمال استحضار القصة (**فيشرب حتى يروى ثم**) فيه إيماء إلى طول شرب الرجل منهم، وذلك لمزيد الجوع وتمام الفاقة (**يرد**) بالبناء للفاعل (**عليّ القدح فأعطيه**) أي عقب رده (**الآخر**) أي الذي إلى جنبه (**فيشرب حتى يروى ثم يرد عليّ القدح**) وقوله: (**حتى انتهيت إلى النبي ﷺ**) أي فأعطيه غاية لمقدر أي عممتهم أجمعين حتى انتهيت إليه ﷺ (**وقد روي القوم كلهم**) جملة في محل الحال (**فأخذ القدح**) أي وقد بقيت فيه فضلة من اللبن كما في رواية روح (**فوضعه على يده فنظر إلي فتبسم**) قال الحافظ: «كأنه ﷺ تفرس في أبي هريرة ما كان وقع في توهمه أن لا يفضل له شيء من اللبن فلذلك تبسم» (**فقال: أبا هر**) كذا في رواية (**قلت: لبيك يا رسول الله، قال: بقيت أنا وأنت**) كأنه بالنسبة لمن حضر من أهل الصفة، وأما من كان في البيت

قلتُ: صَدَقْتَ يا رسولَ اللَّهِ، قال: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ» فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ: فقال: «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ» حَتَّى قُلْتُ: لا وَالَّذي بَعَثَكَ بالحَقّ لا أَجِدُ لَهُ مسْلَكًا قال: «فَأَرِني» فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فحَمِدَ اللَّهَ تعالى وسَمَّى وَشَرِب الْفَضْلَةَ». رواه البخاري.

من أهل النبي ﷺ فلم يتعرض لذكرهم، والذي في القدح نصيبه ﷺ **(قلت: صدقت يا رسول الله قال: اقعد فاشرب)** فيه أن اللبن كغيره من المشروبات في استحباب الجلوس عند شربه، بخلاف المص للمشروب فإنه يستحب فيما عدا اللبن، أما هو فيعبه عبًا لأن ما شرع له المص من خوف الشرقة به مفقود في اللبن لقوله تعالى ﴿سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة النحل] **(فقعدت فشربت فما زال يقول لي: اشرب)** أي لما علم من مزيد حاجته وشدة فاقته ولأنه ربما يترك بعض حاجته ليبقى بعضه للنبي ﷺ فأمره بذلك ليستوفي إربه، وظاهر أنه كرّر ذلك مرارًا، والمذكور في أدب الضيافة أن المضيف يقول نحو ذلك للضيف إلى ثلاثة لا يجاوزها **(حتى قلت: لا)** المنفي محذوف أي لا أشرب ثم علل ذلك على وجه الاستئناف البياني مؤكدًا بالقسم بقوله **(والذي بعثك)** أي أرسلك ملتبسًا **(بالحق لا أجد له مسلكًا)** أي مكانًا يسلك فيه مني **(قال فأرني)** وفي رواية روح فقال: ناولني القدح **(فأعطيته القدح فحمد الله تعالى)** أي على ما منَّ به من البركة في اللبن المذكور مع قلته حتى روي القوم كلهم وأفضلوا **(وسمى)** في ابتداء الشرب **(وشرب الفضلة)** أي البقية **(رواه البخاري)** في «الرقاق» وفي الحديث من الفوائد من علامات النبوة تكثير الطعام والشراب ببركته ﷺ، وفيه جواز الشبع ولو بلغ أقصى غايته أخذًا من قول أبي هريرة لا أجد له مسلكًا، وتقرير النبيّ ﷺ له على جوازه خلافًا لمن قال بتحريمه، والجمع بين ذلك وبين الأحاديث الواردة بالزجر عن الشبع بحمل الزجر على متخذ الشبع عادة لما يترتب عليه من الكسل عن العبادة وغيرها، وحمل الجواز على من وقع له ذلك نادرًا لا سيما بعد شدة جوع واستبعاد حصول شيء بعده عن قرب.

٥٠١ - وعن مُحَمَّدِ بنِ سِيْرِيْنَ عنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضي اللَّهُ عنه قال: لَقَدْ رأَيْتُني وإِنّي لأَخِرُّ فِيما بيْنَ مِنْبَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إِلى حُجْرَةِ عائِشَةَ رضي اللَّهُ عنها مَغْشِيًّا عَلَيَّ فَيجِيءُ الجَائي فيَضَعُ رِجْلَهُ عَلى عُنُقي وَيرَى أَنّي مَجْنُونٌ وما بي مِن جُنُونٍ ما بي إِلا الجُوعُ. رواه البخاري.

٥٠٢ - وعنْ عائشةَ رضيَ الله عنها قَالَتْ: تُوُفّي رسولُ اللَّهِ ﷺ ودِرْعُهُ مرْهُونَةٌ عِند يهودِيٍ

---

٥٠١ - (**وعن محمد بن سيرين**) بكسر المهملة غير منصرف للعلمية والعجمة، وابن سيرين تابعي يكنى أبا بكر، بصري ثقة ثبت، عابد كبير القدر من أوساط التابعين، مات سنة عشر ومائة (**عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لقد رأيتني**) أي أبصرتني وهذا طرف من أواخر حديثه (**وإني لأخر**) بكسر الخاء المعجمة أي لأسقط (**فيما**) أي في المكان الذي (**بين منبر**) بكسر فسكون ففتح (**رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة رضي الله عنها**) أي ما بين ساحات المنبر إلى حجرة عائشة وما بين المنبر وحجرة عائشة أي بيتها، وهي مدفنه ﷺ حذاء الروضة طولا (**مغشيًا علي**) هذا محط الفائدة ومقصد الإخبار: أي مغمى علي، والإغماء زوال الشعور مع فتور في الأعضاء (**فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أني مجنون**) أي وتلك عادتهم بالمجنون حتى يفيق (**وما بي من**) مزيدة للتنصيص على العموم الظاهر فيه (**جنون**) لكونه نكرة في سياق النفي (**وما بي**) الباء فيه سببية أي ليس سبب إغمائي (**إلا الجوع. رواه البخاري**) في باب الاعتصام، ورواه الترمذي في الزهد من «جامعه».

٥٠٢ - (**وعن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي رسول الله ﷺ ودرعه**) بكسر الدال المهملة ما يلبس في الحرب (**مرهونة عند يهودي**) هو أبو الشحم رجل من بني ظفر، وظفر بفتح الظاء والفاء بطن من الأوس، قال العلماء: الحكمة في عدوله ﷺ عن معاملة مياسير الصحابة إلى معاملة اليهود، إما لبيان الجواز، أو لأنهم لم يكن عندهم

في ثَلاثِينَ صاعًا من شَعِيرٍ. متفقٌ عليه.

٥٠٣ - وعنْ أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه قال: رَهَنَ النَّبيُّ ﷺ دِرْعهُ بِشَعِيرٍ، ومشيْتُ إِلى النَّبيّ ﷺ بِخُبْزِ شَعيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، وَلَقَدْ سمِعْتُهُ يقُولُ: «ما أَصْبحَ لآلِ مُحَمَّدٍ إلا صاعٌ ولا أَمْسَى» وَإِنَّهُمْ لَتِسْعَةُ أَبْيَاتٍ.

إذ ذاك طعام فاضل عن حاجة من عندهم، أو خشي أنهم لا يأخذون ثمنًا أو عوضًا فلم يرد التضييق عليهم **(في ثلاثين صاعًا)** ووقع لابن حبان عن أنس أن قيمة الطعام كانت دينارًا **(من شعير)** وفي «فتح الباري»: فيه أي في حديث: «توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة» دليل على أن المراد بقوله ﷺ في حديث أبي هريرة: «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه» وهو حديث صححه ابن حبان وغيره من لم يترك عند صاحب الدين ما يحصل به الوفاء وإليه جنح الماوردي، وذكر ابن الطلاع في الأقضية النبوية أن أبا بكر أفتك الدرع بعد النبي ﷺ **(متفق عليه)** رواه البخاري في أبواب من «صحيحه» ورواه مسلم في البيوع.

٥٠٣ - (وعن أنس رضي الله عنه قال: رهن النبيّ ﷺ درعه) لفظ البخاري درعًا له، فيه أنه من أدراعه لا الذي كان يعتاد لبسه **(بشعير)** أي مقابلة بثمن الشعير الذي شراه ﷺ نسيئة **(ومشيت إلى النبي ﷺ بخبز شعير)** قال الحافظ ابن حجر: «ووقع لأحمد عن أنس: «لقد دعي نبي الله ﷺ ذات يوم على خبز شعير وإهالة سنخة»، فكأن اليهودي دعا النبي ﷺ على لسان أنس، فلذا قال: مشيت إليه بخلاف ما يقتضيه ظاهره أنه حضر ذلك إليه» **(وإهالة سنخة)** بالسين المهملة، ففيه إعراضه ﷺ عن المشتهيات واجتزاؤه بما يسد الحاجة من القوت حتى حمل إليه مثل ذلك **(ولقد سمعته)** أي قال أنس: سمعت النبي ﷺ **(يقول)** مسليًا لأولي الفقر والحاجة من أمته **(ما أصبح لآل محمد)** أي عندهم كقوله تعالى ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة الإسراء] أي عنده **(إلا صاع)** أي مكيلة من الطعام **(ولا أمسى)** أي لهم سواه **(وإنهم)** أي ءاله الذين ينفق عليهم من زوجاته ومن يلوذ بهن **(لتسعة أبيات)** هذا بالنسبة

رواه البخاري.

«الإهالة»: بكسر الهمزة: الشَّحْمُ الذَّائبُ. و«السَّنِخَةُ» بالنون والخاء المعجمة، وهِيَ: المتغيِّرَة.

٥٠٤ - وعنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: لقَدْ رَأَيْتُ سبْعينَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفّةِ ما مِنْهُمْ رَجلٌ عَلَيْه رِدَاءٌ، إِمَّا إِزارٌ وإِمَّا كِسَاءٌ قَدْ ربطُوا في أَعْنَاقِهم مِنهَا ما يَبْلُغُ نِصفَ السَّاقَيْنِ وَمِنهَا ما يَبلُغُ الكَعْبَينِ فيَجمعُهُ

للزوجات، وكانت له مارية وريحانة يطؤهما بملك اليمين وأنه لم يقله متضجرًا ولا شاكيًا معاذ الله إنما قاله معتذرًا عن إجابته لدعوة اليهودي ولرهنه درعه عنده (**رواه البخاري**) في البيوع والرهن (**الإهالة بكسر الهمزة**) وتخفيف الهاء واللام (**الشحم الذائب**) وفي «المصباح» هي الودك المذاب، وفي «التحفة»: هي ما يؤتدم به من الأدهان كالألية (**والسنخة بالنون**) المكسورة قال الحافظ: ويقال فيها بالزاي بدل السين (**والخاء المعجمة، وهي المتغيرة**) أي متغيرة الرائحة من طول المكث. ففي الحديث كمال تواضعه ﷺ وزهده وتقلله من الدنيا مع قدرته عليها، وكرمه الذي أفضى به إلى عدم الادخار حتى احتاج إلى رهن درعه.

٥٠٤ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة**) من فيه تبعيضية (**ما منهم رجل عليه رداء**) أي لا رداء، وهو الساتر لأعلى البدن على أحد منهم وإنما معهم ما يسترون به عورتهم (**إما إزار وإما كساء**) وهو مبتدأ خبره محذوف أي ما لهم ذلك أو ذلك (**قد ربطوا**) أي ربطوه (**في أعناقهم**) وذلك للاستمساك فيدوم ستر العورة (**منها**) أي الأزر والأكسية المدلول عليها بما ذكر (**ما يبلغ نصف الساقين**) وفي «المصباح»: الساق من الأعضاء أنثى وهي ما بين الركبة والقدم (**ومنها ما يبلغ**) أي يدرك (**الكعبين**) الناتئ عند ملتقى الساق والقدم فيكون لكل قدم كعبان عن يمينها وشمالها، وظاهر أن المراد هنا التقريب لا التحديد (**فيجمعه**) أي الرجل ما ذكر من الإزار

بِيَدِهِ كَراهيَةَ أَن تُرَى عَوْرَتُهُ. رواه البخاري.

٥٠٥ - وعنْ عائشةَ رضي اللَّهُ عنها قالت: كَانَ فِرَاشُ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهُ لِيفٌ. رواه البخاري.

٥٠٦ - وعنِ ابنِ عُمَرَ رضي اللَّهُ عنهما قال: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصارِ فسلَّمَ علَيهِ ثُمَّ أَدْبَرَ الأَنْصَارِيُّ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَخَا الأَنْصَارِ، كَيفَ أَخِي سعْدُ ابنُ عُبادَةَ؟» فقال: صَالحٌ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن يعُودُهُ مِنْكُمْ؟» فَقام وقُمْنا مَعَهُ

والكساء (**بيده كراهية**) بتخفيف التحتية أي استقباح (**أن ترى عورته**) من طرفي نحو الإزار لصغره (**رواه البخاري**) في الصلاة.

٥٠٥ - (**وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان فراش رسول الله ﷺ**) أي الذي ينام عليه (**من أدم**) بفتح أوليه والدال مهملة جمع أديم الجلد المدبوغ (**حشوه**) أي محشوه (**ليف**) بكسر اللام وسكون التحتية، قال في «الصحاح»: الليف للنخل واحده ليفة (**رواه البخاري**).

٥٠٦ - (**وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا جلوسًا**) بضم أوليه جمع جالس (**مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من الأنصار**) أي وقت مجيء الرجل الأنصاري (**فسلم عليه**) أي على النبي ﷺ (**ثم أدبر الأنصاري فقال رسول الله ﷺ: يا أخا الأنصار**) أي يا واحدًا من الأنصار تقول العرب يا أخا بني تميم يريدون يا واحدًا منهم.

(**كيف أخي**) فيه كمال تواضعه ومزيد فضله ﷺ إذ أطلق هذا اللفظ في حقه تشريفًا له، وفيه إيماء إلى صدق إيمانه فيكون فيه تلميح إلى قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحجرات] (**سعد بن عبادة**) سيد الخزرج (**فقال صالح**) ففيه استحباب مثله لمن سأل عن حال مريض من نفسه أو غيره. وقوله صالح أي للشفاء فلذا توجه لعيادته ﷺ (**فقال رسول الله ﷺ: من يعوده منكم**) فيه أن العيادة مطلوبة على الكفاية (**فقام وقمنا معه**)

ونَحْنُ بِضْعَةَ عشَرَ ما علَينَا نِعالٌ وَلا خِفَافٌ، وَلا قَلانِسُ ولا قُمُصٌ نمشي في تلكَ السِباخِ حَتَّى جِئْنَاهُ، فاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حوله حتَّى دنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحابُهُ الَّذين مَعهُ. رواه مسلم.

٥٠٧ - وعن عِمْرانَ بنِ الحُصَينِ رضي اللَّهُ عنهما عنِ النَّبيّ ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ قَرني ثُمَّ الَّذينَ يلُونَهم ثُمَّ الَّذينَ يلُونَهُم»

ظاهره قيام جميع حاضري المجلس معه ﷺ **(ونحن بضعة عشر)** البضعة بكسر الموحدة ما بين العقدين من العدد **(ما علينا نعال)** بكسر النون جمع نعل أي في أقدامنا **(ولا خفاف)** بكسر أوله أيضًا جمع خف بضمه أي بل كنا حفاة **(ولا قلانس)** هي كالقلاسي جمع قلنسوة بوزن فعنلوة بفتح أوليه وسكون النون وضم اللام **(ولا قمص)** بضمتين جمع قميص ويجمع على قمصان الثوب المعروف الملبوس على البدن **(نمشي في تلك السباخ)** بكسر المهملة وبالموحدة جمع سبخة، والأرض السبخة قال في «النهاية»: هي التي يعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. وفي هذه الجملة دلالة على الاقتصار على قليل الملبوس والإعراض عما زاد على الضرورة، وظاهر العبارة أنه ﷺ حينئذ كان كذلك ليتأسوا به ويقتدوا بهديه **(حتى جئناه)** غاية للمشي **(فاستأخر قومه)** الخزرج أو الأنصار **(من حوله حتى دنا)** أي قرب منه **(رسول الله ﷺ وأصحابه الذين)** جاءوا **(معه)** إكرامًا للوافد وإنزالا للناس منازلهم وليتأنس بهم المريض ويذهب عنه بعض الكلال الذي يحصل له من طول ملازمة من عنده إن كان **(رواه مسلم)** في الجنائز من «صحيحه».

٥٠٧ - (وعن عمران) بكسر المهملة **(ابن الحصين رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قال: خيركم قرني)** وفي لفظ ءاخر لهما: «خير أمتي قرني» وفي لفظ ءاخر لمسلم: «خير الناس قرني» **(ثم الذين يلونهم)** أي ثم قرن التابعين، وقرنهم من سنة مائة نحو سبعين **(ثم الذين يلونهم)** من أتباع التابعين، وقرنهم من ثمة إلى حدود العشرين ومائتين، ومن هذا الوقت ظهرت البدع ظهورًا فاشيًا وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة

قال عِمرَانُ: فَمَا أَدرِي قال النبيُّ ﷺ مَرَّتَيْن أَو ثَلاثًا «ثُمَّ يكُونُ بَعدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِمَنُ». متفقٌ عليه.

٥٠٨ - وعنْ أَبي أُمَامَةَ رضي اللَّهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يا ابْنَ ءادَمَ إِنَّكَ أَن

رؤوسها وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرءان وتغيرت الأحوال تغيرًا شديدًا ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن. قال النووي: والمراد تفضيل جملة القرن، ولا يلزم منه تفضيل الصحابي على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولا تفضيل أفراد النساء على مريم وءاسية وغيرهما بل المراد جملة القرن بالنسبة إلى كل القرن بجملته» **(قال عمران)** هذا من كلام أحد الرواة عنه **(فما أدري، قال النبي ﷺ)** ثم الذين يلونهم **(مرتين أو)** قالها **(ثلاثًا)** وشرف القرن الرابع باعتبار من فيه من أئمة الإسلام الناصرين للحق الذابين عنه المجاهدين في سبيل الله الصابرين على ما أصابهم في سبيله كالإمام أحمد بن حنبل وأضرابه **(ثم يكون بعدهم)** أي أهل القرون المشهود لها بالأخيرية **(قوم يشهدون ولا يستشهدون)** قال المصنف في «شرح مسلم» وحديث الباب محمول على الشهادة لذي الحق العالم بها عند الحاكم قبل طلبها منه أو على شاهد الزور أو على من ينتصب شاهدًا وليس هو من أهل الشهادة **(ويخونون ولا يؤتمنون)** قال المصنف في «شرح مسلم» ومعناه يخونون خيانة ظاهرة بحيث لا يبقى معها أمانة **(وينذرون)** بفتح الفوقية **(ولا يوفون ويظهر فيهم السمن)** أي كثرة اللحم أي إنه يكثر ذلك فيهم، وليس الخلقي منهم مذمومًا بل المكتسب له بالتوسع في المأكل والمشرب وغيره زيادة على المعتاد **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في الشهادات ومسلم في الفضائل، ورواه النسائي في النذور.

٥٠٨ - (وعن أبي أمامة) بضم الهمزة وميمين خفيفين بينهما ألف **(رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يا ابن ءادم إنك أن)** بفتح الهمزة

تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَن تُمْسِكَهُ شرٌّ لَكَ ولا تُلامُ عَلى كَفَافٍ، وَابدأْ بِمن تَعُولُ». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

٥٠٩ - وعنْ عُبَيدِ الله بنِ مِحْصَنٍ الأَنْصاريّ الخَطْميّ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصبح مِنكُم ءامِنًا في سِرْبِهِ مُعَافًى في جَسدِهِ عِندَهُ قُوتُ يَومِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا». رواه الترمذي

(**تبذل الفضل خير لك**) ليبقى لك غلته (**وأن تمسكه شر لك**) لأنك ربما لا تؤدي الحقوق الواجبة (**ولا تلام**) بضم الفوقية مبني للمجهول أي لا يلحقك لوم أي عتب من الشرع (**على كفاف**) بفتح أوليه أي قدر الحاجة من طعام وشراب وملبس ومسكن وخادم احتاجه، قال القرطبي: وهو ما يكف عن الحاجات ويدفع الضرورات والفاقات ولا يلحق بأهل الترفهات، وهذا أحسن الأحوال لسلامته من وصمة كل من الفقر والغنى (**وابدأ**) في الإنفاق ([**بمن**] **تعول**) أي بحق الذي تعوله وتمونه من زوجة وأصل أو فرع محتاج أو خادم (**رواه الترمذي**) في الزهد من «جامعه» (**وقال: حديث حسن صحيح**) وأخرجه مسلم في الزكاة من «صحيحه».

٥٠٩ - (**وعن عبيد الله**) بصيغة التصغير (**ابن محصن**) بكسر الميم (**الأنصاري الخطمي**) رأى (**رضي الله عنه**) النبي ﷺ قال في «أسد الغابة» منهم من جعل حديثه مرسلًا والأكثر يصحح صحبته فيجعل حديثه مسندًا (**قال: قال رسول الله** ﷺ: **من أصبح منكم**) الخطاب للحاضرين بمجلسه ﷺ (**ءامنًا**) من عدوه (**في سربه**) على نفسه وبضعه وأهله وماله (**معافى في جسده**) من الأمراض لأن معها لا سيما الشديد منها يذهل المرء عن نظره في حسن حاله وما أنعم المولى به عليه من أمن وسعة (**عنده قوت يومه**) من طعام وشراب وسائر ما يحتاج إليه من أدوية ونحوها (**فكأنما حيزت**) بكسر المهملة أي ضمت وجمعت (**له الدنيا**) وفي رواية زيادة «بحذافيرها» أي بجوانبها أي فكأنما أعطي الدنيا بأسرها (**رواه الترمذي**

وقال: حديثٌ حسنٌ.

«سربه»: بكسر السين المهملة أي: نفسه، وقيل: قومه.

٥١٠ - وعنْ عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ العاصِ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَن أَسلَمَ وكَانَ رِزقُهُ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللّهُ بِمَا ءاتَاهُ». رواه مسلم.

٥١١ - وعنْ أَبي مُحَمَّدٍ فَضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ الأَنْصَارِيّ رضي اللَّهُ عنه أَنَّهُ سَمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ للإِسْلَامِ

وقال: حديث حسن) ورواه البخاري في «الأدب المفرد» وابن ماجه (سربه بكسر السين المهملة) وسكون الراء وبالموحدة المجرورة على الحكاية (أي نفسه) يقال خلّ له سربه: أي طريقه (وقيل: قومه).

٥١٠ - (وعن عبد الله بن عمرو) بفتح المهملة (ابن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: قد أفلح) أي فاز (من أسلم) بدأ به لأنه الأساس في الاعتداد بقبول صالح الأعمال، والمراد الإسلام الصحيح المخلص فيه لأنه الكامل فينصرف المطلق إليه (وكان رزقه كفافًا) أي بقدر الحاجة لا يفضل عنه (وقنعه الله) أي صيره قانعًا (بما ءاتاه) بالمد: أي أعطاه من الكفاف. قال القرطبي: معنى الحديث أن من حصل له ذلك فقد حصل على مطلوبه وظفر بمرغوبه في الدارين (رواه مسلم) ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

٥١١ - (وعن أبي محمد فضالة) بفتح الفاء وبالضاد المعجمة (ابن عبيد) بصيغة التصغير (الأنصاري) العمري (رضي الله عنه) أول مشاهده أحد شهدها وما بعدها من المشاهد ومنها بيعة الرضوان، وشهد فتح مصر وسكن دمشق وولي قضاءها لمعاوية وأمره على غزو الروم في البحر، توفي بدمشق ودفن بباب الصغير سنة ثلاث وخمسين (أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: طوبى) والمعنى: العيش الطيب (لمن هدي) أي أوصل (للإسلام) فعدي باللام لتضمنه معنى أوصل. قال تعالى ﴿يَهۡدِي

وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنِعَ». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسن صحيح.

٥١٢ - وعنِ ابن عباسٍ رضي اللَّهُ عنهما قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَبيتُ اللَّيَاليَ المُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا وأَهْلُهُ لا يَجِدُونَ عَشَاءً، وكَانَ أَكْثَرَ خُبْزِهِمْ خُبْزُ الشَّعِيرِ. رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح.

٥١٣ - وعن فَضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى بِالنَّاسِ يَخِرُّ رِجَالٌ مِن قَامَتِهِمْ في الصَّلاةِ منَ الخَصَاصَةِ وَهُمْ أَصْحابُ الصُّفَّةِ حَتَّى يَقُولَ الأَعْرابُ: هَؤُلاءِ مَجَانِينُ،

ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة النور] أي يوصله للدخول في جملة أهله (**وكان عيشه كفافًا وقنع**) بالبناء للمفعول من باب التفعيل كما يدل عليه ما قبله (**رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح**) ورواه ابن حبان.

٥١٢ - (**وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة**) أي التابع بعضها بعضًا مع الاتصال (**طاويًا**) أي خاليًا لم يأكل (**وأهله**) بالرفع عطف على الضمير المستكن في يبيت للفصل بينهما بالظرف، أي مع من يقوم بنفقتهم، وقوله (**لا يجدون عشاء**) بفتح العين وبالمد اسم للطعام الذي يتعشى به الإنسان وقت العشاء أي بكسر العين (**وكان أكثر خبزهم خبز الشعير**) أي وهو أقل في كلفة التحصيل من البُرّ وغيره من نفائس الأقوات (**رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح**) ورواه أحمد وابن ماجه.

٥١٣ - (**وعن فضالة بن عبيد**) أي الأنصاري (**رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس**) أي وقت صلاته بهم (**يخرّ**) بكسر الخاء المعجمة أي يسقط (**رجال من**) ابتدائية أي سقوط مبتدأ (**من قامتهم في الصلاة من**) تعليلية (**الخصاصة**) بفتح الخاء المعجمة (**وهم أصحاب الصفة حتى**) غاية لمحذوف أي فيعجب من خرورهم من لم يعلم سببه إلى أن (**يقول الأعراب**) أي من حضره ﷺ حينئذ من سكان البوادي (**هؤلاء مجانين**) وذلك أنهم توهموا أن ذلك الخرور صادر عنهم اختيارًا

فَإِذَا صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ انْصَرف إِلَيْهِمْ فقال: «لَوْ تَعْلَمُونَ ما لَكُمْ عِندَ اللّهِ تعالى لأَحْبَبْتُمْ أَن تَزْدادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً». رواه الترمذي، وقال: حديثٌ صحيحٌ.

«الخصاصة»: الفاقة والجوع الشديد.

٥١٤ - وعنْ أَبي كَريمَةَ المِقْدام بنِ مَعْدِيْ كَرِبَ رضي اللَّهُ عنه قال: سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقولُ: «مَا مَلأَ ءادمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِن بَطْنٍ،

لا عن سبب يقتضيه، وذلك بحضرة الجمع شأن المجانين، فلذا حكموا عليهم به، أو سألوهم كذلك (**فإذا صلى رسول الله** ﷺ) أي الصلاة بإتمامها بسلامه منها وانصرف عنها (**انصرف إليهم**) أي متوجهًا إليهم (**فقال**) عقب وصوله إليهم لأنه الحامل له على قصدهم (**لو تعلمون ما لكم عند الله تعالى**) أي ما أعده لكم مما لم تسمعه أذن ولم يره بصر، وفيه شهادة لهم بمكانتهم عند المولى سبحانه لصدق إيمانهم وحسن مجاهدتهم وكمال وجهتهم (**لأحببتم أن تزدادوا فاقة**) أي حاجة فعطف قوله: (**وحاجة**) عليها من عطف الرديف وحثهم ذلك ليصبروا فيكثر ما يؤجرون عليه من ذلك، فإن الجزاء على حسب المجازى عليه قلة وكثرة (**رواه الترمذي**) في الزهد من «جامعه» (**وقال: حديث صحيح. الخصاصة: الفاقة والجوع الشديد**).

٥١٤ - (**وعن أبي كريمة**) بفتح الكاف وكسر الراء (**المقدام**) بكسر الميم (**ابن معدى كرب**) بكسر الدال المهملة وسكون التحتية وفتح الكاف وكسر الراء (**قال: سمعت رسول الله** ﷺ **يقول: ما ملأ ءادمي**) نسبة إلى ءادم أبي البشر عليه السلام: أي إنسان (**وعاء شرًا من بطن**) جعل البطن وعاء كالأوعية المتخذة ظروفًا لحوائج البيت توهينًا لشأنه، ثم جعله شرّ الأوعية لأنها تستعمل فيما هي له، والبطن خلق لأن يتقوم به الصلب بالطعام، وامتلاؤه يفضي إلى الفساد دينًا أو دنيا فيكون شرًا

بِحَسْبِ ابنِ ءادَمَ أُكُلاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإن كَان لا مَحالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وثُلُثٌ لِشرابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

«أكلات»: أي لُقَم.

٥١٥ - وعنْ أَبي أُمَامَةَ إِيَاسِ بنِ ثَعْلَبَةَ الأَنْصَارِيّ الحارِثِيّ رضي اللَّهُ عنه قال: ذَكَرَ أَصْحابُ رَسولِ الله ﷺ يوْمًا عِنْدَهُ الدُّنْيَا فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلا تَسْمَعُونَ، أَلا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ،

منها (**بحسب ابن ءادم**) أي كافيه فالباء مزيدة في المبتدإ (**أكلات**) بفتح الكاف أي كافية ذلك في سد الرمق، ولذا قال: (**يقمن صلبه فإن كان لا محالة**) لا بد من الكثرة على ذلك فليكن أثلاثًا (**فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه**) أي يبقى من ملئه مقدار الثلث ليكون متمكنًا من النفس. (**رواه الترمذي وقال: حديث حسن**) وأخرجه النسائي من طريق الترمذي (**أكلات: أي لقم**) بضم ففتح جمع لقمة فيه إيماء إلى أنه لا يصل بها العشرة.

٥١٥ - (**وعن أبي أمامة**) بضم الهمزة وميمين خفيفتين (**إياس**) بكسر الهمزة (**ابن ثعلبة**) بالمثلثة المفتوحة (**الأنصاري الحارثي**) نسبة للحارث ابن الخزرج أحد أجداده (**رضي الله عنه**) وتوفي منصرف النبي ﷺ من أحد فصلى عليه (**قال: ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يومًا عنده**) أي النبيّ ﷺ بقرينة إفراد الضمير وإن كان خلاف الغالب (**الدنيا**) أي زينتها والترفع فيها بالملبس وغيره (**فقال رسول الله ﷺ: ألا**) بالتخفيف أداة عرض وأتى بها تحريضًا على الاستماع لما بعدها والإصغاء إليه (**تسمعون ألا تسمعون**) مع أنه ﷺ عالم بأنهم يستمعون لما يقوله ويبادرون إلى امتثاله، لكن يكون أبلغ في الموعظة والإتيان بلفظ (**إن**) للتأكيد (**البذاذة من**) كمال (**الإيمان**) الراسخ في القلب، قال زيد بن وهب: رأيت عمر بن الخطاب خرج إلى السوق وبيده الدرّة وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من أدم أي جلد. وعوتب عليّ رضي الله عنه

إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ» يعْني: التَّقَحُّلَ. رواه أَبو داود.

«البذاذة»: بالباء المُوَحَّدةِ والذَّاليْن المُعْجَمَتَيْن وهي: رَثَاثَةُ الهيئةِ وتركُ فاخِرِ اللّباسِ. وأما «التَّقَحُّل» فبالقاف والحاءِ، قال أهلُ اللُّغة: المُتَقَحّلُ: هُوَ الرَّجُلُ اليابِسُ الجِلْدِ مِن خشونةِ العَيْشِ وتركِ التَّرَفُّهِ.

٥١٦ - وعنْ أَبي عبدِ اللَّهِ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ رضي اللَّهُ عنهما قال: بَعَثَنَا رسولُ الله ﷺ وَأَمَّرَ عَلَيْنَا

في إزار مرقوع فقال: يقتدي به المؤمن ويخشع له القلب. وإنما كانت البذاذة من الإيمان لما تؤدي إليه من كسر النفس والتواضع، ولكن ليس ذلك عند كل أحد بل يورث عند بعض الناس من الكبرياء ما يورثه لبس نفيس الثياب عند ءاخرين، وبالجملة فالمحبوب التوسط في الثياب **(إن البذاذة من الإيمان)** وإيثاره ﷺ بذاذة الهيئة ورثاثة المنظر وتبعه عليه السلف الصالح ما اختاره جمع أئمة من متأخري الصوفية وغيرهم والآن قد قست القلوب ونسي ذلك المعنى، فأخذ الغافلون رثاثة الهيئة حيلة على جلب الدنيا فانعكس الأمر وصار مخالفتهم في ذلك تبعًا للسلف **(يعني التقحل)** هذا قول أبي داود وتفسير للبذاذة **(رواه أبو داود)** في الترجل من «سننه»، ورواه ابن ماجه في الزهد **(البذاذة بالباء الموحدة)** المفتوحة **(والذالين المعجمتين)** الخفيفتين **(وهي رثاثة)** بالراء والمثلثتين الخفيفات مصدر رث الشيء أي خلق والمراد منه في عبارته ضد الجيد من **(الهيئة وترك فاخر اللباس)** والمراد التواضع في اللباس وترك التبجح به **(وأما التقحل فبالقاف والحاء)** أي المهملة **(قال أهل اللغة: المتقحل هو الرجل اليابس الجلد من خشونة العيش وترك الترفه)** أي التنعم لسوء الحال، قال ابن رسلان: يقال: قد قحل الرجل قحلًا إذا التزق جلده بعظمه من الهزال.

٥١٦ - (وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله ﷺ) في سنة ثمان **(وأمر)** بتشديد الميم أي جعل أميرًا **(علينا**

أَبا عُبَيْدَةَ رضي اللَّهُ عنه نتَلَقَّى عِيرًا لِقُرَيْشٍ وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِن تَمْرٍ لَمْ يجِدْ لَنَا غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً، فَقِيل: كَيْف كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قال: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبيُّ ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ المَاءِ فَتَكْفِينَا يوْمَنَا إِلى اللَّيْلِ، وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الخَبَطَ ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالمَاءِ فَنَأْكُلُهُ. وَانْطَلَقْنَا عَلى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَرُفِعَ لَنَا عَلى ساحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ الضَّخْمِ، فَأَتيْنَاهُ فَإِذا هِيَ

أبا عبيدة) بن الجراح أحد العشرة **(رضي الله عنه)** وفيه تأمير أهل الفضل **(نتلقى عيرًا لقريش)** جملة مستأنفة لبيان سبب البعث، والعير بكسر العين المهملة القافلة التي تحمل البرّ والطعام **(وزودنا جرابًا)** أي ملأه **(من تمر)** بفتح الفوقية، وقوله **(لم يجد لنا غيره)** استئناف لبيان سبب الاقتصار على ذلك القليل في ذلك العدد الكثير **(فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة)** أي لكل واحد تمرة **(فقيل كيف كنتم تصنعون؟)** قال البيضاوي في التفسير: تصنعون أبلغ من تعملون من حيث إن الصنع عمل الإنسان بعد تدرب فيه وتردد وتروّ وتحرّ وإجادة **(بها قال: نمصها كما يمصّ الصبي ثم نشرب عليها من الماء)** أي بعض الماء **(فتكفينا يومنا إلى الليل)** ففيه ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من الزهد في الدنيا والتقلل منها والصبر على الجوع وخشونة العيش، وفيه كرامة له ﷺ حيث كفى الواحد منهم نهاره تمرة واحدة لكونها حلت عليه بركته. وفيه أن توقف الشبع على الأكل ليس على جهة اللزوم وإنما ذلك فعل الله يفعله عقبه تارة ومن غيره أخرى كما قال ﷺ: «إني أظلّ عند ربي يطعمني ويسقيني» أي يجعل فيّ قوة الطاعم والشارب **(وكنا نضرب بعصينا)** بكسر أوله **(الخبط ثم نبله بالماء)** هذا يدل على أنه كان يابسًا **(فنأكله وانطلقنا على ساحل)** أي شاطئ **(البحر فرفع)** بالبناء للمجهول **(لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب)** بالمثلثة الرمل المستطيل المحدودب» **(الضخم)** بمعنى العظيم **(فأتيناه)** أي المرفوع لنا **(فإذا هي)** أي المرفوع

دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرَ، فقال أَبُو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ، ثُمَّ قال: لا بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وفي سبيلِ الله وَقَدِ اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا، فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْرًا ونَحْنُ ثَلاثُمِائَةٍ حَتَّى سَمِنَّا، وَلَقَدْ رَأَيتُنَا نَغْتَرِفُ مِن وَقْبِ عَيْنِهِ بِالْقِلالِ الدُّهنَ وَنَقْطَعُ مِنْهُ الْفِدَرَ كالثَّوْرِ أَوْ كَقَدْرِ الثَّوْرِ، وَلَقَد أَخَذَ مِنَّا أَبُو عُبيْدَةَ ثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً فَأَقْعَدَهُم في وَقْبِ عَيْنِهِ وَأَخَذَ ضِلَعًا مِنْ أَضْلاعِهِ

لنا والتأنيث رعاية لقوله: (**دابة تدعى**) بالبناء للمجهول (**العنبر**) بفتح أوله وثالثه الباء الموحدة وسكون ثانيه النون قال الحافظ ابن حجر: «قال أهل اللغة: هي سمكة بحرية كبيرة يتخذ من جلدها الترسة، ونقل الماوردي عن الشافعي قال: سمعت من يقول: رأيت العنبر نابتًا في البحر ملتويًا مثل عنق الشاة، وفي «البحر» دابة تأكله وهو سم لها فيقتلها فيقذفها البحر فيخرج العنبر من بطنها» (**فقال أبو عبيدة**) هي (**ميتة ثم**) تغير اجتهاده وأرشد للصواب (**فقال: لا بل**) إضراب عما ظنه أولا (**نحن رسل**) بضمتين (**رسول الله ﷺ وفي سبيل الله**) أي ونحن في طاعة الله وفي جهاد أعدائه وأعداء نبيه ﷺ، ففيه إيماء إلى قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ۝٣﴾ [سورة الطلاق].

(**وقد اضطررتم فكلوا**) الفاء فيه للتقريع (**فأقمنا**) المعطوف عليه محذوف أي فأكلنا فأقمنا (**عليه شهرًا**) وفي رواية «الصحيحين» فأكل منه القوم ثماني عشرة ليلة (**ونحن ثلاثمائة**) جملة حالية من أقمنا (**حتى**) غاية للإقامة عليها أي فأكلنا منها إلى أن (**سمنا**) يحتمل أكلهم منه زيادة على الحاجة حتى نشأ عنه السمن، وأنهم يرون حلّ ذلك من الميتة عند الضرورة إلى التناول منها، ويحتمل أنه تغير اجتهادهم بعد فرأوا حل ميتة البحر والله أعلم (**ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه**) بالإفراد (**بالقلال**) بكسر القاف (**الدهن ونقطع منه الفدر كالثور**) ذكر البقر (**أو**) شك من الراوي (**كقدر الثور ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في وقب عينه وأخذ ضلعًا**) بكسر الضاد المعجمة (**من أضلاعه**

فَأَقَامَها ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا فَمَرَّ مِن تَحْتِهَا وَتَزَوَّدْنَا مِن لحمِهِ وَشَائِقَ، فَلَمَّا قَدِمنَا المدِينَةَ أَتَيْنَا رسولَ اللَّهِ ﷺ فَذكَرْنَا ذلكَ له فقال: «هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللّهُ لَكُمْ، فَهَلْ معَكُم مِن لحمِهِ شَىءٌ فَتُطْعِمُونَا؟» فَأَرْسَلْنَا إِلى رسولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ فَأَكَلَهُ. رواه مسلم.

«الجِرابُ»: وِعاءٌ مِن جِلْدٍ معروفٌ، وهو بكسر الجيم وفتحها والكسرُ أفصحُ. قوله: «نمصُّهَا» بفتح الميم. و«الخبطُ» وَرَقُ شجرٍ معروفٍ تأكله الإبلُ. و«الكثيبُ»: التَّلُّ مِنَ الرَّملِ. و«الوَقْبُ» بفتح الواو وإِسكان القاف وبعدها باءٌ مُوَحَّدةٌ، وهو نُقْرَةُ العَيْنِ.

فأقامها) أي منصوبة **(ثم رحل أعظم بعير معنا)** بتخفيف الحاء المهملة أي جعل عليه الرحل **(فمر من تحتها)** جاء في رواية ثم أمر بأجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل منا فخرج من تحتها وما مسك رأسه.

(وتزوّدنا من لحمه وشائق فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له فقال) مبينًا لحكمه وحكمة عثورهم عليه **(هو رزق أخرجه الله لكم)** وزاد في تطمين قلوبهم في حله ونفي الشك في إباحته لأنه ارتضاه لنفسه قوله **(فهل معكم من لحمه شيء)** ويجوز أن يكون قصد التبرك به لكونه طعمة من الله تعالى خارقة للعادة أكرمهم الله بها، وقوله **(فتطعمونا فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله)** أي عقب وصوله بلا تراخ **(رواه مسلم)** أي بهذا اللفظ في الأطعمة من «صحيحه» **(الجراب وعاء)** بكسر الواو والعين المهملة **(من جلد)** أما من غيره فلا يسمى بذلك **(معروف وهو بكسر الجيم)** وجمعه جرب **(وفتحها والكسر أفصح وقوله: نمصها بفتح الميم والخبط)** بفتح أوليه المعجمة والموحدة وبالمهملة **(ورق شجر معروف تأكله الإبل)** عبارة «النهاية» الخبط ضرب الشجر بالعصي ليتناثر ورقها **(والكثيب التل)** وهو المرتفع أي الرابية **(من الرمل)** سمي به لاجتماعه، وفي «فتح الباري»: «الكثيب الرمل المستطيل المحدودب» **(والوقب بفتح الواو وإسكان القاف وبعدها باء موحدة وهي نقرة العين)**

و«القِلالُ»: الجِرارُ. و«الفِدَرُ» بكسر الفاءِ وفتح الدالِ: القِطَعُ. «رحلَ البعيرَ» بتخفيف الحاء جعل عليهِ الرَّحْلَ. و«الوشائق» بالشينِ المعجمةِ والقاف: اللَّحمُ الذي قُطِعَ لِيُقَدَّدَ. والله أعلم.

٥١٧ - وعنْ أَسْمَاءَ بنْتِ يَزِيدَ رضي اللَّهُ عنها قالت: كانَ كُمُّ قمِيصِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إِلى الرُّصْغ. رواه أَبو داود والترمذي وقال: حديث حسن.

«الرُّصغ»:

النقرة بضم النون حفرة غير كبيرة، والمراد المجوف من عظم الرأس لمحل العين (**والقلال**) بكسر القاف جمع قلة وهي الجرة الكبيرة التي يقلها الرجل بين يديه (**الجرار**) بكسر الجيم وسميت القلة بذلك لأن الرجل العظيم يقلها: أي يرفعها من الأرض (**والفدر بكسر الفاء وفتح الدال: القطع**) هذا أحد قولين حكاهما في «شرح مسلم» وقال: إنهما وجهان مشهوران في نسخ بلادنا: أي من «صحيح مسلم» إحداهما بقاف مفتوحة ثم دال ساكنة: أي مثل الثور، والثاني بفاء مكسورة ثم دال مفتوحة جمع فدرة والأول أصح، وادعى القاضي عياض أنه تصحيف وأن الثاني الصواب، وليس كما قال بل هما صوابان اهـ. و(**رحل البعير بتخفيف الحاء جعل عليه الرحل**) أي شده عليه والرّحل للجمل بمنزلة السرج للفرس (**والوشائق بالشين المعجمة والقاف: اللحم الذي قطع ليقدد**) اللام فيه للصيرورة أي ليبس أي فيؤكل يابسًا (**والله أعلم**).

٥١٧ - (**وعن أسماء**) بسكون السين المهملة (**بنت يزيد**) بفتح الياء الأولى وسكون الثانية (**رضي الله عنها**) تكنى أم سلمة (**قالت: كان كمّ قميص رسول الله ﷺ إلى الرصغ**) وحكمة الاقتصار عليه أنه متى جاوز اليد شق على لابسه ومنعه سرعة الحركة والبطش، ومتى قصر عنه تأذى الساعد ببروزه للحرّ والبرد فكان جعله إليه أمرًا وسطًا وخير الأمور أوساطها (**رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن**) ورواه النسائي قال: وهو عند غيرهما بالسين، (**الرصغ**) بضم الراء وسكون المهملة

بالصاد والرُسغُ بالسين أيضًا: هو المِفْصَلُ بين الكف والساعد.

٥١٨ - وعن جابرٍ رضي اللَّهُ عنه قال: إِنَّا [كُنَّا] يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرضَتْ كُدْيَةٌ شَديدَةٌ فَجَاءُوا النَّبيَّ ﷺ فقالوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضتْ في الخَنْدَقِ، فقال: «أَنَا نَازِلٌ» ثُمَّ قَامَ وبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ وَلَبِثْنَا ثَلاثَةَ أَيَّام لا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبيُّ ﷺ المِعولَ فَضرَب فَعاد كَثِيبًا أَهْيَلَ، فَقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ ائْذَن لي إِلى البيتِ، فقلتُ لامْرَأَتي: رَأَيْتُ

وضمها (**بالصاد والرسغ بالسين أيضًا**) أي المهملة أيضًا (**هو**) أي هنا (**المفصل بين الكف والساعد**).

٥١٨ - (**وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: إنا كنا يوم**) أي زمن وهو ظرف للفعل الآتي بعد (**الخندق**) وكان حفره لما تحزبت قريش وأحابيشها إلى أن بلغوا عشرة ءالاف، فأرادوا حرب المدينة فأشار سلمان بحفر الخندق حول المدينة: فأمر به ﷺ وكان ذلك في السنة الخامسة من الهجرة (**نحفر فعرضت**) لنا (**كدية شديدة**) أي تامة الإباء عن تأثير الفؤوس فيها (**فجاءوا النبيّ ﷺ فقالوا: هذه كدية**) وقولهم: (**عرضت في الخندق فقال: أنا نازل**) عمل فيه ﷺ بنفسه ترغيبًا للمسلمين، فلذا سارعوا إليه فأتموه قبل وصول المشركين وحصارهم (**ثم قام وبطنه معصوب**) وفي البخاري: وبطنه معصوب بحجر أي مربوط فوق الحجر عن بطنه الشريف، وتقدم في الباب حكمة ذلك (**ولبثنا**) أي قمنا (**ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا**) بفتح الذال أي لا نطعم فيها (**فأخذ النبي ﷺ المعول**) بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الواو بعدها لام أي المسحاة (**فضرب فعاد**) أي فصارت الكدية (**كثيبًا أهيل**) والمعنى أنه صار رملًا لا يتماسك (**فقلت: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت**) أي أنصرف، قال الحافظ ابن حجر: «زاد أبو نعيم في «المستخرج» فأذن لي» (**فقلت لامرأتي**) اسمها سهيلة بنت معوذ الأنصارية (**رأيت**) أي

بِالنَّبيّ ﷺ شَيْئًا ما في ذلكَ صبْرٌ فَعِنْدَكِ شَيء؟ فقالت: عِندِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبحْتُ العَنَاقَ وطَحَنْتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللحمَ في البُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النبيَّ ﷺ وَالعجِينُ قَدِ انْكَسَرَ وَالبُرْمَةُ بيْنَ الأَثَافِيّ قَد كَادَتْ تَنْضَجُ، فقلتُ: طُعَيِّمٌ لي، فَقُمْ أَنْتَ يا رسولَ اللّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلانِ، قال: «كَمْ هُوَ؟» فَذَكَرتُ له فقال: «كثِيرٌ طيّبٌ، قُل لَهَا لا تَنْزِعِ البُرْمَةَ ولا الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى ءاتيَ» فقال: «قُومُوا» فقام المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ، فدخلتُ عليها

أبصرت (**بالنبي ﷺ شيئًا**) أي عظيمًا كما يدل عليه قوله (**ما في ذلك صبر**) أي ما في دفع ذلك، فالسعي في رفعه صبر أي تأخير لأنه بلغ الغاية (**فعندك شيء**) بتقدير همزة الاستفهام أي أعندكِ ما تندفع به الحاجة في الجملة (**فقالت: عندي شعير وعناق**) بفتح العين الأنثى من المعز (**فذبحت**) بتاء المتكلم (**العناق وطحنت**) وفاعله يعود إلى امرأته (**الشعير**) وقوله (**حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر**) أي لان ورطب وتمكن منه الخبز (**والبرمة بين الأثافي**) بمثلثة وفاء ثلاثة أحجار يوضع عليها القدر (**قد كادت**) أي قاربت (**تنضج**) أي تدرك الاستواء (**فقلت: طعيم لي**) في محل الصفة وأتى به طلبًا لخبره ﷺ بمجيئه إلى منزله إجابة لدعوته (**فقم أنت يا رسول الله**) أكد الضمير المستكن بالضمير البارز لينبه على أنه المقصود بالأصالة فأكد دلالة على الاهتمام بذلك لا ليعطف عليه قوله (**ورجل أو رجلان**) لوجود الفصل (**قال: كم هو؟ فذكرت له**) ذلك أي ما ذكر قبله (**فقال: كثير طيب**) لعل سؤاله عنه ليتنبه جابر إذا رأى شبع أولئك العدد الكثير من ذلك النزر اليسير فيعلم أنه معجزة له (**قل لها**) أي لامرأتك (**لا تنزع البرمة**) بكسر الزاي والفعل مجزوم والمراد أن لا تأخذ اللحم منها (**ولا الخبز من التنور**) بفتح الفوقية وتشديد النون وهو الذي يخبز فيه (**حتى ءاتي**) أي أجيء إلى المنزل (**فقال**) أي لمن حضر من أصحابه حينئذ (**قوموا فقام المهاجرون والأنصار فدخلت عليها**) أي بعد قيامهم قبل وصولهم المنزل

فقلتُ: ويحكِ جاء النبيُّ ﷺ والمهاجرون والأنصارُ وَمن مَعَهُم، قالت: هل سأَلَكَ؟ قلتُ: نعم، قال: «ادْخُلوا وَلا تَضاغَطُوا» فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ وَيجْعَلُ عليهِ اللحمَ ويُخَمِرُ البُرْمَةَ والتَّنُّور إذا أَخَذَ مِنْهُ وَيُقَرِّبُ إلى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَل يَنْزِعُ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ مِنه، فقال: «كُلِي هذَا وأَهدي فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَهُم مَجَاعَةٌ». متفقٌ عليه.

(**فقلت: ويحك**) بفتح الواو وسكون التحتية وهي كلمة رحمة، وويل كلمة عذاب قد (**جاء النبيّ ﷺ والمهاجرون والأنصار ومن معهم**) أي من مواليهم والمسلمين مما لم يهاجر (**قالت: هل سألك؟ قلت: نعم**) زاد في رواية فقالت: الله ورسوله أعلم، نحن قد أعلمناه بما عندنا فكشفت عني غمًا شديدًا، فيه دليل على وفور عقلها وكمال فضلها لعلمها أنه حيث علم بالطعام المدعو له ودعا من دعاه عليه إنما هو لما يعلمه، لأن الذي أشبع القوم إنما كان منه من خرق الله تعالى العادات له معجزة فلذا (**قال: ادخلوا**) لأن في الحقيقة الدعوة وإنما هي منه (**ولا تضاغطوا**) أي لا تزاحموا، زاد في رواية البخاري: فأخرجت له عجينتنا فبسق فيها وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبسق فيها وبارك (**فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم**) إدامًا له (**ويخمر البرمة والتنور**) أي يغطيهما ويستمر التخمير حتى (**إذا أخذ منه**) أي إلى وقت أخذه منه (**ويقرب إلى أصحابه**) الطعام المأخوذ (**ثم ينزع**) أي يأخذ اللحم من البرمة (**فلم يزل ينزع**) وفي رواية «يكسر» أي الخبز (**ويغرف**) أي من البرمة (**حتى شبعوا**) غاية لملازمته ﷺ لإعطائهم الخبز من التنور والأدم من البرمة (**وبقي منه**) أي بعد شبع القوم بقية وحذف للابهام على السامع وتعظيمًا لقدر الباقي (**فقال: كلي هذا وأهدي**) بقطع الهمزة أمر للمخاطبة، ولعل تخصيصها بالخطاب دونه أنه أكل مع القوم دونها فكانت مشتغلة بالغرف والخبز (**فإن الناس أصابهم مجاعة**) هذه جملة مستأنفة لبيان قوله وأهدي جاء في رواية: فلم نزل نأكل ونهدي يومنا أجمع (**متفق عليه**) أي من حيث المعنى، وإلا فهو بهذا اللفظ للبخاري في «المغازي».

وفي روايةٍ: «قال جابرٌ: لمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيتُ بِالنبيّ ﷺ خَمَصًا فَانْكَفَأْتُ إِلى امْرَأَتي فقلت: هل عِنْدَكِ شَيْءٌ فإنّي رَأَيْتُ بِرسولِ اللّهِ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا؟ فَأَخْرَجَتْ إِليَّ جِرابًا فِيهِ صَاعٌ مِن شَعِيرٍ وَلَنَا بُهَيْمَةٌ داجِنٌ فَذَبحْتُهَا وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إِلى فَرَاغِي وَقَطَّعْتُهَا في بُرْمتِهَا ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ: لا تَفْضَحْني بِرسولِ اللَّهِ ﷺ ومن معَهُ، فَجِئْتُهُ فَسارَرْتُهُ

(**وفي رواية**) هي لهما فرواها البخاري عقب الحديث قبله ومسلم في الأطعمة من «صحيحه» (**قال جابر لما حفر الخندق**) بالبناء للمفعول (**رأيت النبي ﷺ خمصًا فانكفأت إلى امرأتي**) بعد أن استأذنت النبي ﷺ كما في الرواية قبله (**فقلت: هل عندك شيء**) أي من الطعام والتنوين فيه للتقليل (**فإني رأيت**) أي أبصرت (**برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا**) وصف الخمص هنا تهييجًا على إظهار ما عندها إن كان كما هو من عادة النساء من إخفاء بعض المتاع عن الأزواج يعدونه لشدتهن (**فأخرجت إليّ جرابًا فيه صاع من شعير**) الصاع مكيال، وصاع النبيّ ﷺ الذي بالمدينة أربعة أمداد وقال أبو حنيفة: الصاع ثمانية أرطال لأنه الذي يعامل به أهل العراق والظاهر أن المراد من الصاع المعروف عند أهل المدينة وهو الصاع الشرعي (**ولنا بهيمة**) بتشديد التحتية بالتصغير (**داجن**) أي ملازمة للبيت لا تفلت للرعي، ومن شأنها أن تكون سمينة (**فذبحتها**) بضم التاء للمتكلم (**وطحنت الشعير**) بكسر تاء التأنيث الساكنة لالتقاء الساكنين والفاعل ضمير يعود إلى المرأة (**ففرغت إلى**) أي مع (**فراغي**) أي فرغت من الطحن مع فراغي من ذبح الداجن وسلخها (**وقطعتها في برمتها**) أي وألقيتها في برمتها (**ثم**) كأن الإتيان بها لتأخره مشتغلًا بإيقاد النار وإصلاحها لسرعة النضج (**وليت**) أي انصرفت عنها متوجهًا (**إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحني**) بفتح الضاد المعجمة (**برسول الله ﷺ ومن معه**) أي لا تكشف عواري وفاقتي بقلة ما يخرج إليهم (**فجئته فساررته**) في إخفاء ذلك الأمر وكتمه لئلا يطلع عليه أحد فيحضر من غير طلب لما

فَقُلْتُ: يا رسولَ اللَّهِ ذَبَحْنا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحَنْتُ صَاعا مِنَ شَعِيرٍ فَتَعالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ النبيُّ ﷺ فقال: «يَا أَهْلَ الخَنْدَق: إِنَّ جابرًا قَد صَنَعَ سُؤْرًا فَحَيَّهَلا بِكُمْ» فقال النبيُّ ﷺ: «لا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلا تَخْبِزُنَّ عجِينَكُمْ حَتَّى أَجيءَ»، فَجِئْتُ وَجَاءَ النَّبيُّ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتي فقالَتْ: بِك وَبِك، فقلتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذي قُلْتِ، فَأَخْرَجَتْ عَجِينَنَا فَبصَق فِيهِ وبارَكَ ثُمَّ عَمَدَ إِلى بُرْمَتِنا فَبَصَقَ وَبَارَكَ،

بالناس من المجاعة فيقع في الفضيحة، وفيه جواز المسارة بحضرة الجمع إنما نهى أن يتناجى اثنان دون الثالث، وقوله (**فقلت: يا رسول الله ذبحنا**) لعل الإتيان فيه بهذا الضمير لأنه شورك في ذبحها بإمساك الشاة وأخذ الشفرة (**بهيمة**) بالتصغير (**لنا وطحنت**) بضم الفوقية أي أمرت المرأة بطحن (**صاعًا من شعير**) فالإسناد مجازي كقولهم بنى الأمير المدينة (**فتعال أنت ونفر**) بفتح أوليه النون والفاء جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة (**معك**) أتى به إعلامًا بأنه المقصود أصالة وغيره بالتبع (**فصاح النبي ﷺ**) أي أمر بذلك فيهم (**يا أهل الخندق إن جابرًا قد**) للتحقيق (**صنع سؤرًا فحيهلًا**) أي أقبلوا مسرعين (**بكم فقال النبي ﷺ: لا تنزلن برمتكم**) الأمر بذلك له ولأهله (**ولا تخبزنّ عجينكم حتى أجيء**) غاية للكف عنهما المدلول عليه بالنهي عن فعل كل منهما (**فجئت وجاء النبي ﷺ يقدم الناس**) قال المصنف: وإنما فعل هذا لأنه ﷺ دعاهم فجاءوا تبعًا له كصاحب الطعام إذا دعا طائفة يمشي أمامهم (**حتى جئت امرأتي**) أي وأعلمتها بندائه ﷺ في أهل الخندق (**فقالت: بك وبك**) تكلمت عليه أولا لظنها أنه لم يخبر النبي ﷺ بالأمر ولم يفصح له عنه فلذا قال: (**فقلت: قد فعلت**) أي قلت (**الذي قلت**) بكسر الفوقية فحينئذ سكن ما بها، وهذا من كمال عقلها ووفور فضلها (**فأخرجت عجيننا فبصق**) بالموحدة والصاد المهملة، قال النووي: كذا في أكثر الأصول وفي بعضها بالسين وهي لغة قليلة والمشهور بصق وبزق (**فيه وبارك**) فيه أي دعا بالبركة وهي الخير الكثير الدائم ودوام كل شيء بحسبه (**ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك**

ثُمَّ قال: «ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعكِ، وَاقْدَحِي مِن بُرْمَتِكُم وَلا تُنْزِلُوها» وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللّهِ لأَكَلُوا حَتَّى تَركُوهُ وَانْحَرَفُوا وإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ.

قوله: «عرضت كُديَةٌ»: هي بضم الكاف وإسكان الدال وبالياء المثناة تحت، وهي قِطْعَةٌ غليظةٌ صُلْبَةٌ من الأرض لا تَعمَلُ فيها الفأسُ. و«الكثيبُ» أصله تلُّ الرَّملِ،

ثم قال) لعل تأخير القول عن البصق والدعاء أنه رأى الحاجة إلى ذلك بعد فأمر به عند ظهورها **(ادعي خابزة فلتخبز معك)** والذي في البخاري وقال: ادع خابزة فلتخبز معي، ولعله وقع مباشرة الخبز منه ﷺ تارة ومن المرأة أخرى فطلب في كل معينًا **(واقدحي)** أي اغرفي **(من برمتكم ولا تنزلوها)** فيه تغليب المذكر على المؤنث لشرفه فالخطاب لجابر والأمر له ولامرأته، وكأن حكمة الإبقاء ستر السرّ الإلٰهي بإبهام الحاضرين كثرتها فتستمرّ سحائب الفيض متواترة معجزة له ﷺ، ولا يقع عليها نظرهم ابتداء فيستقلوها **(وهم ألف)** أي الذين أكلوا **(فأقسم بالله لأكلوا)** أكد بعدة مؤكدات دفعًا لاستبعاد العقل بحسب العادة اكتفاء هذا العدد الكثير بهذا القدر اليسير من الطعام **(حتى تركوه)** أي المذكور من خبز العجين ولحم الشاة **(وانحرفوا)** أي مالوا عن المنزل جهة مقصدهم **(وإن برمتنا لتغط)** بكسر المعجمة وتشديد الطاء المهملة، وقوله **(كما هي)** أي تغط بعد انصرافهم شباعًا مثل غطيطها قبل الأخذ منها **(وإن عجيننا ليخبز كما هو)** القصة علمان من أعلام النبوة: تكثير الطعام القليل، وعلمه ﷺ بأنّ هذا الطعام القليل الذي يكفي في العادة خمسة أنفس أو نحوهم سيكثر فيكفي ألفًا وزيادة، فدعا له ألفًا قبل أن يصل إليه وقد علم أنه صاع شعير وبهيمة والله أعلم **(قوله: عرضت كدية هي بضم الكاف وإسكان الدال)** المهملة **(وبالياء المثناة تحت، وهي قطعة غليظة صلبة)** بضم الصاد المهملة أي شديدة قوية **(من الأرض)** وقوله **(لا تعمل فيها الفأس)** بيان لتلك **(والكثيب)** بوزن قريب **(أصله تل الرمل**

والمراد هنا: صارت تُرابًا ناعِمًا، وهو معنى «أَهْيَلَ». و«الأثافي»: الأحجارُ التي يكون عليها القِدْرُ. و«تضاغَطوا»: تزاحموا. و«المجاعةُ»: الجوعُ، وهو بفتح الميم. و«الخمصُ»: بفتح الخاء المعجمة والميم: الجوعُ. و«انكفأتُ»: انقَلَبْتُ ورجعْتُ. و«البُهَيْمَةُ» بضم الباء، تصغير بَهْمة، وهي العَناقُ، بفتح العين. و«الداجِن»: هي التي أَلِفَت البيتَ. و«السؤر»: الطَّعام الذي يُدْعى الناسُ إليهِ، وهو بالفارسية.

والمراد هنا صارت) هذا تفسير عادت فإنه يأتي كذلك. ومنه قول الكفرة لشعيب ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الأعراف] فإن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها قولا واحدا (**ترابًا ناعمًا**) يسيل ولا يتماسك قال تعالى ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [سورة المزمل] أي رملًا سائلًا (**وهو معنى أهيل والأثافي**) تقدم ضبطه (**الأحجار التي تكون عليها القدر**) قال في «النهاية»: هي جمع أثفية (**وتضاغطوا تزاحموا**) قال في «المصباح»: ضغطه ضغطًا من باب نفع دفعه إلى حائط أو غيره (**والمجاعة الجوع وهي بفتح الميم**) وتخفيف الجيم، قال في «النهاية»: مفعلة من الجوع (**والخمص بفتح الخاء المعجمة والميم الجوع وانكفأت**) أي بالهمزة في رواية مسلم (**انقلبت ورجعت. والبهيمة بضم الباء تصغير بهمة**) بفتح الموحدة وسكون الهاء ولد الضأن تطلق على الذكر والأنثى وجمعها بهم كتمرة وتمر، وجمع البهم بهام كسهم وسهام، ويطلق البهام على أولاد الضأن والمعز إذا اجتمعت تغليبًا، فإذا انفردت قيل لأولاد الضأن بهام ولأولاد المعز سخال (**وهي**) أي المراد منها (**العناق بفتح العين**) المهملة وتخفيف النون هي الأنثى من ولد المعز قبل استكمالها الحول، والمراد ما قاربها ليحصل به قرى الضيف (**والداجن**) بالدال المهملة والجيم والنون (**هي التي ألفت البيوت**) ولم تفلت للمرعى وذلك للاعتناء بها المنبئ عن كرمها وسمنها (**والسؤر**) بضم السين المهملة وإسكان الواو مهموز (**الطعام الذي يدعى الناس إليه وهو بالفارسية**) مثله

و«حيهلا» أي: تعالوا. وقولها: «بك وبك» أي خاصَمَتْهُ وسَبَّتْهُ لأنَّها اعتقدت أن الذي عندهم لا يكفيهم فاستحيت وخفِيَ عليها ما أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيه ﷺ مِن هذه المعجزةِ الظاهِرَةِ والآيةِ الباهِرَةِ. «بسق» أي بَصَقَ، ويقال أيضًا بزق ثلاث لغاتٍ. و«عَمَدَ» بفتح الميم: أي قَصَدَ. و«اقدحي» أي اغرفي، والمِقْدَحةُ: المِغْرَفَةُ. و«تغِطُّ» أي: لِغَلَيانِها صوتٌ. والله أعلم.

في «شرح مسلم»، وخالفه الحافظ في «الفتح» فقال: «وسكون الواو بغير همز، أما بالهمز فهو البقية» **(وحيهلًا)** بتنوين هلا. ويقال: حيهل **(أي تعالوا)** وقال الحافظ: «هي كلمة استدعاء فيها حث أي هلموا مسرعين» وقال ابن يعيش في «شرح المفصل»: هو من أسماء الأفعال مركب من حي وهل وهما صوتان معناهما الحثّ والاستعجال وجمع بينهما وسمي به للمبالغة **(وقولها: بك وبك)** بالموحدة وفتح الكاف فيهما **(أي خاصمته وسبته)** قال في «شرح مسلم»: أي ذمته ودعت عليه **(لأنها اعتقدت أن الذي عندهم لا يكفيهم)** وأن جابرًا لم يخبر النبيّ ﷺ بقدره **(فاستحيت وخفي عليها ما أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيه ﷺ من هذه المعجزة الظاهرة والآية)** العلامة الدالة على نبوّته **(الباهرة)** من بهرت الشمس غلب نورها على كل ذي نور إذ كفي بهذا الطعام اليسير ذلك العدد الكثير **(بسق)** بالسين المهملة **(أي بصق)** بالصاد المهملة **(ويقال)** له **(أيضًا بزق)** بالزاي بدل الصاد **(ثلاث لغات وعمد بفتح الميم)** من باب ضرب **(أي قصد واقدحي)** بوصل الهمزة وفتح الدال المهملة **(أي اغرفي والمقدحة)** بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه ورابعه المهملين **(المغرفة)** بالغين المعجمة والفاء ووزن ما قبله وهما اسما ءالة **(وتغط)** تقدم ضبطها **(أي لغليانها صوت)** وذلك كناية عن كثرة ما فيها إذ القليل يضعف غليانه عن رفع الصوت **(والله أعلم)**.

٥١٩ - وعنْ أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه قال: قال أَبو طَلْحَةَ لأمّ سُلَيْم: قَد سَمِعتُ صَوتَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ضَعِيفًا أَعرِفُ فِيهِ الجُوعَ فَهَل عِندَكِ مِن شيْءٍ؟ فقالت: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقرَاصًا مِن شَعيرٍ ثُمَّ أَخَذَت خِمَارًا لَهَا فَلَفَّتِ الخُبْزَ بِبَعضِه ثُمَّ دسَّتْهُ تَحْتَ ثَوبي وَرَدَّتْني بِبَعْضِهِ ثُمَّ أَرْسلَتْني إِلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فَذَهَبْتُ بِهِ فَوَجَدتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ جالِسًا في المَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمتُ عَلَيْهِمْ فقالَ رسُولُ الله ﷺ: «أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟» فقلت: نَعم، فقال: «أَلِطَعَامٍ» فقلتُ: نَعَم،

---

٥١٩ - (**وعن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو طلحة**) زيد بن سهل الأنصاري (**لأم سليم**) بضم السين المهملة زوج أبي طلحة وأم أنس (**قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء فقالت: نعم**) أي عندي شيء (**فأخرجت أقراصًا من شعير**) أي بادرت إلى إخراجها لأن الحال تأبى عن التأخير، قال في «فتح الباري» عند أبي يعلى عن أنس: إن أبا طلحة بلغه أنه ليس عند رسول الله ﷺ طعام، فذهب فأجر نفسه بصاع من شعير فعمل بقية يومه ثم جاء به، الحديث (**ثم أخذت خمارًا**) بكسر الخاء المعجمة: ثوب تغطي به المرأة رأسها ووصفه بقوله (**لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته**) بفتح الدال وتشديد السين المهملتين أي أدخلته (**تحت ثوبي وردتني ببعضه**) والمراد أنها لفت الخبز ببعض الخمار ولفت أنسًا بباقيه (**ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ جالسًا**) مفعول ثان كقوله تعالى ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا ٢٠﴾ [سورة المزمل] (**في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم فقال رسول الله ﷺ**) في البخاري: «فقال لي» (**أرسلك أبو طلحة**) بالهمزة قبله مقدرة حذفت. وقال الحافظ في «الفتح»: إنه بهمزة ممدودة للاستفهام (**فقلت: نعم. قال: ألطعام**) أي يدعو إلى الطعام (**فقلت: نعم**) قال الحافظ: ظاهر هذا أن النبيّ ﷺ فهم أن أبا طلحة

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «قُومُوا» فَانْطَلَقُوا وَانْطَلَقْتُ بيْنَ أَيديهِم حَتَّى جِئتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخبَرتُهُ، فقال أَبُو طَلْحَةَ: يا أُمَّ سُلَيم: قَد جَاءَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بالنَّاس ولَيْسَ عِنْدنَا ما نُطْعِمُهُمْ؟ فقالتْ: اَللّهُ وَرسُولُهُ أَعْلَمُ. فَانطَلَقَ أَبُو طَلْحةَ حتَّى لَقِيَ رسولَ اللَّهِ ﷺ فأَقْبَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مَعَه حَتَّى دَخَلا فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: «هَلُمّي ما عِندَكِ يا أُمَّ سُلَيم» فَأَتَتْ بِذلكَ الخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رسولُ اللَّهِ ﷺ فَفُتَّ وعَصَرَتْ عَلَيه أُمُّ سُلَيم عُكَّةً فآدَمَتْهُ، ثُمَّ قال فِيهِ رسولُ اللَّهِ ﷺ ما شَاءَ اللّهُ أَن يَقُولَ

استدعاه إلى منزله، فلذا قال لمن عنده قوموا **(فقال رسول الله ﷺ: قوموا فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة)** قال في «الفتح»: جاء في رواية زيادة «وأنا حزين لكثرة من جاء معه» **(فأخبرته)** أي بمجيئه ﷺ ومجيء من معه **(فقال أبو طلحة: يا أم سليم)** فيه إكرام الرجل زوجه وندؤها بالكنية **(قد)** للتحقيق **(جاء رسول الله ﷺ بالناس)** أي الحاضرين مجلسه حينئذ **(وليس عندنا ما نطعمهم)** حالية من فاعل جاء: أي يطعمهم بقدر كفايتهم **(فقالت: الله ورسوله أعلم)** كأنها عرفت أنه فعل ذلك عمدًا لتظهر له الكرامة في تكثير الطعام ودل ذلك على فطنة أم سليم ورجحان عقلها **(فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخلا فقال رسول الله ﷺ هلمي)** أي أحضري **(ما عندك يا أم سليم، فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففت)** بالبناء للمجهول **(وعصرت عليه)** أي على المفتوت المدلول عليه بالفعل قبله **(أم سليم عكة)** بضم العين المهملة وتشديد الكاف، قال في «النهاية»: هي وعاء من جلد مستدير مختص بالسمن والعسل وهو بالسمن أخص **(فآدمته)** بمد الهمزة وتخفيف الدال المهملة أي صيرت الخارج منها إدامًا له **(ثم قال فيه)** أي عليه **(رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول)** قال الحافظ: «وفي رواية: «فمسها رسول الله ﷺ ودعا فيها

ثُمَّ قال: «ائذَن لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُم فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا ثم قال: «ائذَن لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهم فَأَكَلُوا حتى شَبِعُوا ثم خَرَجوا ثُمَّ قال: «ائذَنْ لِعَشَرةٍ» حتى أَكلَ القَومُ كُلُّهُم وَشَبِعُوا، وَالْقَوْمُ سَبعُونَ رَجُلًا أَوْ ثَمَانُونَ. متفقٌ عليه.

وفي روايةٍ: «فما زالَ يُدخِلُ عشَرَةً وَيُخْرِجُ عَشَرَةً حتى لم يَبْقَ مِنهم أَحَدٌ إلا دخَلَ فَأَكَلَ حتى شَبِعَ، ثم هَيَّأَهَا فإِذَا هِي مِثلُهَا حِينَ أَكَلُوا مِنها».

بالبركة»، وفي رواية: «فجئت بها ففتح رباطها ثم قال: بسم الله اللهم أعظم فيها البركة» وعرف بهذا المراد بقوله: «وقال فيها ما شاء الله أن يقول» **(ثم قال: ائذن لعشرة فأذن)** بالبناء للفاعل: أي المخاطب بذلك الأمر منه ﷺ من أنس وأبي طلحة **(لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا ثم قال: ائذن لعشرة، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم قال: ائذن لعشرة حتى أكل القوم كلهم)** قال في «الفتح»: وسئلت في مجلس الإملاء عن حكمة تبعيضهم، فقلت: يحتمل أن يكون عرف أن الطعام قليل وفي صحفة واحدة فلا يتصوّر أن يتحلّق العدد الكثير» **(وشبعوا)** أي ليس أكلًا بقدر ما يسد الرمق ويقيم البنية بل إلى حد الشبع، ولا ينافيه النهي عن الشبع لأنه فيمن أدمن عليه واعتاده، وأما نادرًا كما في هذا فلا **(والقوم سبعون رجلًا أو ثمانون)** رجلًا قال في «الفتح»: كذا في هذه بالشك، وفي غيرها الجزم بالثمانين **(متفق عليه)** رواه البخاري في باب علامات النبوّة ورواه مسلم في الإيمان.

(وفي رواية فما زال) أي النبيّ ﷺ **(يدخل عشرة ويخرج عشرة)** أي يأمر بذلك **(حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع ثم هيأها)** أي جمعها بعد تمامهم أجمعين أي وبعد أكله وأهل المنزل منه **(فإذا هي)** أي الصحفة باعتبار ما فيها من الطعام **(مثلها)** على حالتها من قدر الطعام فيها حال وضعه قبل تناول أحد منه وهو مراده بقوله: **(حين أكلوا منها)** وإذا فاجأهم هذا الأمر الخارق للعادة معجزة له ﷺ، وذلك

وفي روايةٍ: «فَأَكَلُوا عَشَرَةً عَشَرةً حتى فَعَلَ ذلكَ بثَمانِينَ رَجُلاً، ثم أَكل النَّبيُّ ﷺ بعد ذلكَ وَأَهْلُ البَيتِ وَتَركُوا سُؤرًا».

وفي رواية: «ثم أَفضَلُوا مَا بَلَغُوا جيرانَهُم».

وفي روايةٍ عنْ أَنَسٍ قال: «جِئتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يوْمًا فَوَجَدتُهُ جَالِسًا معَ أَصحابِهِ وَقد عَصَبَ بَطْنَهُ بِعِصابَةٍ

مساواتها بعد شبع الثمانين منها لها قبل وضعهم اليد فيها، وفي رواية لمسلم «ثم أخذ ما بقي فجمعه، ثم دعا فيه بالبركة فعاد كما كان فقال: دونكم هذا».

(وفي رواية) لمسلم من حديث عبد الرحمٰن بن أبي ليلى الأنصاري عن أنس **(فأكلوا عشرة عشرة)** حال بمعنى مرتبين كذلك **(حتى فعل ذلك بثمانين رجلاً، ثم أكل النبيّ ﷺ بعد ذلك، وأهل البيت)** قال النووي: فيه أنه يستحبّ لصاحب الطعام وأهله أن يكون أكلهم بعد فراغ الضيفان **(وتركوا سؤرًا)** ففي الحديث علم من أعلام نبوته ﷺ من كفاية هذا القدر اليسير من الطعام ذلك العدد الكثير من الأنام.

(وفي رواية) هي لمسلم أيضًا في الأطعمة من حديث عبد الله بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس **(ثم أفضلوا)** أي أبقوا **(ما بلغوا جيرانهم)** وفي رواية: «وفضلت فضلة فأهدينا لجيراننا».

وفي رواية عن أنس: حتى أهدت أم سليم لجيرانها **(وفي رواية)** لمسلم عن يعقوب بن عبد الله بن طلحة الأنصاري **(عن أنس)** بطريق السماع منه كما صرح به مسلم **(قال: جئت رسول الله ﷺ يومًا)** أي للقيام بشيء من الخدم لأنه كان خادمه ﷺ **(فوجدته جالسًا)** يحتمل كونه في المسجد كما وجده فيه في القصة، في رواية عنه عند مسلم قال: «جئت النبي ﷺ فوجدته جالسًا في المسجد يتقلب ظهرًا لبطن» ثم ساق الحديث **(مع أصحابه وقد عصب)** قال النووي: بالتخفيف والتشديد بمعنًى أي ربط **(بطنه بعصابة)** قال مسلم قال أسامة: وأنا أشك على

فقلتُ لِبَعضِ أَصحَابِهِ: لِمَ عَصَبَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بطْنَهُ؟ فقالوا: مِنَ الجُوعِ، فَذَهَبْتُ إِلى أَبي طَلحَةَ وَهُوَ زَوْجُ أُمّ سُليم، فقلتُ: يَا أَبَتَاه قد رَأَيْتُ رسولَ اللّهِ ﷺ عَصَبَ بطنَهُ بِعِصَابَةٍ فَسَأَلْتُ بَعضَ أَصحَابِهِ فقالوا: مِنَ الجُوعِ. فَدَخل أَبُو طَلحَةَ على أُمّي فقال: هَل مِن شَيءٍ؟ فقالت: نعم عِندِي كِسَرٌ مِنْ خُبزٍ وَتمَرَاتٌ، فإِن جَاءَنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ وَحدَهُ أَشبَعنَاه وإِن جَاءَ ءاخَرُ معه قَلَّ عَنْهُمْ». وذَكَرَ تمَامَ الحَديثِ.

حجر وفعله ذلك ليسكن به بعض المعدة فيضعف عنه ألمها (**فقلت لبعض أصحابه لم عصب رسول الله ﷺ بطنه؟ فقالوا: من**) من فيه تعليلية لأنها ذكرت لبيان ما سأل عنه أنس من علة الربط أي لأجل (**الجوع**) وبسببه كقوله: «مما خطاياهم أغرقوا» (**فذهبت إلى أبي طلحة وهو زوج أم سليم**) بنت ملحان (**فقلت: يا أبتاه**) هو زوج أمه وسماه أبا تأدبًا وألحق بآخره الهاء الساكنة للوقف عليها (**قد رأيت رسول الله ﷺ عصب بطنه بعصابة**) فالمراد أنه رأى في محل العصب من بطنه ما ليس بعورة مما كان يبدو منه ﷺ في خلوته وبين خواص أصحابه وقوله: (**فسألت بعض أصحابه فقالوا: من الجوع**) أتى به لدفع توهم أن عصب البطن كان من دأبه إنما كان من الجوع، فلذا ذكره له ليبادر إلى السعي في رفعه والإسراع في دفعه (**فدخل أبو طلحة على أمي فقال: هل من شيء**) أي عندك (**فقالت: نعم**) ثم بينت ما عندها بقوله: (**عندي كسر**) بكسر ففتح جمع كسرة بكسر فسكون القطعة (**من الخبز وتمرات**) ظاهره أنها كانت قليلة بخلاف الكسر (**فإن جاءنا رسول الله ﷺ وحده أشبعناه**) أي لأن بها يحصل الشبع عادة (**وإن جاء ءاخر معه قل عنهم**) أي بحسب العادة (**وذكر تمام الحديث**) قال المصنف: في الحديث ما كان عليه الصحابة من الاعتناء بأحوال رسول الله ﷺ، وفيه منقبة لأم سليم ودلالة على فقهها ورجحان عقلها لقولها: الله ورسوله أعلم معناه أنه قد عرف الطعام فهو أعلم بالمصلحة اهـ. وفيه ضيق حال القوم حينئذ، وفيه إجزاؤهم بالقوت وترك ما زاد عليه من شهوة النفس وحظها، والله أعلم.

٥٧ - باب القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة والإنفاق وذم السؤال من غير ضرورة

قال الله تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ۝٦﴾ [سورة هود]، **وقال تعالى** ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۝٢٧٣﴾ [سورة البقرة]،

---

٥٧ - باب القناعة

في «الفتح»: الرضا بالقسم **(والعفاف والاقتصاد)** وهو ما بين الإسراف والتقتير **(في المعيشة والإنفاق)** وإخراج المال الطيب في الطاعة والمباحات أي التوسط فيها كما قال تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ۝٢٩﴾ [سورة الإسراء] **(وذمّ السؤال)** حذف معموله ليعم سائر المسؤول من مال وطعام وغيرهما **(من غير ضرورة)** إليه.

(قال الله تعالى ﴿وَمَا مِن﴾) صلة للتنصيص على العموم (﴿دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾) قال ابن عطية: الدابة ما دبّ من الحيوان، والمراد جميع الحيوان الذي يحتاج إلى رزق ودخل فيه الطير والقائم من حيوان. وتخصيصه بقوله في الأرض لكونه أقرب لحسهم، والطائر والقائم إنما هو في الأرض (﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ۝٦﴾) تفضل لأنه تعالى لا يجب عليه شيء عقلًا.

(وقال تعالى ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾) أي الصدقات لهم، وهم الأولى والأحق بها وإن جاز صرفها لغيرهم (﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾) حبسوا أنفسهم في الجهاد. قال ابن عطية: يتناول كل من دخل تحت صفة الفقراء غابر الدهر (﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾) ذهابًا بالتجارة فيها لاشتغالهم بالجهاد وبالله (﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾) بحالهم (﴿أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾) من أجل تعففهم عن السؤال (﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾) من التخشع وأثر الجهد والضيق، وقيل: أثر السجود (﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۝٢٧٣﴾) أي إلحاحًا والآية تحتمل نفي السؤال عنهم

وقال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ [سورة الفرقان]، **وقال تعالى** ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧﴾ [سورة الذاريات].

وأما الأحاديثُ فَتَقَدَّمَ مُعظَمُهَا في البَابَينِ السَّابِقَينِ، وَممَّا لم يتَقَدَّم:

٥٢٠ - عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه عنِ النَّبيّ ﷺ قال: «لَيس الغِنَى عَن كَثْرَةِ العرَضِ وَلكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفسِ».

جملة ويحتمل أن سؤالهم أي إن سألوا عن مزيد الحاجة لا يلحون أي لا يظهر لهم سؤال بل هو قليل.

(**وقال تعالى** ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ﴾) أي في الطاعات (﴿لَمۡ يُسۡرِفُواْ﴾) أي لم يفرطوا حتى يضيعوا حقًا ناجزًا أو عيالا أو نحوه (﴿وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾) أي لم يفرطوا في الشحّ (﴿وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾) وسطًا وعدلا والقوام في حق كل بحسب عياله وخفة ظهره وصبره وجلده على الكسب أو ضد هذه الخصال، وخير الأمور أوساطها (**وقال تعالى** ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾) أي إلا لأجلها، فإنهم خلقوا بحيث تتأتى منهم العبادة وهدوا إليها، فهذه غاية كمالية لخلقهم (﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧﴾) أي يطعموني أي ليس شأني معهم كشأن السادة مع العبيد (**وأما الأحاديث**) الدالة على ما ذكر في «الترجمة» (**فتقدم معظمها**) أي أكثرها (**في البابين السابقين ومما لم يتقدم**) أي بعضه.

٥٢٠ - (عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ليس الغنى) أي الممدوح في الشرع المرضي عند الله سبحانه المعدّ لثواب الآخرة أو النافع أو العظيم (**عن كثرة العرض**) عن فيه سببية (**ولكنّ**) بتشديد النون (**الغنى غنى النفس**) قال ابن بطال: معنى الحديث ليس حقيقة الغنى كثرة المال، فكثير من الموسع عليه فيه لا ينتفع بما أوتي، جاهد في الازدياد لا يبالي من أين يأتيه. فكأنه فقير من شدة حرصه، وإنما حقيقة الغنى

متفقٌ عليه.

«العَرَض»: بفتح العين والراء: هو المال.

٥٢١ - وعنْ عبدِ الله بنِ عمرو رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «قَد أَفلَحَ مَنْ أَسلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بما ءاتاهُ». رواه مسلم.

٥٢٢ - وعن حَكيم بنِ حِزَامٍ رضي اللَّهُ عنه قال: سَأَلْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعطَاني ثم سأَلْتُهُ

غنى النفس، وهو من استغنى بما أوتي وقنع به ورضي ولم يحرص على الازدياد ولا ألحّ في الطلب (**متفق عليه**) ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه (**العرض بفتح العين والراء**) المهملتين والضاد المعجمة (**هو المال**) في «المصباح»: هو متاع الدنيا قال: وهو في اصطلاح المتكلمين ما لا يقوم بنفسه ولا يوجد إلا في محل يقوم به، وهو خلاف الجوهر، والعرض بالسكون: المتاع، قالوا: والدراهم والدنانير عين وما سواهما عرض.

٥٢١ - (**وعن عبد الله بن عمرو**) بن العاص (**رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: قد**) للتحقيق (**أفلح**) أي فاز وظفر (**من أسلم**) لنجاته من النار ودخوله الجنة قال تعالى ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴿١٨٥﴾﴾ [سورة ءال عمران] (**ورزق كفافًا**) في الزكاة من «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري: الكفاف ما كفّ عن السؤال مع القناعة لا يزيد على قدر الحاجة، وفيه في الزهد الكفاف الذي ليس فيه فضل عن الكفاية. وإنما كان ذلك فلاحًا لكونه حاز كفايته وظفر بإقامته وسلم من تبعة الغنى وذلّ سؤال الشيء (**وقنعه الله بما ءاتاه رواه مسلم**) ورواه أحمد.

٥٢٢ - (**وعن حكيم**) بفتح الحاء المهملة (**ابن حزام**) بكسر الحاء المهملة خويلد بن أسد بن عبد العزى الأسدي القرشي المكي (**رضي الله عنه**) ولد قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة بجوف الكعبة وأسلم عام فتح مكة، وكان من أشراف قريش ووجوهها جاهلية وإسلامًا (**قال: سألت رسول الله ﷺ**) أي من الدنيا (**فأعطاني ثم سألته**) أي مستكثرًا منها

فَأَعطَاني ثم سَأَلْتُهُ فَأَعطَاني ثم قال: «يا حَكيمُ، إِنَّ هذا المَالَ خَضِرٌ حُلوٌ فَمن أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفس بُورِكَ لَهُ فيه، وَمَن أَخَذَهُ بِإِشرَافِ نَفْسٍ لَم يُبَارَكْ لهُ فيهِ وكَانَ كَالَّذي يَأْكُلُ ولا يَشْبَعُ، واليدُ العُليَا خيرٌ مِن اليَدِ السُّفلَى» قال حَكيمٌ فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ والَّذي بَعَثَكَ بالحَقّ لا أَرْزَأُ أحدًا بعدَكَ شَيئًا حتَّى أُفارِقَ الدّنيا، فَكَانَ أَبُو بكرٍ رضي اللَّهُ عنه يَدْعُو حَكيمًا لِيُعطِيَهُ العَطَاءَ فَيَأْبى أَن يَقْبَلَ مِنْهُ شَيئًا. ثمَّ إِنَّ عُمَرَ رضي اللَّهُ عنه

(**فأعطاني ثم قال**) كأن حكمة تأخير هذا القول عن الإعطاء دفع توهم أن ذلك لبخل في المسؤول (**يا حكيم**) فيه نداء الرجل باسمه، وفيه تنبيه وإيماء إلى أن هذا الاسم يؤذن بقيامه بالحكمة وهي المعرفة فكأنه قال: يا موصوفًا بالحكمة الداعية إلى الزهادة في الدنيا والإقبال على الآخرة (**إن هذا المال خضر**) أي كالخضر في ميل النظر إليه وإلف النفس به (**حلو**) قال الحافظ: معناه أن صورة المال كذلك، والعرب تسمي كل مشرق نضرًا خضرًا (**فمن أخذه بسخاوة نفس**) قال الحافظ ابن حجر: «أي بغير شره ولا إلحاح أي أخذه بغير سؤال هذا بالنسبة للآخذ» (**بورك له فيه**) فوقع منه القليل من المال بالبركة موقع الكثير منه مع فقدها (**ومن أخذه بإشراف**) بالشين المعجمة (**نفس**) أي انتظارها له وحرصها عليه (**لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع**) أي الذي يسمى جوعه كذابًا لأنه من علة به وسقم، فكلما أكل ازداد سقمًا ولم يجد شبعًا. وفي الحديث وجوه من التشبيهات بديعة تشبيه المال وثمره بالنبات وظهوره، وتشبيه ءاخذه بغير حق بمن يأكل ولا يشبع (**واليد العليا خير من اليد السفلى**) في «صحيح البخاري»: فاليد العليا هي المنفقة والسفلى هي السائلة (**قال حكيم: فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا**) هو غاية في ألا يرزأ أحدًا (**فكان أبو بكر رضي الله عنه**) أي لما صار خليفة (**يدعو حكيمًا ليعطيه العطاء**) أي ما يستحقه من المغنم (**فيأبى أن يقبل منه شيئًا ثم إن عمر رضي الله عنه**) لما

دَعَاهُ لِيُعطيهُ فَأَبَى أَن يَقْبلَهُ. فقال: «يا معشَرَ المُسْلمينَ، أُشْهدُكُم عَلى حَكيم أَني أَعْرِضُ عليهِ حَقَّهُ الَّذي قَسَمَ اللّهُ لَهُ في هذا الْفيْءِ فيَأْبَى أَن يَأْخُذَهُ. فَلَمْ يَرْزَأْ حَكيمٌ أَحدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبيّ ﷺ حَتَّى تُوُفّي. متفقٌ عليه.

«يرزأُ»: براءٍ ثمَّ زايٍ ثُمَّ همزةٍ أي لم يأخذ من أحدٍ شيئًا، وأصلُ الرّزْءِ: النُّقصانُ، أي لم ينقُص أحدًا شيئًا بالأخذ مِنه. و«إشرافُ النَّفسِ»:

صار إليه الأمر بعد الصديق رضي الله عنه **(دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله)** أي ولا شيئًا منه كما يدل عليه ما قبله **(فقال: يا معشر المسلمين، أشهدكم على حكيم أني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له في هذا الفيء فيأبى أن يأخذه)** قال في «المصباح»: المعشر والقوم والرهط والنفر الجماعة من الرجال دون النساء والجمع معاشر، قال الحافظ ابن حجر: «إنما امتنع حكيم من أخذ العطاء مع أنه حقه لأنه خشي أن يقبل من أحد شيئًا فيعتاد الأخذ فتتجاوز به نفسه إلى ما لا يريده ففطمها عن ذلك، وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه خوف ما يريبه» **(فلم يرزأ حكيم أحدًا من الناس بعد النبيّ ﷺ حتى توفي)** قال السيوطي في «التوشيح»: وفيه أن سبب سؤاله العطاء أن النبي ﷺ أعطاه دون ما أعطى أصحابه فقال: يا رسول الله ما كنت أظن أن تقصرني دون أحد من الناس، فزاده ثم استزاده حتى رضي فذكر نحو الحديث اهـ **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في الوصايا وفي الخمس وفي الرقاق وفي الزكاة، وأخرجه مسلم في الزكاة ورواه الترمذي في الزهد وقال: صحيح **(يرزأ براء ثم زاي ثم همزة)** بوزن يسأل **(أي لم يأخذ من أحد شيئًا)** أي مجانًا كما يدل عليه قوله **(وأصل الرزء النقصان)** وما بذل عوضًا لا نقص على باذله، وفي «النهاية» وأصله النقص، وكأن الشيخ رحمه الله نبه بزيادة النون على اعتبار المبالغة في مفهومه وقوله **(أي لم ينقص أحدًا شيئًا بالأخذ منه)** تفسير لقوله ءاخر الحديث: فلم يرزأ حكيم أحدًا من الناس **(وإشراف النفس)** بالمعجمة

تَطَلُّعُها وطَمَعُها بالشيء. و«سخاوةُ النَّفسِ»: هي عدم الإشراف إلى الشيء والطمع فيه والمبالاةِ به والشَّرَهِ.

٥٢٣ - وعنْ أَبي بُردَةَ عن أَبي موسى الأَشعَريّ رضي اللّهُ عنه قال: خَرَجْنا معَ رسُولِ اللّهِ ﷺ في غَزَاةٍ ونحن سِتَّةُ نَفَرٍ بيْنَنا بَعِيرٌ نعْتَقِبُه فَنَقِبتْ أَقدامُنا ونَقِبَتْ قَدَمِي وسَقَطَتْ أَظْفاري، فَكُنَّا نَلُفُّ عَلى أَرجُلِنا الخِرَقَ، فَسُمّيتْ غَزوةَ ذَاتِ الرِقاع لِما كُنَّا نَعْصِبُ عَلى أَرجُلِنا من الخِرَقِ. قالَ أَبو بُردَةَ:

(**تطلعها وطمعها بالشيء**) وأصله أن تضع يدك على حاجبك وتنظر كالذي يستظلّ من الشمس حتى يستبين الشيء (**وسخاوة النفس**) الجود والكرم (**هي عدم الإشراف إلى الشيء والطمع فيه والمبالاة به والشره**) فإن النفس الكريمة هذا شأنها في الدنيا غير محتفلة بجمعها ولا مشتغلة بحفظها ومنعها.

٥٢٣ - (**وعن أبي بردة**) بضم الموحدة «هانئ بن نيار» بلوي مدني، وتابعي وهو «ابن أبي موسى الأشعري» (**عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة**) بفتح أوليه، قال في «النهاية»: غزا يغزو غزوا، والغزوة المرة من الغزو، والاسم الغزاة أي بفتحها (**ونحن ستة نفر**) جملة حالية من فاعل خرج (**بيننا بعير نعتقبه**) في «المصباح» البعير مثل الإنسان يقع على الذكر والأنثى، والجمل مثل الرجل يختص بالذكر، والناقة مثل المرأة تختص بالأنثى، وقوله نعتقبه أي نتعاقبه في الركوب واحدًا بعد واحد (**فنقبت أقدامنا ونقبت**) بفتح النون وكسر القاف بعدها موحدة أي رقت (**قدمي**) بكسر الميم إذ لو كان مثنى لكان بالألف والمراد به الجنس (**وسقطت أظفاري**) جمع ظفر وفيه لغات ضم أوليه أفصح أي أظفار أصابع قدمي (**فكنا نلفّ على أرجلنا الخرق**) بكسر أوله المعجم وفتح ثانيه (**فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب**) أي نربط، وما موصولة أي الذي كنا نربطه (**على أرجلنا من الخرق قال أبو بردة:**

فَحدَّثَ أَبو موسَى بهَذا الحَديثِ ثُمَّ كَرِهَ ذلكَ، وقالَ: ما كنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَذْكُرَهُ، قالَ: كَأَنهُ كَرِهَ أَن يَكُونَ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ أَفْشاهُ. متفقٌ عليه.

٥٢٤ - وعنْ عمرِو بنِ تَغْلِبَ - بفتحِ التاءِ المثناةِ فوق وإِسكانِ الغينِ المُعْجَمَةِ وكسرِ اللامِ - رضي اللّهُ عنه أَنَّ رسُولَ اللّهِ ﷺ أُتِيَ بمالٍ أَوْ سَبْيٍ فَقسَّمهُ فَأَعْطَى رجالاً وتَرَكَ رِجالاً، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذينَ تَركَ عَتَبُوا فَحَمِدَ اللّهَ تَعَالَى ثُمَّ أَثنى عَلَيه ثُمَّ قال: «أَمَّا بَعدُ، فَوَاللّهِ إِنّي لأُعْطي الرَّجُلَ

فحدث أبو موسى بهذا الحديث) ناشرًا للسنة إذ منها أيامه وأحواله **(ثم كره ذلك)** لما فيه أنه ابتلي فصبر وذلك من المعاملة بين العبد وربه، وكلما كانت أخفى كانت بالبرّ أخفى **(وقال: ما كنت أصنع بأن أذكره)** أي ما أصنع بذكره ذلك **(قال كأنه كره أن يكون شيئًا)** خبر كان واسمها ضمير مستتر أي ما ذكر من عمله شيئًا، ويجوز أن يعرب مفعولا لفعل محذوف هو مع فاعله والجملة خبر يكون أي يكون أفشى شيئًا **(من عمله)** وقوله **(أفشاه)** جملة مفسرة على الثاني **(متفق عليه)** أخرجاه في «المغازي» من «صحيحيهما».

٥٢٤ - **(وعن عمرو بن تغلب)** بفتح التاء اسم غير منصرف للعلمية وقال الحافظ في «الفتح»: وهو النمري بضم النون والميم **(رضي الله عنه)** صحب النبي ﷺ ثم سكن البصرة **(أن رسول الله ﷺ أتى بمال أو)** شك من الراوي **(سبي)** في «النهاية»: السبي النهب وأخذ الناس عبيدًا وإماء **(فقسمه)** وفي نسخة بتخفيف المهملة **(فأعطى رجالا وترك رجالا)** أي منه **(فبلغه أن الذين ترك)** أي تركهم **(عتبوا)** في «المصباح»: عتب عليه من بابي ضرب وقتل: لامه في تسخط اهـ. وفي «النهاية»: العتاب مخاطبة الإذلال ومذاكرة المؤاخذة اهـ وهذا المراد هنا لا التسخط من أفعاله ﷺ فإن ذلك ينافي الإيمان المشهود لهم به في الخبر **(فحمد الله تعالى)** بأوصاف الجمال **(ثم أثنى عليه)** أي بأوصاف الجلال **(ثم قال: أما بعد، فوالله إني لأعطي الرجل)** أل فيه للجنس، والمراد التمثيل، وإلا

وَأَدَعُ الرَّجُلَ، والَّذي أَدَعُ أَحَبُّ إِليَّ مِنَ الَّذي أُعْطِي، وَلكِنّي أُعْطِي أَقْوَامًا لِما أَرى في قُلُوبِهِم مِن الجَزعِ والهَلَعِ، وأَكِلُ أَقْوامًا إِلى ما جَعَلَ اللّهُ في قُلُوبهم مِنَ الغِنَى والخَيْرِ مِنْهُمْ عَمْرُو بنُ تَغلِبَ» فَواللّهِ ما أُحِبُّ أَنَّ لي بِكلِمةِ رسُولِ اللّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ. رواه البخاري.

«الهلع»: هو أشد الجزع، وقيل: الضجر.

٥٢٥ - وعنْ حَكيم بنِ حِزامٍ رضي اللّهُ عنه أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «اليدُ العُليا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلى وابْدأْ بمن تَعُولُ،

فما أفاده الحديث جار في النساء أيضًا **(وأدع الرجل)** أي وأترك **(والذي أدع)** أي أترك إعطاءه **(أحبّ إليّ من الذي أعطي)** وجه حبه لذلك المعطى مع ضعف إيمانه أنه دخل في سواد أهل الإيمان، وانتظم في سلكهم وجملتهم، وهم المحبون له ﷺ فقال ذلك المندرج فيهم نصيبه منها **(ولكني أعطي أقوامًا لما)** أي للذي **(أرى)** أي أعلمه **(في قلوبهم من الجزع)** بالجيم والزاي والعين المهملة، قال في «النهاية»: هو الحزن والخوف **(والهلع وأكل)** أفوض **(أقوامًا إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى)** بفتح الغين المعجمة ثم نون ومد وهو الكفاية، وفي رواية الكشميهني بكسر أوله والقصر ضد الفقر **(والخير: منهم عمرو بن تغلب)** هذا ءاخر الخبر المرفوع وقوله **(فوالله ما أحبّ أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم)** أي لا أحبّ أن يكون لي حمر النعم بدلا من الكلمة المذكورة التي لي، أو أن يكون لي ذلك وقال: تلك الكلمة في حق. قال النووي: «هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء» **(رواه البخاري)** في مواضع من «صحيحه» **(الهلع هو أشد الجزع وقيل: الضجر)**.

٥٢٥ - (وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ) في الإنفاق **(بمن تعول)** من زوجة أو أصل أو فرع أو مملوك، من عال أهله إذا قام بما يحتاجون إليه من

وخَيْرُ الصَّدَقَةِ [ما كان][1] عن ظَهرِ غِنًى، وَمن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللّهُ، ومَن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللّهُ». متفقٌ عليه. وهذا لفظ البخاري ولفظ مسلم أخصر.

٥٢٦ - وعنْ أبي عبدِ الرحمٰنِ معاويةَ بنِ أَبي سفيانَ صَخْرِ بنِ حَرْبٍ قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «لا تُلْحِفُوا بِيَ المسأَلَةَ، فَوَاللّهِ لا يَسْأَلُني

قوت أو كسوة، ورواه البخاري وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة بلفظ: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول» لأن حقهم واجب وغيرهم تطوّع والأول مقدم على الثاني **(وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى)** أي أفضلها ما وقع من غير محتاج إلى ما يتصدق به لنفسه أو لمن تلزمه نفقته. فمعنى الغنى في الحديث حصول ما يدفع به الحاجة الضرورية كأكل عند جوع مشوّش لا صبر عليه فالحاجة إلى ما يدفع به الأذى عن نفسه لا يجوز الإيثار به بل يحرم لأن الإيثار به يؤدي إلى هلاك النفس والإضرار بها، أو إلى ما يستر له العورة فمراعاة نفسه أولى، فإذا سقطت هذه الواجبات صحّ الإيثار وكانت صدقته أفضل لأجل ما يتحمله من مضض الفقر وشدة مشقته **(ومن يستعفف)** أي عن مسألة الناس **(يعفه الله)** بضم التحتية وضم الفاء[2] المشددة أي يرزقه العفة عن ذلك **(ومن يستغن)** أي يظهر الغنى **(يغنه الله)** أي يصيره غنيًا **(هذا لفظ البخاري)** في كتاب الزكاة من «صحيحه» **(ولفظ مسلم)** في كتاب الزكاة أيضًا من «صحيحه» **(أخصر)**.

٥٢٦ - (وعن أبي عبد الرحمٰن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب) أسلم هو وأبوه وأخوه يزيد وأمه هند يوم فتح مكة وكان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم **(قال: قال رسول الله ﷺ: لا تلحفوا)** بضم الفوقية وكسر المهملة من الإلحاف الإلحاح أي لا تلحوا **(بي المسألة فوالله لا يسألني**

---

(١) ما بين العاقفتين سقط من النسختين واستدركناه.

(٢) ويجوز بفتح الفاء مجزوم شرط وجزاؤه أي يصير عفيفًا (إرشاد الساري، ٣/ ٦٢٢).

أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيئًا فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنّي شَيئًا وأنا لَهُ كارِهٌ فَيُبَارَكَ لهُ فيما أَعْطَيْتُهُ». رواهُ مسلم.

٥٢٧ - وعن أَبي عبد الرحمٰنِ عَوفِ بن مالكٍ الأَشْجَعِيّ رضي اللّهُ عنه قالَ: كُنَّا عِنْدَ رسولِ اللّهِ ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثمانِيةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «أَلا تُبَايعُونَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ» وكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلنا: قَد بَايَعْنَاكَ يا رسُولَ اللّهِ، ثُمَّ قال: «أَلا تُبايِعُونَ رَسول اللّهِ ﷺ»

أحد منكم شيئًا فتخرج) بالنصب في جواب النفي (**له مسألته مني شيئًا**) أي يجد مني ما سأله بسبب إلحاحه وإشراف نفسه وحرصه على حصول مطلوبه (**وأنا له كاره**) لدفعه ولكن دفعته له لنحو اتقاء فحشه (**فيبارك**) بالنصب عطف على المنصوب قبله أي يكثر ويدوم (**له فيما أعطيته**) ومن ثم قال الفقهاء: من أخذ شيئًا على أمر أظهره وهو غير متصف به باطنًا لا يملك ذلك المأخوذ وتصرفه فيه باطل (**رواه مسلم**) في كتاب الزكاة من «صحيحه».

٥٢٧ - (**وعن أبي عبد الرحمٰن عوف بن مالك**) بن أبي عوف (**الأشجعي**) الغطفاني (**رضي الله عنه**) أول مشاهده «الفتح»، وكان حامل راية قومه (**قال: كنا**) وفي نسخة زيادة «جلوسًا» جمع جالس خبر كان (**عند رسول الله** ﷺ) متعلق بالفعل (**تسعة**) بتقديم الفوقية (**أو ثمانية أو سبعة**) شك من الراوي في عددهم (**فقال: ألا تبايعون رسول الله** ﷺ) وقوله (**وكنا حديث عهد ببيعة**) جملة في محل الحال من فاعل تبايعون، والبيعة أصلها من البيع لأنهم إذا بايعوا وعقدوا عهدًا حلفوا لمن بايعهم وجعلوا يدهم في يده توكيدًا كما يفعل البائع والمشتري، وكانت هذه البيعة ليلة العقبة قبل بيعة الهجرة وبيعة الجهاد والصبر عليه (**فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال**) أي بعد قوله الأول، والإتيان بثم للفصل بين القولين بجوابهم وما معه (**ألا تبايعون رسول الله** ﷺ) زاد أبو داود

فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنا وَقُلنا: قَدْ بَايَعْناكَ يا رسولَ اللّهِ فَعَلامَ نُبَايِعُكَ؟ قال: «أَن تَعْبدُوا اللّه ولا تُشْرِكوا بِهِ شَيئًا، والصَّلواتِ الخَمْسِ وَتُطِيعُوا» وَأَسَرَّ كلمَةً خَفِيةً، «وَلا تَسْأَلُوا النَّاسَ شيئًا» فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحدِهِمْ فَما يَسأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ. رواه مسلم.

٥٢٨ - وعن ابنِ عُمَرَ رضي اللَّهُ عنهما أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا تَزَالُ المَسأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حتى يَلْقَى اللَّهَ تعالى ولَيسَ في وَجْهِهِ

في روايته بعد قولهم قد بايعناك حتى قالها ثلاثًا (**فبسطنا أيدينا**) أي نشرناها للمبايعة (**وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله**) أوَّلا (**فعلام نبايعك**) أي فعلى أيّ شيء نبايعك ثانيًا (**قال: أن تعبدوا الله**) أي أبايعكم على عبادة الله وحده أي منفردًا وهو حال من الجلالة (**ولا تشركوا به شيئًا**) أي من الشرك (**والصلوات الخمس**) أي وتصلوا الصلوات (**وتسمعوا وتطيعوا**) أي لوليّ الأمر، ومن أوجب الله طاعته في غير معصيته (**وأسر كلمة خفية**) إنما أسر هذه الكلمة دون ما قبلها لأن ما قبلها وصية عامة وهذه الجملة مختصة ببعضهم والمراد بالكلمة المعنى اللغوي وهي الجملة المبينة بقوله: (**ولا تسألوا الناس شيئًا**) قال القرطبي: هذا حمل منه على مكارم الأخلاق والترفع عن تحمل منن الخلق وتعظيم الصبر على مضض الحاجات والاستغناء عن الناس وعزّة النفس (**فلقد رأيت بعض أولئك النفر**) بالجرّ نعت (**يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدًا يناوله إياه**) فيه التمسك بالعموم لأنهم نهوا عن السؤال، والمراد منه سؤال الناس أموالهم فحملوه على عمومه، وفيه التنزّه عن جميع ما يسمى سؤالا وإن كان حقيرًا (**رواه مسلم**) في الزكاة ورواه أبو داود فيها.

٥٢٨ - (**وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبيّ ﷺ قال: لا تزال المسألة**) أي طلب العطاء من السوي (**بأحدكم**) أي بالواحد منكم أي إن طبع الإنسان الاستكثار من الدنيا فلا يزال في الدنيا يسأل مالهم تكثرًا (**حتى يلقى الله تعالى**) كناية عن الموت والحشر، رواه مسلم (**وليس في**

مُزْعةُ لَحْمٍ». متفقٌ عليه.

«المزعَة»: بضم الميم وإسكان الزاي وبالعين المهملة: القطعة.

٥٢٩ - وعنه رضي اللّهُ عنه أَنَّ رسُولَ اللّهِ ﷺ قال وهو على المِنبرِ وَذَكَرَ الصَّدقَةَ والتَّعَفُّفَ عَنِ المسأَلَةِ: «اليَدُ العُليَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلى، واليَدُ العُليا هيَ المُنْفِقةُ والسُّفلى هِيَ السَّائِلَةُ». متفقٌ عليه.

٥٣٠ - وعنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللّهُ عنه: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «مَن سأَلَ النَّاسَ تكَثُّرًا فَإِنَّما

وجهه مزعة لحم) جملة حالية من فاعل يلقى **(متفق عليه)** رواه البخاري ومسلم في الزكاة من صحيحيهما **(المزعة بضم الميم وإسكان الزاي وبالعين المهملة القطعة)** قال النووي: «قال القاضي: قيل معنى الحديث يأتي يوم القيامة ذليلًا ساقطًا لا وجه له عند الله، وقيل: هو على ظاهره فيحشر ووجهه عظم لا لحم عليه عقوبة له وعلامة له بذنبه حين طلب وسأل بوجهه كما جاءت الأحاديث الأخر بالعقوبات في الأعضاء التي كانت بها المعاصي، وهذا فيمن سأل لغير ضرورة سؤالا منهيًا عنه وأكثر منه كما في الرواية الأخرى: «من سأل تكثرًا».

٥٢٩ - **(وعنه رضي الله عنه)** يعني ابن عمر **(أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر وذكر الصدقة والتعفف عن المسألة)** أي يذكر ما في فضلها أو فضل التعفف **(اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا هي المنفقة)** بالنون والفاء والقاف وعند أبي داود المتعففة قال: وقال أكثرهم المنفقة **(والسفلى هي السائلة)** قال المصنف: والصحيح الرواية الأولى ويحتمل صحة الروايتين فالمنفقة أعلى من السائلة والمتعففة أعلى منها، والمراد بالعلوّ علوّ الفضل والمجد **(متفق عليه)** روياه في الزكاة من «صحيحيهما» ورواه أبو داود والنسائي فيها من «سننهما».

٥٣٠ - **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه)** قال **(قال رسول الله ﷺ: من سأل الناس تكثرًا)** أي ليكثر ماله مما يجتمع عنده بسبب السؤال **(فإنما**

يَسْأَلُ جَمرًا، فَلْيسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ». رواه مسلم.

٥٣١ - وعن سَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ رضي اللّه عنه قال: قال رسُولُ اللّهِ ﷺ: «إِنَّ المَسأَلَةَ كَدٌّ يَكُدُّ بها الرَّجُلُ وجْهَهُ إلا أَن يَسأَلَ الرَّجُلُ سُلطانًا أَوْ في أَمْرٍ لا بُدَّ مِنْهُ». رواهُ الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

«الكد»: الخدش ونحوه.

٥٣٢ - وعن ابنِ مَسْعُودٍ رضيَ اللّهُ عنه قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «مَنْ أَصابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَها بالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلها باللّهِ

يسأل جمرًا) قال القاضي: أي يعاقب بالنار **(فليستقل أو فليستكثر)** أي فهو مخير إذا عرف مآل ذلك بين الاستكثار والاستقلال فيكثر عذابه أو يقلّ **(رواه مسلم)** في الزكاة.

٥٣١ - **(وعن سمرة)** بضم الميم **(ابن جندب)** بضم الجيم **(رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن المسألة)** مفعلة من السؤال أي سؤال الناس من دنياهم **(كد)** بفتح الكاف وتشديد الدال المهملة، وفي «المشارق»: هو الجهد في الطلب وسيأتي في الأصل أنه الخدش **(يكد)** بضم الكاف أي يتعب **(بها الرجل)** الباء فيه للسببية والرجل مثال فالمرأة مثله في ذلك **(وجهه)** قال في «النهاية»: أي ماؤه ورونقه.

(إلا أن يسأل الرجل سلطانًا) أي يطلب منه ما أوجب الله من زكاة أو خمس أو في بيت المال ونحوه **(أو في أمر لا بد)** لا فراق **(منه)** فلا يستطيع تركه فتحل له المسألة فيما دعت إليه الضرورة **(رواه الترمذي)** في الزكاة من «جامعه» **(وقال: حديث حسن صحيح الكدّ: الخدش ونحوه)**.

٥٣٢ - **(وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من أصابته فاقة)** أي الحاجة **(فأنزلها بالناس)** طالبًا رفعها عنه بإعانتهم راكنًا في ذلك إليهم **(لم تسد)** بالبناء للمجهول للعلم بالفاعل **(فاقته ومن أنزلها)** أي فمن جعل فاقته نازلة **(بالله)** أي مستعينًا به في رفعها

فَيُوشِكُ اللّهُ لَهُ بِرِزقٍ عاجلٍ أَوْ ءاجِلٍ». رواهُ أَبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن.

«يوشك»: بكسر الشين أي: يُسرع.

٥٣٣ - وعَن ثَوْبانَ رضيَ اللّهُ عنه قال: قال رسُولُ اللّهِ ﷺ: «مَن تَكَفَّلَ لي أَلاَّ يسْأَلَ النَّاسَ شَيئًا وأَتَكَفَّلُ له بالجنَّة؟» فقلتُ: أَنا، فَكَانَ لا يسْأَلُ أَحدًا شَيْئًا. رواه أَبو داود بإسناد صحيح.

٥٣٤ - وعنْ أَبي بِشْرٍ قَبِيصَةَ بنِ المُخَارِقِ رضي اللّهُ عنه قالَ: تَحمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ فيها،

(**فيوشك**) أي فهو يوشك بضم التحتية (**الله له برزق عاجل**) في رفع لأواه (**أو ءاجل**) بالمد: أي لدفع بلواه قال تعالى ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأنعام]، وقال تعالى ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة النساء] (**رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن**).

(**يوشك بكسر الشين**) أي المعجمة وفتح أوله: (**أي يسرع**).

٥٣٣ - (**وعن ثوبان**) بالمثلثة وهو مولى رسول الله ﷺ (**رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من تكفل**) بفتح الفوقية وتشديد الفاء أي ضمن (**لي ألا يسأل الناس شيئًا**) أي مما لا ضرورة به إليه (**وأتكفل**) برفع اللام جملة حالية لضمير المجرور أي من يضمن لي عدم السؤال حال كوني ملتزمًا (**له**) على كرم الله عزّ وجل (**بالجنة فقلت: أنا فكان لا يسأل أحدًا شيئًا**) ظاهره نفي سؤاله لكل شيء (**رواه أبو داود**) في كتاب الزكاة من سننه (**بإسناد صحيح**) ورجاله رجال «الصحيح».

٥٣٤ - (**وعن أبي بشر قبيصة بن المخارق**) بضم الميم البصري الصحابي (**رضي الله عنه**) قال النووي: وفد على رسول الله ﷺ فأسلم (**قال: تحملت**) في الإتيان به من باب التفعل إيماء إلى كلفة الأمر والدخول فيه (**حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها**) أي أسأله لسبب

فقال: «أَقِمْ حَتَّى تَأْتِينا الصَّدَقةُ فَنَأْمُرَ لكَ بها» ثُمَّ قالَ: «يا قَبِيصَةُ إِنَّ المَسأَلةَ لا تَحِلُّ إِلا لأَحَدِ ثَلاثَةٍ: رَجُلٌ تَحَمَّلَ حمالَةً فَحَلَّتْ لَهُ المَسأَلَةُ حَتَّى يُصيبَها ثُمَّ يُمْسِكُ، ورجُلٌ أَصابَتْهُ جائِحةٌ اجْتَاحَتْ مالَهُ فَحَلَّتْ لهُ المَسأَلَةُ حتَّى يُصيبَ قِوامًا مِنْ عيْشٍ أَوْ قال: سِدادًا مِنْ عَيْشٍ، ورجُلٌ أَصابَتْهُ فاقَةٌ حَتى يقُولَ ثَلاثةٌ مِن ذَوي الحِجَى مِن قَوْمِهِ لَقَدْ أَصَابَتْ فُلانًا فَاقَةٌ

الحمالة (**فقال: أقم حتى تأتينا الصدقة**) يعني الزكاة (**فنأمر**) بالنصب (**لك بها**) أي بمسألتك (**ثم قال**) إرشادًا إلى أنه لا ينبغي السؤال إلا عن حاجة حافة أو لأمر مهم كما هنا (**يا قبيصة إن المسألة**) أي السؤال للصدقة المعهودة وهي الزكاة (**لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة**) أي أن يسأل الإمام وأهل الزكاة في أوقاتها (**حتى**) إلى أن (**يصيبها**) أي حتى يقضي دينه الذي تحمله لأجلها (**ثم**) بعد قضائها (**يمسك**) عن المسألة إلا لضرورة أو حاجة أخرى (**ورجل أصابته جائحة اجتاحت**) أي استأصلت (**ماله**) كزرعه وثمره (**فحلت له المسألة**) أي أن يسأل الناس في سد خلته (**حتى يصيب قوامًا من عيش**) أي ما يقوم بحوائجه الضرورية. والحاجية وهو بيان للقوام (**أو**) شك في أي اللفظين المترادفين نطق به (**قال: سدادًا من عيش، ورجل أصابته فاقة**) أي فقر شديد اشتهر بين قومه (**حتى يقول**) بالنصب غاية لمقدر أي وظهرت فلم تخف على قومه إلى أن يقول (**ثلاثة من ذوي الحجى**) بكسر المهملة أي العقل الكامل (**من قومه**) لأن مثل هذا العدد الذي هو أقل الكثير مع اتصافهم بكمال العقل وكونه من قومهم العارفين بحاله الظاهرة والباطنة والمطلعين منها على ما لا يطلع عليه أحد غيرهم منها يقبله ويصدقه كل أحد فيما يخبر به عن أحوال ذلك الرجل قائلين إخبارًا للناس بحاله ليتصدقوا عليه مع التأكيد بلام القسم (**لقد أصابت فلانًا فاقة**) الباعث على هذا مزيد التحري لمزيد السؤال والكف عنه حتى

فحَلَّتْ لَهُ المسْأَلةُ حتَّى يُصِيبَ قِوامًا مِنْ عَيشٍ أَوْ قالَ: سِدادًا مِنْ عَيْشٍ فَمَا سِواهُنَّ مِنَ المَسْأَلةِ يا قَبِيصَةُ سُحتٌ يَأْكُلُها صاحِبُها سُحْتًا». رواه مسلم.

«الحمالة»: بفتح الحاءِ: أن يَقَعَ قِتالٌ ونحوُهُ بين فريقين فيُصلِحُ إنسانٌ بينهم على مالٍ يتحمَّلُهُ وَيَلْتَزِمُهُ على نفسه. و«الجائحة»: الآفةُ تُصيبُ مالَ الإنسانِ.

يظهر فقره واضطراره للناس بإخبار العدد الكثير الجامعين مع وصف الكثرة لوصف العقل، وكونهم من أقاربه المحيطين بحاله غالبًا (**فحلت له المسألة**) بسبب تلك القرائن الدالة على صدقه في سؤاله (**حتى يصيب قوامًا من عيش، أو قال سدادًا من عيش**) وفي تعبيره بالحاجة في الثاني والفاقة في الثالث حتى يشهد من ذكر غاية المبالغة في الكف عن المسألة إلا بعد الوصول لحالة الاحتياج الشديد، وفي قوله: قوامًا أو سدادًا أنه بعد أن حلت له المسألة لا يكثر منها بل يقتصر على ما يقتصر عليه المضطر من سد الرمق لا أن يحتاج إلى سد الرمق به في المستقبل بأن كان ذلك المحل يكثر فيه الناس زمنًا ويقلون في ءاخر فله السؤال في أيام كثرتهم ما يقوم بحاجته أيام قلتهم (**فما سواهن**) أي هذه الأقسام الثلاثة (**من المسألة**) للزكاة أو وصدقة النفل (**يا قبيصة سحت**) أي حرام لا يحل فعله لأنه يسحت البركة أي يذهبها ويهلكها، وأصل السحت الإهلاك (**يأكلها**) صفة لسحت والتأنيث باعتبار كونه خبر ما المراد منها الصدقة (**صاحبها**) حال كونها (**سحتًا**) أي حرامًا خالصًا لا شبهة في أكلها ولا تأويل (**رواه مسلم**) في الزكاة من «صحيحه»، ورواه أبو داود والنسائي في الزكاة من «سننهما» (**الحمالة بفتح الحاء**) المهملة وتخفيف الميم واللام (**أن يقع قتال ونحوه بين فريقين**) أو يوجد قتيل بين قريتين أنكره أهل كل منهما وأدى الأمر إلى التقاتل (**فيصلح إنسان بينهم على مال يتحمله ويلتزمه على نفسه**) دفعًا لتلك المفسدة فيعطى من الزكاة ما يسد به دينه لذلك وإن كان غنيًا (**والجائحة الآفة**) بالمد (**تصيب مال الإنسان**) أصل وضع

و«القِوامُ» بكسر القاف وفتحها: هو ما يقوم به أمرُ الإنسان مِن مالٍ ونحوه. و«السِداد» بكسر السين: ما يَسُدُّ حاجةَ المُعوزِ ويكفيهِ. و«الفاقة»: الفقرُ. و«الحِجى»: العقلُ.

٥٣٥ - وعنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللّهُ عنه أَنَّ رسُولَ اللّهِ ﷺ قال: «لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذي تَرُدُّهُ اللُّقمَةُ واللُّقْمَتانِ وَالتَّمْرَةُ والتَّمْرتَانِ، وَلكِنَّ المِسْكِينَ الَّذي لا يجِدُ غِنًى يُغنيهَ وَلا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ وَلا يَقُومُ فَيسْأَلَ النَّاسَ».

الجائحة مختص بالآفة السماوية والمراد في الحديث ما يشمل الأرضية أيضًا لأن المراد فقره وحاجته (**والقوام بكسر القاف وفتحها**) والقوام بالكسر ما يقيم الإنسان من القوت، والقوام بالفتح العدل والاعتدال (**هو ما يقوم به أمر الإنسان من مال ونحوه**) قال في «شرح مسلم»: القوام والسداد بكسر أولهما ما يغني من الشيء ويسد به الحاجة (**والسداد بكسر السين**) المهملة (**ما يسد حاجة المعوز**) بضم فسكون فكسر، من أعوز الرجل: افتقر (**ويكفيه**) أي من مال ونحوه زاد في «شرح مسلم»: وكل شيء سددت به شيئًا فهو سداد بالكسر، ومنه سداد الثغر وسداد القارورة، وقولهم سداد من عوز (**والفاقة**) بالفاء والقاف بينهما ألف (**الفقر**) أي الحاجة (**والحجى**) بالضبط السابق فيه (**العقل**).

٥٣٥ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ليس المسكين**) أي الكامل المسكنة (**الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن**) عطف على ما قبله، ولكن لاستدراك ثبوت ما توهم نفيه من سابقه، إذ المعهود في المسكين عند الناس هو الطواف، وقد نفى عنه المسكنة فربما يتوهم نفيه مطلقًا فرفع ذلك بقوله ولكن (**المسكين الذي لا يجد غنًى**) بكسر أوله ضد الفقر (**يغنيه**) بضم التحتية أي يكفيه عن سؤال الغير (**ولا يفطن له**) لتصبره وكتم حاله وما هو فيه (**فيتصدق عليه**) بالبناء للمجهول منصوب في جواب النفي (**ولا يقوم في الناس فيسأل الناس**)

متفقٌ عليه.

٥٨ - باب جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلع إليه

٥٣٦ - عَن سالم بنِ عبدِ اللّهِ بنِ عُمَرَ عَنْ أَبيهِ عبدِ اللّهِ بنِ عُمَرَ عَنْ عُمَرَ رضي اللّهُ عنهم قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِيني العطَاءَ فَأَقُولُ: أَعطِهِ مَن هُوَ أَفقَرُ إِليه مِنّي، فقال: «خُذهُ، إِذا جاءَكَ مِن هذا المَال شَيء وأنت غيرُ مُشْرِفٍ ولا سائلٍ فَخُذْهُ فتَموَّلْهُ

أي فهذا هو الكامل المسكنة الممدوحها (**متفق عليه**) رواه البخاري في «التفسير»، ومسلم في الزكاة ورواه النسائي في الزكاة.

٥٨ - باب جواز الأخذ

للمال من باذله (**من غير مسألة**) أي سؤال (**ولا تطلع**) أي ترقب واستشراف (**إليه**).

٥٣٦ - (**عن سالم بن عبد الله بن عمر**) يكنى أبا عمرو القرشي العدوي المدني التابعي الإمام الفقيه الزاهد العابد، وأجمعوا على إمامته وجلالته وزهادته وعلوّ مرتبته، وهو أحد الفقهاء السبعة فيما عدهم ابن المبارك. توفي بالمدينة سنة ست ومائة (**عن أبيه عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنهم**) فيه تغليب لهما على سالم فإنه تابعي (**قال: كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء**) أي من الغنائم (**فأقول: أعطه من هو أفقر**) أي أحوج (**إليه**) أي العطاء بمعنى المعطى (**مني**) وكان ذلك من عمر لسماعه من النبيّ ﷺ للنهي عن الاستكثار من الدنيا والحرص عليها (**فقال**) أي النبيّ ﷺ (**خذه**) أي متملكًا له بدليل إذنه له في التصرف فيه بقوله (**إذا جاءك**) أي وصلك (**من هذا المال**) أي من مال العطاء (**شيء**) التنوين فيه للتعميم فيشمل القليل والجليل (**وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه فتموله**) أي اتخذه مالا ثم أنت مخير بين إنفاقه في حاجتك وبين

فَإن شِئتَ كُلْهُ وإن شِئتَ تَصَدَّقْ به، ومَا لا فَلا تُتبِعْهُ نَفْسَكَ» قال سالمٌ: فَكَان عَبدُ الله لا يَسْأَلُ أَحدًا شَيئًا وَلا يَرُدُّ شيئًا أُعْطِيهُ. متفقٌ عليه.

«مشرف» بالشين المعجمة: أي متطلع إليه.

٥٩ - باب الحث على الأكل من عمل يده والتَّعفُّفِ به عن السؤال والتعرض للإعطاء

قال الله تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الجمعة].

التصدّق كما قال منبهًا بالفاء التقريعية في قوله (**فإن شئت كله**) أي فإن شئت أكله (**وإن شئت تصدق به ومالا**) أي وأي مال لا يجيئك على الحال المذكورة بأن جاءك وأنت مشرف أو سائل (**فلا تتبعه نفسك**) قال الحافظ ابن حجر: «أي إن لم يجئ إليك فلا تطلبه بل اتركه» (**قال سالم**) أي المذكور أوَّلا (**فكان عبد الله لا يسأل أحدًا شيئًا**) أي قليلًا ولا جليلًا من الدنيا كما يؤذن به التنوين (**ولا يرد شيئًا أعطيه**) عملًا بالحديث المذكور ووقوفًا عنده وقد كان ابن عمر شديد الاتباع (**متفق عليه**) رواه البخاري في الزكاة، ومسلم في الزكاة من «صحيحه»، مشرف بصيغة الفاعل من الإشراف: أي متطلع إليه. وفي «فتح الباري»: الإشراف التعرّض للشيء والحرص عليه من قولهم أشرف على كذا إذا تطاول له.

٥٩ - باب الحث

بفتح المهملة وتشديد المثلثة: أي التحريض (**على الأكل من عمل يده**) بالاحتراف والاكتساب (**والتعفف به عن السؤال والتعرض**) أي التطلب (**للإعطاء**).

(**قال الله تعالى** ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾) أي صلاة الجمعة (﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾) أي لقضاء حوائجكم (﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴿١٠﴾﴾) أي رزقه وهذا أمر إباحة بعد الحظر.

٥٣٧ - وعنْ أَبي عبدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّام رضي اللَّهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لأَن يَأخُذَ أحدُكم أَحْبُلَهُ ثُمَّ يَأْتِيَ الجَبَلَ فَيأتيَ بحُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلى ظَهرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللَّهُ بهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَن يَسأَلَ النَّاسَ أَعطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ». رواه البخاري.

٥٣٨ - وعنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لأَن يحتَطِبَ أَحَدُكُم حُزمَةً عَلى ظَهرِهِ خَيْرٌ منْ أَن يَسأَلَ أَحَدًا فَيُعْطيَهُ أَو يَمنَعَهُ». متفقٌ عليه.

---

٥٣٧ - (**وعن أبي عبد الله الزبير بن العوام**) بن خويلد القرشي الأسدي المكي، ثم المدني أحد العشرة المبشرة بالجنة (**رضي الله عنه قال: قال رسول الله** ﷺ) مؤكدًا للشيء المقطوع بصدقه بالقسم المقدر المؤذن به اللام من قوله (**لأن يأخذ أحدكم**) أي والله لأخذ أحد منكم (**أحبله**) بفتح أوله وسكون المهملة وضم الموحدة جمع قلة لحبل (**ثم يأتي الجبل**) أي مثلًا فغيره من المفازات محال الحطب كذلك، ولعل التصريح به ما في الصعود فيه من زيادة المشقة على سلوك الأودية (**فيأتي بحزمة من حطب على ظهره**) من نفسه (**فيبيعها فيكف الله بها وجهه**) أي فيمنع الله بها ذاته من الحاجة، وعبر بالوجه عن الكل لأنه أشرف الأجزاء الإنسانية (**خير له من أن يسأل الناس**) قال الحافظ في «الفتح»: خير ليس للتفضيل إذ لا خير في السؤال مع القدرة على الكسب بل الأصح حرمته عند الشافعي، ويحتمل أنه كذلك بحسب اعتقاد السائل وتسمية الذي يعطاه خيرًا وهو في الحقيقة شر (**أعطوه أو منعوه**) وفيه مزيد الحض على التعفف عن المسألة والتنزه عنها (**رواه البخاري**) في الزكاة من «صحيحه»، ورواه ابن ماجه في الزكاة من «سننه» أيضًا.

٥٣٨ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله** ﷺ: **لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره**) أي فيبيعها فيكف الله بها وجهه (**خير من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه متفق عليه**) رواه البخاري في الزكاة من «صحيحه» ورواه مسلم والترمذي وقال: حسن غريب.

٥٣٩ - وعنه رضي الله عنه عنِ النَّبيّ ﷺ قال: «كَانَ داوُدُ عليهِ السَّلامُ لا يَأكُلُ إلا مِن عَمَلِ يَدِهِ». رواه البخاري.

٥٤٠ - وعنه رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «كانَ زَكَريَّاءُ عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ نجَّارًا». رواه مسلم.

٥٤١ - وعنِ المِقدَام بنِ مَعْدِيْ كَربَ رضي اللَّهُ عنه عنِ النَّبيّ ﷺ قال: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِن أن يَأْكُلَ

---

٥٣٩ - (وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يديه) قال الحافظ: الظاهر أن الذي كان يعمله داود بيده الدروع وألان الله له الحديد فكان ينسج الدروع ويبيعها ولا يأكل إلا من ثمن ذلك مع أنه كان من كبار الملوك قال تعالى ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة ص] وكان مع سعة ملكه يتورّع ولا يأكل إلا من عمل يده **(رواه البخاري)** في البيوع.

٥٤٠ - (وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: كان زكرياء عليه الصلاة والسلام) فيه إيماء إلى ما قدمناه من أنه لا كراهة في إفراد واحد من الأنبياء بالصلاة لحديث الطبراني: «صلوا على سائر الأنبياء فإنهم بعثوا كما بعثت» **(نجارًا)** وهذا من الفضائل لحديث البخاري: «أفضل ما أكل الرجل من عمل يده» في الحديث جواز الصنائع وأن النجارة لا تسقط المروءة وأنها صنعة فاضلة، وفيه فضيلة لزكريا ﷺ وأنه كان صانعًا يأكل من كسبه **(رواه مسلم)** في أحاديث الأنبياء من «صحيحه»، ورواه ابن ماجه.

٥٤١ - (وعن المقدام) بكسر الميم وسكون القاف وبالدال المهملة **(ابن معدي كرب)** بسكون الياء **(رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ما أكل أحد طعامًا قط)** بفتح القاف وضم الطاء **(خيرًا من أن يأكل)** أي أو يشرب أو يلبس، وذكر الأكل لأنه أغلب أنواع الاستعمال كما قيل به في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة النساء]

مِن عمَلِ يَدِهِ، وإِنَّ نَبيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلامُ كان يَأْكُلُ مِن عَمَلِ يَدِهِ». رواه البخاري.

٦٠ - باب الكَرَم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى

قال الله تعالى ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سورة سبإ]،

فإن المراد استعمالها بأي وجه وذكر لذلك (**من عمل يده**) وفي نسخة «يديه» كناية عن الكسب وذكر اليدين إما لأنه أفضل مما ليس فيه عملهما، ويؤيده أنه ﷺ قيل له: أيّ الكسب أفضل؟ فقال: عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور أو لأن أغلب الأعمال بهما وإلا فالمراد مطلقه كالحاصل من كسب النظر كأن يستأجر لحفظ متاع، والسمع كأن يستأجر لسماع طلب درس علم، أو النظر كأن يستأجر لقراءة قرءان، ثم المراد كما تدل عليه القواعد الشرعية كسب حلال خالص من الغش بسائر وجوهه قال الحافظ ابن حجر: «والمراد بالخيرية ما يستلزم العمل باليد من الغنى عن الناس» (**وإن نبيّ الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده. رواه البخاري**) في أوائل البيوع من «صحيحه».

٦٠ - باب الكرم والجود

بضم الجيم الكرم بذل ما ينبغي من المال فيما ينبغي (**والإنفاق في وجوه الخير**) من صدقة وصلة رحم (**ثقة بالله تعالى**) أي بوعده الذي لا يخلف من حسن الجزاء على ذلك في دار القرار، قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النساء] وقال تعالى ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴿٨٩﴾﴾ [سورة النمل] وقال ﷺ: «والصدقة برهان» أي علامة على تصديق باذلها بوعد الله تعالى (**قال الله تعالى** ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ ﴿٣٩﴾﴾) أي في رضا الله تعالى (﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴿٣٩﴾﴾) يعوضه في الدارين أو في أحدهما

وقال تعالى ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٢﴾ [سورة البقرة]، **وقال تعالى** ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٢٧٣﴾ [سورة البقرة].

٥٤٢ - وعَنِ ابن مَسْعُودٍ رضي اللَّهُ عنه عن النَّبيّ ﷺ قال: «لا حَسَدَ إلا في اثنتَيْنِ: رَجُلٌ ءاتَاهُ اللّهُ مَالا فَسَلَّطَه عَلى هَلَكَتِهِ في الحَقّ، وَرَجُلٌ ءاتَاهُ اللّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلّمُها». متفقٌ عليه.

ومعناه: ينبغي أن لا يُغْبَطَ أحدٌ إلا على إحدى هاتين الخصلتين.

(**وقال تعالى** ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ﴾) أي وأيّ إنفاق منكم لمرضاة الله تعالى فلأنفسكم ثوابه فلا تمنوا به على أحد (﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ﴾) يعني أن المؤمن لا ينفق إلا لمرضاة الله تعالى (﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٢﴾) فلا ينقص ثواب صدقاتكم.

(**وقال تعالى** ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾) أي مريدين به مرضاته سبحانه (﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٢٧٣﴾) أي فيجازيكم بقدره، وفيه ترغيب في الإنفاق لذلك.

٥٤٢ - (وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا حسد) أي لا غبطة **(إلا في اثنتين)** أي من الخصال **(رجل)** بالرفع **(ءاتاه)** بالمد والفوقية أي أعطاه **(الله مالا)** التنوين فيه للتعميم فيشمل القليل والكثير **(فسلطه على هلكته)** بفتح أوائله أي إنفاقه **(في الحق)** خلاف الباطل أي في القرب والطاعات **(ورجل ءاتاه الله حكمة)** أي علمًا. قال الحافظ: المراد به القرءان كما ورد في حديث ابن عمرو، أو أعم من ذلك وضابطها ما منع من الجهل وزجر عن القبيح اهـ **(فهو يقضي بها)** بين المتنازعين إليه **(ويعلمها)** الطالب لها **(متفق عليه. ومعناه: ينبغي أن لا يغبط أحد)** على حال هو فيه كائنًا ما كان **(إلا على إحدى هاتين الخصلتين)** لعظم نفعهما وحسن وقعهما.

٥٤٣ - وعنه رضي اللَّهُ عنه قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: «أَيُّكُم مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِليه مِن مَالِهِ؟» قالُوا: يا رسولَ اللَّهِ، ما مِنَّا أَحَدٌ إلا مَالُه أَحَبُّ إِليه. قال: «فإِنَّ مَالَه ما قَدَّمَ ومالَ وَارِثِهِ ما أَخَّرَ». رواه البخاري.

٥٤٤ - وعَنْ عَدِيّ بنِ حاتم رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِ تمرَةٍ». متفق عليه.

٥٤٥ - وعن جابرٍ رضي اللَّهُ عنه قال: «ما سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ شَيئًا قَطُّ فقالَ: لا». متفقٌ عليه.

---

٥٤٣ - (وعنه رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: أيكم مال وارثه أحبّ إليه من ماله) قال في «الفتح»: أي إن الذي يخلفه الإنسان من المال وإن كان حالا منسوبًا إليه فإنه باعتبار انتقاله إلى وارثه يكون منسوبًا إليه فنسبته للمالك في حياته حقيقية، وللوارث حينئذ مجازية ومن بعد حقيقية **(قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحبّ إليه)** جملة وصفية لأحد **(قال: فإن ماله ما قدم)** بأن تصدق أو أكل أو لبس فهذا هو الذي يضاف إليه حيًّا وميتًا بخلاف ما يخلفه من المال **(ومال وارثه ما أخر)** فإن عمل فيه بطاعة الله اختص بثوابه عن الميت وإن كان عمل فيه بمعصية الله تعالى فذلك أبعد لمالكه الأول من الانتفاع إن سلم من تبعته **(رواه البخاري)** في الرقاق في «صحيحه»، ورواه النسائي.

٥٤٤ - (وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: اتقوا النار) أي اتخذوا بينكم وبينها وقاية من صالح الأعمال جل أو قل **(ولو بشق)** أي نصف **(تمرة. متفق عليه)**.

٥٤٥ - (وعن جابر رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا) بل إن كان عنده أعطاه، أو يقول له ميسورًا من القول فيعده أو يدعو له **(متفق عليه)** رواه البخاري في الأدب، ومسلم في فضائل النبي ﷺ والترمذي في الشمائل.

٥٤٦ - وعنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِن يَوْم يُصْبِحُ العِبادُ فِيهِ إلا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعطِ مُمْسِكًا تَلَفًا». متفقٌ عليه.

٥٤٧ - وَعنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «قالَ اللّهُ تعالى أَنفِقْ يا ابنَ ءادمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ». مُتفق عليه.

---

٥٤٦ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما من) مزيدة للتنصيص على العموم والاستغراق في قوله (يوم يصبح العباد فيه) هذا ظاهر في أن المراد من اليوم ضد الليل (إلا ملكان) في حديث أبي الدرداء إلا وبجنبيها ملكان. والجنب بسكون النون الناحية (ينزلان فيقول) بالرفع (أحدهما: اللهم أعط منفقًا) قال الأبي: أي النفقة في الواجب لأن في المال حقوقًا متعينة والنفقة في المندوب لكن بالمعروف (خلفًا) يحتمل أن يكون في الدنيا ويحتمل أن يكون في الآخرة، وفيه الحض على الإنفاق ورجاء قبول دعوة الملك، ويشهد لهذا قوله تعالى ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سورة سبإ] وفي اعتبار المعروف قوله تعالى ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [سورة الإسراء] (ويقول الآخر) بفتح المعجمة (اللهم أعط ممسكًا) أي عن الإنفاق الواجب (تلفًا) والتلف يحتمل أن يراد به تلف ذلك المال بعينه أو تلف نفس صاحب المال والمراد به فوات أعمال البر بالتشاغل بغيرها. قال المصنف: الإنفاق الممدوح ما كان في الطاعات وعلى العيال والضيفان والتطوعات (متفق عليه) أخرجاه في الزكاة وأخرجه النسائي.

٥٤٧ - (وعنه أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى) أي فهو من الأحاديث القدسية (أنفق يا ابن ءادم) أي أنفق المال في وجوه القرب بالطريق المأذون فيه شرعًا إيمانًا واحتسابًا (ينفق عليك) بالبناء للمفعول وحذف الفاعل للعلم به سبحانه وهو مجزوم جواب شرط مقدر أي إن تنفق ينفق أي يوسع عليك ويخلف عوض ما تنفقه فعبر عنه بالإنفاق على سبيل المشاكلة (متفق عليه).

٥٤٨ - وعنْ عبد اللّهِ بنِ عَمْرِو بنِ العَاصِ رضي اللَّهُ عنهُ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رسولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الإِسلامِ خَيْرٌ؟ قال: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرأُ السَّلامَ عَلى مَنْ عَرَفْتَ وَمَن لم تَعْرِفْ». متفقٌ عليه.

٥٤٩ - وعنه قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَربَعُونَ خَصلةً أَعلاهَا مَنيحَةُ العَنْزِ، ما مِن عَاملٍ يَعْمَلُ بخَصلةٍ منها رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْديقَ مَوْعُودِهَا إِلا أَدخَلَهُ اللّهُ بهَا الجنَّةَ».

---

٥٤٨ - (**وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رجلاً**) في «صحيح مسلم» عن أبي موسى قال: قلت: يا رسول الله، وجاء في طريق أخرى عنه: «سألنا رسول الله ﷺ» فهذا ظاهر في أنه هو (**سأل رسول الله** ﷺ) وقوله: (**أيّ الإسلام خير**) على تقدير القول أي قائلًا أي الإسلام أيّ خصاله (**قال تطعم**) بالرفع (**الطعام**) والظاهر أن المراد الإطعام على وجه الصدقة والهدية والضيافة ونحو ذلك لأنه ذكر بصيغة العموم (**وتقرأ السلام**) مفتوح الفوقية والراء لأنه من قرأ المراد إفشاء السلام على من لقيت (**على من عرفت ومن لم تعرف**) السلام على من ذكر استئلاف للقلوب واستجلاب لودها (**متفق عليه**) أخرجه البخاري ومسلم في الإيمان، وابن ماجه في الأطعمة.

٥٤٩ - (**وعنه قال: قال رسول الله** ﷺ: **أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز**) قال أبو عبيدة: المنيحة عند العرب على وجهين أولهما إعطاء الرجل صاحبه نحو شاة صلة. ثانيهما أن يعطيه شاة أو ناقة ينتفع بحلبها ثم يردها وهذا هو المراد هنا (**ما من عامل يعمل بخصلة**) أي بواحدة (**منها رجاء ثوابها**) مفعول له أي راجيًا ثوابها وفيه إيماء إلى أن ترتب الثواب على صالح العمل ليس على سبيل اللزوم، بل على سبيل الفضل من المولى سبحانه (**وتصديق موعودها**) الإضافة لأدنى ملابسة أي الموعود به فيها (**إلا أدخله الله بها الجنة**) قال الحافظ ابن حجر نقلًا عن ابن بطال: قد كان النبي ﷺ عالمًا بالأربعين المذكورة، وإنما لم

رواه البخاري. وقد سبقَ بيان هذا الحديث في باب بَيَان كَثْرةِ طُرق الخَيْرِ.

٥٥٠ - وعنْ أَبي أُمَامَةَ صُدَيّ بنِ عَجْلانَ رضي اللَّهُ عنه قال: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يا ابْنَ ءادَمَ إِنَّكَ أَن تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ وأَن تُمسِكَهُ شرٌّ لَكَ، وَلا تُلامُ عَلى كَفَافٍ، وَابْدأْ بِمَن تَعُولُ، واليَدُ العُليا خيرٌ مِنَ اليَدِ السُّفلَى». رواه مسلم.

٥٥١ - وعنْ أَنَسٍ رضي اللَّهُ عنه قال: ما سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عَلى الإِسلامِ شَيئًا إِلاَّ أَعطاه،

يذكرها لمعنى هو أنفع من ذكرها وذلك خشية أن يكون التعيين لها مزهدًا في غيرها من أبواب البرّ (**رواه البخاري**) في أواخر الهبة من «صحيحه»، ورواه أبو داود في كتاب الزكاة من «سننه» (**وقد سبق بيان هذا الحديث**) أي يذكر معنى المنيحة (**في باب بيان كثرة طرق الخير**).

٥٥٠ - (**وعن أبي أمامة**) بضم الهمزة وتخفيف الميمين (**صدي**) بضم ففتح فتشديد التحتية (**ابن عجلان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يا ابن ءادم إنك أن تبذل الفضل**) بفتح همزة أن والفضل ما زاد على ما تدعو إليه حاجة الإنسان لنفسه ولمن يمونه (**خير لك**) خبر أن أي فهو خير لك (**وأن تمسكه**) بفتح الهمزة أي وإمساكك إياه (**شر لك**) لأنك تحاسب عليه ولا تلقاه بين يديك عند حاجتك إليه (**ولا تلام**) أي ولا يلحقك لوم من الشرع (**على كفاف**) أي إمساك ما تكف به الحاجة (**وابدأ بمن تعول**) من زوجة وقريب وعبد ودابة لأن حقهم واجب وهو أفضل من المندوب بسبعين ضعفًا (**واليد العليا**) المنفقة (**خير من اليد السفلى**) أي الآخذة (**رواه مسلم**).

٥٥١ - (**وعن أنس رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام**) على فيه تعليلية أي لأجل الإسلام (**شيئًا**) من الدنيا جل أو قل وهو ثاني مفعولي سئل (**إلا أعطاه**) ترغيبًا في الإسلام وإنقاذًا لذلك من

وَلَقَد جَاءَه رجُلٌ فَأَعطَاه غَنَمًا بينَ جَبَلينِ فرجَعَ إِلى قَومِهِ فَقَالَ: يَا قَوم أَسْلِمُوا فإِنَّ مُحمدًا يُعطي عَطَاءَ مَن لا يَخْشَى الفَقْرَ، وَإِن كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلا الدُّنْيَا فَمَا يَلْبَثُ إِلا يَسِيرًا حَتَّى يَكُونَ الإِسلامُ أَحَبَّ إِليهِ منَ الدُّنيَا وَمَا عَلَيها. رواه مسلم.

٥٥٢ - وعنْ عُمَرَ رَضِيَ الله عنه قال: قَسَمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ قَسْمًا، فَقُلتُ: يا رسولَ اللَّهِ

النار للرحمة التي طبع عليها (**ولقد جاءه رجل**) لم يتعرض المصنف في «شرح مسلم» لبيانه ولعله كان من المؤلفة (**فأعطاه غنمًا بين جبلين**) أي كثيرة كأنها تملأ ما بين الجبلين، وهذا الإعطاء منه ﷺ يحتمل أن يكون عن سؤال من ذلك الرجل. قال النووي: يجوز أن يعطى المسلم من المؤلفة من الزكاة ومن بيت المال ولا يجوز أن يعطى مؤلفة الكفار من الزكاة (**فرجع إلى قومه**) داعيًا لهم إلى الإسلام (**فقال: يا قوم أسلموا**) أي لتغنموا الدنيا لأنه لم يكشف له أنوار اليقين إلا حينئذ كما يدل عليه قوله (**فإن محمدًا ﷺ يعطي عطاء**) مفعول مطلق (**من لا يخشى**) يخاف (**الفقر**) لشدة معرفته بهبات ربه وسعة خزائن فضله، وقوله: (**وإن**) مخففة من الثقيلة أي وإنه (**كان الرجل ليسلم**) أي يدخل في الإسلام وينتظم في عدادهم (**ما يريد**) بإسلامه (**إلا الدنيا**) لما يرى من مزيد بذله ﷺ تأليفًا على الإسلام وترغيبًا فيه (**فما يلبث**) أي يمكث (**إلا**) زمنًا (**يسيرًا**) تشرق في قلبه أشعة أنوار الإيمان وتخالط بشاشته قلبه فيتمكن منه (**حتى يكون الإسلام أحبّ إليه من الدنيا وما عليها**) فهذا من كمال رحمته ومزيد معرفته أن دواء كل داء بما يقطع مادته من أصلها لتقلب تلك الأمراض إلى ضدها، فصلى الله وسلم عليه وزاده فضلًا وشرفًا لديه (**رواه مسلم**) في فضائل الأنبياء من «صحيحه».

٥٥٢ - (**وعن عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه قال: قسم رسول الله ﷺ قسمًا**) أي ما يقسم من ماله الغنائم أو الخراج أو نحو ذلك (**فقلت**) معطوف على مقدر دل عليه الكلام فأعطى أناسًا وترك ءاخرين (**يا رسول الله**

لَغَيْرُ هَؤُلاءِ كَانُوا أَحَقَّ بِهِ مِنْهُم؟ قال: «إِنّهُمْ خَيَّرُونِي أَن يَسأَلوني بالْفُحشِ أَو يُبَخِّلُوني وَلَستُ بِباخِلٍ». رواه مسلم.

٥٥٣ - وعن جُبَيرِ بنِ مُطعِم رضيَ الله عنه أَنه قال: بَيْنَمَا هُوَ يسِيرُ معَ النَّبيّ ﷺ مَقْفَلَهُ مِن حُنَيْنٍ فَعَلِقَهُ الأعرَابُ يَسأَلونه حَتى اضطرُّوهُ إلى سَمُرَةٍ

لغير هؤلاء) أي المعطين **(كانوا أحق)** أي أولى **(به)** أي بالعطاء **(منهم)** أي من هؤلاء قال الأبي: وهذا التنبيه لظنه أن الإيثار بالعطاء بحسب الفضيلة والسابقة في الدين، فبين له ﷺ سببه بقوله: **(قال: إنهم خيروني)** قال الأبي: الأظهر أنه بلسان الحال أي وكلوا الخيرة إلي **(أن يسألوني بالفحش)** فأعطيهم **(أو)** أن **(يبخلوني)** معناه كما قال النووي: «أنهم ألحوا عليّ في السؤال لضعف إيمانهم وألجئوني بمقتضى حالهم إلى السؤال بالفحش أو نسبتي إلى البخل **(ولست بباخل)** ولا ينبغي احتمال واحد من الأمرين»، فاختار أن يعطي إذ ليس البخل من خلقه ﷺ مداراة وتألفًا كما قال ﷺ: «شرّ الناس من اتقاه الناس اتقاء لشرّه». وكما أمر بإعطاء المؤلفة ففيه ما كان عليه ﷺ من عظيم الخلق والصبر والحلم والإعراض عن الجاهلين كما أمر ﷺ **(رواه مسلم)** في الزكاة من «صحيحه».

٥٥٣ - (وعن) أبي محمد **(جبير)** بضم الجيم **(ابن مطعم)** القرشي النوفلي المدني **(رضي الله عنه)** أسلم يوم الفتح وقيل قبله وحسن إسلامه، وكان سيدًا حكيمًا وقورًا رئيسًا كاتبًا، مات بالمدينة سنة ثمان أو تسع **(أنه قال بينما)** ما مزيدة لكفّ بين عن الإضافة **(هو يسير مع النبي ﷺ مقفله)** أي زمن رجوعه **(من حنين)** بضم المهملة في السنة الثامنة بعد الفتح في شوال **(فعلقه)**[1] بفتح العين وتخفيف اللام بوزن طفق ومعناه **(الأعراب يسألونه حتى اضطروه)** أي ألجأوه **(إلى سمرة)** بفتح المهملة وضم الميم شجرة طويلة متفرقة الرأس قليلة الظل صغيرة

---

(١) وفي نسخ من رياض الصالحين: فعلقه.

فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبيُّ ﷺ فقال: «أَعْطُوني رِدَائي، فَلَو كَانَ لي عَدَدُ هذِهِ العِضاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَينَكُمْ ثم لا تجِدُوني بَخيلاً وَلا كَذَّابًا وَلا جَبَانًا». رواه البخاري.

«مَقْفَلَهُ» أي في حَال رُجوعِهِ. و«السَّمُرَةُ»: شجرةٌ. و«العِضاه»: شَجَرٌ لهُ شَوْكٌ.

٥٥٤ - وعنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَا نَقَصَت

الورق والشوك صلبة الخشب (**فخطفت**) بكسر الطاء المهملة (**رداءه**) قال في «المصباح»: خطفه من باب سمع استله بسرعة (**فوقف النبيّ** ﷺ) أي بإمساك خطام الناقة الذي بيده (**فقال: أعطوني ردائي فلو كان لي عدد هذه العضاه**) اسم كان وخبرها (**نعمًا**) بالنصب ويجوز على التمييز (**لقسمته بينكم**) قال ابن المنير: وهذا تنبيه بطريق الأولى لأنه إذا سمح بمال نفسه فلأن يسمح بقسم غنائمهم عليهم أولى (**ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذابًا ولا جبانًا**) أي لا تجدوني ذا بخل ولا ذا كذب ولا ذا جبن، فالمراد نفي الوصف من أصله. قال الحافظ ابن حجر: «في الحديث ذم الخصال المذكورة وهي البخل والكذب والجبن وأن إمام المسلمين لا يصلح أن يكون فيه خصلة منها، وفيه ما كان عليه ﷺ من الحلم وحسن الخلق وسعة الجود والصبر على جفاة الأعراب، وفيه جواز وصف المرء نفسه بالخصال الحميدة عند الحاجة كخوف ظن أهل الجهل به خلاف ذلك ولا يكون ذلك من الفخر المذموم» اهـ (**رواه البخاري**) في الجهاد (**مقفله**) بفتح أوله وثالثه وسكون ثانيه (**أي في حال**) أحسن منه زمان (**رجوعه. والسمرة شجرة**) تقدم بيانها (**والعضاه**) بكسر العين المهملة وبالضاد المعجمة (**شجر له شوك**) قال الحافظ ابن حجر: «واختلف في واحدها فقيل عضة بفتح أوليه كشفة وشفاه».

٥٥٤ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله** ﷺ **قال: ما نقصت**

صَدَقَةٌ مِن مَالٍ، ومَا زَادَ اللّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلا عِزًّا، ومَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إلا رَفَعَهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ». رواه مسلم.

٥٥٥ - وعن أَبي كَبشَةَ عُمَرَ بن سَعدٍ الأَنَمَارِيّ رضي اللَّهُ عنه أَنه سَمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِثُكُم حَدِيثًا فاحفَظُوهُ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبدٍ مِن صَدَقَةٍ، وَلا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً

صدقة) هي المخرج من المال تقربًا إلى الله تعالى **(من مال)** قال المصنف: ذكروا فيه وجهين: أحدهما أنه يبارك فيه ويدفع عنه المفسدات فيجبر النقص الصوري بالبركة الخفية وهذا مدرك بالحس والعادة، وثانيهما أنه وإن نقصت صورته لكن ثوابه المعد له في الآخرة جابر لنقصه **(وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا)** فيه وجهان أيضًا أحدهما أنه على ظاهره أن من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزة وكرامة، والثاني أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك **(وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عزّ وجلّ)** يجوز أن يكون في الدنيا بأن يرفعه ويثبت له في القلوب بتواضعه منزلة يرفعه بها الناس ويجلو مكانه، ويحتمل أن يكون ذلك في الآخرة فيثيبه الله في الجنة بتواضعه في الدنيا، وقد يكون المراد فيهما جميعًا اهـ ملخصًا **(رواه مسلم)** في البر والصلة من «صحيحه».

٥٥٥ - **(وعن أبي كبشة)** بفتح الكاف **(عمر)** بضم ففتح **(ابن سعد الأنماري)** بفتح الهمزة وسكون النون وبعد الألف راء نسبة إلى أنمار بطن من العرب، وقد اختلف في اسمه **(رضي الله عنه)** فقيل كما ذكره المصنف «عمر» **(أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ثلاثة)** من الخصال أو خصال ثلاثة **(أقسم عليهن)** تأكيدًا لها في الأذهان للسامعين ليزداد قبولهم لها ويشتد حرصهم على العمل بها وأكد ذلك بقوله: **(وأحدثكم حديثًا)** أي في ذلك **(فاحفظوه ما نقص مال عبد من صدقة)** أي بل البركة النازلة فيه أو الثواب المعد لباذله وذلك يجبر ما نقص منه حسًا، أو ما نقص ثوابه بل يضاعف يوم القيامة أضعافًا كثيرة **(ولا ظُلم عبد مظلمة)** بفتح الميم، قال في «المصابيح»: هي ما يطلبه عند الظالم وهي ما أخذ

صَبرَ عَلَيْهَا إلا زادَه اللَّهُ عِزًّا، ولا فَتحَ عَبْدٌ بابَ مَسْأَلَةٍ إلا فَتَحَ اللَّهُ عليهِ بابَ فقْرٍ أو كَلِمَةً نَحْوَهَا. وَأُحَدِثُكُم حَدِيثًا فاحفَظُوهُ، قال: إِنَّما الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَه اللَّهُ مالا وعلمًا، فَهُوَ يَتَّقي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيه رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لِلّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهذَا بأَفضَلِ المَنازِل. وعَبدٍ رَزَقَه اللَّهُ عِلمًا

منك وحذف الفاعل ليعم ظلم القويّ والضعيف ونكر مظلمة في سياق النفي ليعمّ الظلم في النفس والمال والعرض وقوله: (**صبر عليها**) أي حبس نفسه على ألمها ولم ينتقم من ظالمه بشيء من الانتقام (**إلا زاده الله**) في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما (**عزًا**) وذلك من باب قولهم: كما تدين تدان، ومن حديث: «اعمل ما شئت فإنك مجزيّ به» وفي تفسير سورة فصلت من «صحيح البخاري» قال ابن عباس: «ادفع بالتي هي أحسن» الصبر عند الغضب والعفو عند الإساءة فإذا فعلوا عصمهم الله وخضع لهم عدوهم كأنه وليّ حميم اهـ. وهذا يؤيد ظهور أثر العفو في الدنيا (**ولا فتح عبد باب مسألة**) لينال بذلك الغنى تكثرًا من أموال الناس (**إلا فتح الله عليه باب فقر**) معاملة بنقيض قصده (**أو**) شك من الراوي أي قال فتح الله عليه باب فقر أو قال: (**كلمة نحوها**) في إفادة ذلك (**وأحدثكم حديثًا فاحفظوه قال**) أي النبي ﷺ (**إنما الدنيا لأربعة نفر**) بفتح أوليه (**عبد رزقه الله مالا وعلمًا**) فيه أن العلم من الرزق (**فهو يتقي فيه ربه**) أي لا يصرفه في معصية بل يجتنب ما لا يرضيه (**ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقًا**) سواء كان ذلك واجبًا عينيًّا من زكاة أو كفارة لمقتضاها أو نذر، أو كفائيًا ككفاية مضطر من جائع بسدّ جوعته وعار بكسوته، أو مندوبًا كالتقرّب إلى الله سبحانه بأنواع الطاعات المالية (**فهذا بأفضل المنازل**) من الجنة لأنه علم وعمل وأدى الواجب والمندوب واجتنب الحرام والمحظور، وعلمه هداه إلى الإخلاص في ذلك وجعل معاملته في ذلك مع الله سبحانه (**وعبد رزقه الله علمًا**) أي بالأحكام المتعلقة بالمال من حيث جمعه وإنفاقه ويحتمل أن يراد ما يعم

ولـم يرْزُقْهُ مالا، فَهُوَ صَادِقُ النّيَّةِ يَقُولُ: لَو أَنَّ لي مَالا لَعَمِلْتُ بِعَمَل فُلانٍ، فَهُوَ نيَّتُهُ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ. وعَبدٍ رَزَقَهُ اللّهُ مَالا وَلَـم يَرزُقْهُ عِلمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ في مالِهِ بِغَيرِ عَلـم، لا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلا يَعلَـمُ للّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذا بأَخْبَثِ المَنَازِلِ. وعَبدٍ لَـمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالا وَلا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لي مَالا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَل فُلانٍ، فَهُوَ نِيَّتُهُ، فَوِزْرُهُما سَوَاء». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

٥٥٦ - وعنْ عائشةَ رضي اللَّهُ عنها أَنَّهُمْ

علم ذلك وغيره (**ولم يرزقه مالا فهو**) لعلمه النافع له (**صادق النية**) أي القصد في طلب ثواب الله فيعزم على العمل المالي لو قدر عليه ليثاب به (**يقول**) ناويًا لذلك (**لو أن لي مالا لعملت**) أي فيه (**بعمل فلان**) الجامع بين المال والعلم من طلب ما رضي الله به (**فهو نيته فأجرهما سواء**) أي من حيث النية وصحة القصد. ويزيد ذلك بثواب نفقة المال التي زاد على صاحبه (**وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علمًا**) يعرف به وجوه التصرف المأذون فيها شرعًا والممنوع منها كذلك (**فهو يخبط**) بكسر الموحدة (**في مال الله بغير علم**) وقوله: (**لا يتقي فيه ربه**) بترك إتلافه في المحارم ويبذله في المآثم (**ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقًا**) لجهله به فلا يؤدي حق المال واجبًا كان أو مندوبًا لجهله وحرصه على جمعه وإتلافه في مستلذات نفسه (**فهذا بأخبث المنازل**) لما له من المآثم التي ارتكبها بماله الذي أتلفه مع جهله وعدم علمه (**وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علمًا فهو**) أي العبد الفاقد لهما لجهله (**يقول: لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان**) أي بصرفه في الملابس الفاخرة واستماع الملاهي وأكل المستلذات المحرمة وغير ذلك (**فهو نيته**) أي فيجد إثم نيته قصد الفساد (**فوزرهما سواء**) باعتبار العزم على المحرم (**رواه الترمذي**) في أبواب الزهد من «جامعه» (**وقال: حديث حسن صحيح**).

٥٥٦ - (**وعن عائشة رضي الله عنها أنهم**) أي ذوي عائشة أو أهل

ذَبحُوا شَاةً فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَا بَقِيَ مِنها؟» قالت: ما بقي مِنها إلا كَتِفُهَا، قال: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيرَ كَتِفِهَا». رواه الترمذي وقال: حديث صحيح.

ومعناه: تصدَّقوا بها إلا كَتِفَهَا فقال: بَقِيَتْ لَنَا في الآخِرَةِ إلا كَتفَهَا.

٥٥٧ - وعنْ أَسماءَ بنتِ أَبي بكرٍ الصِّديقِ رضي اللَّهُ عنهما قالت: قال لي رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تُوكِي فَيُوكَى عَلَيْكِ».

وفي روايةٍ: «أَنفِقِي أَو انفَحِي أَوِ انضِحِي وَلا تُحْصي فَيُحصَى عَلَيْكِ،

بيت النبيّ ﷺ (**ذبحوا شاة**) أي فتصدقوا بها ما عدا كتفها (**فقال النبي ﷺ**) بعد أن عاد لمنزلها لداع دعا للسؤال عما بقي من لحمها وقد علم أنهم تصدقوا ببعضها (**ما بقي منها**) أي عندك (**قالت: ما بقي منها**) أي عندنا (**إلا كتفها**) أي أنفقنا الجميع وتصدقنا به ما عدا ذلك (**قال: بقي كلها**) أي ثواب كلها لأنه تصدّق به تقرّبًا إلى الله تعالى فهو يخلفه ويجزي عليه (**غير كتفها**) أي فإنه يفنى بأكله. ومثله لا ثواب فيه إن لم يقارنه قصد صحيح، وهذا تحريض على الصدقة والاهتمام بها وأن لا يستكثر المرء ما أنفقه فيها (**رواه الترمذي وقال: حديث صحيح**).

٥٥٧ - (**وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: قال لي رسول الله ﷺ: لا توكي**) قال في «النهاية»: أي لا تدخري وتشدي ما عندك وتمنعي ما في يدك (**فيوكى**) بالنصب: أي فيقطع الله (**عليك**) مادة الرزق، والجزاء من جنس العمل وهذا مفهوم قوله تعالى ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سورة سبإ].

(**وفي رواية**) هي لمسلم في الزكاة من «صحيحه» (**أنفقي أو**) شك من الراوي (**انفحي أو انضحي**) قال المصنف: بكسر الضاد المعجمة، والمعنى: أعطي النضح والنفح العطاء، ويطلق النضح على الصبّ (**ولا تحصي**) أي تمسكي المال وتدخريه من غير إنفاق منه (**فيحصى عليك**) أي يمسك عنك مادة الرزق والبركة فيه ويناقشك الحساب في الموقف،

وَلا تُوعِي فَيُوعِيَ اللّهُ عَلَيْكِ». متفقٌ عليه.

و«انفَحي» بالحاء المهملة، وهو بمعنى: «أنفِقي» وكذلك «انضحِي».

٥٥٨ - وعنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه أَنه سَمِع رسولَ اللّهِ ﷺ يَقولُ: «مَثَلُ البَخِيلِ والمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِن حَديدٍ مِن ثُدِيِهِما إِلى تَرَاقِيهِمَا،

إذ أصل الإحصاء الإحاطة بالشيء جملة وتفصيلًا، وهذا فيه تلف أيّ تلف، فيكون مطابقًا لأعط كل ممسك تلفًا، ويستفاد منه أن الممسك يعاقب بتلف ما عنده وحبس مادة رزقه والبركة فيه ومناقشة الحساب، وقد قال ﷺ: «من نوقش الحساب عذّب» وهذا أبلغ وأليق بمقام التنفير والتغليظ (**ولا توعي**) أي تمنعي ما فضل عنك عمن هو محتاج إليه (**فيوعي**) بالنصب (**الله عليك**) أي يصيبك على أعمالك بالتشديد عليك في الحساب أو يمنع عنك فضله وجوده (**متفق عليه**) رواه مسلم والبخاري (**وانفحي**) بسكون النون وفتح الفاء (**وبالحاء المهملة وهو بمعنى أنفقي وكذلك**) أي ككون انفحي بمعنى أنفقي (**انضحي**) فانفحي المشار إليه مشبه به وانضحي مشبه، قال في «شرح مسلم»: معنى انفحي وانضحي: أعطي النفح، والنضح: العطاء.

٥٥٨ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: مثل**) بفتح أوليه أي صفة (**البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان**) بالموحدة أو النون كما قاله غير واحد (**من حديد**) حكمة إيثاره الإعلام بأن القبض والشحّ من جبلة الإنسان، ولذا أضيف إليه في ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ ۝٩﴾ [سورة الحشر] وأن السخاوة من عطاء الله وتوفيقه يمنحها من شاء من عباده وإيثار الجنة على الغلّ لأنه يتأتى فيه الانقباض والانبساط المشار بهما إلى ما يأتي (**من ثديهما**) قال النووي: بضم الثاء المثلثة أي وكسر الدال وتشديد التحتية على الجمع، جمع ثدي بوزن فلس (**إلى تراقيهما**) جمع ترقوة بضم الفوقية والقاف وسكون الراء وهي العظم

فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلا يُنْفِقُ إِلا سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ على جِلدِهِ حتى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَأَمَّا البَخِيلُ فَلا يُرِيدُ أَن يُنْفِقَ شَيئًا إِلا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسّعُهَا فَلا تَتَّسِعُ». متفقٌ عليه.

و«الجُنَّةُ» الدِرع، ومعناه: أن المُنْفِقَ كُلَّما أنفَقَ سَبَغَت وطالت حتى تَجُرَّ وراءهُ وتُخْفيَ رِجلَيهِ وأَثَرَ مَشيهِ وخُطُواتِهِ.

٥٥٩ - وعنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِن كَسْبٍ طَيّبٍ ولا يَقْبَلُ اللّهُ إِلا الطَّيّبَ،

الذي بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين (**فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت**) أي امتدت وكملت (**أو**) شك من الراوي (**وفرت**) بتخفيف الفاء (**على جلده حتى تخفي بنانه**) مفاصل الأصبع (**وتعفو أثره**) أي تغطي أثره حتى لا يبدو، وتعفو منصوب عطفًا على تخفي قال الحافظ ابن حجر: «والمعنى أن الصدقة تستر خطاياه كما يغطي الثوب الذي يجرّ على الأرض أثر صاحبه إذا مشى بمرور الذيل عليه» (**وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلا لزقت**) في رواية مسلم انقبضت، وفي رواية لهما عضت (**كل حلقة**) بسكون اللام (**مكانها**) والمفاد واحد إلا أن الأولى نظر فيها إلى صورة الضيق والأخرى إلى سببه (**فهو يوسعها**) أي يريد توسيعها بالبذل فتشح نفسه ولا تطاوعه (**فلا تتسع**) وفي هذا وعد للمتصدق بالبركة وستر العورة والصيانة من البلاء (**متفق عليه**) واللفظ للبخاري (**والجنة الدرع**) بكسر الدال، وهي الثوب المنسوج من الحديد (**ومعناه: أن المنفق كلما أنفق سبغت وطالت حتى تجرّ وراءه وتخفي رجليه وأثر مشيه وخطواته**) أي كما هو شأن الثوب الرافل.

٥٥٩ - (وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: من تصدق بعدل تمرة) قال الحافظ في «الفتح»: أي بقيمتها لأنه بالفتح المثل، ولفظ مسلم: «ما تصدق أحد بصدقة» (**من كسب طيب**) أي حلال خال عن الغشّ والخديعة، وقوله: (**ولا يقبل الله إلا الطيب**) جملة معترضة بين الشرط

فَإِنَّ اللّهَ يقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيَها لِصَاحِبها كما يُرَبّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حتى تَكُونَ مِثْلَ الجَبلِ». متفقٌ عليه.

«الفَلُوُّ» بفتح الفاء وضمّ اللام وتشديد الواو، ويقال أيضًا بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو: وهو المُهْرُ.

والجزاء لتقرير ما قبله، وفي رواية البخاري: «ولا يصعد إلى الله[1] إلا الطيب» قال القرطبي: وإنما لم يقبل الله الصدقة بالحرام لأنه غير مملوك للمتصدق وهو ممنوع من التصرف فيه والتصدق به تصرف فيه فلو قبل لزم أن يكون الشيء مأمورًا ومنهيًا من وجه واحد وهو محال **(فإن الله يقبلها بيمينه)** وفي رواية لمسلم: «إلا أخذها الله بيمينه» **(ثم يربيها لصاحبها)** في مسلم فيربيها **(كما يربي أحدكم فلوه)** جاء في رواية: «كما يربي أحدكم مهره» **(حتى تكون)** أي المتصدق به القليل بالتنمية **(مثل الجبل)** وفي رواية عند الترمذي حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد قال الحافظ: والظاهر أن المراد بعظمها أن عينها تعظم لتثقل في الميزان. وقال عياض: لما كان الشيء الذي يرتضى يتلقى باليمين ويؤخذ استعمل في مثل هذا واستعير اليمين للقبول، وليس المراد به الجارحة. وقال الترمذي في «جامعه»: قال أهل العلم من أهل السنة والجماعة نؤمن بهذه الأحاديث ولا نتوهم فيها تشبيهًا، ولا نقول كيف، هكذا روي عن مالك وابن عيينة وابن المبارك وغيرهم. وأنكرت الجهمية هذه الروايات اهـ **(متفق عليه)** رواه في الزكاة من «صحيحيهما» واللفظ للبخاري **(الفلو)** فيه لغتان أفصحهما وأشهرهما **(بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو)** وثانيهما أشار إليه بقوله **(ويقال أيضًا بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو وهو المهر)** وقال في «شرح مسلم»: سمي به لأنه فلى عن أمه أي فصل وعزل.

---

(١) أي إلى السماء، وأضيفت إلى الله لأنها محلّ كرامة الله إذ لا يُعْصَى الله فيها.

٥٦٠ - وعنه عنِ النَّبيّ ﷺ قال: بَيْنَما رَجُلٌ بِفَلاةٍ مِن الأَرضِ فَسَمِعَ صَوتًا في سَحَابَةٍ: اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فَتَنَحَّى ذلكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ في حَرَّةٍ، فإذا شَرْجَةٌ مِن تِلْكَ الشِراجِ قَدِ اسْتَوعَبَتْ ذلِكَ الماءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ المَاءَ فإذا رَجُلٌ قَائمٌ في حَدِيقَتِهِ يُحَوّلُ الماءَ بِمِسْحَاتِهِ، فقال له: يا عَبْدَ اللّهِ ما اسْمُكَ؟ قال: فُلانٌ للاسْمِ الَّذي سَمِعَ في السَّحَابَةِ، فقال له: يَا عَبْدَ اللّهِ لِمَ تَسْأَلُني عَنِ اسْمِي؟ فَقَال: إنّي سَمِعْتُ

---

٥٦٠ - (**وعنه**) رضي الله عنه (**عن النبي ﷺ قال: بينما**) ما مزيدة لكفّ بين عن الإضافة فالجملة بعده مستأنفة (**رجل**) يمشي (**بفلاة**) هي الأرض التي لا ماء فيها وجمعها فلا، ويؤخذ منه أن قوله (**من الأرض**) تصريح بما فهم مما قبله (**فسمع صوتًا**) لعله صوت الملك الموكل بالسحاب وهو الرعد (**في سحابة**) واحدة السحاب سمي به لانسحابه في الهواء وجمع السحاب سحب بضمتين (**اسق حديقة فلان**) لم أقف على من سماه. والحديقة البستان (**فتنحى ذلك السحاب**) بيان لترتب أثر الأمر الإلٰهي عليه حالا من غير توان ولا تراخ (**فأفرغ**) أي صب (**ماءه**) أي الذي فيه والإضافة لأدنى ملابسة (**في حرة فإذا شرجة من تلك الشراج**) أي مسيل[1] من تلك المسايل (**قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع**) أي الرجل السامع الصوت (**الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له: يا عبد الله**) ناداه بالوصف القائم حقيقة بكل إنسان ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [سورة مريم] (**ما اسمك قال فلان**) خبر لمحذوف دل عليه ذكره في السؤال (**للاسم**) أي موافقًا للاسم (**الذي سمع**) أي سمعه (**في السحابة فقال**) أي بعد بيانه اسمه (**له يا عبد الله ولم تسألني**) الواو عاطفة على مقدر أي أجبتك عن مسألتك وأسألك (**عن**) سبب سؤالك عن (**اسمي فقال: إني سمعت**

---

(١) في المصباح: المسيل مجرى السيل والجمع مسايل.

صَوتًا في السَّحَابِ الذي هذَا مَاؤُهُ يقُولُ: اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ لاسمِكَ، فما تَصْنَعُ فِيها؟ فقال: أَما إِذْ قُلْتَ هَذَا فإِنّي أَنْظُرُ إِلى ما يَخْرُجُ مِنها فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِه وءاكُلُ أَنا وعِيالي ثُلُثًا وأَرُدُّ فِيها ثُلُثَهُ. رواه مسلم.

«الحرَّةُ»: الأرض المُلْبَسَةُ حِجارةً سودًا. و«الشرجةُ» بفتح الشين المعجمة وإسكان الراءِ وبالجيم: هي مَسيلُ الماءِ.

صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك) وقوله **(فما تصنع فيها؟)** استفهام عن بيان ما أنتج له من العناية الإلٰهية حسن هذه الثمرة بالتخصيص **(فقال: أما)** بفتح الهمزة وتشديد الميم حرف للتأكيد متضمن معنى الشرط **(إذ قلت هذا)** أي أخبرت بما سمعت مما دعاك للسؤال **(فإني)** أبين لك عمل الذي نتج عنه بفضل الله سبحانه ذلك وهو أني **(أنظر إلى ما يخرج منها)** أي من الأرض من حب أو ثمر **(فأتصدق بثلثه)** بضم أوليه في الأفصح، ويجوز تسكين ثانيه تخفيفًا زيادة في التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وإلا فالواجب في شريعتنا في النصاب من ذلك العشر تارة ونصفه أخرى **(وءاكل أنا وعيالي)** أي أعولهم من أهل وولد وزوجة وخادم وغير ذلك **(ثلثًا وأرد فيها ثلثه)** أي ثلث الخارج **(رواه مسلم)** في «صحيحه» في أبواب الزهد **(الحرة)** بفتح الحاء المهملة وتشديد الراء وبالتاء **(الأرض الملبسة حجارة سودا[1])** أي التي علاها ذلك وغلب عليها فكأنها لبست **(والشرجة بفتح الشين المعجمة وإسكان الراء وبالجيم مسيل الماء)** وجمعها شراج ككلبة وكلاب.

٦١ - باب النهي عن البخل والشح

قال في «المصباح»: بخل بخلًا أي بفتح أوليه وبخلًا: أي بضم فسكون من باب تعب وقرب والاسم البخل، والبخل في الشرع: منع الواجب، وعند العرب: منع السائل مما يفضل عنده، وفيه أيضًا الشحّ

---

(١) وفي نسخة: «سوداء».

٦١ - باب النهي عن البخل والشح

قال الله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾ [سورة اللَّيل]، **وقال تعالى** ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٦﴾ [سورة التغابن].

وأَما الأَحاديث فتقدمت جملة منها في الباب السابق.

٥٦١ - وعن جابرٍ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ

البخل، وفي «شرح مسلم» للمصنف قال جماعة: الشحّ أشد البخل وأبلغ في المنع منه، فقيل: هو البخل مع حرص.

(**قال الله تعالى** ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾) أي بالإنفاق في الخيرات (﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨﴾) أي بالدنيا عن العقبى (﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ ۝١٠﴾) في الدنيا (﴿لِلۡعُسۡرَىٰ﴾) للخلة[1] المودية إلى الشدة في الآخرة وهي الأعمال السيئة، ولهذا قالوا من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها (﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾) أي هلك وسقط وتردى في جهنم.

(**وقال تعالى** ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ﴾) أي ومن سلم من الحرص الشديد الذي يحمله على ارتكاب المحارم بمنع أداء ما وجب عليه أداؤه (﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٦﴾) الفائزون ببغيتهم (**وأما الأحاديث**) أي النبوية (**فتقدمت جملة منها في الباب السابق**) كقوله: «وإن تمسكه شرّ لك» وقوله: وأعط كل ممسك تلفًا، لأن الثناء على الكرم والأمر به ذم بضده ونهي عنه.

٥٦١ - (وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: اتقوا الظلم)

---

(١) في القاموس: الخَلَّة الحاجة والفقر والخصاصة.

فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلمَاتٌ يوْمَ القِيامَة، واتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ من كانَ قَبْلَكُم، حَمَلَهُم على أَن سَفَكُوا دِمَاءَهم واستحَلُّوا مَحَارِمَهُم». رواه مسلم.

٦٢ - باب الإيثار والمواساة

قال الله تعالى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ ﴿٩﴾﴾ [سورة الحشر]،

أي اتخذوا لكم وقاية منه بالقسط. والظلم التصرف في حق الغير بغير طريق شرعي، وقيل: وضع الشيء في غير موضعه (**فإن الظلم**) أي في الدنيا (**ظلمات**) بضم اللام وبإسكانها تخفيفًا وبالفتح (**يوم القيامة**) يحتمل كما تقدم أنه على حقيقته وظاهره أنه يصير ظلمة في الآخرة، ويحتمل كونها كناية عن شدائد ذلك اليوم وما يلقاه من الأهوال (**واتقوا الشحّ**) بالضم على الأفصح من لغات ثلاث في أوله (**فإن الشحّ**) أتى بالظاهر فيه وفيما قبله تقبيحًا له وتنفيرًا منه (**أهلك من كان قبلكم**) أي من بني إسرائيل (**حملهم على أن سفكوا**) بفتح الفاء أي أراقوا (**دماءهم**) أي قتل بعضهم بعضًا (**واستحلوا محارمهم**) أي ما حرّم عليهم من الشحوم فباعوه واحتالوا لولوج السمك إلى ما حفروه يوم السبت ليدخل في حوزهم فيبيعوه بعد، فيوقعهم في ذلك الشحّ (**رواه مسلم**) وقد تقدم مع شرحه في باب تحريم الظلم.

باب الإيثار

بكسر الهمزة (**والمواساة**) مفاعلة من التواسي قال في «القاموس»: ءاساه بماله مواساة: أناله منه وجعله فيه أسوة ولا يكون ذلك إلا من كفاف، فإن كان من فضل فليس بمواساة اهـ (**قال الله تعالى** ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾) أي يقدمون يعني الأنصار والمهاجرين (﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾) فيما عندهم من الأموال (﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ ﴿٩﴾﴾) أي حاجة إلى ما عندهم (**وقال**

وقال تعالى ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [سورة الإنسان]، **إلى ءاخِرِ الآياتِ.**

٥٦٢ - وعنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلى النَّبيّ ﷺ فقال: إِني مَجْهُودٌ، فأَرسَلَ إِلى بَعضِ نِسائِهِ فَقَالت: والَّذي بَعَثَكَ بِالحقّ ما عِندِي إِلا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حتى قُلْنَ كُلُّهنَّ مِثل ذَلِكَ: لا والذِي بَعثَكَ بِالحَقّ ما عِندِي إِلا مَاءٌ.

تعالى ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾) الأولى أن يكون الضمير للطعام (﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾) وإن كان من أهل الشرك أمر ﷺ بإكرام الأسراء يوم بدر (﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾) أي قائلين ذلك بلسان الحال أو المقال لتعريف الفقير أنها صدقة لا تطلب جزاء، وقوله لوجه الله أي إطعامًا خالصًا غير مشوب (﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾) مصدر كالقعود والجملة حالية من فاعل نطعم (﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾) جملة مستأنفة كالتعليل (﴿يَوْمًا﴾) أي عذابه فهو مفعول به (﴿عَبُوسًا﴾) شديد العبوس مجازًا أي عبوسًا فيه أهله أو كالأسد العبوس في الضرر والشدة (﴿قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾) شديد العبوس. عن عكرمة وغيره يعبس الكافر حتى يسيل من عينيه عرق كالقطران. وعن ابن عباس: العبوس الضيق، والقمطرير الطويل (﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾) بدل عبوس الكفار (﴿وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾) بدل حزنهم (﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾) بدل صبرهم على ترك الشهوات وأداء الواجبات (﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾) يلبسونه وهذا مراد الشيخ رحمه الله بقوله (**الآيات**) فإن فيها بيان مثوبة الإيثار والمساواة في الله سبحانه.

٥٦٢ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني مجهود) أي أصابني الجهد وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع **(فأرسل إلى بعض نسائه فقالت)** أي المرسل إليها منهن **(والذي بعثك بالحق)** أي محقًا أو ملتبسًا به **(ما عندي إلا ماء)** ومرادها

فقال: «من يُضِيفُ هَذا اللَّيْلَةَ؟» فقال رَجُلٌ مِن الأَنْصَارِ: أَنَا يَا رسُولَ اللّهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلى رَحْلِهِ، فَقَال لامْرَأَتِهِ: أَكرِمِي ضَيْفَ رسولِ اللّهِ ﷺ.

وفي روايةٍ قال لامْرَأَتِهِ: هل عِنْدَكِ شَيء؟ قَالَتْ: لا إلا قُوتَ صِبيانِي. قال: عَلّلِيْهم بِشَيءٍ وإذا أَرَادُوا العَشَاءَ فَنَوّمِيهم، وإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطفِئِي السِّرَاجَ وأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُل،

ما عندي من جنس ما يطعم شيء من الأشياء إلا الماء (**ثم أرسل إلى أخرى**) أي منهن (**فقالت مثل ذلك**) هذا من باب الرواية بالمعنى والمشار إليه قول السابقة والذي بعثك إلخ أي فقالت الثانية ذلك المقال وهكذا (**حتى قلن كلهن مثل ذلك**) هو من باب الرواية بالمعنى ولذا فسره ببيان قول كل واحدة (**لا**) نافية لجملة بعدها أي لا أجد له ما طلبت، وقولها: (**والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء**) جملة قسمية لتأكيد الأمر (**فقال**) أي النبي ﷺ (**من يضيف**) بضم أوله (**هذا**) أي الرجل المجهود (**الليلة**) بالنصب على الظرفية (**فقال رجل من الأنصار**) زاد مسلم: يقال له أبو طلحة (**أنا**) أي أنا أضيفه (**يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله**) أي منزله رحل الشخص مأواه في الحضر ثم أطلق على أمتعة المسافر لأنها هناك مأواه (**فقال لامرأته**) أم سليم (**أكرمي ضيف رسول الله ﷺ**) أي فإنه نزل عليه ﷺ ولم يكن في بيوته ما يضيفه به، وفيه أن كرامة الضيف كرامة مضيفه (**وفي رواية**) هي لمسلم (**قال لامرأته هل عندك شيء قالت: لا**) أي لا شيء عندي وقولها (**إلا قوت صبياني**) استثناء من ذلك القدر قال لها: أكرمي إلخ (**قال: عللهم بشيء**) محمول على أن الصبيان لم يكونوا محتاجين للأكل وإنما تطلبه أنفسهم على عادة الصبيان من غير جوع يضر، إذ لو كانوا بتلك الحال بحيث يضرهم ترك الأكل لكان إطعامهم واجبًا مقدمًا على الضيافة، وقد أثنى الله عليه وعلى امرأته فدل على أنهما لم يتركا واجبًا بل أحسنا وأجملا (**وإذا أرادوا العشاء فنوميهم**) وذلك لئلا يضيقوا الطعام على الضيف فلا يبلغ حاجته منه (**وإذا دخل ضيفنا**) أي منزلنا (**فأطفئي السراج**) بقطع همزة أطفئي (**وأريه أنا نأكل**) أي

فَقَعَدُوا وأَكَل الضَّيفُ وبَاتا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبحَ غَدَا على النَّبيّ ﷺ فقال: «لَقَد عَجِبَ اللّهُ مِن صَنِيعِكُمَا بِضَيفِكُمَا اللَّيْلَةَ». متفقٌ عليه.

٥٦٣ - وعنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «طَعَامُ الاثْنَيْنِ كافي الثَّلاثَةِ، وطَعَامُ الثَّلاثَةِ كافي الأَربَعَةِ». متفقٌ عليه.

وفي روايةٍ لمسلم عن جَابِرٍ رضي اللَّهُ عنه عنِ النَّبيّ ﷺ قال: «طَعَامُ الواحِد يَكفِي الاثْنَيْنِ، وطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَربَعَةَ، وطَعَامُ الأَربَعَةِ يَكفِي الثَّمَانِيَةَ».

أظهري له فهو كناية عن تداول أيديهما على الطعام وتحريك الفم والمضغ كفعل الآكل، وليس ذلك من باب الشبع بما ليس للإنسان بل هو من باب المروءة والإيثار للضيف ليأنس ويأخذ حاجته **(فقعدوا)** أي الضيف وهما **(وأكل الضيف وباتا طاويين)** أي خاليين بطنهما جائعين ولم يأكلا **(فلما أصبح)** أي دخل الصباح **(غدا)** أي جاء صباحًا عارضًا نفسه **(على النبي ﷺ فقال: لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة)** قال القاضي عياض: المراد بالعَجَب من الله رضاه عن ذلك الشيء **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في فضائل الأنصار وفي التفسير، وأخرجه مسلم ورواه الترمذي بنحوه في التفسير من «جامعه».

٥٦٣ - (وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة) المراد المواساة وأنه ينبغي للاثنين إدخال ثالث لطعامهما وإدخال رابع أيضًا بحسب من يحضر فيؤخذ منه أن الكفاية تنشأ عن بركة الاجتماع، وأن الجمع كلما زاد زادت البركة. وقال ابن المنذر: يؤخذ من الحديث استحباب الاجتماع على الطعام وألا يأكل المرء وحده، وفيه أيضًا الإشارة إلى أن المواساة إذا حصلت حصل معها البركة فتعم الحاضرين **(متفق عليه)** ورواه الترمذي **(وفي رواية لمسلم)** ورواها أيضًا أحمد والترمذي والنسائي **(عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية)**.

٥٦٤ - وعنْ أَبي سعيدٍ الخُدْرِيّ رضي اللَّهُ عنه قال: بينَمَا نَحْنُ في سَفَرٍ مَعَ النَّبي ﷺ إذ جَاءَ رَجُلٌ على رَاحِلَةٍ لَهُ فَجَعَلَ يَصرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالاً، فَقَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهرٍ فَليَعُد بِه عَلى مَن لا ظَهْرَ لَهُ، وَمَن كانَ لَهُ فَضْلٌ مِن زَادٍ فَليَعُد بِهِ على مَن لا زَادَ لَهُ» فَذَكَرَ مِن أَصْنافِ المَالِ مَا ذَكرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لا حَقَّ لأحَدٍ مِنَّا في فَضْلٍ. رواه مسلم.

---

٥٦٤ - (وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال؛ بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة) هي المركب من الإبل ذكرًا كان أو أنثى، وقوله **(له)** في محل الصفة للراحلة **(فجعل)** من أفعال الشروع **(يصرف)** أي يحول **(بصره يمينًا وشمالا)** ينظر من يجود عليه بما يسد خلته **(فقال رسول الله ﷺ: من كان معه فضل ظهر)** أي مركوب فاضل عن حاجته فهو من إضافته الصفة للموصوف **(فليعد)** أي يتصدق **(به على)** المحتاج إليه **(من لا ظهر)** أي مركوب **(له)** كافيًا لحاجته بذلًا لما فضل عن الحاجة في مرضاة الله فيبقى له بعد أن كان فانيًا **(ومن كان معه فضل)** أي فاضل عن حاجته **(من زاد)** هو الطعام المعد لسفره **(فليعد به على من لا زاد له، فذكر من أصناف المال ما ذكر)** أي ذكر أنواع المال وأمر ببذل الفاضل عن الحاجة من كل للمحتاج إليه من باب المواساة، وهذا الحديث كحديث: «إنك يا ابن ءادم إن تبذل الفضل من مالك خير لك وإن تمسكه شر لك» **(حتى)** غاية لمقدر أي أمر بالعود بما فضل عن الحاجة للمحتاج إلى أن **(رأينا)** من الرأي أو بمعنى العلم **(أنه لا حقّ لأحد منا)** أي معشر بني ءادم، أو معشر الصحابة المخاطبين بذلك وحكم غيرهم من باقي الأمة حكمهم **(في فضل)** أي في فاضل عن حاجته الحافة[1] **(رواه مسلم)**.

---

(١) في تاج العروس: الحاقة الحاجة وشدة العيش.

٥٦٥ - وعن سَهلِ بنِ سعدٍ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ امرَأَةً جَاءَت إلى النبي ﷺ ببُردةٍ مَنسُوجَةٍ، فقالت: نَسَجتُها بِيَدَيَّ لأَكْسُوَكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبيُّ ﷺ مُحتَاجًا إِلَيهَا، فَخَرَجَ إِلَينا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ فقال فُلانٌ: اكسُنِيهَا مَا أَحسَنَها، فَقَالَ: «نعَمْ» فَجلَس النَّبيُّ ﷺ في المجلِسِ ثُمَّ رَجَعَ فَطَواهَا ثُمَّ أَرسَلَ بِها إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ القَوْمُ: ما أَحسَنتَ، لَبِسَهَا النَّبيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيها ثُمَّ سَأَلتَهُ وَعَلِمتَ أَنَّهُ لا يَرُدُّ سَائِلًا، فَقَالَ: إِنّي وَاللّهِ ما سَأَلْتُهُ لأَلْبَسَها إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتكُونَ كَفَنِي. قال سَهْلٌ: فَكانت كَفَنَهُ. رواه البخاري.

---

٥٦٥ - **(وعن سهل بن سعد)** الأنصاري الساعدي **(رضي الله عنه: أن امرأة)** قال الحافظ في «الفتح»: لم أقف على اسمها **(جاءت إلى النبي ﷺ ببردة)** قال في «النهاية»: والبردة الشملة المخططة **(منسوجة)** صفة بردة **(فقالت: نسجتها بيدي لأكسوكها، فأخذها النبيّ ﷺ)** جبرًا لخاطرها بتلقي هديتها بالقبول، ففيه استحباب المبادرة لأخذ الهدية لجبر خاطر مهديها وأنها وقعت منه موقعًا، وقوله **(محتاجًا إليها فخرج إلينا وإنها إزاره)** بكسر الهمزة وجمعه أزر وهو ما يلبس في أسفل البدن لستر العورة **(فقال فلان اكسنيها ما أحسنها)** بنصب النون وما تعجبية **(فقال: نعم)** هذا وعد بأن يكسوه **(فجلس النبي ﷺ في المجلس)** الذي وقع فيه السؤال **(ثم رجع)** إلى منزله **(فطواها ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم)** ووقع في تفسير المعاتب له من الصحابة أنه سهل الراوي **(ما أحسنت)** ما نافية **(لبسها النبي ﷺ محتاجًا إليها)** جملة استئنافية تعليل لنفي الإحسان عنه **(ثم سألته وعلمت)** جملة حالية بتقدير قد أي وقد علمت **(أنه لا يرد)** قال وثبت في رواية ابن ماجه بلفظ: لا يرد سائلًا ونحوه، وفي رواية لا يسأل ﷺ شيئًا فيمنعه اهـ ويستفاد منه أن **(سائلًا فقال: إني والله ما سألته لألبسها إنما سألته لتكون كفني)** في رواية أبي داود فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ» **(قال سهل: فكانت كفنه. رواه البخاري)**

٥٦٦ - وعن أَبي موسى رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الأَشْعَرِيّيْنَ إِذَا أَرمَلُوا في الْغَزْوِ أَو قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِم بالمَدينَةِ جَمَعُوا ما كَانَ عِندَهُم في ثَوبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقتَسَمُوهُ بَيْنَهُم في إِنَاءٍ وَاحِدٍ بالسَّوِيَّةِ فَهُم مِنّي وَأَنَا منهُم». متفقٌ عليه.

«أَرمَلوا»: فرغ زادهم أو قارب الفراغ.

في الجنائز من «صحيحه» بهذا اللفظ، ورواه ابن ماجه في اللباس من «سننه». وفي الحديث التبرّك بآثار الصالحين وجواز إعداد الشيء قبل الحاجة إليه، وفيه حسن خلق النبي ﷺ وسعة جوده وقبول الهدية.

٥٦٦ - **(وعن أبي موسى)** الأشعري **(رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إن الأشعريين إذا أرملوا)** أي فني أزوادهم، وأصله من الرمل كأنهم لصقوا بالرمل من القلة كما في «ذا مترية» **(في الغزو)** أي الخروج لقتال العدو **(أو قل طعامهم في المدينة)** أي محل إقامتهم، ولفظ البخاري: «أو قل طعام عيالهم» **(جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية)** على قدر الحاجة **(فهم مني)** قريبون خلقًا وهديًا **(وأنا منهم)** قال النووي: «هذا معناه المبالغة في اتحاد طريقتهما واتفاقهما في طاعة الله تعالى». وقال الحافظ ابن حجر: «معناه هم متصلون بي وتسمى «من» هذه الاتصالية» **(متفق عليه)** أخرجه البخاري في الشركة ومسلم في الفضائل، ورواه النسائي في السير. **(أرملوا: فرغ زادهم)** هو ما اقتصر عليه في «شرح مسلم» **(أو قارب الفراغ)** وكأن الأول بيان موضوع اللفظ لغة. والثاني بيان المراد هنا لأن القسمة إنما تكون في الموجود لا في الذاهب رأسًا، والله أعلم.

٦٣ - باب التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به

قال الله تعالى ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة المطففين].

٥٦٧ - وعن سهلِ بنِ سعدٍ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنهُ وَعَن يَمينِهِ غُلامٌ وَعَن يسارِهِ الأَشْيَاخُ، فقال لِلْغُلامِ: «أَتَأْذَنُ لي أَن أُعْطِيَ هؤُلاءِ؟» فَقَالَ الغُلامُ: وَاللّهِ يا رسُولَ اللّهِ لاَ أُوثِرُ بِنَصيبي مِنكَ أَحَدًا،

---

٦٣ - باب التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به

أي طلب ذلك لما جاء فيه. وفي «النهاية»: التنافس من المنافسة وهي الرغبة في الشيء والانفراد به، وهو من الشيء النفيس الجيد في نوعه اهـ. والاستكثار طلب الكثرة وقوله مما يتبرك متعلق به، والتبرك بالشيء لأسباب كأن كان فيه أثر صالح أو ظهر فيه ءاية أو كان قريب عهد بتكوين من الله سبحانه. (**قال الله تعالى** ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ﴾) فليرتقب (﴿ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾) المرتقبون وقال ابن عطية: التنافس في الشيء المغالاة فيه وأن يتبعه كل واحد نفسه فكأن نفسهما تتباريان فيه.

٥٦٧ - (وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتى بشراب) وكان ذلك كما قال الحافظ في بيت ميمونة أم المؤمنين **(فشرب منه)** فيه استحباب شرب البعض إذا كان ثمة غيره **(وعن يمينه غلام)** هو عبد الله ابن عباس **(وعن يساره الأشياخ)** جمع شيخ من شاخ في السنّ إذا طعن فيها وذلك من الخمسين سنة ففوق، ويطلق الشيخ لغة على من مهر في العلوم وإن لم يكن في السن كذلك **(فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء فقال الغلام: والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحدًا)** أكد بالقسم وتوسيط ندائه ﷺ بوصف الرسالة إيماء إلى أن العلة في عدم

فَتَلَّهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ في يَدِهِ. متفقٌ عليه.

«تلَّه»: بالتاء المثنَّاة فوق أي: وضعه، وهذا الغلام هو ابنُ عباس رضي اللَّهُ عنهما.

٥٦٨ - وعنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه عنِ النَّبي ﷺ قالَ: «بَيْنَا أَيُّوبُ عليه السلامُ يَغتَسِلُ عُريَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِن ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحثي في ثَوبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

الإيثار ليس كونه شرابًا، فإن الاهتمام بأمر المطاعم شأن البهائم، إنما هو لحلول أثر بركته عليه لكونه سؤره وفضله وذلك يفزع إليه أرباب الأفهام ويتنافس فيه أولو الأحلام، فلذا عبر بقوله بنصيبي منك أي من أثر بركتك وفيضك أحدًا، والتنكير فيه للتعميم ليعم القريب والبعيد والمشرف والشريف، وفيه مزيد نباهة ابن عباس وجودة فكره إذ نظر إلى الأشياء في مكانها (**فتله رسول الله ﷺ في يده. متفق عليه**) رواه البخاري ورواه مسلم في الأشربة، وأخرجه النسائي في الأشربة من «سننه» (**تله بالتاء المثناة فوق**) أي وتشديد اللام (**أي وضعه وهذا الغلام**) كما حكاه الحافظ عن ابن التين، وجاء كذلك في رواية الترمذي من حديث ابن عباس نفسه (**هو ابن عباس**) أي عبد الله بن عباس (**رضي الله عنهما**) فإن هذا علم عليه بالغلبة كابن عمر وابن مسعود على عبد الله.

٥٦٨ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: بينا أيوب عليه السلام**) قال العراقي في «شرح التقريب»: يقال هو أيوب بن رزاح ابن روم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم (**يغتسل عريانًا**) فيه جواز الاغتسال عريانًا في الخلوة مع إمكان التستر (**فخرّ**) بالخاء المعجمة أي سقط (**عليه جراد من ذهب**) هذا ظاهر في سقوطه عليه من علوّ وهو إكرام من الله تعالى له، وهو معجزة في حقه (**فجعل**) شرع (**أيوب يحثي في ثوبه**) استكثارًا من البركة لكونه قريب عهد بتكوين من الله سبحانه (**فناداه ربه عزّ وجلّ**) لا يخفى ما في التعبير من الرب المؤذن بالتربية والإيصال إلى الكمال في هذا المقام وهذا النداء الله علم أنه كان

يَا أَيُّوبُ أَلَم أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عمَّا تَرَى؟ قال: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلكِن لا غِنَى بي عَن بَرَكَتِكَ». رواه البخاري.

بواسطة الملك وقوله (**يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى**) الله تعالى جمع لأيوب مقامي الصبر على الفقر والشكر على الغنى باعتبار حالتيه، فكان في نفس البلاء فقيرًا صابرًا وقبله وبعده غنيًا شاكرًا، ولذا قال تعالى ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ [سورة ص] ثم قال ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [سورة ص] ففيه الإيماء إلى أنه غنيّ شاكر كما قال في حق سليمان ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة ص] مع أنه كان غنيًا شاكرًا (**قال: بلى وعزتك ولكن لا غنى بي عن بركتك**) أي أغنيتني عنه من سائر الجهات من حيث إنه مال، وأنا لا ءاخذه كذلك شرهًا وحرصًا، ولكن لكونه بركة، وفيها وجوه فقيل لأنه قريب عهد بتكوين من الله تعالى كما حسر نبينا ﷺ عن جلده حين نزل عليه المطر وقال: إنه حديث عهد بربه أي بتكوينه (**رواه البخاري**) في كتاب الأنبياء من «صحيحه».

٦٤ - باب فضل الغني الشاكر وهو من أخذ المال من وجهه وصرفه في وجوهه المأمور بها

قال الله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [سورة الليل]، **وقال تعالى** ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠﴾

---

٦٤ - باب فضل الغني الشاكر

أي ما جاء في ذلك، والشاكر هو القائم بما أمر الله تعالى به في المال فعلًا وتركًا كما قال المصنف **(وهو من أخذ المال من وجهه)** أي طريقه المأذون بأخذه منه شرعًا كالمعاوضة المستجمعة لشروط الصحة السالمة من غش وخديعة، وكالإرث والوصية والاكتسابات المأذون فيها من احتطاب ونحوه **(وصرفه)** الأولى وإنفاقه لقوله: **(في وجوهه)** أي طرقه **(المأمور بها)** شرعًا واجبًا عينيًا كأداء الزكوات والكفارات والنذور، أو كفائيًا كالقيام بحاجة المحتاج من طعام وكسوة، أو مندوبًا كالتطوعات.

(قال الله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾) أي أنفق ماله لوجه الله (﴿وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾) محارمه (﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾) المجازاة وأيقن أن الله سيخلفه عليه (﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾) نهيئه في الدنيا (﴿لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾) للخلة التي توصله إلى اليسرى والزلفى في الدار الآخرة يعني الأعمال الصالحة **(وقال تعالى** ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾) أي النار (﴿ٱلْأَتْقَى ۝١٧﴾) أي الذي اتقى الشرك والمعصية فلا يدخلها أصلًا، وأما من اتقى الشرك فقط فيمكن أن يدخلها (﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ﴾) يعطيه وينفقه في طاعة الله (﴿يَتَزَكَّىٰ ۝١٨﴾) أي يطلب تزكية نفسه وماله (﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩﴾) فيقصد إتيانه مجازاتها (﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠﴾) أي لكن يؤتي طلبًا لمرضاة الله

وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الليل]، **وقال تعالى** ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [سورة البقرة]، **وقال تعالى** ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة ءال عمران]، **والآيات في فضلِ الإنفاقِ في الطاعات كثيرة مَعْلُومَةٌ**.

سبحانه (﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾) من ربه حين يدخله في رحمته، وفي «تفسير ابن عطية» لم يختلف أهل التأويل أن المراد بالأتقى إلى ءاخر السورة أبو بكر (**وقال تعالى** ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾) أي إن أظهرتموها فنعم شيئًا إبداؤها (﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾) أي تعطوها مع إخفاء (﴿فَهُوَ﴾) أي إخفاؤها (﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾) والآية عامة في كل صدقة، لكن عن ابن عباس: السرّ في التطوع أفضل من العلانية، وصدقة الفريضة علانيتها أفضل (﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم﴾) أي الله (﴿مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾) من للتبعيض أو لبيان الجنس أي شيئًا هو السيئات (﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾) ترغيب في الإخفاء.

(**وقال تعالى** ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾) الجنة: أو التقوى، أو كمال الخير (﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾) أي بعضه، والمعنى: لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا وأنتم أصحاء أشحاء (﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾) فيجازي بحسبه (**والآيات في فضل الإنفاق في الطاعات**) هي ما تقرب بها إلى المولى (**كثيرة معلومة**) وفيما ذكر كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد.

٥٦٩ - وعنْ عبدِ اللّهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا حسَدَ إلا في اثنَتَينِ: رجُلٌ ءاتَاهُ اللّهُ مَالا فَسَلَّطَهُ على هَلكَتِهِ في الحَقّ، ورجُلٌ ءاتَاه اللَّهُ حِكْمَةً فهُو يَقضِي بِها ويُعَلّمُهَا». متفقٌ عليه، وتقدم شرحه قريبًا.

٥٧٠ - وعنِ ابْنِ عُمَرَ رضي اللَّهُ عنهما عنِ النَّبيّ ﷺ قال: «لا حَسَد إلا في اثنَتَينِ: رجُلٌ ءاتَاهُ اللّهُ القُرءانَ فهو يَقُومُ بِهِ ءانَاءَ اللَّيلِ وءانَاءَ النَّهارِ،

---

٥٦٩ - (وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **لا حسد**) أي لا غبطة محمودة (**إلا في اثنتين**) من الخصال (**رجل ءاتاه**) أي أعطاه (**الله مالا**) أي بطريق لا تبعة فيه كما يومئ إليه إسناد الإعطاء إلى الله سبحانه، وإلا فالتصدق بالسحت لا غبطة فيه (**فسلطه على هلكته**) أي إتلاف عينه بإبقائه عند الله بإنفاقه لوجهه ومرضاته (**في الحق ورجل ءاتاه الله حكمة**) أي علمًا ويجوز أن يراد بها القرءان لورود كل منهما في رواية (**فهو يقضي بها**) أي عند التحاكم إليه (**ويعلمها**) ففيه أن شكر المال إنفاقه في وجوه الطاعات ابتغاء مرضاة الله تعالى، وأن شكر العلم العمل به وتعليمه (**متفق عليه وتقدم شرحه**) أي تبيان المراد من قوله لا حسد (**قريبًا**) نصبه على أنه صفة مصدر أي تقدمًا قريبًا.

٥٧٠ - (وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **لا حسد**) أي لا ينبغي أن يحسد أي يغبط (**إلا في اثنتين**) ثوابهما بحسن التصرف من فاعلهما (**رجل ءاتاه الله القرءان**) قدم هنا على المال من باب التدلي من الشريف إلى المشروف، وعكس في الحديث قبله من باب الترقي، أو لأن ذلك سبق للحضّ على الاشتغال بالقرءان فقدم في كل ما سبق له الحديث وذكر الآخر بالتبع، وعبر هنا بالقرءان الذي هو منبع العلوم ومعدنها وأصلها ومكمنها، قال تعالى ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الأنعام] وقال تعالى ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾ [سورة الدخان] (**فهو يقوم به**) أي في صلاته (**ءاناء الليل وءاناء النهار**) ويحتمل أن يراد من القيام

وَرَجُلٌ ءاتَاهُ اللَّهُ مَالا فهوَ يُنْفِقهُ ءانَاءَ اللَّيْلِ وءانَاءَ النَّهَارِ». متفقٌ عليه.

«الآناء»: الساعات.

٥٧١ - وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرِينَ أَتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ فقالوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجاتِ العُلَى والنَّعِيمِ المُقِيمِ فَقَال: «ومَا ذَاكَ؟» فَقَالُوا: يُصَلُّونَ كمَا نُصَلّي ويَصُومُونَ كمَا نَصُومُ

المداومة على تلاوته لا بخصوص كونه في صلاة **(ورجل ءاتاه الله مالا)** التنكير فيه للتعظيم كما يدل عليه قوله: **(فهو ينفقه ءاناء الليل وءاناء النهار)** ويحتمل أن يكون للشيوع فيشمل الجليل منه والحقير، قال تعالى ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴿٧﴾﴾ [سورة الطلاق] **(متفق عليه الآناء)** بالفتح ومد الهمزة قبل النون **(الساعات)** جمع واحده إنى بالكسر والقصر وأناء بالمد والفتح، وإني بوزن قنو، وأنو بوزن دلو، ذكرها الواحدي في «تفسيره».

٥٧١ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن) بالفتح ويجوز كسر الهمزة بتقدير قول قبلها **(فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ)** من إضافة الصفة لموصوفها: أي المهاجرين الفقراء **(فقالوا)** على وجه الغبطة والتأسف على عدم تمكنهم من ذلك **(ذهب أهل الدثور بالدرجات)** الباء فيه للتعدية وفيها معنى المصاحبة **(العلى)** أي الرفيعة، قال ابن عطية في «التفسير»: الدرجات العلا هي القرب من الله تعالى **(والنعيم المقيم)** وهو نعيم الجنة الذي لا ينقضي أبدًا **(فقال: وما ذاك)** استفهام عن الذي لأجله قيل فيهم إنهم فازوا بذلك دنيا وعقبى ولم يتركوا منه للفقراء شيئًا كما يومئ إليه السياق **(فقالوا: يصلون كما نصلي)** ما كافة مهيئة للدخول على الجملة الفعلية **(ويصومون كما نصوم)** أي هم في العبادات البدنية مماثلون لنا مساوون فيها وزائدون علينا بالعبادات المالية المدلول عليها

وَيَتَصدَّقُونَ ولا نَتَصَدَّقُ وَيعتِقُونَ ولا نَعتِقُ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفَلا أُعَلّمُكُمْ شَيئًا تُدرِكُونَ بِهِ مَن سَبَقَكُمْ، وتَسْبِقُونَ بِهِ مَن بَعْدَكُمْ، وَلا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُم إِلا مَن صَنَعَ مِثلَ ما صَنَعْتُم؟» قالوا: بَلَى يا رسولَ اللّهِ، قَالَ: «تُسبّحُونَ وتُكَبّرُونَ وتَحمَدُونَ دُبُرَ كُلِ صَلاةٍ ثَلاثًا وثَلاثِينَ مَرَّةً» فَرَجَعَ فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ إِلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: سمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَموَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلوا مِثْلَهُ،

بقولهم **(ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون)** بفتح التحتية وكسر الفوقية فيهما **(ولا نعتق)** أي فهم يرجحون علينا بذلك، إذ لا مال لنا نصل به إلى مثل ذلك **(فقال رسول الله ﷺ: أفلا أعلمكم)** أي أترككم تعابًا من ذلك فلا أعلمكم **(شيئًا)** أي عظيمًا بقرينة وصفه بقوله **(تدركون به من سبقكم)** أي إلى المنازل العلى أو من سبقكم من مؤمني الأمم **(وتسبقون)** بكسر الموحدة **(به من بعدكم)** أي في الرتبة أي دونكم أو في الزمن **(ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم)** الاستثناء فيه منقطع أي ولكن من صنع مثل ما صنعتم فلا تسبقونه ولا يفضل عليه أحد كما لا يفضل عليكم **(قالوا: بلى يا رسول الله)** أي تعليم ذلك مرادنا لنلحق به من سبق ونجوز به على من بعد فضل السبق **(قال: تسبحون وتكبرون)** بتضعيف الفعلين اعتبارًا بتكرير الفعل **(وتحمدون)** بفتح الفوقية والميم **(دبر)** أي خلف **(كل صلاة)** أي من المكتوبات كما جاء كذلك في رواية **(ثلاثًا وثلاثين فرجع)** العطف على محذوف دلّ عليه السياق أي فذهب فقراء المهاجرين بما علمهم رسول الله ﷺ فعملوا فعلمه الأغنياء فعملوا به وشاركوهم فيه كغيره من العبادات البدنية فرجع **(فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ)** إذ فاتهم ما استأثروا به عن الأغنياء ليلحقوهم في فضل عملهم المالي بمشاركتهم فيه **(فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا)** أي مما ذكرت وما فيه من عظيم الفضل **(ففعلوا مثله)** فساوونا فيه وازدادوا عليه بالعمل المالي فرجع الأمر بالآخرة إلى ما اشتكوا منه

فَقَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ذلك فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يشَاءُ». مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظ روايةِ مسلم.

«الدُّثور»: الأموال الكثيرة.

أولا (**فقال رسول الله ﷺ: ذلك فضل الله**) أي ثوابه (**يؤتيه**) أي يعطيه (**من يشاء**) من فقير وغنيّ، والمشار إليه يحتمل أن يكون السبق إلى المنازل العلى المذكور أوّل الخبر أي أنالهم الله ذلك وقصره عليهم فلا سبيل لمشاركتهم فيه من غيرهم (**متفق عليه**) رواه البخاري في الدعوات ومسلم (**وهذا لفظ رواية مسلم**) في كتاب الصلاة (**الدثور**) بضم المهملة والمثلثة (**الأموال الكثيرة**) كما في «النهاية».

تم المجلد الثاني ويليه المجلد الثالث
وأوله باب ذكر الموت وقصر الأمل

فهرس المواضيع

- باب تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم ٣
- باب ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة ٢١
- باب قضاء حوائج المسلمين ٢٥
- باب الشفاعة ٢٨
- باب الإصلاح بين الناس ٣٠
- باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء الخاملين ٣٩
- باب ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين والإحسان إليهم والشفقة عليهم والتواضع معهم وخفض الجناح لهم ٥٤
- باب الوصية بالنساء ٦٨
- باب حق الزوج على امرأته ٧٨
- باب النفقة على العيال ٨٥
- باب الإنفاق مما يحب ومن الجيد ٩٢
- باب وجوب أمرِ أهله وأولاده المميِّزِين وسائر من في رعيته بطاعة الله تعالى ونهيهم عن المخالفة وتأديبهم ومنعهم من ارتكاب منهيٍ عنه ٩٥
- باب حق الجار والوصية به ١٠٠
- باب بِر الوالِدَيْن وصلةِ الأرحام ١٠٧
- باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم ١٣٤

- باب فضل بر أصدقاء الأب والأم والأقارب والزوجة وسائر من يندب إكرامه ١٤١
- باب إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ وبيان فضلهم ١٤٨
- باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم ورفع مجالسهم وإظهار مَزِيَّتِهِم ١٥٣
- باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم وزيارة المواضع الفاضلة ١٦٦
- باب فضل الحب في الله والحث عليه ١٨٤
- باب علامات حب الله العبد والحث على التخلق بها ١٩٤
- باب التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين ٢٠١
- باب إجراء أحكام الناس على الظاهر وسرائرهم إلى الله تعالى ٢٠٣
- باب الخوف ٢١٠
- باب الرجاء ٢٢٩
- باب فضل الرجاء ٢٦٧
- باب الجمع بين الخوف والرجاء ٢٧١
- باب فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقًا إليه ٢٧٤
- باب فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر ٢٨٣
- باب فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفوس وترك الشهوات ٣١٩
- باب القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة والإنفاق وذم السؤال من غير ضرورة ٣٦٩
- باب جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلع إليه ٣٨٦

- باب الحث على الأكل من عمل يده والتَّعفُّفِ به عن السؤال والتعرض للإعطاء ٣٨٧
- باب الكَرَم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى ٣٩٠
- باب النهي عن البخل والشح ٤٠٨
- باب الإيثار والمواساة ٤٠٩
- باب التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به ٤١٦
- باب فضل الغني الشاكر وهو من أخذ المال من وجهه وصرفه في وجوهه المأمور بها ٤١٩
- فهرس المواضيع ٤٢٥